

غريب الزمان

في وفيات الأعيان

تأليف

العلامة يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى بن حسين العامري الحرضي اليماني

(٨١٦ - ٨٩٣ هـ)

صححه وعلق عليه

محمد ناجي زرعبي العمر

الإشراف

القاضي عبد الرحمن بن يحيى الارياني

حقوق الطبع محفوظة للمشرّف

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

طبع في مطبعة زيد بن ثابت في دمشق

عدد النسخ (٢٠٠٠) نسخة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ترجمة المؤلف

رحمه الله

هو أحد أعلام اليمن ، المشهود لهم بالعلم والعمل ، والتقوى والورع . ترجم له حجة الإسلام (محمد بن علي الشوكاني) رحمه الله في (البدر الطالع) و (عمر رضا كحالة) في (معجم المؤلفين) و (السخاوي) و (الزركلي) و (حاجي خليفة) وغيرهم .

قال الإمام الشوكاني في ترجمته له :

((يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى بن حسين العامري الحرصي اليمني الشافعي ، ولد سنة (٨١٦) هـ ، وهو محدث اليمن وشيخها ، سمع من (أبي الفتوح المراغي) في مكة ، وقرأ على (علي بن إبراهيم) في اليمن ، و (محمد بن حسن الكرمانلي) في أبيات حسين ، وتفقه بأبيه ، ومن مشايخه (النقي بن فهد) المتقدم ذكره . واستفاد منه طلبه العلم ، ورحلوا إليه ؛ وله مصنفات منها : (العدد فيما لا يستغني عنه أحد) في أعمال اليوم والليلة ، و (غربال الزمان) في التاريخ ، و (بهجة المحافل وبغية الأمثال) في السيرة ، و (التحفة) في الطب ، و (الرياض المستطابة في معرفة من روى في الصحيحين من الصحابة) . ومؤلفاته مشهورة مقبولة نافعة مفيدة . ومات ب (حرض) سنة (٨٩٣) هـ ودفن بها ، رحمه الله)) .

وقد ترجم له كثير من المؤرخين اليمنيين وغيرهم ، وأثنوا عليه ثناءً حسناً ، وحسبنا ما قاله عنه شيخ الإسلام الشوكاني - وهو من هو - من ثناء وتقدير ، فقد وصفه بأنه محدث اليمن وشيخها ، وحسبه ذلك .

فالمترجم له رحمه الله هو أحد الأعلام الذين أنجبهم المخلاف السليماني ، ومنهم الشاعر المؤرخ عمارة اليمني ، والقاسم بن علي بن هتيمل الشاعر المجيد الذي حاول بعض كتاب المخلاف المعاصرين أن ينفي عنه يمينيته ، ومنهم العلامة حسن بن أحمد عاكش الذي قال في تاريخه للمخلاف السليماني : ((إنه أحسن مخاليف اليمن)) ، وأبو عبد الله محمد بن حسين البجكي المتوفى سنة (٦٢١هـ) ، والعلامة محمد بن أبي بكر الحكمي صاحب عواجة المتوفى سنة (٦١٧هـ) ، والعلماء من آل الحازمي الذين قال عنهم العلامة الزركلي في كتابه : ((جزيرة العرب في عهد الملك عبد العزيز)) : إنهم يفتقدون المذهب الزيدي ، ولا نرى بأساً في انتقالهم إلى تقليد مذهب آخر ، فكلهم من رسول الله ملتبس ، أما إذا كانوا قد أخذوا من النبع الصافي نبع الكتاب والسنة غير مقلدين فهم بذلك قد حصلوا على أجرين إن أصابوا وعلى أجر واحد إن أخطؤوا ؛ فهم ماجورون على كلا الحالين .

وهناك علماء آخرون ممن أنجبهم المخلاف لا نرى لزوماً لتعدادهم .

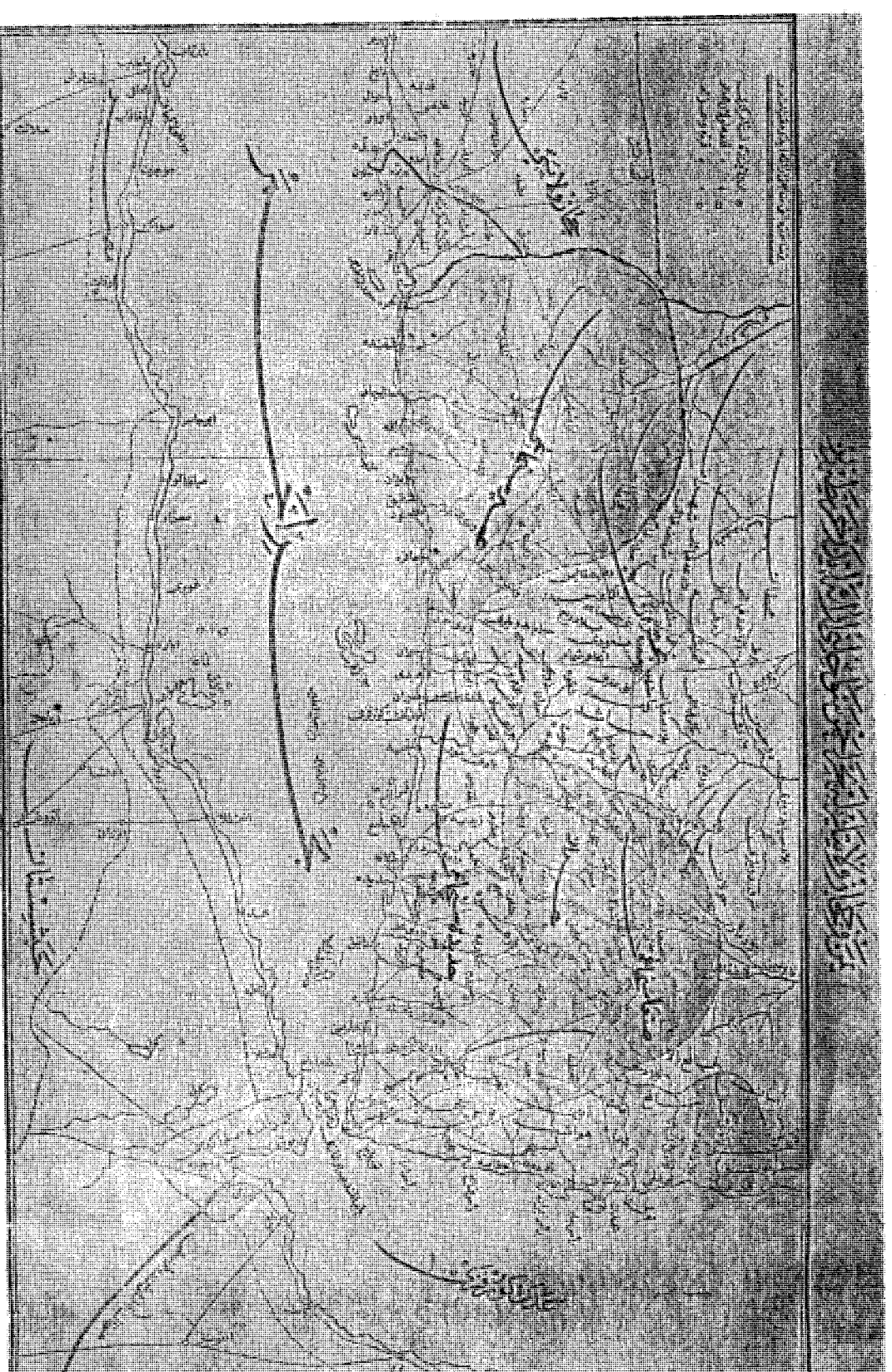
وفي مصادر التاريخ العربي الإسلامي اشتهر هذا الصقع من الأرض اليمنية باسمين هما : ((مخلاف حكم)) نسبة إلى قبيلة حكم اليمنية المشهورة ، وكتب الأنساب تذكر هذه القبيلة مجمعة على أنها سميت باسم ((الحكم بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد بن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ)) ، وقد أنجبت هذه القبيلة العديد من القادة والعلماء والشعراء وأخبارهم وتراجمهم مبثوثة في كتب التاريخ والأدب والتراجم .

وأما التسمية الثانية ففيها تخصيص بعد تعميم ؛ ففي القرن الرابع اشتهر في هذه المنطقة من قبيلة حكم السلطان ((سليمان بن طرف الحكمي)) فنسب هذا المخلاف

إليه وأصبح معروفاً باسم « المخلاف السليماني » وقد صدرت في أخبار هذا المخلاف
وتاريخه كتب يمكن لطالب الزيد الرجوع إليها ليعرف موقع هذا المخلاف من
خريطة اليمن .

وقد وضعت الحكومة العثمانية ، في الفترة الأخيرة من حكمها لليمن والحجاز
- أي قبل نحو مئة عام - هذه الخريطة التي نضعها بين يدي القارئ ، ومنها يعرف
طالب الزيد الحدود الفاصلة بين الحجاز واليمن .

* * *



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مدخل

كتاب (غربال الزمان) الذي بين يدي القارئ ، للعلامة (يحيى بن أبي بكر العامري الحرصي اليماني) هو كما قال عنه مؤلفه رحمه الله : مختصر من كتاب (تحفة الزمن) للعلامة (حسين بن عبد الله الأهدل) (١) رحمه الله .

وكتاب (التحفة) للأهدل ، هو بدوره كما ذكر مؤلفه ، مختصر من المصنف الكبير الذي يعرف بـ (تاريخ الياضي) لمؤلفه (عبد الله بن أسعد الياضي) (٢) رحمه الله .

(١) العلامة (حسين بن عبد الله الأهدل) ترجم له الإمام (محمد بن دلمي الشوكاني) في (البدر الطالع) فقال : ولد سنة ٧٧٩ هـ ، ومات سنة ٨٥٥ هـ ، وأثنى عليه مُعَدِّدًا مؤلفاته ومنها (تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن) وقال عنه : إنه شيخ عصره دون مدافع ، دارت عليه الفتيا ، ورحل إليه الناس .. إلى أن قال : وهو من العلماء المبرزين في المعقول والمنقول .

(٢) ترجم له الشوكاني رحمه الله فقال : ولد قبل السبعمائة بسنتين ، كان كثير التصانيف ، أثنى عليه الأسنوي في الطبقات ، وتصانيفه كثيرة ، وله قصيدة تشتمل على عشرين علماً ، ولعله صاحب التاريخ الذي اعتمد فيه على ابن خلكان والذهبي ، وفيه من التعصبات للأشعرية أشياء منكورة ، وقال ابن رافع في حقه : اشتهر صيته وبعد ذكره ، وكان يتعصب للأشعري ، وله كلام في ذم ابن تيمية . قال الشوكاني : وهو من المعظمين لابن عربي ، وله في ذلك مبالغة . مات في جمادى الآخرة سنة ٧٦٨ هـ .

والياضي بدوره أيضاً ، معتمد في تاريخه على مؤلفات العلامة محمد بن أحمد التركماني المعروف بـ (الحافظ الذهبي)^(١) رحمه الله ، وعلى (وفيات الأعيان) للعلامة (ابن خلكان) رحمه الله .

ولكن مؤلف (غربال الزمان) أشار إلى أنه أدخل في كتابه هذا الذي بين أيدينا ، تراجم علماء اليمن الذين أغفلوا من قبل ، كما أنه أغفلهم حتى (الياضي) نفسه .

ولهذا فإن نشر هذا الكتاب كان بغية لنا .

أولاً : لكونه خلاصة مختصرة وشديدة الإيجاز لجهود عدد من العلماء ، ولمضامين عدد من مؤلفاتهم ، وأحداثه التاريخية وما فيه من الوفيات ، مرتبة بحسب السنين منذ العام الأول للهجرة ، وحتى عام ٧٤٩ للهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلوات والتسليم ؛ مما يسهل للباحث العودة إليه للتحور على بغيته .

ثانياً : لهذه الزيادة التي أشار إليها المؤلف بإضافته لتراجم عدد من علماء اليمن الذين لم تشر إليهم المؤلفات السابقة ؛ وفي ذلك فائدة لنا في صدد الجهود التي تتوجه الآن لإحياء ونشر كل جوانب التراث اليمني وأعلامه .

وقد اعتمدنا في تحقيق هذا الكتاب وطبعه ، على نسختنا الخطية المحررة سنة ١١٤٨ هـ ، وصححنا ألفاظه على نسخة الجامع الكبير بصنعاء ، التي تفضل الأخ العلامة إسماعيل بن علي الأكواع بإرسالها للمقارنة في التصحيح .

(١) هو الإمام العلامة : (محمد بن أحمد بن عثمان التركماني) ، المشهور بـ (الحافظ الذهبي) . ترجم له الإمام محمد بن علي الشوكاني فقال : ولد سنة ٦٧٣ هـ ثلاث وسبعين وستمائة ، وهو الحافظ الكبير ، والمؤرخ صاحب التصانيف السائرة في الأقطار ، كان أكثر أهل عصره تصنيفاً ، جمع (تاريخ الإسلام) في أزيد من عشرين مجلداً ، وكتاب (سير أعلام النبلاء) في عشرين مجلداً ، وله (العبر) و (طبقات الحفاظ) و (طبقات القراء) وغيرها . وقد أطل الشوكاني في ترجمته والثناء عليه ، وقال : إنه توفي سنة ٧٤٨ هـ رحمه الله .

كما اعتمدنا في المقارنة بين النسختين ، وضبط النسخة المعتمدة للطباعة ،
وتصحيح ألفاظها ، واستكمالها ، وإعجام حروفها ، ومراجعة (التجارب) الأولى على
الأستاذ (محمد ناجي العمر) وهو ممن يعتمد عليه في ذلك ، فقام بمهمته قياماً
يستحق عليه الثناء والتقدير .

ثم راجعنا ما صححه بالمقابلة على الأصول مع الأستاذ الباحث مطهر بن علي
الإرياني وفقه الله .

وقد بذلنا من الجهود ما نرجو معه المثوبة منه تعالى ، ونرجو آفاً وفقينا الكتاب
حقه من التصحيح ، وذلك على مشقة ما بين الأصلين من فوارق في القواعد الخطية ،
وعلى ما في إعجامهما من سوء ، فكلتاها تعجمان ما أصبح اليوم مهملًا كالبدال
والحاء ، وتهملان المعجم في الأعم الأغلب .

وعلى كل حال فإن الكتاب كما قال عنه بعض العلماء : (كالمشككف لا يرتفع
عنه القلم) حيث لا يخلو كتاب من أن يعود عليه قلم القارئ المحقق بالتنقيح
والتصحيح ، ومن الله نستمد العون وهو ولي التوفيق والهداية .

٢ شعبان ١٤٠٤ هـ
حرر في دمشق ٢ أيار ١٩٨٤ م

وكتبه

عبد الرحمن بن يحيى الإرياني

تجاوز الله عنه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وهو حسبي ونعم الوكيل

الحمد لله الملك الديان ، مقلِّب الأزمان ، كل يوم هو في شأن ، وصلى الله على سيدنا محمد سيِّد ولد عدنان ، وعلى آله وصحبه ما اختلف الملوك أن •

وبعد : فهذا مختصر مما اختصره الفقيه العلامة النبيه الإمام الأكمل الحسين بن عبد الرحمن الأهدل من تاريخ الإمام الناسك ذي التصانيف العديدة المفيدة عبد الله بن أسعد اليافعي رحمهما الله تعالى ، وهما ثقلاً عن حافظ عصره ومسند مصره أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي التركماني واعترفا له بالسبق في هذا الباب، فإنه صاحب (ميزان الاعتدال في نقد الرجال) وله (الكاشف في رجال الكتب الستة وبيان طبقتهم) وغيرها ، بعثني على اختصاره حسن ترتيبه ، وزياداته على تواريخ الشاميين والحجازيين بإدخال أهل اليمن وتأخره في الزمن ، وأيضاً فمدار نقله بين ثلاثة أئمة سنِّيِّين ، بيِّدَ أن طرقهم في النقل مختلفة ، فالذهبي يؤثر الاقتصاد في المدح والثناء ، ويحكي أحوال الرجال على ظاهر الحال قدحاً ومدحاً بعبارات وجيزة إثاراً للاختصار ، ولعله يلاحظ أحاديث النهي عن التزكية ، ورد النبي ﷺ على أم العلاء تزكيتها لعثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنه مع كونه أهلاً لذلك ، واليافعي يستدرك عليه ويتهمه في حق الفضلاء الأكابر كالسهروردي وشيخ الشيوخ عبد القادر ، ويراه تقصيراً في حقهم وغضاً من منصبهم ، ويسهب فيه كل الإسهاب ، وكأنه والله سبحانه أعلم يشير إلى قول عائشة رضي الله تعالى عنها : « أمرنا رسول الله ﷺ أن نُنزل الناس منازلهم » • والأهدل يرى المناقشة والرد على من شطح وجاوز الحد وطوَّعَل في ذلك ، ويراه من أهم المهمات بل من فروض الكفايات وله ما احتسب ، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدُو له ينفون عنه تحريف الجاهلين واتحال الغالين » •

لكن ينبغي لمن تصدى لذلك تتبع المعاذير ، والتنكب ما وجد سيلا عن التكفير ، فإن الغلط فيه صعب عسير . وأيضاً فإن الخطأ في التوقف والاعتذار والتصويب أهون من الخطأ في التكفير والتكذيب ، وليس مني في النقل عنهم غير صناعة الاختصار وترك الإكثار في بعض التراجم . وربما حذفت ترجمة من عمره طول الأمد وتباعد المدد من الوزراء والكبراء وذلك نادر حيث لا تظهر الفائدة .

وعلى الجملة لا بد لكل ناقلٍ من نظر يستجد وأمر يستفاد . ولعل بعد انتهائه إن شاء الله تعالى أذيل عليه إلى حيث تنتهي المدة ، واتهاؤه إلى سنة خمسين وسبعمائة .

وقد أضم عليه من عارض الدولتين من الأئمة العلويين مما أكثره منقول من كتاب مقاتل الطالبين لأبي الفرج بن الجوزي^(١) . وأسأل الله تعالى التوفيق وحسن الخاتمة والعافية الدائمة إته قريب مجيب .

قال رحمه الله وفتح به آمين :

السنة الأولى

من الهجرة

قدم النبي ﷺ المدينة ضحى يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول .
وفيها توفي النقيان أسعد بن زرارة النجاري والبراء بن معرور السلمي رضي الله عنهما .

السنة الثانية

حولت القبلة ، وذلك في ظهر يوم الثلاثاء نصف شعبان .
وفيها فرض الصوم . وفي سابع عشر شهر رمضان منها يوم الجمعة وقعة بدر ، واستشهد من المسلمين أربعة عشر : ستة من قريش وهم : عبيدة بن الحارث

(١) هذا غلط فإن مقاتل الطالبين لأبي الفرج علي بن الحسين الأصبهاني .

ابن عبد المطلب وعمير بن أبي وقاص الزهري وذو الشمالين وعافل بن البكير ومهجع مولى عمر ، وهو يمني من عك بن عدنان بالثنية ، وهو أول قتيل ، وصفوان ابن بيضاء • ومن الأنصار ثمانية خمسة من الأوس وهم : سعد بن خيشمة ومبشر بن عبد المنذر وزيد بن الحارث وعمير بن عبد الجميلة ورافع بن المعلى ، وثلاثة من الخزرج حارثة بن سراقه وعوف ومعوذ ابنا عفراء رضي الله تعالى عنهم • وقتل من الكفار سبعون وأسر سبعون •

وفيهما توفيت رقية بنت رسول الله ﷺ •

وفي شوال منها دخل ﷺ بعائشة رضي الله تعالى عنها •

وفيهما بني علي بفاطمة رضي الله تعالى عنهما •

وفيهما توفي عثمان بن مظعون القرشي الجمحي رضي الله تعالى عنه ، وهو

أول من مات من المهاجرين بالمدينة بعد رجوعه من بدر ، وقبله النبي ﷺ وهو ميت • وكان يزوره ، ودفن إلى جنبه ولده إبراهيم • وكان ممن حرّم الخمر على نفسه قبل تحريمها عابداً مجتهداً ، وسمع لبيد بن ربيعة ينشد :

ألا كل شيءٍ ما خلا الله باطل •

قال عثمان : صدقت ، قال لبيد :

وكل نعيم لا محالة زائل •

قال عثمان : كذبت ، نعيم الجنة لا يزول • فقال لبيد : يا معشر قريش أكذب

في مجلسكم؟! فلطم بعض الحاضرين وجهه لطمه اخضرت منها عينه ، وذلك في أول الإسلام ، فقال له عتبة بن ربيعة : لو بقيت في نزلي ما أصابك شيء ، وكان قد رد عليه جواره ، فقال له عثمان : إن عيني الأخرى لفقيرة إلى ما صنع بأختها في سبيل الله تعالى •

وفيهما ولد عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنه ، وقيل : في السنة الأولى •

السنة الثالثة

في نصف شعبان منها ولد الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما ، وأما الحسين فمقتضى ما ذكره في مدة عمرهما وتاريخ وفاتهما أن يكون ولد في الخامسة ، ولم يظهر مما سيأتي من تاريخ وفاتهما ما يقتضي ما ذكره فليتامثل • وقال القرطبي : ولد في شعبان من الرابعة ؛ وعلى هذا ولد الحسين قبل تمام السنة من ولادة الحسن • ويؤيده ما ذكره الواقدي أن فاطمة رضي الله تعالى عنها عكبت بالحسين بعد مولد الحسن بخمسين ليلة ، وجزم النواوي في التهذيب أنه ولد لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة • وقيل : لم يكن بين ولادتهما إلا طهر واحد •

وفي رمضان منها دخل ﷺ بحفصة ، ودخل بزيب بنت جحش ، وبزيب بنت خزيمة العامرية أم المساكين وعاشت عنده^(١) نحو ثلاثة أشهر ثم توفيت •

وفيها تزوج عثمان أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ ورضي الله عنها •

وفيها تحريم الخمر ، ووقعة أحد يوم السبت السابع من شوال ، وصحح بعضهم أنها في الحادي عشر منه ، وقتل فيها حمزة عم رسول الله ﷺ ورضي الله عنه بعد أن قتل جماعة ، وكان إسلامه في السنة الثانية ، وقيل : في السادسة من المبعث ، ولم يسلم من إخوته سوى العباس وكانوا تسعة ، وقيل : اثني عشر • ولما وقف ﷺ يوم أحد ورأى ما به منها المتئلة حلف ليمثلن بسبعين منهم ، فنزل قوله تعالى : (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ) الآية • فقال : بل نصبر ، وكفر عن يمينه • وفي ذي القعدة منها غزوة بدر الصغرى ، وغزوة بني النضير ، والصواب أنها في الرابعة •

(١) كذا في الأصل والنسخة ب • وذكر في ب في هامشها أن الصواب : بعده •

السنة الرابعة

- في صفر منها غزوة بئر معونة وكانوا سبعين ، وقيل : أربعين .
- وفي ربيع الأول منها غزوة بني النضير فنزلوا صلحاً وارتحلوا إلى خيبر .
- وفي أول المحرم منها غزوة ذات الرقاع وغزوة الخندق عند بعضهم ، وكان مقام الأحزاب فيها خمسة عشر يوماً . وقيل : أكثر من عشرين يوماً .
- وفيها نزول التيمّم وزواج أم سلمة رضي الله عنها .

السنة الخامسة

- فيها صلاة الخوف عند بعضهم ، وغزوة دومة الجندل ، وغزوة ذات الرقاع ، وقيل : وغزوة الخندق ، ثم غزوة بني قريظة . وصحح في الروضة أن الخندق في الرابعة وبني قريظة في الخامسة ، وظاهر هذا التناقض لأنها كانت عقبها إلا أن تحمل على آخر هذه وأول هذه ، لكنه بعيد أيضاً لأنه توجه ﷺ إلى بني قريظة في اليوم الذي انصرف منه من الأحزاب .
- وفيها توفي سعد بن معاذ سيّد الأوس رضي الله تعالى عنه ، واهتز لموته عرش الرحمن .

السنة السادسة

- فيها بيعة الرضوان ، وموت سعد بن خولة الذي رثى له النبي ﷺ أن مات بمكة . قيل :
- وفيها غزوة بني المصطلق .
- وفيها فرض الحج ، وقيل : سنة خمس ، وكسفت الشمس ، ونزل حكم الظهار .

السنة السابعة

فيها غزوة خيبر وفتحها في صفر ، وأكرم بالشهادة بضعة عشر ، وتزوج رسول الله ﷺ صفية وميمونة وأم حبيبة ، وجاءته مارية القبطية ، وقدم جعفر ومهاجرة الحبشة رضي الله تعالى عنهم ، وأسلم أبو هريرة رضي الله تعالى عنه .
وفيها عمرة القضاء .

السنة الثامنة

فيها غزوة مؤتة ، واستشهد بها الأمراء الثلاثة : أولهم زيد بن حارثة الذي نوه القرآن بقدره وذكره ، وجعله النبي ﷺ وابنه كفواً للعرييات والقرشيات ، ثانيهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، واستشهد وله إحدى وأربعون سنة ، ومناقبه عديدة : قال له النبي ﷺ : أشبهت خَلْقِي وخَلْقِي . وناهيك بها فضيلة ، ثالثهم عبد الله بن رواحة الخزرجي أحد النقباء الصادق في طلب الشهادة رضي الله تعالى عنهم ، وفتح الله تعالى فيها على يد خالد بن الوليد رضي الله عنه ، وهي أول مشاهدته في الإسلام .

وفي رمضان منها فتح مكة ، وغزوة حنين ، في شوال ، ثم حاصر الطائف (١) ، ونصب النبي ﷺ المنجنيق ، ثم رحل عنها من غير فتح ، وأسلم أهلها في العام القابل .

وفيها غزوة ذات السلاسل .

وفيها غلا السعر ، فقالوا يا رسول الله سعر لنا ؛ فقال رسول الله ﷺ : إن الله هو المسعر القابض الباسط .

وفيها ولد إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ، وتوفيت ابنته زينب وهي أكبر أولاده ﷺ ورضي عنها .

(١) كذا في الأصل ، وفي ب : وفي شوال حصار الطائف .

السنة التاسعة

فيها غزوة تبوك في رجب ، وحج أبو بكر رضي الله تعالى عنه بالناس ، وتوفي النجاشي في رجب ، وتوفيت أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ وعبد الله بن أبي بن سلول المناق ، وكان موته في ذي القعدة ، وهو القائل : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرش منها الأذل ، فلما رجعوا من غزوة تبوك منع ابنه عبد الله المفلح الصالح عن دخول المدينة حتى يأذن النبي ﷺ .

وفيها قتل عروة بن مسعود الثقفي قتله قومه أن دعاهم إلى الإسلام ، وكان من دهاة العرب ، وتوفي سهيل بن بيضاء الفهري ، وصلى عليه رسول الله ﷺ في المسجد ، وقتل ملك الفرس وملكوا بوارم^(١) بضم الباء الموحدة وبالراء ، وإليها الإشارة بقوله ﷺ : لن يفلح قوم ولئو أمرهم امرأة .

السنة العاشرة

فيها حجة الوداع ولم يحج بعد الهجرة سواها ، ولم ينضب عدد حجاته قبلها .

وفيها توفي إبراهيم ابن النبي ﷺ وهو ابن سنة ونصف وكسفت الشمس يوم مات ، وقد سبق أنها كسفت في السادسة ، فإن حمل على التعدد فلا إشكال وإلا فأحد النقلين باطل . وذكر بعض الشافعية أن كسوفها يوم مات إبراهيم يرد على أهل الفلك لأنه مات في غير يوم الثامن والعشرين والتاسع والعشرين وهم يقولون : لا تنكسف إلا فيهما . قال الياضي : وهذا يحتاج إلى نقل صحيح ، فإن العادة المستقرة أن كسوفها في اليوم المذكور مستمر والله سبحانه أعلم . ولما ولد إبراهيم وهب النبي ﷺ لمن بشره بولادته وهو أبو رافع عبداً ، وتنازعت الأنصار في رضاعه فدفعه النبي ﷺ إلى أبي سيف وزوجته أم سيف .

(١) كذا في الأصل ، وفي ب : بواران . ولعل الصواب : بوران .

وفيها أسلم جرير ، وظهر الأسود العنسي ، وكان له شيطان يخبره بالمغيبات فضل به كثير من الناس ، وكان بين ظهوره وقتله نحو من أربعة أشهر • وكثر الوفود في العاشرة وذكرها بعضهم في التاسعة ، وكانت غزوات النبي ﷺ خمساً وعشرين ، وقيل : تسعاً وعشرين ، وسراياه ستاً وخمسين ، وقيل : غير ذلك والله سبحانه أعلم •

السنة الحادية عشرة

وفيها توفي النبي ﷺ في وسط نهار الاثنين في ربيع الأول ، وفيما قيل : إنه توفي في الثاني عشر منه ، إشكال " لأنه ﷺ كانت وقفته بالجمعة في السنة العاشرة إجماعاً ، ولا يتصور مع ذلك وقوع يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول من السنة التي بعدها ، وذلك مطرد في بعضها ، وبُعث ﷺ على رأس أربعين فأقام بمكة ثلاث عشرة ، وقيل : عشراً ، وقيل : خمس عشرة ، وأقام بالمدينة عشراً بالإجماع ، وتوفي ﷺ وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح ، وولد ﷺ عام الفيل في شعب بني هاشم ، وتوفي جده عبد المطلب وهو ابن ثمانين سنين على قول ، وشهد ببناء قريش الكعبة وهو ابن ثلاث وثلاثين على قول ، والصحيح أنه كان ينقل معهم الحجارة وهو صغير ، وكانوا يجعلون أزهرهم على عواتقهم تقيهم الحجارة ، ففعل معهم فسقط مغشياً عليه ، فإن حمل على بناء قريش مرتين ، أو في أمر غير بناء الكعبة فلا إشكال وإلا فأحد النقلين ساقط • وتزوج ﷺ خديجة رضي الله تعالى عنها وهو ابن خمس وعشرين سنة وهي بنت أربعين على الصحيح فيها ، ورجح كثيرون أنها ابنة ثمان وعشرين ، وفرضت الصلاة بمكة ليلة الإسراء بعد النبوة بعشر سنين وثلاثة أشهر ، وفرض الصوم بعد الهجرة بستين ، وفرضت الزكاة قبل الصوم ، وقيل : بعده • وهو ﷺ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان • هذا المتفق عليه ، وجده هاشم هو الذي سن لقريش الرحلتين للتجارة ، ومات بغزة من أرض الشام البلدة التي ولد فيها الشافعي •

السنة الثانية عشرة

من الهجرة

فيها توفيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي عنها بعد وفاة أبيها بستة أشهر ، وهي سيدة نساء العالمين وبضعة من رسول الله ﷺ ، تزوجها علي رضي الله عنه وهي بنت خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصف ، وعمره إحدى وعشرون سنة وخمسة أشهر ، ولم يتزوج عليها حتى ماتت كما لم يتزوج عليها النبي ﷺ ، وغسلتها أسماء بنت عميس وعلي ودفنها ليلاً .

وفيها ماتت أم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ وأمّه بعد أمّه ومنزلتها من النبي ﷺ ومنزلة زوجها وبنيها لا توصف ولا تكيف .

وفيها مات عكاشة الأسدي أحد السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب .

وفيها قتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة في رهط من قومه بني حنظلة ممن منع الزكاة ، وكان مالك من دهاة العرب ، وكان عرض علي خالد الصلاة دون الزكاة ، فقال خالد : لا تقبل واحدة دون الأخرى ، فقال مالك : كذلك كان يقول صاحبك ، فقال خالد : وما تراه لك صاحباً؟! والله لقد هممت أن أضرب عنك ، ثم تجادلا في الكلام فقال خالد : إني قاتلك ، فقال : أو بذلك أمرك صاحبك؟ قال خالد : وهذه ثافية بعد تلك ، والله لأقتلنك ، فكلمه عبد الله بن عمر وأبو قتادة في استبقائه فأبى ، فقال له مالك : فابعثني إلى أبي بكر فيكون هو الذي يحكم في ، فقال خالد : يا ضرار قم فاضرب عنقه ، فاضرب عنقه ، واستبرأ زوجته من الفيء وتزوجها ، فأنكر عليه عمر والصحابة ، وسأل عمر أبا بكر رضي الله تعالى عنه قتل خالد بمالك وحده في زواج زوجته ، فقال أبو بكر : إنه تأوّل فأخطأ ، فسأله عزله ، فقال : ما كنت لأشيم سيفاً سله الله تعالى عليهم أبداً .

ولمُتَمِّم بن نويرة في أخيه مرثي كثيرة مشهورة ، من أعجبها قوله :
لقد لامني عند القبور على البكا صحابي لتذراف الدموع السوافك
فقالوا أتبكي كل قبر رأيتَه لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت لهم إن الشجايبعث الشجا دعوني فهذا كله قبر مالك

السنة الثالثة عشرة

فيها غزوة اليمامة وقتل مسيلمة الكذاب ، وفتح اليمامة صلحاً على يد خالد ابن الوليد رضي الله عنه ، بعد أن استشهد من المسلمين الصحابة رضي الله عنهم نحو أربعمئة وخمسين ، وقيل : ستمائة ، وجملة القتلى من المسلمين ألف رجل ومائتا رجل . وكان رأي أهل الردة على منع الزكاة دون غيرها ، فأجمع رأي أبي بكر رضي الله تعالى عنه على قتالهم ، وأما سائر الصحابة فاحتجوا عليه بقوله ﷺ : « أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِذَا قَالُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى » . فقال أبو بكر رضي الله عنه : الزكاة حق المال ، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة . قال الشيخ أبو إسحق الشيرازي : فانظر كيف منع من التعلق بعموم الخبر من وجهين : أحدهما أنه بيّن أن الزكاة حق المال ، فلم يدخل مانعها في الخبر . والثاني أنه خص الخبر في الزكاة كما خص في الصلاة فخص مرة بالخبر وأخرى بالنظر ، وهذا غاية ما ينتهي به المجتهد المحقق والعالم المدقق .

وفي ذي الحجة منها توفي صهر النبي ﷺ زوج ابنته زينب أبو العاص بن الربيع العبشمي ابن أخت خديجة ، وأمّه هالة بنت خويلد ، وكان النبي ﷺ يثنى عليه .

وفيها وقعة أجنادين بقرب الرملة ، واستشهد فيها جماعة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، ثم كان النصر والحمد لله .

وفيها بعث أبو بكر أمراءه إلى الشام ، منهم أبو عبيدة وعمرو بن العاص ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة ، وبعث خالداً إلى العراق فافتتح الأبلّة وأغار على السواد وحاصر عين التمر وأرى الفرس ذلاً وهواناً ، ثم سار من الشام إلى العراق في بريّة ورمال لا يهتدي طريقها ، ولحق بأمراء الشام ، وكان له الأثر العظيم .

وفي جمادى الآخرة منها توفي الخليفة أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان رضي الله تعالى عنه عن ثلاث وستين سنة ، ومناقبه كثيرة مشهورة ، وفيه يقول أبو محجن الثقفى شعراً :

وسُميتَ صديقاً وكلُّ مهاجرٍ سواكُ يسمى باسمه غير منكر
وبالغار إذ سميت بالغار صاحباً وكنت رفيقاً للنبي المطهر
سبقت إلى الإسلام والله شاهدٌ وكنت جليسا بالعريش المشهر

ومناقبه وسوابقه في الإسلام لا تنحصر ، وكان رئيساً في الجاهلية ، وكان إليه الديّات ومعرفة الأنساب وتأويل الرؤيا ، وأسلم على يديه جماعة ، وأعتق أعبداً افتداهم من أيدي المشركين يعذبونهم ، منهم بلال وعامر بن فهيرة ، ونص ﷺ أن سبقه لغيره لواقره وقرّ في صدره ، وجاء أنه كان إذا تنفس يشم منه رائحة كبد مشوى ، وبينه وبين مرة بن كعب شبه بالنبي ﷺ ، وأمه سلمى أم الخير بنت صخر بن عامر تيمية أيضاً . ولد بعد عام الفيل بستين وأربعة أشهر إلا أياماً ، وعاش بعد رسول الله ﷺ بقدر ما سبقه النبي ﷺ بالولادة .

واستخلف عمر رضي الله عنه فلم يختلف عليه اثنان ، والإجماع منعقد على صحة خلافته ، ودلائلها أشهر من أن تذكر ، والله سبحانه أعلم .

ومات يوم وفاة أبي بكر أميره على مكة عتاب بن أسيد الأموي ، وكان من مسلمة الفتح ، وأمّره النبي ﷺ على مكة حين خرج إلى الطائف ، ولم يزل عليها حتى توفي النبي ﷺ ، وحين جاء الخبر بموت النبي ﷺ اختفى وخاف على نفسه ، فقام سهيل بن عمرو وخطب خطبة بليغة ثبت الله بها قلوب الناس ؛ فصح في سهيل قول رسول الله ﷺ لعمر : « عسى أن يقوم مقاماً يحمد فيه » . وكان عتاب رجلاً صالحاً .

سنة أربع عشرة

فيها فتحت دمشق صلحاً من أبي عبيدة وعنوة من خالد ثم أمضيت صلحاً بعد مراجعة عمر • وعزل عمر خالداً بأبي عبيدة ، فقال خالد : والله لو ولى عمر عكبيّ امرأةً لسمعت وأطعت • وكان قد رأى تلك الأيام أن قلنسوته سقطت ، ففسرت بعزله • وكان عمر قد أنفذه إلى العراق لشجاعته وإقدامه • ثم عزله لتغريبه بالمسلمين مع أن عمر أشار على أبي بكر أن ينفذه لقتال أهل الردة • وكان في صلح أبي عبيدة لأهل دمشق : أن لهم ما حملت إبلهم وأن لا يتبعوا إلى انقضاء ثلاثة أيام ، فتبعهم خالد بعد الثلاثة فأدركهم بمرج الديباج ، فوضع فيهم السيف ، وقتل أميرهم وسبى بنت ملكهم فروج عمر فيها وقد أرسل أبوها بمال عظيم في فداؤها فأمر عمر بإطلاقها بغير مال ليريبهم أنه لا رغبة له ولا رهبة فيهم •

وفيها وقعة جسر أبي عبّيد على مرحلتين من الكوفة ، واستشهد من المسلمين بها نحو ثمانمائة منهم أبو عبيد بن مسعود والد المختر الكذاب ، وكان من جملة الصحابة رضي الله عنهم •

وفيها مصرّ عتبة بن غزوان البصرة وأمر ببناء مسجدها الأعظم ، وفتحت بعلبك وحمص صلحاً ، وهرب هرقل عظيم الروم من أنطاكية إلى القسطنطينية •

وفيها توفي أبو قحافة والد الصديق عن أربع وتسعين سنة •

سنة خمس عشرة

وفيها وقعة اليرموك ، كان المسلمون ثلاثين ألفاً والروم أكثر من مئة ألف ، الخمسة والستة في سلسلة لثلاث يفرّوا ، فداستهم الخيل • وقيل : كان المسلمون خمسين ألفاً والروم ألف ألف ، والرمات فيهم مائة ألف ، ومعهم جبلكة بن الأيهم الغساني في ستين ألفاً من متنصرة العرب ، فقدمهم الروم فافتقى خالد ستين رجلاً من أشرف العرب فقاتلوهم يوماً كاملاً ، ثم نصر الله تعالى الستين ، فهرب جبلة ، ولم ينج منهم

إلا القليل ، ثم التقى المسلمون مع الروم مرة أخرى حتى أبادوهم بالقتل ، وهربت بقيتهم تحت الليل ، واستشهد في اليرموك جماعة من فضلاء المسلمين ، منهم عكرمة بن أبي جهل وكان قد حَسُن إسلامه بحيث أنه لا يقدر أن يثبت بصره في المصحف من كثرة الدموع ، وعياش بن أبي ربيعة المخزومي ، وعبد الرحمن بن العوام أخو الزبير ، وعامر بن أبي وقاص أخو سعد ، وظهرت بها نجدة جماعة منهم الزبير والفضل بن عباس وخالد بن الوليد وعبد الرحمن بن أبي بكر في آخرين رضي الله عنهم .

وفي شوال منها وقعة القادسية ، وقيل : كانت في سنة عشر ، وكان أمير المسلمين سعد بن أبي وقاص ورأس المجوس رستم مع الجالينوس وذو الحاجب ، وكان المسلمون سبعة آلاف والمجوس ستين ألفاً ومعهم سبعون فيلاً ، فحصرهم المسلمون في المدائن وقتلوا رؤساءهم الثلاثة وخلقاً ، واستشهد بها عمرو بن أم مكتوم الأعمى المذكور في قوله : (أن جاءه الأعمى) وأبو يزيد الأنصاري . وافتتحت الأردن عنوة إلا طيرية صلحاً ، وتوفي سعد بن عبادة سيد الخزرج بحوران ، قعد بيول في حجر فخر ميتاً ، وسمع يومئذ صائح من الجن في داره بالمدينة يقول : نحن قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة رميناه بسهمين فلم نخطفه فؤاده .

سنة ست عشرة

افتتحت حلب وأنطاكية صلحاً ، واختط الكوفة سعد بن أبي وقاص ، أي أعلم موضع البناء ، وحاصر المسلمون بيت المقدس مدةً فقالوا للمسلمين : لا تشعبوا أنفسكم فلن يفتحها إلا رجل له علامة عندنا ، فإن كان إمامكم بتلك العلامة سلمناها من غير قتال . فلما وصل الخبر إلى عمر بذلك ركب راحلته ، ومعه غلام له يعاقبه الركوب ، وتزود شعيراً وتمراً وزيتاً ، ولبس مرقعته ، فلما قرب تلقاه المسلمون وسألوه تغيير تلك الهيئة ، ففعل قليلاً ثم قال : أقبيلوني ، فرجع إلى هيئته الأولى ، فلما رآه الكفار كبروا وفتحوها وقالوا : هو هذا .

وفيها ماتت مارية القبطية أم إبراهيم بن رسول الله ﷺ .

سنة سبع عشرة

فيها استسقى عمر رضي الله تعالى عنه بالعباس رضي الله عنه فسقوا ، ثم خرج عمر إلى الشام ورجع لما سمع بالطاعون بعد اختلاف الصحابة في الرجوع والقدوم ، على ما هو مقرر في الصحاح .

وفيها زاد عمر رضي الله عنه في المسجد النبوي . واقتتح أبو موسى الأشعري الأهواز .

وفيها كانت وقعة جلولاء وقتل من المشركين مقتلة عظيمة ، وبلغت الغنائم ثمانية عشر ألف ألف ، وقيل : ثمانين ألف ألف . وتزوج عمر أم كلثوم بنت فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنهم .

سنة ثمانى عشرة

وفيها طاعون عمواس في ناحية الأردن ، واستشهد بها أبو عبيدة أمين هذه الأمة وأمير الأمراء بالشام وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، واستشهد فيه الفضل بن عباس وكان من أشجع الناس قلباً وأحسنهم وجهاً ، ومعاذ بن جبل وعمره يومئذ ست أو ثمان وثلاثون سنة ، وقال له النبي ﷺ : والله إني لأحبك يا معاذ ، وكان من فضلاء الصحابة وفقهائهم ، وهو الذي بنى مسجد الجند باليمن ، وقيل : بني بعده . وكان النبي ﷺ قسم اليمن على خمسة رجال : خالد بن سعيد بن العاص على صنعاء ، والمهاجر بن أمية على كندة ، وزباد بن لييد على حضر موت ، ومعاذ بن جبل على الجند ، وأبي موسى الأشعري على زييد وعدن والساحل وغيرها .

وفيها - وقيل أو في التي بعدها - قتل يزيد بن أبي سفيان بن حرب أفضل إخوته ، أسلم يوم الفتح ، وشهد حنيناً ، وأعطاه النبي ﷺ مائة ناقة وأربعين أوقية فضة ، واستعمله أبو بكر على الشام وعمر بعده ، ثم استخلف بعده عمر أخاه معاوية ،

وأقره عثمان • وأبو جندل بن سهيل بن عمرو العامري ، وقصته في صلح الحديبية مشهورة في الصحيح •

وفيها سهيل بن عمرو والد أبي جندل ، وكان من سادات قريش وخطبائهم ، ومن حلمه وصحة إسلامه أنه قدم المدينة في شيوخ من قريش فيهم أبو سفيان ، فاستأذنوا على عمر فأبطأ عليهم ، واستأذن بعدهم فقراء من المسلمين فأذن لهم ، فقال أبو سفيان : عجباً يؤذَن للمساكين والموالي وكبار قريش واقفون ، فقال سهيل : اغضبوا على أنفسكم ، فإن الله تعالى دعا هؤلاء فأسرعوا ودعاكم فأبطأتم ، والله إن الذي سبقوكم إليه من الخير خير" من هذا الذي تنافسون فيه من هذا الباب ، ولا أرى أحداً منكم يلحق بهم إلا أن يخرج إليّ الجهاد لعل الله يرزقه الشهادة ، فخرج سريعاً إلى الشام ، وكان يتردد في مكة إلى بعض الموالى يقرئه القرآن ، فعَيَّرَهُ بعض قريش ، فقال سهيل : هذا والله الكبر الذي حال بيننا وبين الخير • ولما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً يوم الحديبية قال : قد سهل لكم من أموركم •

وفيها شرحبيل بن حسنة الكندي نسب إلى أمه ، وأبوه عبد الله بن مطاع ، هاجر إلى الحبشة واستعمله عمر على بعض الشام ، مات في طاعون عمواس • والحرث بن هشام بن المغيرة المخزومي أخو أبي جهل بن هشام ، وقيل : استشهد في اليرموك •

وفيها افتتح حرّان والموصل والسوس وتَسْتَر •

سنة تسع عشرة

افتتحت تكريت وقيسرية ، وتوفي أبو المنذر أبي بن كعب الخزرجي سيد القراء ، وقيل : توفي بعدها في الثانية والعشرين •

سنة عشرين

فيها فتح عمرو بن العاص بعض ديار مصر ، وتوفي بلال بن رباح الحبشي ، وأمه حمامة ، مولى أبي بكر ، مؤذن النبي ﷺ ، كان صادق الإسلام ، وعذب في ذات الله أشد العذاب ، وكانت امرأته تقول عند موته : واحزنانه ، ويقول : بل واطرباه ، غداً تلقى الأحبة محمداً وصحبه • وكان موته بداريا من أرض الشام ، وقيل بدمشق ، ودفن عند الباب الصغير وعمره ثلاث وستون سنة •

وفيها توفيت أم المؤمنين زينب بنت جحش الأسدية التي زوجها الله تعالى رسوله ﷺ أسرع نساء النبي ﷺ لحوقاً به ، وأطولهن يداً بالصدقة ، وهي التي كانت تسامي عائشة في الحظوة والمنزلة عند النبي ﷺ •

وفيها مات أبو الهيثم بن التيهان الأنصاري الذي استضافه النبي ﷺ فقال : ما أجد اليوم أكرم أضيافاً مني • وأسيد بن حضير الأنصاري الأشهلي الذي شاهد السكينة عياناً أحد النقباء • وعياض بن غنم الفهري نائب أبي عبيدة على الشام • وأبو سليمان الحارث بن عبد المطلب الهاشمي • وسعيد بن عامر الجمحي ، وهرقل ملك الروم ، وقيل : إنه أسلم في الباطن في ذلك الوقت ، هكذا ذكر معناه الواقدي في فتوح الشام والله أعلم •

سنة إحدى وعشرين

وفيها افتتحت مصر ، وتوفي سيف الله خالد بن الوليد المخزومي عن ستين سنة على فراشه بعد ارتكابه عظيم الأخطار في طلب الشهادة رضي الله تعالى عنه •

وفيها وقعة نهاوند دامت المصاف ثلاثة أيام ثم نزل النصر ، واستشهد أمير المسلمين الحارث بن النعمان بن مقرن المزني ، وكان من سادات الصحابة ، فنعاه عمر رضي الله عنه للناس يوم أصيب على المنبر ، وأخذ حذيفة بن اليمان الراية من بعده ، ففتح الله تعالى عليه ، واستشهد بها طليحة بن خويلد الأسدي ، وكان قد ارتدّ وادعى النبوة فأسلم وحسن إسلامه ، وكان يعد بألف فارس •

وفيها ولى عمر رضي الله عنه عمار بن ياسر إمامة الصلاة بالكوفة لما شكها أهلها سعد بن أبي وقاص ، وولى عبد الله بن مسعود بيت المال •
وتوفي العلاء بن الحضرمي •

سنة اثنتين وعشرين

وفيها افتتحت أذربيجان على يد المغيرة بن شعبة ، ومدينة نهاوند صلحاً ، والدينور مع همدان عنوة على يد حذيفة ، وطرابلس المغرب على يد عمرو بن العاص ، وافتتحت جرجان ، وتوفي أبي بن كعب على خلافٍ تقدم ، وهو أحد النقباء الأربعة الذين جمعوا القرآن ، وأمر الله تعالى نبيه أن يقرأ عليه سورة (لم يكن) ، وسماء له ، وناهيك بها ، وقال ﷺ : « ليهنك العلم يا أبا المنذر » •

سنة ثلاث وعشرين

فيها توفي أبو حفص أمير المؤمنين عمر بن الخطاب القرشي العدوي شهيداً ، طعنه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة في ليال بقين من ذي الحجة بعد مرجعه من الحج ، وكان آدم شديد الأدمة طوالاً صليلاً في دين الله تعالى لا يأخذه في الله لومة لائم ، ومناقبه أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر في الأحاديث الصحاح : من موافقة التنزيل له ، وتزكية النبي ﷺ له في وجهه ، وعز الإسلام بإسلامه ، واتساع دائرة الإسلام في خلافته ، وبركاته وكراماته عديدة • ولما طعنه أبو لؤلؤة في صلاة الصبح جعل الأمر شورى بين من بقي من العشرة ، وأخرج من ذلك نفسه وبنه فأفضى الأمر بعد التشاور إلى عثمان • واستشهد وله ثلاث وستون سنة ، وقيل : خمس وستون ، ومدة خلافته عشر سنين وسبعة أشهر وخمس ليال ، وقيل غير ذلك ، ودفن مع صاحبيه بإذن من عائشة رضي الله عنها في حياته وبعد وفاته • وفي آخر خلافته توفيت أم المؤمنين سودة بنت زمعة القرشية العامرية ، ولم يعين ابن عبد ربه موتها ، تزوجها رسول الله ﷺ بعد موت خديجة وقبل الهجرة بنحو ثلاث سنين ، وكانت قبله تحت

السكران ابن عمها أخي سهيل بن عمرو ، كانت طويلة جسيمة وضيئة سبطة ، ووهبت نوبتها من القسم لعائشة رضي الله عنهما رجاء أن تموت وهي في عصمته ﷺ ، فتم لها ذلك . والصحيح أنها توفيت سنة خمس وخمسين في خلافة معاوية ، والله سبحانه أعلم .

وفي هذه السنة مات قتادة بن النعمان الأنصاري الأوسي الذي سقطت عينه يوم أحد فردها النبي ﷺ وكانت أحسنهما ، وفي ذلك يقول ابنه وقد وفد على بعض خلفاء الأمويين فقال له : من أنت ؟ فقال :

أنا ابن الذي سألت على الخد عينه فردت بكف المصطفى أحسن الرد

سنة أربع وعشرين

في أولها بويغ ذو النورين عثمان بن عفان الأموي بالخلافة بإجماع من المسلمين ، وكيفيتها تقرر في صحيح البخاري وغيره ، وهو من أهل السوالم والقدم في الإسلام ، هاجر الهجرتين ، وصلى إلى القبلتين ، وتزوج الابنتين ، وهاجر ، وجوز جيش العسرة بثلاثمائة بعير بأقتابها وأحلاسها وألف دينار وغير ذلك ، وقال النبي ﷺ : ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم ، وتلاوته القرآن في الصلاة وصدقاته وعبادته وحيائه ، وحب النبي ﷺ له أمر معلوم .

وفيها توفي سراقبة بن مالك بن جعشم المدلجي المذكور في حديث الهجرة ، وكان نازلاً بقديد وهو منزل أم معبد أيضاً المذكور في حديث الهجرة المذكورة ولكليهما جرى معجزة من معجزات النبوة .

سنة خمس وعشرين

فيها انتقض أهل الري فغزاهم أبو موسى الأشعري ، وانتقضت أهل الإسكندرية فغزاهم عمرو بن العاص فقتل وسبى ، واستعمل فيها عثمان على أهل الكوفة أخاه لأمه الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، وجوز سليمان بن ربيعة الباهلي في اثني عشر ألفاً إلى بردعة فقتل وسبى .

سنة ست وعشرين

فيها فتحت نيسابور على يد عثمان بن أبي العاص ، فصالحهم على ثلاثة آلاف درهم .

• قيل : وفيها زاد عثمان رضي الله عنه في المسجد الحرام .

سنة سبع وعشرين

فيها ركب معاوية في البحر لغزو قبرس ، وعزل عمرو بن العاص بعبد الله بن سعد بن أبي السرح ، وسبب العزل أنه غزا الإسكندرية ظاناً نقض العهد فقتل وسبى ولم يصح عند عثمان نقضهم ، فأمر برد السبي وعزله ، فاعتزل عمرو في ناحية فلسطين وكان ذلك بدو المخالفة ، وغزا عبد الله بن سعد إقليم إفريقية فافتتحها وأصاب الرجل ألف دينار ، والفارس ثلاثة آلاف دينار ، وقتل ملكهم جرجير ، وتوفيت أم حرام بنت ملحان بقبرس في هذه الغزاة ، وكانت مع زوجها عبادة بن الصامت .

سنة ثمان وعشرين

فيها انتقض عهد أذربيجان ، فغزاهم الوليد بن عقبة ثم صالحوه .

سنة تسع وعشرين

فيها افتتح عبد الله بن عامر بن كريز مدينة إصطخر عنوة بعد قتال عظيم ، وعزل عثمان أبا موسى الأشعري عن البصرة وعثمان بن أبي العاص عن فارس وجمعهما لعبد الله بن عامر ، وهو ابن خال عثمان ، وأمره وهو ابن أربع وعشرين سنة فافتتح فارس وخراسان جميعاً في سنة ثلاثين ، وروي أنه لما ولد أتي به إلى النبي ﷺ فنقل في فيه فبلعه فقال له النبي ﷺ : « إنك لمسقى » . فكان لا يعارض أرضاً إلا ظهر له ماؤها ، وهو الذي عمل السقايات بغزاة ، وشق نهر البصرة ، وكان من الأجواد ، وهو مجهول الوفاة .

سنة ثلاثين

فيها توفي حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه صاحب القصة في غزوة الفتح الذي نزل فيه قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوِّي وعدوكم أولياء) وهو الرسول إلى المقوقس ، قال له المقوقس : إن كان رسولا فما له لم يدعُ على قومه حين كذبوه وأخرجوه ؟! فقال له حاطب : فعيسى بن مريم أخذته قومه ليقنلوه ويصلبوه فما له لم يدعُ عليهم ؟ قال : أحسنت أنت حكيم جئت من عند حكيم ، فأهدى للنبي ﷺ مارية ، وبعث معها طرُفاً وهدايا جميلة .

وفيها افتتح عبد الله بن عامر سجستان مع فارس وخراسان ، وهرب كسرى واعتمر ابن عامر واستخلف الأحنف بن قيس على خراسان فاجتمعوا جمعاً لم يسمع بمثلهم فهزمهم الأحنف ، وكثرت الفتوح في هذا العام والخراج ، فاتخذ عثمان الخزائن ، وكان يأمر للرجال بمائة ألف .

سنة إحدى وثلاثين

فيها توفي أبو سفيان بن حرب الأموي ، وقيل : توفي سنة ثلاث وثلاثين ، وفي صحيح مسلم أنه قال : يارسول الله ثلاث أعطيتن ؟ قال : نعم ، فسأله تزويج أم حبيبة ابنته ، وأن يجعل معاوية كابنه ، وأن يؤمره فيقاتل الكفار كما قاتل المسلمين . قال ابن عباس : لولا أنه طلب ذلك من النبي ﷺ لم يعطه لأنه لم يكن يسأل شيئاً إلا قال نعم ، وتزويج النبي ﷺ لأم حبيبة قد كان تقرر قبل ذلك وهو مشرك وكان الولي غيره، وإنما قال نعم تطيباً له وإن ذاك قد حصل وإن لم يكن حقيقة عقد . ذهبت عينا أبي سفيان في الجهاد إحداهما يوم الطائف والثانية يوم اليرموك ، وكان يومئذ تحت راية وكده يزيد ، ومات وهو ابن ثمان وثمانين سنة أو تسعين ، وصلى عليه معاوية ، وقيل : عثمان ، ودفن بالبقيع .

وفيها الحكم بن أبي العاص عم عثمان والد مروان ، كان النبي ﷺ قد طرده إلى الطائف وبقي طريداً إلى زمان عثمان فرده إلى المدينة واعتذر بأنه كان تشفع إلى النبي ﷺ فوعده برده ، وهو مؤتمن على ما قال ، وهذا أحد الأسباب التي تقموا بها على عثمان رضي الله تعالى عنه .

سنة اثنتين وثلاثين

فيها توفي العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ وأبو الخلفاء العباسيين، حسن بلاؤه يوم حنين، وكان رسول الله ﷺ يكرمه ويجله وكذلك الخلفاء بعده، وكان صبيّاً ينادي غلمانه من سلع وهم بالغابة فيسمعونه وذلك على ثمانية أميال • وكان موته أول رمضان عن ست وثمانين سنة، وصلى عليه عثمان •

وفيها عبد الرحمن بن عوف الزهري، أحد العشرة ومن السابقين الأولين، تصدق مرة بأربعين ألفاً وبِقَافِلَةٍ جاءت من الشام كما هي، وفضائله كثيرة •

وفي خلافة عثمان رضي الله عنه قيل: قتل عبيد الله بن معمر التيمي عن أربعين سنة برستاق من رساتيق إصطخر، وكان أحد الأجواد، اشترى جارية تسمى الكاملة بعشرين ألف دينار وكانت لفتى قد أدبها أحسن الأدب فأملق فباعها وهو مغرم بها فأنشدت أبيتاً فيها:

عليك سلام لا زيارة بيننا ولا وصل إلا أن يشاء ابن معمر
فرق لها عبيد الله وردها إليه وثنما •

وفيها توفي عبد الله بن مسعود الهذلي وهو أحد القراء الأربعة من أهل السوابق في الإسلام، هاجر الهجرتين، وصلى إلى القبلتين، وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة، وسبب إسلامه أنه مرّ عليه رسول الله ﷺ وهو يرعى غنماً بمكة لعقبة بن أبي معيط فأخذ النبي ﷺ منها شاة حائلة وحلبها فشرب وشرب وسقاه وأبا بكر، فقال ابن مسعود: علمني من هذا القول، فمسح رأسه وقال: إنك عليم معلم • مات عن نيف وستين سنة، ودفن بالبقيع •

وفيها أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري صادق الإسلام واللسان، قال رسول الله ﷺ: « ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر »، وقصة إسلامه في الصحيح مشهورة •

وفيها ابن عبد الله بن زيد بن عبد ربه الذي أُرِي الأذان •

سنة ثلاث وثلاثين

وفيهما توفي المقداد بن الأسود الكندي في أرضه بالجرف • وحمل إلى المدينة، وشهد بدرأ وقوله يومئذ مشهور مذكور ، وشجاعته معلومة ، وبالاتفاق أنه كان يوم بدر فارساً ، واختلف في الزبير ومرّ كد الغنوي •

وفيهما غزا عبد الله بن سعد بن أبي السرح الحبشة •

سنة أربع وثلاثين

فيها أخرج أهل الكوفة سعيد بن العاص ، ورضوا بأبي موسى وكتبوا فيه إلى عثمان فأقره عليهم ، ثم رد عليهم سعيداً ، فخرجوا إليه ومنعوه الدخول ، وهو اليوم المذكور في صحيح مسلم المسمى يوم الحريمة •

وفيهما مات أبو طلحة الأنصاري النقيب عن سبعين سنة ، وصلى عليه عثمان ، شهد بدرأ وما بعدها ، وهو من أهل السوابق في الإسلام ، وهو المتصدق بأحب أمواله إليه بيّر حتى •

وفيهما النقيب الآخر عبادة بن الصامت ، شهد بدرأ وما بعدها ، وجهه عمر إلى الشام قاضياً ومعلماً ، فأقام بحمص ، ثم انتقل إلى فلسطين ، ومات بها ، وقيل : بالرملة ، ودفن ببيت المقدس •

وفيهما توفي عالم أهل الكتاب به وبالأخبار : كعب الأخبار ، أسلم في زمن أبي بكر وروى عن عمر رضي الله عنه •

وفيهما توفي عامر بن أبي ربيعة والد عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي ، ولأه رسول الله ﷺ الجند ومخاليفها من بلاد اليمن •

وفي آخرها حاصر المصريون أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه شهرين وعشرين يوماً ، ثم اقتحم عليه أراذل من أوباش القبائل فقتلوه ، والصحيح أنه لم يتعيّن قاتله ، وكانوا أربعة آلاف ، واشتهر عنه أنه قال لأرقائه : من أعمد سيده فهو حر ، فأعمدوا كلهم إلا واحداً قاتل حتى قتل ، وكانوا مائة عبدٍ ، وقيل : أربعمائة ، وأن علياً رضي الله عنه أرسل إليه ابنه الحسن وقال له : إن شئت أتيتك للنصر ، فقال له : إني رأيت رسول الله ﷺ يقول : إن قاتلتهم نصرت عليهم وإن لم تقتلتهم أفطرت عندنا الليلة ، وأنا أحب أن أفطر عند رسول الله ﷺ ، وجاءه عبد الله ابن سلام لينصره فقال له : اخرج إليهم فإنك خارجاً خير لي من داخل ، فخرج فقال لهم : أيها الناس إن لله سيفاً مغمداً عليكم ، وإن الملائكة قد جاورتكم في بلدكم هذا الذي نزل فيه على نبيكم ، فالله الله في هذا الرجل أن تقتلوه فتطردوا جيرانكم ويسل سيف الله المغمد فلا يغمد إلى يوم القيامة • فقالوا : اقتلوا اليهودي • ولا شك أن الدماء المهرقة عقيب قتله والملاحم بين علي ومعاوية عقوبة من الله بقتل عثمان ، وانفتح باب الشر من يومئذ • وقد صحت الأحاديث أن له الجنة على بلوى تصيبه ، وأنه سعيد شهيد ، فقتلوه يوم الجمعة ثاني عشر ذي الحجة والمصحف بين يديه ، ففضح الدم على قوله تعالى : (فسيكفيهم الله وهو السميع العليم) وعمره يومئذ بضع وثمانون سنة ، ومدة خلافته اثنتا عشرة سنة وأيام ، ودفن بالموضع المعروف بحش كوكب بالبييع ، وكان قد اشتراه ووقفه وزاده في البييع ، فكان إذا مرَّ به يقول : يدفن فيك رجل صالح • وفيه يقول حسان :

ضحوا بأشمت عنوان السجود به
ليسمعن وشيكاً في ديارهم
يقتطع الليل تسيحاً وقرآنا
الله أكبر يا ثارات عثمان
ولاه :

قتلتهم ولي الله في جوف بيته
فلا ظفرت أيمان قوم تعاونوا
وجئتم بأمر جائر غير مهتدي
على قتل عثمان الرشيد المسدد

سنة ست وثلاثين

فيها وقعة الجبل ، وتلخيصها : أنه لما قتل عثمان صبراً توجّع المسلمون وسقط في أيدي جماعة وعنوا بكيفية المخرج من تقصيرهم فيه ، فسار طلحة والزبير وعائشة نحو البصرة ، وكانت عائشة قد لقيها الخبر وهي مقبلة من عمرتها ، فرجعت إلى مكة ، وطلبوا من عبد الله بن عمر أن يسير معهم فأبى ، وقال مروان لطلحة والزبير : على أيكما أسلّم بالإمارة وأنادي بالصلاة ؟ فقال عبد الله بن الزبير : على أبي ، وقال محمد بن طلحة : على أبي ، فكرهت عائشة قوله وأمرت ابن أختها عبد الله بن الزبير فصلى بالناس . ولما علم علي كرم الله وجهه بمخرجهم اعترضهم من المدينة ليردهم إلى الطاعة وينهاهم عن شق عصا المسلمين ، ففاتوه فمضى لوجهه ، وأرسل ابنه الحسن وعماراً يستنفرون أهل المدينة ، فخطب عمار وقال في خطبته : **إني لأعلم أنها زوجة نبيكم في الدنيا والآخرة ، ولكن الله ابتلاكم ليعلم أتطيعونه أم تطيعونها .**

ولما قدمت عائشة وطلحة والزبير البصرة استعانوا بأهلها وبيت مالها ، ووصل علي خلفهم فاجتمع عليه أهل البصرة ، فحاول صلحهم واجتماع الكلمة ، وسعى الساعون بذلك فثار الأشرار بالتحرش ، واشتعلت بينهم النار حتى اشتعلت الحرب ، وكان ما كان ، وبلغت القتلى يومئذٍ ثلاثة وستين ^(١) ألفاً ، وقيل : سبعة عشر ، وقيل : عشرة من أصحاب الجبل . ومن عسكر علي رضي الله عنه نحو ألف ، وقطع على خظام جبل عائشة وعليه سبعون يبدأ من بني ضبّة [وهم يقولون :

نحن بنو ضبّة أصحاب الجبل °

نبارز الموت إذا الموت نزل °

والموت أشهى عندنا من العسل] ^(٢)

(١) في النسخة ب : ثلاثة وثلاثين ، ولعله أقرب إلى الصواب .

(٢) ما بين المعقوفين ليس في الأصل ، واستدرك من النسخة ب .

وهي في هودجها ، ثم أمر علي بعقره وكان رايتهم ؛ فحمي الشر ، وظهر علي عليهم وانتصر ، وكان قتالهم من ارتفاع النهار يوم الخميس إلى صلاة العصر لعشر ليال خلون من جمادى الآخرة ، ولما ظهر علي جاء إلى عائشة رضي الله عنهم فقال : غفر الله لك ، فقالت : ولك ، فما قصدت إلا الصلاح ، ثم أنزلها في دار بالبصرة وأكرمها واحترمها وجهازها إلى المدينة في عشرين أو أربعين امرأة من ذوات الشرف ، وجهاز معها أخاها محمداً وشيئتها هو وأولاده وودعها رضي الله عنهم . وقتل يومئذ طلحة بن عبيد الله التيمي القرشي أحد العشرة ، قيل : رماه مروان بن الحكم لشيء كان في قلبه عليه ، وكانا جميعاً في جيش واحد ، وولده محمد بن طلحة السجاد وكان له ألف نخلة يسجد تحتها كلها في كل يوم ، ومر به علي صريعاً فنزل ونفض التراب عن وجهه وقال : هذا قتلته برثه بأبيه ، وتمنى الموت قبل ذلك . وقتل أيضاً يومئذ الزبير بن العوام القرشي الأسدي أحد العشرة قتله ابن جرموز غدراً بوادي السباع وقد فارق الحرب وودعها حين ذكره علي عليه السلام قول النبي ﷺ : « لتقاتلنه وأنت ظالم له » . ولما جاء ابن جرموز إلى علي يبشره بذلك بشر ، بالنار . وروى ابن عبد البر عن علي كرم الله وجهه قال : إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من أهل هذه الآية : (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً) ولا ينكر ذلك إلا جاهل بفضلهم وسابقتهم عند الله ، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : « يكون لأصحابي من بعدي هنات يغفرها الله لهم بسابقتهم معي يعمل بها قوم من بعدهم يكبهم الله بها في النار على وجوههم » . وقتل يومئذ من خواص علي الأتقياء الصلحاء يزيد بن حسان .

وتوفي في أوائل تلك السنة حذيفة بن اليمان العسبي صاحب السر المكنون في تمييز المنافقين ، ولذلك كان عمر لا يصلي على ميت حتى يصلي عليه حذيفة يخشى أن يكون من المنافقين . ويسمى ابن اليمان لأن جدّه حالف بني عبد الأشهل وهم من اليمن .

وفيها سلمان الفارسي المشهور بالفضل والصحة الذي قال في حقه المصطفى ﷺ : « سلمان منا أهل البيت » • وقصته مشهورة في طب الدين وقوله :
تداوكتني بضعة عشر رباً حتى اتصلت بالنبي ﷺ ، وروي عنه من وجوه أنه
اشترى نفسه من مواليه يهود بكذا وكذا أوقية وعلى أن يغرس لهم كذا وكذا أودية
من النخل ويعمل عليها حتى تدرك ، فغرسها ﷺ بيده المباركة إلا واحدة غرسها عمر
فأطعم كل النخل من عامه إلا تلك الواحدة فقلعها النبي ﷺ ثم غرسها فأطعمت •

سنة سبع وثلاثين

فيها وقعة صفين ، وتلخيص خبرها أن معاوية لما بلغه فراغ علي كرم الله
وجهه من قصة العراق والجمل ومسيره إلى الشام خرج من دمشق حتى ورد صفين
في نصف المحرم يسبق إلى سهولة المنزل وقرب من الفرات ، فلما ورد عليهم علي
رضي الله عنه راجعهم إلى الطاعة والدخول في البيعة فلم يفعلوا ثم حرج (١) عليهم
بمنعهم إياه من الماء فلم يقبلوا فقاتلهم حتى نجاهم عنها ونزلها وبني مسجداً هناك
[على تل] (٢) لصلاة الجماعة ، وأقاما بصفين سبعة أشهر ، وقيل : تسعة ، وقيل :
ثلاثة ، وكان بينهم قبل القتال نحو من سبعين زحفاً في ثلاثة أيام من أيام البيض ، وقتل
من الفريقين ثلاثة وسبعون ألفاً ، وآخر أمرهم ليلة الهيرير ، وهو الصوت شبيه النباح ،
فنيث نبالهم ، واندقت رماحهم ، وانقضت سيوفهم ومشى بعضهم إلى بعض ، وتضاربوا
بما بقي من السيوف وغمد الحديد فلا تسمع إلا غمغمة وهمهمة القوم والحديد في
الهام ، فلما صارت السيوف كالمناجل تراموا بالحجارة ، ثم جثوا على الركب وتحاتوا
بالتراب ، ثم تكادموا بالأفواه ، وكسفت الشمس من الغبار وسقطت الألوية
والرايات ، واقتتلوا من بعد صلاة الصبح إلى نصف الليل ، وذلك في شهر ربيع الأول
قاله الإمام أحمد في تاريخه ، وقال غيره : في ربيع الآخر ، وقيل : في صفر ، وكان

(١) في ب : خرج .

(٢) ما بين المعقوفين ليس في الاصل ، واستدرك من النسخة ب .

عدد أصحاب علي مائة ألف وعشرين ألفاً ، أو مائة وثلاثين ، وأهل الشام مائة ألف وخمسة وثلاثون ألفاً ، وكان في جانب علي كرم الله وجهه من البدرين وأهل بيعة الرضوان ورايات رسول الله ﷺ شيء كثير .

والإجماع منعقد على إمامته وبغى الطائفة الأخرى ، ولا يجوز تكفيرهم كسائر البغاة ، واستدل أهل السنة والجماعة على ترجيح جانب علي بدلائل أظهرها وأثبتها قوله ﷺ لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » . وهو حديث ثابت ، ولما بلغ معاوية ذلك قال : إنما قتله من أخرجه ، فقال علي : إذا قتل رسول الله ﷺ حزمة لأنه أخرجه . وهو إلزام لا جواب عنه ، وحجة لا اعتراض عليها . وكان شبهة معاوية ومن معه الطلبي بدم عثمان ، وكان الواجب عليهم شرعاً الدخول في البيعة ثم الطلبي من وجوهه الشرعية ، وولي الدم في الحقيقة أولاد عثمان مع أن قتلة عثمان لم يتعينوا .

وكان ممن توقف عن القتال سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وأسامة بن زيد ومحمد بن مسلمة وآخرون . وممن قتل مع علي عليه السلام عمار بن ياسر رضي الله عنه ميزان العدل في تلك الحروب ، وهو الذي ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه ، واختلط الإيمان بلحمه ودمه ، وقتل وقد نيف على السبعين ، وقتل أيضاً خزيمة ذو الشهادتين وكان متوقفاً فلما قتل عمار تبين له الحق وجرّد سيفه وقاتل حتى قتل . وأبو ليلى والد عبد الرحمن الفقيه . ومن غير أصحابه (١) عبيد الله بن عمر بن الخطاب قاتل الهرمزان صاحب تستر حين طعن أبوه اتهمه لأن أبا لؤلؤة كان له به تعلق وكان على خيل معاوية . وقتل أيضاً حامل راية علي هاشم بن عتبة بن أبي وقاص المعروف بالمرقال . ويقال : إنه من الصحابة . وصاحب رجالة علي عبد الله بن بديل الخزاعي . وأبو حسان قيس بن المكشوح المرادي أحد الأبطال وأحد من أعان على قتل الأسود العنسي قبل . ووجد في قتلى علي سيد التابعين أَوْيس بن عامر القرني المرادي . وقتل أيضاً صاحب رجالة معاوية قاضي حمص حابس الطائي . وقتل

(١) في الأصل : الصحابة ، وما أثبت من ب ، ولعله الصواب .

أيضاً أحد أمراءه ذو الكلاع الحميري وهو الذي خطب الناس وحرصهم على القتال •
وقتل معه أيضاً أحد الأبطال الذئب بن الصباح الحميري قتل جماعة مبارزةً ، ثم برز
له علي رضي الله عنه فقتله • وذكر أن علياً واجه معاوية في بعض تلك الحروب فقال
له : إبرز إليّ فإذا قتل أحداً صاحبه استراح الناس ، فقال له عمرو بن العاص :
أنصفك الرجل ؛ فقال له معاوية : أظنك طمعت فيها — يعني الخلافة — لأنك تعلم أنه
قاتل من بارزه •

ولما أيقن أهل الشام بالهزيمة أشار عليهم عمرو بن العاص برفع المصاحف على
الرماح والدعاء إلى حكم الله ، فأجاب علي إلى التحكيم ، فأنكر عليه بعض جيشه ،
واختلفوا ، وخرجت عليه الخوارج وقالوا : لا حكم إلا لله ، وكفروا علياً ومعاوية ،
وكان أمر الحكمين في رمضان ، وذلك أنه اجتمع من جانب علي أبو موسى الأشعري
ومن معه من الوجوه ، ومن جانب معاوية عمرو بن العاص ومن معه بدومة الجندل فخلا
بأبي موسى أولاً بعد الاتفاق عليهما وقال له : نخلع علياً ومعاوية ونختار للمسلمين
من يقع الاتفاق عليه • — قيل : وكانت الإشارة إلى عبد الله بن عمر — فلما خرجا إلى
الناس قال عمرو لأبي موسى الأشعري : قم فتكنم أولاً لأنك أفضل وأكبر سابقةً ،
فتكلم أبو موسى بخلعهما ، ثم قام عمرو فقال : إن أبا موسى قد خلع علياً كما قد سمعتم
ووافقته على خلعه ووليت معاوية • وقيل : اتفقا على أن يخلع كل منهما صاحبه ،
فخلع أبو موسى وثبت عمرو ، ثم سار أهل الشام وقد بنوا على هذا الظاهر ، وعاد
أهل العراق عارفين أن الذي فعل عمرو خديعة لا يُعْبَأُ به ، ورحمة الله واسعة •
وصح عن أبي وائل عن أبي مسرة أنه قال : رأيت قباباً في رياض فقيل : هذه
لعمار بن ياسر وأصحابه ، فقلت كيف وقد قتل بعضهم بعضاً ، فقال : إنهم وجدوا
الله واسع المغفرة •

وفي هذه السنة توفي خباب بن الأرت التيمي أحد السابقين البدرين وصلى عليه
علي بالكوفة • وسأله عمر يوماً عما لقي من المشركين فقال : لقد أوقدت ناراً وسحبت
عليها ، فما أطفأها إلا وكدكُ ظهري ، ثم أراه ظهره فقال عمر : ما رأيت كاليوم •

سنة ثمان وثلاثين

في شعبان منها قتلت الخوارج عبد الله بن خباب ، فأرسل إليهم علي ابن عباس ، فناظرهم ، فرجع بعضهم وأصر الأكثر ، فسار إليهم علي ، وكانت وقعة النهروان ، وقيل : إنها في العام القابل •

وفي شهر شوال منها توفي صهيب بن سنان الرومي أحد السُّبَّاق الأربعة ، وكان فيه دعاية ، وفضائله عديدة ، توفي بالمدينة رضي الله عنه ، وفيه يقول عمر : نِعْمَ العبدُ صهيب لو لم يخف الله لم يعصه • معناه : لو لم يكن فيه خوف لمنعته قوة دينه عن معصيته فكيف وهو خائف •

وفيهما توفي سهل بن حنيف الأوسي في الكوفة ، شهد بدرأ وما بعدها ، واستخلفه علي كرم الله وجهه على المدينة حين خرج إلى العراق ، وولاه فارس ، وشهد معه صفين ، وتكلم بكلام عجيب مروى في البخاري •

وفيهما قتل محمد بن أبي بكر الصديق ، وكان عليُّ ولأبيه مصر ، وكان علي عليه السلام قد تزوج بأمه أسماء بنت عميس ، ولما استولى على مصر جهز معاوية جيشاً وأمّر عليهم معاوية بن حديج الكندي ، فالتقيا فانهزم جيش ابن أبي بكر ، ودخل محمد بيت امرأة فدلّت عليه فقتل وأحرق • قيل : قتله عمرو بن العاص أو عمرو بن عثمان •

وفيهما مات الأشتر النخعي ، وكان من الشجعان ، بعثه علي عليه السلام إلى مصر فسُئِم في الطريق في شربة عسل •

سنة تسع وثلاثين

فيها توفيت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية بسرف بين مكة ومصر وهو الموضع الذي بنى بها رسول الله ﷺ فيه وذلك سنة سبع ، وكان الذي خطبها للنبي ﷺ جعفر بن أبي طالب ، وجعلت أمرها إلى العباس وكان تزوج أختها •

وفيهما تنازع أصحاب علي وأصحاب معاوية في إقامة الحج فأصلح بينهم أبو سعيد الخدري على أن يقيم الموسم شيبية بن عثمان الحَجَبِي •

سنة أربعين

وفيها توفي خَوَات بن جبير الأنصاري البَدْرِي ، نزل بدرأ ساكناً ولم يشهد لها على الصحيح ، وشهد العقبة ، وأبو سهل^(١) الساعدي بدري مشهور ، وقيل : إنه بقي إلى سنة ستين ، ومعيقب بن أبي فاطمة الدوسي من مهاجرة الحبشة ، قيل : وشهد بدرأ . والأشعث بن قيس الكندي بالكوفة في ذي القعدة ، وكان شريفاً مطاعاً جواداً شجاعاً ، وله صحبة وارتد زمن الردة ، ثم أسلم وتزوج أم فروة أخت أبي بكر بالمدينة ، فأمر غلمانه أن يذبحوا ما وجدوا من البهائم ، وكل من تَلَف له شيء فليأتني لثمنه . وكان هاجر في أول الإسلام من اليمن وثمانين رجلاً فيهم عمرو ابن معد يكرب الزبيدي ، ثم ارتدا زمن الردة ، ثم أسلما وحسن إسلامهما وحملت مواعهما .

وفيها استشهد أمير المؤمنين سامي المناقب علي بن أبي طالب الهاشمي ، ضربه عبد الرحمن بن ملجم الخارجي في يافوخه فبقي يوماً ثم مات ، وقتل ابن ملجم وأحرق ، وكان ذلك صبيحة يوم الجمعة وهو خارج الى الصلاة سابع عشر رمضان وله ثلاث وستون سنة ، وقيل : ثمان وخمسون ، وصلى عليه ابنه الحسن ، ودفن بالكوفة في قصر الإمارة عند المسجد الجامع ، وغيب قبره . وخلافته أربع سنين وأشهر وأيام .

قيل : والسبب في قتل علي كرم الله وجهه أن ابن ملجم خطب امرأة من الخوارج ممن قتل علي عليه السلام أهلها يوم النهروان فاقترحت عليه قتل علي كرم الله وجهه .

وقيل : إنه اجتمع رأي الخوارج على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص ، فاتتدب ابن ملجم والحجاج بن عبد الله الضمري وذادويه^(٢) العنبري وكان من ابن ملجم ما كان ، وضرب الحجاج معاوية في الصلاة في دمشق فجرح أليته ، وقيل : إنه

(١) في ب : سهيل .

(٢) في ب : ذوابة . وفي تاريخ الطبري ١٤٣/٥ : ابن ملجم والبرك بن عبد الله وعمرو بن بكر التميمي .

قطع عرق النسل فلم يُحْبِلْ ° معاوية بعدها • وأما صاحب عمرو فقدم مصر لذلك فوجد عمراً قد أصابه وجع في تلك الغداة المعينة واستخلف على الصلاة خارجة بن حذافة الذي كان يعد لألف فارس فقتله وهو يظنه عمراً ، ثم قبض فأدخل على عمرو فقال : أردت عمراً وأراد الله خارجة فصارت مثلاً • وإلى فداء عمرو بخارجة أشار عبد الحميد بن عبدويه الأندلسي في بسامته بقوله :

وليتها إذْ فَدَّتْ ° عمراً بخارجةٍ فَدَّتْ ° علياً بمن شاعت ° من البشر

وكان علي رضي الله عنه مربوعاً إلى قصر ، أدعج العينين ، حسن الوجه ، آدم ، ضخم البطن ، عريض المنكبين ، له مشاش كالسبع ، أصلع ليس له شعر إلا من خلفه ، عظيم اللحية • وهو أول من أسلم عند كثير بعد خديجة ، وعلى كل حال لم يشرك بالله بالغا ، وشهد المشاهد كلها ، وحمّدت مواقفه ، وكان اللواء معه في أكثرها ، وفضل علي خالد بن الوليد في الشجاعة ، لأن شجاعة علي فارساً وراجلاً وشجاعة خالد فارساً فقط ، ومناقب علي لا تعد : من أعظمها تزويج البتول ، ومؤاخاة الرسول ، ودخوله في المباهلة وفي الكساء ، وحمله في أكثر الحروب للواء وقول النبي ﷺ له : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى ؟ » وغير ذلك مما يطول ذكره • وقد نقل الياضي الخلاف بين أهل السنة في المفاضلة بينه وبين عثمان ، واختار هو تفضيله على عثمان ، وأشار إلى ذلك في قصيدته ، وجملتها خمسة وثلاثون بيتاً ، وفيها :

والله أعلم ما في باطن الحال
تفضيله قبل ذي النورين من بال
حال البداية لا في طول آجال
فضائلًا كان عنها قبلها خال
لكن كم فوق حاوي الفضل مفضل
في نصرة الدين سمحاً فيه بالمال
في كل هيجا لأسد الكفر قتال
بالمال كالجود بالروح الزكي العالي
كناشر لمعاني دينه العالي

والظاهر الآن عندي ما أقول به
من بعد تفضيلنا الشيخين معتقدي
تفضيل صحب لعثمان عليه أتى
ففي النهاية كم حازت محاسنه
ليست فضائل ذي النورين منكراً
ليس الذي ينفق الأموال محتسباً
كباذل نفسه في الله محتسباً
كل حميد ولكن ليس جود فتى
وليس تالي كتاب الله يجمعه

ولما استقر الخوارج في حرّ وراء بعد النهروان وكانوا ستة آلاف مقاتل وقيل : ثمانية آلاف أتاهم علي ووعظهم وخطبهم فرجعوا معه إلى الكوفة • وأشاعوا أن علياً تاب [من التحكيم] (١) فأناه الأشعث (٢) بن قيس وقال له : الناس قائلون : إنك رأيت الحكومة ضلالاً وتبت منها ، فقام في الناس وقال : من زعم أن الحكومة ضلال فقد كذب ؛ فثارت الخوارج وخرجوا من المسجد ، فقيل له : إنهم خارجون عليك ، فقال : ما أقاتلهم حتى يقاتلوني وسيفعلون ، فبعث عليهم ابن عباس يناظرهم ، فاحتج عليهم بالتحكيم في إتلاف الحرم الصيّد ، والتحكيم بين الزوجين ، وبأن النبي ﷺ أمسك عن قتال أهل الهدنة يوم الحديبية ، فصدقوه في ذلك كله وقالوا : إن علياً محا نفسه من اسم الخلافة بالتحكيم ، فقال لهم ابن عباس : إن رسول الله ﷺ محا نفسه من الرسالة يوم الحديبية ، فلم يزلها ذلك عنه • فرجع منهم ألفان وبقي أربعة آلاف أو ستة أصرّوا وبايعوا عبد الله بن وهب الراسبي ، فخرج بهم إلى النهروان ، فسار إليهم علي عليه السلام فأوقع بهم وقتل منهم ألفين وثمانمائة رجل ، منهم ذو الثدية علامة الفرقة المارقة ، ثم كلمهم أيضاً فأصروا وقالوا : إن عدت إلى الجهاد سرنا بين يديك ، وإن بقيت على التحكيم قاتلناك ، ثم قال لهم : أيكم قاتل عبد الله بن خباب ؟ فقالوا : كلنا قتله ، وكانوا قد لقوا مسلماً ونصرائياً فأعفوا النصراني وقالوا : احفظوا وصية نبيكم فيه وقتلوا المسلم ، ثم لقوا عبد الله ابن خباب الصحابي وفي عنقه المصحف فقالوا : إن المصحف يأمرنا بقتلك ، فوعظهم وذكرهم وحدثهم عن أبيه عن رسول الله ﷺ فلم يقبلوا وقالوا له : ما تقول في أبي بكر وعمر ؟ فأثنى عليهما ، قالوا فما تقول في علي قبل التحكيم وعثمان قبل الحرب ؟ فأثنى عليهما خيراً ، قالوا : فما تقول في التحكيم والحكومة ؟ قال : أقول : إن علياً أعلم منكم وأشدّ تشبهاً (٣) على دينه ، فقالوا : إنك لست تتبع الهدى ، فقبوه إلى شاطئ النهر فذبجوه فاندفق دمه على الماء يجري مستقيماً •

(١) ما بين المعقوفين زيادة من ب .

(٢) في الأصل : ابن الأشعث ، وهو خطأ .

(٣) في ب : توكيفاً ، وهي كذلك في الطبري ٨٢/٥ .

وروي أن رجلاً قال لعلي : ما بال خلافة أبي بكر وعمر كانت صافية وخلافتك أنت وعثمان متكدرة؟! فقال : إن أبا بكر وعمر كنت أنا وعثمان من أعوانهما وكنت أنت وأمثالك من أعواني وأعوان عثمان •

وقال له رجل من يهود : ما أتى عليكم بعد نبيكم إلا نيف وعشرون سنة حتى ضرب بعضكم بعضاً بالسيف ، فقال رضي الله عنه : وأنتم ما جفت أقدامكم من البحر حتى قلتهم : يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة •

ومما رثي به علي رضي الله عنه (١) :

ألا قل للخوارج أجمعينا	فلا قررت عيون الشامتينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا	بخير الناس طراً أجمعينا
قتلتهم خير من ركب المطايا	وذللها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها	ومن قرأ المثاني والمئينا
وكل مناقب الخيرات فيه	وحب رسول رب العالمينا

وبعد وفاة علي عليه السلام بويع لابنه الحسن عليه السلام ، فتمت بأيامه خلافة النبوة ثلاثين سنة وظهر تصديق الخبر النبوي والله أعلم •

سنة إحدى وأربعين

في ربيع الأول منها سار أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب بجيوشه نحو الشام ، على مقدمته قيس بن سعد بن عبادة ، وسار معاوية بجيوشه فالتقوا في ناحية الأنبار ، فوفق الله الحسن ، فحقت دماء المسلمين ، فترك الأمر لمعاوية على ما هو مقرر في صحيح البخاري ، وظهر حينئذ صدق الحديث النبوي فيه ، حيث قال ﷺ : « إن ابني هذا سيّد ، سيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » • ولما تم الصلح بشروطه برز الحسن بين الصفيين وقال :

إنني قد اخترت ما عند الله وتركت هذا الأمر لمعاوية ، فإن كان لي فقد تركته لله ، وإن كان لمعاوية فلا ينبغي لي أن أنازعه • ثم قرأ : (وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين) ، وكبّر الناس فرحاً ، واختلطوا من ساعتهم ، وسميت (سنة الجماعة) •

(١) نسبه في الطبري ١٥٠/٥ إلى أبي الأسود الدؤلي •

وفيها توفيت أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنها ، وقيل : في سنة خمس وأربعين ، وكان النبي ﷺ طلقها مرة فسكى عمر واشتد عليه ، فنزل جبريل وقال للنبي ﷺ : إن الله يأمرك أن تراجع حفصة بنت عمر رحمة لعمر . وفي رواية : فإنها صوامه قوامه ، وإنها زوجتك في الجنة .

وفيها مات صفوان بن أمية بن خلف القرشي ، وكان من أشرف قريش من مسلمة الفتح ، وكان هرب يومئذ إلى جدّة ، فاستئو من له ؛ فرجع وطلب من النبي ﷺ خيار شهرين فقال : لك أربعة . شهد حنيناً فأكثر له النبي ﷺ من غنائمها ، فقال : أشهد بالله ما طابت بهذا إلا نفس نبي ، وحسن إسلامه ، وقدم المدينة ، فقال له النبي ﷺ : « لا هجرة بعد الفتح » ؛ فرجع إلى مكة . وكان من الأغنياء ، قيل : ملك قنطاراً من الذهب ، وشهد اليرموك أميراً .

وفيها لبيد بن ربيعة الشاعر العامري الذي صدقه النبي ﷺ وحسن إسلامه ، وقيل : مات في خلافة عثمان بالكوفة عن مائة وخمسين سنة .

سنة اثنتين وأربعين

فيها توفي عثمان الحجبي ، وافتتح عبد الرحمن بن سمرة سجستان أو بعضها ، وافتتحت السند .

سنة ثلاث وأربعين

فيها افتتح عقبة بن عامر بعض بلاد السند ، وسبى بئسر بن أرطاة بأرض الروم . وتوفي عمرو بن العاص القرشي السهمي بمصر أميراً لمعاوية ليلة عيد الأضحى (١) ، وكان من الدهاة المجريين ، وحديث وفاته وثبته عند النزاع المذكور في صحيح مسلم (وفي غيره) (٢) . وقال في آخر أمره : اللهم إنك أمرتنا فعضينا ، ونهيتنا فارتكبنا ، فلا أنا بريء فأعتذر ، ولا قوي فأنتصر ، ولكن لا إله إلا أنت . وفاضت روحه .

(١) في ب : الفطر . وهي كذلك في الطبري ٥ / ١٨١ .

(٢) ما بين القوسين زيادة من ب .

وفيهما توفي عبد الله بن سلام الإسرائيلي من سبط يوسف بن يعقوب ، وقصة إسلامه مشهورة في الصحاح ، وهو المراد (عند بعض المفسرين) (١) بقوله : (ومن عنده علم الكتاب) وقوله تعالى : (وشهد شاهد من بني إسرائيل) على مثله •
ومحمد بن مسلمة الأنصاري البصري ، وكان ممن اعتزل الفتنة واتخذ سيفاً من خشب ، ولزم المدينة (٢) حتى مات •

سنة أربع وأربعين

في ذي الحجة منها توفي عبد الله بن قيس أبو موسى الأشعري اليمني المقرئ الأمير ، نسب إلى الأشعر أخي حمير بن سبأ ، وكان من أهل السوابق في الإسلام ، هاجر من بلدة زيد في نحو اثنين وخمسين رجلاً ، ورجع فركب البحر فألقتهم الرياح إلى النجاشي بالحبشة ، فوقف مع جعفر وأصحابه حتى قدم معهم في سفينة ، وجعفر وأصحابه في سفينة أخرى ، وأسهم رسول الله ﷺ من خير لسفينتهم ولمن جاء معهم ، ولم يسهم لمن غاب غيرهم ، ووصفه عمر فقال : كَيْسٌ وقال علي فيه : صبغ بالعلم صبغة رضي الله عنه •

وفيهما افتتح عبد الرحمن بن سمرة مدينة كابل ، وغزا المهلب أرض الهند ، وهزم العدو •

وفيهما توفيت أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان الأموية ، واسمها رملة ، هاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبد الله بن جحش ، فتنصر هناك ، ومات ، فأرسل رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري وكيلا في زواجها ، فلما بشرت بذلك ، بشرت بسوارين كانا في يدها ، وأصدقها النجاشي عن النبي ﷺ أربعمئة دينار وأربعة آلاف درهم ، وحضر عقدها جعفر وأصحابه •

(١) ما بين القوسين زيادة من ب . (٢) في ب : ولزم البيت بالمدينة .

سنة خمس وأربعين

فيها غزا معاوية بن حديج إفريقية وتوفي فيها . وقيل : في سنة إحدى وخمسين .

وفيها أبو خارجة زيد بن ثابت الأنصاري النجاري المقرئ الفرضي الكاتب عن ست وخمسين سنة، قتل أبوه يوم بعث وهو ابن ست، هاجر النبي ﷺ وهو ابن إحدى عشرة سنة، واجتمع له شرف العلم والصحة، وكان عمر وعثمان يستخلفانه على المدينة، وكان ابن عباس يأتيه إلى بيته للعلم ويقول: العلم يوتى ولا يأتي وكان إذا ركب أخذ بركابه، ويقول ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء، فيأخذ زيد كفه ويقبلها ويقول: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل نبينا ﷺ .

وفيها عاصم بن عدي سيد بني العجلان، وكان قد رده النبي ﷺ في بدر لهم له، وضرب له بسهمه، وقتل أخوه يوم اليمامة .

سنة ست وأربعين

فيها توفي الربيع بن زياد الحارثي بسجستان، فزحف كابل شاه في جمع من الترك فهزموهم .

وفيها توفي عبد الرحمن بن خالد بن الوليد مسموماً على ما قيل، وكان أحد الأجواد، وكان بيده لواء معاوية يوم صفين، وكان أخوه مهاجر (مع علي) (١) رضي الله عنه . قيل: إن معاوية خطب الناس حين كبر وأسن، واستشارهم فيمن يستخلف، وكان مراده أن يشيروا بيزيد، فأشاروا بعبد الرحمن بن خالد .

سنة سبع وأربعين

غزا رُويفع بن ثابت (٢) أمير طرابلس إفريقية، فدخلها ثم انصرف .

وفيها حج بالناس عتبة بن أبي سفيان .

(١) مع علي: زيادة في ب . (٢) في ب: زيادة الأنصاري .

سنة ثمان وأربعين

فيها استشهد عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي والحرث بن قيس الجعفي صاحب ابن مسعود .

سنة تسع وأربعين

فيها في ربيع الأول توفي سيد شباب أهل الجنة سبط رسول الله ﷺ ورياحته أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقيل : سنة خمسين ، وهو الأكثر ، بالمدينة عن سبع وأربعين سنة ، مناقبه كثيرة ، روي أنه حج خمساً وعشرين حجة ماشياً والجنيب بين يديه ، وخرج عن ماله ثلاث مرات ، وشاطره مرتين حتى في نعله ، وأعطى إنساناً سأله خمسين ألف درهم وخمسمائة دينار ، وأعطى حمال ذلك طيلسانه وقال : يكون كراء ذلك من عندي ، ومراً بصبيان معهم كسر خبز فاستضافوه فنزل عن فرسه فأكل معهم ثم حملهم إلى منزله فأطعمهم وكساهم وقال : اليكدهم لأنهم لم يجدوا إلا ما أطعموني ونحن نجد أكثر منه . وبلغه أن أبا ذر يقول : الفقر أحب إلي من الغنى والسقم أحب إلي من الصحة ، فقال : يرحم الله أبا ذر ، أنا أقول : من أكل على حسن اختيار الله له لم يجب غير ما اختاره .

سنة خمسين

فيها توفي عبد الرحمن بن سمرة العبشمي من مسلمة الفتح ، قال له النبي ﷺ : « لا تسأل الإمارة » الحديث . افتتح سجستان وكابل أميراً لعبد الله بن عامر .

وفيها كعب بن مالك الأنصاري السلمي مؤاخي طلحة بن عبيد الله في المؤاخاة ، أحد الثلاثة الذين خُلِّفوا وتاب الله عليهم وأحد شعراء النبي ﷺ المجيبين عنه عدوه ، وشهد المشاهد كلها غير تبوك ، ذهب بصره في آخر عمره ، وهو القائل :

جاءت سخينة كي تغالب ربها فليُعَلِّبَنَّ مُعَالِبُ الغلابِ

فقال له رسول الله ﷺ : لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا .

وفيها مات المغيرة بن شعبه الثقفي الصحابي من ذوي الحزم والدهاء .
وقيل : إنه اقتضت ثلاثمائة امرأة . تولّى البصرة ثم الكوفة .

وفيها توفيت أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب الإسرائيلية الهارونية ،
كانت جميلة فاضلة ، كفى بها فضلاً ونبلاً زواجها لرسول الله ﷺ ، وأثبت أجرها
مرتين ، جاءت جاريتها عمر فقالت : إن صفية تحب السبت وتصل اليهود ، فبعث إليها
عمر يسألها عن ذلك ، فقالت : أما السبت فلم أحبه وقد أبدلني الله به الجمعة ، وأما
اليهود فإن لي فيهم رحماً ، وقالت للجارية : ما حملك على هذا؟! فقالت الشيطان ،
فقالت : اذهبي فأنت حرة .

سنة إحدى وخمسين

وفيها توفي سعيد بن زيد القرشي العدوي ، أحد العشرة ، المجاب الدعوة ،
ثم يشهد بدرأ لا هو ولا طلحة بن عبيد الله ، وضرب لهما النبي ﷺ سهميهما وأجرهما ،
فهذان وعثمان من العشرة لم يشهدوا بدرأ ، وأما سعيد وطلحة فبعثهما النبي ﷺ
يتجسسان الأخبار في طريق الشام ، وأما عثمان فاحتبس على مرض زوجته رقية بنت
رسول الله ﷺ .

وفيها ، وقيل في التي تليها ، توفي أبو أيوب الأنصاري خالد بن زيد
بالقسطنطينية وهم محاصرون لها ، وقبره تحت سورها يستسقى به ويتبرك به كذلك ،
وكان بدرأياً عفيفاً كثير المناقب . وموضع بيته الذي نزل فيه رسول الله ﷺ مدرسة
تعرف بالشهاية ، وفيه موضع يقال له المبرك ، يعنون مبرك ناقة النبي ﷺ .

وفيها قتل حجر بن عدي الكندي وأصحابه ، يقال : بأمر معاوية ، وله صحابة
ووفادة وجهاد وعبادة .

سنة اثنتين وخمسين

فيها توفي عمران بن الحصين الخزاعي كثير المناقب ومن أهل السوابق ، بعثه
عمر يفتحه أهل البصرة ، وتولى قضاءها ، وكان الحسن البصري يطفئ بالله ما قدمها
خير لهم من عمران بن الحصين ، وهو الراوي لحديث وصف المتوكلين الذين لا يرقون

ولا يسترقون ولا يتطيرون . وكان يسمع تسليم الملائكة عليه حتى اكتوى بالنار فلم يسمعهم عاماً ، ثم أكرمه الله فرد له ذلك ، أسلم هو وأبو هريرة عام خير ، واستقضاه عبد الله بن عامر على البصرة ثم استغفاه فأعفاه .

وفيها توفي كعب بن عجرة الأنصاري ، وكان من فضلاء الصحابة ، ومعاوية ابن حديج الكندي التجيبي^(١) الأمير ، له صحبة ورواية ، وأبو بكر ثقيع بن الحارث .

وفيها ، وقيل في سنة إحدى وخمسين ، توفي سيد بجيلة جرير بن عبد الله البجلي الأمير . قال : ما حجبني رسول الله منذ أسلمت ، ولا رأني إلا ابتسم في وجهي . أسلم سنة عشر ، وسكن الكوفة . وبجيلة أم القبيلة ، وفيهم يقول الشاعر :
لولا جرير هلكت بجيله ° نعم الفتى وبئست القبيلة °

قال عمر رضي الله عنه : ما مدح من سب قومه . ووجد عمر مرة في بعض جلسائه رائحة فقال : عزمت على صاحب الريح إلا قام فتوضأ ، فقال جرير : اعزم علينا كلنا فلنقم . ثم عزم عليهم وقال : يا جرير ما زلت شريفاً في الجاهلية والإسلام . وسأله عمر عن الناس فقال : هم كسهام الجعبة ، منها القائم الرائش والنصل الطائش .

سنة ثلاث وخمسين

وفيها توفي عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، وكان من الزهاد الشجعان ، قتل يوم اليمامة سبعة ، شهد مع المشركين بدرأً وأحدأً ، وأسلم في هدنة الحديبية ، وله المشاهد الجميلة في نصر الإسلام ، ولما دعاه معاوية إلى البيعة ليزيد امتنع ، فبعث إليه بمائة ألف درهم فردها وقال : لا أبيع ديناً بدنياً ، وقصته معهم مشهورة في البخاري ، وذلك أنه قام حين دعي إلى البيعة ليزيد فقال مروان : هذا الذي نزلت فيه (والذي قال لوالديه أفٍ لكما أتعداني أن أخرج) . وذلك من كبر مروان ، وربما

(١) ورد في ص ٤٦ من هذا الكتاب : « وقيل : توفي في سنة إحدى وخمسين » .

أورده البخاري مرسل بيان أثر عن عائشة الذي ردت به على مروان • ولما بلغ عائشة خبر موته بمكة ارتحلت حتى وقفت على قبره وقالت :

وكننا كندمائي جذيمة حقة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
وعشنا بخير في الحياة ، وقبلنا أصاب المنايا رهط كسرى وتبعنا
فلما تفرقنا كأني ومالكا بطول اجتماع لم نبت ليلةً معا

وتوفي زياد بن أبيه المستلحق وكان يضرب بدعائه المثل ، ولاء معاوية العرايين •

وفيها أو في التي قبلها توفي عمر بن حزم الأنصاري الخزرجي ، ولي نجران وله سبع عشرة سنة •

- وفيها** فيروز الديلمي قاتل الأسود العنسي ، له صحبة ورواية •
وفضالة بن عبيد الأنصاري قاضي دمشق لمعاوية وخليفته عليها •

سنة أربع وخمسين

توفي فيها أسامة بن زيد الهاشمي الكلبي حب رسول الله ﷺ وابن حبه ، قدمه النبي ﷺ وأسره على فضلاء الصحابة وجملة المهاجرين والأنصار على حدائثه سنة •

وثوبان بن مجدد مولى رسول الله ﷺ • وجبير بن مطعم النوفلي ، وكان من سادات قريش وحلمائها ، وقيل : توفي سنة ثمان وخمسين •

وحسان بن ثابت الأنصاري الشاعر عن مائة وعشرين سنة مناصفة في الجاهلية والإسلام قيل : كذلك أبوه وجده • ومن قوله مخاطباً لأبي سفيان بن حرب :
أتهجوه ولست له بكثف ، فشر كما لخير كما الفداء
قيل : وهذا أنصف بيت قالته العرب •

وفيها على الخلاف حكيم بن حزام بن خويلد القرشي الأسدي ابن أخي خديجة الشريف الجواد ، أعتق في الجاهلية مائة رقبة ، وحمل على مائة بعير ، وفعل

في الإسلام مثل ذلك، وحج في الإسلام فأهدى مائة بدنة وألف شاة^(١)، وأعتق بعرفة مائة وصيف في أعناقهم أطواق الفضة، مكتوب فيها: (عتقاء الله عن حكيم بن حزام) وباع دار الندوة من معاوية بمائة ألف، وتصدق بها، فقيل له: بعث مكرمة قريش! فقال: ذهبت المكارم إلا من التقوى. ولدته أمه في الكعبة، وعاش ستين سنة في الجاهلية وستين في الإسلام، ودفن في داره بالمدينة، وهو من مسلمة الفتح.

وفيها أبو قتادة الأنصاري السلمي فارس رسول الله ﷺ، شهد أحداً وما بعدها. ومخرمة بن نوفل الزهري.

وفيها على ما رجحه الواقدي أم المؤمنين سودة بنت زمعة، وتقدم أنها ماتت في خلافة عمر والله أعلم، وهو الأرجح.

سنة خمس وخمسين

وفيها توفي أبو إسحق سعد بن أبي وقاص القرشي الزهري أحد العشرة وأحد ستة الثوري، وهو المقدم في فتح العراق، وأول من رمى بسهم في سبيل الله (وكان مجاب الدعوة)^(٢) وفداه رسول الله ﷺ بأبويه، ومناقبه كثيرة.

وفيها أبو اليسر كعب بن عمرو الأنصاري السلمي أسر العباس يوم بدر. والأرقم بن أبي الأرقم المخزومي أحد السابقين، وقيل: توفي سنة ثلاث وخمسين.

سنة ست وخمسين

فيها استشهد قثم بن العباس بن عبد المطلب في ناحية سمرقند مع سعيد بن عثمان بن عفان، ولاء معاوية على خراسان، وكان يشبه النبي ﷺ وآخر الناس عهداً به.

وفيها أم المؤمنين جويرية بنت الحارث المصطلقية.

(١) في ب: ومائة شاة. (٢) ما بين القوسين زيادة من ب.

سنة سبع وخمسين

فيها عزل سعيد بن عثمان عن خراسان وأضيفت إلى العراقيين لعبيد الله بن زياد . وتوفي عبد الله بن السعدي العمري وله صحة .

وفيها وقيل في سنة ثمان وخمسين في رمضان ، توفيت أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديقة بنت الصديق ، من أخص مناقبها ما علم من حب رسول الله ﷺ لها ، وسارع في تخصيصها عنده ، ونزول القرآن في عذرها ، والتنويه بقدرها ، ووفاة رسول الله ﷺ في حجرها ونحراها وفي نوبتها ، واختلط ريقه بريقها ، ونزول الوحي وهو في لحافها ، ولم يتزوج بكراً غيرها ، وما حُمل عنها من الققه . تزوجها النبي ﷺ بمكة وهي ابنة ست ، وبنى بها بالمدينة وهي ابنة تسع ، وتوفي وهي بنت ثمان عشرة ، وتوفيت عن خمس وستين ، ونقل عنها علم كثير .

وفيها أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، وقيل : في سنة ثمان أو تسع وخمسين، حافظ الصحابة وأكثرهم رواية، كان له عبادة من صيام وقيام وذكر، وكان فيه دعاة ، ولي المدينة لمعاوية ، وكان يخضب ويقول : طرقتوا الأميركم . قيل : وكان يصلي خلف علي ويأكل على سماط معاوية ويعتزل القتال ويقول : الصلاة خلف علي أتم وسماط معاوية أدسم ، وترك القتال أسلم ، واستعمله عمر على البحرين، وروى عنه أكثر من ثمانمائة رجل . أسلم عام حنين سنة سبع .

سنة ثمان وخمسين

توفي فيها جبير بن مطعم على الخلاف ، وشداد بن أوس نزيل بيت المقدس ، وعقبة بن عامر الجهني الصحابي أمير معاوية على مصر ، وكان فقيهاً فصيحاً مفوهاً . وعبيد الله^(١) بن عباس بن عبد المطلب، له صحة ورواية، ولي اليمن لعلي رضي الله عنه وكان أحد الأجواد ، أشاع الناس أنه يدعو الناس للغداء ولا علم له ، فامتلات رحبة بيته فقال : ما شأنهم ؟ قالوا إنك دعوتهم ، قال : لا يخرجن منهم أحداً ، وأطعمهم جميعهم ، ثم نادى مناديه أن يحضروا كل يوم .

(١) في الأصل : وعبد الله ، وهو خطأ .

سنة تسع وخمسين

فيها توفي أبو محذورة^(١) الجمحي المؤذن ، له صحبة ورواية •

وفيها ، وقيل : في التي تليها سنته بن عثمان الحجبي العبدي سادن الكعبة ، وسعيد بن العاص والي الكوفة لعثمان ، وافتتح طبرستان وأقيمت عربية القرآن على لهجته ، وكان مُمدِّحاً كريماً عاقلاً حكيماً ، اعتزل الجمل وصفين • وأبو عبد الرحمن عبد الله بن عامر بن كرز العبسي أمير عثمان على العراق ، وهو الذي افتتح خراسان وأصبهان وحلوان وكرمان وأطراف فارس كلها •

سنة ستين

توفي معاوية بن أبي سفيان بدمشق في رجب واه ثمان وسبعون سنة ، ولي الشام لعمر وعثمان عشرين سنة ، وتملك بعد علي عليه السلام عشرين سنة إلا شهراً ، وسار بالرعية سيرة حسنة جميلة ، وكان من دهاة العرب وحلمائها يضرب به المثل • وسمرة بن جندب الفزاري في أولها • وبلال بن الحارث المزني وعبد الله بن معقل المزني من أهل بيعة الرضوان •

وفيها أوفي التي قبلها أبو حميد الساعدي رضي الله عنه •

سنة إحدى وستين

استشهد أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب سبط رسول الله ﷺ وريحاته ، وذلك في يوم عاشوراء بكر بلاء عن ست وخمسين سنة ، ومن أسباب ذلك أنه كان قد أبقى من البيعة ليزيد حين بايع له أبوه الناس رابع أربعة : عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر ، فلما مات معاوية جاءت كتب أهل

(١) أبو محذورة هو سمرة بن مغير •

العراق إلى الحسين يسألونه القدوم عليهم ؛ فسار بجميع أهله حتى بلغ كربلاء موضعاً بقرب الكوفة ، فعرض له عبيد الله بن زياد فقتلوه وقتلوا معه ولديه علياً الأكبر وعبد الله وإخوته جعفرأ ومحمداً ، وعتيقاً والعباس الأكبر وابن أخيه قاسم بن الحسن وأولاد عمه محمداً وعوناً وابني عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وأخاه عبد الله وعبد الرحمن ، ومختصر ذلك أن يزيد بويح له بعد موت أبيه ، وقد كان أبوه بايع له الناس ، فأرسل يزيد إلى عامله بالمدينة الوليد بن عتبة يأخذ له البيعة ، فأرسل إلى الحسين وعبد الله بن الزبير فأتياه ليلاً وقالاه : مثلنا لا يبايع سراً بل على رؤوس الأشهاد ، ثم رجعا وخرجا من ليلتهما في بقية رجب ، فقدم الحسين مكة وأقام بها ، وخرج منها يوم التروية إلى الكوفة ، فبعث عبيد الله بن زياد لحربه عمر بن سعد ابن أبي وقاص ، وقيل : أرسل عبيد الله بن الحارث التميمي أن جمع بالحسين ، أراد احبسه ، والجمعاع : المكان الضيق ، ثم أمده بعمر بن سعد في أربعة آلاف ، ثم صار عبيد الله بن زياد يزيد في العسكر إلى أن بلغوا اثنين وعشرين ألفاً وأميرهم عمر بن سعد ، واتفقوا على أنه قتل يوم عاشوراء يوم الجمعة ، وقيل : السبت ، وقيل : الأحد بموضع يقال له : الطّف ، وقتل معه اثنان وثمانون رجلاً فيهم الحارث بن يزيد التميمي لأنه تاب آخرأ حين رأى منعهم له من الماء وتضييقهم عليه ، قيل : ووجد بالحسين رضي الله عنه ثلاث وستون طعنة وأربعة وثلاثون ضربة ، وقتل معه من الفاطميين سبعة عشر رجلاً . وقال الحسن البصري : أصيب مع الحسين ستة عشر رجلاً من أهل بيته ما على وجه الأرض لهم يومئذ شبيهه . وجاء بعض الفجرة برأسه إلى ابن زياد وهو يقول :

أوقرَ ركابي فضةً وذهبا
أنّي قتلت الملك المَحَجَّبَا
خير عباد الله أمّاً وأبَا

فغضب لذلك وقال : إذا علمت أنه كذلك فلم تقتله ؟! والله لألحقنك به ، وضرب عنقه . وقيل : إن يزيد لعنه الله هو الذي قتل القاتل ، ولما قتله حمل رأسه

وحرم بيته وزين العابدين معهم إلى دمشق كالسبايا ، قاتل الله فاعل ذلك وأخزاه
ومن أمر به أو رضيه • قيل : قال لهم عند ذلك بعض الحاضرين : ويلكم إن لم
يكونوا أتقياء في دينكم فكوفوا أحراراً في دنياكم • والصحيح أن الرأس المكرّم
دفن بالبقيع إلى جنب أمّه فاطمة ، وذلك أن يزيد بعث به إلى عامِلِه بالمدينة عمر بن
سعد بن أبي وقاص ، فكفنه ودفنه •

والعلماء مجمعون على تصويب قتال علي عليه السلام لمخالفه لأنه إمام الحق
ونقل الاتفاق أيضاً على تحسين خروج الحسين علي يزيد ، وخروج ابن الزبير وأهل
الحرمين علي بني أمية ، وخروج ابن الأشعث ومن معه من كبار التابعين وخيار
المسلمين علي الحجاج ، ثم الجمهور رأوا جواز الخروج علي من كان مثل يزيد
والحجاج ، ومنهم من جوز الخروج علي كل ظالم وعدّ ابن حزم خروم الإسلام
أربعة : قتل عثمان ، وقتل الحسين ، ويوم الحرّة ، وقتل ابن الزبير •

ولعلماء السلف في يزيد وقتله الحسين الخلاف في اللعن والتوقف • قال ابن
الصلاح : والناس في يزيد ثلاث فرق : فرقة تحبه وتتولاه ، وفرقة تسبه وتلعنه ، وفرقة
متوسطة في ذلك لا تتولاه ولا تلعنه ، قال : وهذه الفرقة هي المصيبة ، ومذهبها هو
اللائق بمن يعرف سير الماضين ، ويعلم قواعد الشريعة الطاهرة • انتهى كلامه •
وما أظن الفرقة الأولى توجد اليوم •

وعلى الجملة فما نقل عن قتلة الحسين والمثلة به يدل على الزندقة وانحلال
الإسلام من قلوبهم وتهاونهم بمنصب النبوة ، وما أعظم ذلك ، فسبحان من حفظ
الشريعة حينئذ وشيّد أركانها حتى انقضت دولتهم • وعلى فعل الأمويين وإمرتهم
يُحمَل قوله ﷺ : « هلاك أمتي علي يدي أغيّلمة من قريش » ، قال مروان :
لعنة الله عليهم أغيّلمة ، قال أبو هريرة : لو شئت أن أقول : بني فلان وبني فلان
لفعلت • ومثل فعل يزيد فعل بسر بن أرطاة العامري أمير معاوية في أهل البيت من القتل
والتشريد حتى خدّ لهم الأخاديد ، وكافت له أخبار شنيعة في علي عليه السلام ،
وقتل ولدي عبد الله بن عباس وهما صغيران علي ثدي أمهما ، ففقدت عقلها وهامت

على وجهها ، فدعا عليه علي أن يطيل الله عمره ويفقد عقله ، فكان ذلك مخرف في آخر عمره ولم تصح له صحبة • قال الدارقطني : كانت له صحبة ولم يكن له استقامة بعد النبي ﷺ •

قال التفتازاني في شرح العقائد النسفية : اتفقوا على جواز لعن علي من قتل الحسين أو أمر به أو أجازه أو رضي به ، قال : والحق أن رضي يزيد بقتل الحسين واستبشاره بذلك وإهاتته أهل بيت رسول الله ﷺ ما تواتر معناه وإن كان تفصيله آحادياً ، قال : فنحن لا نتوقف في شأنه بل في كفره وعدم إيمانه لعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه •

قال الذهبي فيه : كان قاسياً فظاً غليظاً جلفاً يتناول المسكر ، ويفعل المنكر ، افتتح دولته بقتل الحسين ، وختمها بوقعة الحرّة ، فمقتته الناس ، ولم يبارك في عمره ، وخرج عليه غير واحد بعد الحسين ، وذكر من خرج عليه • وقال فيه في (الميزان) : إنه مقلد في عدالته ، ليس بأهل أن يروى عنه •

وقال رجل في حضرة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : أمير المؤمنين يزيد ، فضربه عمر عشرين سوطاً •

واستفتي الكيا الهراسي فيه فذكر فصلاً واسعاً في مخازيه حتى نفذت الورقة ، ثم قال : لو أمددت ببياض لمدت للعيان في مخازي هذا الرجل •

وأشار الغزالي إلى التوقف عنه والتنزه عن لعنه مع تقييح فعله • وذكر ابن عبد البر والذهبي وغيرهم مخازي مروان بأنه أول من شق عصا المسلمين بلا شبهة ، وقتل النعمان بن بشير أول مولود في الإسلام ، وخرج علي ابن الزبير بعد أن بايعه على الطاعة ، وقتل طلحة بن عبيد الله يوم أنجمل ، وكان يوم مات النبي ﷺ ابن ثمان وستين • وإلى هؤلاء المذكورين : الوليد بن عقبة والحكم بن أبي العاص ونحوهم الإشارة بما ورد في حديث المحشر ، منه : « فأقول : يا رب أصحابي ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك » ولا يرد على ذلك ما ذكره العلماء من عدالة الصحابة ،

فإن المراد به الغالب وعدم اعتداد النادر والذين ساءت أحوالهم ولا بسوا الفتن بغير تأويل ولا شبهة •

وهذا ملخص ما ذكره الفقيه حسين في هذا الفصل مع زيادات رأيت إثباتها •
وأما اليافعي فقال : وأما حكم من قتل الحسين أو أمر بقتله : فمن استحل ذلك فهو كافر وإن لم يستحل فهو فاسق فاجر والله أعلم •

وفيها توفي حمزة بن عمرو الأسلمي ، وله صحبة ورواية •

وفيها أم المؤمنين هند المعروفة بأم سلمة، وقيل توفيت سنة سبع وخمسين^(١)، وهي آخر أمهات المؤمنين موتاً، تزوجها رسول الله ﷺ بعد سنتين من الهجرة، وحين خطبها اعتذرت لكبر السن والأولاد، وكونها غيوراً، وذكر النبي ﷺ أنه كبير أيضاً وذو أولاد، وأما الغيرة فأدعو الله عز وجل أن يذهبها، وكان أزواج النبي ﷺ يتحاكمن إليها لعلمهن ببراءتها من الغيرة، وهي صاحبة المشورة المذكورة يوم الحديبية، ورأت جبريل عليه السلام في صورة دحية الكلبي •

سنة اثنتين وستين

فيها توفي بريدة بن الحُصَيْنْب الصحابي الأسلمي، وعلقمة بن قيس صاحب ابن مسعود وكان يشبهه به واستفتاه غير واحد من الصحابة، وأبو مسلم الخولاني التميمي من سادات التابعين، صاحب الكرامات أجج له الأسود العنسي ناراً عظيمة وألقاه فيها فلم تضره، فنفاه لثلاثين يوماً، فوفد على أبي بكر مسلماً وقال : الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد من فعل به ما فعل بإبراهيم خليل الله، وجعله على سرية، فبينما هو يصلي ورمحه مركز جاء طير ووقع عليه وخاطبه مثبيراً أن السرية سالمة غائمة، تقدم يوم كذا وكذا، وكان كذلك •

(١) في ب : تسع وخمسين •

سنة ثلاث وستين

وقعة الحرّة • وذلك أن أهل المدينة خرجوا على يزيد لقلّة دينه ، فجهز إليهم مسلم بن عقبة ، فخرج إليهم بظاهر المدينة بحرّة واقم ، فقتل من أولاد المهاجرين والأنصار ما يزيد على الثلاثمائة ، ومن الصحابة معقل بن سنان الأشجعي وعبدالله بن حنظلة الغسيل وعبدالله بن يزيد بن عاصم راوي حديث الوضوء ومحمد بن ثابت ابن قيس بن شماس وغيرهم ، وذلك لثلاث بقين من ذي الحجة، وهجر المسجد النبوي فلم يصل فيه جماعة أياماً • ولم تطل حياة يزيد بعد ذلك ولا أميره مسلم بن عقبة ، وفي ذلك يقول الشاعر :

ونحن تركناكم (١) بيدٍ أذلةً وأبنا بأسياف لنا منكم تعل (٢)
فإن تقتلوننا يوم حرّة واقمٍ فنحن على الإسلام أول من قتل°

سنة أربع وستين

في أولها هلك مسلم بن عقبة بهرّ شى بين مكة والمدينة ، جبل قريب من الجحفة ، متجهزاً لحرب ابن الزبير ، ابتلاه الله بالماء الأصفر في بطنه ، ومن العجب في ذلك أنه شهد الحرّة وهو مريض كأنه مجاهد (٣) ، ومات يزيد بعده بنيف وسبعين يوماً ، توفي بالذبحة وذات الجنب في نصف ربيع الأول بحمص ، وصلى عليه ابنه معاوية ، وقيل : ابنه خالد •

قيل : وقال له أبوه : بايعت لك الناس ومهدت لك الأمر ، ولم يبق ممن أخشاه عليك (٤) إلا أربعة: الحسين بن علي وعبدالله بن عمر وابن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر ، فاستنوص بالحسين خيراً لقرابته من رسول الله ﷺ ، فإنه لحمه ودمه ،

(١) في ب : قتلناكم • (٢) في الأصل : تعل •

(٣) في ب : وهو مريض في سحق يجاهد •

(٤) في ب : ولم يتخلف عن بيعتك •

وأما عبد الله بن عمر فقد وقذته العبادة فليس له في الملك حاجة ، وأما عبد الرحمن فغرم بالنساء فأرغبه في المال • وكانت ولايته ثلاث سنين وثمانية أشهر واثنى عشر يوماً ، وعهد بالأمر إلى ابنه معاوية فبقي في الأمر شهرين أو أقل ومات ، وكان يذكر منه الخير ، ومات وله إحدى وعشرون سنة ، وأبى أن يستخلف ، وقال : لم أصب حلاوتها فلا أتحمل مرارتها •

ولما كان من أمر الحسين ما كان بقي ابن الزبير بمكة عائداً بالبيت ، فجهز لحر به يزيد بن معاوية الحصين بن نمير السكوني ، فرمى الحصين الكعبة بالمنجنيق حتى تضعع بناؤها ، وقتل بحجر المنجنيق المسور بن مخرمة النوفلي له صحبة ورواية ، واحترق قرنا الكبش الذي فدي به إسماعيل أو إسحق • وجاء نعي يزيد ، فرحل الحصين ، وبايع أهل الحرمين ابن الزبير ، ثم أهل العراق واليمن حتى كاد تجمع الأمة عليه ، وغلب على دمشق الضحاك بن قيس الفهري ، مختلف في صحبته ، وكان دعا إلى ابن الزبير ، ثم تركه ودعا إلى نفسه ، فانحاز عنه مروان في بني أمية إلى أرض حوران ، ووافاهم عبد الله بن زياد مطروداً من الكوفة ، طرده أهلها ، وتضعع أمر بني أمية حتى كاد يندرس فنهض مروان بطلب الملك ، فالتقي هو والضحاك بعد قصص تطول ، فقتل الضحاك في نحو ثلاثمائة (١) من أصحابه ، ثم سار أمير حمص يومئذ النعمان بن بشير الأنصاري الصحابي لينتصر للضحاك ، فقتله أصحاب مروان •

وفيها توفي بالطاعون الوليد بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب ، وكان جواداً

حليماً ، عين للخلافة بعد يزيد ووكلي إمرة المدينة غير مرة •

وفيها توفي ربيعة الجرشي فقيه الناس زمان معاوية •

وفيها نقض عبد الله بن الزبير الكعبة وبنائها على قواعد إبراهيم عليه السلام

على ما حدثته خالته عائشة رضي الله عنها •

(١) في الأصل : ثلاثة آلاف •

سنة خمس وستين

توجه مروان إلى مصر فملكها ، واستعمل عليها ابنه عبد العزيز ، ثم رجع إلى دمشق ، ومات في رمضان ، وعهد بالأمر إلى ابنه عبد الملك ، وكان مروان فقيهاً ، وكان كاتب السر لابن عمه عثمان .

وفيها ولي خراسان المهلب بن أبي صفرة لابن الزبير .

وفيها خرج سليمان بن سرد الخزاعي الصحابي والمسيب الفزاري صاحب علي رضي الله عنه في أربعة آلاف ويُسَمَّى جيش الفوارس وجيش السراة يطلبون بدم الحسين ، وكان مروان قد جهز ستين ألفاً مع عبيد الله بن زياد ليأخذ العراق ، فالتقوا بالجزيرة ، فانكسر سليمان وأصحابه ، وقتل هو والمسيب وطائفة رحمهم الله .

وفيها مات ، علي الصحيح ، عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي ، ولم يكن بينه وبين أبيه في الولادة إلا إحدى عشرة سنة ، وكان من فضلاء الصحابة وعبادهم المزكين في الرواية ، وأسلم قبل أبيه ، وكان يلوم أباه على القيام في الفتن ، وحلف بالله أنه لم يرم في حرب صفين بسهم ولا رمح ، وإنما حضرها لعزم أبيه عليه ولقوله ﷺ : « أطع أباك » .

وفيها توفي الحارث بن عبد الله الهمداني الكوفي الأعور صاحب علي وابن مسعود ، وكان متهماً بالكذب .

سنة سبع وستين

جابر بن سمرة السوائي الصحابي ، وقيل : توفي سنة أربع وسبعين ، وزيد بن أرقم الأنصاري ، وقيل : في سنة ثمان ، وكان غزا مع النبي ﷺ سبع عشرة غزوة .

وفيها قويت شوكة الخوارج ، واستولى نجدة الخارجي على اليمامة والبحرين .

وفيها قتل عمر بن سعد بن أبي وقاص وعبيد الله بن زياد وحصين بن نمير السكوني الذي حاصر ابن الزبير وانصرف عنه ، وشرحبيل بن ذي الكلاع وكثير من دعاة الشر واصطلم عسكرهم ، وذلك أنه جهز المختار بن أبي عبيد الكذاب جيشاً قدر ثمانية آلاف ، وقيل : أقل من عشرين ألفاً مع إبراهيم بن الأشتر النخعي فكانت وقعة الحرب بالموصل ، وقيل : كانت في السنة التي بعدها ، وكانت ملحمة عظيمة انتقم الله فيها من أهل الخرم ، ونصبت رؤوسهم حيث نصب رأس الحسين • وروي أن حية كانت تدخل في منخر عبيد الله بن زياد وتدور في رأسه ، وفعلت ذلك والناس ينظرون ، ثم بعث به المختار إلى المدينة في نحو سبعين ألف فارس ، وشاهدتهم نساء أهل البيت الكرام ، وبقي الوقوف بين يدي الملك العلام •

وفيها وقيل في التي قبلها توفي عدي بن حاتم الطائي ، وله مائة وعشرون سنة ، أسلم سنة سبع ، وأكرمه النبي ﷺ فألقى له وساده وقال : « إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه » •

وفيها ثارت الفتنة بين ابن الزبير والمختار ، وذلك أن المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي كان متلوفاً كذاباً يدعو مرة إلى محمد بن الحنفية ومرة إلى ابن الزبير حتى ادعى آخراً أن جبريل يأتيه بالوحي من السماء ، فلما تحقق ابن الزبير سوء حاله بعث أخاه مصعباً لحربه ، فقدم مصعب البصرة ، وتأهب منها ، واجتمع إليه جيش الكوفة ، فسار بهم جميعاً وعلى مقدمته عباد بن الحصين ، وعلى ميمنته المهلب بن أبي صفرة ، وعلى مسيرته عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي ، فجهز المختار لحربهم أحمر بن سبط وكيسان ، فهزمهم مصعب ، وقتل أحمر وكيسان ، وقتل من جيش مصعب محمد بن الأشعث الكندي ابن أخت أبي بكر الصديق ، وعبيد الله بن علي ابن أبي طالب ، وقتل من جيش المختار عمر الأكبر بن علي بن أبي طالب ، ثم سار جيش مصعب فدخل الكوفة ، وحصروا المختار بقصر الإمارة أياماً إلى أن قتله الله في رمضان ، وصفت العراق لمصعب •

سنة ثمان وستين

توفي حبر الأمة عبد الله بن عباس الهاشمي بالطائف عن إحدى وتسعين سنة ، كان يقال له : الحبر والبحر وترجمان القرآن ، وذلك أن النبي ﷺ قال في حقه : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » وذهب بصره في آخر عمره ، فقال :

إن يذهب الله من عيني نورهما ففي لساني وقلبي منهما نور
قلبي ذكي وذهني غير ذي وكل وفي فمي صارم كالسيف مشهور

ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، وكان جميلاً نبيلاً ، مجلسه مشهور (١) بالطلبة في أنواع العلم ، قال بعضهم : حج معاوية وابن عباس فكان معاوية ركب الولاية ، ولا بن عباس ركب الرواية والدراية •

وفيها عزل ابن الزبير أخاه مصعباً عن العراق وولاها ابنه حمزة •

وفيها توفي أبو شريح الخزاعي الكفي ويقال له أيضاً العدوي وأبو واقد الليثي ، وكان ممن شهد الفتح وعاش بضعاً وسبعين سنة •

سنة تسع وستين

فيها طاعون الجارف بالبصرة ، مات في ثلاثة أيام نحو سبعين ألفاً ، ومات لأنس بن مالك نحو سبعين ابناً ، ومات فيه عشرون ألف عروس ، وصعد ابن عامر المنبر يوم الجمعة فلم يجتمع معه إلا سبعة رجال وامرأة ، فقال : ما فعلت الوجوه ؟ فقالت المرأة : تحت التراب أيها الأمير •

وفيها مات قاضي البصرة أبو الأسود الدؤلي الذي أسس النحو بإشارة علي إليه •

وفيها قتل نجدة الخارجي الحروري ، قتله أصحابه ، وقيل : ظفر به أصحاب ابن الزبير •

(١) في ب : مشحون •

وفيهما مات قبيصة بن خالد الأسدي ، وكان فصيحاً مفوهاً .

وفيهما أعاد ابن الزبير أخاه مصعباً وعزل ابنه حمزة ، وقصد عبد الملك بن مروان مصعباً فحال بينهما الشتاء وبرده ، ووُثب عمرو بن سعيد بن العاص ، وهو الأشدق ، على دمشق في غيبة عبد الملك ، فجاء عبد الملك فحاصره فنزل إليه بالأمان .

سنة سبعين

غدر عبد الملك بعمرو بن سعيد بعد أن آمنه وحلف له وجعله ولي عهده من بعده ، فذبحه صبراً .

وفيهما توفي عاصم بن عمر بن الخطاب ، وكان ولد في حياة رسول الله ﷺ ، وهو جد عمر بن عبد العزيز من قبل أمه ، وقيل : كانت وفاته لستين .

وفيهما مات مالك السكسكي ، وثارت الروم على المسلمين لاختلاف كلمتهم ، فصالح عبد الملك ملك الروم على أن يؤدي في كل جمعة ألف مثقال ، وهو أول وهن دخل الإسلام .

سنة إحدى وسبعين

توفي عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي ممن بايع تحت الشجرة ، وله روايات في غير الستة الكتب .

وفيهما أبو عمارة البراء بن عازب الأنصاري من أقران ابن عمر استصغر يوم بدر وأحد . ومعبد بن خالد الجهني صاحب لواء جهينة يوم الفتح ، له حديث واحد عن أبي بكر رضي الله عنهما .

وفيهما على الصحيح توفي أبو صخر الضحاك المعروف بالأخنف بن قيس التميمي ، وقيل : توفي سنة سبع وستين ، وكان من سادات التابعين يضرب بحلمه المثل ، أدرك النبي ﷺ ، وأسلم قومه بإشارته ولم يفد على النبي ﷺ ، ووفد على

عمر ، وله رواية عن عمر وعثمان وعلي رضي الله عنه . قال له معاوية : ما أذكر صفين إلا وكانت في قلبي حرارة ، فقال له الأحنف : إن القلوب التي أبغضناكم بها لقي صدورنا ، وإن السيوف التي قتلناكم بها لقي أعمادها . ثم خرج ، فقالت أخت معاوية : من هذا ؟ فقال : هذا الذي يغضب له مائة ألف سيف لا يدرون فيم غضب .

ولما بايع معاوية لولده يزيد حسّن له بعض الحاضرين ذلك ، فقال له معاوية : ما تقول أنت يا أبا بحر ؟ فقال : أخاف الله إن كذبت وأخافكم إن صدقت ، فقال معاوية : جزاك الله عن الطاعة خيراً ، وأمر له بألوف ، فلما خرجا قال له ذلك الرجل : إني لأعلم ذم يزيد ولكنهم قد استوثقوا من هذه الأموال بالأبواب والأقفال فاستخرجناها بما سمعت ، فقال الأحنف : إن ذا الوجهين خليق أن لا يكون له وجه عند الله تعالى . وأبوه قيس^(١) هو الذي رثاه الشاعر بقوله :

وما كان قيس هللكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

وفيها عبيدة السلماني الفقيه المقتني بفقهِ يعلى وابن مسعود ، وكان يوازي شريعاً في القضاء .

وفيها وقعة دير الجاثليق بين مصعب وعبد الملك ، وذلك أن عبد الملك أفسد جيش مصعب بالأطماع ، ولما استظهر عبد الملك أرسل إلى مصعب بالأمان فأبى وقال : مثلي لا ينصرف إلا غالباً أو مغلوباً ، وأئخذوه بالرمي ، ثم شد عليه زياد بن عمر من جيشه فطعنه وقال : يا لثارات المختار ، وانصرف إلى عبد الملك ، وقتل مع مصعب ولداه عيسى وعروة وإبراهيم بن الأشتر النخعي ومسلم بن عمرو الباهلي ، واستولى عبد الملك على العراق وولاه أخاه بشراً ، وفيه يقول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهران

وبعث الأمراء إلى الأمصار ، وبعث الحجاج إلى مكة لحرب ابن الزبير فقتله واستوثق الأمر لعبد الملك من غير معارضة .

(١) هذا وهم فالمرثي بهذا قيس بن عاصم المنقري وهو غير والد الأحنف .

سنة ثلاث وسبعين

توفي عوف بن مالك الأشجعي المشهور ، وأبو سعيد بن المعلى الأنصاري له صحبة ورواية ، وربيعة بن عبد الله التيمي ، ثم محمد بن المنكدر .

وفيها نازل الحجاج ابن الزبير فحاصره ، ونصب المنجنيق على أبي قبيس ودام الحرب أشهراً ، وتفرق عن ابن الزبير أصحابه ، فأخبر أمه بذلك واستشارها فقالت : يا بني إن كنت قاتلت لغير الله فقد هلكت وأهلكت ، وإن كان الله فلا تسلم نفسك ، فقاتلهم ولم يزل يهزمهم إلى أن أصابته رمية في رأسه وهو يقول :
ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أعقابنا تقطر الدما

فلما سقطت قالت جارية له : وا أمير المؤمنيناه ! فعرفوه ولم يكونوا عرفوه من لباس الحديد ، فشدوا عليه من كل جانب وقتلوه قريباً من باب المسجد من ناحية الصفا وذلك في جمادى الأولى ، وطافوا برأسه في مصر وغيرها .

قال النووي في شرح مسلم : مذهب أهل الحق أن ابن الزبير كان مظلوماً والحجاج ورفيقه خارجون عليه .

ودخل الحجاج على أمه بعد قتله فقال : كيف رأيتني صنعت بابتك ؟ فقالت : أفسدت عليه ديناه وأفسدت عليك آخرتك وقد أخبرنا رسول الله ﷺ أن من ثقيف مبير وكذاب فأما الكذاب فرأينا - تعني المختار - وأما المبير فأتت . والمبير : المهلك .

وقتل ابن الزبير وله اثنتان وسبعون سنة ، وولايته تنوف على ثمانين سنين . وكان ابن الزبير صواماً قواماً مستغرق الأوقات في الطاعات ، ومناقبه كثيرة مشهورة رضي الله عنه ورحمه .

وقتل ابن الزبير وله اثنتان وسبعون سنة ، وولايته تنوف على ثمانين سنين . قدم له ألفي شاة . وقتل معه أيضاً عبد الله بن مطيع بن الأسود العدوي ، وعبد الرحمن ابن عثمان بن عبد الله التيمي ممن أسلم يوم الحديبية ، وتوفيت أسماء بنت أبي بكر بعد مصاب ابنها بيسير ، وقد قاربت المائة ، وهي من المهاجرين الأولين ومن أهل السوابق في الإسلام ، وهي ذات النطاقين رضي الله عنها .

ثم إن الحجاج نقض بناء ابن الزبير الكعبة وأعادها على الحالة الأولى بمشاوره عبد الملك بن مروان . وسبب هدم ابن الزبير الكعبة أنها كانت قد تهدمت وتشعبت من حجر المنجنيق الذي كان يرمي به الحصين بن نمير وأصحابه . وحدثته خالته عائشة أن قريشاً قصرت بهم النفقة ، تعني الحلال التي كانوا جمعوها لبنائها ، فاقترضوا على قواعد إبراهيم ستة أذرع أو سبعة ، وهي الحجر ، ولما عزم ابن الزبير على ذلك فرقت الناس وخرج بعضهم هارباً إلى الطائف وإلى عرفات ومنى ، وطلع ابن الزبير بنفسه واتخذ معه عبداً حبشياً دقيق الساقين رجاء أن يكون هو ذا السويقتين الحبشي الذي يهدم الكعبة ، وأما الحجاج فلم يهدمها إلا أئفّةً أن يبقى هذه المكرمة لابن الزبير .

واختلفوا كم بنيت مرات ، فقيل : سبعاً ، وقيل : خمساً . ومنشأ الخلاف أنها هل بنيت قبل بناء إبراهيم عليه السلام أو هو أول من بناها .

سنة أربع وسبعين

توفي السيد الجليل الفقيه العالم العابد الزاهد عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي ، وكان قد عيّن للخلافة يوم التحكيم . وقال فيه النبي ﷺ : « إن عبد الله رجل صالح » وقال : « نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل » فكان بعدها لا يرقد من الليل إلا قليلاً ، وكان من زهاد الصحابة ، وأكثرهم اتباعاً للسنن وأعرضهم عن الفتن ، وتم له هذا إلى أن مات . قيل : اعتمر قريباً من ألف عمرة . قال مالك : بلغ ابن عمر ستاً وثمانين سنة أفنتى في ستين منها . ولما مات أمر أن يدفنه ليلاً ولا يعلموا الحجاج لئلا يصلي عليه . ودفن في ذات أواخر يعني فوق القرية التي يقال لها المعايذة^(١) ، وبعضهم يزعم أنه فوق الجبل الذي فوق البستان على يمين الخارج من مكة إلى المحصب .

(١) كذا في الأصل، وفي وفيات الأعيان ٣/٣١ : دفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين .

وتوفي بعده في تلك السنة أبو سعيد الخدري سعد بن مالك الأنصاري ، وكان من أعيان الصحابة وفقهائهم ، شهد الخندق وبيعة الرضوان وغيرها • وسلمة بن الأكوح الأسلمي ، وله شجاعة وسوابق ومشاهد محمودة • وأبو جحيفة السوائي ، وقيل : تأخر إلى ما بعد الثمانين • ومحمد بن حاطب بن حرب الجمحي ، وله صحبة ورواية ، وهو أول من دعي في الإسلام محمداً بعد رسول الله ﷺ • ورافع بن خديج الأنصاري الصحابي ، أصابه سهم يوم أحد فبقي النصل في جسده إلى أن مات • وعاصم بن حمزة السلولي • ومالك بن عامر الأصبحي جد الإمام مالك • وعبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي بالمدينة • وكان كثير الحديث والفتوى • وعبد الله بن عمير الليثي •

سنة خمس وسبعين

فيها حج عبد الملك بن مروان وخطب على منبر النبي ﷺ ، وعزل الحجاج عن الحجاز • وقرره على العراق •

وفيها مات العرباض السلمي ، وأبو ثعلبة الخشني ، وعمر بن ميمون الأزدي ، وكان قدم مع معاذ من اليمن فنزل الكوفة ، وكان من الصالحين ، قيل : حج مائة حجة وعمرة ، والأسود بن يزيد النخعي الكوفي الفقيه العابد ، وكان يصلي في اليوم والليلة سبعمائة ركعة ، واستسقى به معاوية فسقوا • وبشر بن مروان أمير العراقيين بعد مصعب ، وسليم التجيبي قاضي مصر وناسكها •

سنة ست وسبعين

وجه الحجاج زائدة بن قدامة الثقفي ابن عم المختار لحرب شبيب بن قيس الخارجي الشيباني فاستظهر شبيب وقتل زائدة وهزم العساكر مرات •

سنة سبع وسبعين

بعث الحجاج لحرب شبيب عتاب بن ورقاء الرباحي ، بالموحدة ، فلقي شبيباً بسواد الكوفة فقتل شبيب أيضاً عتاباً وهزم جيشه ، ثم جهز الحجاج له أيضاً الحارث ابن معاوية الثقفي فقتل الحارث أيضاً ، فجهز الحجاج له أبو الورد البصري فقتله أيضاً ، فوجه له طهمان مولى عثمان فقتله أيضاً ؛ ففرق الحجاج وسار بنفسه فاقتتلوا أشد القتال وتكاثروا على شبيب فانهمز و قتلت غزاة زوجته وكانت قد قاتلت في تلك الحروب قتالاً عجز عنه كمل الرجال ، ونجا شبيب بنفسه في فوارس من أصحابه إلى الأهواز .

وبها محمد بن موسى بن طلحة التيمي فخرج لقتاله فقتله شبيب ، وسار إلى كرمان فتقوى ثم عاد إلى الأهواز فبعث إليه الحجاج سفيان بن الأثرود الكلبي وحبيب ابن عبد الرحمن فاقتتلوا حتى حجز بينهم الليل ، ثم ذهب شبيب وعبر على خشب وحبل فقطع به فغرق . وقيل : بل تعثر به فرسه وعليه الحديد الثقيل فألقاه في الماء ، فقال بعض أصحابه : أغرقاً يا أمير المؤمنين؟! فقال : ذلك تقدير العزيز العليم ، فألقاه دجيل ميتاً على ساحله ، فحمل على البريد إلى الحجاج ، فأمر بشق بطنه واستخرج قلبه ، فإذا هو كالحجر إذا ضرب به الأرض نبا عنها وإذا داخله قلب صغير كالكرة الصغيرة فشق ذلك فوجد في داخله علقة دم ، وكانت شجاعته خارقة أكثر ما تكون في مائة نفس فيهزمون الألوف .

وفيها غزا عبد الملك الروم بنفسه وافتتح مدينة هرقله ، وافتتحت أيضاً في خلافة العباسيين ولعلها عادت عليهم .

وفيها توفي أبو تميم الجلساني ، وكان قرأ القرآن على معاذ ، وكان من عباد أهل مصر وعلمائهم .

سنة ثمان وسبعين

ولي خراسان المهلب بن أبي صفرة • وتوفي جابر بن عبد الله الأنصاري السلمي وهو آخر من مات من أهل الفقه عن أربع وتسعين سنة ، وهو من أهل بيعة الرضوان وأهل السوابق في الإسلام ، وأبوه النقيب عبد الله بن عمرو بن حرام ، مناقبه عديدة •

وفيها ، على الأصح ، زيد بن خالد الجحفي من مشاهير الصحابة ، وعبد الرحمن بن غنم الأشعري من رؤوس التابعين ، وكان قد بعثه عمر يفتقه الناس •

وفيها وقيل : في سنة ثمانين ، أبو أمية القاضي شريح بن الحارث الكندي ، ولي قضاء الكوفة لعمر فمن بعده خمسا وسبعين سنة ، وعاش أكثر من المائة واستعفى عن القضاء قبل موته بعام فأعفاه الحجاج ، وكان فقيهاً نبياً شاعراً صاحب مدائح ، وكان له دربة في القضاء بالغة ، وهو أحد السادات الطلس وهم أربعة : عبد الله بن الزبير وقيس بن سعد بن عبادة والأحنف بن قيس وشريح • والأطلس الذي لا شعر في وجهه • وحكي أن علياً دخل على شريح مع خصم له فقام له شريح فقال علي كرم الله وجهه : هذا أول جَوْرِكَ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لو كان خصمك مسلماً ما قتلت • وضرب امرأة له تسمية ثم ندم فقال :

رأيت رجالاً يضربون نساءهم فشلت يسيني يوم أضرب زينبا

وذكر أن زياداً كتب إلى معاوية : ضببت لك العراق بشمالي ويميني فارغة لطاعتك فولني الحجاز • فبلغ ذلك عبد الله بن عمر وكان مقيماً بمكة فقال : اللهم أشغل يمين زياد ، فأصابه الطاعون أو الأكلة في يمينه ، فجمع الأطباء ، فأشاروا بقطعها • فاستشار شريحاً فقال : أكره لك إن كانت لك مدّة أن تعيش بلا يمين ، وإن كان قد دنا أجلك أن تلقى ربك مقطوع اليد ، فإذا سألك لم قطعها قلت : بغضاً للفتاك ، وفراراً من قضائك • ومات زياد من يومه ، ولام الناس شريحاً حين نصحه ، فقال شريح : استشارني ، والمستشار مؤتمن وإلا لوددت أنه قطع يده يوماً ورجله يوماً وسائر جسده يوماً يوماً •

وفيها قتل أبو المقدم شريح بن هانئ المدحجي صاحب علي وله مائة وعشرون سنة •

سنة تسع وسبعين

وقيل في التي تليها ، قتل رأس الخوارج أبو نصر قطري بن الفجاءة التميمي ،
عثر به فرسه فقتل وأتي الحجاج برأسه ، وكان الحجاج قد جهز له جيشاً بعد جيش
وهو يهزمهم ، وممن قاتله سواده أو سودة بن الحر الدارمي ، وكان مجرباً في
الحروب ومن قوله^(١) يخاطب نفسه :

أقول لها وقد طارت شعاعا من الأبطال ويحك لا تراعي
فإنك لو سألت بقاء يوم على الأجل الذي لك لم تطاعي
فصبراً في مجال الموت صبراً فما نيل الخلود بمستطاع
سبيل الموت غاية كل حيٍّ وداعيه لأهل الأرض داع

وفيها توفي عبد الله بن أبي بكر . وكان قد بعثه الحجاج أميراً على
سجستان في العام الماضي ، وكان جواداً ممدحاً يعشق في كل يوم مائة عبد .

وفيها مات عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود الهذلي .

سنة ثمانين

بعث الحجاج على سجستان عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي ، فلما
استقر بها خلع الحجاج وخرج ، وكانت بينهما حروب طويلة .

وفيها مات عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وهو آخر من رأى النبي ﷺ
من بني هاشم في حال صغره ، وكان مولده بالحبشة ، ويقال : لم يكن في المسلمين
أجود منه ، وله فيه أخبار طويلة ، وفي الصحيح أن ابن الزبير قال له : أتذكر إذ تلقينا
رسول الله ﷺ أنا وأنت ؟ قال : نعم فحملني وتركك . وهذا من الأجوبة المسكتة .
وقيل : إن أجواد المسلمين عشرة منهم عبد الله بن جعفر وعبد الله بن عباس وطلحة
الطلحات الخزاعي .

(١) القول لقطري بن الفجاءة .

وفيها مات أبو إدريس الخولاني عاىذ الله بن عبد الله فقيه أهل الشام وقاضيههم •

وفيها مات أسلم مولى عمر رضي الله عنه ، وكان فقيهاً نبيلاً •

وفيها صلب عبد الملك معبد الحمصي في العدر ، وقيل : بل عذبه الحجاج بأنواع العذاب وقتله •

وتوفي ملك عرب الشام حسان بن النعمان بن المنذر الغساني غازياً بالروم •

سنة إحدى وثمانين

قام مع ابن الأشعث عامة أهل البصرة من العلماء والعباد ولقوا الحجاج يوم الأضحى فانهزم الحجاج حتى كان أربع وثمانون وقعة في مائة يوم ، ثلاث وثمانون على الحجاج والباقي له •

وفيها ، وقيل في التي بعدها ، توفي أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب ، وهو ابن الحنفية ، وعمره سبعون سنة إلا سنةً ، وكان جمع علي له بين الاسم والكنية ترخيصاً من النبي ﷺ ، قال له : « سيولد لك غلام بعدي قد نحلته اسمي وكنيتي » (١) • وللعلماء في هذا تواريخ ، وكان ابن الحنفية نهايةً في العلم غاية في العبادة ، وتوقف عن حمل راية أبيه يوم الجمل وقال : هذه مصيبة عمياء ، فقال له أبوه : ثكلتك أمك أتكون عمياء وأبوك قائدها؟! • وروي نحو هذا في يوم صيفين عنه • وقيل له : كيف كان أبوك يقحمك المهالك دون إخوتك؟ فقال : كانا عيينيه وكنت يده فكان ينقي عيينه بيده • وكان شديد القوة ، قيل : استطال أبوه درعاً فقطعه من الموضع الذي علم له ، قيل : إن ملك الروم وجّه إلى معاوية برجلين أحدهما جسيم طويل والآخر قوي ، فقال عمرو بن العاص لمعاوية : أما الطويل فعندنا

(١) في ب زيادة : « لا يحل لأحد من بعدي » •

كفؤه وهو قيس بن سعد بن عبادة ورأيتك في الآخر ؟ فقال معاوية : هاهنا رجلان محمد بن الحنفية وعبدالله بن الزبير ومحمد هو أقرب إلينا على كل حال . فلما حضروا نزع قيس سراويله ورمأها إلى العليج فبلغت تُنْدُوتَيْهِ (١) فأطرق العليج مغلوباً . وقيل : لاموا قيساً على خلع سراويله في المجلس فقال :

أردت لكيما يعلم الناس أنها سراويل قيس والوفود شهود
وأن لا يقولوا غاب قيس وهذه سراويل عادي نَمَكْتُهُ ثمود

وقال محمد بن الحنفية : قولوا للعليج إن شاء جلس وأقمته كرها بيده أو يقعدني ، وإن شاء فليكن وأنا القاعد ، فاختر الرومي الجلوس فأقامه محمد وعجز هو عن إقعاده ، ثم اختار أن يقعد محمد فعجز الرومي عن إقامته ، فانصرفا مغلوبين . وعند الكيسانية أن ابن الحنفية لم يمت وأنه المهدي الذي يخرج في آخر الزمان ، وفي ذلك يقول كثير عزة :

ألا إن الأئمة من قريش ولاة الأمر أربعة سواء
علي والثلاثة من بنيهم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبّط سبّط إيمان وبرٍّ وسبّط غيبته كربلاء
وسبّط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمها اللواء
تراه مخيماً بجال رضوى مقيماً عنده عسل وماء

ولما استوثق الأمر لابن الزبير دعا محمداً وابن عباس إلى بيعته فقالا : حتى يجتمع الناس عليك . ثم أراد ابن عباس بعد تمهل أن يبایعه فأبى ابن الزبير ، فرد عليه ابن عباس قولاً شديداً يتضمن التنويه بعبد الملك والغض منه ، وذلك المذكور في صحيح البخاري .

وفيهما توفي سعيد بن غفلة الجعفي بالكوفة ، وكان مولده عام الفيل ، وكان فقيهاً عابداً إماماً .

(١) التندوة : ويفتح أوله : لحم الثدي أو أصله . (القاموس المحيط - تندر)

وفيها حجت أم الدرداء الوصائية اليمانية الحميرية ، وكان لها سبب (١) وافر من العلم والعمل وقدر عند الناس ، وكان خطبها معاوية بعد أبي الدرداء فكرهت وهي بايعته ، وأم الدرداء الكبرى صحابية •

سنة اثنتين وثمانين

استعرت الحرب بين الحجاج وابن الأشعث ، وبلغ جيش ابن الأشعث ثلاثة وثلاثين ألف فارس ومائة وعشرين ألف رجل قاموا معه على الحجاج لله تعالى •

وفيها توفي المهلب بن أبي صفرة الأزدي أمير خراسان صاحب الحروب والفتوح أمير عبد الملك بن مروان على خراسان ، قال عبد الله بن الزبير : وهو سيد أهل العراق • وقال أبو إسحق السبيعي : ما رأيت أشجع قلباً ولا أبعده مما يكره ولا أقرب مما يجب من المهلب بن أبي صفرة ، وخلف أولاداً فجاء كراماً ، قيل : بلغ عددهم ثمانمائة ولد •

وفيها توفي زر بن حبيش الأسدي الغاضري وله مائة وعشرون سنة ، وكان عبد الله بن مسعود سأله عن العربية •

وفيها قتل الحجاج كميل بن زياد صاحب علي رضي الله عنه وقتل ابن السقيا (٢) مع ابن الأشعث ظاهر البصرة ، وقتل محمد بن سعد بن أبي وقاص لقيامه مع ابن الأشعث •

وفيها توفي جميل بن عبد الله بن معمر الشاعر العذري المنعم صاحب بشينة وكان هويها في الصغر ، فلما كبر خطبها ، فصّد عنها ، فتيّم بها ، وكان مسكنها وادي القرى ، عذرية أيضاً وتكنى أم عبد الملك ، ولما أكثر الشعر فيها قيل له : لو قرأت القرآن كان خيراً لك فقال : حدثني أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من الشعر

(١) في ب : كسب • (٢) في ب : الستيا •

لحكمة» • وكان كثير عزة راوية جميل، وجميل راوية هُدبة، وهُدبة راوية الحطيئة، والحطيئة راوية زهير بن أبي سلمى المزني والد كعب وابنه كعب • وكان آخر أمر جميل أنه وفد على عبد العزيز بن مروان بمصر فأحسن جائزته ووعدته في أمر بشينة وسأله المقام عنده فأقام قليلاً ومات هنالك • قال عباس بن سهل : دخلت عليه وهو يجود بنفسه فقال : يا عباس ، ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قط ولم يزن قط ولم يقتل النفس ولم يسرق يشهد أن لا إله إلا الله ؟ قلت : أظنه نجا من النار وأرجو له الجنة فمن هو ؟ قال : أنا ، قلت : تشبب ببشينة منذ عشرين سنة وأنت سالم منها ؟ قال : لا نالتي شفاعه محمد ﷺ وإني لفي آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة إن كنت وضعت يدي عليها لريبة ، ثم مات ، وكان أوصى رجلاً أن يأتي حي بشينة فيعلو شرفاً ويضح بهذين البيتين :

صرح النعي وما كتى بجميل وثوى بمصر ثوى بغير ققول
قومي بشينة فاندبي بعويل وابكي جيلاً دون كل خليل

قال : فخرجت كأنها بدر في دجنة تشنى في مرطها، فقالت: يا هذا إن كنت صادقاً فلقد قتلتي وإن كنت كاذباً فلقد فضحتني ، فقلت : والله إني لصادق ، وأخرجت حلتها ، فلما رأتها صاحت وصكت وجهها وغشي عليها ساعة ، واجتمع نساء الحي يبيكين معها •

ومن قوله فيها :

وخبرت ساني أن تيماء منزل ليلى إذا ما الصيف ألقى المراسيا
فهذي شهور الروم عني ستنضي (١) فما للنوى ترمي بليلى المراسيا

في قصيدة طويلة وغلط بعضهم فجعلها لمجنون بني عامر وليس كذلك ، فإن تيماء في منازل بني عذرة •

(١) في ب : قد انقضت .

سنة ثلاث وثمانين

فيها على الصحيح وقعة دير الجماجم بين الحجاج وابن الأشعث ، وكان شعارهم « يا ثارات الصلاة » لأن الحجاج كان يبيت الصلاة حتى يخرج وقتها . وغرق بدجيل مع ابن الأشعث عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري الفقيه الكوفي المقرئ ؟ قال ابن سيرين : رأيت أصحابه يعظمونه كالأمير .

سنة أربع وثمانين

فيها فتحت المصيصة على يد عبد الله بن عبد الملك بن مروان .

وفيها قتل الحجاج ابن القُرَية واسمه أيوب بن زيد الهلالي ، وكان أمياً فصيحاً ، وارتفع شأنه بالفصاحة والحكاية . قدم على الحجاج فأعجبه ، ولما قام ابن الأشعث بعثه الحجاج إليه فقال له ابن الأشعث : لتقومن خطيباً بخلع عبد الملك وسب الحجاج أو لأضربن عنقك ، فقال : إنما أنا رسول فقال : هو ما أقول لك ، ففعل ذلك وأقام عنده ، فلما هزم ابن الأشعث كتب الحجاج : أن لا يجدوا أحداً من أصحاب ابن الأشعث إلا أرسلوه إليه أسيراً ، وكان ممن أسروه ابن القرية ، فسأله الحجاج عن البلدان والقبائل ، فقال : أهل العراق أعلم الناس بحق وباطل ، وأهل الحجاز أسرع الناس إلى فتنه وأعجزهم فيها ، وأهل الشام أطوع الناس لخلفائهم ، وأهل مصر عبيد من غلب أو خدع ، وأهل الأهواز نبط استعربوا ، وأهل عمان عرب استنبطوا ، وأهل الموصل أشجع فرسان ، وأهل اليمن أهل أهواء وأصبر عند اللقاء ، وأهل اليمامة أهل جفاء واختلاف ، وأما القبائل فقال : قريش أعظمها أحلاماً وأكرمها مقاماً ، وبنو عامر بن صعصعة أطولها رماحاً وأكرمها صباحاً ، وثقيف أكرمها جدوداً وأعظمها وفوداً ، وبنو زبيد ألزمها للرايات وأدركها للثارات ، وقضاعة أكرمها أخطاراً وأعظمها نجاراً وأبعدها آثاراً ، والأنصار أئينها مقاماً وأحسنها إسلاماً وأكرمها أياماً ، وتميم أكثرها عدداً وأظهرها يداً ، وبكر بن وائل أثبتها صفوفاً وأحدها سيوفاً ، وعبد القيس أسبقها إلى الغايات وأصبرها تحت الرايات ، وبنو أسد أهل تجلّد وجلد وعشّر ونكد ،

ولخضم ملوك وفيهم نوك أي حق ، وعك ليوث جاهدة وقلوب فاسدة ، وغسان
أكرم العرب أحساباً وأثبتها أنساباً ، وأمنع العرب في الجاهلية أن تضام قريش في
بلد حمى الله دارها ومنع جارها •

وسأله عن مآثر العرب ، فقال : كافت العرب تقول : حمير أرباب الملك ، وكندة
ألبات^(١) الملوك ، ومذحج أهل الطعان ، وهمدان أحلاس الخيل ، والأزد أساس
الناس •

وسأله عن الأراضي فقال : الهند بحرها دُرٌّ وجبلها ياقوت وشجرها عود وورقها
عطر وأهلها طغام • وخراسان مأوها جامد وغذاؤها جاحد • وعمان بردها شديد
وصيدها عتيد • والبحرين كناسة بين المصريين • واليمن أصل العرب أهل الصيانات
والحسب • ومكة رجالها علماء جفاة ، ونسائها كساة عراة • والمدينة رسخ العلم
فيها وظهر منها • والبصرة شتاؤها جليد وحرها شديد ومأوها ملح وحر بها صلح •
والكوفة ارتفعت عن حر البحر وسفلت عن برد الشام وطاب ليلها وكثر خيرها •
وواسط جنة بين حماة وكنة ، قال : وما حماتها وكنتها ؟ قال : البصرة والكوفة
تحسدانها وما ضرها ، ودجلة والفرات يتجاريان بإفاضة الخير عليها • والشام عروس
بين نسوة جلوس •

وسأله عن الآفات فقال : آفة الحلم الغضب ، وآفة العقل العجب^(٢) وآفة
العلم النسيان ، وآفة السخاء المن ، وآفة الكرم مجاورة اللئام ، وآفة الشجاعة البغي ،
وآفة العبادة القنرة ، وآفة الذهن حديث النفس ، وآفة الحديث الكذب ،
وآفة المال سوء التدبير ، وآفة الكامل من الرجال العدم • قال : فما آفة الحجاج بن
يوسف ؟ قال : لا آفة لمن طاب حسبه وزكا نسبه • فقال : أظهرت نفاقاً ، اضربوا عنقه
فلما قتله ندم •

وفيها نظر أصحاب الحجاج بابن الأشعث فقتلوه بسجستان ، وطيف برأسه
في البلدان •

(١) في القاموس : هم عليه الثب وإلثب واحد : مجتمعون عليه بالظلم والعداوة .

(٢) في ب : العمل •

وفيها توفي عبد الله بن الحارث بن نوفل الهاشمي ، وكان حنكة النبي ﷺ بريقه عند ولادته • وعمران بن حطان السدوسي البصري أحد رؤساء الخوارج وشاعرهم البليغ • وروح الجذامي سيد جذام وأمير فلسطين ذو عقل ورأي ، وكان أميراً لعبد الملك •

سنة خمس وثمانين

فيها توفي عبد العزيز بن مروان ، ولي مصر عشرين سنة ، وكان ولي العهد بعد عبد الملك ، عقد لهما أبوهما كذلك ، فلما مات عقد عبد الملك من بعده لولده ، وبعث إلى عامله بالمدينة هشام بن إسماعيل المخزومي ليباع له الناس فامتنع سعيد بن المسيب وصمم ، فضربه هشام ستين سوطاً وطيف به •

وتوفي وائلة بن الأسقع الليثي أحد فقراء الصنفة وله ثمان وتسعون سنة ، وكان شجاعاً مملحاً شهد غزوة تبوك • وعمرو بن حريث له صحبة ورواية ، ولد في زمن الهجرة • وعمر بن سلمة الجرمي البصري ، في قول : هو إمام قومه في صغره في عهد رسول الله ﷺ ، وقال : له صحبة • وعبد الله بن عامر بن ربيعة العنبري حليف آل عمر بن الخطاب ، وروى عن النبي ﷺ حديثاً ليس بمتصل خرجه أبو داود ، وله رواية عن الصحابة رضي الله عنهم •

وفيها مات خالد بن يزيد بن معاوية الأموي ، كان له معرفة بالطب والكيمياء وفنون من العلم كرسائل حسنة ، أخذ الصناعة عن راهب رومي • ومن قوله في زوجته رملة بنت الزبير •

تجول خلاخيل النساء ولا أرى لرملة خلخالاً يجول ولا قلباً
أحب بني العوام من أجل حبها ومن حبها أحببت أخوالها كلباً

جرى بينه وبين عبد الملك شيء فقال عبد الملك : ما أنت في العير ولا النفير ، فقال خالد : ويحك من العير والنفير غيري وجدي أبو سفيان صاحب العير وجدي عتبة صاحب النفير ولكن لو قلت : خيالات وغنيمات بالطائف ، ورحم الله عثمان لصدقت • أشار بذلك إلى جده الحكم ففاه النبي ﷺ إلى الطائف فرده عثمان •

سنة ست وثمانين

• قتيبة بن مسلم الباهلي والي خراسان ، وافتتح بلاد صاغان من الترك صلحاً .

وفيها توفي أبو أمامة الباهلي الصحابي رضي الله عنه عن مائة وستين سنة .

وفيها ، وقيل في سنة ثمان ، توفي عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي ، وهو آخر

من مات بالكوفة من الصحابة وآخر من مات من أهل بيعة الرضوان رضي الله عنهم .

وفيها ، على الصحيح ، توفي عبد الله بن الحارث بن حرب الزبيري ، وهو

آخر من مات بمصر من الصحابة رضي الله عنهم .

• وقبيصة بن ذؤيب الخزاعي الفقيه الدمشقي ، قال مكحول : ما رأيت أعلم منه .

وفي شوال توفي عبد الملك بن مروان الأموي وله ستون سنة ، ولايته المجمع

عليها بعد ابن الزبير ثلاث عشرة سنة وأشهر ، وقد عدّه أبو الزناد من الفقهاء في

طبقة ابن المسيب ، وقال نافع : لقد رأيت أهل المدينة وما بها شاب أشد تشميراً ولا

أفقه ولا أقرأ لكتاب الله من عبد الملك . • وولي بعده ابنه الوليد ، ومن المشهور أن

عبد الملك رأى كأنه بال في زوايا المسجد الأربع أو في المحراب أربع مرات ، فوجه

إلى سعيد بن المسيب من يسأله ، فقال : يلي من ولده لصلبه أربعة فكان كما قال ،

ولي الوليد وسليمان وهشام ويزيد .

سنة سبع وثمانين

• استعمل الوليد على المدينة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .

وفيها ابتدأ ببناء جامع دمشق ، ودام العمل فيه أكثر من عشر سنين ، وكان

فيه أكثر من اثني عشر ألف صانع ، وهو أحد عجائب الدنيا لتركيبه على الفلك .

وفيها توفي عتبة بن عبيد السلمي الصحابي رضي الله عنه وله أربع وتسعون

سنة . • والمقدام بن معد يكرب الصحابي رضي الله عنه وله إحدى وسبعون سنة .

سنة ثمان وثمانين

زحف أهل الترك وأهل فرغانة وأهل الصغد وعليهم ابن أخت ملك الصغد في مائتي ألف فارس فهزمهم قتيبة بن مسلم .

ومات عبد الله بن بشر المازني وهو آخر من مات من الصحابة بجمص ، وأطلق الذهبي أنه آخر الصحابة موتاً ، وكلامه ينتقض بسهل بن سعد في سنة إحدى وتسعين وموت أنس في سنة ثلاث وتسعين على الأصح ، لكن إن صح ما روي أن عبد الله بن بشر واجه عبد الرحمن بن سعيد في سنة تسع وتسعين استقام أنه آخرهم موتاً . وأبو الطفيل الكناني ذكر أنه آخر الصحابة موتاً ، وموته في سنة مائة ، لكن ينبغي النظر في أن الصحابي من هو ، وكذا في حكم الإسلام متى يصح من الإنسان ، وقد علم أن الصغير يحكم بإسلامه تبعاً لأبويه .

سنة تسع وثمانين

توفي على الصحيح عبد الله بن ثعلبة العدري ، مسح الرسول ﷺ رأسه ودعا له ، سمع من عمر رضي الله عنه .

سنة تسعين

ولي مصر قرّة بن شريك ، وكان جباراً ظالماً وظفر قتيبة بن مسلم بأهل الطالقان فقتل منهم مقتلة لم يسمع بمثلها صبراً ، وطلب سباطين طول كل سباط أربعة فراسخ في نظام واحد . وتوفي أبو ظبيان حصين بن جندب الجهني الكوفي والد قابوس . ومفتي مصر أبو الخير مَرْتَد بن عبد الله اليزني ، تفقه بعقبة بن عامر .

سنة إحدى وتسعين

توفي أبو العباس سهل بن سعد الساعدي وقد قارب المائة وهو آخر من مات
بالمدينة من الصحابة .

وفيها ، وقيل في سنة ثمان وثمانين ، توفي السائب بن يزيد الكندي رضي
الله عنه ، قال : حج بي أبي مع النبي ﷺ حجة الوداع وأنا ابن سبع سنين ، ورأيت
خاتم النبوة بين كتفيه .

سنة اثنتين وتسعين

افتتح إقليم الأندلس على يد طارق مولى موسى بن نصير .

وفيها مات مالك بن أوس بن الحدثان ، وكان أدرك الجاهلية ورأى أبا بكر
رضي الله عنه .

وفيها قتل الحجاج إبراهيم بن يزيد التيمي الكوفي العابد المشهور ولم يبلغ
أربعين سنة .

وفيها طوَيْس المغني مولى أروى بنت كريز أم عثمان بن عفان رضي الله عنه ،
وكان اسمه طاووساً فلما تخنث سمي طويساً ، وكان مُجَوِّداً في الغناء وإياه عنى
الشاعر في مدح معبد .

يعني طويس والسريجي بعده وما قصبات السبق إلا لمعبد

ويضرب المثل بشؤمه ، يقال : إنه ولد يوم مات النبي ﷺ ، وفطم يوم مات
الصديق ، وخنث يوم قتل عمر ، وقيل : بلغ التحلم في ذلك اليوم ، وتزوج يوم قتل
عثمان ، وقيل : ولد له ولد يوم قتل علي ، وقيل : يوم مات الحسن بن علي رضي الله
عنهم ، وهذا إن صح من عجائب الاتفاقات ، وكان مفرطاً في طوله مضطرباً في خلقه
أحول العين ، انتقل عن المدينة إلى السير على مرحلتين منها في طريق الشام ،
وتوفي هناك .

سنة ثلاث وتسعين

افتتح قتيبة بن مسلم عدّة فتوح، وهزم الترك، ونصب المنجنيقات على سمرقند، وقتلهم مقتلة عظيمة، ولم يفلت منهم إلا القليل، وافتتحها صلحاً وبنى بها الجامع والمنبر، وقيل: صالحهم على مائة ألف رأس وعلى بيوت النار، وعلى حلية الأصنام فسلبت، ثم وضعت الأصنام بين يديه وكانت كالقصر العظيم فأحرقها، ثم جمعوا ما بقي منها من مسامير الذهب والفضة وكانت خمسين ألف مثقال.

وفيها من سادات الصحابة أبو حمزة أنس بن مالك الأنصاري النجاري خادم رسول الله ﷺ، وقيل: توفي سنة تسعين أو إحدى أو اثنتين وتسعين، قدم النبي ﷺ وله عشر سنين، فخدمه، ودعا له بكثرة المال والولد، والبركة فيما أوتي، فدفن لصلبه إلى مقدم الحجاج البصرة مائة وعشرين، وكان نخله يثمر مرتين.

وبلال بن أبي الدرداء روى عن أبيه، وولي إمرة دمشق. وأبو الشعثاء جابر ابن يزيد الذي قال فيه ابن عباس: لولا أن أهل البصرة نزلوا عند قول أبي الشعثاء لأوسعتهم علماً جماً في كتاب الله تعالى. وأبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة القرشي المخزومي الشاعر المشهور، قيل: لم يكن في قريش أشعر منه، وهو كثير المجون والتغزل بالثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث المنشدة في قتل أبيها يوم بدر الأبيات، وقال النبي ﷺ: لو سمعت بشعرها قبل أن أقتله لما قتلته، واستدل بهذا القول الصحيح أن النبي ﷺ كان له أن يجتهد في الأحكام، وكانت الثريا موصوفة بارعة الجمال، وتزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف ونقلها إلى مصر، وفيه يقول عمر بن أبي ربيعة:

أيها المنكح الثريا سهيلاً
هي شامية إذا ما استقلت
عمرك الله كيف يلتقيان
وسهيل إذا استقل يماني

وهو القائل:

إن من أكبر الكبائر عندي
كتب القتل والقتال علينا
قتل بيضاء غادة عطبول
وعنى الغايات جرّ الذبول

ولد عمر هذا في الليلة التي قتل فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وذلك ليلة الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ، وكان الحسن البصري يقول فيها : أي حق رفع وأي باطل وضع ، يعني بقتل عمر . وكان جده أبو ربيعة يلقب بزاد الركب ، وأبوه عبد الله أخو أبي جهل بن هشام لأمه توفي في سفينة غرقاً وعمره سبعون سنة أو ثمانون .

وأبو العالية رفيع بن مهران الرباعي مولاهم البصري المقرئ المفسر ، دخل على أبي بكر ، وقرأ على أبي ، وكان ابن عباس يرفعه على السرير ، وقال أبو بكر بن أبي داود : ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبي العالية وبعده سعيد بن جبيرة .
وفيهما توفي السيد الجليل زرارة بن أبي أوفى العامري ، قرأ في صلوات الصبح (فإذا نُقِرَ في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير) فخر ميتاً .

سنة أربع وتسعين

توفي الإمام السيد الجليل أبو محمد سعيد بن المسيب المخزومي المدني ، أحد أعلام الدنيا ، سيد التابعين . قال ابن عمر : لو رأى رسول الله ﷺ علمَ هذا لسرته . سمع من الصحابة ، وجل روايته عن أبي هريرة ، وكان تزوج ابنته . قال قتادة : ما جمعت علم الحسن إلى أحد إلا وجدت له عليه فضلاً إلا أنه كان إذا أشكل عليه شيء كتب فيه إلى ابن المسيب يسأله . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : لما مات العبادلة عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمرو ابن العاص صار الفقه في جميع البلدان إلى أنوالي : فقيه مكة عطاء ، وفقه اليمن طاووس ، وفقه اليمامة يحيى بن أبي كثير ، وفقه البصرة الحسن البصري ، وفقه الكوفة إبراهيم النخعي ، وفقه الشام مكحول ، وفقه خراسان عطاء الخراساني ، إلا المدينة فإن الله حرسها بقرشى فقيه غير مدافع سعيد بن المسيب وهو من فقهاء المدينة السبعة ، جمع بين الفقه والتفسير والحديث والورع والعبادة . وعنه قال :

حججت أربعين سنة ، وما فاتتني التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة وما نظرت إلى قفا رجل في الصلاة • وعطل المسجد النبوي أيام الحرة فلم يبق فيه غيره ، وكان لا يعرف أوقات الصلاة إلا بهممة يسمعها داخل الحجرة المقدسة • وخطب ابنته بعض ملوك بني أمية فزوجها فقيراً من الطلبة وسيرها معه إلى بيته ، ثم زارها بعد ذلك ووصلها بشيء من عنده ، وقد صُنِّف في مناقبه رضي الله عنه •

وفيهما أيضاً توفي أحد فقهاء المدينة السبعة أبو محمد عروة بن الزبير بن العوام ، جمع العلم والسيادة والعبادة ، ومات صائماً ، واشتهر أنه قطعت رجله وهو في الصلاة لأَكِلَةٍ وقعت فيها فلم يتحرك حتى لم يشعر الوليد بن عبد الملك بذلك وهو عنده حتى كويت فوجد رائحة الكي • قال الزهري : رأته بجرأ لا تكدره الدلاء ، ودخل على عبد الملك بعد قتل أخيه وسأله سيف الزبير ، فأخرجوا له السيوف ، فأخذ منها سيفاً مقللاً فغرفه • وبثره أعذب بئر بالمدينة اليوم • توفي في قرية له دون القرع ، بضم الفاء وتسكين الراء بناحية الربرة على أربع ليال من المدينة ، ذات نخل ومياه • وكانت ولادته سنة اثنتين أو ست وعشرين • وهو شقيق عبد الله ، أمه أسماء بنت أبي بكر بخلاف مصعب فإن أمه أخرى • وكان عبد الملك ابن مروان يقول : مَنْ سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى عروة بن الزبير • وسبب ذلك ما روي أنهم اجتمعوا إلى المسجد الحرام وتمنوا ، وكان أمنية عروة الزهد في الدنيا والفوز بالجنة ، فلما نال كل منهما أمنيته كان في ذلك دليل على نبيل عروة أمينته ، وذكر هنا عبد الملك معهم وحذف ابن عمر • ورأيت في بعض كتب الحديث إثبات عبد الله بن عمر وحذف عبد الملك ، ولعله أثبت مما هنا والله أعلم •

وفيهما أيضاً مات أحد فقهاء المدينة السبعة أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام بن المغيرة المخزومي ، الملقب براهب قریش لعبادته وفضله ، وكان مكفوفاً ، وأبوه الحارث من الصحابة ، وهو أخو أبي جهل لأمه • وهذه السنة تسمى سنة الفقهاء ، لأنه مات فيها جماعة منهم • وإنما قيل : الفقهاء السبعة ، لأنهم كانوا في المدينة في عصر واحد ، شريعتهم العلم والفتيا • وكان في عصرهم جماعة من فقهاء التابعين مثل سالم بن عبد الله بن عمر وغيره فلم يكن لهم مثل ما لهم •

وفيها توفي زين العابدين علي بن الحسين الهاشمي رضي الله عنه ، سمي بذلك لفرط عبادته ، وكان ورده في اليوم واللييلة ألف ركعة إلى أن مات . وكان يوم استشهد والده مريضاً فلم يتعرضوا له ، وكان عبد الملك يحترمه ويجله . وأمه سلامة ، وقيل : غزاة بنت يزجرد ملك فارس ، سُميت الثالثة ثلاث من بناته في خلافة عمر رضي الله عنه ، أمر عمر ببيعهن ، فأشار علي بتقويمهن وبأخذهن من اختارهن ، فأخذهن علي ودفع واحدة لعبد الله بن عمر والثانية لولده الحسين والثالثة لمحمد بن أبي بكر الصديق ، فولد سائلاً وزين العابدين والقاسم بن محمد فهم بنو خالة ، وكان أهل المدينة يكرهون السراري حتى نشأ فيهم هؤلاء الثلاثة وفاقوا فقهاء المدينة ورعاً ، فرغبت الناس في السراري .

ومن برّ زين العابدين بأمه أنه كان لا يأكل معها في صحفة ، وقال : أخشى أن تسبق يدي إلى ما سبقت عينها إليه .

ومن قوله : إن لله عبداً عبدوه رهبة فتلك عبادة العبيد ، وآخرين عبدوه رغبةً فتلك عبادة التجار ، وآخرين عبدوه شكراً فتلك عبادة الأحرار .

وتكلم فيه رجل وافترى عليه فقال له : إن كنت كما قلت فأستغفر الله ، وإن لم أكن كما قلت فالله يغفر لك . فقبّل الرجل رأسه وقال : جعلت فداك لست كما قلت فأغفر . فقال : غفر الله لك . قال الرجل : (الله أعلم حيث يجعل رسالاته) .

وقصته مع هشام والفرزدق ومدح الفرزدق له مشهور ، ومناقبه أكثر من أن تحصر رضي الله عنه .

وفيها أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري الفقيه النبيه الحافظ أحد الأئمة الكبار . يروي عن أبيه وعائشة وأبي هريرة .

سنة خمس وتسعين

أراح الله البلاد والعباد بموت الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي في ليلة مباركة على الأمة ليلة سبع وعشرين من رمضان وله ثلاث أو أربع أو خمس وخمسون سنة ، وكان شجاعاً مقداماً (١) فصيحاً سفاكاً • ولي الحجاز سنتين ، ثم العراق وخراسان عشرين سنة ، وأقره الوليد على عمله بعد أبيه •

وقيل لابن سيرين : رأيت حمامة بيضاء حسنة على سرادقات المسجد فجاء صقر اختطفها ؛ فقال ابن سيرين : إن صدقت رؤياك تزوج الحجاج بن يوسف ابنة جعفر الطيار • فلما تزوجها قيل لابن سيرين : من أين أخذت ذلك ؟ قال : الحمامة امرأة ، وبياضها حسنها ، والسرادقات شرفها ، فلم أر بالمدينة أنقى حسناً ولا أشرف من ابنة جعفر ، والصقر السلطان الغشوم فلم أر أغشم من الحجاج •

وأمه الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي ، ولدت الحجاج مشوهاً لا دبر له فثقب دبره وأبى أن يقبل ثدي أمه ولا غيرها فيقال : إن الشيطان تصور لهم في صورة الحارث بن كلدة ، وكان تزوج الفارعة قبل أبي الحجاج ، وكان حكيم العرب ، فقال لهم : ألعقوه دم جدِّي يومين ، واليوم الثالث ألعقوه دم تيس أسود ، ثم دم ثعبان سالخ أسود ، واطلوا وجهه ، وأخبرهم أنه يقبل الثدي في اليوم الرابع ، فذلك كان لا يبصر عن سفك الدماء ، ويخبر أنه أكبر لذاته ، وله مقححات عظام وأخبار مهولة •

ولما حضرته الوفاة تمثل بقول عبيد بن سفيان العكلي :

يارب قد حلف الأعداء واجتهدوا أيما نهم أنني من ساكني النار
أيحلفون على عيساء ويجهم ما ظنهم بعظيم العفو غفار

وكان موته بالأكلة في بطنه ، وسوغه الطيب لحمًا في خيط فخرج مملوءاً دوداً • وسلط عليه أيضاً البرد فكان توقد النار تحته وتأجج حتى تحرق ثيابه وهو لا يحس بها ، فشكا إلى الحسن البصري ، فقال : ألم أكن نهيته أن تتعرض للصالحين؟! ولما

(١) في ب زيادة : مفوهاً •

أخبر الحسن بموته سجد لله شكراً وقال : اللهم فكما أمّته فأمت سنّته • وكان قد رأى أن عينيه قلعنا • وكان تحته هند بنت المهلب وهند بنت أسماء الخارجية ، فطلقهما لتأويل رؤياه ، فمات ابنه محمد وأتاه نعي أخيه محمد باليمن ، فقال : هذا والله تأويل رؤيائي : محمد ومحمد في يوم واحد ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم قال : من يقول شعراً فليسألني ، فقال الفرزدق :

إن الرزية لا رزية مثلها فقدان مثل محمد ومحمد
ملكان قد خلت المنابر منهما أخذ الزمان^(١) عليهما بالمرصد

وكان ابتداء أمر الحجاج أنه كان هو وأبوه يعلمان الصبيان بالطائف ، ثم لحق الحجاج بروح الجذامي وزير عبد الملك بن مروان ، وكان في عديد شرطته إلى أن رأى عبد الملك مخالفة من عسكره ، فشككا ذلك إلى وزيره ، فقال : إن في شرطتي من لو وكليته أمر عسكرك لارتحلوا برحلتك ، ونزلوا بنزولك ، فجاءه بالحجاج ، فولاه ذلك ، فردهم إلى الطاعة بالسطوة • ثم صحب عبد الملك ، فكان منه ما كان •

وقيل^(٢) : وجد اسم من قتلهم الحجاج مائة ألف وخمسة وعشرين ألفاً ، والذي في الشجن ثلاثة وثمانون ألفاً لم يجب على واحد منهم قطع ولا صلب •

ويقال : إن زياد بن أبيه أراد أن يتشبه بعمر في ضبطه وسياسته فتجاوز الحد ولم يصب ، وأراد الحجاج أن يتشبه بزياد فدمر وأهلك •

وفي شعبان من السنة المذكورة قتل الحجاج سعيد بن جبير المقرئ الفقيه المحدث المفسر الأسدي مولاهم • أحد علماء التابعين ، أكثر روايته عن ابن عباس ، وحدث في حياته بإذنه ، وكان لا يكتب الفتاوى مع ابن عباس ، فلما عمي ابن عباس كتب • وروي أنه قرأ القرآن في ركعة في البيت الحرام ، وكان يؤم الناس في شهر رمضان فيقرأ ليلة بقراءة ابن مسعود وليلة بقراءة زيد بن ثابت وأخرى بغيرهم • وهكذا أبداً •

وقيل : كان أعلم التابعين بالطلاق سعيد بن جبير ، وبالحيح عطاء ، وبالاحلال والحرام طاووس ، وبالتفسير مجاهد ، وأجمعهم لذلك سعيد بن جبير ، وقتله الحجاج

(١) في ب : أخذ الحمام . (٢) قيل : زيادة في ب •

وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه • وقال الحسن يوم قتله : اللهم أعن على فاسق ثقيف ، والله لو أن أهل الأرض اشتركوا في قتله لكببهم الله في النار • وسال منه دم كثير بعد قتله فقال الأطباء : قتل ونفسه معه ، ومن قتل وقد ذهب نفسه من الخوف لم يسئل له دم • ولما حضرت الحجاج الوفاة كان كلما أفاق بعد غشيته قال : مالي ولسعيد بن جبير؟! لأنه آخر من قتل ، وكان في جملة مرضه كلما قام رآه أخذاً بمجامع ثوبه يقول : يا عدو الله فيم قتلتي؟! فيسقط مذعوراً • وقتل وله سبع وأربعون سنة ، وقبره بواسط يتبرك به •

وفيها توفي أبو اسحق إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري •

وفيها مات السيد الفقيه العابد المجاب الدعوة مطرف بن عبيد الله بن الشخير العامري البصري ، روى عن علي وعمار •

وفيها توفي الإمام الجليل فقيه العراق بالاتفاق أبو عمران إبراهيم بن يزيد النخعي ، أخذ عن مسروق والأسود وعلقمة ، ورأى عائشة وهو صغير • والنخعي من مذحج •

وحמיד بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، سماع من خاله عثمان وهو صغير ، وكان عالماً فاضلاً •

سنة ست وتسعين

وفيها مات قرّة بن شريك القيسي أمير مصر • قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : الوليد بالشام ، وقرّة بمصر ، والحجاج بالعراق ، وعثمان بن حبان بالحجاز ، امتلأت الأرض والله جوراً •

وفيها مات الوليد بن عبد الملك بن مروان الخليفة ، وكان مع جوره كثير التلاوة ويختم في كل ثلاث ختمة وفي رمضان سبع عشرة ختمة ، وطاب حاله في دنياه مع جانب من الدين ؛ فبنى جامع دمشق ، وافتتح الهند والترك والأندلس ، وتصدق كثيراً ، وروى أنه قال : لولا ذكر الله اللواط في القرآن ما ظننت أن أحداً يفعله •

سنة سبع وتسعين

توفي سعيد بن مرجانة صاحب أبي هريرة رضي الله عنه • وقاضي المدينة طلحة بن عوف بن عبد الله الزهري ^(١) أحد الطلحات الموصوفين بالجود •

وفيها أو في سنة ثمان ^(٢) توفي قيس بن أبي حازم الأحمسي البجلي الكوفي وقد جاوز المائة ، وسمع أبا بكر وطائفة من البدرين ، وكان أحد علماء المدينة •

وفيها أو في سنة ست محمود بن لبيد الأنصاري الأشهلي • قال البخاري : له صحبه • وذكره مسلم وغيره في التابعين ، وله عدة أحاديث ، قال بعض المحدثين : حكمها الإرسال •

وفيها حج بالناس خليفتهم سليمان بن عبد الملك بن مروان ، وتوفي معه بوادي القرى الأمير [أبو عبد الرحمن] ^(٣) موسى بن نصير الأعرج ، افتتح الأندلس وأكثر الغرب ولم يهزم له جيش قط ، وكان والده نصير على جيوش معاوية ، وكان الوليد بن عبد الملك أرسل إلى عمه وعامله على مصر عبد الله بن مروان أن أرسل موسى بن نصير إلى إفريقية ففعل ، فقدمها معه جماعة من الجند ، وخرج عليه خارجة من البربر ، فوجه إليهم ولده فسبى منهم ما لم يسمع بمثله : بلغ الخمس ستين ألف رأس ، وفي بعضها مائة وستين ألفاً • ووقع قحط شديد ، فخرج بالناس مستسقياً بشروط الاستسقاء ، وخطب الناس ، فقال له قائل : ألا تدعو لأمر المؤمنين الوليد ؟ فقال : هذا مقام لا يذكر فيه غير الله ؛ فسقوا • وتأهب إلى السوس الأدنى ، ونزل بقية البربر بالطاعة ، وولى عليهم والياً ، ولى على طنجة وأعمالها طارق بن زياد البربري ، ومهد البلاد ، ولم يبق له منازع من البربر ولا من الروم ، وترك خلقاً كثيراً من العرب يعلمون الناس القرآن وفرائض الإسلام • ولما تقررت القواعد ، كتب إلى طارق بطنجة يأمره بغزو بلاد الأندلس ، فركب البحر من ساعته إلى الجزيرة الخضراء

(١) في ب : طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري •

(٢) أي : ثمان وتسعين • (٣) أبو عبد الرحمن : زيادة في ب •

وصعد على جبل يعرف اليوم بجبل طارق ، ورأى النبي ﷺ والخلفاء الأربعة ، رضي الله عنهم ، يبشرونهم بالفتح وهم يمشون على الماء ، وأمره النبي ﷺ بالوفاء بالعهد ، والرفق بالمسلمين ، فجاءه ملك طليطلة في سبعين ألفاً ومعهم العجّل تحمل الأموال والمتاع ، فأمر طارق جيش المسلمين بالثبات والصبر والصدق ، والعَدُوّ أمامهم ، والبحر من ورائهم ، فحمل طارق على ملكهم لذريق فخلص إليه وقتله على سريرته ، والتحم الجيشان ، وكان النصر للمسلمين ، وافتتحوا إلى ساحل البحر المحيط والحمد لله .

سنة ثمان وتسعين

غزا المسلمون قسطنطينية وعليهم مسلمة بن عبد الملك . وافتتح يزيد بن المهلب جرّجان .

وفيها توفي أبو عمرو الشيباني بالكوفة وله مائة وعشرون سنة . روى عن علي وابن مسعود .

وفيها توفي أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية الهاشمي .

وفيها أوفى التي بعدها توفي أبو عبد الرحمن الأسود بن يزيد النخعي الفقيه العابد ، أدرك عائشة وسمع منها .

وفيها على الصحيح توفي عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي الضرير أحد فقهاء المدينة السبعة .

وفيها كثرت مولى ابن عباس ، وكان كنزاً للعلم ، قال مسلم^(١) بن عقبة : وضع كريب عندنا عدل بغير من كتب ابن عباس .

وفيها الفقيهة الفاضلة عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية ، نشأت في حجر عائشة رضي الله عنها ، وأكثرت الرواية عنها .

(١) في ب : موسى بن عقبة .

سنة تسع وتسعين

على الخلاف توفي أبو الأسود ظالم بن عمرو الديلمي وقيل : الدؤلي نسبة إلى الدليل من كنانة ، وفتح بعضهم في النسبة لثلاث تنو إلى الكسرتان كما قالوا في النسبة إلى النَّمِر : نَمري • وهي قاعدة مطردة^(١) ، وكان من خواص علي كرم الله وجهه ، وشهد معه صفين ، وكان من كمل الرجال ، وهو أول من وضع النحو ، حكى ولده أبو حرب قال : أول وضع وضعه والدي في النحو باب التعجب • وقيل له : من أين لك النحو ؟ قال : تلقنت حدوده من علي بن أبي طالب رضي الله عنه • واستخلفه ابن عباس على البصرة حين رحل عنها إلى الحجاز فلم يزل عليها إلى أن قتل علي كرم الله وجهه • وباع داراً له بالبصرة فقبل ، بعث دارك ؟ فقال : بل بعث جاري • وكان جار سوء • ودخل على بعض الولاة وعليه جبة رثة فقال : يا أبا الأسود ما تمل هذه الجبة ؟! فقال : رب مملول لا يستطيع فراقه ، فأمر له بمائة ثوب فقال :

كساني ولم أستكسه فحمدته
وإن أحق الناس إن كنت شاكرًا
أخ لك يعطيك الجزيل وناصر
لشكرك من يعطيك والعرض وافر
ومن شعره :

وما طلب المعيشة بالتمني
يجيء بحمأة حيناً وحيناً
ولكن ألق دلوك في الدلاء
يجيء بحمأة وقليل ماء

وكان موسراً مبخلاً فعوتب في البخل فقال : لو أطعنا الفقراء في مالنا أصبحنا مثلهم • وروي أنه عشى سائلاً لحوماً وقيده ، فقبل له في ذلك فقال : لئلا يؤذي المسلمين الليلة •

وقيل له عند الموت : أبشر بالمغفرة ، فقال : وأين الحياء مما كانت منه المغفرة؟! وتوفي عن خمس وثمانين سنة •

(١) كذا في ب ، وفي الأصل : مطرقة .

وفيها توفي محمود بن الربيع الأنصاري وهو الذي عَقَلَ مَجَّةَ مجها^(١)
رسول الله ﷺ في وجهه من بئر في دارهم وهو ابن أربع سنين .

وفيها نافع بن جبير بن مطعم ، وكان هو وأخوه محمد من علماء قريش
وأشrafهم .

وفيها توفي عبد الله بن مَحْيِرِيز الجمحي المكي . قال رجاء بن حيوة :
إنَّ يَفْخِرَ علينا أهل المدينة بعبادهم ابن عمر فعبادنا ابن محيريز ، وإن كنت لأعد
تقاه أمانةً لأهل الأرض .

وفيها^(٢) مات خليفتهم سليمان بن عبد الملك الأموي وله خمس وأربعون
سنة ، وخلافته أقل من ثلاث سنين . وكان فصيحاً فهِمًا محباً للعدل والغزو ذا همة
عالية ، جهز الجيوش لحصار القسطنطينية ، وقرَّب ابن عمه عمر بن عبد العزيز ،
وجعله وزيره ومشيره ، وعهد إليه بالخلافة . وكان أبيض مليح الوجه ، يضرب
شعره منكبیه ، وله محاسن . قال له حكيم : عندي لك أن تأكل ولا تشبع ، وتسكح
ولا تقتر ، ويسود شعرك ولا يبيض ، فقال : كلهن يرغب عنهن العاقل ؛ فمع الأكل
كثرة دخول الخلاء وشم الروائح المنتنة ، وفي كثرة النكاح الشغل بالنساء ، وتسويد
الشعر يسود نور الله تعالى .

سنة مائة

توفي أبو أمامة أسعد بن سهل بن حنيف الأنصاري الأوسي^(٣) ، وُلِدَ في حياة
رسول الله ﷺ ، روى عن عمر وجماعة ، وكان من فقهاء المدينة^(٤) .

وفيها وقيل في سنة عشر ومائة ، توفي أبو الطفيل عامر بن واثلة بن الأسقع
الكندي الليثي بمكة ، وهو آخر من مات ممن رأى رسول الله ﷺ ، وروى أنه ولد

(١) مَجَّةُ الشراب من فيه : رماه . (القاموس المحيط) .

(٢) في ب : وفي صفر . (٣) الأوسي : ليس في الأصل ، واستدركت من ب .

(٤) في ب حاشية : من علماء التابعين .

عام أحد ، وأدرك مع النبي ﷺ ثماني سنين ، وكان عاقلاً حاضر الجواب ، يفضل علياً ويثني على الشيخين ، ويترجم على عثمان ، وكان يقول الشعر ، ومن قوله :
وما شاب رأسي من سنين تابعت^(١) علياً ولكن شيتتي الوقائع

وفيها بشر بن سعيد المدني العابد^(٢) الزاهد المجاب الدعوة ، روى عن عثمان وزيد بن ثابت .

وفيها وقيل قبلها أو بعدها : سالم بن أبي الجعد الكوفي من مشاهير المحدثين .

وفيها خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري المدني أحد الفقهاء السبعة ، تفقه على والده .

وفيها أبو عثمان البصري عبد الرحمن^(٣) بن مكي بالبصرة ، وهو من المخضرمين أسلم في عهد رسول الله ، وأدى زكاته إلى عماله ولم يره ، وحج في الجاهلية وعاش مائة وثلاثين سنة ، وصحب سلمان اثنتي عشرة سنة .

وفيها شهر بن حوشب الأشعري ، وكان كثير الرواية حسن الحديث .

وفيها مسلم بن يسار البصري . قال ابن عون : كان لا يفضل عليه أحد في زمانه .

وفيها عيسى بن طلحة بن عبيدالله القرشي التيمي أحد أشرف قريش وعقلائها ، روى عن أبيه وجماعة .

سنة إحدى ومائة

فيها^(٤) توفي الخليفة العادل أمير المؤمنين ، خامس الخلفاء الراشدين ، أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي بدير سمعان من أرض المعرة ،

(١) في ب : عن سنين تابعت . (٢) العابد : زيادة في ب .

(٣) في ب : عبد الله . (٤) في ب : في رجب منها .

وخلافته سنتان وستة أشهر وأيام كخلافة الصديق ، وعمره أربعون سنة ، وكان أبيض جميلاً نحيف الجسم حسن اللحية في جبهته أثر حافر فرس من صغره ، ولذلك كان يقال له الأشج ، وأشج بني أمية ، حفظ القرآن في صغره ، وبعثه أبوه من مصر إلى المدينة فنفقها بها حتى قيل : إنه بلغ رتبة الاجتهاد . جده لأمه عاصم بن عمر بن الخطاب ، وذلك أن عمر خرج طائفاً ليلة فسمع امرأة تقول لبنية لها : اخلطي الماء في اللبن ، فقالت البنية : أما سمعت منادي عمر بالأمس ينهى عنه ؟؟ فقالت : إن عمر لا يدري عنك ، فقالت البنية : والله ما كنت لأطيعه علانية وأعصيه سراً ، فأعجب عمر عقلها ودينها ، فزوجها ابنه عاصماً ، فهو جد عمر بن عبد العزيز .

قال السيد الجليل رجاء بن حيوة : استشارني سليمان بن عبد الملك فيمن يعهد إليه بالخلافة ، فأشرت بعمر ، فقال : كيف يبني عبد الملك ؟ فقلت : اكتب كتاب العهد واختمه وبيع لمن فيه ، ففعل ، فلما مات كتمنا موته ، ثم قلت : بايعوا الأمير المؤمنين ثانياً على السمع والطاعة لمن في الكتاب [ففعلوا ، فقلت : أعظم الله أجركم في أمير المؤمنين ، ثم أخرجت الكتاب]⁽¹⁾ فوجموا ولم يقولوا شيئاً ، ثم خرجوا في جنازته ركباناً ، وخرج عمر ماشياً ، فلما رجعوا أرسل عمر إلى نسائه : من أرادت منكن الدنيا فلتأخذي بأهلها فإن عمر قد جاءه شغل شاغل ، فسمعت النوائح في بيته يومئذ . وقال أيضاً : قومتم ثياب عمر وهو يخطب باثني عشر درهماً وكانت حلة قبل ذلك بألف درهم لا يرضاها ، وقال : إن لي نفساً ذواقة تواقه كلما ذاقت شيئاً تاقت إلى ما فوقه ، فلما ذاقت الخلافة لم يكن في الدنيا ما فوقها تاقت إلى ما عند الله في الآخرة ، وذلك لا ينال إلا بترك الدنيا .

ومن كلامه رضي الله عنه : ينبغي في القاضي خمس خصال : العلم بما يتعلق به ، والحلم عند الخصومة ، والزهد عند الطمع ، واحتمال للأئمة ، والاستشارة لذوي العلم .

(1) ما بين القوسين ليس في الأصل ، واستدرك من ب .

وعاتب مسلمة بن عبد الملك أخته فاطمة زوجة عمر في ترك غسل ثيابه في مرضه، فقالت : إنه لا يعرف له ثوب غيره .

ومناقبه عديدة ، وقد أفردت بالتصنيف .

ومما رثاه به جرير بن الخطفي الشاعر المشهور :

لو كنت أملك والأقدار غالبه تأتي رواحاً وتبيناً وتبتكر
رددت عن عمر الخيرات مصرعه بدير سمعان لكن يغلب القدر

وفيهما وقيل في التي قبلها ربعي^(١) بن حراش أحد علماء الكوفة وعبادها

قيل : لم يكذب قط وحلف لا يضحك [حتى يعلم]^(٢) أي الجنة هو أم في النار .

وفيهما وقيل في سنة خمس وتسعين : الحسن بن محمد بن الحنفية الهاشمي،

روي أنه صنف كتاباً في الإرجاء ثم ندم عليه ، وكان من عقلاء قومه وحلمائهم .

وفيهما قتل يزيد بن المهلب الأزدي أمير البصرة لسليمان ، ولما ولي عمر عزله،

ولما مات عمر أخرجه خواصه من السجن ، فوثب على البصرة وفرّ عاملها عدي بن

أرطاة الفزاري ، فوجه عليه يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة فقتل في صفر في المعركة ،

وقيل : بل حبسه الحجاج وعذبه ، وهو الذي جزم به الأسنوي^(٣) في طبقاته ، وكان

كريمًا ممدحًا، وكان المهالبة في دولة الأمويين كالبرامكة في دولة العباسيين في الكرم .

وفيهما يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج وكاتبه وخليفته على العراق بعد

موته وأقرّه الوليد ، وقال الوليد في حقه : مثلي ومثل الحجاج ويزيد كرجل ضاع له

درهم فلقي ديناراً . فضّل يزيد بلاغته وعقله ، واستحضره سليمان بعد موت الوليد

فرآه دميماً كبير البطن فقال : لعن الله من أشركك في إمامته ، فقال : يا أمير المؤمنين،

(١) في ب : بعدها .

(٢) ما بين القوسين نقص في الأصل ، واستدرك من ب .

(٣) في الأصل كلمة غير مقروءة ، وفي ب : بياض ، ولعل ما أثبت الصواب .

رأيتني والأمور مدبرة عني ولو رأيتني والأمور مقبلة إلي لعظمتني ، فقال : قاتله الله ما أشد قوله وأعضب لسانه • ثم قال له سليمان : أتري صاحبك يهوي في النار أم قد استقر في قبرها ؟ فقال : عن يمين الوليد ويسار عبد الملك فأجعله حيث أحببت ، فقال سليمان : قاتله الله ما أوفاه لصاحبه ، إذا اصطنعت الرجال فلتصطنع مثل هذا ؛ فهم سليمان باست كتابه ؛ فقال له عمر بن عبد العزيز : لا تحي ذكر الحجاج ، فقال : إني كشفت عنه فلم أجد خيانة في دينار ولا درهم ، فقال له عمر : إبليس لم يخن فيهما ، وهذا هو قد أهلك الخلق ، فتركه سليمان •

وفيها توفي الضحاك بن مزاحم الهلالي (١) صاحب التفسير فقيه مكة •

سنة ثلاث ومائة

توفي عطاء بن يسار المدني الفقيه مولى ميمونة أم المؤمنين • روى عن كبار الصحابة •

وفيها الإمام أبو الحجاج مجاهد بن حسين عن نيف وثمانين سنة ، قرأ على ابن عباس ثلاث مرات ، فقال له ابن عمر : وددت أن فافعاً حفظ حفظك •

وفيها مصعب بن سعد بن أبي وقاص الزهري كثير الحديث •

وفيها موسى بن طلحة بن عبيد الله التيمي أفضل إخوته بعد محمد ، وكان يسمى المهدي •

ومقرىء الكوفة يحيى بن وثاب • قال الأعمش : إذا رأيت قات هذا وقف للحساب يعد ذنوبه •

وفيها يزيد بن الأصم العامري بن خالد بن عياش روى عن خالته ميمونة وطائفة •

(١) الهلالي : ليس في الأصل ، واستدركت من ب •

سنة أربع ومائة

وقيل في التي بعدها توفي الإمام الحبر العلامة أبو عمرو عامر بن شراحيل^(١) الشعبي الكوفي وله بضع وثمانون سنة • وشعب : بطن من همدان • مر به ابن عمر وهو يحدث بالمغازي فقال : شهدتها وهو أعلم بها مني • وعنه قال : بعثني عبد الملك إلى ملك الروم^(٢) فأقمت عنده أياماً ، فلما أردت الانصراف قال لي : من بيت الملك أنت ؟ قلت : بل رجل من العرب فدفع إلي رقعة فقال : أدها إلى صاحبك • فلما قرأها عبد الملك قال : أتدري ما فيها ؟ قلت : لا ، قال : فإن فيها : عجباً لقوم فيهم هذا كيف ملكوا غيره ! فقلت : والله لو علمت ما حملتها ، وإنما قال هذا لأنه لم يرك ، فقال عبد الملك : بل حسدني عليك فأغراني بقتلك ، فبلغ ذلك ملك الروم فقال : ما أردت إلا ذاك •

قال له أبو بكر الهذلي : تحب الشعر ؟ قال : إنما يحبه فحول الرجال ويكرهه مؤثوهم • قال : ما أودعت قلبي شيئاً فخأنتني قط • وقال : إنما الفقيه من تورّع عن محارم الله تعالى ، والعالم من يخاف الله تعالى • وقال : اتقوا القاصر من العلماء والجاهل من المتعبدين • وقال : أدركت خمسمائة أو أكثر من الصحابة • ودخل الشعبي مع زياد على هند بنت النعمان في دبرها فإذا هي وأختها جالستان عليهما ثياب سود ، قال الشعبي : فما أسنى جمالهما ، وقد كان كلمها المغيرة بن شعبة في الزواج فقالت : أردت أن يقال تزوج هند بنت النعمان بن المنذر إن ذلك غير كائن ، فقال لها زياد : حدثيني عن ملككم وما كنتم فيه ، فقالت : أجمّل أم أبين ؟ فقال لها : أجملي ، فقالت : أصبحنا وكل من رأيت عبيد لنا وأمسينا وعدونا يرحمنا •

وفيها توفي خالد بن معدان الكلاعي الفقيه العابد ، قيل : كان يسبح كل يوم أربعين ألف تسيحة •

(١) في ب : عامر بن مرة بن شراحيل •

(٢) ملك : ليس في الأصل ، واستدركت من ب •

وفيهما توفي عامر بن سعد بن أبي وقاص ، وكان ثقة كثير الحديث •

وفيهما أو في سنة سبع ، توفي أبو قلابة الجرمي عبد الله بن زيد ، الإمام البصري ، طلب للقضاء فهرب ونزل الشام ، فنزل داريا ، وكان رأساً في العلم والعمل ومناظرته مع علماء عصره في القسامة بمحضر عمر بن عبد العزيز مشهورة في الصحيح ، وفلجهم بظاهر الحديث (١) •

وفيهما أو في التي قبلها ، وقيل: في سنة ست أو سبع توفي أبو بردة عامر بن (٢) أبي موسى الأشعري ، ولي قضاء الكوفة بعد شريح ، وله مكارم ومآثر مشهورة ، وولي القضاء في البصرة (٣) بعد ابنه بلال ، وكان ممدحاً ، وفيه يقول ذو الرمة :

رأيت الناس ينتجعون غيثاً فقلت لصيدحٍ انتجعي بلالا
يعني ناقته • فأبو موسى وبنوه كلهم ولي القضاء •

سنة خمس ، أو سبع ، ومائة

توفي أبو صخر كثير بن عبد الرحمن الخزاعي صاحب عزة ، وإنما صغّر لشدة قصره ، وكان يحق ، وهو من غلاة الشيعة المؤمنين بالرجعة ، وكان بمصر وعزّة بالمدينة ، فسافر ليجتمع بها فلقبها بالطريق متوجهة إلى مصر ، وجرى بينهما كلام طويل ، ثم يمت في سفرها إلى مصر ، وتأخر بعدها كثير ، ثم عاد إلى مصر ، فجاء والناس منصرفون من جنازتها •

وروي أن عزة دخلت على أم البنين بنت عبد العزيز أخت عمر بن عبد العزيز وزوجة الوليد بن عبد الملك فقالت لها : رأيت قول كثير :

قضى كل ذي دين فوقى غريمه وعزة ممطول "مُعنى غريمها

(١) في ب : بظاهر الدليل . (٢) في ب : عامر بن بلال بن أبي موسى •

(٣) في الأصل : الكوفة ، وما اثبت من ب ، ولعله الصواب .

فقال: ما هذا الدين؟ فقالت: وعدته قبلة فتخرجت منها، فقالت أم البنين: أنجزها وعلي إثمها • فقيل: إن أم البنين أعتقت في ذلك رقاباً • وكان لكثير غلام عطار بالمدينة فباع من عزة ونسوة معها نسيئة ثم علم أنها عزة فأبرأها، فقال كثير: أنت حر، ووهبه العطر الذي عنده •

وحكي أن عبد الملك حين أراد الخروج لقتال مصعب بن الزبير عرضت له زوجته عاتكة بنت كعب بن يزيد بن معاوية فلم يقبل منها، فبكت وبكى حشمها، فقال عبد الملك: قاتل الله كثيراً كأنه رأى يومنا هذا بقوله:

إذا ما أراد الغزو لم يثن هممه حصاناً عليها نظم در زينها
نهته فلما لم تر النهي عاقه بكت فبكى مما شجها قطينها

والقطين الخدم والأتباع •

وفيهما مات خليفتهما أبو خالد يزيد بن عبد الملك بن مروان، وجده لأمه يزيد بن معاوية: عاش أربعاً وثلاثين سنة، وولايته أربع سنين وشهر، وكان أبيض جسيماً متلفاً للمال، أعطى حلاقاً خلق له رأسه أربعة آلاف درهم، ووقع مثل ذلك ليزيد بن المهلب، فلعله اشتبه على بعض المؤرخين اسمهما •

وفيهما أو في النبي بعدها أو قبلها، توفي عكرمة مولى ابن عباس، أحد فقهاء مكة من التابعين الأعلام، أصله من البربر، وهب لابن عباس فاجتهد في تعليمه، ورحل إلى مصر وخراسان واليمن وأصبهان والمغرب وغيرها، وكانت الأمراء تكرمه، وأذن له مولاه بالفتوى • وقيل لسعيد بن جبير: هل تعلم أحداً أعلم منك؟ فقال: عكرمة، ولما مات مولاه باع ابنه علي من خالد بن يزيد بن معاوية بأربعة آلاف دينار، فقال له عكرمة: بعث علم أبيك بأربعة آلاف؟! فاستقاله فأقاله ثم أعتقه • قيل: مات هو وكثير عزة في يوم واحد، وصلي عليهما جميعاً، فقيل: مات أफقه الناس وأشعر الناس •

وفيهما على الأصح توفي أبو رجاء العطاردي بالبصرة عن مائة وعشرين سنة، وكان أسلم في حياة النبي ﷺ وأخذ عن عمر وطائفة •

وفيها الأخوان عبد الله وعبيد الله ابنا عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وأبان بن عثمان بن عفان الأموي المدني الفقيه ، روى عن أبيه •

سنة ست ومائة

وفيها استعمل هشام بن عبد الملك على العراق خالد بن عبد الله القسري ، فدخلها وقبض على واليها عمر بن هبيرة الفزاري ، فنقب له غلماته السجن وهرب إلى الشام ، فاستجار بمسلمة بن عبد الملك ، ثم مات على القرب •

وفيها مات عبد الملك قاضي الكوفة بعد الشعبي ، رأى علياً وروى عن جابر ، وعنه قال : كنت عند عبد الملك بقصر الكوفة فجيء برأس مصعب بن الزبير ، فارتعت لذلك ، فقال : مالك ؟! قلت : أعيدك بالله يا أمير المؤمنين كنت في هذا القصر مع عبيد الله بن زياد فرأيت رأس الحسين بن علي بن أبي طالب بين يديه ، ثم رأيت رأس عبيد الله بين يدي المختار في هذا المكان ، ثم رأيت رأس المختار بين يدي مصعب في هذا المكان ، ثم هذا رأس مصعب ، فأمر عبد الملك بهدم ذلك الطاق •

وفيها سالم بن عبد الله بن عمر الفقيه الزاهد العابد ، قال مالك : لم يكن أحد في زمانه أشبه بمن مضى من الصالحين منه ، وكان خشن العيش ، يخدم نفسه ، ويلبس الصوف ، قيل : وأصح الأسانيد الزهري عن سالم عن أبيه ، وقيل : مالك عن نافع عن ابن عمر [والشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر]^(١) وهي سلسلة الذهب •

دخل سليمان بن عبد الملك الكعبة فرأى سالماً واقفاً فقال له : سلمي حوائجك ، فقال : لا والله لاسأت في بيت الله غير الله ، وكان أبوه يقبله ويقول : ألا تعجبون من شيخ يقبل شيخاً؟! وقال شعراً :

يلومونني في سالم وألومهم
وجلدة بين العين والأنف سالم

(١) ما بين القوسين نقص من الأصل ، استدرك من ب •

وفيها مات الإمام طاووس بن كيسان اليميني الجَنْدِي الخولاني . قال عمرو بن دينار : ما رأيت أحداً قط مثل طاووس . ولما ولي عمر بن عبد العزيز كتب إليه : إن أردت أن يكون عملك كله خيراً فاستعمل أهل الخير . فقال عمر : كفى بها موعظة . توفي حاجاً بمكة قبل يوم التروية بيوم ، وصلى عليه هشام بن عبد الملك وأراد الخروج عليه فلم يقدر لكثرة الناس ، ووضع عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب السرير على كاهله وسقطت قلنسوته ، ومزق رداؤه من خلفه للزحام . قيل : إنه ولي قضاء صنعاء والجند ، ووليه بعده ابنه عبد الله . قيل : سئل طاووس عن مسألة فقال : أخاف إن تكلمت ، وأخاف إن سكت ، وأخاف أن أؤخذ من الكلام والسكوت .

وفيها أبو مخلد لاحق بن حميد البصري ، لقي كبار الصحابة كأبي موسى وابن عباس . قال هشام بن حسان : كان قليل الكلام فإذا تكلم كان من الرجال .

سنة سبع ومائة

توفي سليمان بن يسار أحد فقهاء المدينة السبعة . كان ابن المسيب يقول : اذهبوا إليه فإنه أعلم من بقي اليوم ، وله إخوة مشهورون منهم عطاء بن يسار .
وفيها قيل : وفي سنة ثمان أو إحدى أو اثنتين ومائة ، مات أيضاً أحد الفقهاء السبعة القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، نشأ في حجر عائشة . قال عمر بن عبد العزيز : لو كان أمر الخلافة إلي ما عدلت عن القاسم . وقال ابن عيينة : كان أفضل أهل زمانه . وجاءه رجل فقال : أنت أعلم أم سالم ؟ فقال : ذلك مبارك يعني سالماً . قال ابن إسحاق : كرهه أن يقول : هو أعلم فيكذب ، أو يقول : أنا أعلم فيزكي نفسه .

وفيها يزيد بن عبد الله الشخير عاش نحو تسعين سنة ، وكان ثقة موصوفاً بالعلم والصلاح والورع .

سنة عشر ومائة

توفي الإمام كبير الشأن أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري ، ولد لسنتين بقينا من خلافة عمر ، وسمع خطبة عثمان ، وشهد يوم الدار ، أبوه مولى زيد بن ثابت ، وأمه مولاة أم سلمة ، وكان ربما أعطته أم سلمة ثديها في صغره تعلقه به حتى تجيء أمه فيدر عليه ، فيرون أن علمه وفصاحته وورعه من بركة ذلك ، وكان جميلاً ، قال أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت أفصح من الحسن والحجاج ، قيل : ولا أشعر من رؤبة والعجاج . ولما ولي ابن هبيرة العراق وخراسان نيابةً عن يزيد بن عبد الملك استدعى الحسن وابن سيرين والشعبي وذلك في سنة ثلاث ومائة فقال لهم : إن الخليفة كتب إلي بأمر فأقلده ما تقلد من ذلك الأمر . فقال ابن سيرين والشعبي قولاً فيه بعض تقيّة ، فقال : ما تقول يا حسن ؟ فقال : يا ابن هبيرة خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله ؛ فإن الله يمنعك من يزيد ولا يمنعك يزيد من الله ، ويوشك أن يرسل إليك ملكاً فيزيلك عن سريرك ، ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك ، ثم لا ينجيك إلا عملك ، يا ابن هبيرة إياك أن تعصي الله ، فإنما جعل الله هذا السلطان ناصرًا لدين الله وعباده ، فلا تترك دين الله وعباده لهذا السلطان ، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . فأضعف جائزة الحسن عليهما ؛ فقالا له : قشَقْشَنَا ، فقشَقش لنا ، والقشَقشة الرديء من العطية .

وكتب إليه عمر بن عبد العزيز يقول له : إني قد ابتليت بهذا الأمر فاظر لي أعواناً يعينوني عليه . فكتب إليه الحسن : أما أبناء الدنيا فلا تريدهم وأما أبناء الآخرة فلا يريدونك ، فاستعن بالله والسلام . وله مع الحجاج وقعات هائلة وسلمه الله من شره ، وربما حضر مجلسه فلم يقم له بل يوسع له ويجلس إلى جنبه ولا يغير كلامه الذي هو فيه ، ويروى أنه رأى كأنه لابس صوف وفي وسطه كستيج^(١)

(١) الكستيج : خيط غليظ يشده الدمى فوق ثيابه دون الزنار معرب كسنتي ، والكسنتج : الحزمة من الليف معرب . (القاموس) .

وفي رجليه قيد وعليه طيلسان عِبْلِي (١) وهو قائم على مزبلة وفي يده طنبور يضرب به وهو مستند إلى الكعبة . فقُصت رؤياه على ابن سيرين فقال : أما لبسه الصوف فزهده ، وأما كُستَجته فقوته في دين الله ، وأما طيلسانه الأخوي فسجته للقرآن وتفسيره للناس ، وقيدته ثباته في ورعه ، وقيامه على المزبلة دنياه تحت قدميه ، وضربه الطنبور نشره الحكمة بين الناس ، واستناده إلى الكعبة التجاؤه إلى الله .

ورُئيَ أيضاً كأنه عريان لا يستحيي من الناس وييده سيف يشق به أحجاراً ، فقُصت على ابن سيرين ، فقال : أما تجرده فقلته ذنوبه وإخلاصه بين الناس ، وسيفه لسانه وكلمته ، والأحجار قلوب الناس ، وشقها دخول وعظه فيها .

وقال أبو بكر الهذلي : قال السفاح : بأي شيء بلغ حَسَنُكُمْ ما بلغ ؟ فقال : جمع القرآن وهو ابن اثنتي عشرة سنة ، ثم لم يخرج من سورة إلى غيرها حتى يعلم تفسيرها وفيه أنزلت ، ولم يقلب درهما في تجارة ، ولا ولي سلطاناً ، ولا أمر بشيء حتى يفعله ، ولا نهى عن شيء حتى يدعه ، فقال : بهذا بلغ الشيخ ما بلغ .

وجل كلامه حكم ومواعظ بقوة عبارة وفصاحة .

ولما حضرته الوفاة أغمي عليه ثم أفاق فقال : لقد نبهتموني من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم .

وقال رجل قبل موته لابن سيرين : رأيت كأن طائراً أخذ حصاة ، فقال : إن صدقت رؤياك مات الحسن ، فمات بعد ذلك ، ولما شيع الناس جنازته لم تقم صلاة العصر في الجامع ، ولم يكن ذلك منذ قام الإسلام .

وفي شوال من يوم الجمعة منها توفي شيخ البصرة إمام المعبرين محمد بن سيرين بعد موت الحسن بمائة يوم ، وكان غاية في العلم نهاية في العبادة ، روى عن كثير من الصحابة وروى عنه الجهم الغفير من التابعين ، وأريد للقضاء ففر إلى الشام ثم

(١) عبلة : جارية من قريش أم قبيلة يقال لهم العبلات والنسبة عبلي .
(القاموس) .

إلى المدينة • كان أبوه عبداً لأنس بن مالك كاتبه على أربعين ألف درهم ، وقيل :
 عشرين • وأمه مولاة لأبي بكر الصديق طيبتها ثلاث من أزواج رسول الله ﷺ ودعون
 لها ، وحضر إملأها ثمانية عشر رجلاً بدرياً وكانوا يؤمنون وأبي بن كعب يدعو •
 ولد لستين بقيتا من خلافة عثمان • قال ابن عون : لم أر مثله ، وقال الشعبي : علم
 هذا الأصم نهاية^(١) ، لأنه كان قد أصابه صمم ، وله في العبادة عجائب • قال له رجل :
 رأيت على ساق رجل شعراً كثيراً فقال : يركبه دين ويموت في السجن فقال له الرجل :
 أنت هو ؛ فاسترجع ، ومات في السجن وعليه أربعون ألف درهم فقضاها عنه بعض
 إخوانه ، وقيل : قضاها ولده عبد الله ، وقوم ماله بستمائة ألف^(٢) درهم ، وولد له
 ثلاثون ولداً من امرأة واحدة عربية لم يبق منهم غير عبد الله •

وقالت له امرأة : رأيت كأن القمر دخل في الشريا ونادى منادٍ من خلفي : قضي
 على ابن سيرين ؛ فاصفر لونه وقام وهو أخذ ببطنه ، فقالت له عمته : مالك ؟ فقال :
 زعمت هذه المرأة أنني أموت إلى سبعة أيام ، فدفن في اليوم السابع •

وقال له رجل : رأيت طائراً سميناً ما أعرفه نزل من السماء فوق^(٣) على شجرة
 وجعل يلتقط الزهر ثم طار ؛ فتغير وجه ابن سيرين وقال : هذا موت العلماء •

وفيهما توفيت فاطمة بنت الحسين التي أصدقها الدياج عبد الله بن عمرو بن
 عثمان ألف ألف درهم ، وتزوج أختها سكينه مصعب بن الزبير هي وعائشة بنت
 طلحة •

وفيهما الشاعران المشهوران جرير والفرزدق • قال بن خلكان : أجمعوا على
 أنه ليس في شعراء الإسلام مثلهما ، والأخطل ، وكان بينهما مهاجاة وتفاحر ، وفضل
 جرير في شعره في أبياته الأربعة : الفخر والمدح والهجاء والتشبيب ، فالفخر قوله
 في قومه :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

(١) في ب : عليكم بهذا الأصم يعنيه • (٢) في ب : بثلاثمائة ألف •

(٣) في الأصل : نزل ، وما أثبت من ب •

والمدح قوله :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

والهجاء قوله :

ففض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

والتشبيب قوله :

إن العيون التي في طرفها حور^١ وهن أضعف خلق الله أركاناً
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به

قال الياضي : وقد رجح كثير من المتأخرين أو أكثرهم ثلاثة متأخرين : أبا تمام
والبخري والتمنبي ، واختلفوا في ترجيح أيهم ، فرجح الفقيه حسين قول شرف الدين
ابن خلكان ، وذلك أن الأولين سبقوا إلى ابتكار المعاني الجزيلة بالألفاظ البليغة ،
وأحسن حالات المتأخرين أن يفهموا أغراضهم وينسجوا على منوالهم ويبقى لهم
فضيلة السبق ، والله أعلم •

ويقال لجرير ابن الخطمي ولعلها أمه ^(١) وأما أبوه فعطية ، وهو تسمي • ومن
أفضل قول جرير وأفضحه قصيدته في عبد الملك بن مروان التي أولها :

أتصحو أم فؤادك غير صاح عشية هم صحبتك بالروح
سأشكر أن رددت إلي ريشي وأنت القوادم في جناحي
ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

وقال عبد الملك : من مدحنا فليمدحنا بمثل هذا أو فليسكت ، ووهبه مائة ناقة ،
وسأله الرعاة فوهبه ثمانية أعبد ، ورأى صحاف الذهب بين يديه فقال : يا أمير
المؤمنين والمحب ، وأشار إليها ، فنحاهما إليه بالقضيب ، وقال : خذها لا تفعتك •

وكان عمر بن عبد العزيز لا يأذن لأحد من الشعراء غيره ، ولما مات الفرزدق
بكى جرير وقال : إني لأعلم أني قليل البقاء بعده ، ولقد كان نجمنا واحداً وكان كل

(١) الخطمي كجمري : لقب حذيفة جد جرير . (القاموس المحيط - خطف) •

منا مشغولاً بصاحبه ، وقلما مات ضدك أو صديق إلا وتبعه صاحبه ، وبقي حزينا
 وقال : أطفأ موت الفرزدق جمرتي وأسأل عبرتي وقرب منيتي ، فعاش بعده أربعين
 يوماً ، وقيل : ثمانين ، وكان وفاة جرير باليمامة وقد نيف على الثمانين ، ووفاة الفرزدق
 بالبصرة وقد قارب المائة • وأما الفرزدق فهو أبو الأخطل^(١) همام بن غالب المجاشعي
 التميمي من سرة قومه ، وأمه ليلى بنت حابس أخت الأقرع بن جابس • تمارى أبوه
 غالب هو وسحيم بن وثيل الرياحي : نحرنا ناقة ناقة ثم ثنتين ثنتين ثم ثلاثاً ثلاثاً وفي
 اليوم الرابع نحر غالب مائة ولم يكن عند سحيم هذا القدر فعجز ، ولما انقضت
 المجاعة وزال الضر قال بنو رباح لسحيم : جررت علينا عار الدهر فلو نحرنا مثله
 أعطيناك مكان الناقة ناقتين ، فنحر ثلاثمائة وقال للناس : شأنكم والأكل ؛ فهى علي
 كرم الله وجهه عن أكلها ، فألقيت على كناسة الكوفة ؛ وفي ذلك يقول جرير في هجو
 الفرزدق :

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم بني ضو طرى لولا الكمي المقنعا

يقول : هلا افتخرتم بالشجاعة؟! •

وهدم الوليد بن عبد الملك بيعة النصارى ، فكتب إليه الأخرم ملك الروم : إن
 من قبلك أقرها ، فإن أصابوا فقد أخطأت ، وإن أصبت فقد أخطؤوا ، فقال له الفرزدق :
 اكتب إليه : (ودأود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا
 لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً) •

واجتمع الحسن البصري والفرزدق في جنازة نوار امرأة الفرزدق فقال له
 الفرزدق : أتدري ما يقول الناس يا أبا سعيد ؟ قال : لا ، قال : يقولون اجتمع خير
 الناس وشر الناس ، فقال الحسن : لست بخيرهم ولست بشرهم ، لكن ما أعددت
 لمثل هذا اليوم ؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله منذ ستين سنة^(٢) فقال الحسن : نعم ،
 والله العدة •

(١) كذا في الأصل وب ، وسرد في الصفحة التالية أنه أبو فراس ، وفي كتاب الكنى

والأسماء للإمام مسلم ص ٩٠ : أبو فراس •

(٢) في ب : سبعين •

وعن أبي عمرو بن العلاء قال : شهدت الفرزدق وهو يجود بنفسه فما رأيت أحسن ثقةً بالله منه ويرجى له الزلفى والعائدة وعظيم الفائدة ، بحميته في أهل بيت رسول الله ﷺ ومدحه لزين العابدين علي بن الحسين وإعراجه عن الرغبة والرغبة ، وذلك أن زين العابدين لما أراد استلام الحجر في زحمة الناس تفرجوا عنه هيبة ومحبة فقال شامي : من هذا ؟ فقال هشام بن عبد الملك : لا أعرفه ، خاف أن يرغب عنه أهل الشام ، فقال الفرزدق : أنا أعرفه ، فقال الشامي : من هو يا أبا فراس ؟ فقال :

هذا سليلٌ حسين وابن فاطمةٍ
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
إذا رأته قریش قال قائلهم
هذا ابنٌ خير عباد الله كلهم
ينمى إلى ذروة العزِّ الذي عجزت
يكاد يمسكه عرفانٌ راحته
في كفه خيزران عرفه عبق
يغضي حياءً ويغضى من مهابته
يبين بدر الهدى من بدر طلعته
مشتقةً من رسول الله نبعتُهُ
الله شرفه قديماً وعظمه
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله
وليس قولك من هذا بضائره
كلتا يديه غياث عم فقعهما
سهلُ الخليفة لا تخشى بواده
حمال أنقال أقوام إذا فدحوا
لا يخلف الوعد ميمون نقيبته

عنه الغياية والإملاق والعدم
 كفر" وقربهم منجى ومعتصم
 أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم
 ولا يدانيهم قوم" وإن كرموا
 والأسد أسد الشرى والبأس يحتدم
 سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا
 في كل قول ومخنوم به الكلم
 خيم" كريم" وأيد بالندی هضم
 الدين من بيت هذا ناله الأمم
 لولا التشهد كانت لاء نعم

عم البرية بالإحسان فانتشعت
 من معشر حبشهم دين" وبعضهم
 إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم
 لا يستطيع جواد بعد غايتهم
 هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت
 لا يقبض عدم بسطاً من أكفهم
 مقدم بعد ذكر الله ذكرهم
 يأبى لهم أن يحل الذام ساحتهم
 من يعرف الله يعرف أولية ذا
 ما قال لا قط إلا في تشهده

فلما سمع هشام ذلك أنف وحبس عطاء الفرزدق ، أو حبسه هو ، فأنفذ له
 زين العابدين اثني عشر ألف درهم، فردها وقال: مدحته الله لللعطاء فقال زين العابدين:
 إنا أهل بيت إذا وهبنا شيئاً لاستعيده أبداً ، فقبلها الفرزدق ، والله أعلم •

وفيها توفي سليم بن عامر الكلاعي الحميري ، قيل : أدرك النبي ﷺ وروى
 عن أبي الدرداء وجده •

وفيها توفي عون بن مسعود أخو الفقيه عبد الله ، إمام زاهد قانت واعظ كثير
 العلم ، لقي ابن عباس والكبار •

سنة إحدى عشرة ومائة

توفي عطية بن سعد العوفي الكوفي ؛ ضربه الحجاج أربعين سوطاً على أن يشتم
 علياً فلم يفعل • والقاسم بن مثير الهمداني الكوفي الزاهد القائم •

سنة اثنتي عشرة ومائة

توفي بمكة (١) أبو المقدام رجاء بن حيوة الكندي كامل السؤدد ، قال مكحول:
هذا سيد أهل الشام • وقال سلم : في كندة رجاء بن حيوة وعبادة تونسي وعدي بن
عدي : إن الله لينزل بهم الغيث وينصر بهم على الأعداء • ونمي يوماً إلى عبد الملك
قول من بعض الناس فهم أن يعاقب صاحبه ، فقال له رجاء : يا أمير المؤمنين قد فعل
الله لك ما تحب حيث أمكنك منه فافعل ما يجب الله من العفو ، فعفا عنه وأحسن إليه •

وفيهما القاسم بن عبد الرحمن الدمشقي الفقيه الفاضل ، أدرك أربعين من
المهاجرين والأنصار •

وفيهما طلحة بن مصرف الهمداني الكوفي ، كان يسمى سيد القراء وما ترك
بعده مثله •

سنة ثلاث عشرة ومائة

توفي فقيه أهل الشام مكحول مولى هذيل ، قال أبو حاتم : لم يكن في زمنه
أبصر بالفتيا منه ولا يفتي حتى يقول : لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ويقول:
هذا رأيي والرأي يخطيء ويصيب [وفيها عزل مسلمة عن أذربيجان ونواحيها ووليها
مروان الحمار] (٢) •

(١) بمكة : ليست في الأصل ، واستدركت من ب .

(٢) مابين القوسين ليس في الأصل ، واستدركت من هامش النسخة ب .

سنة أربع عشرة ومائة

توفي الإمام عطاء بن أبي رباح المكي مولى قریش، انفرد بالفتيا بمكة هو ومجاهد وأدركا خلفاً من الصحابة ، وكان بنو أمية يصيحون في الموسم لايفتي أحداً غيره • قال أبو حنيفة : ما رأيت أفقه منه • وكان بينه المسجد عشرين سنة ، وكان لا يفتر من الذكر ، وما يروى عنه أنه كان يرى إباحتها وطء الإماء بإذن أهلهن ، وأنه كان يبعث بهن إلى أضيافه ، فقد قال القاضي شرف الدين أحمد بن خلکان : اعتقادي أن هذا لا يصح [عنه] ^(١) ، فإنه لو رأى الحل فإن العزة والمروءة تمنعه عن ذلك •

قال الياقبي : ينبغي أن يحتمل بعثن لسماح القول منهن نحو ما نقل عن بعض مشايخ الصوفية أنه كان يأمر جواريه يسمعن أصحابه ، وفيه أيضاً ما فيه ، فإن صح فيحمل على ما إذا لم يحصل فتنة بحضورهن وسماعهن إذا قلنا إن صوت المرأة ليس بعورة ، والله أعلم •

وفيهما ، وقيل في سنة ثمان أو تسع عشرة توفي أبو محمد علي بن عبد الله بن عباس جد السفاح والمنصور ، وكان سيداً شريفاً أصغر أولاد أبيه ، وأجمل قرشي على وجه الأرض وأوسمه ، وأكثره صلاة ، ولذلك دعي بالسجاد ، كان له خمسمائة أصل زيتون يصلي تحت كل زيتونة ركعتين فالمجموع ألف ركعة •

روي أن علياً جاء إلى ابن عباس يهنئه يوم ولد فقال له : شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب ، ما سميته ؟ قال : أو يجوز أن أسميه حتى تسميه ! ثم حنكه ودعا له وقال : وجدت ابنك أبا الخلائف والأملك ، سميته علياً وكنيته أبا الحسن • وقيل : إنه ولد يوم قتل علي ، وهو يناقض ما تقدم • ولما كان في زمن معاوية قال : ليس لك اسم وكنية ، قد كنيته أبا محمد فحزن عليه • وضربه الوليد بن عبد الملك مرتين : مرة في تزويجه لمطلقة عبد الملك لبابة بنت عبد الله بن جعفر •

(١) عنه : ليست في الأصل ، وهي مثبتة في ب . وهي هامة في مكانها ؛ لأنها إن حذف دلت على أنه رأي لابن خلکان ، وإن أثبتت دلت على نفيه لصحتها عن عطاء .

وسبب طلاق عبد الملك لها أنه عض تفاحة وكان أبخر ثم رمى بها إليها فاستقذرتها •
والثانية في قوله : إن الأمر سيكون في ولدي ، فطافوا به على بعير على أسوأ حال
وهو يقول : والله لتكونن فيهم •

ودخل على هشام بن عبد الملك ومعه ابنه^(١) الخليفةان السفاح والمنصور
فأوسع له في سريره وبره بثلاثين ألف دينار ، وأوصاه علي بابن ابنه حين انفصل ،
وكان إذا قدم مكة اشتغلت به قريش وأهل مكة [إجلالاً له]^(٢) ، وكان شريفاً
طويلاً جميلاً • قيل : وكان طوله إلى منكب أبيه عبد الله وعبد الله إلى منكب أبيه
العباس والعباس إلى منكب أبيه عبد المطب • ووفاه الوليد إلى الحميمة فولد له
نيف وعشرون ولداً ذكراً ، ولم يزل ولده بها إلى أن زالت دولة بني أمية • وتوفي عن
ثمانين سنة بأرض البلقاء رحمه الله •

وفيهما توفي الباقر أبو جعفر محمد بن زين العابدين بن علي بن الحسين بن
علي رضي الله عنهم ، أحد الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية ، سمي الباقر لأنه
بقر العلم أي شقه وتوسّع فيه ، مأخوذ من بقر الأسد الفريسة أي شقها • قال عبد الله
ابن عطاء : ما رأيت العلماء عند أحد أصغر منهم علماً عنده • وله كلام نافع في الحكم
والمواظ منه :

أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤونة وأكثرهم معونة ، إن نسيت ذكرك وإن
ذكرت أعانوك ، قوالون بحق الله قوامون بأمر الله ، فأنزل الدنيا كمنزل نزلته وارتحلت
عنه ، أو كمالٍ أصبته في منامك فاستيقظت وليس معك منه شيء •

مات رحمه الله عن ست وخمسين سنة ، ودفن بالبقيع مع أبيه وعم أبيه الحسن
والعباس رضي الله عنهم •

(١) ورد في حاشية النسخة ب ما يلي : « قوله : ودخل على هشام ومعه ابنه
الخليفةان .. الخ لا يستقيم إذ أبو الخليفتين ولد المذكور محمد بن علي ؛ ففي الكلام
خط » ، وهو تعليق صحيح ، إلا أنه قد يحمل على أن حفيديه ابنه .

(٢) مابين القوسين ليس في الأصل ، واستدرك من ب .

وتوفي فيها أبو عبد الله وهب بن منبه اليماني الصنعاني بصنعاء عن ثمانين أو تسعين سنة • روى عن ابن عباس ، وقيل : وأبي هريرة وغيره من الصحابة ، وولي القضاء لعمر بن عبد العزيز ، وكان شديد الاعتناء بكتب الأولين وقصص الماضين ، تشبه بكعب الأخبار • وعنه قال : قرأت من كتب الله المنزلة اثنين وسبعين كتاباً • وله مصنف في ذكر ملوك حمير مفيد • وله إخوة أجملهم همام روى عن الصحابة وهو أكبر من وهب ، وهم من الأبناء أبناء فارس الذين سيرهم كسرى أنوشروان مع أبي مرة سيف بن ذي يزن الحميري وكانوا ثمانمائة ، مقدمهم هرز ، غرق منهم في البحر مائتان وسلم ستمائة قاله ابن إسحق • وقال ابن قتيبة : كانوا سبعة آلاف وخمسائة ، ورجحه أبو القاسم السهلي إذ يبعد مقاومة الحبشة بستمائة • وفي القصة أن سيفاً والفرس استظفروا على الحبشة ، وقتلوه ، وملكوا سيفاً ، فأقام أربع سنين وقتله خدمه من الحبشة ، ولم يملك اليمن بعده ملك ، بل كل أهل ناحية ملكوا رجلاً من حمير حتى جاء الإسلام • ويقال : إنها بقيت في أيدي الفرس إلى أن بعث النبي ﷺ وباليمن عاملان منهم أحدهما فيروز الديلمي والآخر رادونه فأسلما ، وهما اللذان دخلا على الأسود العنسي مع قيس بن المكشوح لما ادعى الأسود النبوءة فقتلوه •

وأولاد الفرس باليمن يدعون الأبناء ، منهم طاووس وعمرو بن دينار وغيرهم • وورد أن كسرى أبرويز لما مزق كتاب النبي ﷺ أرسل إلى عامله بصنعاء باذان ، وهو الرابع بعد هرز ، يأمره أن يسير إلى النبي ﷺ ، فكتب إليه النبي ﷺ يخبره أن الله وعدني أن يقتل كسرى في يوم كذا وكذا فانتظر ذلك • وكان كما قال ، فأسلم باذان وأهل اليمن •

وفيهما ، وقيل : أو في التي قبلها توفي الحكيم ابن عقيلة^(١) الكوفي مولى كندة الفقيه النيه •

وفيهما الضحاك بن فيروز الديلمي الأنباري صاحب ابن الزبير وعمل له على بعض أهل اليمن •

(١) كذا في الأصل وفي ب ، وأما في هامش ب فهو : عشية ، وفوقها حرف (ط) .

سنة ست عشرة ومائة

توفي عدي بن ثابت الأنصاري وعمرو بن مرة المرادي قال مسفر : ما أدركت أفضل منه • ومحارب بن دثار السدوسي قاضي الكوفة •

سنة سبع عشرة ومائة

توفي أبو الحباب سعيد بن يسار المدني مولى ميمونة • وعبد الله بن هرير^(١) الأعرج ، وعبد الله بن أبي مليكة اليميني المدني ولي القضاء لابن الزبير وكان مؤذناً في الحرم •

وفيها فقيه دمشق عبد الله بن^(٢) زكريا الخزاعي ، كان عمر بن عبد العزيز يجلسه معه على السرير •

وفيها ، وقيل : في سنة ثمان عشرة توفي الحافظ أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي عالم البصرة ، قال : أقمت عند سعيد بن المسيب ثمانية أيام فقال : ارتحل عني فقد أنزقتني • قال قتادة : ما قلت لمحدث قط أعده علي •

وفيها مات قاضي الجزيرة ميمون بن مهران ، وكان من العلماء^(٣) •

وفيها مات فقيه المدينة أبو عبد الله الديلمي مولى عبد الله بن عمر ، كان من جلة التابعين ، بعثه عمر بن عبد العزيز إلى مصر يعلمهم السنن •

وفيها توفيت السيدة سكينة بنت الحسين بن علي ، واسمها آمنة ، وقيل : أمينة ، وسكينة لقب ، وأمها الرباب بنت امرئ القيس بن عدي • تزوجها مضعب بن الزبير ، ثم عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام ، ثم عمرو بن عثمان بن عفان فأمره سليمان بن عبد الملك بطلاقها • وجمالها وحسن خلقها مشهور ، ولها

(١) في ب : عبد الرحمن • (٢) في ب : عبد الله بن يحيى بن زكريا •

(٣) في ب زيادة : العاملين •

نوادر منها : أنها لما سمعت مرثية عروة بن أذينة وكان من أعيان العلماء الصالحاء في أخيه بكر وقوله فيها :

على بكر أخي فارقت بكرا وأي العيش يصلح بعد بكر

قالت سكينه : ومن بكر هو ذلك الأسود الذي كان يمر بنا ؟ قيل : نعم ، قالت : لقد طاب بعده كل عيش حتى الخبز والزيت •

توفيت سكينه بالمدينة ، والعامه تزعم أنها بمكة في طريق العمرة •

وفيها مات ذو الرثمة الشاعر أحد عشاق العرب ، ومعشوقته ميّة بنت مقاتل ابن طليب بن قيس بن عاصم المنقري النهمي الذي قال فيه رسول الله ﷺ حين وفد عليه : هذا سيد أهل الوير ، وهو أول من وأد البنات غيرةً وأنفة ، وفيهما يقول أبو تمام :

ما ربع ميّة معموراً يطيف به غيلان أبهى رؤى من ربعها الخرب

وهو من بني عامر بن صعصعة • وسبب فتنته بها أنه لحظها وهي خارجة من خبائها فخرق ثيابه ثم دنا يستطعم حديثها ، فقال : إني مسافر وقد تحرقت أرداني فأصلحها لي ، فقالت : والله إني لخرقاء ، والخرقاء التي لا تحسن العمل لكرامتها على أهلها ، فنسبت بالخرقاء • والرمة بضم الراء : الجبل البالي ، وبكسرهما : العظم البالي •

سنة ثمان عشرة ومائة

فيها مات عمر بن سعيد، أبو عثانة^(١) بالعين المهلهة والسين المعجمة وبنون •

سنة تسع عشرة ومائة

توفي إياس بن سلم بن الأكوع ، وصلب ابن أبي ثابت فقيه أهل الكوفة ، وقيس بن سعد المكي مفتيها بعد عطاء •

(١) في ب : عمر بن سعيد بن عثانة ، وفي الأصل : عمرة بن سعيد وأبو عثانة ، ويرجح أنهما رجل واحد هو عمر بن سعيد أبو عثانة •

سنة عشرين ومائة

توفي أنس بن سيرين ، وفقه الكوفة إسماعيل بن حماد بن أبي سليمان ، وكان مع علمه ونبله جواداً يفتقر كل ليلة من رمضان خمسمائة إنسان ، وعاصم بن عمرو بن قتادة بن النعمان الأنصاري الأخباري شيخ محمد بن إسحق صاحب السيرة والمغازي ، وأبو معبد عبد الله بن كثير الكناني مولاهم ، القاريء الأصيل ، قاضي الكوفة ، وأحد القراء السبعة ، وقاضي الجماعة ، قرأ على عبد الله بن السائب المخزومي ومجاهد ، وحدث عن ابن الزبير وغيره .

سنة إحدى وعشرين ومائة

فيها قتل الإمام الشهيد زيد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه (١) وكان قد بايعه خلق كثير ، وحارب متولي العراق يومئذ لهشام بن عبد الملك يوسف ابن عمر الثقفى ، فقتله يوسف وصلبه . ويوسف بن عمر أبوه عم الحجاج بن يوسف ، ولما خرج يدعو إلى طاعته أجابه طائفة وقالوا له : تبرأ من أبي بكر وعمر ونحن نبايعك فقال : بل أتبرأ ممن يتبرأ منهما . فقالوا : إذا نرفضك ، فسموا الرافضة من يومئذ وسميت شيعته زيدية .

وكان من أمر زيد رضي الله عنه أن هشاماً لما عرف كلامه واستجماعه لخصال الفضل كتب إلى عامله على الكوفة يوسف بن عمر بن أبي عقيل الثقفى يأمره أن يتوجه زيد إلى الحجاز ، ففعل ، فلما بلغ زيداً الحديث لحقته الشيعة وأخبروه أن الناس مجمعة عليه ، ولم يزالوا به حتى رجع فأقام بالكوفة سنةً يبائع الناس مستخفياً ، وبالبحرة نحو شهر ، وكان ممن بايعه منصور بن المعتمر ، ومحمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى ، وهلال بن خباب بن الأرت قاضي المدائن ، وابن شبرمة ، ومسعر ابن كدام وغيرهم ، وأرسل إليهم أبو حنيفة بثلاثين ألف درهم ، وحث الناس

(١) في بزيادة : بالكوفة .

على نصره ، وكان مريضاً ، وكان قد أخذ عنه كثيراً ، وحضر معه من أهله محمد بن عبد الله النفس الزكية وعبد الله بن علي بن الحسين ، وكان ظهوره ليلة الأربعاء من دار معاوية بن إسحق الأنصاري لسبع بقين من المحرم سنة إحدى أو اثنتين وعشرين ومائة ، وقيل : يوم الجمعة لثلاثة أيام من ظهوره وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ، واستخرج بعد دفنه وصلب بالكناسة أياماً ، ونسجت العنكبوت على عورته ، ثم أنزل وأحرق وذر رماده رضي الله عنه •

سنة اثنتين وعشرين ومائة

توفي قاضي البصرة إياس بن معاوية بن قره المزني الليثي ، يضرب بذكائه وفطنته المثل ، قال الحريري : فإذا ألمعتي ألمعية ابن عباس ، وفراستي فراسة إياس • وقال أبو تمام شعراً :

إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس

قيل لأبيه معاوية : كيف ابنك لك ؟ قال : كفاني أمر دنياي ، وفرغني لآخرتي • وعنه قال : رأيت في المنام كأني وأبي علي فرسين فجريا معاً فلم أسبقه ولم يسبقني • وعاش أبي ستاً وسبعين وها أنا فيها ، فلما كان آخر لياليه قال : الليلة استكملت عمري ، وفام فأصبح ميتاً رحمه الله •

سنة ثلاث وعشرين ومائة

توفي السيد الجليل العابد النبيل ثابت البناني ، كان من خواص أنس ، وروى عن غيره من الصحابة ، وسماك بن حارث الهذلي الكوفي ، عنه قال : أدركت من الصحابة ثمانين ، وذهب بصري فدعوت الله فرده علي ، وسيد القراء محمد بن واسع الأزدي قال بعضهم : كنت إذا وجدت فترة أو قسوة نظرت في وجهه فيذهب ذلك عني جمعة ، أو قال شهراً • وقال له مالك بن دينار وقد نبهه على بعض دقائق الورع : ما أحوجني إلى معلم مثلك •

سنة أربع وعشرين ومائة

في رمضان منها توفي الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن شهاب الزهري ، أحد الفقهاء المحدثين ، أخذ علم الفقهاء السبعة ، رأى عشرة من الصحابة • قال عمر بن عبد العزيز : لم يبق أعلم بسنة ماضية منه • وكان معظماً عند الولاة أعطاه مرة هشام بن عبد الملك سبعة آلاف دينار ، وكان الدينار أهون عنده من البعرة ، وكان إذا أقبل على كتبه لم يلتفت إلى شيء • قالت له امرأته : والله إن هذه الكتب أشد عليّ من ثلاث ضرائر •

سنة خمس وعشرين ومائة

توفي خليفتهم هشام بن عبد الملك ، ولي عشرين سنة إلا شهراً ، وعاش أربعاً وخمسين سنة ، وكان أبيض أحول شديداً حسن الكلام شكس الأخلاق شديد الجمع للأموال قليل البذل ، وكان حازماً متيقظاً لا يغيب عنه شيء من أمر ملكه •

ومن نوادره ماروي أنه تمادى في الصيد ، فوقع على غلام ، فأمره ببعض الأمر فأبى الغلام وأغلظ له في القول وقال له : لا قرب الله دارك ولا حيا مزارك ، في قصة طويلة فيها : أنه أمر بقتله ، وقرب له نطح الدم ، فائشاً الغلام يقول :

نبئت أن الباز علق مرة عصفور برّ ساقه المقدور
فتكلم العصفور في أظفاره والباز منهك عليه يطير
ما فيّ ما يعني لبطنك شبعة ولئن أكلت فأنتي لحقير
فتعجب البازي المذل بنفسه عجباً وأقلت ذلك العصفور

فضحك هشام وقال : يا غلام احسّ فاه دراً وجوهرا •

وفيها مات أبو سعيد المقبري المحدث المكثّر عن أبي هريرة رضي الله عنه •

وفيها توفي الإمام أبو عبد الله محمد بن علي بن عباس والد الخلفيتين السفاح والمنصور ، وكان جميلاً مهيباً نبيلاً ، وكان دعاة العباسيين يكاتبونه ويلقبونه بالإمام . وسبب انتقال الأمر إلى العباسيين أن الشيعة كانت تعتقد إمامة محمد بن الحنفية بعد أخيه الحسين ، ونقلوها بعده إلى ولده أبي هاشم ، فلما حضرت أبا هاشم الوفاة ولا عقب له أوصى إلى محمد بن علي المذكور ودفع إليه كتبه وصرف الشيعة إليه ، ولما حضرته الوفاة أوصى إلى ولده إبراهيم المعروف بالإمام ، فلما حبسه مروان ابن محمد أحد ملوك الأمويين وعرف أنه مقتول أوصى إلى السفاح أول خلفاء العباسيين . وشرح القصة يطول وسنذكر تمامه في ترجمة السفاح إن شاء الله .

سنة ست وعشرين ومائة

فيها قتل خليفتهم الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وكانت ولايته سنة وثلاثة أشهر ، وسبب خلعه أنه ارتكب قبائح في الدين والعرض ، فظهرت منه فادرة في صلاته ، وعند إرادته أخذ الفأل من المصحف ، مع كفريات ومجون مستغرق . ولما تفاحش أمره تألب الأجناد للقيام عليه ، فقاموا عليه مع ابن عمه يزيد بن الوليد الملقب بالناقص ، لقب به لأنه نقص بعض الجند في عطاءهم . وأم الوليد بنت أخي الحجاج بن يوسف ، وقصمه الله وله ثنتان وأربعون سنة . وفي أيام الوليد قام الإمام يحيى بن زيد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وأمه ريطة بنت أبي هاشم بن محمد بن الحنفية ، وكان يحيى بعد قتل أبيه ينتقل في البلدان ، ويدعو الناس سرا حتى مات هشام ، فخرج من خراسان إلى بيهق ، وأظهر الدعوة ، وباعه سبعون رجلاً ، فسار إليهم عمرو بن زرارة في عشرة آلاف مقاتل ، فهزمهم يحيى وأصحابه وقتل عمرو ابن زرارة وغنم ما معهم ، ولحق يحيى بالجوزجان ، وصار أصحابه مائة وخمسين رجلاً فجاء لحربهم سالم بن أحوز التميمي في عشرة آلاف ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فأصاب يحيى سهم في جبهته فصرعه ، وانهمز أصحابه واستؤصلوا قتلاً ، وذلك في رمضان

عشية الجمعة سنة ست وعشرين أو خمس وعشرين ، وصلب يحيى على [باب] مدينة الجوزجان ، ولم يزل مصلوباً إلى أن ظهر أبو مسلم الخراساني فأنزله وغسله وكفنه ودفنه بأثبير وله في السن ثمان وعشرون سنة رحمه الله •

وفي ذي الحجة مات يزيد بن الوليد بن عبد الملك وقد بلغ من السن أربعين سنة ، وولايته خمسة أشهر ، وله عقب كثير ، وفي جداته من أمه كسرويتان وقيصرية ، وفي ذلك يقول مفتخراً :

أنا ابن كسرى وأنا ابن خاقان وقيصر جدي وجدي مروان

ومن خطبته يوم قتل الوليد : أيها الناس ، والله ما خرجت أشراً ولا بطراً ، ولا حرصاً على الدنيا ، ولا رغبة في الملك ، وما بي إطراء نفسي وإني لظلوم لها ، ولكني خرجت غضباً لله ولدينه لما ظهر من الجبار العنيد ، المستحل لكل حرمة ، الراكب لكل بدعة الكافر بيوم الحساب ، وإنه لابن عمي في النسب ، وكفئي في الحساب ، فلما رأيت ذلك استخرت الله تعالى في أمره ، وسألته أن لا يكلني إلى نفسي ، ودعوت إلى ذلك من أجنبي حتى أراح الله منه العباد ، وطهر منه البلاد بحول الله وقوته •

قال اليافعي : كان فيه زهد عظيم وعدل وخير ، ولكنه كان قديراً •

وقال الإمام الشافعي رحمه الله : ولي يزيد بن الوليد فدعا الناس إلى القدر ، وحملهم عليه ، وقيل : لما ولي مروان الصغير بن محمد بن مروان فبش قبر يزيد بن الوليد واستخرجه وصلبه •

وفيهما توفي عمرو بن دينار اليميني الصنعاني الأبنواوي بمكة عن ثمانين سنة • قال طاووس لابنه : إذا قدمت مكة فجالس عمرو بن دينار ، فإن أذنيه قمع العلم • والقمع بكسر القاف وفتح الميم : إناء واسع الأعلى ضيق الأسفل يصب فيه الدهن ، إلى قارورة أو نحوها •

وفيهما توفي عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، وكان إماماً ورعاً كثير العلم ، وسعيد بن مسروق والد سفيان الثوري •

وفيها مات تحت العذاب خالد بن عبد الله القسري الدمشقي أمير العراق لهشام ، وكان أحد الأجواد ، كتب إليه هشام : بلغني أن رجلاً قال لك : إن الله كريم وأنت كريم جواد ، وأنت جواد . حتى عد عشر خصال ، والله لئن لم تخرج من هذا لأستحلن دمك . فكتب إليه خالد : إنما قال : إن الله كريم يجب الكريمة فأنا أحبك بحب الله إياك ، ولكن أشد من هذا مقام شقي البجلي بحضرة أمير المؤمنين قائلاً : خليفتك أحب إليك أم رسولك ؟ قال : بل خليفتي ، فقال : أنت خليفة الله ومحمد رسوله ، والله لقتل رجل من بجيله أهون من تكفير أمير المؤمنين . فكتب هشام إلى عامله باليمن يوسف بن عمر ابن عم الحجاج يقول له : اشفي من ابن النصرانية ، فسار يوسف من حينه واستعمل ولده الصلت مكانه ، ووصل العراق في سبعة عشر يوماً ، فوقع على خالد بالحيرة منزل النعمان بن المنذر على فرسخ من الكوفة ، فعذبه أشد تعذيب ، وجعل عليه في كل يوم مالا معلوماً إن لم يؤده ضاعف عذابه . ومدحه أبو الشعثب العبسي في السجن بقوله :

ألا إن خير الناس حياً وهالكاً
أسيرٌ ثقيفٍ عندهم في السلاسل
لقد كان نهّاضاً لكل مثلمةٍ
ويعطي اللها غراً كثيراً النوافل
وقد كان يئني المكرمات لقومه
ويعطي العطا في كل حق وباطل

فأنفذ إليه عطاء ذلك اليوم ، فاعتذر عن قبولها ، فأقسم عليه ليأخذنها ، وكان فيما قيل من ذرية شق الكاهن ، وشق ابن خالة سطيح ، وكانا من أعاجيب الزمان ، وكان سطيح جسداً ملقى بلا جوارح ، ووجهه في صدره ، ولم يكن له رأس ولا عنق ، وكان لا يقدر يجلس إلا إذا غضب انتفخ فيجلس ، قيل : وكان يطوى مثل الأديم وينقل من مكان إلى مكان ، وكان شق نصف إنسان له يد ورجل ، وولدا في يوم واحد وهو اليوم الذي مات فيه طريفة الكاهنة الحميرية زوجة عمرو بن عامر مزقياء بن ماء السماء ، وحين ولدا تفلت في أفواهما وماتت من ساعتها ودفنت بالجحفة .

سنة سبع وعشرين ومائة

سار مروان بن محمد بن مروان من أرمينية إلى دمشق يطلب الأمر لنفسه لما بلغه وفاة يزيد الناقص واستخلاف أخيه إبراهيم ، فجهز إبراهيم إخوته بشراً ومبشراً ، فهزمهما وأسرهما ، ثم حاربه سليمان بن هشام بن عبد الملك فانهزم أيضاً ، فخرج إبراهيم للقاءه ، وأنفق الأموال الجزيلة ، فخذله أصحابه ، فاستسلم وبايع مروان .

وفيها قتل يوسف بن عمر الثقفي في سجن دمشق ، وكان سجنه يزيد بن الوليد مع الحكم وعثمان ابني الوليد بن يزيد اللذين يقال لهما الجملان ، فلما ولي إبراهيم بن الوليد وغلبه مروان خافت جماعة إبراهيم أن يدخل مروان دمشق فيخرجهما مع يوسف بن عمر ، فندبوا لقتلهم يزيد بن خالد بن عبد الله القسري ، فقتلهم وأدرك الثأر بأبيه ، فجعل في رجلي يوسف حبلاً ، فجره الولدان في الشوارع ، ففعل بيزيد بن خالد بن عبد الله مثل ذلك الفعل في ذلك الموضع ، نعوذ بالله من سخطه .

وفيها توفي عمير بن هانيء العنسي ، بالنون ، وكان يسبح في اليوم مائة ألف تسبيحة . وقاضي المدينة سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، كان يصوم الدهر ، ويختم كل ليلة . والسدي^(١) المشهور المذكور المفسر رحمه الله تعالى .

وفيها ، قيل : أو في التي بعدها أبو إسحق السبيعي شيخ الكوفة وعالمها ، عاش نحو المائة . والسيد الكبير الولي الشهير أبو يحيى مالك بن دينار أقام أربعين سنة لا يأكل من ثمار البصرة ، وكان يكتب المصاحف بالأجرة ولا يأكل إلا من عمل يده ، ووقع حريق بها فخرج مؤتزرأ يزاره وييده مصحف وقال : فاز المخفون . وقيل له : ألا تستسقي لنا ؟ فقال : أتمم تنتظرون الغيث وأنا أنتظر الحجارة . وقال له رجل : إن امرأتي حبلى منذ أربع سنين وأصبحت اليوم في كرب عظيم فادع لها ، فقال : اللهم إن كان في بطنها جارية فأبدلها غلاماً فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب ، فجاء الرجل وعلى رقبته غلام وقد استوت أسنانه وما قطع سراره .

(١) في الأصل : السيد ، وفي ب (بين السطرين) : السدي أو السندواني ،

وما أثبت الصواب .

سنة ثمان وعشرين ومائة

ظهر الضحاك بن قيس الخارجي ، وقتل مستولي البصرة واستولى عليها ، فصار إليه مروان بن محمد ، فالتقيا بصفين ، فثارت الحرب إلى آخر النهار وانهمز مروان ، وملك بخيمة ، وثبت أمير الميمنة ، فأحاطوا بذلك الخارجي وقتلوه في نحو ستة آلاف من الفريقين ، وقام بأمر الخوارج بعده شيبان ، فتحير بهم وخذفوا على أنفسهم ، فنازلهم مروان وقتلهم عشرة أشهر كل يوم يكسرونه ، وكانت فتنة هائلة تشبه فتنة ابن الأشعث مع الحجاج ، ثم رحل شيبان نحو شهرزور ثم إلى كرمان ثم إلى البحرين وقتل هنالك •

وفيها قبض ابن هبيرة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز من واسط ، وبعث به إلى مروان مع ابن له فلم يزلوا في حبسه حتى ماتا •

وفيها مات عاصم بن أبي النجود الكوفي الأسدي مولاهم ، أحد القراء السبعة كان حجة في القراءات ، صدوقاً في الحديث •

وفيها يحيى بن يعمر النحوي البصري ، لقي ابن عمر وابن عباس وغيرهما ، وأخذ النحو عن أبي الأسود ، وكان يعظم أهل البيت من غير تنقص لغيرهم ، قال له الحجاج : تزعم أن الحسن والحسين من ذرية رسول الله ﷺ لتخرجن من ذلك أو لألقين الأكثر منك شعراً ، فقال : قال الله تعالى : (ومن ذريته داود وسليمن) الآية (وزكريا ويحيى وعيسى) الآية ، وبين عيسى وإبراهيم أكثر مما بين الحسن والحسين ومحمد ﷺ ؛ فقال له الحجاج : خرجت ، ولقد قرأتها وما علمت بها قط • قال له الحجاج : أين ولدت ؟ قال بالبصرة ، قال : وأين نشأت ؟ قال : بخراسان ، قال : فمن أين هذه العربية ؟ قال : رزق • ثم كنب الحجاج إلى قتيبة بن مسلم أن يجعل يحيى ابن يعمر على قضائك •

سنة تسع وعشرين ومائة

فيها توفي عالم المغرب وعابدها خالد بن أبي عمران النخعي التونسي قاضي إفريقية .

وفيها ، على الصحيح ، توفي يحيى بن أبي كثير أحد الأعلام في الحديث . وقارئ المدينة الزاهد العابد أبو جعفر يزيد بن القعقاع ، قرأ عليه نافع ، وله ذكر في سنن أبي داود .

سنة ثلاثين ومائة

وقيل في التي بعدها : توفي السيد الجليل كبير الذكر محمد بن المنكدر ، سمع عائشة وأبا هريرة ، وكان بينه ماوى الصالحين ومجتمع العابدين .

وفيها كانت دعوة الإباضية وداعيتهم عبد الله بن يحيى الكندي الحضرمي طالب الحق ، وكانت لهم وقعة بقديد مع عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فقتل عبد العزيز ومن معه من أهل المدينة ، وكانوا سبعمائة كريم من قريش ، وبعدها صارت الخوارج إلى وادي القرى ، ولقيهم عبد الملك السعدي فقتلهم ، ولحق رئيسهم أبا حمزة إلى مكة فقتله أيضاً ، ثم صار إلى تبالة وراء مكة بست مراحل فقتل داعيهم الكندي .

سنة إحدى وثلاثين ومائة

مات الزاهد المشهور فرقد السبخي ، ومنصور بن زاذان البصريان رحمهما الله تعالى .

واستولى أبو مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية على ممالك خراسان ، وكان ابتداء دعوته بمرو ، وأقبلت دولة العباسيين وأدبرت دولة الأمويين ، وذلك أن أبا مسلم ، واسمه عبد الرحمن بن مسلم ، قام بالدعوة الهاشمية ، وابتداء أمره أن أباه مسلماً رأى كأنه يخرج من إحليله نار وارتفعت في السماء ، ووقعت في نحو

المشرق ، فقصها على مولاة عيسى بن معقل العجلي ، فقال له : يولد لك غلام يكون له شأن ، فمات أبوه ووضعته أمه ، ونشأ عند عيسى بن معقل ، ثم حبس عيسى وأخوه إدريس جدَّ أبي دُلَف العجلي الذي كان يمدح في بقايا عليهم من الخراج ، فكان أبو مسلم يخلف إليهما ، فوافق يوماً عندهم جماعة من تقياء الإمام محمد بن علي ابن عبد الله بن عباس يدعون الناس إلى بيعته سراً ، فمال إليهم أبو مسلم ، وسار معهم حتى قدموا على الإمام محمد بن علي بمكة ، فشكر فعلهم ، وأشار إلى أبي مسلم وقال : أنت ممن يتحرك في دولتنا ، ومات الإمام عقيب ذلك وقد أوصى إلى ابنه إبراهيم ، فقدمت الدعوة على إبراهيم ومعهم أبو مسلم وهو غلام حرور ، فسلموا أبا مسلم إليه ، وكان يخدمه حضراً وسفراً ، ثم أرسله إلى خراسان ، شهد الدعوة وهو ابن ثماني عشرة سنة ، وقيل : ابن اثنتين وثلاثين سنة ، وكان يدعو إلى رجل من بني هاشم غير معين ، ثم أظهر الدعوة لإبراهيم بن محمد ، وكان إبراهيم بحران ، فقبض عليه مروان وقتله بجراب ثوره ، وجعل رأسه فيه ، وشد عليه ، فمات غماً رحمه الله تعالى ، وهرب أخوه عبد الله السفاح فتوارى بالكوفة حتى أتته جيوش أبي مسلم من خراسان بعد وقعاته العظيمة بأمراء الأمويين ، فبايعوه وسموه المهدي الوارث للإمامة . وكان أبو مسلم معظماً ، تلقاه أبو ليلى القاضي فقبل يده فنهى أبا مسلم أبو ليلى ، فقال : قبل أبو عبيدة يد عمر ، فقيل له : شبهته بعمر؟! فقال : وشبهتموني بأبي عبيدة .

ومن جوده أنه حج في ركب فأقسم أن لا يوقد غيره ناراً ، وقام بمؤتمهم حتى قدم مكة ، ووقف بمكة خمسمائة وصيف يسقون الناس في المسعى .

وآخر أمره أنه لما ولي أبو جعفر بعد أخيه السفاح صدرت من أبي مسلم قضايا غيرت قلبه ، من ذلك أنه كتب إليه كتاباً فبدأ فيه بنفسه ، وخطب إليه عمته آسية .

وقد كان في ابتداء دولة المنصور قام عليه عمه عبد الله بن علي ، فجهز عليه أبو جعفر أبا مسلم ، فهزمه وقبض خزائمه وما معه ، فكتب إليه المنصور : احتفظ بما

في يدك ولا تضيعة ؛ فشق ذلك على أبي مسلم ، وعزم على خلع المنصور ، فاستعطفه
ومناه ، وحفظها له •

وقال لقتيبة بن مسلم الباهلي : ما ترى في أبي مسلم ؟ فقال : لو كان فيهما
آلهة إلا الله لفسدتا • فقال : حسبك لأذن وأعية قبلي •

وقد كان قيل لأبي مسلم أو روي له في الملاحم ، إنه يبيت دولة ويحيي دولة
ويقتل بأرض الروم ، وكان المنصور برومية التي بناها الاسكندر ذو القرنين بمدائن
كسرى ، لما طاف الأرض ولم يجد فيها من يستوي المدائن ، فنزلها وبنها ورومية •
فقدم أبو مسلم من سفر حجه على المنصور برومية ولم يخطر بباله أنها مقتله ، بل
ذهب ذهنه إلى بلاد الروم ، فدرس المنصور جماعة وقال : إذا دخل وعاینته وضربت
يداً على يد فاطهروا له واضربوا عنقه ، ففعلوا ، وأنشد حين رآه طريحاً شعراً :

زعمت أن الكيل لا يقتضى فاستوف بالصاع أبا مجرم
اشرب بكأس كنت تسقي بها أمر في الحلق من العلقم

واختلف في نسب أبي مسلم ، فقيل : من العرب ، وقيل : من العجم ، وقيل :
من الأكراد ، وفي ذلك يقول أبو دلالة :

أبا مجرم ما غير الله نعمةً على عبده حتى يغيرها العبد
أفي دولة المنصور حاولت غدرهً ألا إن أهل الغدر آباؤك الكرد
أبا مسلم خوفتني القتل فاتحى عليك بما خوفتني الأسد الورد

وفيها مات فقيه البصرة أيوب السجستاني ، وله ثمانمائة حديث • وأبو
الزناد^(١) عبد الله بن ذكوان عالم المدينة ، كان يجلس إليه ثلاثمائة طالب علم •

وفيها واصل بن عطاء المعتزلي المتكلم ، كان ألتغ يبدل الرأء غيناً ، وكان
يخلص كلامه وخطبه من الرأء فلا يكون في كلامه راء ، ولما قالت الخوارج بتكفير
أهل الكبائر وأهل السنة بإيمانهم قال واصل : لا مؤمنون ولا كفار ، فطرده الحسن
من مجلسه ، فصار له شيعه •

(١) في الأصل : الرقاد ، وما اثبت من ب •

سنة اثنتين وثلاثين ومائة

بويغ أول الخلفاء العباسيين أبو العباس السفاح عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بالكوفة ، وجهاز عمته عبد الله بن علي لمحاربة مروان بن محمد الجعدي ، فالتقيا بقرب الموصل ، فانكسر مروان ، وهرب إلى فلسطين ، فاتبعهم أيضاً فأوقع بهم ، وقتل بضعاً وثمانين رجلاً ، ثم عبر مروان النيل طالباً الحبشة ، فلحقه صالح بن علي عم السفاح فأدركه في قرية من قرى الفيوم من أرض مصر يقال لها بوصير فوافاه صائماً وقد قدم له الفطور ، فسمع الصائح ، فخرج وسيفه مصلت فجعل يضرب بسيفه ويتمثل بقول الحجاج بن حكيم :

متقلدون صفائحاً هندية يتركن من ضربوا كأن لم يولد
وإذا دعوتهم ليوم كريمةٍ وافوك بين مكبر وموحد

فقصدته الخيول من كل جانب فقتلوه ، وكان أهله وبناته في كنيسة هناك ، فأقبل خادم له بالسيف مصلتا يريد الدخول عليهم ، فأخذ فسئل عن مراده فقال : إن مروان أمرني إذا تيقنت موته أن أضرب رقاب نساءه وبناته ، فأرادوا قتله فقال : إن قتلتموني لتفقدن ميراث رسول الله ﷺ ، قالوا له : فدلنا على ذلك إن كنت صادقاً ، فخرج بهم إلى رمل هناك فكشفوه فإذا فيه القضيبي والبرد والقعب والمصحف ، فأخذوه ، وكان الذي تولى قتله عامر بن إسماعيل الخراساني صاحب مقدمة صالح ، ولما قتله دخل بيته وركب سريره ودعا بفتيانه ، وجعل رأس مروان في حجر ابنته ، وأقبل يوبخها فقالت له : يا عامر إن دهرأ أنزل مروان من فراشه وأفعدك عليه حين تعبت عيناه لقد أبلغ في موعظتك وعمل في إيقاظك ونبهك إن غفلت ، وتكرر ، ثم قالت : وا أبتاه وا أمير المؤمنين ! فأخذ عامراً الرعب من كلامها ، وبلغ ذلك أبا العباس السفاح ، فكتب إلى عامر يوبخه ويقول : أما في آداب الله ما يحجزك عن نساء مروان والجلوس على فراشه .

وقتل مروان وله تسع وخمسون سنة . وقيل : سبع وستون وإمارته خمس سنين وتسعة أشهر وأيام ، وقتل معه أخ لعمر بن عبد العزيز كان أحد الفرسان ، وصار أولاد مروان وشيعتهم على شاطئ النيل إلى أن دخلوا أرض النوبة ، فأخرجهم ملك النوبة ، ثم صاروا حتى توسطوا أرض البجة متممين باضع^(١) من ساحل بحر القلزم ، ولهم حروب مع مروان به ، وهلك عبد الله بن مروان في عدة قتلاً وعطشاً ، وخرج أخوه عبيد الله فيمن بقي إلى ساحل المغرب باضع وأرض البجة ، وقطعوا البحر إلى جدة ، فظفر به وأودع السجن إلى أيام الرشيد وهلك .

وروي أنه حدث المنصور بما جرى لهم مع ملك النوبة فقال : التطم بنا الموج شهراً ، فدفعنا إلى جزيرة النوبة ، فأمرنا بالمضارب فضربت ، فأقبل النوبة ينظرون إلى متاعنا ويتعجبون من حسنه ، وأقبل ملكهم ، طوال أصلع حاف مشتمل بالكساء ، فسلم وجلس على الأرض ، فقلت : لم لا تجلس على فراشي ! فقال : لأنني ملك وحق لمن رفعه الله أن يتواضع له ، ثم قال : ما بالكم تطمون الزروع بدوابكم والفساد محرم عليكم ؟ قلت : أتباعنا فعلوا ذلك بالجهل منهم ، فقال : الخمر تشربونها وهي محرمة عليكم ! فرددت مثل ذلك ، فقال : ما بالكم تلبسون الديباج وتحلون بالذهب وهو محرم عليكم ؟ فقلت : إنا كنا ملوكاً فلما انقضت بنا المدة استعنا بأعاجم دخلوا في ديننا وكرهنا مخالفتهم ، فقال : ليس والله يا بن مروان كما تقول ولكنكم ملكتم فظلمتم وتركتهم ما به أمرتم فأذاقكم الله وبال أمركم ، والله فيكم نقمة لم تبلغ وإني لأخشى أن تنزل بكم وأقسم ضيفي فيصيبني معكم ، فتزودت وارتحلت ، فهرب عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك وكثيرون من بني أمية إلى المغرب ، واستولى على بلاد الأندلس ومخاليقها وورثها بنوه بطناً بعد بطن ، واستأمن سليمان ابن هشام وابناه في نحو ثمانين رجلاً من بني أمية ، فأمنهم السفاح ، حتى قدم عليه السديف ميمون مولى زين العابدين فأنشده :

ظهر الحق فاستبان مضيئاً إذ رأينا الخليفة المهدياً

(١) في القاموس المحيط : «باضع : موضع بساحل بحر اليمن ، أو جزيرة فيه» .

مستكنين قد أجدوا المطيأ
لا ترى فوق ظهرها أموياً

لها في كل واعية بغاء
فإن تفعل فعاد بك المضاء

بالبهليل من بني العباس
وبهم منكم كحراً المواسي

قد أتتك الوفودُ من آل شمس
فاردد العذر وامض بالسيف^(١) حتى

وأنشده أيضاً غلام :

وفيم تترك آل شمس
أمير المؤمنين أبح دماهم

وأنشده أيضاً :

أصبح الملك ثابت الأساس
ذلهم أظهر التودد منهم

فلما سمع السفاح ذلك أمر بقتلهم وأجاز السديف بألف دينار • ثم قال له المنصور : كأنني بك يا سديف قد قدمت المدينة فقلت لعبد الله بن الحسن : يا بن رسول الله إنما نداهن بني العباس لأجل عطايتهم تقيم به أودنا ، وأقسم بالله لئن فعلت لأقتلنك ، ففعل السديف ذلك ، واتفق خبره إليه ، فلما ولي الخلافة أمر به فضرب حتى مات •

وفيهما توفي عبد الله بن طاووس اليماني الجندي، روى عن أبيه وغيره • دخل مع مالك [بن دينار]^(٢) على المنصور فقال له : حدثني عن أبيك فقال : حدثني أبي أن أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل أشركه الله في سلطانه فأدخل عليه الجور في حكمه ، فأمسك المنصور ، قال مالك : فضمت ثيابي خوفاً أن يصيبني دمه ، ثم قال له : فاولني الدواة ، فلم يفعل ، فقال : ثم لا تناولني؟! فقال : أخاف أن تكتب بها معصية ، فقال : قوما عني ، فقال : ذلك ما كنا نبغي • قال مالك : فما زلت أعرف لابن طاووس فضله •

(١) ورد الشطر الأول في تاريخ ابن الأثير ٤٢٩/٥ كما يأتي :

فضع السيف وارفع السوط حتى

(٢) ما بين القوسين زيادة من ب .

وفيها مات الإمام الحافظ منصور بن المعتمر الكوفي السلمي أحد الأعلام ، وما كتب حديثاً قط ، وكان أحفظ أهل الكوفة ، صام أربعين سنة وقامها ، وعمش من البكاء ، وأكره على القضاء ، ففضى شهرين ومات بالمدينة رحمه الله تعالى •

وفيها مات إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري [الفقيه]^(١) ، كان مالك لا يقدم عليه أحداً •

وفيها أبو عبد الله صفوان بن سليم المدني أحد الأعلام ، روى عن الصحابة ، وكان يستنزل بدعائه الغيث • ويونس بن ميسرة المقرئ الأعمى ، عاش مائة وعشرين سنة ، وروى عن الكبار ، وكان كبير القدر •

وفيها قتل الأمير يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري أمير العراقيين لمروان [وله خمس وأربعون سنة]^(٢) ، وهو آخر من جمع له العراقيان • ولما توقع هو وبني العباس هرب إلى واسط ، فحاصروه بها ، وثبت معه معن بن زائدة الشيباني ، وكان المنصور يعيره فيقول : ابن هبيرة يخندق على نفسه كالنساء ، فأرسل إليه ابن هبيرة أن ابرز إلي فقال المنصور : خنزير قال للأسد ابرز إلي فقال الأسد : ما أتت بكفء لي ، فقال الخنزير : لأعرفن السباع أنك جبت ، فقال الأسد : احتمال ذلك أيسر من تلطخ ثيابي بدمك ، ثم آمنه المنصور وغدر به وقال : لا يقر ملك وأنت فيه • وكان ابن هبيرة شجاعاً مفرطاً ، وكان رزقه كل يوم ستمائة ألف ، وكان يأكل خمس أكلات عظام ، وقتل وهو ساجد •

وفيها ، وقيل : في سنة ثمان وعشرين ، أو ثلاثين يزيد بن القعقاع أبو جعفر القارئ مولى عبد الله بن عباس ، وقيل : مولى أم سلمة زوجة النبي ﷺ ، أخذ بالقراءة عرضاً على ابن عباس وجماعة من الصحابة ، وقرأ القراءة عنه عرضاً نافع ابن عبد الرحمن أحد السبعة ، وكان يقرئ بالمدينة المشرفة ، وكان من أفضل أهل زمانه رثي بعد موته على ظهر الكعبة وهو يخبر أنه من الشهداء الكرام •

(٢) ما بين القوسين زيادة من ب .

(١) ما بين القوسين زيادة من ب .

سنة ثلاث وثلاثين ومائة

مات الأمير داود بن علي بن عبد الله بن عباس بمكة ، وكان فصيحاً مفوهاً •
وسيد أهل دمشق في وقته : يحيى بن يحيى بن قيس الغساني •

سنة خمس وثلاثين ومائة

مات أبو عقيل زهرة بن معبد التيمي بالإسكندرية ، وكان يذكر أنه من
الأبدال • وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم [الأنصاري]^(١) شيخ
مالك والسفيانيين ، وكان كثير العلم • وعطاء الخراساني نزيل دمشق ، كان كثير
الإرسال عن الصحابة ، وكان يغزو ويحيي الليل كله إلا نومة السحر • ورابعة بنت
إسماعيل البصرية العدوية شهيرة الفضل ، وقيل : توفيت سنة خمس وثلاثين ومائة ،
ولا يصح اجتماع الشري بها ، فإنه عاش حتى نيف على الخمسين ومائتين • وروي
أن سفيان الثوري قال [بحضرتها]^(٢) : واحزنناه ! قالت : لا تكذب ، قل : واقلة حزناه !
وسمعه يقول : اللهم إني أسألك رضاك ، فقالت : لا تسأل رضى من لست عنه براص •
ورآها بعض إخوانها في المنام فقالت : هداياك تأتينا على أطباق من ذهب مخمرة
بمناديل من نور • وقبرها عند رأس جبل يسمى الطور بظاهر بيت المقدس ، وقيل :
ذلك قبر رابعة أخرى غير العدوية • وقيل لها في المنام : ما فعلت عبيدة بنت أبي كلاب ؟
فقالت : سبقتنا إلى الدرجات العلا ، قيل : وبم ذلك ؟ قالت : لم تكن تبالى على أي
حال أصبحت من الدنيا أو أمست •

(١) الأنصاري : زيادة من ب .

(٢) بحضرتها : زيادة من ب .

سنة ست وثلاثين ومائة

ربيعة بن أبي عبد الرحمن الفقيه الذي يقال له : ربيعة الرأي ، قيل له ذلك ؛ لأنه كان يتقوى بالرأي . أخذ عليه مالك وغيره ، وأدرك جماعة من الصحابة ، مات بالهاشمية مدينة بناها السفاح بالأنبار ، ويوم مات قال مالك : ذهبت حلاوة الفقه .

وفيهما زيد بن أسلم العدوي مولاهم الفقيه العابد ، كانت له حلقة الفتوى والعلم بالمدينة ، قال أبو حازم : لقد رأيتنا في حلقة زيد بن أسلم أربعين فقيهاً أدنى خصلة فينا التواصي بما في الدنيا ، وكان زين العابدين يجلس إليه .

وفيهما الخليفة أبو العباس السفاح عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، ولي خمس سنين إلا شهراً ، ومات بالجدي بالأنبار ، وكان طويلاً أبيض جميلاً ، وأكثر بني العباس كذلك ، أمه ريطة من بني الحارث بن كعب من كهلان ، وكان بنو أمية قد منعوهم من زواج الحارثيات لأنه قيل لهم : يزول ملككم على يد ابن الحارثية ، فلما كان زمان عمر بن عبد العزيز استأذنه والد السفاح فقال له : تزوج من شئت . وبويع له وهو ابن أربع وعشرين أو ثمان وعشرين سنة ، وكان بينه وبين ابنه في السن أربع عشرة سنة . وسمي السفاح لأنه سفح دماء بني أمية . وكان يحتمل من عبد الله بن الحسن المثني^(١) مواجته له بما يكره ، ويعطيه العطاء الجزيل ، وقال له أخوه المنصور يوماً في عبد الله بن الحسن وابنه محمد : إن هؤلاء تواسيهم بالإحسان فإن استوحشوا معه فألشّر يصلح ما عجز عنه الخير ، ولا تدع محمداً يمرح في أعنة العقوق ، فقال له السفاح : من شدد يفرم ومن لان يؤلف ، والتغافل من سجايا الكرام .

وفيهما مات عطاء بن السائب الثقفي الكوفي الصالح ، وكان يختم كل ليلة ، روى عن الصحابة .

(١) المثني : نقص من النسخة ب .

سنة سبع وثلاثين ومائة (١)

قام عبد الله بن علي عم السفاح يزعم أن السفاح أوصى إليه •

وفيها وثب ابن سراقفة الأزدي بدمشق عند خبر موت السفاح ، وسب بني العباس على المنبر ، وبائع هاشم بن خالد بن يزيد بن معاوية ، فبغتهم مجيء صالح عم السفاح ، فاخفى هاشم ، وضرب عنق ابن سراقفة •

سنة ثمان وثلاثين ومائة (٢)

جاء طاغية الروم قسطنطين في مائة ألف ونزل بدابق بكسر الباء ، وهو المذكور في صحيح مسلم ، فلقبه صالح بن علي عم السفاح والمنصور فهزمهم ، والحمد لله •

سنة تسع وثلاثين ومائة

مات جماعة من الفقهاء المحدثين ، واكتفينا عن ذكرهم هنا بذكرهم في كتب الرجال ككاشف الذهبى وتهذيب ابن حجر رحمهما الله تعالى •

سنة أربعين ومائة

بنى جبريل بن يحيى أمير صالح بن علي المصيصة وحصنها • ومات أبو حازم سلمة بن دينار الليثي الفارسي المدني الأعرج عالم المدينة وزاهدا وواعظا •
وفيها عمرو بن قيس الكندي السكوني، عاش مائة سنة ، روى عن ابن عمر والكبار ، ويقال : أدرك سبعين صحابياً •

(١) في الأصل : سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، وفي صورة النسخة ب غير واضحة ، وما أثبت من كتاب (تاريخ عصر الخلافة العباسية) للدكتور يوسف العش ص ٣١ •

(٢) في الأصل : وفيها ، وهذا يشير إلى سنة سبع وثلاثين ومائة ، وفي ب : وفي سنة ثمان وثلاثين ومائة ، ولعله الصواب ، ولذلك أثبتناه •

سنة إحدى وأربعين ومائة

ظهر بخراسان قوم يقولون بتناسخ الأرواح ، وأن ربهم المنصور يطعمهم ويستقيهم ، وأن الهيثم^(١) بن معاوية جبريل ، وطافوا بقصر المنصور بالهاشمية ، فقبض على مائتين من كبارهم فحبسهم ، فغضب الباقون وجاءوا يحملون صورة جنازة، فلما قاربوا السجن شدوا على الناس وفتحوا باب السجن وأخرجوا أصحابهم ، وقصدوا المنصور في ستمائة مقاتل ، فأعلق الباب دونهم ، وحاربهم معن بن زائدة مع العسكر ، ووضعوا فيهم السيف ، وأصيب يومئذ الأمير عثمان بن نهيك .
وفيها مات موسى بن عقبة صاحب المغازي ، وكان فقيهاً مفتياً .

سنة اثنتين وأربعين ومائة

مات خالد الحذاء البصري الحافظ ، وكان يجلس بين الحذائين فنسب إليهم ، رأى أنساً ، وروى عن كبار التابعين .

وفيها أو في التي بعدها ، عمرو بن عبيد البصري الزاهد العابد المعتزلي القدري ، لما اعتزل واصل بن عطاء مجلس الحسن ، فطرده ، تحول إليه وسموا معتزلة . توفي بمران بتشديد الرأى على طريق مكة وهو راجع منها ، ورثاه الخليفة المنصور ومدحه أيضاً في حياته ، والناس يختلفون فيه .

سنة ثلاث وأربعين ومائة

ثارت الديلم وقتلوا خلقاً من المسلمين ، فغزاهم المسلمون . وسار محمد بن الأشعث إلى المغرب فقتل زعيم الإباضية أبا الخطاب في المصاف وهزمهم .

وفيها على الصحيح حميد الطويل البصري العابد الحافظ ، مات وهو قائم في الصلاة، ومكث أربعين سنة يصوم يوماً ويفطر يوماً ويصلي الفجر بوضوء العشاء .

(١) في الأصل : الهاشم .

وفيهما مات يحيى بن سعيد الأنصاري المدني الفقيه ، ولي قضاء المنصور ، ومات بالرصافة ، وقيل : ببغداد ، وكان يحيى القطان يفضله على الزهري .

وفيهما على الأصح ليث بن أبي سليم الكوفي ، قال الفضيل بن عياض : كان أعلم أهل زمانه بالمناسك .

سنة أربع وأربعين ومائة

حج المنصور ، ولما مر بالمدينة تخلف عنه محمد بن عبد الله النفس الزكية وأخوه إبراهيم ، فأهمه شأنهما ، وقبض على أبيهما وسجنه في بضعة عشر من أهل البيت ، وماتوا في سجنه ، قيل : طرحهم في بيت وطنيه عليهم حتى ماتوا ، ولما بلغ ابنه محمداً وفاته ثار بالمدينة وسجن متوليها وتبع أصحابه ، وخطب الناس ، وبايعوه طوعاً وكرهاً ، واستعمل على مكة واليمن والشام عمالاً [لم يتمكنوا]^(١) . وأحبه الناس حباً عظيماً ، لما كان فيه من الجمال وخصال الشرف ، وشبه برسول الله ﷺ في الخلق والخلق واسمه واسم أبيه حتى قيل : إن خاتمه بين كتفيه ، وكان أهل المدينة يعدون فيه من الخصال ما لو جاز أن يبعث الله نبياً بعد محمد ﷺ لكان هو^(٢) !! وتكاتب هو والمنصور مكاتبات عظيمة ، ولكليهما قول فصل جزل ، والحق والتحقيق في جانب محمد .

وقد كان المنصور والسفاح في خلافة الأمويين من الدعاة إلى محمد بن عبد الله ، ولما أعيا المنصور أمره جهز إليه ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس وقال : لا نبالي أيهما قتل صاحبه لأن عيسى ولي العهد بعد المنصور على ما رتبته لهم السفاح ، فسار عيسى في أربعة آلاف ، وكتب إلى الأشرار^(٣) يستميلهم

(١) ما بين قوسين ليست في الأصل ، وهي زيادة من ب .

(٢) هذه مبالغة .

(٣) في ب : الأشراف . وهي كذلك في مرآة الجنان ٢٩٧/١

فمال كثير منهم ، وتحصن محمد بالمدينة ، وأعمق خندقها ، وزحف إليه عيسى وفاداه بالأمان ، وناشده الله ، ومحمد لا يرعوي لذلك ، ولما ظهر له تخاذل أصحابه اغتسل وتحنَّط وقاتلهم بنفسه قتالاً شديداً ومعه ثمانون رجلاً، وقتل بيده اثني عشر رجلاً، ثم قتل واستشهد لثنتي عشرة ليلة من رمضان سنة خمس وأربعين ومائة ، وله اثنتان وخمسون سنة ، وقبره بالبقيع مشهور ومزور ، وبعث برأسه إلى المنصور وكان مدة قيامه شهرين واثني عشر يوماً .

وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة في هذه السنة أيضاً ، وقد كان سار إليها من الحجاز ، فدخلها سراً في عشرة أنفس ، فدعا إلى نفسه سراً ، وجرت له أمور ، وتهاون متولي البصرة في أمر إبراهيم حتى اتسع الخرق ، وخرج أول ليلة من رمضان ، ونزل إليه متولي البصرة بالأمان ، ووجد إبراهيم في بيت المال ستمائة ألف ففرقها في أصحابه ، ولما بلغ المنصور خروجه تحول إلى الكوفة ليأمن غائلة أهلها ، وألزم الناس لبس السواد، وجعل يقتل ويجبس من اتهمه ، وبعث إبراهيم عاملاً إلى الأهواز وآخر إلى فارس وسائر البلدان ، فأتاه مقتل أخيه بالمدينة قبل عيد الفطر بثلاث ، فغدا منكرأ منكسرا ، وجهد المنصور لحربه خمسة آلاف ، فكان بينهما وقعتات قتل فيها خلق كثير ، ولم يبرح المنصور حتى قدم عيسى بن موسى من المدينة ، فوجه إلى إبراهيم ، وجعل المنصور لا يقر له قرار ولا يأوي إلى فراش خمسين ليلة ، كل ليلة يأتيه فتق من ناحية ، وعنده مائة ألف بالكوفة كامنة له ، ولو هاجم عليه إبراهيم الكوفة أوقع به ولكنه قال : أخاف أن يستباح الصغير والكبير ، فقيل له : إن كان هذا فلم خرجت عليه؟! فالتقى الجمعان على يومين من الكوفة ، وظهر جيش إبراهيم وتهايا له الفتح لولا حملة من عيسى بن موسى وطاهر بن سليمان بن علي ، فكسروا جيش إبراهيم ، وجاءه سهم غرب⁽¹⁾ فوقع في حلقه ، فأزلوه وهو يقول: وكان أمر الله قادراً مقدوراً . وبعثوا برأسه إلى المنصور في آخر ذي القعدة وله ثمان وأربعون سنة ، وهرب أهل البصرة برأ وبجرأ .

(1) سهم غرب : لا يدري راميه . (القاموس المحيط) .

وكان خرج مع إبراهيم كثير من القراء والعلماء منهم هشام وأبو خالد الأحمر وعيسى بن يونس وعباد بن العوام ويزيد بن هارون وأبو حنيفة وكان يجاهر في أمره ويحث الناس على الخروج معه كما كان مالك يحث الناس على الخروج مع أخيه محمد . وقال أبو إسحق الفزاري لأبي حنيفة : ما اتقيت الله حين حشيت أخي على الخروج مع إبراهيم فقتل ، فقال : إنه كما لو قتل يوم بدر ، وقال أبو حنيفة (١) : والله لهي عندي بدر الصغرى .

سنة خمس وأربعين ومائة

أمر المنصور بتأسيس بغداد من ابتداء إنشاءها ورسم هيئتها وكيفيتها أولاً بالرماد ، وفرغت في أربعة أعوام بالجانب الغربي ، وأكثرها اليوم بالجانب الشرقي ، وتحول إليها المنصور في سنة ست وأربعين قبل تمامها ، وكان لا يدخلها أحد ركباً حتى إن عمه عيسى شكاه إليه المشي فلم يأذن له .

سنة ست وأربعين ومائة

مات محمد بن السائب الكوفي الكلبي صاحب التفسير والأخبار والأنساب . عنه قال : سميت العرب شعوباً لأنهم تفرقوا من ولد إسماعيل عليه السلام ، ومن ولد قحطان تشعبوا ، والعرب كلهم بنو إسماعيل إلا أربع قبائل : السثلف والأوزاع وحضرموت وثقيف . وأول من تكلم بالعربية يعرب بن الهيمسح بن نبت بن إسماعيل ، وكل نبي ذكر في القرآن فهو من ولد إبراهيم عليه السلام غير إدريس ونوح وهود ولوط وصالح ، وكأته لم يستثن آدم لأنه أبو الكل . وقال : لم يكن من الأنبياء من العرب إلا هود وصالح وإسماعيل ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين .

(١) كذا في الاصل ، وفي ب : سعيد .

وروي عن ابن عباس أن أهل سفينة نوح كانوا ثمانين رجلاً، فلما كثروا ملكهم نمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح، فلما كفروا بلبل الله ألسنتهم وتفرقوا اثنين وسبعين لساناً وفهم الله العربية عملياً وأميتهم وطسّم بن لوذ بن سام، وعاداً وعييل ابني عيص^(١) بن إرم بن سام، وثمود وجديس بن جاثر بن إرم بن سام بن نوح، وبني يقطن بن عابر بن شالّخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح • انتهى • ما قال يناقض كلامه، فذكر أن أول من تكلم بالعربية يعرب من ذرية إسماعيل، ثم ذكر أن الله فهمها عملياً ومن ذكر بعده من ذرية نوح، وكلاهما مخالف لما جاء أن إسماعيل تعلم العربية من جرّهم لما نشأ بينهم • وقيل: لما نزل أصحاب نوح من السفينة خلق الله في قلوبهم لغات مختلفة يتكلم كل منهم بلغته •

والكلبي فيه مطاعن من جهات، والله أعلم •

وفيها مات هشام بن عروة بن الزبير الفقيه أحد حفاظ الحديث، أدرك عمه ابن الزبير، وقال: مسح ابن عمر رأسي ودعاني، وكان يمثل بالحسن وابن سيرين، توفي ببغداد وصلى عليه المنصور، ودفن بمقبرة الخيزران • ولد هو وعمر بن عبد العزيز والزهري وقتادة والأعمش ليالي قتل الحسين بن علي بن أبي طالب في المحرم سنة إحدى وستين •

سنة سبع وأربعين ومائة

ألح المنصور وتحيل بكل ممكن على ولي العهد عيسى بن موسى بالرغبة والرغبة حتى خلع نفسه على أن يكون ولي العهد بعد المهدي بن المنصور •

وفيها مات رؤبة بن العجاج البصري التميمي السعدي، كان هو وأبوه^(٢) من المدونين^(٣) في الرجز ليس فيه شعر، ثم إن الرجز شعر على الصحيح •

(١) في ب: عوّص، وهي كذلك في الطبري ٢١٦/١، وفي هذه الأسماء تحريف جرى تداركه من الطبري •

(٢) في الأصل: هو وأخوه، وما أثبت من ب • (٣) في ب: من المدربين •

وكان عارفاً باللغة وحشيها وغريبها • والرؤبة خميرة اللبن ، وهي أيضاً قطعة من الليل ، والحاجة ، والرؤبة بالهمز القطعة من الخشب يشعب بها الإفاء ، والجميع بسكون الواو وضم الراء إلا اسم هذا الرجل فإنه بالهمز ، والقطعة من الخشب •
وفيهما مات عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، كان فقيهاً عالماً ، وكان ذا رأي وعزم وشجاعة •

سنة ثمان وأربعين ومائة

توفي الإمام سلالة النبوة جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين ، أمه فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، ولد سنة ثمانين بالمدينة ، ودفن بالبيع في قبر أبيه وجده وعم جده الحسن ، وقد ألف تلميذه جابر بن حيان الصوفي كتاباً في ألف ورقة يتضمن رسائله وهي خمسمائة ، وهو عند الإمامية من الاثني عشر بزعمهم ، قيل : إنه سأل أبا حنيفة عن محرم كسرتية أو رباعية ظبي ، فقال : ما أعرف جوابها ، فقال : أما تعلم أن الظبي لا يكون له رباعية وهو ثني أبدأ •

وفيهما مات الإمام الأعمش سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي مولاهم محدث الكوفة وعالمها • قال يحيى القطان : هو علامة الإسلام ، مكث قريباً من سبعين سنة لم تفته التكبير الأولى ، وما يرويه عنه مالك فهو إرسال لم يسمع منه ، وكان فيه مزاح • خرج إلى الطلبة يوماً وقال : لولا أن في منزلي من هو أبغض إلي منكم ما خرجت • وطلب رجلاً ليصلح بينه وبين زوجته فقال الرجل لزوجته : لا تنظري إلي عموشة عينيه وحموشة ساقيه فإنه إمام ، فقال : ما أردت إلا أن تعرفها عيوبي • وقال له حائك : ما تقول في شهادة الحائك ؟ قال : تقبل مع شهادة عدلين • وذكر عنده حديث : « من نام عن قيام الليل بال الشيطان في أذنه » • فقال : ما عمشت عيني إلا من بول الشيطان • وكتب إليه هشام بن عبد الملك : أن أكتب لي فضائل عثمان ومعاب علي ، فأخذ كتابه ولقّمه شاة عنده وقال لرسوله : هذا جوابك ، فألح عليه

الرسول في الجواب وتحمل عليه ياخوانه وقال : إن لم آت بالجواب قتلتني ، فكتب :
 « بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : فلو كان لعثمان مناقب أهل الأرض ما نفعتك ،
 ولو كان لعلي مساوىء أهل الأرض ماضرتك ، فعليك بخويصة نفسك والسلام » •

وفيها مات أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري
 الفقيه ، تولى قضاء الكوفة ثلاثاً وثلاثين سنة لبني أمية ولبني العباس •

وفيها مات محمد بن عجلان ، كان عابداً مجتهداً ، وله حلقة الفتوى بمسجد
 رسول الله ﷺ •

سنة تسع وأربعين ومائة

توفي عيسى بن عمر النحوي الثقفي البصري مولى خالد بن الوليد ، نزل في
 ثقيف فنسب إليهم ، وكان صاحب غريب في لفظه ونحوه • يحكى أنه سقط عن حمار
 فاجتمع عليه الناس ، فقال : مالكم تكأكاتم علي كنتأكتكم على ذي جنة ، افرقعوا
 عني • معناه : مالكم تجتمعتم علي كنتجمعتم علي مجنون تفرقوا عني فقالوا : إن
 شيطانه هندي يتكلم بالعجمية • وهو شيخ سيبويه ، وله كتاب (الجامع) في النحو ،
 وهو المنسوب إلى سيبويه ، وإنما لسيبويه فيه التحشية ، وله أيضاً (الإكمال) ،
 وصنف نيلاً وسبعين مؤلفاً في النحو • وفيه يقول الخليل بن أحمد :

ذهب النحو جميعاً كله غير ما أحدث عيسى بن عمر
 ذلك إكمال وهذا جامع وهما للناس شمس وقمر

وهو شيخ سيبويه والخليل وأبي عمرو بن العلاء الذي رتب لهم النحو • قيل :
 لم يضع أبو الأسود غير الفاعل والمفعول ، وهدبه كله عيسى بن عمر • قيل : وضربه
 ابن هيرة متولي العراق ، اتهمه بصحبة خالد بن عبد الله القسري ، واعتذروا عنه
 وقالوا : ما أردنا إلا التأديب ، قال : فما بال القيد إذا •

سنة خمسين ومائة

توفي أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي مولاهم الخراساني المفسر ، وكان نبيلاً ، واتهم في الرواية ، وقال مرة : سلوني ما دون العرش ، فقيل : من حلق رأس آدم لما حج ؟ وقال له آخر : الذرة والتملة معاًؤها في مقدمها أو مؤخرها ؟! فلم يدر ما يقول ، فقال : ليس هذا من علمكم لكن بليت به لعجبي بنفسي • وسأله المنصور : لم خلق الذباب ؟ فقال : ليزل به الجابرة • وقال الشافعي : الناس عيال على مقاتل ابن سليمان في التفسير ، وعلى زهير بن أبي سلمى في الشعر ، وعلى أبي حنيفة في الكلام ، وعلى الكسائي في النحو ، وعلى ابن إسحاق في المغازي •

وفيها توفي الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي مولى تيم الله بن ثعلبة ، ولد سنة ثمانين ، قيل : ورأى أنس بن مالك ، وأدرك ثلاثة من الصحابة سواه ، ولم تثبت روايته عن صحابي كما يزعم أصحابه ، وكان مستجعماً لخصال الخير لا يقبل جوائز الولاة ، وسعة إتفاقه من كسبه ومن عمله في الخز وصناعه • نقله المنصور عن الكوفة إلى بغداد ليوليه القضاء فأبى ، فحلف عليه ليفعلن ، فحلف أن لا يفعل ، وقال : أمير المؤمنين أقدر مني على الكفارة ، فأمر به إلى الحبس • وقيل : إنه ضربه ، وقيل : إنه اتهمه بقيامه مع إبراهيم السيد بن عبد الله بن الحسن ، فمات شهيداً ، وقيل : إنه أقام في القضاء يومين ، ثم اشتكى ستة أيام ، ومات ، وكان ابن هيرة قد أرادته على القضاء في الكوفة أيام مروان الجعدي فأبى ، وضربه مائة سوط وعشرة أسواط كل يوم عشرة ، وأصر على الامتناع فخلى سبيله • وكان الإمام أحمد إذا ذكر ذلك ترخم عليه ، وكذلك أيضاً ضرب في ترك القول بخلق القرآن •

وفيها ، وقيل : في التي قبلها أو بعدها مات أبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز ابن جريج القرشي مولاهم المكي أول من صنف الكتب في الإسلام على ما قيل • كان باليمن مع معن بن زائدة ، فحضر وقت الحج وخطر بباله قول عمر بن أبي ريعة :
بالله قولني له من غير معتبة ماذا أردت بطول المكث باليمن
إن كنت حاولت دنيا أو نعمت بها فما أخذت بترك الحج من ثمن

قال : فدخلت على معن فأخبرته أنني عزمت على الحج ، فقال : لم تذكره من قبل ، فأخبرته بما بعثني ، فجهزني وانطلقت .

سنة إحدى وخمسين ومائة

توفي شيخ البصرة وعالمها عبد الله بن عون ، والإمام محمد بن إسحق بن يسار المطلبي مولاهم المدني صاحب السيرة ، لا تجهل إمامته في السير ، ووثقه الأكثرون في الحديث ، ولم يخرج له البخاري شيئاً وخرج له مسلم حديثاً واحداً من أجل طعن مالك فيه ، وإنما طعن فيه مالك لأنه بلغه أنه قال : هاتوا حديث مالك فأنا أعرف بعلمه . ومن كتب ابن إسحق أخذ ابن هشام . وكل من تكلم في هذا الباب فعليه اعتماده . توفي بيغداد ودفن بمقبرة الخيزران أم الرشيد وأخيه الهادي ، ونسبت إليها المقبرة لأنها أول من دفن فيها ، وهي بالجانب الشرقي .

وفيها قتلت الخوارج غيلة الأمير معن بن زائدة الشيباني أمير سجستان للمنصور ، أحد الأبطال الأجواد ، كان مع بني أمية منتقلاً في ولايتهم موالياً لابن هبيرة وقاتل معه المنصور ، فلما قتل ابن هبيرة خاف معن فاختفى ، فلما كان يوم الهاشمية وهو يوم مشهور ثار فيه جماعة من أهل خراسان على المنصور ، وكانت وقعتهم بالهاشمية التي بناها السفاح بقرب الكوفة ، وكان معن متوارياً بالقرب منهم ، فخرج متكرراً وقاتل قتالاً أبان فيه عن نجدته وفرقهم . فلما أفرج عن المنصور قال له : من أنت ويحك ؟ فكشف لثامه فقال : أنا طلبتك يا أمير المؤمنين ، فأمنه وأكرمه وصار من خواصه . وقال له : أنت الذي أعطيت مروان بن أبي حفصة مائة ألف درهم على قوله :

معن بن زائدة الذي زينت به شرفاً على شرف بنو شيبان

فقال : يا أمير المؤمنين إنما أعطيته على قوله :

ما زلت يوم الهاشمية معلناً بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاءه من وقع كل مهند وستان

فقال : أحسنت * ودخل عليه أعرابي وهو جالس على سرير ملكه فأشده :
أتذكر إذ لحفك جلد شاة واذ نعلك من جلد البعير
قال : نعم أعرف ذلك ، قال :
وفي يمينك عكاز قوي تلوس به الكلاب من الهرير
قال : أذكر ولا أفكر ، قال :
فسبحان الذي أعطاك ملكاً وعلمك الجلوس على السرير
قال : بفضل الله لا بفضلك ، قال :
فلست مُسَلِّماً ما عشتُ دهرأ على معنٍ بتسليم الأمير
قال : إذا والله لا أبالي ، قال :
ولا آتي بلاداً أنت فيها ولو حزت الشام مع الثغور
قال : فاطلب موضعاً متحيزاً ، قال :
فمر لي يا بن زائدة بمالٍ فإني قد عزمت على المسير
قال لغلامه : أعطه ألف درهم ، قال :
قليل ما أمرت به وإني لأطمع منك بالشيء الكثير
قال : يا غلام زده ألف درهم ، قال :
فإنك قد ملكت الجود رزقاً بلا عقل ولا جاه خطير
قال لغلامه : زده ألف درهم ، قال :
ملكتم الجود والإنصاف جمعاً فبذل يديك كالبحر العزيز
قال : يا غلام ضاعف له الحساب ، قال :

فأضعف له * ورأى راكباً مَحْتًا ناقته فقال لحاجبه : لا تحجب هذا ، فلما مثل بين يديه أنشد شعراً :

أصلحك الله قل ما بيدي فما أطيق العيال إذ كثرُوا
أناخ دهري علي كلكله فأرسلوني إليك وانتظروا

فأخذته أريحيّة ، فقال : والله لأعجلن ردك إليهم ، فأعطاه ناقة وألف دينار وهو لا يعرفه .

ولما طلب المنصور سفيان الثوري سار إلى اليمن وكان يقرأ على الناس أحاديث الضيافة فيضيفوه ويكتفي عن سؤالهم ، فاتهم بسرقة ورفع إلى معن بن زائدة ، فتعرفه حتى عرفه وقال له : اذهب حيث شئت فلو كنت تحت قدمي ما أخرجتك .

ولما عظم صيته اندس له جماعة من الخوارج في ضيعة له بسجستان فقتلوه وهو يحتجم فتبعهم ابن أخيه فقتلهم كلهم . ورثاه الشعراء ، ومن أحسنهم قول مروان بن أبي حفصة في قصيدته التي أولها :

مضى لسبيله معن وأبقى مكارم لن تبيد ولن تنالا

واستنشده إياها جعفر البرمكي فبكى وأجازه ستمائة .

وروي أنه دخل على المهدي بن المنصور فمدحه فقال له : ألسنت القائل :

وقلنا أين ترحل بعد معن وقد ذهب النوال فلا نوالا

قال : بلى ، فأمر بإخراجه ، ثم مدحه بقصيدته التي يقول فيها : (طرقتك زائرة) فأعجب بها ، وهي مائة بيت ، أعطاه مائة ألف درهم ، قيل : وهي أول إجازة بمائة ألف أعطيها شاعر في خلافة العباسيين .

سنة ثلاث وخمسين ومائة

غلبت الخوارج الإباضية على إفريقية ، وقتلوا متوليها عمر بن حفص الأزدي ، وكانوا في مائة وعشرين ألف فارس ورجالة لا تحصى .

وفيهما ألزم المنصور الناس لبس القلائس تعمل من كاغد ونحوه على قصب ويعمل عليها السواد .

وفيهما معمر بن راشد الأزدي مولاهم البصري الحافظ الإمام ، أول من رحل في طلب الحديث إلى اليمن فلقني همام بن منبه ، وله الجامع المشهور في السنن أقدم

من الموطاء . وهشام بن أبي عبد الله الدستوائي البصري الحافظ ، بكى حتى فسدت عينه . ووهيب بن الورد المكي الولي الشهير صاحب المواعظ والحقائق ، كان لا يأكل من طعام الحجاز تورشاً مما اصطفاه الولاة لأنفسهم ومواشيهم .

وفيها أهم المنصور أمر الخوارج لاستيلائهم على بلاد المغرب ، فسار إلى القدس وجهز يزيد بن أبي حاتم في خمسين ألف فارس ، فافتتح يزيد إفريقية وهزم الخوارج وقتل كبارهم .

وفيها وزير المنصور أبو أيوب سليمان بن مخلد ، وقيل : ابن داود المورياني نسبة إلى موران^(١) من الأهواز ، ولي الوزارة بعد خالد البرمكي ، وهم المنصور أن يوقع به لتهم لحقته ، وكان كلما دخل هم بذلك ثم يترك إذا رآه ، فقيل : كان له دهن فيه سحر ، فشاع في العامة (دهن أبي أيوب) ، فأوقع به وعذبه حتى مات .

وفيها شيخ أهل اليمن بعد معمر : الحكم بن أبان العدني^(٢) كان إذا هدأت العيون وقف في البحر إلى ركبته يذكر الله حتى يصبح .

وفيها مكرى البصرة أبو عمرو بن العلاء بن عمار التميمي المازني البصري أحد السبعة ، نظر في العلم قبل أن يكبر ، قال أبو عبيدة : هو أعلم الناس بالقراءات والعربية والشعر وأيام العرب ، وكانت كتبه إلى سقف البيت ، ثم تنسك فأحرق كتبه ، فلما رجع إلى علمه الأول لم يكن عنده إلا ما حفظه . وهو في النحو في الطبقة الرابعة من علي . قال الأصمعي : سألت عن ألف مسألة فأجابني فيها بألف حجة . وفيه يقول الفرزدق شعراً مفتخراً :

ما زلت أفتح أبواباً وأغلقها حتى أتيت أبا عمرو بن عمار

(١) في القاموس المحيط : « وموران ، بالضم ، بلدة بنواحي خوزستان منها سليمان بن أبي أيوب المورياني ، وزير المنصور » بينما هي في الأصل و ب : موريان .

(٢) في ب : العدوي . وفي الأصل : العدري ، وكلاهما خطأ ، والتصويب من ميزان الاعتدال ٥٦٩/١

وكنيته اسم على الصحيح • وكان إذا دخل رمضان لم ينشد بيتاً تقياً (١)
حتى ينقضي •

ودخل يوماً على سليمان بن علي عم السفاح فسأله عن شيء فصدقه فلم يعجبه
فخرج أبو عمرو وهو يقول :

أفت من الذل عند الملو ك وإن أكرموني وإن قربوا
إذا ما صدقتهم خفتهم ويرضون مني بأن أكذب

قال اليافعي رحمه الله : ورفع له الباء موافقة للقافية مع دخول الناصبة للفعل
المضارع من أفعل دليل بجواز الإقواء المعروف ، وقال رحمه الله : أول العلم الصمت ،
ثم حسن الاستماع ، ثم حسن السؤال ، ثم حسن اللفظ ، ثم نشره عند أهله • وقال :
احتمال الحاجة خير من طلبها من غير أهلها • ما تساب اثنان إلا غلب الأهمما •
وقال : إذا تمكن الإخاء فتح الثناء ، وما ضاق مجلس بمتحابين ولا اتسعت الدنيا
بمتباغضين • وسمع أعرابياً وكان مخفياً من الحجاج يقول :

ربما تجزع النفوس من الأم سر له قرجة كحل العقال

فقال له أبو عمر : وما الأمر ؟ قال : مات الحجاج ، قال : فلم أدر بأيهما أفرح ؛
بموت الحجاج أم بقوله : قرجة ، يعني بفتح الفاء ، قال الأصمعي : هي بالفتح من
الفرج وبالضم من فرجة الحائط • ولد بمكة ومات بالكوفة عن أربع وثلاثين سنة •

سنة خمس وخمسين ومائة

مات حماد الراوية بن أبي ليلى الديلمي الكوفي مولى لابن زيد (٣) الخيل
الطائي الصحابي ، كان حماد من أعلم الناس بمآثر العرب وأشعارها ، وهو الذي
جمع السبع الطوال • قال له الوليد بن يزيد الأموي : لم سميت الراوية ؟ قال : لأنني
أروي لكل شاعر سمعت به أو لم أسمع وأميز بين قديمها وحديثها ، قال له : كم

(١) في الأصل : تقياً ، وفي ب : بقاء • وما أثبت من هامش الاصل •

(٢) في ب : ابن زيد الجليل ، وهو خطأ ، وصوابه : زيد الخيل ، وابنه مكئف
مولى حماد •

تحفظ من الشعر؟ قال: كثير لكنني أنشد على كل حرف مائة قصيدة طويلة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون الإسلام، فامتحنه في ذلك فوجده كما قال: فأمر له بمائة ألف درهم، ووهبه هشام مائة ألف درهم.

سنة ست وخمسين ومائة

توفي شيخ البصرة وعالمها وأول من دَوَّن العلم بها سعيد بن أبي عروبة العدوي .

وفيها شيخ إفريقية الزاهد الواظ العابد عبد الرحمن بن زياد الإفريقي .

وفيها أو في سنة ثمان، قارئ الكوفة أبو عمارة حمزة بن حبيب التيمي مولى تيم الله بن ربيعة الكوفي الزيات السيد الجليل أحد السبعة، كان رأساً في القراءات والفرائض، وقدوة في الورع. عنه قال: القرآن ثلاثمائة ألف حرف وثلاثة وسبعون ألف حرف ومائتان وخمسون. رأى الحق سبحانه في المنام وضحّه بالغة. وسمع منه، وهو منام مشهور .

سنة سبع وخمسين ومائة

مات إمام الشاميين أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، كان رأساً في العلم والعمل، بارعاً في الكتابة والترسل، أجاب في خمسين (١) ألف مسألة، وكان يقال له: عالم الأمة، وكان يحيي الليل صلاة وقرأناً وبكاء، مات في الحمام، أغلقت عليه زوجته ونسيته، ورثاه بعضهم فقال:

جاد الحيا بالشام كل عشية
قبر تضمن طود كل شريعة
قبراً تضمن لحده الأوزاعي
سقى له من عالم نفاع
عرضت له الدنيا فأقلع معرضاً
عنها بزهدٍ أيماً إقلاع

(١) في ب: سبعين ألف مسألة. وهذا يوافق ما ورد في سير أعلام النبلاء

للذهبي ١١١/٧ .

وقيل : جاء رجل إلى ابن سيرين فقال : رأيت البارحة كأن ريحانة رفعت إلى السماء من ناحية المغرب حتى توارت بالسماء ، فقال : إن صدقت رؤياك فقد مات الأوزاعي ، فوجده قد مات تلك الليلة . ولما حج لقيه سفيان الثوري بذي طوى وأخذ بخظام بعيره وسار وهو يقول : طرقتوا للشيخ .

سنة ثمان وخمسين ومائة

صادر المنصور خالد بن برمك على ثلاثمائة ألف^(١) درهم ثم رضي عنه وأمره على الموصل .

وفي ذي الحجة منها توفي بمكة المنصور أبو جعفر عبد الله بن محمد العباسي وله ثلاث وستون سنة ، وخلافته اثنتان وعشرون سنة ، وكان ذا حزم وعزم ودهاء وعقل وجبروت وظلم ، ولا يبالي أن يحرس ملكه بهلاك من كان ، وكان قد روي من العلم وعرف الحلال والحرام ، وساس هو وبنوه ملكهم سياسة الملوك ، وبعده ولدته المهدي . وكان المنصور استأذن أخاه السفاح في الحج ، فجاءه نعي السفاح في بعض الطريق ، فسار مسرعاً حتى دخل دار الخلافة وظفر بالأموال ، وتقررت قواعده . ولما أراد بناء مدينة السلام بعد أن مكث سنة يتردد ، فقال له راهب كان هناك : ما تريد؟ قال : أريد أن أبنى هاهنا مدينة ، قال الراهب : إن صاحبها يقال له مقلص ، فقال المنصور : أنا والله كنت أدعى بذلك في الكتّاب ، ثم قال له منجمه : احكم الآن بالبناء فإنه يتم بناؤها . ولا يكون لها في الدنيا ظير ، قال : ثم ماذا؟ قال : ثم تخرب بعد موتك خراباً ليس بالصحراء ولكن دون العمران الأول ، فوضع المنصور أول لبنة بيده ، وقال : بسم الله الرحمن الرحيم إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . ولما تم بناؤها وانتقل إلى قصره وقف يتأمل على باب القصر فإذا عليه مكتوب شعر :

ادخل القصر لا تخاف زوالا بعد ستين من سنينك ترحل

(١) في تاريخ الخميس : ثلاثة آلاف الف .

فوقف ملياً ثم تغرغرت عيناه بالدمع ثم قال : بقية لعاقل وفسحة لجاهل ، وكان وقوفه أنه حسب ما بقي من عمره من المولد إلى تمام الستين •

وخرج عليه في أيامه محمد بن عبد الله النفس الزكية فقتله ، ثم أخوه إبراهيم فقتله أيضاً ، ثم عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحسن وهو المعروف بالأشتر ، خرج بالسند وأرض كابل ونواحيها ، وأسلم على يديه خلق كثير ، وكان بينه وبين عامل المنصور أبي الدوائيق قدر خمسين وقعة في قدر سنة ، وقتل من الفريقين زهاء ثلاثة آلاف ، وقتل عبد الله في المعركة وهو ابن ثلاث وستين سنة بعد مقتل أبيه بخمس سنين ، وله عقب بالكوفة ، وأما أخوه علي بن محمد فأخذ بمصر وحمل إلى أبي الدوائيق فعلق رأسه بعمود حديد ، ثم أدخله السجن فمات في سجن المنصور بعد موته • وخرج عليه أيضاً الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن وكان مستتراً بالبصرة ، والشيعية يدعون له سرا ، فسعى به قرين بن يعلى الأزدي إلى المنصور أبي الدوائيق ، فأعطاه ثلاثة آلاف درهم وأرسل معه نصرانياً من خواصه ، وكتب إلى عامل البصرة يمكنهما مما أحببنا ، فلما قدما البصرة تمذهب النصراني بمذهب الشيعة في خشوع وخضوع وصلة لأهل بيت رسول الله ﷺ ، فمضى قرين إلى الحسن ووصفه له ورغبه في لقائه ، فكتب إليه الحسن على يد قرين ، فأخذ الكتاب ووضعه على عينيه وأكل ختمه ، فقالت له الشيعة : إن الحسن يشتهي لقاءك فقال : أخشى أن يظهر أمري وأمره فلو جاءني مع هذا ، يعني قريناً في هذه الحجره رجوت أن يخفى ذلك ، فأجابوه ، فهياً القيود والرجال ، فلما جاءه الحسن قبض عليه وقيده وحمله من ساعته إلى المنصور ، فلما وصل إليه أمر بجسسه وأخذ قريناً فعذبه حتى مات ، ولما أفضى الأمر إلى المهدي بن المنصور أطلق كل المحبوسين غير الحسن وآخر من الهارونيين ، فاحتالت الشيعة ، وتقبوا المطبق عنه ، وخرج وتحمل من حينه إلى الحجاز • فأقام بها حتى هلك رحمه الله •

ووقع المنصور فيما اتقاه أخوه من قتل أهل بيت رسول الله ﷺ وتشريدهم ، فأبقاها سنة في بقية العباسيين فلا يقوم قائم منهم إلا عارضه علوي فيقتله أو يسجنه

حتى يموت غيرةً على الملك وحرصاً عليه . والخلاف بينهم أن العباسيين تشبهوا بملوك العجم الجبارة في الكبر والإعجاب وضرب الخراج والحجاب ، وغلب على العلويين الإنكار وطلب الثأر، وتشبه الخلف منهم بالسلف على منهج واحد وأسلوب متوارد رحمهم الله تعالى .

قال المدائني : خرجت مع المنصور في حجته التي مات فيها ، فسألني عن سني فقلت : ثلاث وستون ، فقال : وأنا فيها ، وهي دقاقة الأعناق ، فنزلنا منزلاً فوجد مكتوباً على الحائط :

أبا جعفر حانت وفاتك وانقضت سنوك وأمر الله لاشك نازل

أبا جعفر هل كاهن أو منجم يرد قضاء الله أم أنت جاهل

وجعل يراه ويكي وينظر فلا يرى أحداً .

وحكي في تهذيب النواوي وقعة جرت له مع سفيان الثوري ، وذلك أنه أرسل لقتل سفيان قبل دخوله مكة ، فجاء سفيان إلى الفضيل وسفيان بن عيينة فتضرع إليهما وجلس بينهما فقالا : اتق الله يا سفيان لا تشمت بنا الأعداء ، فقام سفيان إلى البيت وأخذ بعضادتي الباب وقال : برئت منه إن دخلها أبو جعفر ، فلم يدخلها إلا ميتاً .

سنة تسع وخمسين ومائة

ألح المهدي على متولي العهد عيسى بن موسى بالترغيب والترهيب حتى خلع نفسه للهادي ، فأعطاه عشرة آلاف ألف وإقطاعات .

وفيها توفي السيد الجليل عبد العزيز بن أبي رواد⁽¹⁾ ، ورأت امرأة ليلته الحور العين حول الكعبة فقالت : ما هذا ؟ فقيل لها : زواج عبد العزيز ، فاقبته فإذا هو قد مات .

(1) في الأصل : رواد ، وفي ب : ذره ، وما أثبت الصواب .

والإمام أبو الحارث محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب القرشي المدني ، كان يشبهه بابن المسيب ، ويفضل على مالك ، ويصلي الليل أجمع حتى لو قيل له : هذا يوم القيامة ما أمكنه المزيد على اجتهاده ، ويأكل الخبز والزيت .
والإمام الجليل ابن أبي ذئب كان من رجال العلم عزمًا وحزمًا قوالاً بالحق ، دخل على المنصور فقال له : إن الظلم فاش ببابك ، ودخل عليه المنصور فلم يقم له فقيل له : ألا تقوم للأمير المؤمنين ؟ فقال : إنما يقوم الناس لرب العالمين .

سنة ستين ومائة

فرق المهدي أموالاً عظيمة وثياباً كثيرة .

وفيها توفي أبو بسطام شعبة بن الحجاج بن الورد العسكي مولاهم ، شيخ البصرة ، وأمير المؤمنين في الحديث ، قال سفيان : لولاه بالبصرة مات الحديث . وقال الشافعي : لولاه لما عرف الحديث بالعراق .

وفيها مات المسعودي عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله (١) بن مسعود الكوفي ، وكان عالماً بحديث ابن مسعود .

سنة إحدى وستين ومائة

ظهر عطاء الساحر الشيطان الملعون ، ادعى الربوبية وأرى الناس قبراً ثانياً في السماء يرى من مسيرة شهرين ، واستغوى بذلك خلائق ، وكان خروجه في قلعة وراء النهر ، وكان يقول بالتناسخ ، وأن الله تحول إلى صورة آدم ، ولذلك سجدت له الملائكة ، ثم إلى صورة نوح وإلى غيره من الأنبياء والحكماء ، ثم إلى صورة أبي مسلم الخراساني ، ثم إلى صورته هو الفاجر ، وكان لا يسفر عن وجهه لقبح

(١) عبد الله : نقص من الأصل . ينظر سير أعلام النبلاء ٩٣/٧

صورته ، ولذلك قيل له المقنع ، ثم اتخذ وجهاً من ذهب فتقنع به ، وعبده خلق كثير ، وقاتلوا دونه ، وانتدب لحربه سعيد الحرشي ، ولما أحسن بالغبلة استعمل سماً وسقى نساءه ، ثم شربوا وماتوا كلهم ، ودخل المسلمون الحصن فقطعوا رأسه وأرسلوه إلى المهدي في سنة ثلاث وستين فالحمد لله .

وفيها توفي أبو دلامة زَئِد بن الجَوْن صاحب النوادر ، أشد المهدي لما ورد بغداد :

إني حلفت لئن رأيتك سالماً بقرى العراق وأنت ذو وفر
لتصليَنَّ على النبي محمد ولتملأَن دراهماً حجري

فقال المهدي : أما الأولى فنعيم ، فقال : جعلت فداك لا تفرق بينهما فملاً له حجره دراهم . واستدعى طبيباً لعلاج مرض كان بولده ، فداواه على شيء معلوم ، فلما برأ قال له أبو دلامة : والله ما عندنا شيء ولكن ادع المقدر على يهودي وأنا أشهد لك أنا وولدي ، فمضى الطبيب إلى القاضي محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، وقيل : عبد الله بن شبرمة ، فاستدعى الطبيب باليهودي وادعى عليه ، فأفكر اليهودي ، فجاء بأبي دلامة وابنه ، وخاف أبو دلامة أن يطالبه القاضي بالتزكية ، فأشدد في الدهليز بحيث يسمعه القاضي :

إذا الناس غطوني تغطيت عنهم وإن بحشوا عني ففيهم مباحث
وإن ينبشوا بئري نبث بئارهم ليعلم قوم ما تشير النبائث

فقال له القاضي : كلامك مسموع وشهادتك مقبولة ، ثم غرم القاضي المبلغ من عنده . ونوادره كثيرة .

وفي شعبان منها توفي الإمام أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري الكوفي ، سيد أهل زمانه علماً وعملاً وزهداً وورعاً ، وعمره ست وستون سنة . قال ابن المبارك : كنت أروي عن ألف شيخ ومائة شيخ ما فيهم مثل سفيان ، ويسمى أمير المؤمنين في الحديث وأثنى عليه أئمة عصره بما يطول ذكره ، وكان يتكلم على المنصور ، وهم بقتله فمنعه الله منه ، ولما قرب دخول المنصور مكة قام سفيان في المنتزم وأقسم برب البيت

لا يدخلها منصور . [وكان كذلك ، وفي رواية : برئت منها يعني الكعبة إن دخلها المنصور]^(١) . ودخل على المهدي فسلم عليه تسليم العامة فأقبل عليه المهدي بوجه طلق وقال : تفرّ منا هاهنا وهاهنا أظن أنا لو أردناك بسوء لم تقدر عليك فما عسى أن نحكم الآن فيك ؟ فقال سفيان : إن تحكم الآن فيّ يحكم فيك ملك قادر عادل يفرق بين الحق والباطل ، فقال له الربيع مولاة : ألهذا الجاهل أن يستقبلك بهذا ؟! إيذن لي أضرب عنقه ، فقال المهدي : ويلك اسكت ، وهل يريد هذا وأمثاله إلا أن تضرب أعناقهم فتشقى بسعادتهم ؟! اكتبوا عهده على قضاء الكوفة على الألب يعترض عليه فيما حكم ، فخرج ورمى بالكتاب في دجلة وهرب ، وطلب فلم يقدر عليه ، وتولى قضاءها عنه شريك بن عبد الله النخعي فقال فيه الشاعر :

تحرز سفيان قصر بدينه وأمسى شريك مرصداً للدرهم

ومات سفيان بالبصرة متوارياً . ومناقبه تحتل مجلدات . ورآه بعضهم بعد موته فسأله عن حاله فقال :

ظرت إلى ربي عياناً فقال لي
لقد كنت قوفاً أما إذا أظلم الدجى
هنيئاً رضائي عنك يا بن سعيد
بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر أي قصر أردته
وزرني فإني منك غير بعيد

وفيهما وقيل : في سنة أربع وسبعين^(٢) إمام النحو عمرو بن عثمان المعروف بسيبويه الحارثي مولاهم ، أخذ النحو عن عيسى بن عمر ، واللغة عن أبي الخطاب الأخفش الأكبر وغيره ، قيل : ولم يقرأ عليه كتابه قط وإنما قرىء بعد موته على الأخفش ، قال ابن سلام : سألت سيبويه عن قوله تعالى : (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس) ، بأي شيء نصبت (قوم) فقال : إذا كانت إلا بمعنى

(١) ما بين القوسين نقص في الأصل ، واستدرك من ب .

(٢) كذا في الأصل ، وفي ب : وقيل سنة أربع وتسعين ، وفي ب أيضاً كتب بين السطرين : وفي الخميس في سنة ثمانين ولعله الأرجح « وهو الصواب إذ إن سيبويه توفي حوالي سنة ١٨٠ .

(لكن) نصبت • [قيل : كان أعلم من المتقدمين والمتأخرين بالنحو ، ولم يصنف فيه مثل كتابه] (١) وكان الخليل إذا جاءه سيبويه قال : مرحباً بزائر لا يثمل •

وتناظر هو والكسائي في مجلس الأمين فظهر سيبويه بالصواب وظهر الكسائي بتركيب الحجة والتعصب •

وسيبويه لقب فارسي ومعناه بالعربية رائحة التفاح • ومات سيبويه بشيراز وعمره ثلاث وثلاثون (٢) سنة •

سنة اثنتين وستين ومائة

مات السيد الجليل أبو إسحق إبراهيم بن أدهم فقع الله به ، قال الذهبي : روى عنه منصور ومالك بن دينار وطائفة ، وثقه النسائي وغيره • وتعجب الياضي من نقل الذهبي توثيقه عن واحد وغيره مع ظهور فضله وكراماته عند الخاص والعام • قلت : ولا ملامة على الذهبي فإن الصالحين قد تسقط روايتهم لا بتعمد الكذب بل بأسباب غير ذلك • وكان أول انقطاعه إلى الله تعالى بعد أن كان أحد الملوك أنه سمع هاتفاً من قربوس فرسه •

وروي أنه أقال تحت رمانة ومعه محمد بن المبارك الصوري (٣) فصلياً تحتها ، فخطبته الرمانة بأن يأكل منها شيئاً ، فأخذ رمانتين ، فأكل واحدة وناول صاحبه الأخرى ، وكانت قصيرة حامضة فعادت طويلة حالية تثمر في كل عام مرتين ، وسميت رمانة العابدين • ومناقبه وكراماته عديدة ، ومن شعره رحمه الله :

تركت الخلق طراً في رضاك وأيتمت العيال لكي أراك
فلو قطعني في الحب إرباً لما حن الفؤاد إلى سواكا

(١) ما بين القوسين ليس في الأصل ، واستدرك من ب .

(٢) في ب : اثنتان وثلاثون .

(٣) في الأصل : الصولي ، وهو خطأ . ينظر مرآة الجنان ١/٣٤٩

وفيهما ، وقيل : في سنة ستين ، توفي السيد الجليل الكبير داود بن ثصير الطائي الكوفي العالم العامل . قال رضي الله عنه : صم عن الدنيا واجعل فطرك الموت وفر من الناس فرارك من الأسد .

سنة أربع وستين ومائة

توفي الماجشون يعقوب ، سمع من ابن عمر وأكابر التابعين ، وروى عنه ابنه يوسف وعبد العزيز ، روي أنه دعي بغاسل يغسله فرأى عروقه تتحرك ، فتمهل عليه ملياً والناس يريدون الصلاة عليه ، ثم أفاق فاستوى جالساً ، فأتي بسويق فشربه ، وسئل عن حاله فقال : عرج بي فصعد بي الملك حتى أتى سماء الدنيا ، فاستفتح ففتح له ، هكذا إلى السماء السابعة ، فقيل له : من معك ؟ فقال : الماجشون ، فقيل له : لم تأتني به وقد بقي من عمره كذا وكذا سنة وأشهر ؟! ثم هبطت فرأيت النبي ﷺ وأبا بكر عن يمينه وعمر عن شماله وعمر بن عبد العزيز بين يديه ، فسألت الملك : لم كان عمر بن عبد العزيز بين يديه دونهما ؟ فقال : إنه عمل بالحق في زمان الجور وهما عملا بالحق في زمان الحق .

سنة خمس وستين ومائة

غزا المسلمون غزوة مشهورة ، عليهم هرون الرشيد وهو أمرد فبلغوا حكمة (١) قسطنطينية وقتلوا وسبوا وغنموا ما لا يحصى حتى بيع القرس بدرهم ، وصالحهم ملك الروم بمال جزيل .

وفيهما مات عبد الرحمن الدمشقي الزاهد المجاب الدعوة . ومعروف بن مشكان قارئ أهل مكة . وخالد بن برمك وزير السفاح جد جعفر البرمكي وكان مولد خالد سنة تسعين .

(١) في القاموس المحيط : « حكمة الشيء ، ويكسر : جهته وقصده ، وجماعة بيوت الناس » . وفي مرآة الجنان ٣٥٢/١ : خليج .

سنة سبع وستين ومائة

زاد المهدي في المسجد الحرام وجعل الكعبة في وسط الحرم وكانت في شق ،
وأكثر التوسعة من جهة أحياد ، وهو الذي عمر بأساطين الرخام •

وفيها سيد وقته حماد بن سلمة يروي عشرة آلاف حديث ، كان فصيحاً
مفوهاً إماماً في العربية ، شديد الاجتهاد في العبادة ، صاحب سنة وتصانيف في الحديث
يُعدُّ من الأبدال ، مارئي ضاحكاً ، وقسم فهاره وليله بين تسبيح وقراءة وصلاة •
والحسن بن صالح الهمداني الكوفي فقيه الكوفة وعابدها ، قسم هو وأخوه
علي وأمهما الليل ثلاثة أجزاء ، فمات أمهما فقسماه نصفين ، فمات الحسن وأخوه
حي فقام الليل كله •

وفيها ، وقيل : في التي قبلها ، قتل بشار بن برد العقيلي مولا هم الشاعر
المشهور ، كان أكمه جاحظ العينين ، وكان فصيحاً مفوهاً ، وكان يمدح المهدي
فرمي عنده بالزندقة ؛ فضربه حتى مات وقد نيف على السبعين • قيل : إنه كان يفضل
النار على الطين ، ويصوّب رأي إبليس في امتناعه من السجود لآدم ، وينسب إليه
هذا البيت :

الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار

قيل : وفتشت كتبه فلم يوجد شيء مما رمي به • وقيل : إنه هجا صالح بن
داود أخا يعقوب الوزير فقال شعراً :

هم حملوا فوق المناير صالحاً أخاك فضجت من أخيك المناير

فقال يعقوب للمهدي : إن بشاراً هجاك بقوله :

خليفة يزني بعمّاتِهِ يلعب بالدف (١) وبالصولجان
أبدلنا الله به غيره ودسّ موسى في حِر الخيزران

والخيزران امرأة المهدي ، وإليها تنسب دار الخيزران بمكة ، فقتله •

(١) في تاريخ الطبري ١٨١/٨ : بالدبوق .

سنة ثمان وستين ومائة

السيد الجليل الأمير الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب شيخ الهاشمية ، وأمير المدينة للمنصور ، ووالد السيدة نفيسة ، كان حبسه المنصور ثم أخرجه المهدي وقربه ، ومات الأمير عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ولي عهد السفاح بعد المنصور ، وقد سبق ذكر خلعه .

سنة تسع وستين ومائة

مات المهدي محمد بن عبد الله المنصور وله اثنتان وأربعون سنة ، وقيل : غير ذلك ، قيل : إنه جرى بعد صيد فدخل خربة فأراد الدخول بعده فصدمه باب الخربة فقتل . وقيل : سمته جاريته . وكانت خلافته تنيف على عشر سنين ، وكان مُمكداً محبباً إلى الناس ووصولاً لأقاربه ، فرق خزائن أبيه كلها ، قيل : ولم يكن فيهم أكرم منه يقال : إنه استضاف أعرابياً وقد افترد عن جيشه في طلب صيد حتى جهد وعطش فسقاه لبناً مشروباً ، فكتب له بخمسة ألف ، فأيسر ذلك الأعرابي فارتعجت (١) مواشيه ، وبقي مرصداً للحجاج ، فسمي مضيف أمير المؤمنين . وأول من هنأه وعزاه ومدحه أبو دلامة حيث يقول :

عيناى واحدة ترى مسرورة	يا مامها جدلاً وأخرى تذرِف
تبكي وتضطك تارة ويسوءها	ما أفكرت ويسرها ما تعرف (٢)
فيسوءها موت الخليفة محرماً	ويسرها أن قام هذا الأرف
خلف الخليفة ما للأمة أحمد	وأبيهم من بعده من يخلف

وفي أيامه قام الإمام أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين ، وكان أحمد هذا خليفة محمد بن عبد الله النفس الزكية

(١) ارتعج المال : كثر (القاموس - رعيج) .

(٢) هذا البيت نقص في الأصل ، واستدرك من ب .

وأكرم رجاله ، فلما قتل محمد بن عبد الله خرج هو وأخوه مع إبراهيم ، فلما قتل وقتل بعده ابنه الحسن بن إبراهيم يابعه الناس وهو متوارٍ ، وامتدت بيعته في كثير من البلدان ، وأهم المهدي أمره وأعياء خفاؤه ، ولم يقدر عليه بل بذل فيه الأموال الجزيلة ، فسم بالكوفة فمات وأخفي قبره .

وفيها مات نافع بن أبي نعيم الليثي مولاهم المدني أحد السبعة ، قال : قرأت على سبعين من التابعين ، وقرأ عليه مالك ، وقال : نافع إمام الناس في القراءة .

سنة سبعين ومائة

مات الخليفة الهادي موسى بن المهدي بن المنصور قيل : من قرحة أصابته ، وقيل : قتلته أمه الخيزران مستولدة المهدي وأم بنيه موسى وهرون وأختهم الياقوتة ، وذلك أنه هَمَّ بقتل أخيه الرشيد فقتلته . وعليه قام الإمام الحسين بن علي بن الحسن المثلث المعروف بالفخي ، وكان قيامه بالمدينة النبوية ، وقتل واليها خالد بن يزيد ، ثم خرج إلى مكة فلقبه أمير مكة مع ركب العراق في جماعة من أمراء العباسيين وأنسابهم ، فالتقوا بفتح معاً وهو على يسار الخارج إلى التنعيم ^(١) في أدنى الحِلِّ بأسفل وادي بلسدح ، فقتلوه مع جماعة من أهله في مائة من أصحابه ، منهم الحسن بن محمد النفس الزكية ، وكان قد أمّنته بعض الأمراء فلم يغنه أمانهم فقتلوه صبراً . وكذلك سليمان بن عبد الله بن الحسن قتلوه بعد أن برد في أيديهم قاتلهم الله أنى يؤفكون ، ولحق إدريس بن عبد الله بالمغرب ، فأنصفه أهلها ، وقام به أهل طنجة ، ففسد الرشيد من سمه ، وقام بعده ولده إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن ، ولحق يحيى ابن عبد الله بن الحسن بالدليم بعد أن استخفى زماناً بالكوفة وبغداد ، وأخذ عبد الله ابن الأفطس فجلس زماناً ثم أفلت ، وتفرق كثير منهم في البلاد والله سبحانه أعلم .

(١) التنعيم : موضع على ثلاثة أميال أو أربعة من مكة ، أقرب أطراف الحِلِّ إلى البيت . (القاموس) .

وفيهما مات الربيع بن يونس حاجب المنصور ، وكان من خواصه ، قال له يوماً : أسألني حاجة ، قال : أسألك أن تحب ابني ، قال : إن المحبة تقع بأسباب ، قال : قد أمكنك الله من سببها تفضل عليه فيحبك ، قال : والله قد أحببته قبل إيقاع السبب ، ولكن كيف اخترت له المحبة دون كل شيء ؟ قال : تكون ذنوبه عندك كذنوب الصبيان وشفاعته كشفاة العريان ، أشار إلى قول الفرزدق :

ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزرا مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

وقال له يوماً : ياربيع ما أطيب الحياة لولا الموت ! قال : ما طيبها إلا الموت ، أي يموت من قبلك وصلت إليك الخلافة .

وفيهما يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي ، وكان قد أرسله المنصور لحرب الخوارج الذين قتلوا عامله على إفريقية حفص بن عمر بن حفص ، وسير معه خمسين ألف مقاتل ، فقتل الخوارج ، واستمر والياً على إفريقية خمس عشرة سنة ، وكان من الممدحين الأجواد ، وكذلك كان أخوه روح بن حاتم متولياً على السند ، وتولى لخمسة من الخلفاء : السفاح والمنصور والمهدي والهادي والرشيدي ، ولم يتفق مثل هذا إلا لأبي موسى الأشعري عامل النبي ﷺ والخلفاء الأربعة بعده ، وكان يتعجب الناس من بعد ما بين ابني حاتم [فاتفق أنا الرشيدي عزل روحاً عن السند فلاحق بأخيه بإفريقية بمدينة القيروان]⁽¹⁾ وفي يزيد بن حاتم يقول الشاعر :

وإذا تباع كريمة أو تشتري فسواك بائعها وأنت المشتري
وإذا تخيل من حسابك لامع صدقت مخيلته لدى المستمطر
وإذا الفوارس عدت أبطالها عدوك في أبطالهم بالخنصر
ووفد عليه أشعب صاحب النوار في الطمع فمدحه بيتين فأجزل عطيته .

وفيهما مات إمام اللغة والنحو والعروض الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي ، وقيل : سنة خمس وسبعين ومائة ، وهو الذي استنبط علم العروض وحصر أقسامه في خمس دوائر واستخرج منها خمسة عشر بحراً ، وزاد فيها الأخفض بحراً سماه

(1) ما بين القوسين ليس في الأصل ، واستدرك من ب .

الخَبَب ، وقيل : إن الخليل دعا بمكة أن يرزقه الله علماً لم يسبق إليه ، وهو في اختراعه بديهية كاختراع أرسطاطاليس علم المنطق الذي هو ميزان المعاني وصحة البرهان ، ومن تأسيس الخليل إنشاء كتاب العين^(١) وهو أول من جمع حروف المعجم في بيت واحد فقال :

صف خلق خود كمثل الشمس إذ بزغت
يغطي الضجيج بها نجلاء معطار

وقال تلميذه النضر بن شميل : جاءه رجل من أصحاب يونس يسأله عن مسألة ، فأطرق الخليل ففكر وأطال حتى انصرف الرجل ، فعاتبناه ، فقال : ما كنتم قائلين فيها ؟ قلنا : كذا وكذا ، قال : فإن قال كذا وكذا ؟ قلنا : تقول كذا وكذا ، فلم يزل يغوص حتى انقطعنا وجلسنا ، ففكر فقال : إن المجيب يفكر قبل الجواب ، وقبيح أن يفكر بعده . وقال : ما أجيب بجواب حتى أعرف ما علي فيه من الاعتراضات والمؤاخذات ، وكان مع ذلك صالحاً قانعاً ، قال النضر : كان في خُص^(٢) البصرة لا يقدر على فلس وعلمه قد اتشر وكسب به أصحابه الأموال . قال : وسمعته يقول : إني لأغلق بابي فما يجاوزه همي . وقيل للخليل وقد اجتمع بابن المقفع : كيف رأيت ؟ فقال : علمه أكثر من عقله . وقيل لابن المقفع : كيف رأيت الخليل ؟ فقال : عقله أكثر من علمه ، وقرأ عليه رجل في العروض فلم يفهم فقال له الخليل : قطع هذا البيت :
إذا لم تستطع شيئاً فدعه
وجاوزه إلى ما تستطيع

قال الخليل : فشرع في تقطيعه مع مبلغ علمه ، ثم قام فلم يرجع إليّ ، فتعجبت من فطنته حين قصده . ويقال : إن أباه أول من سمي أحمد بعد النبي ﷺ . ومن شعر الخليل بن أحمد :

وما هي إلا ليلة ثم يومها
مطايا يقربن الجديد إلى البلى
ويتركن أزواج الغيور لغيره
ويقسمن ما يحوي الشحيح من الوافر

(١) في ب : ومن إنشاء الخليل تأسيس كتاب العين .

(٢) الخُص : البيت من القصب ، أو البيت يسقف بخشبة . (القاموس) .

وسأله الأخصس : لم سميت بحر الطويل طويلاً ؟ فقال : لأنه تمت أجزاءه ، والبسيط لأنه انبسط على حد الطويل ، والمديد لتمدد سباعيه على خماسيه ، والوافر لوفور أجزاءه ، والكامل لأن فيه ثلاثين حركة لا تجتمع في غيره ، والرجز لاضطراب قوائمه كقوائم الناقة الرجاء ، والرمل لأنه يشبه رمل الحضر يضم بعضه إلى بعض ، والهزج لأنه يضطرب شبه هزج الصوت ، والسريع لسرعته على اللسان ، والمنسرح لانسراحه وسهولته ، والخفيف لأنه أخف السباعيات ، والمقتضب لأنه اقتضب من الشعر لقلته ، والمضارع لأنه ضارع المقتضب ، والمجتث لأنه اجتث أي قطع من طول دائرته ، والمتقارب لتقارب أجزاءه وأنها خماسية كلها يشبه بعضها بعضاً •

قيل : فلما دخل الخليل البصرة لمناظرة أبي عمرو بن العلاء جلس إليه ولم يتكلم بشيء^(١) ، فسئل عن ذلك فقال : هو رئيس منذ خمسين سنة فخفت أن ينقطع فيفتضح في البلد • قال الواحدي في تفسيره : الإجماع منعقد على أنه لم يكن أحد أعلم بالنحو من الخليل •

سنة إحدى وسبعين ومائة

توفي أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم العمري نسبة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كان نهاية في العلم ، غاية في العبادة • واجه الرشيد بالإنكار والمواظب العظيمة في المسعى فقال : يا هرون ؟ فقال : لبيك يا عم ، قال : اظر هل تحصيهم ؟ يعني الحجيج ، قال : ومن يحصيهم ! قال : اعلم أن كلا منهم يسأل عن نفسه وأنت تسأل عن كلهم ، ثم قال : والله إن الرجل لیسرف في ماله فيستحق الحجر فكيف من يسرف في أموال المسلمين ؟!

سنة اثنتين وسبعين ومائة

توفي الإمام أبو محمد سليمان بن بلال مولى أبي بكر الصديق ، كان عاقلاً حسن الهيئة ، مفتياً بالمدينة •

(١) في الأصل : لم يجلس إليه وهو يتكلم بشيء ، وما أثبت من ب ، هو الأصوب .

وفيهما مات صاحب الأندلس أبو المطرف عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الأموي ، وكان قد أتى المغرب عند انقطاع دولتهم ، فقامت معه عرب اليمن الذين هناك ، فهزموا صاحبها يوسف وولكوه ، وبقيت الأندلس لعقبه إلى حدود أربعمائة .

وفيهما ، أو في ست وسبعين ، توفي صالح المري البصري الزاهد العابد الخائف المخيف ، روى عن الحسن وجماعة .

سنة ثلاث وسبعين ومائة

توفي عبد الرحمن بن أبي الموالي مولى علي رضي الله عنه ، روى عن الباقر وطائفة ، وضربه المنصور على أن يدلّه على محمد بن عبد الله بن الحسن فلم يفعل ، وكان من شيعته .

سنة خمس وسبعين ومائة

توفي شيخ مصر وعالمها الليث بن سعد الفهمي مولا هم ، أصله فارسي أصهباني ، وأراده المنصور لولاية مصر فأبى وتولى قضاءها . وروي أن الإمام مالكاً أهدى له صينية مملوءة رطباً فأعادها مملوءة ذهباً . وكان يتخذ لأصحابه الفالودج ، وكان يدخل في سنة ثمانين ألف دينار وما وجبت عليه زكاة ، وكان لا يتغدى كل يوم حتى يطعم ثلاثمائة وستين مسكيناً . قال الفقيه حسين : لعله أراد الحديث : « يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة » .

سنة ست وسبعين ومائة

مات حماد بن أبي حنيفة الإمام ، وكان من أهل الخير والصلاح والفقّه في مذهب أبيه ، وكان ابنه إسماعيل بن حماد قاضي البصرة فعزل يحيى بن أكثم ، فلما خرج منها إسماعيل مسافراً شيعه يحيى فقال إسماعيل : كان لنا جار طحان رافضي له بغلان ، فسمى أحدهما أبا بكر والآخر عمر ، فرمحه أحدهما فقتله ، فقال جدي أبو حنيفة : انظروا الذي رمحه فلا تجلدون إلا الذي سماه عمر ، فوجده كذلك .

سنة سبع وسبعين ومائة

توفي الوالي الشهير عبد الواحد بن زيد البصري ، قيل : صلى الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة ، وكراماته ومحاسنه كثيرة مشهورة .

سنة تسع وسبعين ومائة

جرت فتنة الوليد الخارجي الشاري ، واحد الشراة وهم الخوارج ، سموا بذلك لقولهم : شرينا نفوسنا في طاعة الله ، أي بعناها بالجنة ، حتى فارقتنا الأئمة الجبارة ، وكان الوليد أحد الشجعان ، وندب الرشيد لحربه يزيد بن يزيد بن زائدة الشيباني ابن أخي معن بن زائدة ، ومنكث يزيد مدة يماكره ويخادعه ، وكافت البرامكة متحرقة على يزيد ، فقالوا للرشيد : إنه مداهن ، فأرسل إليه يتوعده ، فناجزه يزيد فظفر به . وكان الوليد يتشد في المصاف :

أنا الوليد بن طريف الشاري قسورة لا يُصْطَلَى بنار

ولما انهزم تبعه يزيد بنفسه حتى أدركه على مسافة بعيدة فقتله واحتز رأسه . ولما قتل لبست أخته الفارعة عدة حربها وحملت ضرب يزيد بالرمح قرنيها وقال : اغربي غرب الله يمينك فقد فضحت العشيعة ، فانصرفت ، ولها في أخيها مرات كثيرة (١) .

وفيها توفي إمام دار الهجرة أبو عبد الله مالك بن أنس الحميري الأصبحي شهير الفضل ، كان طوالاً جسيماً عظيم الهامة أبيض الرأس واللحية أشقر أزرق العينين يلبس الثياب العدينية البيض ، وإذا اعتم جعلها تحت ذقنه وسدل طرفها بين كتفيه .

وروي أنه قال : ما أفنيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك ، وقيل رجل كتبت عنه العلم فمات حتى يستفتيني .

(١) في هامش الاصل زيادة : « ذكرها في معاهد التنصيص وغيره » .

وقال اليافعي : أخبر بنعم الله تعالى عليه ، قال : وقد وقع لي ذلك ، التمس مني بعض شيوخي أن يقرأ عليّ بعض العلوم ، وسألني بعضهم ، ورجع بعضهم حين خالفت فتواري فتواه ، وكتب إليّ شيخي محمد بن أحمد الذهبي (١) مسائل فقال لي : انظر فيها ، ولما أكملت على شيخي نجم الدين الطبري (الحاوي) قال للحاضرين : اشهدوا أنه شيخي فيه ، وقال لي : لقد استفدت منك أكثر مما استفدت مني . وقال لي بعضهم : ما تتكلم في فن ويحسب سامعك أن لك فناً غيره ، وسماي بعضهم القرضي .

وكان مالك عظيم المحبة لرسول الله ﷺ مبالغاً في تعظيم حديثه حتى كان لا يركب في المدينة مع ضعفه وكبر سنه ، ويقول : لا أركب في بلد فيها جسد رسول الله ﷺ مدفون .

قال الشافعي : قال لي محمد بن الحسن : أيُّ أعلم صاحبنا أو صاحبكم ؟ — يعني أبا حنيفة ومالكا رحمهم الله تعالى — قلت : على الإِصاف ؟ قال : نعم ، قلت : أأنشدك الله من أعلم بالقرآن ؟ قال : صاحبكم ، قلت : فمن أعلم بالسنة ؟ قال : صاحبكم ، قلت : فمن أعلم بأقوال الصحابة ؟ قال : صاحبكم ، قلت : فما بقي إلا القياس وما هو إلا عن هذه الأشياء . وكان مالك يشهد الصلوات الخمس والجمعة ويصلي على الجنائز ويعود المرضى ويعطي الحقوق ، وأكثر جلوسه في المسجد ، ثم ترك الكل ، وكان يصلي وينصرف ، وترك حضور الجنائز ثم ترك الكل فلم يأت لجمعة ولا لجماعة ولا عزى أحداً ، فقيل له : فقال : ليس كل أحد يقدر أن يتكلم بعذره . وسعي به إلى جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس وقيل له : إنه لا يرى خلافتكم ، فضره سبعين سوطاً ، ومدت يده حتى انخلعت ، فلم يزل بعد ذلك في رفعة ، وكانما كانت الشياطين حلياً تحلى به .

ولما ورد المنصور المدينة أراد أن يقيدَه منه فقال : والله ما ارتفع سوط منها عن بدني إلا وقد جعلته في حل لقربه من رسول الله ﷺ .

(١) في مرآة الجنان : جمال الدين بن محمد الذهبي .

وقيل : إنه ضرب لفتوى لم توافق أعراضهم ، وقيل : إنه بكى في مرض موته
 وقال : والله لو ددت أني ضربت في كل مسألة أفنتت فيها ، وليتني لم أفت بالرأي .
 وتوفي بالمدينة ، ودفن بالبقيع عن أربع وثمانين سنة ، وقيل : تسعين . ولما مات قال
 ابن عيينة : ما ترك على وجه الأرض مثله .

وفيها خالد بن عبد الله الواسطي المعروف بالطحان ، قال إسحق الأزرق :
 ما أدركت أفضل منه ، وقال الإمام أحمد : كان صالحاً ثقة شري نفسه من الله
 ثلاث مرات .

سنة ثمانين ومائة

كاف زلزلة عظيمة سقط منها رأس منارة الإسكندرية .
وفيها مبارك بن سعيد أخو سفيان الثوري . وفقهه مكة أبو خالد الزنجي .
 أحد شيوخ الشافعي ، عاش ثمانين سنة ، وكان يصوم الدهر .

سنة إحدى وثمانين ومائة (١)

وفيها محدث الشام ومفتي حمص إسماعيل بن عياش (٢) ، قال يزيد بن
 هرون : ما رأيت شامياً ولا عراقياً أحفظ منه ، وكان يحيي الليل كله ، وكان يحفظ
 عشرين ألف حديث ، وما حدث إلا عن حفظه .

وفيها قاضي مصر مفضل بن فضالة القتباني مجاب الدعوة ، عاش أربعاً
 وسبعين (٣) سنة .

(١) سقط هذا العنوان من الأصل ، واستدرك من مرآة الجنان ١/٣٧٨

(٢) في الأصل : عباس ، وفي ب : عياش كما أثبت ، ولعله الصواب .

(٣) كذا في الأصل : وفي ب : تسعين .

وفي رمضان منها توفي الإمام العالم مقرر المحاسن والفضائل عبد الله بن المبارك الحنظلي مولاهم المروزي ، تفقه بسفيان الثوري ومالك بن أنس وروى عنه الموطأ ، وكان كثير الاقتراع في الخلوات ، شديد الورع .

وكذلك أبوه مبارك ، روي أنه حرس بستاناً لمولاه فطلب منه رماناً حامضاً ، فجاءه بخلو ، فقال له : أنت ما تعرف العلو من الحامض ؟ قال : لا ، لأنك لم تأذن لي فيه ، فوجدوه كذلك . وعظم قدره عند مولاه حتى كان له بنت خطبت كثيراً فقال له : يا مبارك من ترى تزوج هذه البنت ؟ فقال : الجاهلية كانوا يزوجون للحسب ، واليهود للمال ، والنصارى للجمال ، وهذه الأمة للدين ، فأعجبه عقله ، وقال لأمها : مالها زوج غيره ! فتزوجها ، فجاءت بعبد الله بن المبارك ، وكان واحد وقته ، وفيه يقول القائل :

إذا سار عبد الله من مَرَوْ ليلةً فقد سار منها نورها وجمالها
إذا ذكر الأخيار في كل بلدة فهم أنجم فيها وأنت هلالها

وقد صنف في مناقبه ، وعد بعضهم ما جمع من خصال الخير فعدوها خمساً وعشرين فضيلة ، وكان يحج عاماً ويعزو عاماً ، فإذا حج قبض نفقة إخوانه ، وكتب على كل نفقة اسم صاحبها ، وينفق عليهم ذهاباً وإياباً من أنفوس النفقة ، ويشترى لهم الهدايا من مكة والمدينة ، فإذا رجعوا اتخذ سماًطاً عليه من جفان^(١) الفالودج نحو خمسة وعشرين فضلاً عن غيره ، فيطعم إخوانه ومن شاء الله ، ثم يكسوهم جديداً ، ويرد إلى كل منهم نفقته ؛ وذلك أنه كان له تجارة واسعة . قال سفيان الثوري : وددت عمري كله ثلاثة أيام من أيام ابن المبارك . وقال أحمد بن حنبل : لم يكن أطلب للعلم منه ، وصنف التصانيف العديدة ، وحدث بنحو عشرين ألف حديث . وقال ابن حرب : مالقي ابن المبارك مثل نفسه . ومناقبه كثيرة ، عاش ثلاثاً وستين سنة . قيل : مات بهيت^(٢) منصرفاً من غزوة . وقيل : مات في برية سائحاً مختاراً للعزلة .

(١) في الأصل : خوان ، وما اثبت من ب .

(٢) هيت : بلد بالعراق . (القاموس) .

سنة اثنتين وثمانين ومائة

سملت الروم عيني طاغيتهم قسطنطين وولوا عليهم أممته ، ولعلها سبية •

وفيهما توفي عمار بن محمد الثوري ابن أخت سفيان الثوري • قال ابن عرفة: كان لا يضحك ، وكنا لا نشك أنه من الأبدال •

وفيهما على الأصح عالم الكوفة يحيى بن زكريا بن أبي زائدة الحافظ ، عاش ثلاثاً وستين سنة ، قال ابن المديني : انتهى العلم إليه في زمانه ، ما كان بالكوفة (١) بعد الثوري أثبت منه •

وفيهما الحافظ يزيد بن زريع ، قال أحمد بن حنبل : كان ريحانة أهل البصرة • قال نصر بن علي الجهضمي (٢) : رأيت في النوم فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : دخلت الجنة ، قلت : وبماذا دخلت ؟ قال : بكثرة الصلاة •

وفيهما القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الكوفي ، أول من دعي بقاضي القضاة ، تفقه على أبي حنيفة وخالفه في مواضع ، وروى عنه محمد بن الحسن الشيباني وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين ، وأكثر العلماء على تفضيله وتعظيمه ، ولي القضاء للمهدي وابنه ، وذكر المؤرخون له أخباراً مع الرشيد في بعضها مدهانات في الحكم وترخيصات [ولا يحسن ذكرها] (٣) ، وله استحسانات يخالف فيها أيضاً • وروي أنه قال عند وفاته : كل ما أفتيت به فقد رجعت عنه إلا ما وافق الكتاب والسنة ، وقال : اللهم إنك تعلم أنني لم أجتر في حكم حكمت به بين اثنين من عبادك متعمداً ، ولقد اجتهدت في الحكم بما يوافق سنة نبيك ﷺ ، وكل ما أشكل فقد جعلت أبا حنيفة بيني وبينك ، وكان والله عندي ممن يعرف أمرك ولا يخرج عن الحق وهو يعلمه •

(١) بالكوفة : ليست من الأصل ، واستدركت من ب ومن مرآة الجنان ٣٨٢/١

(٢) كذا في الأصل ، وفي ب : علي بن نصر الجهضمي •

(٣) ما بين القوسين زيادة من ب •

وروي أن زبيدة بنت جعفر امرأة الرشيد أرسلت إليه بمال وعنده جلساؤه فقال بعضهم : قال رسول الله ﷺ : من أهديت له هدية فجلساؤه شركاؤه فيها ، فقال أبو يوسف : ذلك حين كانت الهدايا من التمر والأقط . وقال بعضهم : كان أبو يوسف يحفظ التفسير والمغازي وأيام العرب ، وكان أول علومه الفقه ، ولم يكن في أصحاب أبي حنيفة مثله ، وهو أول من نشر مذهب أبي حنيفة .

وسأله الأعمش عن مسألة فأجابها فقال : من أين ؟ قال : من حديثك الذي حدثتني أنت ، قال : يا يعقوب إني لأعرف الحديث قبل أن يجتمع أبواك وما عرفت تأويله إلا الآن .

وتناظر هو وزفر بن الهذيل عند أبي حنيفة فأطالا فقال أبو حنيفة لزفر : لا تطمع في رئاسة بلد فيها مثل هذا . وكان يقول : العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك . وعاش قريبا من سبعين سنة .

وفيهما ، وقيل : قبلها أو بعدها ، يونس بن حبيب النحوي أحد الموالى المنجيين ، أخذ الأدب عن أبي عمرو بن العلاء وغيره ، وهو من الطبقة الخامسة في الأدب بعد علي كرم الله وجهه . اختلف إليه أبو عبيدة أربعين سنة وأبو زيد عشر سنين [وخلف الأحمر عشرين سنة]^(١) ، وله عدة تصانيف وكان يقول : فرقة الأحباب سقم الألباب وينشد :

ثنتان لو بكت الدماءَ عليهما عيناى حتى تؤذنا بذهاب
لم يبلغ المعشار من حقيهما شرخ الشباب وفرقة الأحباب
ومات يونس وله مائة وستتان .

وفيهما ، وقيل : في التي قبلها ، مروان بن أبي حفصة الشاعر اليمامي ، روي أنه لما مدح المهدي بقصيدته السبعين التي أولها :

إليك قصرنا النصف من صلواتنا مسيرة شهر بعد شهر نواصله
فلا نحن نخشى أن يخيب رجاؤنا إليك ولكن أهنا البر عاجله
أعطاه سبعين ألف درهم قبل أن يتمها .

(١) ما بين القوسين نقص من الأصل ، واستدرك من ب .

وأجود ما قال قصيدته اللامية في معن بن زائدة ، وفضل بها على شعراء زمانه ،
أعطاه ثلاثمائة ألف درهم . ومدح ولد مروان شراحيل بن معن بن زائدة بقوله :

يا أكرم الناس من عجم ومن عرب (١)

أعطى أبوك أبي مالاً فعاش به
ما حل أرضاً أبي ثاورٍ أبوك بها
فأعطني مثل ما أعطى أبوك أبي
إلا وأعطاه قنطاراً من الذهب

فأعطاه قنطاراً ، والقنطار ألف أوقية . وقيل : غير ذلك .

ومثل هذه الحكاية ما روي أنه لما حبس عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحطيئة
في هَجْوِهِ للناس كتب إليه :

ماذا تقول لأفراخ بذي مَرَّخٍ
ألقيت كاسِبَهُمْ في قعر مظامة
زَعَبِ الحواصل لآماء ولا شجر
أنت الذي قام فيهم بعد صاحبه
فارحم عليك سلام الله يا عمر
ما أثروك بها أو قدموك لها
ألقت إليك مقاليد النهى البشر
لكن لأنفسهم قد كانت الأثر

فأطلقه وشرط عليه أن يكف لسانه ، فقال له : إذا منعني التكسب بلساني
فاكتب لي إلى علقمة بن علاثة العامري ، فامتنع عمر ، فقيل له : يا أمير المؤمنين
ما عليك من ذلك ؟ فاكتب له فإن علقمة ليس من عمالك وقد تشفع بك إليه ، فكتب ،
ورحل إليه فصادف الناس منصرفين من جنازته وولده واقف على قبره فأنشد :

لعمري لنعم المرء من آل جعفرٍ
فإن تحييَ لا أمل (٢) حياتي وإن تمتْ
بحورانَ أمسى علقته الحبائل
وبين الغنى إلا ليالٍ قلائل
فما في حياتي بعد موتك طائل
وما كان بيني لو لقيتك سالماً

فقال له ابنه : كم ظننت أنه يعطيك ؟ فقال : مائة ناقة يتبعها مائة ، فأعطاه
إياها ابنه .

(١) هذا عجز بيت لم يذكر في الأصل صدره ، وهو ليس في ب .

(٢) في الأصل و ب : لا املك ، والصواب ما أثبت .

سنة ثلاث وثمانين ومائة

خرج أعداء الله الخزر ، وسببه أن الفضل بن يحيى البرمكي خطب سبنت (١) بنت خاقان ملكهم ، فحملت إليه ، فماتت في الطريق ، فرجع من كان معها من العساكر والخدم ، وأخبروا أباهما أنها قتلت غيلة فاشتد غضبه ، وخرج من باب الأبواب (٢) ، وأوقع بأهل الإسلام وأهل الذمة ، وقتل وسبى ، وبلغ السبي من المسلمين مائة ألف ، وعظم مصاب المسلمين ، وانزعج هارون الرشيد ، واهتم ، وجهز الجيوش ، فطرد العدو عن إرمينية ، وسدوا الباب الذي خرجوا منه .

وفيها توفي الإمام أبو معاوية هشيم بن بشير السلمي إمام بغداد، قال يعقوب الدورقي : كان عنده عشرون ألف حديث ، ومكث يصلي الصبح بوضوء العشاء عشرين سنة .

وفيها مات السيد الجليل محمد بن السماك العجلي مولاهم الواظ ، روى عنه الإمام أحمد وغيره . ومن كلامه : من جرّعته الدنيا حلاوتها جرّعته الآخرة مرارتها لتجافيه عنها . روي أن الرشيد استفتاه في يمين حلفها أنه من أهل الجنة ، فقال : هل قدرت على معصية فتركتها مخافة الله عز وجل ؟ فقال : نعم ، فقال : قال الله تعالى : (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى) فتمسك بامرأته . قال الياضي : وإنما المراد بالآية استمرار الخوف إلى الموت . قال الفقيه حسين : استدلال ابن السماك صحيح لأن الظاهر أن كل مسلم يدخلها ، وإنما الإشكال لو قال : يدخلها بغير مجازاة ، وغاية ما فيه الشك ، والبحث لا يقع به ، والله أعلم .

وفيها توفي السيد الجليل أبو الحسن الكاظم بن جعفر الصادق ، وكان جواداً صالحاً عابداً حليماً ، بلغه عن رجل الأذى له فبعث إليه بألف دينار . وهو أحد الأئمة

(١) في مرآة الجنان ١/٣٩٢ : سبنت .

(٢) كذا في الطبري ٨/٢٧٠ ، وفي الاصل : من الباب الحديد .

الاثني عشر المعصومين على اعتقاد الإمامية • كان يسكن المدينة فأقدمه المهدي بغداد وحبسه ، فرأى المهدي في نومه علياً كرم الله وجهه وهو يقول : يا محمد ، (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم) فأطلقه على ألا يخرج عليه ولا على أحد من بنيه ، وأعطاه ثلاثة آلاف ، وردّه إلى المدينة ، ثم حبسه هرون في دولته ومات في حبسه • وقيل : إن هرون قال : رأيت حسيناً في النوم قد أتى بالحربة وقال : إن خليت عن موسى هذه الليلة وإلا نحرتهك بها ، فخلاه وأعطاه ثلاثين ألف درهم • وقال موسى : رأيت النبي ﷺ وقال لي : يا موسى حبست ظلماً فقل هذه الكلمات لا تبيت هذه الليلة في الحبس : « ياسامع كل صوت ، يا سابق الفوت ، يا كاسي العظام لحماً وناشزها بعد الموت ، أسألك بأسمائك الحسنى وباسمك الأعظم الأكبر المكنون المخزون الذي لم تُطلع عليه أحداً من المخلوقين ، يا حليماً ذا أناة ، ياذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً ولا يحصى عدداً فرج عني » • وأخباره كثيرة شهيرة رضي الله عنه •

وفيها شيخ أصبهان وعالمها النعمان بن عبد السلام التيمي تيم الله بن ثعلبة العابد الزاهد ، له تصانيف شتى •

سنة خمس وثمانين ومائة

فيها الإمام الزاهد المجاهد المرابط أبو إسحق الفزاري ، كان لا يدع مبتدعاً في الشر إلا أخرجه •

وعبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وكانت له عجائب ، منها أنه ولد سنة أربع ومائة ، وولد أخوه محمد أبو السفاح والمنصور سنة ستين فيبينهما أربع وأربعون سنة ، ومنها أن يزيد بن معاوية حج بالناس سنة خمسين وحج عبد الصمد بالناس سنة خمسين ومائة ، وهما في النسب إلى عبد مناف سواء ، ومنها أنه أدرك السفاح والمنصور وهما ابنا أخيه ، ثم أدرك المهدي وهو عم أبيه ، ثم أدرك الهادي وهو عم جده ، ثم أدرك الرشيد وفي أيامه مات ، وقيل يوماً لمرشيد : هذا مجلس فيه أمير المؤمنين وعمه وعم عم عمه ، وذلك أن سليمان بن جعفر هو عم الرشيد ،

والعباس عم سليمان ، وعبد الصمد عم العباس ، ومنها أنه ولد فبقيت (١) اسنانه
مثغرة فمات ولم يثغر .

وفيها يزيد بن مزيد ابن أخي معن بن زائدة والي إرمينية وأذربيجان وأحد
الفتيان الشجعان ، وقد سبق أن الرشيد لما أهمه شأن الوليد بن طريف الشيباني
الخارجي قتله ، وروي أنه سلحه يومئذ بسيف النبي ﷺ ذي الفقار وقال : خذه
فإنك ستنتصر به وقال فيه الشاعر وهو مسلم بن الوليد الأنصاري :

أذكرت سيفَ رسول الله سنته وسيف أول من صلى ومن صاما

يعني علياً رضي الله عنه إذ كان هو الضراب به ، وكان سبب وصول ذي الفقار
إلى العباسيين أن محمد بن عبد الله النفس الزكية قيل : دفعه إلى تاجر كان له عليه
أربعمائة دينار ، واشتراه منه جعفر بن سليمان ، قال الأصمعي : رأيت في ثماني
عشرة (٢) فقارة ، وهي الثقوب والدحل (٣) .

سنة سبع وثمانين ومائة

خلعت الروم من الملك ريني (٤) وأهلكت بعد شهر ، وأقاموا عليهم تقفور (٥) ،
والروم تزعم أنه من أولاد جبلة (٦) الغساني الذي تنصر ، وكتب تقفور إلى الرشيد :
من تقفور ملك الروم إلى هرون ملك العرب ؛ أما بعد فإن الملكة التي كانت
قبلي أقامتكم مقام الرشح ، وأقامت نفسها مقام البيدق ، فحملت إليك من أموالها

(١) في الأصل و ب : لقيت ، ولعل الصواب ما أثبت . وثغر : سقطت رواضعه ،
والرواضع : أسنان الصبي .

(٢) في ب ثمان وعشرون .

(٣) الدحل : نقب متسع فمه ضيق أسفله . (القاموس) .

(٤) في الأصل و ب : السبتنة ، وما أثبت من تاريخ الطبري ٣٠٧/٨ و ٣٠٨ .

(٥) في الأصل و ب : يعقوب ، وما أثبت من تاريخ الطبري ٣٠٧/٨ و ٣٠٨ .

(٦) في تاريخ الطبري ٣٠٧/٨ : من أولاد جفنة من غسان .

[ما كنت حقيقاً بحمل أمثالها إليها]^(١) وذلك لضعف النساء وحمقهن ، فإذا قرأت كتابي فارددْ ما [حصل]^(١) قبلك [من أموالها]^(١) واخذ نفسك [بما يقع به المصادرة لك]^(١) وإلا فالسيف بيننا وبينك •

فكتب إليه هرون الرشيد على كتابه :

من هرون أمير المؤمنين إلى فقفور كلب الروم ، قرأت كتابك يا ابن الكافرة ، والجواب ما ترى دون ما تسمع إن شاء الله تعالى •

ثم ركب من يومه ، وأسرع حتى نزل هيرقلة ، وأوقع بهم قتلاً وذلاً وسيئاً ، وطلب فقفور مواعته على خراج يحمله إليه ، ثم قفض العهد بعد رجوع هرون إلى الرقة ، فكر عليهم راجعاً ونازلهم حتى نال منهم مراده ، وفي ذلك يقول أبو العتاهية:
ألا فادت هيرقلة بالخراب من الملك الموفق للصواب
غدا هرون يرعد بالمنايا^(٢) ويرق بالذاكرة العصاب

وفيهما ، أو في التي قبلها توفي بشر بن المفضل أحد حفاظ البصرة ، كان يصلي كل يوم أربعمئة ركعة ويصوم الدهر يوماً ويفطر يوماً •

وفيهما غضب الرشيد على البرامكة ، وضرب عنق جعفر بن يحيى البرمكي الوزير ، أحد الأجواد الفصحاء البلغاء ، والبلاغة الإيجاز مع إصابة المعنى ، وكان قد تفقه على القاضي أبي يوسف ، فلأجل ذلك كانت توقيعاته على منهج الفقه • وكتب إلى بعض العمال : كثر شاكوك ، وقل شاكوك ، فإما اعتذرت وإما اعتزلت •

وقال يهودي للرشيد : إنك تموت هذه السنة ، فاغتم وشكا إلى جعفر ، فقال جعفر لليهودي : كم بقي من عمرك أنت ؟ فقال : كذا وكذا مدة طويلة ، فقال للرشيد : اقتله حتى تعلم أنه كاذب ، فقتله ، ووهب ما عنده • وكان جعفر يتحكم في مملكة

(١) ما بين القوسين نقص من الأصل و ب ، واستدرك من تاريخ الطبري ٣٠٨/٨

(٢) في الأصل و ب : يوعدها المنايا ، وما أثبت من تاريخ الطبري ٣١٠/٨ وهو أكثر ملاءمة للسياق .

الرشيد بما أراد من غير مشاورة ، فينفذها الرشيد • وأول من ولي الوزارة منهم خالد بن برمك للسفاح •

وسبب قتلهم أمور ضم بعضها إلى بعض منها : أن الرشيد زوج جعفرأ العباسة، وهي أخته لغرض الاجتماع والمحرمية ، وشرط عليه ألا يجتمع بها ، فقدر الاجتماع بحصول رغبة من العباسة وحيلة منها مع أمه عناية في قصة طويلة •

ومنها أن الرشيد سلم إلى جعفر بن يحيى يحيى بن عبد الله بن الحسن المثنى، وكان قد خرج عليه ، وأمر بحبسه عنده ، فرق له جعفر لقرابته من رسول الله ﷺ واتصاله به ، فأطلقه •

ومنها أنه رفعت إليه رقعة لم يعرف صاحبها :

قل لأمين الله في أرضه	ومن إليه الحل والعقد
هذا ابن يحيى قد غدا مالكا	مثلك ما بينكما حدة
أمرك مردود إلى أمره	وأمره ليس له رد
وقد بنى الدار التي ما بنى	مثالها الفرس ولا الهند
الدر والياقوت حضاؤها	وتربها العنبر والند
ولا يباهي العبد أربابه	إلا إذا ما بطر العبد
ونحن نخشى أنه مالك	ملكك إن غيبك اللحد

ومع ذلك فقد كان الرشيد رأى إقبال الناس عليهم وفتنتهم بهم دونه ، وكثرة أتباعهم وأشياعهم مع الإدلال العظيم منهم ، ومع الإغراء العظيم من أعدائهم كالفضل ابن الربيع وغيره ، فكان من أمرهم ما كان • وكان الرشيد إذا ذكرت مساوئهم عنده يقول :

أقتلوا ملاما لا أبأ لأبيكم

عن القوم أو سدوا المكان الذي سدوا

ولما أراد الله سبحانه ابتلاءهم ظهرت منامات وعلامات لهم ولغيرهم وإشارات في حكايات يطول ذكرها •

ولما قتل جعفر وجيء برأسه إلى الرشيد أرسل الأبيه يحيى وأخيه الفضل وقبض عليهما ، وأمر أن يوقر يحيى حديداً ويحمل إلى الحبس حبس الزنادقة ، وكذلك الفضل ، وبقيا في الحبس حتى ماتا ، وقبض على أولادهم وقراباتهم وأموالهم في حكايات تطول .

ولما بلغ سفيان بن عيينة قتل جعفر حول وجهه إلى القبلة وقال : اللهم إنه قد كفاني مؤونة الدنيا فكفه مؤونة الآخرة .

وأكثر الشعراء رثاء لهم ، ومن قول الرقاشي (١) :

أصبت بسادة كانوا نجوماً بهم يستقى إذا انقطع الغمام
فلم أر قبل قتلك يا بن يحيى حساماً قد ه السيف الحسام
أما والله لولا خوف واشٍ وعين للخليفة لا تنام
لطفنا حول جذعك واستلمنا كما للناس بالحجر استلام
وله :

ألا إن سيفاً برمكياً مهنداً (٢) أصيب بسيف هاشمي مهند
فقل للعطايا (٣) بعد فضل تعطي وقل للرزايا كل يوم تجدي

ومن أطال الكلام في ترجمة جعفر فقد قصر ، والله أعلم .

وفيها توفي السيد الأجل الزاهد العابد أحد أفراد الدنيا أبو علي الفضيل بن عياض . قال ابن المبارك : ما ظهر على وجه الأرض أفضل منه . وقال شريك : هو حجة لأهل زمانه . وقال له الرشيد : ما أزهك ! قال : أنت أزهمني ؛ لأنني زهدت في الدنيا الفانية وأنت زهدت في الآخرة الباقية . وقال له : يا حسن الوجه ، أنت الذي أمرت هذه الأمة بيدك وفي عنقك ، لقد تقلدت أمراً عظيماً . فبكى الرشيد ، وأعطى

(١) في تاريخ الطبري ٣٠٠/٨ ان الأبيات لأبي عبد الرحمن العطوي .

(٢) في تاريخ الطبري ٣٠٠/٨ : ودونك سيفاً برمكياً مهنداً .

(٣) في الأصل وب : للمطايا . وكذلك في مرآة الجنان ١٥/١

كل واحد من الحاضرين من العلماء والعباد بدرة وكل قبلها إلا الفضيل ، فقال له سفيان بن عيينة : أخطأت ، ألا صرفتها في أبواب البر ؟ فقال : يا أبا محمد ، أنت فقيه البلد وتخطيء هذا الخطأ؟! لو طابت لأولئك طابت لي •

وقال : إذا أحب الله عبداً أكثر غمته ، وإذا أبغضه وسع عليه الدنيا •

وقال : لو عرضت عليّ الدنيا بحدافيرها لم أحاسب عليها لكنت أتقذرها كالجيفة ، ولو كانت لي دعوة مستجابة لم أجعلها إلا للإمام ؛ لأنه إذا صلح آمن البلاد والعباد •

• وكان ولده علي من كبار الصالحين •

ولد الفضيل رضي الله عنه بسمرقند ، وقدم الكوفة شاباً ، وسمع من منصور وطبقته ، وجاور بمكة إلى أن مات ، وقبره بالأطح مشهور مزور •

وفيها يعقوب بن داود السلمي ، كان كاتب إبراهيم بن عبد الله بن الحسن المثنى لما خرج على المنصور ، وكان عنده صنوف من العلم ، فظفر به المنصور ، فحبسه في المطبق ، وأطلقه المهدي ، وكان من خواصه إلى أن ظهر له منه تعلق ببعض العلويين ؛ فرده إلى المطبق ، وبقي فيه إلى جانب من دولة الرشيد ، فرأى قائلاً يقول:

حنّ على يوسف ربي فأخرجه من قعر جب وبيت حوله غمم

قال : فمكثت بعده حولا فرأيت قائلاً يقول :

عسى فرج يأتي به الله إنه له كل يوم في خليقته أمر

فمكثت بعده حولا آخر فرأيت قائلاً يقول :

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب
فيأمن خائف ويفك عانٍ ويأتي أهله النائبي الغريب

قال : فأخرجت صبيحة ذلك اليوم ، فلما رأيت الضوء ذهب بصري ، فجيء بي إلى الرشيد ، فأحسن إليّ ورد مالي • ثم إن الرشيد خيره بين المقام عنده والذهاب فاختار الذهاب إلى مكة ، فجاور بها حتى مات ، رحمه الله تعالى •

وفيها إبراهيم بن ماهان الموصلي التميمي مولاهم المعروف بالنديم صاحب الغناء ، مخترع الألحان فيه ، وأول خليفة سمعه المهدي . حكى أن الرشيد هوي جارية ، فغاضبته مرة ، فأنف منها فهجرها ، فقال في ذلك العباس بن الأحنف بسؤال جعفر البرمكي :

راجع أحببتك الذين هجرتهم إن المقيم قلما يتجنب
إن التجنب إن تطاول منكما دون السثلوا له فعزّ المطلب

وأمر جعفر إبراهيم الموصلي أن يعني بهن الرشيد ، ففعل ، فبادر وترضاها ، فسألت الجارية عن السبب ، فأخبرت ، فحملت إلى كل واحد منهم مالا جزيلاً . وكان وفاة إبراهيم بالقولنج ، وله مصنفات كثيرة في الفقه وغريب الحديث والنوادر والشعر وغير ذلك .

سنة تسع وثمانين ومائة

توفي شيخ القراءات والنحو أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي الأزدي مولاهم الكرخي ، أحد السبعة ، وهو مؤدب الأمين بن هرون الرشيد ، قيل : وأدب هرون . وعنه قال : من تبخر في النحو اهتدى إلى جميع العلوم ، فقال له محمد بن الحسن الحنفي : ما تقول فيمن سها في سجود السهو أيسجد ؟ قال : لا ، لأن المصغر لا يصغر . وله مع اليزيدي وسيبويه مناظرات كثيرة . توفي بالري ، صحبة هرون الرشيد . وفي ذلك اليوم مات محمد بن الحسن الحنفي ، فقال الرشيد : دفنت العربية والفقه بالري اليوم . ومع تبخر الكسائي في النحو والعربية لم يكن له معرفة بالشعر ، وقيل له : الكسائي لأنه أحرم في كساء ، وقيل : لأنه جاء إلى حمزة ملتفاً بكساء فقال حمزة : من يقرأ ؟ فقال : صاحب الكساء ، فبقي عليه اللقب .

وأما محمد بن الحسن المذكور فكان فصيحاً بليغاً ، قال الشافعي : لو قلت ، إن القرآن نزل بلغة محمد بن الحسن لفصاحته لقلت . وصنف (الجامع الكبير) و (الجامع الصغير) ، وكان منشؤه بالكوفة ، وتفقه على يد أبي حنيفة ، ثم بأبي يوسف . قال الشافعي : ما رأيت سميناً قط ذكياً إلا محمد بن الحسن .

سنة تسعين ومائة

فتح هرون الرشيد هرقله ، وسبى أهلها [وسبى]^(١) من قبرس ستة عشر ألفاً فيهم فرس أشقر^(٢) ، فنودي عليه فبلغ ألفي دينار .

وبعث تقفور جزيةً عن أهله وخواصه خمسين ألف دينار ، واشترط عليه أن لا يعمر هرقله ، وأن يحمل في العام ثلاثمائة ألف دينار ، واستوهب منه تقفور جارية من سبي هرقله كان ابنه قد خطبها ، فأرسلها إليه هارون مع هدية ، فأعطى تقفور الرسول خمسين ألفاً وهدايا .

وفيهما مات أبو جعفر يحيى بن خالد بن برمك في سجن الرشيد ، وبرمك من مجوس بلخ ولا يعلم إسلامه . وكان أبوه خالد قد ولي وزارة السفاح ، قال المسعودي : ولم يبلغه أحد من أهل بيته لا يحيى في شرفه وبعد همته ، ولا موسى في شجاعته ونجدته . وكان المهدي قد جعل الرشيد في حجر يحيى ، فعلمه الأدب ، وكان يدعوهم أباً ، فلما ولي دفع إليه خاتمه ، وقلده أمره ، ففي ذلك يقول الموصلي :

ألم تر أن الشمس كانت سقيمة فلما ولي هارون أشرق نورها
بيمن أمين الله هارون ذي الندى فهارون واليهما ويحيى وزيرها

ومن كلام يحيى : ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها : الهدية والرسول والكتاب . وكان يقول لبنيه : اكتبوا أحسن ما تحفظون . وفي بنيه يقول الشاعر :

أولاد يحيى أربع " كأربع الطبائع
فهم إذا اختبرتهم طبائع الصنائع

(١) ما بين القوسين ليس في الأصل ولا في ب ، وإنما أضيفت لإيضاح المعنى ، وهي مستفادة من تاريخ الطبري ٣٢٠/٨ .

وورد في النسخة ب ما يلي : « وسبى مع أهلها من قبرس ستة عشر ألفاً معهم فرس أشقر » .

(٢) في تاريخ الطبري : « فبلغ أسقف قبرس ألفي دينار » .

وفيه يقول الشاعر العتابي :

سألت الندى والجود حرّاً إن أتتما
فقلت شراءً ذلك الملك قال لا
فقالا كلانا عبدٌ يحيى بن خالد
ولكن ورثنا والداً بعد والد

وكان يقول : إذا أقبلت أنفق فإنها لا تقنى ، وإذا أدبرت أنفق فإنها لا تبقى •
وقال : يدل على حلم الرجل سوء أدب غلمانه • وحكي أنه كتب أبياتاً قبل موته
يخاطب الرشيد :

سينقطع التلذذُ عن أناس
ستعلم في الحساب إذا التقينا
وحدق الله إن الظلم شؤمٌ
إلى ديان يوم الدين نمضي
أداموه وتنقطع الهموم
غداً عند الإله من الظلوم
وإن الظلم مرتعه وخيم
وعند الله يجتمع الخصوم

سنة اثنتين وتسعين ومائة

توفي في السجن الأمير الفضل بن يحيى البرمكي ، وله أخبار في الكرم • قيل :
إنه كان أكرم من أخيه جعفر ، وكان فيه تيه وانهماك في اللذات • قال محمد بن يزيد
الدمشقي : ولد للفضل ولد فقام الشعراء يوم سابعه يهنئونه ، فنشرت عليهم الدنانير
مطويةً بالمسك ، وأخذوا وأخذت معهم ، فلما خرجوا وخرجت استدعاني وقال : أحب
أن تسمعي في المولود شيئاً ، فاستعفيتة قال : لا بد ولو بيتاً واحداً ، فقلت :

ونفرحُ بالمولود من آل برمكٍ
ونعرف فيه اليُمن عند ولادِهِ
لبذل الندى والجود والمجد والفضل
ولا سيما إن كان من ولد الفضل

فأمر لي بعشرة آلاف درهم • فلما فكبوا اتصل بي الولد المولود في سوء حال
فقلت له : كل ماترى من المال من أجلك ، فخذهُ ، فلا وارث لي ، وأنا أعيش في فضلك
حتى أموت ، فبكي ، فعزمت عليه في البعض فأبى ، وكان آخر عهدي به •
وكان الفضل كثير البر بأبيه حتى في السجن ، وكان في السجن ينشد قول أبي
العتاهية :

إلى الله فيما فابنا نرفع الشكوى
 خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها
 ففي يده كشف المصرة والبلى
 فلا نحن في الأموات فيها ولا الأحياء
 فرحنا وقلنا جاء هذا من الدنيا
 إذا جاءنا السجن يوماً لحاجة

ولما بلغ الرشيد خبر موته قال : أمري قريب من أمره • وكان كذلك •

وفيها توفي إبراهيم بن الأحنف الشاعر • ومن شعره :

إذا هي لم تأتني إلا بشافع
 فأقسم ما تركي عتابك عن قلاء
 فلا خير في ودي يكون بشافع
 ولكن لعلمي أنه غير نافع
 وإني وإن لم أزم الصبر طائعاً
 فلا بد منه مكرهاً غير طائع

قيل : مات هو والكسائي وإبراهيم الموصلي في يوم واحد ، فأمر الرشيد عند الصلاة بتقديم جنازة [ابن الأحنف]^(١) الدمشقي ، وكان الكسائي أحق بالتقديم •

سنة ثلاث وتسعين ومائة

سار الرشيد إلى خراسان لتمهيد قواعدها ، وكان في العام الماضي قد قبض على الأمير علي بن عيسى بن ماهان^(٢) ، وحملت أمواله على ألف وخمسمائة جمل ، فوافته بجرجان •

وفيها توفي الإمام إسماعيل بن عليّة الحافظ [البصري]^(٣) الأسدي مولاهم ، قال شعبة : هو سيد المحدثين •

ومات بعده بأيام الإمام محمد بن محمد بن جعفر المعروف بعنندر ، قال ابن معين : وكان من أصح الناس كتاباً ، مكث خمسين سنة يصوم يوماً ويفطر يوماً •

(١) ما بين القوسين نقص في الأصل ، واستدركت من ب •

(٢) في الأصل : عيسى بن عيسى ، وفي ب : علي بن عيسى بن موسى ، وكلاهما

خطأ ، والصواب ما أثبت ، ينظر تاريخ الطبري ٣٢٥/٨ •

(٣) البصري زيادة من ب •

وفيها السيد الجليل أبو بكر بن عياش الأسدي مولا هم شيخ القراء بالكوفة،
قرأ اثني عشر ألف ختمة ، وقيل : أربعة وعشرين ألفاً ، وعمره بضع وتسعون سنة •

وفيها مات الخليفة أبو جعفر هرون الرشيد بطوس ، وكانت خلافته ثلاثاً
وعشرين سنة ، وعمره نحو خمس وأربعين سنة • وروى عن أبيه وجده ومبارك بن
فضالة • وحج مراتٍ وغزا عدة غزوات حتى قيل فيه شعراً :

فمن يطلب لقاءك أو يرددهُ فبالحرمينِ أو أقصى الثغور
ففي أرض العَدُوِّ على طِمْرٍ وفي أرض الثنية^(١) فوق كور

وكان شهماً شجاعاً مُمكداً ، فيه تدينٌ وتخشعٌ وسنة • قيل : كان يصلي
كل يوم مائة ركعة ، ويتصدق من خالص ماله بألف دينار^(٢) • وكان يتأدب للكبار
والصلحاء ويستكين لمواعظهم ، وله مشاركة في العلوم ، وانهماك في اللذات ،
والله أعلم •

وفي إمرة الرشيد وأخيه الهادي قام يحيى بن عبد الله بن الحسن المثنى ، وبث
دعائه في الأرض ، وبايعه كثيرون من أهل الحرمين واليمن ومصر والعراقين ، وبايعه
من العلماء محمد بن إدريس الشافعي وعبد ربه بن علقمة وسليمان بن جرير وبشر بن
المعتمر والحسن بن صالح وغيرهم ، وكان هذا في زمن الهادي ، فلما مات فتش عنه
الرشيد ، وأخذ عليه بالرصد والطلب ، وأمعن في ذلك ، فلحق يحيى بخاقان ملك
الترك ، فأقام عنده سنتين وستة أشهر والكتب ترد عليه من هرون وعماله يسألونه
تسليم يحيى فأبى وقال : لا أرى في دينه الغدر ، وهو رجل من ولد نبيكم ، شيخ
عالم • وقيل : إنه أسلم على يديه سراً ، ثم رحل عنه يحيى إلى طبرستان ، ثم إلى
الديلم ، فأنفذ هرون في طلبه الفضل بن يحيى البرمكي في ثمانين ألف رجل ، وكتبوا
ملك الديلم من الري ، وبدلوا له الأموال حتى انخدع ، ولما فهم يحيى فشله قبل

(١) كذا في الأصل وفي ب ، وفي تاريخ الطبري ٣٢١/٨ : الترفه ، وذكر محققه
أنها في نسختين من نسخه : في أرض البرية .

(٢) كذا في الأصل و ب ، وفي تاريخ الطبري ٣٤٧/٨ : بألف درهم ، ولعله أقرب
إلى الصواب .

أمان الرشيد بالإيمان المغلظة ، وكتب له نسختين نسخة عنده ونسخة عند يحيى
البرمكي . فلما قدم عليه أظهر بره وكرامته ، وأعطاه مالاً جزيلاً ، ثم خرج إلى
المدينة بإذنه ، وقيل : بإذن الفضل دونه ، وفرق المال بالمدينة على قرابته ، وقضى دين
الحسين بن علي الفخيّ وحج ، ولم يزل آمناً حتى وشى به عبد الله بن مصعب الزبيري ،
فاستدعاه الرشيد وأخبره بقول الزبيري فقال : إن هذا قد كان بايع أخي محمداً
ومدحه بقوله :

قوموا بامرئكم نهض ببصرتنا إن الخلافة فيكم يا بني الحسن

فاليوم يكذب عليّ ويسعى بي إليك ، فصدقه هرون وعذره ، ومات ابن
مصعب في اليوم الثالث .

قيل : وسبب نقض أمانه أنه قال له الرشيد في مناظرات عددها ويحيى في كلها
يقيم الحجة على نفسه اتقاء لشره حتى قال : من أقرب إلى رسول الله ﷺ منّا ؟
فاستغفاه فلم يعفه ، وكرر ذلك مراراً فلم يعفه ، فقال له يحيى بعد لحاح عظيم : لو
بعث رسول الله ﷺ أكان له أن يتزوج فيكم ؟ قال (١) : نعم ، فقال له : فيحق له أن
يتزوج فينا ؟ قال : لا ، قال : فهذه حسب . فشق على أهل المجلس ، وأنف الرشيد
وغضب ، وطلب الفقهاء واستفتاهم في نقض أمان يحيى ، فأعجم بعضهم وتكلم بعضهم
بموجب العلم أنه لا سبيل إلى نقضه ، وقال بعضهم : هذا رجل شقّ عصا المسلمين ،
وسفك الدماء ، لا أمان له ، فأمر الرشيد بحبسه ، وضيّق عليه حتى مات محبوساً .
وقيل : إنه شده على جدار ، وسمر على يديه ورجليه ، وسد عليه المنافذ
حتى مات .

وقيل : إنه دفع رقعة إلى يحيى بن خالد وحرّج عليه بوقوفه بين يدي الله تعالى
لما كتّمها إلى موته ثم يدفعا إلى هرون ، فدفعها بعد موته إلى هرون فإذا فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

يا هرون قد تقدم المستعدي والخصم بالأثر ، والقاضي المستعدي لا يحتاج
إلى البينة .

(١) في ب : قال الرشيد .

أما إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى فإنه انفلت من وقعة فح ، ولحق بالمغرب ، ومعه ابن أخيه محمد بن سليمان الذي قتل بفتح ، فتمكن بها ، ونشر دعوته ، وأجابوه ، واستعمل ابن أخيه علي أدنى المغرب من تاهرت إلى فاس ، وبقي بها وولده يتوارثونها ، وانتشر ملكهم واستقر . ويقال : إن إدريس ، أدرك بالسم إلى هناك ، وأوصى إلى ابنه إدريس المثلث ، وكان أحد العلماء . قال صاحب كتاب روضة الأخبار : وهم على ذلك إلى هذه الغاية يتوارثون المغرب وبربر .

ويقال : إن عبد المؤمن بن علي القائم اليوم بأرض المغرب ينسب إلى الحسن ابن علي ، ظهر على الأندلس سنة أربعين وخمسمائة ، وقد ملكوا المغرب كلها والأندلس إلى يومنا هذا وهي سنة سبع (١) وعشرين وستمائة ، وهذا مما أشرنا إليه من إدخال تراجم الغلويين مما هو زيادة على الأصل ، والله أعلم .

سنة أربع وتسعين ومائة

بدأ الشر بين الأمين والمأمون ، وذلك أن الرشيد عهد العهد للأمين ثم بعده للمأمون ، وكتب بذلك كتاباً ، وجعله في الكعبة ، فلما استوثق الأمين وانتظم له الأمر نقض العهد وأخذ البيعة لابنه وهو ابن خمس سنين ، فنصحه ذوو الرأي فلم يروع ، ولما بلغ المأمون ذلك وكان على إمرة خراسان حاربه في قصص يطول شرحها حتى قتله ، وانتظم الأمر له .

وفيها مات الشيخ الكبير الشهير مبارك اللفظ والوعظ [شقيق البلخي] (٢) شيخ خراسان [وشيخ] (٢) حاتم الأصم .

وفيها ، على خلاف سبق ، شيخ العربية أبو بشر عمرو بن عثمان الملقب بسيبويه الحارثي ، قيل : كان في النحو أعلم من المتقدمين والمتأخرين ، ولم يوضع فيه مثل كتابه .

(١) في ب : ست وعشرين وستمائة .

(٢) زيادة من مرآة الجنان ١/٤٤٥

سنة خمس وتسعين ومائة

جهز الأمين علي بن عيسى بن ماهان في جيش عظيم ، وأرسل معه بقيد ليقيد به المأمون في زعمه ، فلما بلغ الرسي لقيه طاهر بن الحسين الخزاعي في نحو أربعة آلاف ، فلما تناظر الجندان ذكروا علي بن عيسى البيعة التي في عنقه للمأمون ، فلم يلتفت ، فقال طاهر : هنا جيش عظيم لا قبل لنا به ، ولكن اجعلوها خارجية واقصدوا القلب ، ففعلوا ، وشد داود بن علي بن عيسى فطعنه طعنة صرعه وهو لا يعرفه ثم ذبحه بالسيف فانهزم جيشه ، وأعتق طاهر مماليكه شكراً لله تعالى .

قال صاحب الأصل : فاعلم أنه يؤخذ من بعض كتب الصوفية أن الوزير علي بن عيسى المذكور ركب في مركب عظيم فجعل الناس يقولون : من هذا من هذا ؟ فقالت امرأة : هذا عبد سقط من عين الله فابتلاه بما ترون ، فسمعها علي بن عيسى فاستغفى من الوزارة ، وجاور بمكة حتى مات ، والله أعلم أي ذلك كان .

وبعد ذلك ركت أمور الأمين ، وندم باطناً على خلع أخيه وطمع فيه أمراؤه ففرق خزائنه ، وجهز جيشاً آخر ، فالتقاهم طاهر أيضاً ، فهزمهم بهمدان ، وقتل مقدمهم عبد الرحمن الأبناعي^(١) أحد الفرسان الشجعان ، وزحف طاهر حتى نزل بحلوان .

وفيها ظهر القميصر السفيناني^(٢) من ولد يزيد بن معاوية ، وبايعه الناس بالخلافة بدمشق ، وطرد عاملها سليمان بن المنصور ، فسير الأمير سليمان جيشاً لحربه ، فنزل الرقة ، ولم يقدموا عليه .

وفيها توفي إسحق بن يوسف الأزرق محدث واسط ، وكان حافظاً عابداً ، يقال : إنه بقي عشرين سنة لم يرفع رأسه إلى السماء .

(١) في الأصل و ب : الأنباري وكذلك في إحدى نسخ الطبري ، كما ذكر محققه ، وقال : إن ذلك تحريف ، والصواب ما أثبت ، يراجع تاريخ الطبري ٣٩٥/٨ .

(٢) هو علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية .

وفيها مات محدث الشام أبو العباس الوليد بن مسلم الدمشقي بذي المروة، راجعاً من الحج، صنّف سبعين كتاباً، حتى قيل : من كتب (١) مصنفاته صلح للقضاء.

سنة ست وتسعين ومائة

وثب الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان ببغداد ، وظهر على الأمين وجيشه تحبباً إلى المأمون ، وفرء (٢) حينئذ الفضل بن الربيع حاجب الأمين الذي حمّله على تقض عهد أبيه ، فلم يعرف له أثر ، ثم تآلب جند الأمين واستخرجوه من السجن ، وأتوه بابن ماهان أسيراً فعفا عنه ، ثم نقل عنه بعض القول ، فبعث في أثره وقتله . وفي أثناء ذلك جرت فتنة عظيمة بين الأمين والمأمون .

وفيها مات أبو نواس الحسن بن هانيء الشاعر المشهور ، وكان أبوه من جند مروان الصغير الأموي ، فتزوج امرأة بالأهواز ، فولدت أبا نواس ، فلما ترعرع أصبحه أبا أسامة الشاعر فنشأ على يديه ، وقدم به ببغداد ، فبرع في الشعر ، وعكده في الطبقة الأولى من المولّدين ، وشعره عشرة أنواع ، وقد اعتنى بشعره جماعة فجمعوه ، ولهذا يوجد ديوانه مختلفاً ، وكان المأمون يقول : لو وصفت الدنيا نفسها ما بلغت قول أبي نواس :

ألا كل شيء هالك وابن هالك وذو نَسَبٍ في الهالكين عريق
إذا امتحن الدنيا لبيب "تكشفت له عن عدوٍّ في ثياب صديق

وسمي أبا نواس لذؤابتين كاتتا على عاتقه تنوسان ، وأثنى عليه ابن عيينة وعلماء عصره بالفصاحة والبلاغة . وقال أبو حاتم : لو كتبت بيتيه هذين بالذهب لما كثر ، وهما :

ولو أني استزدتك فوق ما بي من البلوى لأعوزك المزيد
ولو عرّضت على الموتى حياتي بعيش مثل عيشي لم يريدوا

(١) كذا في ب ، وفي الأصل : من شدة .

(٢) في الأصل : وبعث ، وليس لها معنى ، وما أثبت من تاريخ الطبري ٤٣٢/٨ .

وله نوادر حسان رائقة ، واقترح عليه الرشيد مرات أن ينظم على قضايا خفية في داره ونسائه فيأتي على البديهة بما لو حضرها وعابها لم يزد على ذلك ، فبقيته الرشيد ، ثم يعفونه .

سنة سبع وتسعين ومائة

حوصر الأمين ببغداد ، وأحاط به أمراء المأمون طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين وزهير بن المسيب وقاتلت الرعية معه أشد قتال ، ودام الحصار سنة ، ثم ظفروا به بعد أمور يطول شرحها ، فقتلوه ، ونصب طاهر رأسه على رمح ، وعمره سبع وعشرون سنة ، وخلافته ثلاث سنين ، وأمه زبيدة بنت جعفر بن المنصور دون المأمون .

وفيها مات الإمام أبو سفيان وكيع بن الجراح . قال أحمد : ما رأيت أوعى لعلم ولا أحفظ منه . وكان يصوم الدهر ويختم القرآن كل ليلة . وإلى وكيع أشار القائل :

شكوتُ إلى وكيع سوء حفظي فأوماً لي إلى تركِ المعاصي
وقال اعلم بأنَّ العلم نور ونور الله لا يأتيه عاصي

وفيها الإمام عبد الله بن وهب الفهري مولاهم الفقيه المالكي ، صحب مالكاَ عشرين سنة ، وصنف الموطأ الكبير والصغير ، وحدث بمائة ألف حديث ، وكان مالك يكتب إليه في المسائل ولم يكن يفعل هذا غيره . وقال : ابن وهب عالم ، وابن القاسم فقيه . وكتب إليه الخليفة في قضاء مصر فاختم ولزم بيته ، فاطلع عليه بعضهم يوماً فقال له : يا بن وهب ألا تخرج فتقضي بين الناس بكتاب الله وسنة رسوله ؟ فقال : أما علمت أن العلماء يحشرون مع الأتبياء والقضاة مع السلاطين؟! وقرأ عليه كتاب الأهوال من جامعه ، فغشي عليه ، فحمل إلى دراه فمات بحينه رحمه الله ونفعنا به .

سنة ثمان وتسعين ومائة

بائع الناس للمأمون ، واستوثق أمره ، وكتبت إليه زبيدة تحرضه على قتل طاهر ابن الحسين قاتل ابنها الأمين ، فلم يلتفت إليها ، فكتبت إليه أحياناً بقول أبي العتاهية :
ألا إن ريب الدهر يدني ويبعدُ ويؤنسُ بالألفِ طوراً ويفقدُ
أصابتُ لريب الدهر مني يدَيّ ندى فقد بقيت والحمد لله
وقلت لريب الدهر إن ذهب يدُ ولي جعفر لم يفقدوا ومحمدُ
إذا بقي المأمون لي فالرشدُ لي

تعني بمحمد الأمين وجعفر ابن الأمين •

وفيها توفي شيخ الحجاز أبو محمد سفيان بن عيينة الهلالي مولا هم الكوفي تزيل مكة وله إحدى وتسعون سنة ، حج سبعين حجة • قال الشافعي : لولاه ومالك ذهب علم الحجاز • وقال أيضاً : ما رأيت أحداً فيه من الفتيا ما فيه ولا أكف عن الفتيا منه • وعنه قال : ذاكرت أبا حنيفة عشرين سنة فقال : يا بني ما سمعت من عمرو بن دينار إلا ثلاثة أحاديث ، مضطرب في حفظ تلك الأحاديث • توفي بمكة وقبره مزور بالأبطح •

وفيها الإمام أبو سعيد عبد الرحمن بن مهدي البصري اللؤلئي الحافظ ، أحد أركان الحديث بالعراق ، وله ثلاث وستون سنة قبل إمامه الشافعي بست سنين ، وهو أحد الموالى المنجيين من البصريين • قال بعض الفقهاء : ليس هو من المقلدين للشافعي من كل وجه •

والإمام أبو سعيد يحيى بن سعيد القطان البصري الحافظ ، أحد الأعلام • قال بندار : اختلفت إليه عشرين سنة فما أظن أنه عصى الله تعالى قط ، وقال يحيى بن معين : أقام يحيى القطان عشرين سنة يختم القرآن كل ليلة ، ولم يفته الزوال في المسجد أربعين سنة • وقال أحمد : ما رأيت مثله •

سنة تسع وتسعين ومائة

توفي يونس بن بكير الشيباني الحافظ صاحب المغازي •

وسليمان بن إسحق الرازي ، كان عبداً خاشعاً • يقال : إنه من الأبدال •

وحفص بن عبد الرحمن البلخي ، كان ابن المبارك يزوره • ويقال : اجتمع فيه

الفقه والوقار والورع •

سنة مائتين

على الصحيح الولي الكبير الشهير أبو محفوظ معروف الكرخي من موالي علي بن موسى الرضا^(١) ، كان أبواه نصرانيين ، فأسلماه إلى مؤدبهم ، فقال له : ثالث ثلاثة فقال : لكن هو الله أحد ، فضربه ، فأسلم على يدي علي بن موسى الرضا ، ورجع إلى أبيه فأسلما ، فاشتهرت بركاته وإجابة دعوته ، وأهل بغداد يستسقون بقبره ، ويسمونه ترياق مجرب • وقال مرةً لتلميذه السري السقطي : إذا كانت لك إلى الله حاجة فأقسم عليه بي ، وكراماته واسعة •

وفيها توفي أبو البخري وهب بن وهب القرشي الأسدي المدني ، ولي قضاء المدينة ، ثم عزل ، فأقام ببغداد ، وتوفي بها ، وكان فقيهاً أخبارياً نسبة جواداً مُمدِّحاً ، وصنف كتاب (فضائل الأنصار) ولا يخفى طعن المحدثين فيه واتهامهم له بالوضع •

وفي سنة إحدى ومائتين

عهد المأمون بالخلافة إلى علي بن موسى الكاظم اصطناعاً لفعل علي كرم الله وجهه يوم تولى الإمامة لبني هاشم خصوصاً لبني العباس ، وترك السواد ، ولبس الخضرة ، وكتب اسمه على السكة بعد أن استحضر بني العباس ذكرهم وأثامهم

(١) ضبط في تاريخ الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم : بالرَضِيِّ .

فكانوا ثلاثة وثلاثين ألفاً ، وجمع خواص الأولياء ، وأخبرهم أنه لم يجد أحق بالأمر منه ، وزوجه المأمون ابنته أم حبيب ، وعظم ذلك على بني العباس ، وكانوا يبغداد والمأمون بخراسان ، فأقاموا المنصور عم المأمون ، فضعف عن الأمر ، فأقاموا أخاه إبراهيم ، وجرت بالعراق حروب شديدة بسبب ذلك .

ولما عجز بنو العباس وتكرر عفو المأمون عنهم وجهوا إليه زينب بنت سليمان ابن علي عمه جده المنصور فقالت : يا أمير المؤمنين إنك على برك أهلِكَ العلويين والأمر فينا أقدر على برهم والأمر فيهم ؛ فلا تطمع أحداً . فقال : يا عمه والله ما كلمني في هذا المعنى بأوقع من كلامك هذا ، ولا يكون إلا ما تحبون ، ولبس السواد وترك الخضرة .

وفيهما ظهر بابك الباطني الزنديق ، فعاث وأفسد ، وكان يقول بتناسخ الأرواح .

وفيهما علي بن عاصم الواسطي ، كان يحضر مجلسه ثلاثون ألفاً ، وكان إماماً صالحاً ، وطعن فيه لسوء حفظه .

وفي سنة اثنتين ومائتين

توفي الإمام المقرئ النحوي اللغوي يحيى بن المبارك العدوي ، وعرف باليزيدي لصحبة يزيد بن منصور خال المهدي ومؤدب بنيه . أخذ عن الخليل وغيره ، وله كتاب (النوادر في اللغة) وغيره ، ولما قدم مكة أقبل على العبادة ، وحدث بها عن أبي عمرو بن العلاء ، وروى عنه ابنه محمد وأبو عمر الدوري وأبو شعيب السوسي وغيرهم ، وخالف أبا عمرو في حروف يسيرة ، وكان يجلس هو والكسائي في مجلس واحد ويقرئان ، وتنازعا مرة في مجلس المأمون في بيت شعر ، فظهر اليزيدي ، وضرب بقلنسوته الأرض وقال : أنا أبو محمد ، فقال المأمون : والله لخطأ الكسائي مع حسن أدبه أحسن من صوابك مع سوء أدبك ، فقال : إن حلاوة الظفر أذهبت عني حسن التحفظ .

وكان الكسائي يُؤدّب الأمين ويأخذ عليه حرف حمزة وهو يؤدّب المأمون
ويأخذ عليه حرف أبي عمرو .

وفيها الفضل بن سهل وزير المأمون السرخسي ، وسرخس ، بالخاء
المعجمة ، مدينة خراسان ، وكان يلقب بذي الرياستين ، وكان مجيداً في علم النجوم ،
كثير الإصابة فيه ؛ من ذلك أن المأمون لما أرسل طاهراً لحرب الأمين أخبره أنه يظفر
بالأمين . ويلقب بذي اليمينين ، وكان كذلك ، واختار لطاهر وقتاً عقد له فيه اللواء ،
وقال له : عقدته لك خمساً وستين^(١) لا يحل ، فكان كذلك . ووجد في تركته أخبار
عن نفسه أنه يعيش ثمانياً وأربعين سنة ثم يقتل بين الماء والنار ، فعاش هذه المدة ،
ثم دس عليه المأمون خاله غالباً ؛ فدخل عليه الحمام بسرخس ومعه جماعة فقتلوه
في السنة المذكورة ، وقيل : في التي تليها ، وعمره أربعون سنة . وقد مدحه الشعراء
فأكثروا ، من ذلك قول مسلم بن الوليد الأنصاري في قصيدة له :
أقمت خلافةً وأزلتَ أخرى جليلٌ ما أقمتَ وما أزلتَ

سنة ثلاث ومائتين

انتقل المأمون من خراسان إلى بغداد ، وسكنها بعد توطئة الأمور ، وتمهدت
له القواعد .

وفيها توفي الإمام المقرئ الحافظ الحسين بن علي الجعفي مولاهم ، قال
أحمد : ما رأيت أحفظ منه ومن سعيد بن عامر الضبعي . ويقال : إنه من الأبدال .
وفيها مات بجرجان أبو جعفر محمد بن جعفر الصادق الملقب بالدياج ،
ونزل المأمون في قبره ، وكان شجاعاً عابداً .

وفيها الإمام أبو الحسن النضر بن شميل المازني البصري ، كان رأساً في
الفقه والحديث والأدب ، صاحب سنة ، ضاقت معيشته بالبصرة ، فرحل إلى خراسان ،

(١) في ب : خمساً وخمسين .

فشيعة من البصرة نحو ثلاثمائة عالم ، فقال لهم : لو وجدت كل يوم كعبة باقلاء ، ما فارقتكم ، فلم يكن فيهم من تكلف له ذلك ، وأقام بمرور ، واجتمع له هناك مال ، سمع النضر من هشام بن عروة وغيره من أئمة التابعين ، وسمع عليه ابن معين وابن المدينة وغيرهم . وروى المأمون يوماً عن هشيم بسنده المتصل إلى رسول الله ﷺ قال : « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوز » . بفتح السين ، فرده النضر فقال : هو بكسر السين ، فقال المأمون : تلحني يا نضر ! فقال : إنما لحن هشيم وكان لحانةً ، لأن السداد بالفتح القصد في الدنيا والسييل ، وبالكسر البلغة ، وكل ما سدت به شيئاً فهو سداد يعني بكسر السين ، ومنه قول العرجي :
أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريمةٍ وسدادٍ ثغر

فأمر له بجائزة جلييلة . والعرجي المذكور ، منسوب إلى العرج منزل بين مكة والمدينة ، شاعر مشهور أموي ، حبسه محمد بن هشام المخزومي أمير مكة وخال عبد الملك لما شبَّ بأمه ، فأقام بالحبس سبع سنين ومات فيه عن ثمانين سنة . وبعد البيت المذكور :

وصبري عند معترك المنايا وقد شرعت أسنتها بنحري

في أبيات له عملها في الحبس .

وفيها توفي الإمام [الزاهد] (١) أبو داود الحفري نسبةً إلى محلة بالكوفة . قال علي بن المديني : ما أعلم أني رأيت بالكوفة أعبد منه ، وقال وكيع : إن كان يدفع البلاء بأحد من أهل زماننا فبأبي داود .

وفيها الإمام الجبر أبو زكريا يحيى بن آدم الكوفي المقرئ الحافظ الفقيه صاحب التصانيف . وأزهر بن سعيد الباهلي مولاهم البصري الحافظ ، كان يصحب المنصور قبل خلافته ، فجاء للتسليم عليه بالخلافة وتهنئته فحجبه ، فترصد يوم جلوسه العام فقال له : ما جاء بك ؟ فقال : جئت مهتئاً للأمير ، فأمر له بألف وقال له : لا تعد إلينا بعد . فسمع أن المنصور مرض فجأة فقال : ما جاء بك ؟ قال : جئتك عائداً ،

(١) الزاهد : ليست في الأصل ، واستدركت من ب .

فأمر له بألف وقال : لا تعد إلينا مسلماً ولا عائداً فقد قضيت وصافة (١) التهنة والعيادة وأنا قليل المرض . ثم جاء في العام القابل فقال : ما جاء بك ؟ قال : سمعت أمير المؤمنين يدعو بدعاء فجتت أستمليه ذلك الدعاء ، فكتبته له وأعطاه ألفاً وقال : لا تأتينا بعدها مسلماً ولا عائداً ولا مستملياً . وانه حكايات مشهورة .

وفيها أو في التي قبلها توفي الإمام أبو الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ، وهو أحد الأئمة الاثني عشر في اعتقاد الإمامية ، ولد بالمدينة سنة إحدى وخمسين ومائة ، ومات بطوس ، وصلى عليه المأمون ، ودفنه بجنب أبيه الرشيد ، وكان موته بالحُمى ، وقيل : بالسّم ، وكان المأمون أرسله إلى أخيه زيد بن موسى ، وقد قام بالبصرة ، ليرده عن ذلك فقال له علي : يا زيد ما تريد بهذا؟! فعلت بالمسلمين الأذى وتزعم أنك من ولد فاطمة ! والله لأشد الناس عليك رسول الله ﷺ ، يا زيد ينبغي لمن أخذ برسول الله ﷺ أن يعطي به ولما بلغ كلامه المأمون بكى . قيل : أخذ كلامه هذا من زين العابدين ، فإنه كان إذا سافر كتم نسبه ويقول : أكره أن أخذ برسول الله ﷺ ما لا أعطي به .

سنة أربع ومائتين

توفي الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، فعبد مناف رابع آباء النبي ﷺ وعاشر آباء الشافعي ، وهو أيضاً هاشمي من جهة أمهات أجداده ، وأزدي من جهة أمه ، وعبد الله بن السائب والي مكة أخو شافع بن السائب جد الشافعي قاله مسلم بن الحجاج . وكان السائب حامل راية بني هاشم يوم بدر ،

(١) في الأصل : وصيفة ، وهي الخادمة ، وفي القاموس : « وَصَفَّ : بلغ حد الخدمة ، والاسم الإيصال والوصافة » ولعله هو المعنى المقصود هنا ، ولذلك أثبتناه في المتن .

فأسر ، وفدى نفسه ، ثم أسلم ، قيل له : فهلا أسلمت قبل الفداء ؟ فقال : ما كنت لأحرم المسلمين طمعاً لهم في . • وابنه شافع لقي رسول الله ﷺ . •

وقد صنف جماعة في مناقب الشافعي ، منهم الحاكم أبو عبد الله وأبو بكر البيهقي وأبو بكر الخطيب وداود الظاهري وفخر الدين الرازي وغيرهم . وقال الإمام داود الأصبهاني وقد ذكر بعض أقوال الشافعي : وهو الذي زاد على الناس بنكته ، وقهرهم بأدلته ، وباينهم بمعرفته ، وظهر عليهم بدياته ، التقى في دينه النقي في حسبه الفاضل في نفسه ، المقتدي بكتاب ربه ، المستمسك بسنة نبيه ﷺ ، الماحي لآثار أهل البدع ، الطامس لآثارهم وسيرهم حتى أصبحوا كما قال الله تعالى : (فأصبح هشيماً تذروه الرياح) . •

ولما بلغ الرشيد أن الشافعي فرق ما أعطاه إياه ، قال : إن بني المطلب ما فارقوا آل رسول الله في شرف ولا سخاء . • وقال وقد بلغه مناظرة الشافعي لأبي يوسف ومحمد بن الحسن : لن يوازناه ولن يعادلناه ، والله سبحانه قد أثبت له حق القرابة وحق الشرف وحق العلم . • وقال له يوماً : كثرَ الله في أهلي مثلك . •

وشهد الشيخ الكبير أبو الحسن أن الشافعي ما مات حتى قطب ؛ قال الياضي : يحتمل أنها قطيعة الأولياء التي تنتقل من واحد إلى واحد . • ويحتمل أن يكون للعلماء قطب وللأولياء قطب . • قال الفقيه حسين : والظاهر أن الشافعي قطب الطائفتين فإن العلماء سادات الأولياء . •

وقد قال الشافعي رحمه الله : إن لم يكن العلماء العاملون أولياء فليس لله ولي ، والله تعالى أعلم . •

ولعل ما ذكره القشيري في رسالته عن الخضر أنه قال : لقي الشافعي من الأوتاد قبل أن يترقى إلى مقام القطيعة . •

وكان رحمه الله عديم النظر ، منقطع القرين في علوم كثيرة حتى كان صاحب الفن الواحد يقرأ عليه في فنه ، كما قرأ عليه الأصمعي ديوان أشعار الهذليين . •

وقال الشافعي : رأيت كأن رجلاً يؤم الناس في المسجد الحرام فلما فرغ من صلاته أقبل على الناس يعلمهم ، قال : فدنوت منه فقلت : علمني ، قال : فأخرج ميزاناً من كفه فأعطانيه فقال : هذا لك ، فعبّرها معبّر أنك ستصير إماماً في العلم وتكون على السنة ، لأن إمام المسجد الحرام أفضل الأئمة ، والميزان علمك بحقيقة الشيء نفسه •

وعنه قال : رأيت رسول الله ﷺ فقال : يا غلام ممن أنت ؟ فقلت : من رهطك يا رسول الله ، فقال : ادن مني ، فدنوت منه ، فأخذ من ريقه المبارك وجعله في فمي وقال : امض بارك الله فيك •

وعنه قال : رأيت علياً كرم الله وجهه صافحني ووضع خاتمه في أصبعي ، ففسرها لي عمي فقال : مصافحتك له أمان من العذاب ، وجعله الخاتم في أصبعك سيبلغ اسمك ما بلغ اسم علي في المغرب والمشرق •

وقال الربيع : رأيت قبل موت الشافعي بأيام كأن آدم مات ، فقيل لي : هذا موت عالم أهل الأرض ؛ لأن الله تعالى علّم آدم الأسماء كلها • ثم رأيت بعد موته يسيّر فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : أجلسني علي كرسي ونثر علي اللؤلؤ الرطب • ورأى جماعة من مشاهير الأئمة النبي ﷺ يأمرهم باتباعه • وأثنى عليه مشايخه كمسلم بن خالد الزنجي وسفيان بن عيينة ومالك وغيرهم من علماء عصره بما يطول ذكره •

وقال فخر الدين : الشافعي أول من صنف أصول الفقه باتفاق الناس • وشبهه أحمد في اختراع علم الأصول بأرسطا طاليس في علم المنطق وتركيب الحدود ، واختراع الخليل علم العروض • وقال الأصمعي : قرأت على الشافعي كتاب الشنفرى الأزدي وأشعاره • وقد اتفق العلماء على جلالة وبراعته وفضله وأماتته وتقواه وورعه ودياقته وزهده وجوده وسماحته ومروءته ونزاهته وحسن سيرته ولطافته وكراماته وتضاعفه في كل فن من العلوم • وله شعر رائع منه قوله :

ولولا الشعر بالعلماء يزري لكنت اليوم أشعر من لبيد

ومن آل المهلب واليزيد
حسبت الناس كلهم عبيدي

وأشجع في الوغى من كل ليثٍ
ولولا خشية الرحمن عندي

وقال فيه ابن دريد :

دلائلٌ عند المشكلات لوامع
وتنخفض الأعلام وهي روافع
ضياءٌ إذا ما أظلم الليل ساطع

ألم ترَ آثارَ ابنِ إدريس بعده
معالم يفتى الدهر وهي خوالد
ترى ابنَ إدريس ابنَ عم محمد

وقد فاله طرف من الأذى ، وجبسه الرشيد وقيده في حب أهل البيت رضي الله

عنهم أجمعين •

ولد رضي الله عنه سنة خمسين ومائة ، قيل : ولد في اليوم الذي مات فيه أبو حنيفة ، قيل : بغزة ، وقيل : بعسقلان ، وقيل : باليمن ، ورحل إلى مكة وهو ابن ست سنين وبها قرأ القرآن ، ورحل إلى المدينة وقرأ بها الموطأ على مالك بن أنس ، وأعجب به وبفهمه ، وقدم بغداد ، وصنف كتبه القديمة ، وأمر له هرون بخمسين ألف درهم ففرقها كلها ، ثم رجع إلى مكة ، ثم عاد إلى بغداد فأقام بها شهراً ، ثم خرج إلى مصر ، فصنف كتبه الجديدة ، ولم يزل بها إلى أن مات يوم الجمعة آخر يوم من رجب ، ودفن بعد العصر من يومه بالقرافة الصغرى •

وممن روى عنه القديم : أحمد بن حنبل والزعفراني والكرائسي وأبو ثور • ورواة الجديد المزني والبويطي وحرملة ويونس بن عبد الأعلى والربيعان المرادي^(١) والجيزي وابن عبد الحكم ، ولكنه رجع بعد موت الشافعي إلى مذهب أبيه وكان مالكيًا ، رضي الله عنهم أجمعين •

وفيها توفي فقيه الديار المصرية أشهب بن عبد العزيز العامري صاحب مالك ، قال الشافعي : ما أخرجت مصر مثله لولا طيش فيه • قال ابن عبد الحكم : سمعت أشهب يدعو على الشافعي بالموت ، فبلغ ذلك الشافعي فقال :

(١) في ب : المري •

تمنى رجال أن أموت وإن أمت °
فتلك طريق لست فيها بأوحد °
فقل للذي يبغى خلاف الذي مضى
تزود لأخرى مثلها وكان قد

ومكث أشهب بعد الشافعي شهراً ، قال ابن عبد الحكم : وكان أشهب قد اشترى من تركة الشافعي عبداً ، فاشتريت ذلك العبد من تركة أشهب •

وفيهما مات الإمام أبو داود الطيالسي سليمان بن داود البصري الحافظ صاحب المسند ، كان يسرد من حفظه ثلاثين ألف حديث •

وفيهما ، وقيل في سنة ست ، هشام بن محمد بن السائب الكلبي الأخباري النسابة ، صاحب كتاب (الجمهرة في الأنساب) لم يصنف مثله في بابه ، وتصانيفه تزيد عن مائة وخمسين مصنفاً في التاريخ والنسب ، إلا أنه متروك الحديث ، قيل : فيه رفض •

سنة خمس ومائتين

توفي الشيخ الكبير العارف بالله الشهير أبو سليمان الداراني العنسي ، بالنون •
ومن كلامه : من أحسن في نهاره كوفىء في ليله ، ومن أحسن في ليله كوفىء في نهاره ،
ومن صدق في ترك شهوة ذهب الله بها من قلبه ، والله أكرم من أن يعذب قلباً ترك شهوة له ، وأفضل الأعمال خلاف هوى النفس •

وله كرامات وعجائب ، ونسبه إلى دارياً^(١) بفتح الراء : قرية بغوطة دمشق •
والعنسي نسبة إلى عنس بن مالك رجل من مذحج •

والمقرئ الإمام يعقوب بن إسحق الحضرمي مولاهم النحوي ، أحد الأعلام ، له في القراءات رواية مشهورة ثامنة على قراءة السبعة ، رواها عنه روح بن عبد المؤمن وغيره ، واقتدى به البصريون بعد أبي عمرو بن العلاء وأكثرهم على مذهبه •

(١) في القاموس المحيط : دارين : موضع بالشام ، ودارياً : قرية بالشام ، والنسبة : داراني على غير قياس . وقد وردت في الأصل : داران ، وهو خطأ .

وقد حافظ البغوي في تفسيره على رواية قراءته وقراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع ، وذكر سندهما إلى رسول الله ﷺ . قال أبو حاتم السجستاني : كان يعقوب الحضرمي أعلم من أدركنا ورأينا في الحروف والاختلاف في القرآن العظيم وتعليقه ومذاهبه ومذاهب النحويين فيه . وكتابه (الجامع) جمع فيه بين عامة الاختلاف في وجوه القرآن العظيم ، ونسب كل حرف إلى من قرأه .

سنة ست ومائتين

استعمل المأمون على بغداد إسحق بن إبراهيم الخزازي ، فوليهام مدة ، وهو الذي كان يمتحن الناس بخلق القرآن في أيام المأمون والمعتصم والواثق .

وفيها أبو علي محمد بن المُستَنير النحوي اللغوي المعروف بقُطْرُب ، لقبه به سيبويه حين كان ينظر إليه في الطلب ، فقال له : إنما أنت قطرب ليل ، وهي دويبة لا تزال تدب ولا تهدأ ، وكان من أئمة عصره ، صنف (معاني القرآن) وكتاب (الاشتقاق) وكتاب (القوافي) وكتاب (النوادر) وكتاب (الأزمنة) وكتاب (الأصول) وكتاب (الصفات) وكتاب (العلل في النحو) وكتاب (الأضداد) وكتاب (خلق الإنسان) وكتاب (خلق الفرس) وكتاب (غريب الحديث) وكتاب (الهمز) وكتاب (فعل وأفعل) وكتاب (الرد على الملحدين في متشابه القرآن) وغير ذلك . وهو أول من وضع المثلث في اللغة ، وتبعه البطليوسي والخطيب . وكان قطرب يعلم أولاد أبي دلف العجلي .

وفيها السيد الجليل الإمام يزيد بن هرون الواسطي الحافظ ، كان يحضر مجلسه أربعون ألفاً ، وقال : أحفظ أربعة وعشرين ألف حديث ولا فخر .

وفيها الهيثم بن عدي الطائي ، كان رواية أخباراً حافظاً لأيام العرب ولغاتها وأشعارها ، وله تضافير ، واختص بمجالسة المنصور والمهدي والهادي والرشيدي ، وروى عنهم فكتاً وطرفاً وغرائب .

سنة سبع ومائتين

توفي طاهر بن الحسين الخزاعي ، وقيل : مولاهم الملقب بذي اليمينين ، وكان جواداً شجاعاً ممدحاً ، وهو الذي قتل الأمين ، وكان المأمون قد أخدمه غلاماً رباه وأمّره ، إن رأى منه ما يريه سمّه ، فلما تمكن طاهر من خراسان قطع خطبة المأمون يوم الجمعة ، فأصبح يوم السبت ميتاً ، واستخلف المأمون ولده طلحة بن طاهر ، وقيل : جعله نائباً لأخيه عبد الله بن طاهر ، وسيأتي ذكر ولده عبد الله في سنة ثلاثين ومائتين ، وولد ولده أيضاً في سنة ثلاثمائة .

وفيها توفي الإمام الواقدي أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الأسلمي قاضي بغداد . كان يقول : حظي أكثر من كسبي ، وكانت كتبه مائة وعشرين جملاً ، وضعفه أهل الحديث ووثقوا كاتبه محمد بن سعد ، ومن تصانيفه كتاب (الردة) ، ذكر فيه أخبار المرتدين وما جرى بسببهم . وكان المأمون يكرمه ويراعيه . وروي عنه قال : كان لي صديقان أحدهما هاشمي وكنا كنفس واحدة ، فشكوت إليه عسرة ، فوجه إلي كيساً مختوماً فيه ألف درهم فما استقر في يدي حتى جاءني كتاب صديقي الآخر يشكو مثل ذلك فوجهته إليه كما هو ، وخرجت إلى المسجد فبت فيه حياءً من زوجتي ، ثم إن صديقي الهاشمي شكأ إلي صديقي الآخر ، فأخرجه إليه بحاله ، فجاءني به حين عرفه فقال : اصدقني كيف خرج منك ؟ فعرفته الحكاية ، فتواجهنا وتواسينا بيننا وعزلنا للمرأة مائة درهم ، ونمي الخبر إلى المأمون ، فوجه إلي كل منّا ألف دينار ، وللمرأة ألفاً . وقد ذكر هذه الحكاية الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد .

وفيها الإمام البارع يحيى بن زياد الكوفي الفرّاء ، أجل أصحاب الكسائي هو والأحمر . قيل : لولاه لما كانت عربية لأنه حصلها وضبطها . وقال ثمامة بن أشرس المعتزلي : ذاكرت الفرّاء فوجدته في النحو نسيجاً وحده ، وفي اللغة بحرأ ،

وفي الفقه عارفاً باختلاف القوم ، وفي النحو ماهراً ، وفي الطب خبيراً ، وبأيام العرب وأشعارها حافظاً . ولحن يوماً بحضرة الرشيد ، فرد عليه فقال : يا أمير المؤمنين إن طباع [أهل البدو]^(١) الإعراب ، [وطباع أهل الحضرة]^(١) اللحن ، فإذا تحفظت لم ألحن ، وإذا رجعت إلى الطبع لحت . صنف الفراء للمأمون كتاب (الحدود في النحو) وكتاب (المعاني) فاجتمع لإملائه خلق كثير منهم ثمانون قاضياً ، وشح به كتابه وقالوا : لا نخرجه إلا لمن يكتبه خمسة أوراق بدرهم ، فشفع إليهم الفراء فلم يقبلوا ، فأراد أن ينشئ كتاباً أحسن منه ، فرضي الوراقون أن يكتبوا كل عشرة أوراق بدرهم . وعسل كتاباً على جميع القراءات^(٢) في نحو ألف ورقة فلم يعمل مثله ، وكل تصنيفه حفظاً لم يأخذ بيده نسخة إلا كتاب (ملازم) وكتاب (يافع ويفعة)^(٣) . وعجب له تعظيم الكسائي ، وهو أعلم بالنحو منه . قال الفراء : أموت وفي نفسي من حتى شيء ، لأنها تجلب الحركات الثلاث ، ولم يعمل الفراء ، ولا باعها ، وإنما كان يقرئ الكلام . وقطعت يد والده في مقتلة الحسين بن علي رضي الله عنه . وكان يؤدب ابني المأمون ، فطلب نعله يوماً فابتدرا أيهما يسبق إلى تقديمها له فقال له المأمون : ما أعز من يتبادر إلى تقديم نعليه وليا عهد المسلمين ، فقال : ما كنت لأدفعهما عن مكرمة سبقا إليها وشريعة حرصا عليها ، وقد أمسك ابن عباس بركاب الحسن والحسين وقد خرجا من عنده . فقال المأمون : لو منعتهما لأوجعتك لوماً ، فلا يحسن ترَفَع الرجل عن ثلاثة : والده وسلطانه ومؤدبه . وأعطاهما عشرين ألف دينار ، وأعطاه عشرة آلاف . وروي أن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة سأل الفراء وهو ابن خالته عن سهو في سجود السهو فقال : لا شيء عليه لأن المصغر لا يصغر ، وروي مثلها عن الكسائي ، والله سبحانه أعلم .

(١) ما بين العقوفين ليس في الأصل ، واستدرك من وفيات الأعيان .

(٢) في الأصل : القرآن ، وما أثبت من ب .

(٣) يفعة : ليس في الأصل ولا ب ، واستدرك من وفيات الأعيان لابن خلكان .

سنة ثمانٍ ومائتين

توفي أبو عبد الله هرون بن علي المنجم الفاضل البغدادي ، صنف (تاريخ المولدين) ، جمع مائة وستين شاعراً ، افتتحه بذكر بشار بن برد ، وختمه بمحمد ابن عبد الملك بن صالح ، واختار من شعرهم الزُّبَيْدُ دون الزُّبَيْدِ ، وصنف غير ذلك ، والله أعلم .

وفيهما الأمير الفضل بن الربيع وزير الرشيد بدلا عن البرامكة ، وقد كان بينه وبينهم إحناً وشحناء . دخل يوماً على يحيى بن خالد ، وابنه جعفر يوقع بين يديه ، فعرض عليهم الفضل عشر رقايع للناس ، فلم يوقع له في واحدة منهن ، فجمع رقايعه وقال : ارجعن^(١) خائبات ، وخرج وهو يقول :

متى وعسى يثني الزمان عنائهُ بتصريف حال والزمان غيورهُ
فتتقضى لبانات وتشفى حسائفه ويحدث من بعد الأمور أمورهُ

والحسائف الضعائن ، فقال له يحيى : عزمت عليك يا أبا العباس إلا رجعت ؛ فرجع فوق له فيها كلها . ولم يمتد أمرهم بعدها ، وكانت نكبتهم على يديه .

وفيهما توفيت السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم صاحبة المشهد المعظم بمصر ، وكانت قد متها مع زوجها إسحق بن جعفر الصادق ، وقيل : مع أبيها ، وكانت من الصالحات . قيل : سمع عليها الشافعي ، وحملت جنازته يوم مات إلى بيتها فصلت عليه . ولما مات هم زوجها بحملها إلى المدينة ، فأبى أهل مصر ، فدفنت بين القاهرة ومصر . يقال : إن الدعاء مستجاب عند قبرها . قال الذهبي : ولم يبلغنا شيء من مناقبها . وللجهال فيها اعتقاد ، ولا يجوز ، وقد يبلغ بهم إلى الشرك بالله ، فإنهم يسجدون للقبر ، ويطلبون منه المغفرة . وكان أخوها القاسم بن الحسن زاهداً عابداً . قلت : وتوسطها في النسب ، وسماع الشافعي منها وعليها ، وحمله ميتاً إلى بيتها ، أعظم منقبة ، فلم يكن ذلك إلا عن قبول وإقبال وصيت وإجلال ، نفع الله بها وبسلفها .

(١) في الأصل و ب : ارجعي ، والصواب ما أثبت .

سنة تسع ومائتين

وقيل : غير ذلك ، توفي أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى التيمي تيم قريش مولاهم ، كان مع استجماعه لعلوم جمّة مقدوحاً فيه بأنه يرى رأي الخوارج ، ويدخله في نسبه وغير ذلك ، وكانت تصانيفه نحو مائتي مصنف ، قرأ عليه الرشيد شيئاً منها • قال أبو فواس : الأصمعي بلبل في ققص ، وأبو عبيدة أديم طوي على علم ، وخلف الأحمر جمع علوم الناس وفهمها • وإنما قال ذلك لأن الأصمعي كان متحفاً حسن العبارة^(١) • وحضر أبو عبيدة ضيافة لموسى بن عبد الرحمن الهلالي فوقع على ثوبه المرق ، فأقبل موسى يعتذر إليه فقال : لا عليك فإن مرقكم لا يؤذي ، أي لا دسم فيه • وله كتاب (المجاز) وسبب تصنيفه أنه سئل عن قوله تعالى : (طلعتها كأنه رؤوس الشياطين) قيل له : إنه الوعد والإيعاد ، ولا يكون إلا بما عرف ، وهذا لم يعرف ، فقال : خطب العرب بقدر كلامهم كقول امرئ القيس :

أيقنتني والمشرقي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

والغول لم يروها قط ولكنها مما يهولهم • وله مع الأصمعي مناظرات ، ومن أخذ عنه أبو عبيد القاسم بن سلام •

سنة عشر ومائتين

تزوج المأمون بوران بنت الحسن بن سهل بن صالح بواسط ، وكان عرساً لم يسمع بمثله ، ثر فيه على الهاشميين والقواد والوجوه بنادق مسك فيها رقاع متضمنة لضياع وجوار ودواب ، من وقع في حجره بندق ملك ما فيها • وأولم أبوها الحسن للجيش كله بضعة عشر يوماً^(٢) فكتب له المأمون بخراج فارس والأهواز سنة ، ودخل في الليلة الثالثة من وصوله • فلما تعد عندها ثرت جدتها ألف درة ، فقال لها : سلي حوائجك ، فقالت : الرضى عن إبراهيم بن المهدي ، ففعل •

(١) في الأصل عبارة تبدو غير مستقيمة أو مكررة وهي : « وكان معمّر حسن العبارة » .

(٢) في تاريخ الطبري ٦٠٨/٨ : « وذكر أن المأمون أقام عند الحسن بن سهل سبعة عشر يوماً » .

ولما أصبح جلس للناس فقال له أحمد بن يوسف الكاتب : باليمن والبركة
وشدة الحركة والظفر في المعركة ، فقال يعرض بحفظها :

فارس" ماضٍ بحربته صادق بالطعن في الظلم
كاد أن يرمي فريسته فاتقته من دم بدم

وكان في زواجها إسراف وتهويل عظيم ، وهي التي مثل بها الحريري في مقاماته .

وفيهما توفي أبو عمرو الشيباني إسحق بن مَرَّار^(١) الكوفي عن سبعين سنة .
ثقة ، صاحب تصانيف عديدة . وعلي بن جعفر الصادق ، وكان من سادات الأشراف .
ومحمد بن صالح الكلابي ، أمير عرب الشام وفارسها وشاعرها والمقاوم للصفوياني
المحارب له حتى شتت جموعه ؛ فولاه المأمون دمشق .

سنة إحدى عشرة ومائتين

توفي أبو العتاهية إسماعيل بن القاسم العنزري الشاعر المشهور ، من مقدمي
المولدين ، ومن طبقة بشار بن بُرْد وأبي نواس . أعطاه المهدي مرةً سبعين ألفاً
وخلع عليه ، ولما ترك الشعر حبسه في سجن الجرائم ، وحبس معه بعض أصحاب
عيسى بن زيد الهاشمي ، حبس ليدل عليه ، فأبى ؛ فضربت عنقه ، وقيل لأبي العتاهية :
إن قلت الشعر وإلا فعلنا بك مثله ؛ فقال له ؛ فأطلقوه .

ولما حضرته الوفاة قال : أشتهي أن يعينني فلان بعدي بقول :

إذا ما انقضت عني من الدهر مدني فإن عزاء الباقيات قليل
سيعرض عن ذكري وتنسى مودتي ويحدث بعدي للخليل خليل

وفيهما مات عبد الرزاق بن همام الصنعاني الحميري ، صاحب التصانيف
العديدة ، عن ست وثمانين سنة . قيل : ما رحل الناس إلى أحد بعد رسول الله ﷺ
أكثر مما رحلوا إليه .

(١) في الأصل : نزار ، وهو خطأ .

سنة اثنتي عشرة ومائتين

توفي أسد بن موسى الملقب بأسد السنة . وأبو عاصم الضحاك بن مخلد النبيل (١) الشيباني ، محدث البصرة . والحافظ أبو عبد الله محمد بن يوسف الفريابي (٢) ، رحل إليه الإمام أحمد فلم يدركه بل بلغه موته بحمص . وإسماعيل بن حماد ، ولي القضاء ببغداد والبصرة ، وكان موصوفاً بالعدل في الأحكام والزهد والعبادة . وعبد الملك بن عبد العزيز الماجشون صاحب الإمام مالك ، كان فصيحاً مفوهاً ، وعليه دارت الفتيا بالمدينة . ومفتي الأندلس الغافقي ، وكان مقدماً في الفقه على يحيى بن يحيى ، صالحاً ورعاً مجاب الدعوة .

سنة ثلاث عشرة ومائتين

قتل المأمون علي بن جبلة الشاعر ، أحد المبرزين الموالي في الشعر ، وكان ولد أعمى . وقيل : عمي صغيراً من الجدري ، وكان مدح أبا دلف بقوله :

إنما الدنيا أبو دلفٍ بين يديه ومحتضره
فإذا وليّ أبو دلفٍ وكلت الدنيا على أثره
كلٌّ من في الأرض من عرب بين يديه إلى حضره
مستعير منك مكرمة يرتديها يوم مفتخره

فلما عاتبه المأمون قال : إنما أردت أشكالك ، وأتم أهل بيت لا يقاس بكم ، فقال له : إنما أستحل دمك بكفرك حيث تقول في عبد مهين شعراً :

أنت الذي تنزل الأيام منزلها وتقلب الدهر من حال إلى حال
ذاك الله عز وجل ، فأمر بإخراج لسانه من قفاه ، فأخرج فمات .

(١) في الأصل : أبو عاصم النبيل الضحاك بن مجلز ، والصواب ما أثبت .

(٢) في الأصل : الرباني ، وهو خطأ .

ومن ملحه أيضاً لحميد بن عبد العزيز الحميدي ، شعر :
إنما الدنيا حميد وأياديه الجسام
فإذا ولي حميد فعلى الدنيا السلام

وفيهما إسحق بن مِرَار النحوي اللغوي أحد الأئمة الأعلام ، أخذ عنه أحمد ابن حنبل وأبو عبيدة والقاسم بن سلام ويعقوب بن السنكيت ، وقال في حقه : عاش مائة وثمانين سنة ، وكان يكتب بيده إلى أن مات .

وفيهما عبيد الله بن موسى العبسي الكوفي الحافظ الصالح العابد ، لكنه من رؤوس الشيعة رحمه الله .

سنة أربع عشرة ومائتين

توفي أبو [محمد عبد] (١) الحكم والد أبي عبد الله محمد صاحب الشافعي ، كان رأس المالكية بعد أشهب ، وسمع (الموطأ) على مالك ، ويقال : دفع الشافعي عند قدومه ألف دينار ، وأخذ له من رجل ألفاً ، ومن رجلين آخرين ألفاً .

سنة خمس عشرة ومائتين

توفي الحافظ أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري البصري اللغوي ، إمام الأدب ، وغلبت عليه النوادر كالأصمعي ، مع أن الأصمعي كان يقبل رأسه ويقول : أنت سيدنا منذ خمسين سنة ، وكان سفيان الثوري يقول : الأصمعي أحفظ الناس ، وأبو عبيدة أجمعهم ، وأبو زيد أوثقهم . وكان النضر بن شميل وأبو زيد واليزيدي في معاملة واحدة . قيل : وكان الأصمعي يحفظ ثلث اللغة ، وأبو زيد ثلثها . وتصانيف أبي زيد في اللغة نحو عشرين مصنفاً . وضجر شعبة يوماً من إملاء الحديث فرأى أبا زيد في أخريات الحلقة فقال :

استعجمت دار مكيّ ما تكلمنا والدار لو كلمتنا ذات أخبار

(١) ما بين المعقوفين نقص من الأصل ، استدرك من ب وكتاب الكنى والأسماء

إليّ يا أبا زيد ، فجاءه ، فتحدثنا وتناشدا الأشعار ، فقال له بعض الحاضرين :
يا أبا بسطام تقطع إليك ظهور الإبل فتدعنا وتقبل على الأشعار؟! فقال : أنا أعلم
بالأصلح ، أنا والله الذي لا إله إلا هو في هذا أسلم مني في ذلك • كأنه يروح قلبه
عند السامة •

ومثل هذا ما روي أن ابن عباس كان يقول لأصحابه : أحمضوا • وكما قال
أبو الدرداء : إني لأجم نفسي بشيء من الباطل لأستعين به على الحق •

وفيهما ، وقيل في سنة سبع عشرة ومائتين ، توفي عمرو بن مسعدة الكاتب
البلغ ، كتب للمأمون إلى بعض عماله : كتابي إليك كتاب واثق بمن كتب إليه ، معين
لمن كتب له ، ولن تضع بين الثقة والعناية^(١) صلة والسلام •

وقيل كتب إلى الفضل بن العبيد وقد غار من زواج أمه : الحمد لله الذي كشف
عنا سوء الحيرة ، وهدانا لستر العورة ، وجدّع بما شرع من الحلال أنف الغيرة ،
ومنع من عضل الأمهات كما منع من وأد البنات ، استنزلا للنفوس الأبية عن الحمية
حمية الجاهلية ، ثم عرض لجزيل الأجر من استسلم لوقائع قضائه ، وعدّ من جليل
الذخر من صبر على نازل بلائه ، وهياك للذي يشرح للتقوى صدرك ، ووسع في
البلوى صبرك ، [وألهمك] التسليم لسنته والرضى بقضيته •

وفيهما الأخفش الأوسط إمام العربية سعيد بن مسعدة المجاشعي البصري ،
كان يقول : ما وضع سيبويه في كتابه شيئا إلا عرضه عليّ ، وكان يرى أنه أعلم به
مني ، وأنا اليوم أعلم به منه •

وزاد في العروض بحراً زائداً على أبحر الخليل • وكان أخلع ، وهو الذي
لا تنضم شفتاه على أسنانه • والأخفش صغر العينين مع سوء بصرهما • ومصنفاته
بضعة عشر مصنفاً •

وأما الأخفش الكبير فهو عبد الحميد بن عبد المجيد ، أخذ عنه أبو عبيدة
وسيبويه ، وهو مجهول الوفاة •

(١) كذا في الاصل و ب ، ولكن الذي يلائم السياق أن تكون : الإعانة •

والأخفش الصغير علي بن سليمان البغدادي (١) النحوي •

وفيها محمد بن عبد الله الأنصاري قاضي البصرة وعالمها ، عاش سبعا وتسعين سنة ، وهو من كبار شيوخ البخاري •

وفيها محمد بن المبارك الصوري الحافظ صاحب سعيد بن عبد العزيز ، وهو غير صاحب إبراهيم بن أدهم • قال الياضي : ويحتمل أنه هو •

وفيها أبو عامر قبيصة بن عقبة الكوفي الحافظ العابد ، كان راهب الكوفة ، كان هناد بن السري إذا ذكره دمعت عيناه •

ومحدث مرو علي بن الحسين ، كتب الكثير حتى التوراة والإنجيل ، وجادلهم بكتابهم •

سنة ست عشرة ومائتين

غزا المأمون بلاد الروم ، وأقام بها ثلاثة أشهر ، وافتتح عدة حصون ، ورجع إلى دمشق ، ودخل مصر •

وتوفيت زبيدة بنت جعفر بن المنصور ، عاشت بعد زوجها الرشيد نحو عشرين سنة ، وكانت صاحبة معروف وخير ، وكان لها مائة جارية يحفظن القرآن ، ورد كل واحدة عشر القرآن ، فكان يسمع في قصرها كدوي النحل ، وأخرجت عينا بسكة على عشرة أميال تحت الجبال والصخور حتى غلغلته من الحل إلى الحرم ، وقالت لو كيلها بذلك ، وقد شكا سعة الإفتاق : اعمل ولو ضربة الفأس بدينار ، وهي باقية إلى الآن على يمين الذهاب إلى منى ، ولها عمق تحت الأرض ، وتظهر على وجه الأرض ، وفيها صناعات عجيبة لم تتأت لأحد مثلها في الارتفاع وعمومه ، وأبرت في طريقها في تلك الحجة ما لا يحصى • لقبها جدها المنصور زبيدة لبياضها ونضارتها ، وكان اسمها آمنة الغريب (٢) •

(١) في هامش الاصل زيادة : سيأتي ذكره في السنة الخامسة عشرة بعد الثلاثمائة إن شاء الله •

(٢) في مرآة الجنان ٦٣/٢ : أمة العزيز •

وفيها توفي الإمام أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيْب الباهلي المشهور بالأصمعي البصري عن ثمان وثمانين سنة . وتصانيفه تزيد على ثلاثين ، روي عنه أنه قال : أحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة منها المائة والمائتان . وكان الشافعي يقول : ما عبر أحد بأحسن عبارة الأصمعي . وعنه قال : سألت أبا عمرو بن العلاء عن ثمانية آلاف مسألة وما مات حتى أخذ عني ما لا يعرفه فيقبله مني ويعتقده . وعنه قال : كنت بالبادية طويلاً وأكتب ما سمعت فقال أعرابي : أنت كالحفظة تكتب لفظ اللفظة ، فكتبتها عنه ، وقال : رأيت شيخاً بالبادية وقد سقط حاجباه ، وله مائة وعشرون سنة ، وفيه بقية ، فسألته ، فقال : تركت الحسد فبقي الجسد ، وأنشد :

ألا أيها الموت الذي لست تاركي أرحني فقد أفنيت كل خليل
أراك بصيراً بالذين أحبهم كأنك تنحو نحوهم بدليل

وفوادره تحتمل مجلدات . وأعطاه الرشيد والمأمون ، وله فضل واسع . ولما صنف كتابه في الخيل مجلداً واحداً وصنف أبو عبيدة في ذلك خمسين مجلداً امتحنهما الرشيد ، فقرب لهما فرساً فلم يعرف أبو عبيدة أعيان الأعضاء ، وأما الأصمعي فجعل يسمي كل عضو ، ويجعل يده عليه ، وينشد ما قالت العرب فيه ، فقال له الرشيد : خذه قال : فكنت إذا أردت أن أعضب أبا عبيدة ركبته إليه .

ورثي أبو العالية الشامي الأصمعي فقال :

لا درّ در نبات الأرض إذ فجعت^٥ بالأصمعيّ لقد ألت لنا أسفا
عش ما بدا لك في الدنيا فلست ترى في الناس منه ولا من علمه خلّفا

ومن مسنده عن عائشة رضي الله عنها [عن النبي ﷺ] ^(١) أنه قال : « إياكم ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً » .

ويأسناده عن علي كرم الله وجهه أنه قال : هذا المال لا يصلح إلا ثلاث : أخذه من حله ، ووضع في حقه ، ومنعه من السرف .

(١) ما بين القوسين ليس في الأصل ، واستدرك من ب .

وإسناده قال : قال النبي ﷺ : « من أنعم الله عليه فليحمد الله ، ومن استبطأ الرزق فليستغفر الله ، ومن حَزَبَهُ أمر فليقل : لا حول ولا قوة إلا بالله » . وقد أورده الحافظ ابن حجر (في أسماء الرجال) وقال فيه : صدوق سني ، وجعله في الطبقة التاسعة من صفار أتباع التابعين كالشافعي ويزيد بن هرون وعبد الرزاق وغيرهم .

سنة ثمان عشرة ومائتين

وفيهما امتحن المأمون العلماء على القول بخلق القرآن ، وكتب إلى فائبه ببغداد ، وأجاب أكثر العلماء مكرها ، وتوقف طائفة ، وناظروا فلم يلتفت إليهم ، ثم أجابوا بعد التهدد بالقتل ، وعظم الخطب ، ولم يثبت من علماء العراق إلا أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح ، فقيدا وأرسل بهما إلى المأمون وهو بطرسوس ، فلما بلغا الرقة جاءهم الفرج بموت المأمون ، ومرض محمد بن نوح ومات بالطريق ، وهو الذي كان يشد أزْرَ أحمد ويشجعه . ولما مات المأمون عهد إلى أخيه المعتصم فامتحن الإمام أحمد أيضاً ، وضرب بين يديه بالسياط حتى عشي عليه ، ثم أطلقه وندم على ضربه ، ولحق من تولى تعذيبه عقوبات ظاهرة .

وكان المأمون يكنى بأبي العباس ، وكان أبيض ربعة حسن الوجه أعين أديباً شجاعاً ، له في الجهاد همة عالية ، ومشاركة في علوم كثيرة ، وكان في اعتقاده معتزلياً شيعياً ، استقل بالخلافة عشرين سنة ، ومات وله ثمان وأربعون سنة .

وقام على المأمون من العلويين محمد بن إبراهيم بن طباطبا إسماعيل بن إبراهيم ابن الحسن بن الحسن بن علي^(١) وأبوه إبراهيم بن طباطبا حبسه المهدي ، وأقام بالحبس أيام المهدي وابنه ، ومات فيه . وكان خروج محمد في الكوفة سنة تسع

(١) في الأصل و ب : محمد بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الشبه بن الحسن المثني ، وما أثبت من (القاموس المحيط - الطب) والطبري ٥٢٨/٨

وئسعين ومائة ولأخيه القاسم يومئذ سبع وعشرون سنة • وسبب قيامه أن نصر ابن شيبث العبسي سأله عن احتمال (١) القيام من العلويين ، فقيل له : فيهم ثلاثة : عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن ، وأحمد بن عيسى بن زيد ، ومحمد بن إبراهيم • فأما عبد الله وأحمد فقد شغلا بالعبادة ، وأما محمد فملازم بيته مقبل على صلاته ، وهو أخلقهم بالقيام ، فلقبه وحشده في ذلك بالموسم ، فلما قدما الكوفة بايعه من الشيعة مائة وعشرون رجلاً ، ثم ندم نصر بن شيبث وخشي العواقب ، وسأل محمداً أن يقيه بيعته ، وبذل على الإقالة خمسة آلاف (٢) فأبى ، وثبت بدله أبو السرايا ، وهو أعرابي النشأة ، علوي الرأي ، فقام بالبصرة ونشر الدعوة بالكوفة (٣) وحارب متوليها الفضل بن العباس بن موسى بن عيسى ، فظفر به ، وفرّ الفضل ، فاتهب داره ، وحائطه • ثم جهز الحسن بن سهل زهير بن المسيب من بغداد ، فجرى بينهم ست وقعات على باب الكوفة ، قتل محمد في آخرها ، وعهد بالأمر إلى علي بن عبيد الله بن الحسن • ولما فرغوا من دفن محمد وثب محمد بن محمد بن زيد ودعا إلى نفسه ، فشاور أبو السرايا علي بن عبيد الله وسأله وصية محمد بن إبراهيم ، فقال : ما أردت وصيته تهاوناً لأمره ولا فكولاً عن هذا الأمر ، ولكني أتخوف أن أشتغل به عما هو أحمد بغية وأفضل عاقبة ، فاجتمع رأي أبي السرايا على محمد بن محمد ، وأخرج العباسيين من الكوفة ، واستنظر عليها ثم قصد بغداد فأوقع بمن فيها وهزمهم وقتل وأسر ، وبعث بالأسارى والرؤوس إلى الكوفة ، ثم قصد بلداناً كثيرة وأوقع بولاتها واستمد النصر له حتى تفرق عنه أصحابه وخذلوه ، وآخر ذلك أنه استضاف رجلاً من شيبان فوشى به ولم يشعر إلا وقد أحاطت به الخيل ، فحمل هو ومحمد إلى بغداد فقال الحسن لأبي السرايا : من أنت ؟ قال : أنا أبو السرايا السري بن

(١) في الأصل وب : يحمل .

(٢) في ب : خمسة آلاف دينار .

(٣) بالكوفة : ليست في الأصل ، واستدركت من ب .

منصور الشيباني ، فقال : ما حملك على هذا ؟ قال : جفوة الولاة وسوء الحال
وتقديم من لا يستحق التقديم ، فأمر به فضربت عنقه ، وبعث بمحمد بن محمد إلى
المأمون بخراسان ، فلما رآه المأمون رق له ، وتعجب من صغر سنه ، وعفا عنه .

وممن خرج عليه أيضاً محمد بن داود بن الحسن المثنى ، خرج بالمدينة ، ووثب
عليه ابن الأفطس ، وتوارى بعد أن ظهرت رايته وضبط المدينة ونواحيها ، ومات
بعد ذلك وهو ابن ستين سنة ، وكان مع محمد بن إبراهيم ، ثم مع محمد بن محمد ،
وقام بعدهما .

ثم خرج القاسم بن إبراهيم أخو محمد بن إبراهيم ، وكان فيه جمال ، وله
شعر جيد ، وامتدت بيعته في الآفاق سراً ، وطلبه المأمون أشد الطلب وجعل فيه
الجمائل ، وسكن الرّس بأرض اشتراها وراء جبل أسود بالقرب من ذي الحليفة ،
وبنى هناك لنفسه ولولده ، ومات هناك بها ، وقبره معروف مزور ، وولده بها يعرفون
بالرّسّيين ، ومات وله سبع وسبعون سنة . وقام زمن المأمون ، وأخذ زمن المعتصم ،
ومات زمن المتوكل رحمه الله ورضي عنه .

وفيها دخل خلق كثير ، من أهل بلاد همدان في دين المجوس الباطنية ، فسار
إليهم من بغداد إسحق بن إبراهيم الخزاعي ، فقتل منهم ستين ألفاً ، وانهزم من بقي
منهم إلى أرض الروم .

وفيها توفي أبو محمد عبد الملك بن هشام البصري ، الحميري الأصل
المعافري اليمني النحوي ، ملخص سيرة ابن إسحق ، كان أخبارياً ، سكن مصر
وتوفي بها .

وفيها مات بشر المريسي ، القائل بخلق القرآن ، المناظر عليه ، كان مثرجاً
داعية للإرجاء ، وإليه تنسب طائفة المريسية المرجئة ، كان أبوه يهودياً صياغاً بالكوفة ،
وكان يناظر الشافعي وهو لا يعرف اللحن ، فلحن لحناً فاحشاً .

سنة تسع عشرة ومائتين

مات أبو أيوب سليمان بن علي الهاشمي، وكان إماماً فاضلاً، قال الإمام أحمد :
يصلح للخلافة .

وفيها الإمام أبو ثَعَيْمٍ الفضل بن دَكَيْنِ الكوفي، قال ابن مَعِين : مارأيت
أثبت منه ومن عَفان ، وقام في الامتحان بما لم يَقم به غيره .
وعبد الله بن الزبير الحميدي ، صحب الشافعي ووالاه بعد أن كان فافراً عنه ،
وصحبه في رحلته إلى مصر .

سنة عشرين ومائتين

عقد المعتصم للأفشين على حرب بابك الخَرَمي الذي هزم الجيوش وخرّب
البلاد منذ عشرين سنة ، فهزّمه الأفشين ، وقتل منهم ألوفاً ، وهرب بابك ، وجرت
لهما أمور ، يطول شرحها .

وعَفان بن مسلم البصري أحد أركان الحديث ، وممن ثبت في الامتحان ، أمر
المأمون بقطع رزقه ، وكان في كل شهر خمسمائة درهم ، فقال : وفي السماء رزقكم
وما توعدون .

وفيها الشريف أبو جعفر محمد الجواد بن علي الرضا ، أحد الاثني عشر
الذين تدعى الرافضة فيهم العصمة ، وعمره خمس وعشرون سنة . وكان المأمون قد
نوه بذكوره ، وزوجه ابنته ، وسكن بها في المدينة يَنقل إليه في السنة ألف ألف درهم .
وقد تقدم أن المأمون زوج ابنته الأخرى من أبيه علي الرضا ، وقدم الجواد بعباد
هو وامرأته وافدين على المعتصم ، فتوفي بها ، ودفن عند جده موسى في مقابر قريش
رحمه الله .

سنة إحدى وعشرين ومائتين

توفي الإمام الجليل عبد الله بن مسلمة بن قعنب الحارثي بمكة، وقيل: بالبصرة، وهو أوثق من روى الموطأ، قال بعضهم: هو والله عندي خير من مالك، وكان مجاب الدعوة، ويقال: إنه من الأبدال، وكان لا يحدث ثم حدث فقيل له في ذلك، فقال: رأيت كأن القيامة قامت فصيح بأهل العلم، فقاموا وقمت معهم، فصيح بي اجلس فقلت: إلهي ألم أكن معهم أطلب؟ فقال: بلى ولكنهم نشروه وأخفيت، فحدثت • روى عنه البخاري ومسلم وأهل السنن الأربعة، وهو من المجمع على فضله •

سنة اثنتين وعشرين ومائتين

جاء ببابك الخرمي إلى بغداد أسيراً، وكان قد عاث في البلاد هو وشيعته، وامتدت فنتهم نيفاً وعشرين سنة، وأراد أن يقيم ملة المجوس بطبرستان، وكان قوي النفس، عظيم الشجاعة، وفتحت مدينته، وقبض على أهل بيته وحواسه، وكان يوم دخل به بغداد يوماً عظيماً، وأمر المعتصم ببابك فقطعت أربعه وصلب •

سنة أربع وعشرين ومائتين

توفي الأمير إبراهيم بن المهدي، وكان ولي دمشق لأخيه الرشيد، وبويع بالخلافة لما عهد المأمون للرضا، وهورب فانكسر مراراً، ولم يزل مختلفاً سبع سنين، ثم ظفر به فعفا عنه المأمون •

وفيها قاضي مكة سليمان بن حرب الأزدي^(١) البصري الحافظ، كان المأمون يحضر مجلسه من وراء ستر •

وفيها أبو الحسن علي بن محمد المدائني البصري الأخباري، صاحب التصانيف في المغازي والأنساب، كان يسرد الصوم •

(١) في الأصل: سليمان بن حزن الأودي، وهو خطأ، ينظر سير أعلام النبلاء

وفيها العلامة أبو عبيد القاسم بن سلام ، كان أبوه عبداً رومياً لرجل من أهل هراة ، قيل : إنه أول من صنف غريب الحديث ، وصنف ثيفاً وعشرين • وعنه قال : مكثت في الغريب أربعين سنة ، ووقف عليه عبد الله بن طاهر فاستحسنه وقال : إن عقلا دعا صاحبه إلى مثل هذا حقيق ألا يُحوج إلى طلب المعاش ؛ وأجرى له كل شهر عشرة آلاف درهم ، وتولى القضاء بمدينة طرسوس ثماني عشرة سنة ، وكان يقسم الليل أثلاثاً : صلاة وثوماً وتصنيفاً ، وكان أحمر الرأس واللحية يخضب بالحناء ، وكان مهيباً ، توفي بمكة بعد أن حج ، وعزم على الانصراف إلى العراق مع الناس ، قال : فرأيت النبي ﷺ وأردت الدخول عليه فمنعت ، وقيل لي : لا تدخل عليه ولا تسلم وأنت خارج إلى العراق ، فقلت : لا أخرج إذاً ، فأخذوا عهدي على ذلك ، وخلوا بيني وبينه ، فسلمت عليه ، وصافحني • وأقام بمكة حتى مات •

وعنه قال : كنت مستلقياً بالمسجد الحرام فجاءتني عائشة المكية وكانت من العارفات ، فقالت : يا أبا عبيد لا تجالس إلا بالأدب والإلّا محاك من ديوان العلماء والصالحين •

وقال هلال بن العلاء الرقي : من الله تعالى على هذه الأمة بأربعة في زمانهم : الشافعي ولولاه ما تفقه الناس في حديث رسول الله ﷺ ، وأحمد ولولاه ابتدع الناس ، ويحيى بن معين نفى الكذب عن رسول الله ﷺ ، وبأبي عبيد فسر غريب الحديث ، ولولاه اقتحم الناس الخطأ • وكان أبو عبيد موصوفاً بالدين ، وحسن المذهب ، والسيرة الجميلة ، والفضل البارع ، وأثنى عليه علماء وقته بما يطول ذكره •

سنة خمس وعشرين ومائتين

مات أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي الأمير ، صاحب الكرخ ، أحد قواد المأمون ثم المعتصم ، أحد الأبطال الأجواد الممدحين ، مدحه أبو تمام وغيره ، وله صنعة في العبارة ، صنف كتاب البزاة والصيد والسلاح وسياسة الملوك وغير ذلك ،

وكان لكثرة عطائه قد ركبته الديون ، فلما مات رآه ابنه دلف جالساً عريان على أسوأ حال ، وأثسده أبياتاً منها :

ولو كنا إذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حي
ولكننا إذا متنا بعثنا ونسأل بعد ذا عن كل شيء

وكان أبوه قد شرع في عمران مدينة الكرخ ، ثم أتمها هو ، وكان بها أولاده وعشيرته ، عفا الله عنه وعننا آمين •

وفيها أبو عمر إسحق الجرمي المنفذن في علوم الأدب ، كان دَيِّنًا ورعاً حسن العقيدة ، صنف في النحو ، وناظر الفراء ، وأخذ عنه المبرد ، وله كتاب في السير عجب ، وكتاب غريب سبويه ، والعروض •

وجرم المنسوب إليها في العرب كثيرة منهم جرم بن علقمة بن أنمار ، ومنهم جرم بن زبان •

سنة ست وعشرين ومائتين

سجن المعتصم الأفسنين ، ومنعه الطعام والماء حتى مات ، وصلبه إلى جانب بابك وهو الذي ظفر به ، وكان الأفسنين أقلف متهماً في دينه بعبادة الأصنام ، وخاف منه أيضاً لقوة بأسه ، ولأنه من أولاد الملوك الأكاسرة ، وظفر المعتصم أيضاً بمازيار الذي فعل الأفاعيل بطبرستان ، وصلبه إلى جنبهما •

وفيها الإمام يحيى بن يحيى بن بكير التميمي النيسابوري ، كان يشبه بابن المبارك ، قال ابن راهويه : ما رأيت مثله ، ولا أحسبه رأى مثل نفسه ، ومات وهو إمام الدنيا •

سنة سبع وعشرين ومائتين

توفي الشيخ الكبير الشهير أبو نصر بشر بن الحارث الحافي ، مروزي الأصل من أبناء الرؤساء ، وكان نحوياً فجاع فقير إلى أبه فقال لجارته : مولاك حر أو عبد ؟

فقلت : بل حر ، فقال : صدقت لو كان عبداً لاستعمل أدب العبيد ، فخرج بشر في أثره حافياً وهو يقول : بل عبد ، فلم يدركه ، وكان يقول : صولحت حافياً •

وقيل : سبب توبته أنه مرّ برقعة في الطريق فيها اسم الله فأخذها وطيبها إجلالاً ، فرأى قائلاً يقول : طيبت لي اسمي لأطيبين اسمك في الدنيا والآخرة ، ثم تزهد ، فقطع أقرانه ، •

قيل له : بأي شيء تأكل الخبز ؟ قال : أذكر العافية فأجعلها إداماً • وكان طلب العلم ، وسمع الحديث ، وتمذهب بمذهب الثوري ، وسمع من إبراهيم بن سعد وغيره ، ثم أقبل على شأته ودفن كنبه ، وحدث بشيء يسير • ومن دعائه : اللهم إن كنت شهرتني في الدنيا لتقصيني في الآخرة فاسلب ذلك عني • وقال : من طلب الدنيا فليتهيأ للذل • وقال : يا أصحاب الحديث أدّوا زكاة ما عندكم ، اعملوا من كل مائتي حديث بخمسة •

وكان له ثلاث أخوات على طريقتة في الورع ، يسألن أحمد عن دقائق الورع ، قالت له إحداهن : يا أبا عبد الله أين المريض هل هو شكوى ؟ فقال : أرجو من الله أن لا يكون شكوى • ولكن هو اشتكأ إلى الله تعالى • وقالت الأخرى : ربما نغزل على ضوء مشاعل الظلمة ، وغير ذلك • وقد صنف في مناقب بشر •

وفيهما أبو عثمان سعيد بن منصور الخراساني الحافظ ، صاحب (السنن) •

وفيهما مات الخليفة المعتصم بالله محمد بن هرون ، كان عهد إليه المأمون ، وكان شجاعاً مهيباً ، كثير اللهو ، مسرفاً على نفسه عامياً • ويقال له : المثمن ، لأنه ولد سنة ثمانين ومائة ، في ثامن عشر الشهر ، وهو ثامن العباسيين في الخلافة ، وفتح ثمانية فتوح منها عمورية بأرض الروم ، وخدمه ثمانية ملوك من العجم قتل منهم ستة ، واستخلف ثمانين سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام ، وخلف ثمانية بنين ، وثمانين بنات ، وثمانية آلاف دينار ، وثمانية عشر ألف ألف درهم ، وثمانين ألف فرس ، ومن الجمال والبغال مثل ذلك ، وثمانية آلاف مملوك ، ومثلهم من الجواري ، وبنى ثمانية قصور • وكان له نفس سبعة إذا غضب لم يبال من قتل ولا ما فعل ، وعمره سبع وأربعون سنة ، وقام بعده ابنه الواثق •

سنة ثمان وعشرين ومائتين

توفي عبد الرحمن بن (١) عبيد الله (ابن عائشة) بن محمد بن حفص التيمي القرشي العائشي البصري الأخباري ، أحد الفصحاء الأجواد . وأمه عائشة بنت طلحة . وقال مصعب الزبيري : هي بنت عبد الله بن عبيد الله بن معمر التيمي .

ومن كلامه : جَزَعَكَ فِي مَصِيبة صديقك خير من صبرك ، وصبرك في مصيبتك أحسن من جزعك .

ووقف على قبر ابن له مات فقال :

إِذَا مَا دَعَوْتَ الصبر بعدك والبكا
أَجَابَ البكا طوعاً ولم يجب الصبرُ
فَإِنْ يَنْقَطِعُ مِنْكَ الرَّجَاءُ فَإِنَّهُ
سَيَبْقَى عَلَيْكَ الحزنُ ما بقي الدهرُ

وعنه قال : ما أعرف كلمة بعد كلام الله ورسوله أحصر لفظاً ولا أكمل وصفاً وأعم نفعاً من قول علي كرم الله وجهه : « قيمة كل امرئ ما يحسن » .

ومن قوله : أول الفراعنة سنان بن علوان بن عبيد بن عوج بن عمليق ، وهو صاحب القصة مع سارة وإبراهيم عليه السلام وأخدمها هاجر . والثاني صاحب يوسف ريثان بن الوليد ، وهو خيرهم ، يرجع نسبه إلى عمرو بن عمليق ، يقال : إنه أسام على يد يوسف . والثالث فرعون موسى الوليد بن مصعب بن معاوية وهو أخبثهم يرجع إلى عمرو بن عمليق أيضاً . والرابع نوفل الذي قتله بختنصر حين غزا مصر . والخامس كان طوله ألف ذراع ، وكانت قصره (٢) جسر نيل مصر .

وفيهما أبو عبد الرحمن المعروف بالعسبي محمد بن عبد الله بن معمر (٣) بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب الأموي الأخباري الفصيح

(١) في الأصل : عبيد الله بن عبد الله ، وهو خطأ ، والتصويب من تاريخ ابن كثير

٥٢٩/٦

(٢) في الأصل : وكان قصره ، وما أثبت من مرآة الجنان ٩٦/٢

(٣) في مرآة الجنان : عمرو .

الشاعر • روى عن ابن عيينة وغيره ، وروى عنه أبو الفضل الرقاشي • له عدة تصانيف • ومن قوله :

رَأَيْنَ الْغَوَافِي الشَّيْبَ لَاحِ بَعَارِضِي
وَكُنَّ مَتَى أَبْصَرْتَنِي أَوْ سَمِعْتَنِي
فَإِنَّ عَطْفَتَ عَنِّي أَعْنَةُ أَعْيُنِي
فَإِنِّي مِنْ قَوْمِ كَرِيمٍ ثَنَاؤُهُمْ
خَلَائِفٌ فِي الْإِسْلَامِ فِي الشَّرْكَ قَادَةُ

وله أيضاً وقد مات ولد له :

أَضْحَتْ بِخَدِّي لِلدَّمُوعِ رُسُومٌ
وَالصَّبْرُ يُحْمَدُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا
أَسْفَاءٌ عَلَيْكَ وَفِي الْفُؤَادِ كَلُومٌ
إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومٌ

وفيها مُسَدَّدُ بْنُ مُسْرَهْدِ بْنِ مُسْرَبِلِ بْنِ مَرْبَلِ بْنِ مَرْعَبِلِ بْنِ أَرْدَنْدُكِ بْنِ سَرْفَنْدُكِ بْنِ غَرْفَنْدُكِ بْنِ مَاسِكِ بْنِ مُسْتَوْرِدِ الْأَسَدِيِّ الْبَصْرِيِّ • وكان يجيبى بن معين إذا ذكر نسب مسدد قال : هذه رقية عقرب •

وكان مسدد أحد الحفاظ ، وهو ممن انفرد به البخاري دون مسلم •

سنة تسع وعشرين ومائتين

توفي خلف بن هشام شيخ القراء والمحدثين • ونعيم بن حماد المروزي الفرضي (١) الحافظ • ويزيد بن صالح الفراء النيسابوري العبد الصالح العابد المجتهد •

سنة ثلاثين ومائتين

أمير المشرق عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي ، ويقال : إنه خزاعي بالولاء لطلحة الطلحات • أحد الفضلاء الأجواد ، تاب قبل موته ، وكسر آلات الملاحى ، وبعثه المأمون إلى خراسان وقد انقطع عنها المطر فمطروا ، وقال فيه الشاعر :

غِيثَانٌ فِي سَاعَةِ لَنَا قَدِمًا فَمَرْحَبًا بِالْأَمِيرِ وَالْمَطَرِ

(١) في مرآة الجنان ٩٨/٢ : القرطبي •

واستفك أسارى بألف ألف درهم ، وتصدق بأموال كثيرة ، وفيه يقول أبو تمام
وقد قصدته من العراق :

أطلع الشمس تبغي أن تؤمّ بنا فقلت كلاً ولكن مطلع الجود
وبسبب وفادته ألف كتاب (الحماسة) ؛ فإنه حكم عليه البرد هناك ، ووقع
على خزافة كتب ، فاختر منها الحماسة •

وفيها توفي الإمام الحبر الحافظ أبو عبد الله محمد بن سعد، كاتب الواقدي،
وصاحب الطبقات والتاريخ • ومحدث بغداد أبو الحسن علي بن الجعد الهاشمي
مولاهم • قيل : إنه مكث سنين يصوم يوماً ويفطر يوماً •

سنة إحدى وثلاثين ومائتين

ورد كتاب الواثق على أهل البصرة منتحناً لهم بالقول بخلق القرآن ، وقتل
بيده الشهيد أحمد بن نصر الخزاعي ، وكان من أولاد الأمراء ، ونشأ في علم وصلاح ،
وكتب عن مالك وغيره ، وكان ردّ على الواثق القول بخلق القرآن ، وقام معه خلق
من المطوّعة ، واستعجل أمره • روي أنه صلب ؛ فاسود وجهه ، فتغيرت قلوب الناس ،
ثم ابيضّ سريعاً ، فرثني في النوم فقال : لما صلبت رأيت رسول الله ﷺ فأعرض عني
بوجهه ، فاسود وجهي غضباً ، فسألته ﷺ عن سبب إعراضه ، فقال : حياءً منك
إذ قتلك واحد من أهل بيتي ، فايض وجهي •

وفي هذه المحنة مات مسجوناً مقيداً الإمام أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي
صاحب الشافعي ، وكان عابداً دائم الذكر ، كبير القدر • قال الشافعي : ليس في
أصحابي أعلم منه • وقال له : تموت في الحديد • فاستدعوه من مصر ، وجعلوا في
رجله قيداً ، وفي عنقه غلاً ، وبينهما سلسلة وزن أربعين رطلاً • وكان إذا سمع أذان
الجمعة مشى إلى باب السجن ، فيقول له السجنان : أين تريد ؟ فيقول : أجيّب داعي
الله ؛ فيقول : ارجع عافاك الله ؛ فيقول : اللهم إنك تعلم أنني قد أجت داعيك فمنعوني •

وفيها أبو تمام حبيب بن أوس الطائي الحوراني ، مقدم شعراء عصره ، في
أسلوبه وترتيبه ألف (الحماسة) ، وكتاب (فحول الشعراء) ، جمع فيه بين الجاهليين

والمخضرمين والإسلاميين ، وكتاب (الاختيارات من شعر الشعراء) ، وكان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة غير القصائد والمقطعات . وجاب البلاد ، ومدح الخلفاء وغيرهم ، وكان قصد البصرة في جماعة من أتباعه وبها شاعرها عبد الصمد بن المعذل ، فخاف عبد الصمد أن يميل الناس إليه ، فكتب إليه قبل قدومه :

أنتَ بين اثنتين تبرزُ للناسِ سِركِ وكتلتاهما بوجهِ مِذالِ (١)
إنما تبتغي بوجهك هذا (٢) بين ذل الهوى وذل السؤالِ

فلما وقف عليها رجع وكتب على ظهر ورقته :

أبيّ تنظم قولَ الزورِ والفَسَدِ وأنتَ أقتصمُ من لا شيءٍ في العَدَدِ
أشْرَجْتَ (٣) قلبك من غيظِ على حنق كأنها حركاتُ الروحِ في الجسدِ
أقْدَمْتَ ويحك من هجوي على خطر كالعيرِ يُقدِّم من خوفِ على الأسدِ

قيل : إن العير إذا شم رائحة الأسد وثب عليه فزعاً .

قيل : مدح أبو تمام الخليفة بحضرة أبي يوسف الفيلسوف الكندي فقال :
إقدامُ عمروٍ في سماحةِ حاتمٍ في حلِّمِ أحنفٍ في ذكاءِ إلياسِ

فقال له الفيلسوف (٤) : أتشبه الخليفة بأجلاف العرب ؟! فقال : نور الله يشبه بمصباح في مشكاة للتقريب ، فقال للخليفة : أعطه ما سأل فإنه لا يعيش أكثر من أربعين يوماً ، لأنه قد ظهر في عينيه الدم من شدة الفكر . وقيل : إنه قال : يموت قريباً أو شاباً ، فقيل له : وكيف ذلك ؟ قال : رأيت فيه من الذكاء والفطنة ما علمت أن النفس الروحانية تأكل جسمه كما يأكل السيف المهند غمده ، فقال له الخليفة : ما تشتهي ؟

(١) في الأصل جدال ، وما أثبت من ب ، وهو يوافق رواية ابن خلكان ١٣/٢ .

(٢) ورد الشطر الأول في ابن خلكان كما يأتي :

أي ماء يبقى لوجهك هذا .

(٣) أشرح الشيء : شده بالشرح ، وهي العرا .

(٤) في الأصل : فقال له الخليفة ، وما أثبت من ب ، وهو المناسب للسياق .

وينظر سير أعلام النبلاء ٦٨/١١

قال : الموصل ، فأعطاه إياها ، فمات بها سريعاً وقد نيف على الثلاثين • وبني عليه أبو نهشل بن حميد قبة ، ورثاه جماعة منهم أبو نهشل بن حميد الذي ولاه الموصل ، فقال (١) :

فُجِعَ القريضُ بِخاتَمِ الشعراءِ وغدير روضتها حبيب الطائي
ماتاً معاً فتجاوراً في حُفْرَةٍ وكذلك كأننا قبلُ في الأحياءِ

ورثاه محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم فقال :

نبأ أتى من أعظم الأبناء لمألمٍ مُثْقَلٍ الأَحْشَاءِ
قالوا حبيب قد ثوى فأجبتهم فاشدتكُم لا تجعلوه الطائي

وفيها إمام اللغة محمد بن زياد ، عرف بابن الأعرابي ، مولى بني العباس • أخذ الأدب عن أبي معاوية الضرير والكسائي ، وأخذ عنه الحربي وثلعب وابن السكيت ، واستدرك على من قبله ، وله بضعة عشر مصنفاً منها كتاب (النوادر) وكتاب (الخيل) وكتاب (تفسير الأمثال) وكتاب (معاني الشعر) • وكان يحضر مجلسه مائة مستفيد •

سنة اثنتين وثلاثين ومائتين

مات الواثق بالله هرون بن المعتصم بن الرشيد ، وكان أديباً شاعراً ، أبيض تعلوه صفرة ، حسن اللحية • دخل في القول بخلق القرآن ، وامتنح الناس كأبيه وجده ، وقوى عزمه على ذلك القاضي أحمد بن أبي دؤاد المعتزلي ، واستخلف بعده أخوه المتوكل •

وفيها الحسن العسكري بن علي بن محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم ، أحد الأئمة الاثني عشر في زعم الإمامية ، وهو والد المنتظر صاحب السرداب بزعمهم •

(١) نسبت في وفيات الأعيان لابن خلكان ١٨/٢ للحسن بن وهب •

وفيها الإمام عبد الله^(١) بن عون الخزاز^(٢) الزاهد البغدادي المحدث ،
يقال : إنه من الأبدال •

وفيها الإمام أبو يحيى هرون بن عبد الله الزهري العوفي ، أعلم من صنف
في مختلف قول مالك •

سنة ثلاث وثلاثين ومائتين

كانت الزلزلة العظيمة بدمشق ، دامت ثلاث ساعات ، وسقطت الجدران ،
وهربت الخلق إلى المصلى يجأرون إلى الله سبحانه ، ومات كثير من الناس تحت الردم ،
وامتدت إلى أنطاكية ، فهلك فيها عشرون ألفاً ، ثم امتدت إلى الموصل ؛ فهلك بها
خمسون ألفاً •

وفيها الإمام أبو زكريا يحيى بن معين ، أحد الأعلام الحفاظ ، توفي بالمدينة
الشريفة متوجهاً إلى الحج • وقيل : لما خرج من المدينة إلى مكة سمع هاتفاً يقول
له : يا أبا زكريا ، أترغب عن جوارى؟! فرجع ، وأقام بالمدينة ثلاثاً ومات ، وغسل
على الأعواد التي غسل عليها رسول الله ﷺ •

وكتب بيده ستمائة ألف حديث ، وروى عنه كبار أئمة الحديث كالبخاري ومن
بعده ، وكان بينه وبين الإمام أحمد مودة عظيمة واشتراك في طلب الحديث ورجاله ،
وكان كثيراً ما ينشد شعراً :

المال يذهب حله وحرامه	يوماً وتبقى في غد آثامه
ليس التقى بمتقى لإلهه	حتى يطيب شرابه وطعامه
ويطيب ما تحوي وتكسب كفه	ويكون في حسن الحديث كلامه
نطق النبي أتى به عن ربه	فعلى النبي صلاته وسلامه

(١) في ب : أبو عبد الله •

(٢) في الأصل والنسخة ب بالإهمال • وفي مرآة الجنان ١٠٧/٢ : عبد الله بن
عوف الخزاز •

وفيها ، وقيل : في سنة سبع وأربعين ، توفي الإمام النحوي بكر بن محمد المازني البصري ، إمام وقته في الأدب ، وله فيه تصانيف عديدة ، وكان في غاية الورع . روى عنه تلميذه المبرّد أنه جاءه ذمي ليقراً عليه كتاب سيويه ، وبذل له مائة دينار ، فأبى ، فقلت له : جعلت فداك ، أترد هذا مع فاقنك ؟! فقال : الكتاب يشتمل على ثلاثمائة آية من كتاب الله ، فلا أمكن منه ذمياً ، غيرةً وحميةً .

ثم اتفق أن الواثق استدعاه إلى بغداد لإعراب بيت غنثه سرية له ، فزعمت أن شيخها المازني لقنها إياه كذلك . فلما قدم أخبرهم بصوابها ، فأعجب به الواثق ، وفي القصة كلام طويل أفسده في آخره :

إن المعلم لا يزال مضغفاً ولو ابنتى فوق السماء بناء
من علم الصبيان أصبوا عقله حتى بنى الخلفاء والأمراء

فقال الواثق : لله درك ! كيف لي بك ؟ فقلت : إن الغنى والفوز في قريك ، ولكنني ألقت الوحدة ، ولي أهل يضرهم البعد عنهم ، قال : فأمر لي بألف دينار وكسوة وطيب ، وقال : لاتقطعنا .

قال المبرّد : فلما قدم البصرة قال لي : رددنا مائةً لله فعوضتنا ألفاً .

وفيها وزير المعتصم المعروف بابن الزيات ، وكان أول أمره كاتباً ، فاتفق أن المعتصم سأل وزيره أحمد بن عمار البصري عن الكلا ما هو ، فقال المعتصم : خليفة أمي ووزير عامي ، انظروا مَنْ° بالباب من الكتاب ، فوجدوا ابن الزيات ، فسأله عن الكلا ، فقال : العشب على الإطلاق ، فإن كان رطباً فهو الحشيش ، وإن كان يابساً فهو الكلا . وشرع في تقسيم أنواع النبات ، فاستوزره ، وارتفع شأنه ، وظلم ، واتخذ تنوراً من حديد يجبس فيه المصادرين ، فإذا سئل الرحمة قال : الرحمة خورٌ° في الطبيعة ، فأمسكه المتوكل في خلافته ، وأدخله التنور ، وقيده بخمسة عشر رطلاً من حديد ، فاقتقد بعد حين ، فوجد ميتاً فيه .

ولابن الزيات أشعار رائقة وديوان رسائل وغيرها .

سنة أربع وثلاثين ومائتين

مات يحيى بن يحيى الإمام المعتمد في رواية (الموطأ) عن مالك ، وعنه اقتصر
فقه مالك بالأندلس . وكان يوماً عند مالك ، فقدم بفيل فخرج الناس ينظرون إليه
ولم يخرج ، فقال مالك : مالك لم تخرج فإنه ليس ببلدك ؟ فقال : إنما جئت من
بلدي لأنظر إليك ، وأتعلم من هديك وعلمك ، فقال له : أنت عاقل الأندلس .

سنة خمس وثلاثين ومائتين

ألزم التوكل النصارى لبس العسكي لتمييزوا به .

وفيها توفي إسحق بن إبراهيم الموصلي النديم ، كان أديباً متفنناً في أنواع
العلم ، منقطع النظر في صناعة الضرب والموسيقا واختراع الألحان والغناء . وكان
المأمون يقول : لولا ما سبق لإسحق من الشهرة بالغناء لوليته القضاء ؛ فإنه أولى
وأعف وأصدق وأكثر ديناً وأمانة من هؤلاء القضاة . لكن طعن فيه الخطابي ، كما
نقله النووي عنه ، وقال : إنه معروف بالمجون والخلاعة ، وإنه لما وضع كتابه بدم
أصحاب الحديث زعم أنهم يروون ما لا يدرون .

وفيها الإمام أبو بكر بن أبي شيبة صاحب التصانيف الكبار ، حضر مجلسه
نحو ثلاثين ألفاً .

وفيها أبو الهذيل ، عرف بالعلاف ، شيخ المعتزلة بالبصرة عن نحو مائة سنة ،
وهو من موالي عبد القيس .

وفيها سريج بن يونس البغدادي العابد المشهور بالصلاح ، أحد أئمة
الحديث ، وهو جد أبي العباس بن سريج .

سنة ست وثلاثين ومائتين

توفي محدث المدينة إبراهيم بن المنذر .

والحافظ النسابة الأخباري مصعب بن عبد الله بن مصعب بن الزبير الأسدي
الزبيرى . قال الزبير بن بكار : كان عمي مصعب وجه قريش .

وفيها توفي الحسن بن سهل الشرخسي ، وسرخس : مدينة من خراسان . وكان موته لعلبة المرأة السوداء عليه لشدة حزنه على أخيه الفضل بن سهل لما قتل في الحمام ، وكان عالي الهمة ممدحاً ، وهو والد بوران امرأة المأمون ، وكان وزيراً كأخيه ، وفيهما قال الشاعر :

تقولُ حليتي لما رأتهني أشدُّ مطيتي من بعدِ حلِّ
أبعد الفضل ترتحلُّ المطايا فقلتُ نعم إلى الحسنِ بن سهل

وفيها هدية بن خالد القيسي الحافظ البصري . قال عبّدان : كنا لا نصلي وراء هدية لتطويله ، كان يسبح في الركوع والسجود نيفاً وثلاثين تسيحة .

سنة سبع وثلاثين ومائتين

توفي الشيخ الكبير الفاضل الصالح المكرم حاتم الأصبم ، لقمان هذه الأمة ، أبو عبد الرحمن . قصته مع قاضي الري محمد بن مقاتل الواعظ مشهورة ، واستحسان الإمام أحمد كلامه وبنأؤه عليه معروف .

وفيها وثيمة بن موسى الوشاء ؛ سمي به لبيعه الوشي ، وهو نوع من ثياب إبريسم ، وكان وثيمة أحد الحفاظ ، صنف كتاب (أخبار الردة) أجاد فيه وأوسع .

سنة ثمان وثلاثين ومائتين

أقبلت الروم في نحو ثلاثمائة مركب ، وأحرقوا دمياط وهبوها ، وسبوا منها ستمائة امرأة ، وأسرعوا الرجوع إلى الروم .

وفيها توفي عالم المشرق إسحق بن إبراهيم بن راهويه الحنظلي المروزي النيسابوري . عرض عليه قضاء نيسابور فاخفى ، ودعا الله ، فمات في اليوم الثالث .

سنة تسع وثلاثين ومائتين

غزا المسلمون وأشرفوا على قسطنطينية ، وأحرقوا ألف قرية ، وقتلوا وسبوا .

وفيها توفي الحافظ الكبير عثمان بن أبي شيبة العبسي ، وكان رجل البلاد ، وصنف التفسير والمسند ، وحضر مجلسه ثلاثون ألفاً .

سنة أربعين ومائتين

توفي قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد على وزن فؤاد الإيادي عن ثمانين سنة . وكان عالماً جواداً ممدحاً معتزلياً ، وكان له القبول التام عند المأمون والمعتصم ، وهو أول من بدأ الخلفاء بالكلام ، وكانوا لا يكلمون حتى يتكلموا . وبسببه وفتياه امتحن الإمام أحمد وأهل السنة بالضرب والهوان على القول بخلق القرآن . وابتلي ابن أبي دؤاد بالفالج نحو أربع سنين ، ثم غضب عليه المتوكل وصادره هو وأهله على ستة عشر ألف ألف درهم ، وأخذ من والده مائة ألف دينار وجوهراً بأربعين ألف دينار . وقيل : إنه صالح عن ضياعه وضياع أبيه بألف ألف دينار . ولأحمد بن أبي دؤاد عطايا جزيلة وشفاعات إلى الخلفاء مقبولة ، وفيه يقول الشاعر :

لقد أتست مسأوى كل دهر محاسن أحمد بن أبي دؤاد
وما سافرت في الأفطار إلا ومن جدواك راحتني وزادي

وكانت بينه وبين ابن الزيات شحنة عظيمة ومهاجاة .

وفيها توفي الفقيه العالم أبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي البغدادي ، برع وصنف ، وجمع في تصنيفه بين الحديث والفقه ، واشتغل أولاً بمذهب أهل الرأي حتى قلم الشافعي العراق ، فصحبه واقتنع به ، واتبعه وهو غير مقلد لأحد ، قال أحمد : هو عندي في مسألاخ الثوري ، أعرفه بالسنة منذ خمسين سنة . قال له محمد بن الحسن : غلبنا عليك هذا الحجازي ، يعني الشافعي ، فقال : أجل الحق معه .

وفيها الحسن بن علي^(١) النيسابوري ، وكان ديناً ورعاً ، أسلم على يد ابن المبارك ، وسمع منه الكثير ، ثم برع وحدث ببغداد ، وعُدَّ في مجلسه اثنا عشر ألف محبرة .

وفيها أبو العميئل مولى جعفر بن سليمان العباسي ، كاتب عبد الله بن طاهر ، وكان مكشراً من ثقل اللغة ، عارفاً بها ، وكان يقول : النعمان : الدم ، وشقائق النعمان سميت بذلك لأن النعمان بن المنذر استحسناها فحماها .

(١) في مرآة الجنان ٢/١٣٠ : عيسى .

وفيها مفتي القيروان وقاضيه أبو سعيد عبد السلام بن سعيد المعروف بسحنون المغربي المالكي ، صاحب المدونة ، لقب باسم طائر حديد الدهن يكون بالمغرب ، وكان أخذ عن ابن القاسم وابن وهب وأشهب .

وفيها الإمام عبد العزيز الكناني المالكي صاحب كتاب (الجيدة) ، سمع سفيان بن عيينة ، وهو معدود من أصحاب الشافعي ، وناظر بشراً المريسي في مجلس المأمون مناظرة عجيبة غريبة ، فاقطع بشر وظهر عبد العزيز ، ومناظرتهما مسطورة مذكرة .

سنة إحدى وأربعين ومائتين

توفي إمام المحدثين وركن الدين أحمد بن حنبل الشيباني المروزي الأصل ، رحل إلى الآفاق ، وسمع من عبد الرزاق بصنعاء ، ومن إبراهيم بن الحكم بعدن وغيرهما ، وكان من خواص أصحاب الشافعي ، وكان الشافعي يأتيه إلى منزله ، فعوتب في ذلك ، فأشدد :

قالوا يزورك أحمد وتزوره قلت الفضائل لا تفارق منزله

إن زارني فبفضله أو زرتَه فلفضله فالفضل في الحالين له

رضي الله عنهما ، وكان أحمد يحفظ ألف ألف حديث . قال الربيع : كتب إليه الشافعي من مصر ، فلما قرأ الكتاب بكى ، فسأته عن ذلك فقال : إنه يذكر أنه رأى رسول الله ﷺ وقال : اكتب إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل ، واقرأ عليه مني السلام ، وقل له : إنه سيتمحن على القول بخلق القرآن ، فلا تجبهم يرفع لك علماً إلى يوم القيامة . قال الربيع : فقلت له : البشارة ، فخلع قميصه ، وأخذت جوابه . فلما قدمت على الشافعي وأخبرته بالقميص قال : لألحقنك به ، ولكن بكه حوارف إليّ ماء حتى أكون شريكاً لك فيه .

وقد صنف ابن الجوزي والبيهقي والهروري في مناقبه . وكانت وفاته يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة من ربيع الأول . وقبره مشهور مزور بمقبرة باب حرب . وكان

حسن الوجه ، ربعة ، يخضب بالحناء خضاباً ليس بالقاني ، وجاوز في العمر سبعاً وسبعين^(١) سنة . وحرر من حضر جنازته يوم موته عشرون^(٢) ألفاً من اليهود والنصارى والمجوس ، ولعل ذلك لما رأوا من الإجماع على فضله والأسف عليه ، فرقت قلوبهم لما رأوا عند حمل جنازته ، كما روي في موت سهل بن عبد الله .

وحكى ابن إبراهيم الحربي قال : رأيت بشراً الحافي في النوم كأنه خارج من مسجد الرصافة وفي كفه شيء يتحرك ، فقلت : ما هذا في كحك ؟ قال : نثر علينا بقدوم روح أحمد الدشر والياقوت ، فهذا ما التقت ، فقلت : ما فعل يحيى بن معين وفلان من أئمة الحديث ؟ فقال : تركهما يزوران رب العالمين ، ثم وضعت لهما الموائد ، قلت : فأنت ؟ قال : أباحني^(٣) النظر إلى وجه الله الكريم .

سنة اثنتين وأربعين ومائتين

توفي القاضي أبو جناب^(٤) الزيادي ، وكان ثقة أخبارياً مصنفاً مطلعاً .
والإمام الرباني أبو الحسن محمد بن أسلم الطوسي الزاهد ، صاحب المسند والأربعين ، وكان يشبه في وقته بابن المبارك . روى عنه إمام وقته ابن خزيمة ، وقال : لم ترَ عينا مثله . قيل : وكان من الأبدال .

وفيها ، وقيل : في التي بعدها ، الإمام العلامة المفخم يحيى بن أكثم التميمي ، كان سني العقيدة ، غلب على المأمون فقلده القضاء وتدير مملكته ، ثم عزله المعتصم بابن أبي دؤاد ثم رده المتوكل وعزل ابن أبي دؤاد وأنبه ، حتى طابت عقائد أهل

(١) في الأصل : تسعاً وسبعين ، وما أثبت من ب و مرآة الجنان ١٣٤/٢

(٢) نقص في الأصل ، والعبارة بتمامها في ب : « وحرر من حضر جنازته من الرجال فكانوا ثمانمائة ألف ، ومن النساء ستون ألفاً . قيل : وأسلم يوم وفاته عشرون ألفاً من اليهود والنصارى والمجوس » . وفي هذا مبالغة ظاهرة .

(٣) في الأصل : حقي ، وما أثبت من مرآة الجنان ١٣٣/٢

(٤) جناب : في الأصل و ب مهملة غير معجمة . وفي مرآة الجنان ١٣٤/٢ : حسان .

السنة ، وأدال دولتهم • وكان يحيى بن أكثم كثير المزاح^(١) • ورثني في المنام ، فذكر في بعض كلامه أنه رأى الحق فقال له : خلطت في دار الدنيا • واختلف المحدثون في توثيقه •

ولي قضاء البصرة وهو ابن ثمان عشرة ، فقال له : كم سنك ؟ فقال : كعتاب ابن أسيد حين أمّره النبي ﷺ على مكة •

وسئل أحمد عما يذكر فيه من الهنات فأنكره إنكاراً شديداً • وله الأثر المحمود والمقام التام يوم نادى المأمون بتحليل المتعة ، فردّه بصريح النقل حتى رجع واستغفر • ولما استدعاه المأمون للقضاء نظر إليه وكان دميم الخلق — فعلم أنه استحققره ، فقال : يا أمير المؤمنين ، سئني إن كان القصد علمي لا خلقي ؛ فسأله عن المسألة المعروفة بالمأمونية ، وهي أبوان وابنتان ، ولم تقسم التركة حتى ماتت إحدى الابنتين وخلفت من في المقالة الأولى ، فقال : الميت الأول رجل أو امرأة ؟ فقال له : إذا سألت عن الميت الأول فقد عرفت •

سنة ثلاث وأربعين ومائتين

توفي الشيخ الكبير الشهير الحارث بن أسد المحاسبي البصري ، أحد الخمسة الجامعين بين العلمين في عصر واحد هو والجنيد وأبو محمد بن رويم وأبو العباس بن عطاء^(٢) وعمرو بن عثمان المكي •

وله مصنفات نفيسة في السلوك والأصول ، ولم يأخذ من ميراث أبيه شيئاً ، لأنّ أباه كان قديراً ، ومن قوله : فقدنا ثلاثة أشياء : حسن الوجه مع الصيانة ، وحسن القول مع الإصابة ، وحسن الإخاء مع الوفاء • وهو أحد شيوخ الجنيد •

(١) في الأصل العبارة ناقصة ، وقد وردت هكذا في ب وفي وفيات الأعيان : كثير المزاح مع خصمه وعدوه •

(٢) في مرآة الجنان ٢/١٤٣ : وأبو محمد رويم وأبو العباس عطاء •

وفيها الفقيه أبو حفص حرملة بن يحيى التجيبي المصري ، مصنف المختصر والمبسوط ، روى عن ابن وهب مائة ألف حديث ، وتفقه بالشافعي .

وفيها إبراهيم بن العباس الصولي الشاعر ، ومن قوله :
ولرب نازلةٍ يضيق بها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرجُ
عظمتُ فلما استحكمت حلقاتها فترجتُ وكان يظنها لا تفرجُ

وفيها محمد بن يحيى بن أبي عمرو العدني الحافظ المشهور صاحب المسند ، روى عن الفضيل بن عياض .

وفيها ابن الراوندي أحمد بن يحيى بن إسحق ، له مقالات في علم الكلام ، وينسب إلى الإلحاد ، وله مائة وبضعة عشر كتاباً ، وله كتاب (فضيحة المعتزلة) ردّ فيه عليهم ، وأصحابنا ينسبونه إلى ما هو أصل من مذهبهم ، عاش نحواً من أربعين سنة .

والراوند : قرية من قرى قاسان ، بالمهملة ، من فواحي أصبهان ، والتي بالمعجمة مجاورة لقم ، بضم القاف .

وهو الذي لقن اليهود القول بعدم نسخ شريعتهم ، وقال لهم قولوا : إن موسى أمرنا أن نتمسك بالسبت ما دامت السماوات والأرض ، ولا تأمر الأنبياء إلا بما هو حق .

وقد أعاد المصنف ذكره تبعاً لغيره في سنة ثلاثمائة ، وصرح بأنه كان يلزم الرافضة والزنادقة ، وأنه ملحد .

قال ابن الجوزي : كنت أسمع منه العظام حتى رأيت ذلك في كتبه : كتاب (قصة الذهب) وكتاب (الزمرد) . قال ابن عقيل : عجبني كيف لم يقتل . وقد صنف (الدفع) يدفع به على القرآن . والزمرد يزدري به على النبوات . قال الياضي : وأئمتنا ينقلون عنه في كتب الأصول الزنادقة والإلحاد ، فلا اعتبار بمن ينسبه إلى الفضل كابن خلكان وغيره . ولا أدري هل هما شخصان أو واحد .

سنة أربع وأربعين ومائتين

مات دعبل الخزاعي ، وكان شاعراً مولعاً بالهجو ، هجا الخلفاء فمن دونهم ، وهجا المأمون وتوافق عليه فحلم ؛ وكان هو وأبو تمام صديقين للبحثري ؛ فرتاهما بأبيات منها :

قد زاد من كلفي وأوقد لوعتي مشوى حبيب يوم مات ودعبل

وفيها الإمام النحوي اللغوي أبو يوسف يعقوب بن إسحاق عرف بابن السكيت ، صاحب كتاب (إصلاح المنطق) [وغيره ، و (معاني الشعر الكبير) و (معاني الشعر الصغير)]^(١) وفسر دواوين الشعر ، وسبق أقرانه في الأدب مع حظ وافر من السنن والدين . وكان قد ألزمه المتوكل تأديب ابنه المعتز ، فلما جلس عنده قال له : بأي شيء يجب الأمير أن يبدأ من العلوم ؟ قال : بالانصراف ، قال ابن السكيت : فأقوم ؟ قال المعتز : أنا أخف منك ، فقام المعتز مسرعاً فعشر سراويله فسقط ؛ فالتفت خجلاً ، فقال ابن السكيت :

يصاب الفتى من عثرة بلسانه وليس يصاب المرء من عثرة الرجل
فعشرته بالقول تذهب رأسه وعشرته بالرجل تبرا على مهل

فلما كان من الغد دخل على المتوكل فقال له : قد بلغني البيتان ، وأمر له بخمسين ألف درهم ، فجاءه ابنه المعتز والمؤيد ، فقال له : يا يعقوب ، أي أحب إليك ابناي هذان أم الحسن والحسين ؟ فعرض من ابنه ، وذكر محاسن الحسن والحسين ، فأمر المتوكل الأتراك فداسوا بطنه ، فحمل إلى داره فمات من الغد . وروي أنه قال له : والله إن قنبراً خادم علي خير منك ومن ابنك^(٢) ؛ فأمر بسل لسانه من قفاه رضي الله عنه ، ويقال : إنه حمل ديته إلى أولاده .

(١) ما بين القوسين ليس في الأصل ولا في ب ، وقد ورد في الأصل عبارة غير مفهومة ، وما أثبت من وفيات الأعيان ٦/٤٠٠

(٢) في الأصل و ب : أبيك ، وما أثبت من مرآة الجنان ٢/١٤٨

سنة خمس وأربعين ومائتين

توفي محمد بن هشام التميمي السعدي ، كان ممدحاً بالحفظ وحسن الرواية . قال مؤرج : أخذ مني كتاباً فجبسه ليللة ثم جاء به وقد حفظه . وقال له سفيان بن عيينة : لا أراك تخطيء شيئاً مما تسمع ، ثم قال له : حدثني الزهري عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال : يولد في كل سبعين سنة من يحفظ كل شيء . قال : وضرب بيده على جنبي وقال : أراك من أصحاب السبعين .

وفيهما توفي الشيخ الكبير الشهير أبو الفيض ثوبان ، وقيل : الفيض بن إبراهيم المصري ، عرف بذي النون ، أحد رجال الطريقة ، أوحده وقته ، وكان أبوه نوبياً ، سعي به إلى المتوكل فسجنه ، وأهدي له طعام في السجن فكرهه لكون السجن حمله بيده . ولما أطلق اجتمع عليه الصوفية ببغداد في الجامع واستأذنوه في السماع ، وحضر حضرته القوال ، فأنشده :

صغير هواك عذبني فكيف به إذا احتسكا
وأنت جمعت من قلبي هوى قد كان مشتركا

فتواجد ذو النون ؛ فسقط ، وانشدخ رأسه ، وقطر منه الدم ولم يقع على الأرض ، فقام شاب " يتواجد فقال له ذو النون : الذي يراك حين تقوم ، فقعد الشاب . قال بعضهم : كان ذو النون صاحب إصراف والشباب صاحب إنصاف ؛ فقعد ولم يكن في قيامه كامل الصدق .

ومن كلامه : علامة محبة الله متابعة الرسول في كل ما أمر به .

سنة ست وأربعين ومائتين

توفي الشيخ العارف بالله الخبير ، ريحانة أهل الشام أحمد بن أبي الحواري^(١) كان من كبار المحدثين وأجلاء الصوفية العارفين . صحب أبا سليمان الداراني ، وله

(١) في الأصل وب : احمد بن الحواري .

كلام في الحقائق منه : ما ابتلى الله عبده بشيء أشد من القسوة والغفلة • وقالت له زوجته الشامية: أحبك حب الإخوان لا حب الأزواج • وكانت تطعمه الطيب وتقول: اذهب بنشاطك إلى أهلِكَ ، وتقول له عند تقريبها الطعام إليه : كل فما نضج إلا بالتسيح • وتقول إذا قامت من الليل :
 قام المحب إلى المؤمّل قومةً كاد الفؤاد من السرور يطير

سنة سبع وأربعين ومائتين

توفي إبراهيم بن سعيد الجوهري البغدادي الحافظ ، صاحب المسند ، المخرج في أبي بكر الصديق رضي الله عنه في نيف وعشرين جزءاً •

وفيهما قتل المتوكل على الله جعفر بن محمد المعتصم بن هرون الرشيد ، فتك به الأتراك ليلاً في مجلس إهوه بمواطأة من ولده المنتصر ، وكان قد ولاء العهد من بعده ، وبايع له ولأخوته من بعده ، وفي ذلك يقول السلمي :

لقد سُدَّ ركن الدين بالبيعة الرضى وسار بسعدٍ جعفر بن محمد
 لمنتصر بالله أثبت عهدَه وأكد بالمنتصر ثم المؤيّد

وهو الذي أحيا السنة ، وأمات القول بخلق القرآن ، وهتفت له الدنيا عن المعارضة ، ورزق الحب من العامة على إثارة الهزل واللهو وتشبهه في الغضب بخلق الجبابرة •

وبلغ المتوكل أن صالح بن أحمد بن حنبل رأى في نومه قائلاً يقول :

ملك يقاد إلى مليك عادلٍ متفضل بالعضو ليس بجائرٍ

وصدقه بذلك ، فقتل وله إحدى وأربعون سنة ، وكانت خلافته أربع عشرة سنة وسبعة أشهر وسبعة أيام ، وقتل معه وزيره الفتح بن خاقان •

سنة ثمان وأربعين ومائتين^(١)

وفيها الإمام أبو جعفر أحمد بن صالح الطبري الحافظ • قال بعضهم :
كُتبت عن ألف شيخٍ حجتي فيما بيني وبين الله ، وأفضلهم أحمد بن صالح وأحمد
بن حنبل •

وفيها الفقيه الإمام الحسين بن علي الكرايسي ، والكرايس : الثياب
الغلاظ ، كان متضلماً من العلوم ، وتفقه بالإمام الشافعي •

وفيها أمير خراسان طاهر بن عبد الله بن طاهر الخزاعي ، قاتل الأمين ، صاحب
الحروب العظيمة •

توفي الخليفة المنتصر بالله محمد بن المتوكل بن المعتصم بن هرون الرشيد وله
ثمان وعشرون سنة ، فكافت خلافته سنة أشهر ويوماً ، ولم يزل منذ قتل أباه غير
نافذ الأمر ، ولا كامل الهيئة ، والناس يقولون : والله لا عاش بعد قتل أبيه إلا كذا
عاش شيرويه بعد قتله لأبيه ، فكان كذلك •

قيل : إن الموالي من الترك خافوه ، فدسوا إلى طبيبه [ابن طيفور]^(٢) ، وبذلوا
له مالاً جزيلاً فسمه •

قيل : إن أمه جاءت عائدة فبكى وقال : يا أماه ، عاجلت أبي فعوجلت ، ثم
أنشأ يقول :

فما فرحت نفسي بدنياً أخذتها ولكن إلى الملك القدير أصير
وما لي شيء غير أنني مسلمٌ بتوحيد ربي موقن وخير

وبايع الترك بعده لأحمد بن محمد بن المعتصم خوفاً منهم أن يبايعوا لأحد من
أولاد المتوكل فيقتلهم بأبيه ، وسمّوه المستعين •

(١) هذا العنوان مكانه في الأصل بعد وفاة طاهر الخزاعي ، وما أثبت من مرآة

الجنان ١٥٤/٢

(٢) ما بين المعقوفين ليس في الأصل ، واستدرك من ب .

سنة تسع وأربعين ومائتين

توفي الحسن بن الصباح البزار - بالراء آخره - وهو أحد شيوخ البخاري المنفرد بهم دون مسلم ، ولعله - والله أعلم - منسوب إلى بيع البزُر ، ومثله يحيى ابن محمد بن السكن البزار ، وبشر بن ثابت البزار ، وخلف بن هشام البزار المغربي ، وكل من في البخاري سوى هؤلاء فهو البزار بزايين .

وفيها مات عبد بن حميد الحافظ صاحب المسند والتفسير .

سنة خمسين ومائتين

توفي أبو الحسن أحمد بن محمد البزي ، مؤذن المسجد الحرام ، وشيخ الإقراء به .

وفيها أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني اللغوي النحوي صاحب التصانيف ، أخذ عن الأصمعي ، وقرأ القرآن على يعقوب ، وأخذ عن المحدثين ، وقومت كتبه يوم مات بأربعة عشر ألف دينار ، واشتراها ابن السكيت دون ذلك .

وفيها ذو النواذر والغرائب عمرو بن بحر الجاحظ الكناني الليثي البصري المعتزلي ، له تصانيف عديدة ، وإليه تنسب الفرقة الجاحظية ، وأحسن تصانيفه وأوسعها فائدة كتاب (الحيوان) وكتاب (البيان والتبيين) ، وكان مشوه الخلق ، استدعاه المتوكل لتأديب ولده ، فلما رآه ردّه وأجازه ، وفلج في آخر عمره ، وكان يطلي نصفه بالصندل والكافور لفرط الحرارة ، ونصفه الآخر لو قرض بالمقاريض ما أحس به لفرط البرودة . وسمي جاحظاً لجحوظ عينيه أي نوبهما .

وحكى بعض البرامكة قال : توليت السند مدة ، ثم صرفت عنها وقد كسبت منها ثلاثين ألف دينار ، فخشيت أن يصادفني اللصوص فيطمعوا في المال ، فنظرت لعشرة آلاف إهليلجة مجوفة ، وجعلت في كل إهليلجة ثلاثة مثاقيل ، وركبت البحر ،

وانحدرت إلى البصرة ، فرغبت أن أظُر الجاحظ ، فاستأذنت عليه ، فأذن وقال :
هذا رجل اجتاز بالبصرة ، وسمع بعلي ، فأراد الاجتماع بي ليقول : رأيت الجاحظ ،
فقلت له : أشدني شعراً ، فقال :

لئن قدمت قبلي رجالاً فظالموا مشيتُ على رسلي فكنت المقدّم
ولكن هذا الدهر تأبى صروفه فبترم منقوضاً وتنقض مُبرماً

فلما خرجت وكنت بالداهليز قال : يافتى ، رأيت مفلوجاً ينفعه الإهليلج ؟
فقلت : لا ، فقال : إن الإهليلج الذي معك ينفعي ، فابعث لي منه ، فقلت : نعم ،
فتعجبت من وقوعه على ما جرى مع شدة كتمانِي ، وبعثت إليه بمائة إهليلجة (١) .

وفيها أبو عمرو نصر بن علي الجهضمي البصري الحافظ ، كان المستعين
طلبه للقضاء ، فقال لأمير البصرة : أظنني حتى أرجع فأستخير ، فرجع وصلى ركعتين
وقال : اللهم إن كان لي عندك خيراً فأقبضني إليك ، ثم قام ، فأيقظوه فإذا هو قد
مات رحمه الله .

وفيها الخليفة الحسين بن الضحاك البصري الشاعر ، كان مقرباً عند الخلفاء ،
وسمي خليعاً لخلاعته ومجونه ومضاحكته .

سنة اثنتين وخمسين ومائتين

توفي المستعين بالله أحمد بن محمد بن المعتصم محمد بن الرشيد ، ببيع بعد
المنتصر (٢) ، وكان الترك قد استولوا على أمره ، وبقي مقهوراً ، فتحول من سامراء
إلى بغداد غضباً ، فتوجهوا بعده يسألونه الرضى ، فامتنع ، فأخرجوا المعتز من
الحبس ، وحلفوا له ، وجاءه أخوه أبو أحمد لمحاربة المستعين ، فتهياً نائب بغداد
ابن طاهر للحرب ، ووقع القتال ، ودام الحرب أشهراً حتى جهد أهل بغداد من

(١) هذه القصة بكاملها مع تاريخ وفاة الجاحظ مكانها في ب سنة خمس وخمسين
ومائتين القادمة .

(٢) في الأصل : المنتصر ، وهو خطأ .

الحصار ، وأكلوا الجيف ، ثم تخلى ابن طاهر عن المستعين ، واتفق الصلح على خلع المستعين ، فخلع نفسه على شروط لم توف ، وشاور أصحابه في السكون ، فأشار عليه بعضهم بالبصرة ، فقيل : إنها حارّة ، فقال : أترونها أحر من فقد الخلافة ؟ فأقام حيناً ، ثم استدعاه المعتز وقتله ، وهو ابن خمس وثلاثين سنة ، وكافت مدته منذ بويج إلى أن خلع ثلاث سنين وأشهرًا . وبين خلعه وقتله سبعة أشهر^(١) ، وفيه يقول حبيب الكاتب المعروف بالجاية :

خلع الخليفة أحمد بن محمد وسيقتل التالي له أو يُخلعُ
إيهاً بني العباس إن سبيلكم في قتل أعبدكم سبيلٌ مهيعُ
رقتكم ديناكم فتمزقتُ بكم الحياة تمزقاً لا يترقعُ

وكان يقول في دعائه : اللهم إذ خلعتني من الخلافة فلا تخلعني من رحمتك ، ولا تحرمني من جنتك .

سنة ثلاث وخمسين ومائتين

وقيل : في سنة ست أو سبع أو إحدى وخمسين ، توفي الشيخ الكبير الولي الشهير صاحب الشان ، عظيم الكرامات والبرهان ، سري السقطي ، خال الجنيد وأستاذه ، وتلميذ معروف الكرخي .

قال الجنيد : دفع إليّ السري رقعةً وقال : هذه خير لك من سبعمائة أوقية فضة ، فإذا فيها :

ولما ادعت الحب قالت كذبتني فمالي أرى الأعضاء منك كواسيا
فلا حب حتى تلصق الجلد بالحشا وتذهل حتى لا تجيب المناديا
وتنحل حتى لا يبقي لك الأسي^(٢) سوى مقلة تبكي بها وتناجيا

وكراماته وأقواله في الحقائق كثيرة مشهورة .

وفيها توفي أبو جعفر أحمد بن سعيد بن صخر الدارمي السرخسي ، أحد الحفاظ والأئمة .

(٢) في ب : الهوى .

(١) في ب : تسعة أشهر .

سنة أربع وخمسين ومائتين

توفي العسكري أبو الحسن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط رضي الله عنهم أجمعين .

والعسكري أحد الأئمة المعدودين الذين يعتقد غلاة الشيعة عصمتهم كالأنبياء . وكان فقيهاً عابداً . سعي به إلى المتوكل وقيل له : إن في بيته سلاحاً وعدة ويريد القيام ، فأمر من هجم^(١) عليه في منزله ، فوجد في بيت مغلق ، وعليه مدرعة من شعر ، يصلي ليس بينه وبين الأرض فراش ، وهو يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد . فحمل إليه ، ووصف له حاله ، فلما رآه عظمه وأجلسه إلى جنبه وناوله شراباً فقال : ما خامر لحمي ولا دمي فاعفني منه ، فأعفاه ، وقال له : أشدني شعراً ، فأشده أبياتاً أبكاه بها ، وهي هذه^(٢) :

غلب الرجال فما أغنتهم^(٣) القلل
وأودعوا حفراً يا بس ما نزلوا
أين الأسرة والتيجان والحلل
من دونها تضرب الأستار والكلل^(٤)
تلك الوجوه عليها الدود يتنقل^(٥)
فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

باتوا على قتل الأجناد تحرسهم
واستنزلوا بعد عز من معاقلمهم
ناداهم صارخ من بعد ما نزلوا
أين الوجوه التي كانت مئعة
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم
قد طالما أكلوا دهرأ وما شربوا

فأمر له بأربعة آلاف ، وردّه مكرماً .

وإنما قيل له : العسكري لأنه لما سعي به إلى المتوكل أحضره من المدينة — وهي مولده — وأقرّه بمدينة العسكر ، فأقام بها عشرين سنة ، فنسب إليها . وسميت المدينة بالعسكر لأن المعتصم حين بناها انتقل إليها بعسكره ، فسميت بذلك .

(١) في ب : هدم . (٢) الأبيات في هامش الأصل و ب .

(٣) في ب : فلم تنفعهم .

(٤) هذا البيت نقص في الأصل ، واستدرك من ب . (٥) في ب : يقتتل .

وفيهما العتبي صاحب العتبية في مذهب مالك ، وهو محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عتبة الأموي العتبي القرطبي الأندلسي ، أحد الأعلام . أخذ بالقيروان عن سخنون ، وبمصر عن أصبغ .

سنة خمس وخمسين ومائتين

خرج العلوي ، واستعجل أمره بالبصرة ، وبايعه الفوغاء من السودان ، ومن ثمّ من الزنج ، وكل صاحب فتنة ، وهزم جيش الخليفة ، واستباح البصرة وغيرها ، وفعل أفاعيل منكرة ، وامتدت أيامه إلى أن قتل سنة سبعين^(١) .

وفيهما توفي الإمام الحافظ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي^(٢) التميمي صاحب المسند المشهور ، وهو أحد حفاظ الدنيا ، رحل إلى الآفاق ، وسمع من النضر بن شميل ، ويزيد بن هرون وطبقتهما .

وفيهما خلع المعتز بن المتوكل لمحمد بن الواثق ، وأشهد على نفسه مكرهاً ، ثم أدخلوه بعد خمسة أيام حماماً ، فعض حتى رأى الموت من العطش ، ثم ناولوه ماءً مثلجاً ، فشرب فسقط ميتاً ، واختفت أمه ، وكاف ذات مال ، غطته . ولقب محمد بن الواثق بالمهتدي .

سنة ست وخمسين ومائتين

كان صالح بن وصيف التركي قد ارتفعت منزلته ، وقتل المعتز ، وظفر بأمه ، فصادرهما بنحو ثلاثة آلاف دينار ، وسيرها إلى مكة ، وصادر خواص المعتز ، وقتل بعضهم . ثم لما كانت هذه السنة أقبل موسى بن بغا وعبأ جيشه ودخلوا سامراء مجمعين على قتل صالح بن وصيف ، فصاحت الناس : يا فرعون جاءك موسى ، فهجم موسى بمن معه على المهتدي ، واتفهوا القصور ، وجعل المهتدي يصيح : يا موسى ،

(١) في مرآة الجنان ١٦١/٢ : سبع وسبعين .

(٢) كذا في مرآة الجنان ١٦١/٢ ، وفي الأصل : الحسين بن محمد بن عبد الله بن

عبد الرحمن الزرقني .

ويحك ما تريد؟ فقال موسى: وتربة المتوكل لا تألك سوء، ثم بايعه (١)، وطلب صالحاً، فاختمني، وقرر موسى المهدي على حاله، ثم قتل صالح بعد ذلك بشهر.

وفي رجب من هذه السنة قتل المهدي محمد بن الواثق هرون بن المعتصم محمد بن الرشيد، وكانت دولته سنة، وعمره نحو ثمان وثلاثين سنة، وكان حسن الصورة ورعاً تقياً متعبداً عادلاً فارساً شجاعاً قوياً في أمر الله خليفاً بالإمارة، ولكنه لم يجد ناصرأ ولا معيناً على الخير، ويقال: إنه سرد الصوم مدة إمارته، وكان يقنع بخبز وزيت، وكان يشبه بعمر بن عبد العزيز، وكان له جبة صوف وكساء يتعبد فيهما، وكان قد سد باب الملاهي والغناء، وحسم الأمراء عن الظلم، وكان لا يغيب عنه شيء من أمر الناس.

ويقال: إن الأتراك خرجوا عليه، فلبس السلاح، وشهر سيفه، وحمل عليهم، فأسروه، وجعلوه في الحبس، وقتلوه، رحمه الله. وأقاموا بدلاً منه المعتد، وبعده ركت دولة العباسيين، وصار موالئهم من الترك يولون ويخلعون.

وفيها توفي أبو عبد الله الزبير بن بكار الأسدي القرشي الزبيري، وكان من أعيان العلماء، تولى قضاء مكة، وله مصنفات نافعة منها كتاب (أنساب قريش)، وعليه المعتد في نسب قريش، روى عن ابن عيينة وطبقته، وروى عنه ابن ماجه وابن أبي الدنيا وغيرهما، توفي بمكة وهو قاضيا وعمره أربع وثمانون سنة.

وفيها إمام المحدثين شيخ الإسلام محمد بن إسماعيل أبو عبد الله بن إبراهيم ابن المغيرة بن يزيد (٣) البخاري الجعفي مولاهم. بلغت مشايخه ألف شيخ، وهم طبقات أعلام أهل الثلاثيات كالمكي بن إبراهيم، وأبي عاصم النبيل. وروى عنه خلائق لا يحصون، أشهرهم محمد بن يوسف القربري. ورحل إلى الآفاق كمكة والمدينة والشام ومصر وخراسان والجبال والعراق والحجاز، وقدم بغداد،

(١) في ب: حلفه.

(٢) في الاصل: نحو ثلاثين سنة، وما أثبت من مرآة الجنان ١٦٦/٢

(٣) كذا ما أثبتته ابن ماکولا، أما في وفيات الأعيان ١٩٠/٤ فإنه يزده، وهو مختلف فيه.

فعمّمت منزلته عندهم ، وأمّن له الحفاظ بالانفراد في وقته في علم الأثر بالتفرد والدراية ، وأجمع الناس على صحة كتابه حتى لو حلف حالف بطلاق زوجته ما في صحيح البخاري حديث مسند إلى رسول الله ﷺ إلا وهو صحيح عنه كما نقله ما حكّم بطلاق زوجته • نقل ذلك غير واحد من الفقهاء وقرروه ، ونقل الفربري عنه قال : ما وضعت في كتابي الصحيح حديثاً إلا وقد اغتسلت قبله وصليت ركعتين ، وأنه قال : صنفت كتابي الصحيح لست عشرة سنة ، خرجته من ستمائة ألف حديث ، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى •

قال الفربري : سمع من البخاري جامع الصحيح تسعون ألف رجل فما بقي منهم غيري •

وكانت ولادته يوم الجمعة بعد العصر ثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة ، وتوفي ليلة السبت ليلة عيد الفطر ، ودفن يوم العيد بعد صلاة العصر ، رضي الله عنه •

سنة سبع وخمسين ومائتين

وثب العلوي قائد الزنج والسودان على الأبله ، فاستباحها وأحرقها ، وقتل بها ثلاثين ألفاً ، وسار إلى سعيد الحاجب ، فانهزم سعيد ، وتوسع القتل في أصحابه ، ثم دخل العلوي البصرة ، وخرّب الجامع الكبير ، وقتل بها اثني عشر ألفاً ، ونفّرق أهلها بأسوأ حال ، وخرّبت •

وفيها توفي الحافظ المعمر أبو علي الحسن بن عرفة العبدي البغدادي المؤذن وله مائة وسبع سنين (١) •

والحافظ زهير بن محمد المروزي البغدادي ، وكان من أولياء الله ، كان يختم في رمضان تسعين ختمة •

وفيها الحافظ أبو سعيد الأشج (٢) الكندي الكوفي صاحب التصانيف •

(١) في الاصل : مائة وسبع وستون سنة ، وما أثبت من مرآة الجنان ١٦٩/٢

(٢) في مرآة الجنان : الأشجع •

سنة ثمان وخمسين ومائتين

توفي الإمام أبو جعفر الباقي ، قاضي الكوفة وهمذان ، وكان صالحاً عادلاً ، وكان يسمى راهب الكوفة لعبادته .

وفيها الحافظ أحمد بن الفرات ، أحد الأعلام ، صاحب المسند والتفسير ، وقال : كتبت ألف حديث وخمسمائة ألف حديث .

وفيها الإمام الحافظ أحد الأعلام محمد بن يحيى الذهلي النيسابوري ، له تصانيف ، وكان أحمد بن حنبل يعظمه ، وله مع البخاري واقعة في مسألة اللفظ .

سنة تسع وخمسين ومائتين

استفحل أمر يعقوب بن الليث الصفار ، وملك إقليم خراسان ، وأسر أميرها محمد بن طاهر .

وفيها أبو عبد الله محمد بن موسى بن شاكر ، أحد الإخوة الثلاثة الذين ينسب إليهم جبل بني موسى . وإخوته أحمد والحسن ، وكان لهم همم عالية في تحصيل العلوم القديمة وكتب الأوائل ، وغلب عليهم الهندسة والحركات والموسيقا والحيل والنجوم ، ولهم في الحيل كتاب عظيم يشتمل على كل غريبة ، وصفه ابن خلكان ج ١ (١) .

سنة ستين ومائتين

توفي الإمام أبو علي الحسن بن محمد الزعفراني الفقيه المحدث صاحب الشافعي ، روى عنه البخاري وأبو داود والترمذي وغيرهم . ونسبته إلى زعفرانة : قرية بقرب بغداد ، ودرب الزعفراني ببغداد الذي فيه مسجد الشافعي ينسب إلى هذا الإمام .

(١) في مرآة الجنان ١٧٠/٢ : وصفه ابن خلكان وصفاً ممتعاً .

قال الشيخ أبو إسحق في طبقاته : رواة كتب الشافعي : الزعفراني وأحمد بن حنبل وأبو ثور والكرائسي رواة قديم الشافعي • ورواة الجديد : المزني وحرملة والبويطي ويونس بن عبد الأعلى والربيع الجيزي والربيع المرادي ، وللزعفراني عدة مصنفات •

وفيها الإمام الفاضل [العسكري أبو محمد الحسن بن علي بن محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن]^(١) جعفر الصادق ، أحد الأئمة الاثني عشر المعصومين على اعتقاد الإمامية ، وهو والد المنتظر صاحب السرداب •

وفيها حنين بن إسحق العبادي الطيب ، وله مصنفات مفيدة ، وهو الذي عرب كتب اليونان ، ولولا ذلك جهل أكثر الطب •

سنة إحدى وستين ومائتين

توفي الحافظ أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي ، نزيل طرابلس المغرب ، صاحب التاريخ والجرح والتعديل •

وأبو شعيب السوسي صالح بن زياد مقرئ أهل الرقة وعالمهم ، قرأ على اليزيدي ، وتصدر للإقراء ، وحمل عنه طائفة •

وفيها — وقيل : في سنة أربع وستين — توفي الشيخ الكبير الشهير الغارف بالله أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي — وبسطام بفتح الموحدة — بلد من أعمال قومس ، ويقال : إنها أول خراسان من جهة العراق • وكان أبو يزيد صاحب كرامات وإشارات ، منها : لو نظرتهم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتفع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا له عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وآداب الشريعة •

وفيها الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، صاحب الصحيح ، أحد أركان الحديث ، رحل إلى الآفاق ، وصار^(٢) كالبخاري في كثير من مشايخه ،

(١) ما بين المعقوفين نقص من الأصل ، واستدرك من مرآة الجنان ١٧٢/٢

(٢) في الأصل : سار ، وما أثبت رواية النسخة ب •

والأكثر على أن البخاري أصحهما وأفقههما بالحديث ، ومسلم أحسن سياقاً للروايات • ومناقبه كثيرة ، وتصانيفه واسعة • ولما استوطن البخاري نيسابور وشنع عليه محمد بن يحيى في مسألة اللفظ وخرج من نيسابور قطعه أكثر أصحابه غير مسلم ، فقال محمد بن يحيى يوماً في مجلسه : من قال بمسألة اللفظ فلا يحضر مجلسنا ؛ فقام مسلم وخرج على رؤوس الناس ، ثم جمع ما كان يسمع منه وحمله إليه ورده عليه ؛ فاستحكمت الوحشة •

سنة اثنتين وستين ومائتين

توفي الحافظ الكبير يعقوب بن شيبة السدوسي ، صاحب المسند المعلل الذي ما صنّف أحد أكبر منه ، ولم يتمه •

سنة أربع وستين ومائتين

غزا المسلمون [الروم]^(١) ، وكانوا أربعة آلاف ، فلم ينج منهم إلا خمسمائة ، واستشهد الباقون •

وفيها توفي أبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم القرشي مولا هم الرازي الحافظ • قال أبو حاتم : لم يخلف بعده مثله علماً وفقهاً وصيانةً وصدقاً ، ولا أعلم أحداً في المغرب والمشرق من كان يفهم هذا الشأن مثله • قال أبو إسحق بن راهويه : كل حديث لا يحفظه أبو زرعة ليس له أصل •

وفيها الإمام أبو موسى يونس بن عبد الأعلى المصري ، قرأ القرآن على ورش ، وتفقه بالشافعي ، وكان الشافعي يقول : ما رأيت بمصر أعقل منه • وعنه قال : قال لي الشافعي : دخلت بغداد ؟ قلت : لا ، قال : ما دخلت الدنيا ولا رأيت الناس ،

(١) الروم : نقص في الأصل و ب ، واستدرك من الطبري ٥٣٣/٩

وعظم شأن يونس أخيراً وتصدى للإقراء مع الورع والصلاح • روى القراءة عنه جماعة منهم الإمامان محمد بن إسحق بن خزيمة ومحمد بن جرير الطبري ، وروى عنه الحديث مسلم وأبو عبد الرحمن النسائي وأبو عبد الله بن ماجة وغيرهم • توفي بمصر ، ودفن بالقرافة •

وفيها الإمام أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني المصري ، إمام الشافعية ، وأعرفهم بطرق الشافعي ، وفي حقه قال الشافعي : المزني ناصر^(١) مذهبي • صنف الجامع الصغير ، والكبير ، ومختصر المختصر ، والمثبور ، والمسائل المعتبرة ، والترغيب في العلم ، وكتاب الوثائق وغيرها • وصلى نكل مسألة في مختصره ركعتين ، وصار أهل الكتب المصنفة في المذهب على أصوله رتبوا ولكلامه نشروا وشرحوا • وكان مجاب الدعوة ، عظيم الورع • حكى أنه كان يشرب في كوز من نحاس جميع الفصول تورعاً من كيزان السرّجين • وكان إذا فاتته صلاة الجماعة صلى منفرداً خمساً وعشرين مرة ، ولم يقدم عليه أحد من أصحاب الشافعي ، وهو الذي تولى غسله يوم مات ، قيل : وعاونه الربيع ، ودفن إلى جنبه بالقرافة الصغرى • ونسبه إلى مزينة بنت كلب أم القبيلة المشهورة •

سنة خمس وستين ومائتين

توفي الشيخ الكبير العارف بالله أبو حفص الحداد النيسابوري شيخ خراسان ، كبير الشأن حالاً وجوداً وسماً ، أهدى بضعة عشر ألف دينار في فك أسارى ، وبات وليس له عشاء ، وقال : ما استحق السخاء من ذكر العطاء أو لمحبه بقلبه • وقال : حسن أدب الظاهر عنوان أدب الباطن • والفتوة أداء الإنصاف ، وترك مطالبه الاتصاف ، ومن لم يزن أفعاله وأحواله كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا تعده من الرجال •

(١) في الأصل : قاضي ، وما أثبت من وفيات الأعيان لابن خلكان ٢١٧/١ •

وفيها أبو القاسم محمد بن حسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، الذي تلقبه الرفضة بالحجة ، وبالقائم ، وبالمهدي ، وبالمنتظر ، وصاحب الزمان ، وصاحب السرداب ، لأنهم يزعمون أنه دخل سرداباً وأمه تنظر إليه فلم يخرج إليها ، وهو عندهم خاتم الاثني عشر ، وسنه يوم فقد سبع^(١) سنين أو أربع ، وذلك سنة خمس وستين أو ست وخمسين ، فهم ينتظرون إلى آخر الأبد في جهالات وبطالات ابتدعوها ، قاتلهم الله أنى يؤفكون •

وفيها الإمام العلامة محمد بن سحنون المغربي المالكي مفتي القيروان ، تفقه على أبيه ، وصنف ، ولم يخلف بعده مثله •

وفيها مات بالقولنج يعقوب بن الليث الصفار ، الذي غاب على المشرق وعلى بلدان كثيرة ، وهزم الجيوش ، وقتل الأمراء ، وكان هو وأخوه عمرو شابين صفارين فيهما شجاعة مفرطة ، فصحبا صالح بن النضر الذي يقا تل الخوارج بسجستان ، ثم عظم شأنهما ، وكان منهما ما كان ، ولما مات يعقوب قام بعده أخوه بالعدل ، ودخل في طاعة الخليفة ، وامتدت أيامه •

سنة ست وستين ومائتين

توفي الإمام الموفق المشهور محمد بن شجاع ، فقيه العراق ، وشيخ الحنفية ، صاحب التصانيف • توفي ساجداً في صلاة العصر وله نحو من تسعين^(٢) سنة •

سنة سبع وستين ومائتين

توفي يحيى بن محمد بن يحيى الذهلي ، الحافظ ، شيخ نيسابور بعد أبيه ، وأمير المطوعة المجاهدين •

(١) في ب : تسع سنين •

(٢) كذا في مرآة الجنان ١٨٠/٢ ، وفي الأصل : سبعين •

سنة ثمان وستين ومائتين

توفي الحافظ أبو الحسن أحمد بن سيار^(١) المروزي ، صنف تاريخ مرو ، كان يشبه بابن المبارك علماً وزهداً ، وهو من أصحاب الوجوه في مذهب الشافعي .
أوجب الأذان للجمعة .

وفيهما الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الحكم^(٢) المصري ، تفقه بالشافعي وأشهب ، وصنف كثيراً ، وافته إليه رئاسة مصر . قال الشافعي : وددت أن لي ولداً مثله وأن عليّ ألف دينار ولا أجد لها قضاءً . ولما أكثر التردد إلى الشافعي شكاه المالكية إلى أبيه ، وطلبوا أن يعذله ، فردهم رداً جميلاً ، وقال له : يا بني ، الزم هذا الرجل ؛ فإنك في غير هذه البلد لو رويت عن أشهب ليقال لك : من هذا أشهب؟! .

سنة تسع وستين ومائتين

توفي الأمير عيسى بن الشيخ الذهلي^(٣) ، وكان قد ولي دمشق ، فأظهر الخلاف ، وأخذ الخزائن ، وغلب على دمشق ، وجاء عسكر المعتد ، فتلقاهم ابنه ووزيره فهزموا ، وقتل ابنه ، وصلب وزيره ، ثم استولى على آمد وديار بكر مدة .

سنة سبعين ومائتين

قتل علي بن محمد العلوي المنتسب إلى زيد بن علي بن الحسين ، والأكثر على أنه دعيّ ، وفي ذلك يقول أحد الأشراف العلويين :

حكمت بنا فقد أصبحت منا فعدّ فارقد فإنك في سعود
وعد فارقد فإنك عن قليل ستصعد فوق جنات الخلود

(١) في ب : سيار .

(٢) في ب : الحكم . وسيرد بعد قليل أنه عبد الحكم ، وهو الصواب .

(٣) في تاريخ الطبري ١٦٥/٩ : عيسى بن الشيخ بن السليل الشيباني .

لحقت بنا بلا نسب إلينا ولو نسب اليهود إلى القروذ
فهنا قد رضيناك ابن عمّ فمن يرضى بأحكام اليهود

وكان خروجه بالبصرة ، وقيل : بالبحرين سنة خمس وخمسين ، وعامة جيشه
الزنج والسودان ، وكانت أيامه خمس عشرة سنة ، قتل فيها من المسلمين ألف ألف
وخمسائة ألف • وقتل في يوم واحد من البصرة ثلاثمائة ألف ، وكان يسب عثمان
وعلياً ومعاوية وعائشة • وقيل : كان زنديقاً مارقاً من الدين يتستر بمذهب الخوارج ،
وآخر أمره أن خرج الموفق أبو أحمد بن جعفر المتوكل في ثلاثمائة ألف مقاتل ، فانهزم
الجيش ، وأوقع بأصحابه أسراً وقتلاً ، ولما جيء برأسه ترجل الموفق وابنه المعتضد
والأمراء جميعاً وخروا سجداً ، ثم ساروا بالرأس إلى المعتمد في زينة عظيمة ، وكان
يوماً مشهوداً ، وارتفع شأن الموفق بعدها ، وانفرد بتدبير أمر أخيه المعتمد •

وفيها توفي أمير الديار المصرية والشامية أحمد بن طولون • وطولون من
مماليك المأمون ، وكان ابن طولون كريماً شجاعاً حسن السيرة ، محبباً إلى الرعية ،
وكان يحفظ القرآن ويكثر التلاوة^(١) لكنه كان سفكاً ، أحصي من قتل صبراً ومات
في سجنه فبلغ عددهم ثمانية عشر ألفاً • وكان ولاء المعتز على الشام كلها ، وكان له
أربعة عشر ألف مملوك • وبنى جامع المشهور بين القاهرة ومصر ، فأنفق فيه مائة
ألف واثني عشر ألف دينار •

وفيها توفي الربيع بن سليمان المرادي مولاهم المؤذن المصري أبو محمد •
قال الشافعي : ما في القوم أتقع لي منه • وقال : وددت أني حشوته العلم • وقال في
المنزي : سيأتي عليه زمان لا يقيس شيئاً فيخطئه • وفي البويطي : يموت في الحديد •
وفي ابن عبد الحكم : يرجع إلى مذهب مالك • والربيع آخر من روى عن الشافعي •
وتوفي أيضاً فيها الربيع بن سليمان الجيزي ، صاحب الشافعي ، أبو محمد ،
وهو قليل الرواية عنه ، وكان ثقةً ، روى عنه أبو داود والنسائي ، وتوفي بالجيزة •

(١) كذا في ب ، وفي الأصل : القرآن •

وفيه داود بن علي الظاهري ، الإمام الأصهباني ، صاحب التصانيف ، تفقه على أبي ثور وابن راهويه ، وكان زاهداً فاسكاً ورعاً ، كثير التعصب للشافعي ؛ وصنف في فضائله كتابين ، وله أتباع يقال لهم : الظاهرية ، وكان ولده أبو بكر على مذهبه . واتفقت إليه رئاسة بغداد ، وحضر مجلسه أربعمائة طيلسان أخضر .

قال ثعلب : كان عقل داود أكثر من علمه . وقال ولده أبو بكر : رأيتني في المنام ، فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي وسامحني ؛ فقلت : غفر لك فيم سامحك ؟ قال : يا بني الأمر عظيم ، والويل كل الويل لمن لم يسامح .

وفيه توفي محمد بن إسحق الصاغانبي البغدادي الحافظ الحجة .

وفيه القاضي بكار بن قتيبة الثقفي ، يرجع نسبه إلى الحارث بن كلدة الصحابي . تولى قضاء الحنفية بمصر ، ودعاه ابن طولون إلى خلع الموفق بن المتوكل من العهد ، فأبى ؛ وحبس ، وبقي مسجوناً مدة سنتين ، ونائبه محمد بن شاذان باقياً على الحكم .

وكان بكار أحد البكائين عند التلاوة ، وكل يوم يعرض على نفسه قضاياها التي حكم فيها . ويقول بكار : ما يكون جوابك إلى ربك غداً .

سنة إحدى وسبعين ومائتين

كان ابن طولون قد خلع الموفق من ولاية العهد ، ومات على ذلك ، وقام ولده بعده خمارويه على مذهب أبيه في الخلع ، فجهز إليه الموفق أبا العباس المعتضد ولده ، فانهزم خمارويه ، ونهبت خزائنه ، ثم ثار كمينه [وفيهم]^(١) سعد الأعسر على المعتضد وهم غارون ، فهزمهم وأوقع بهم .

وفيه توفيت بوران بنت الحسن بن سهل زوجة المأمون ، وعاشت زوجته إلى أن توفي ومات بعده ولها ثمانون سنة .

(١) وفيهم : ليست في الأصل ولا في ب ، واستدركت من الطبري ٨/١٠ .

سنة اثنتين وسبعين ومائتين

وفيهما مات أبو معشر المنجم، وكان قاطع النظر في فنه ، حتى حكي أن [أحد] أكابر الدولة اجتنفى وخشي من المنجم أن يحكيه بطرقه التي يستخرج بها الخبايا ، فأخرج طشتاً وملاه دماً ، وعمل في الطشت هاون ذهب ، وقعد على الهاون أياماً ، فبحث المنجم في أمره ، وبقي مفكراً ، فقال له الملك : فيم تفكر ؟ فقال له : إن المطلوب على جبل ذهب ، والجبل في بحر من دم ، ولا أعلم موضعاً على هذه الصورة ، فتأدى الملك بالأمان للرجل ، فظهر وأخبرهم ، فعجب الملك من صنعهما •

وفيهما سليمان بن وهب ، وكان شاعراً بليغاً وله ديوان رسائل ، ومدحه أبو تمام والبخري ، وولي الوزارة للمعتضد ، وقيل : وليها ابنه عبد الله •

سنة ثلاث وسبعين ومائتين

توفي حنبل بن إسحق الحافظ ابن عم الإمام أحمد وتلميذه •

والحافظ محمد بن يزيد بن ماجه القزويني صاحب السنن والتفسير والتاريخ ، وكان واحداً في وقته ، وكتابه (السنن) أحد أمهات الحديث ، وبعض المحدثين يفيض في تعديد الأمهات على الصحيحين وسنن أبي داود والنسائي والترمذي ، ويزيد بعضهم الموطأ ، والمجموع منهم سبعة •

وفيهما توفي صاحب الأندلس محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الأمير الأموي المجاهد صاحب وقعة وادي سليط التي لم يسمع بمثلها ، وقتل فيها ثلاثمائة ألف فارس ، وكافت ولايته خمساً وثلاثين سنة ، وكان فقيهاً عالماً فصيحاً مفوهاً •

سنة خمس وسبعين ومائتين

توفي الإمام أبو بكر المروزي أحد أصحاب أحمد ، كثير التصانيف ، خرج مرة من بغداد إلى سامراء ، فقبعه نحو خمسين^(١) ألفاً .

وفيهما الإمام الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، أحد أئمة الفقه والحديث وحفاظه ، وكان في الدرجة العليا في النسك والصلاح ، تشبه بشيخه أحمد بن حنبل . قال إبراهيم الحربي : ألين له الحديث كما ألين الحديد لداود .

وعنه قال : كتبت عن رسول الله ﷺ خمسمائة ألف حديث ، اتخذت منها هذا الكتاب ، جمعت منها فيه أربعة آلاف وثمانمائة حديث ، وعرضه على الإمام أحمد بعد أن هذبه ، فاستجاده واستحسنه . وجاءه سهل بن عبد الله التستري زائراً ، فرحب به وأجلسه ، فقال له : يا أبا داود أخرج لسانك الذي تحدث به عن رسول الله ﷺ حتى أقبله ، فأخرجه له فقبله رضي الله عنهما . وجعله الشيخ أبو إسحق في طبقاته حنبلياً .

سنة ست وسبعين ومائتين

توفي الإمام الحافظ أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد الأندلسي ، أحد الأعلام ، سمع يحيى بن يحيى ، ويحيى بن بكير ، وأحمد وغيرهم ، وصنف التفسير الكبير والمسند الكبير اللذين لم يصنف مثلهما في الاستيعاب ، وكان علامة فقيهاً مجتهداً صواماً قواماً عديم المثل .

وفيهما الإمام الحافظ أحد العباد أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي البصري ، كان يصلي في اليوم والليلة أربعمائة ركعة ، وحفظ ستين ألف حديث .

(١) في مرآة الجنان ١٨٩/٢ : نحو خمسين .

وفيها الإمام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، وقيل :
 المروزي ، الإمام النحوي اللغوي ، صاحب كتاب (المعارف) و (أدب الكاتب)
 و (غريب القرآن) و (مشكل الحديث) و (طبقات الشعراء) و (إعراب القرآن)
 وكتاب (الميسر والقдах) وغيرها • وكان فاضلاً ثقة ، سكن بغداد ، وحدث بها
 عن ابن راهويه وطبقته ، وروى عنه ابنه أحمد وابن درستويه • وكان موته فجأة ؛
 قيل : إنه أكل هريسة ، فأصابته حرارة ، فصاح صيحة شديدة ، ثم أغمي عليه ، ثم
 أفاق ، فما زال يتشهد حتى مات •

سنة ثمان وسبعين ومائتين

ابتدأ ظهور القرامطة بسواد الكوفة ، وهم خوارج زنادقة مارقون من الدين •
وفيها توفي الموفق بن المتوكل ، ولي عهد أخيه المعتمد^(١) ومدبر أمره ؛ لأن
 المعتمد كان قد ابتلي بداء الفيل وغيره ؛ فاشتغل بنفسه ، وكان الموفق ملكاً شجاعاً
 مطاعاً محبباً ، وجميع الخلفاء من بعده من ذريته •
وفيها توفي عبد الملك بن الهيثم الديرعاقولي •

سنة تسع وسبعين ومائتين

منع المعتمد من بيع كتب الفلاسفة والجدل ، ومنع المنجمين والقصاص من
 الجلوس •
وفيها مات فجأة الخليفة المعتمد ، وكافت ولايته ثلاثاً وعشرين سنة ويومين ،
 مات فجأةً بين المعنين والندماء مسموماً على ما قيل ، وكان منهمكاً في اللذات ،
 وامتد ملكه على المهابة بتدبير أخيه ، ولو شاء لخلعه ، فقد ذاب عنه من الموالي
 والخوارج ما لا يحصى • ومن قول المعتمد :

(١) كذا في ب ، وفي الأصل : وعهد إلى أخيه المعتمد ومدبر أمره ، وهو خطأ .

أليس من العجائب أن مثلي يرى ما قلّ مستعاً عليه
وتؤكل باسمه الدنيا جميعاً وما من ذاك شيء في يديه
إليه تحمل الأموال طراً ويمنع بعض ما يُجبى إليه

وفيها توفي الحافظ ابن الحافظ زهير بن حرب النسائي ثم البغدادي ،
مصنف التاريخ الكبير ، وله أربع وتسعون سنة .

وفيها جعفر بن محمد بن شاكر الصائغ وله تسعون سنة ، وكان زاهداً عابداً
ثقةً ، قنع الناس .

وفيها الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، صاحب
(الجامع) ، أحد الأئمة المقتدى بهم ، المضروب به المثل ، وهو تلميذ البخاري ،
وشاركه في بعض شيوخه ، وكان ضريراً ، قيل : إله ولد أكمه ، وقد عدّه الحافظ
ابن حجر في الطبقة الثانية عشرة الآخذين عن تبع الأتباع .

سنة ثمانين ومائتين

توفي القاضي أبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى البوني الفقيه الحافظ ،
صاحب المسند والتصانيف .

سنة إحدى وثمانين ومائتين

توفي الإمام أبو بكر محمد بن عبيد بن أبي الدنيا القرشي مولاهم البغدادي ،
صاحب التصانيف العديدة المفيدة .

والإمام أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو الدمشقي الحافظ ، سمع أبا مسهر^(١)
وأبا نعيم وطبقتهما ، وصنف التصانيف ، وكان محدث الشام في زمانه .

(١) في مرآة الجنان ٢/١٩٤ : سمع أبا معمر .

سنة اثنتين وثمانين ومائتين

وقع الصلح بين المعتضد^(١) وخمارويه بن أحمد بن طولون ، وتزوج المعتضد ابنته الحصان الملقبة قطر الندى ، وكافت بارة الجمال ، كاملة الخصال ، على مهر مبلغه ألف ألف درهم ، وأرسلها إلى بغداد ، وبني بها المعتضد ، وجهازها بألف ألف دينار ، وأعطى الساعي ألف درهم^(٢) .

وفيها الحافظ أبو إسحق إبراهيم بن إسماعيل الطوسي ، كان محدث الوقت وزاهده بعد محمد بن أسلم الطوسي ، صنّف المسند الكبير في مائتي جزء .

وفيها العلامة أبو إسحق إسماعيل بن إسحق بن إسماعيل الأنصاري الأسدي^(٣) مولاهم البصري المالكي ، قاضي بغداد ، مات فجأةً وله ثلاث وثمانون سنة .

وفيها الحافظ أبو الفضل جعفر بن محمد بن أبي عثمان الطيالسي البغدادي ، [وكان ثقة]^(٤) .

[وفيها الحافظ أبو محمد الجارث بن محمد التميمي البغدادي]^(٤) ، صاحب المسند ، مات يوم عرفة وله ست وتسعون سنة .

وفيها الحسين بن الفضل بن عمير البجلي المفسر تزيل نيسابور ، كان آية في معاني القرآن ، صاحب فنون . قيل : إنه كان يصلي في اليوم واللييلة ستمائة ركعة ، عاش مائة وأربع سنين . روى عن يزيد بن هرون والكبار .

(١) في الأصل : المعتمد ، وهو خطأ ، ينظر تاريخ الطبري ٣٠/١٠ ، ومراة الجنان ١٩٤/٢

(٢) في ب (بين السطرين) : في تاريخ الخميس : وأعطت الدلال مائة ألف درهم .

(٣) في مراة الجنان : الأزدي .

(٤) ما بين المعقوفين نقص من الأصل ، واستدرك من مراة الجنان ١٩٤/٢

وفيها توفي الحافظ أبو محمد الفضل بن محمد البغدادي ، كان ممن يطوف الأقاليم ، وكتب الكتب ، وجمع وصنف .

وفيها العلامة الضرير في بصره أبو العيناء محمد بن قاسم البصري ، اللغوي الأخباري ، صاحب النوادر والملاح ، سمع من الأصمعي وطبقته ، وكان أحد الحفاظ الفصحاء الأذكياء ، أحال له بعض الولاة بجائزة على بعض العمال فخبّبه^(١) ، فشكاه إليه ، فقال : أنت اخترته ! فقال : وما يدريني ؟ قد اختار موسى من قومه سبعين رجلاً فما كان فيهم رشيد ، واختار النبي ﷺ كاتباً^(٢) فارتد ، واختار علي بن أبي طالب أبا موسى حاكماً فحكّم عليه .

وقال له الوزير يوماً : ما أخرك عنا ؟ قال : سُرق حماري ، قال : وكيف سرق ؟ قال : لم أكن مع اللص فأخبرك .

وخاصم مرةً علويّاً فقال العلوي : ألسنت تقول : اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد ؟ فقال : بلى ولكنني أقول : الطيبين الطاهرين ولست منهم .

وقال لرجل : من أنت ؟ فقال : من بني آدم ، فقال : ما كنت أظن هذا النسل إلا قد انقطع .

وسأل عن رجل كان يبغضه بعضَ غلمانه ، وكان الرجل مريضاً ، فقال له الغلام : هو بخير كما تحب ، فقال : مالي لا أرى الصراخ عليه !

وقال له المتوكل : كيف ترى دارنا ؟ فقال : الناس بنوا الدور في الدنيا وأنت بنيت الدنيا في دارك .

وذكر يوماً محاسن البرامكة وفضلهم ، فقال له الوزير : الناس يكذبون عليهم ، فقال : فما لهم لا يكذبون عليك ؟! فعجبوا من إقدامه عليه .

(١) في الأصل : فحبسه ، وما أثبت من ب ، ولعله الصواب .

(٢) في ب : عبد الله بن أبي سرح .

سنة ثلاث وثمانين ومائتين

ظفر المعتضد برأس الخوارج هرون الشاري ، وقدم به بغداد راكباً على فيل ، وزينت بغداد لقدمه •

وفيهما أمر المعتضد بتوريث ذوي الأرحام دون بيت المال في جميع الجهات ، وكثر الداعون له ، وقد كان قبله أمر بإبطال النيروز •

وفيهما أبو الحسن علي بن العباس الشاعر ، عرف بابن الرومي ، مولى عبيد الله بن عيسى العباسي ، صاحب النظم العجيب ، والتوليد العريب ، وكان شعره غير مرتب ، فرتبه الصولي على الحروف ، ومن قوله :

أيامكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات إذا دَجَوْنَ نجومٌ

وله :

لِمَا تَوَدَّ الدُّنْيَا به من صُروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد
والأفما يبكيه منها وإنها لأوسع مما كان فيه وأرغد

مات في بغداد ، دس إليه الوزير سماً ، فأحس بضرره في المجلس ، فقام ، فقال له : أين تقوم ؟ قال : إلى الموضع الذي بعثني إليه ، فقال : سلم على والدي ، قال : ما طريقي على النار •

وفيهما السيد الجليل قدوة السالكين سهل بن عبد الله التستري عن نحو ثمانين سنة ، وله مناقب كثيرة ، وبركات وإشارات جزيلة ، وسبب سلوكه [للطريق] (١) خاله محمد بن سوار •

وفيهما قاضي القضاة أبو الحسن علي بن محمد بن أبي الشوارب الأموي البصري ، كان رئيساً معظماً أديباً خبيراً ، روى عن أبي داود الطيالسي وغيره •

(١) زيادة من مرآة الجنان ٢٠٠/٢

سنة أربع وثمانين ومائتين

عزم المعتضد على لعن معاوية على المنابر ، فخوفه الوزير من اضطراب العامة ، فلم يلتفت ، ومنع القصاص من الكلام ، ومن إحداث اللعن في الجوامع ، وكتب كتاباً فيه فضائل أهل البيت ومعائب سواهم . قال له القاضي يوسف بن يعقوب : يا أمير المؤمنين أخاف الفتنة عند سماعه ، فقال : إن تحررت قوا عنه وضعت فيهم السيف ، قال له : فالعلويون في كل ناحية ، إذا سمع الناس فضلهم تركوك .

وفيها محدث نيسابور ومتعبدها أحمد بن المبارك المستملي الحافظ المحدث ، وكان مع سعة روايته راهب وقته ، مجاب الدعوة .

وفيها أبو عبادة البحرني ، نسبة إلى بحر أحد أجداده ، واسمه الوليد ابن عبيد الطائي ، أخذ عن أبي تمام الطائي ، ومدح المتوكل ومن بعده ، وكان أقام ببغداد شهراً ، ورفع إلى الشام ، وعرض أول شعره على أبي تمام فقال له : أنت أشعر من بقي ، وكتب له بذلك ، فعظمه وبعثه ، وروي عنه قال : لما سمع أبو تمام شعري أقبل عليّ يقرظني . والتقرّيز بالظاء والضاد : مدح الإنسان في حياته بباطل أو حق .

وعنه قال : لما أنشدتُ أبا تمام أنشدَ بيتَ أوس بن حَجَرٍ ، بفتح الحاء والجيم :
إِذَا مَقْرَمٌ مَنَا ذَرّاً (١) حَدَّثَ قَابِهِ تَخَمَّطَ فِينَا قَابَ آخَرَ مَقْرَمٍ
وقال : نعتَ إليّ نفسي ، فقلت : أعيدك بالله ، فقال : إن عمري ليس بطويل وقد نشأ لطيباً مثلك . فمات أبو تمام بعد هذا بسنة .

وقال لغلام مرة وهو مريض : اصنع لي مَزَوْرَةً (٢) ، وعنده بعض الرؤساء جاء عائداً له ، فقال له ذلك الرئيس : عندي طباخ من صفته كذا وكذا ، فبني الرئيس أمرها ، فكتب إليه البحرني :

وَجَدْتُ وَعَدَكَ زوراً فِي مَزَوْرَةٍ حَلَفْتُ مَجْتَهَداً إِحْكَامَ طَاهِيهَا

(١) في الأصل وب : دنا ، وما أثبت الصواب .

(٢) المزورة : نوع من الحساء يصنع للمريض .

فلا شفَى اللهُ من يرجو الشفاءَ بها ولا عَكَتْ كَفٌّ مَلَقٍ كَفَّهُ فِيهَا
 فَاحْبَسْ رَسُولَكَ عَنِي أَنْ يَجِيءَ بِهَا فَقَدْ حَبَسْتُ رَسُولِي عَن تَقَاضِيهَا
 وأخباره كثيرة ، وكان شعره غير مرتب ، فرتبه أبو بكر الصولي على الحروف ،
 ثم جمعه علي بن حمزة الأصبهاني على الأنواع على مثل حماسه أبي تمام •
 وسئل أبو العلاء المعري عنه وعن أبي تمام والمنتبي ، فقال : أبو تمام والمنتبي
 حكيمان والشاعر البحتري •

سنة خمس وثمانين ومائتين

وثب صالح بن مدرك الطائي في طيء فاتهبوا الركب العراقي •
وفيها توفي الإمام إبراهيم بن إسحق الحربي الحافظ وله سبع وثمانون
 سنة ، سمع أبا نعيم وطبقته ، وتفقه بأحمد ، وبرع ووصف التصانيف المفيدة ، وتشبه
 في وقته بأحمد •

وفيها إمام النحويين في زمنه ، صاحب التصانيف النافعات أبو العباس
 المبرد ، واسمه محمد بن يزيد البصري الأزدي ، وكان وسيماً مليح الصورة ، فصيحاً
 مفوهاً ، أخبارياً ، علامة ، ثقة ، صنف (الكامل) و (الروضة) و (المقتضب)
 وغيرها • وتخرّج به نطويه وغيره ، وكان يجب الاجتماع بأبي العباس ثعلب ،
 وثعلب يكره مناظرته ، لأن المبرد كان حسن العبارة ، وفيهما يقول بعض الشعراء :
 علوم الخلائق مخزونة بهذين في الشرق والمغرب

قال بعضهم : رأيتَه - يعني المبرد - فذكرت له أنهم غلّطوه في تغليطه لأبي
 فواس ، فعرض على سبائته وخجل •

وفيها ظهر بالبحرين أبو سعيد القرمطي ، وقويت شوكته ، هزم جيوش
 الخليفة مرات ، وقصد البصرة ، فحصنها المعتضد^(١) ، قيل : وذبح في حمام بقصره ،
 وخلف ابنه أبو طاهر ، وعلى يديه جرت الحادثة العظيمة بمكة ، وحمل الحجر الأسود
 ولم يرجع إلا بعد عشرين سنة • قيل : وهو من أبناء ملوك فارس •

(١) في مرآة الجنان ٢/٢١٣ : المعتمد •

سنة ست وثمانين ومائتين

توفي الشيخ الكبير العارف بالله أبو سعيد أحمد بن عيسى الحرّاز البغدادي ،
صحب ذا النون والسري وغيرهم ، وهو أول من تكلم في علم الفناء والبقاء • وعنه
قال : رأيت إبليس في المنام وهو يمر عني ناحيةً ، فناديته ، فقال : أي شيء أعمل
بكم ، أقم طرحتم ما أخادع الناس به ، غير أن لي فيكم لطيفة ، وهي صحبة
الأحداث • ومن قوله : كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل •

سنة سبع وثمانين ومائتين

تعرضت طيبء لركب العراق في رجوعهم كالعام الماضي ، فقتل رئيس طيبء
صالح أو ابن صالح بن مدرك مع جماعة من أشرف قومه ، وأسر جماعة ، ودخل
الركب بالأسرى والرؤوس ببغداد •

وفيها توفي الإمام الحافظ أبو بكر بن عمرو الشيباني البصري ، قاضي
أصبهان ، صاحب التصانيف • وأبو سعيد الهروي شيخ هراة ومحدثها وزاهدها •

سنة ثمان وثمانين ومائتين

مات مفتي بغداد عثمان الأنطاقي ، صاحب المزني ، وشيخ أبي العباس بن
سريج •

وفيها الحاسب الحكيم ثابت بن قرّة الحرّاني ، غلب عليه علم الأوائل
والفلسفة والطب ، عارفاً بكتاب إقليدس وجالينوس وبقرات ، وله تاريخ أجاد فيه ،
وهو منسوب إلى حرّان بالجزيرة ، بناها هاران^(١) عم إبراهيم وأبو زوجته سارة ،
وبه سمي هاران أخو إبراهيم والد لوط صلوات الله على نبينا وعليهم •

(١) في ب : آزر ، والمعروف أن آزر أبو إبراهيم عليه السلام ، كما ورد في كتاب
الله الكريم •

سنة تسع وثمانين ومائتين

توفي المعتضد أبو العباس أحمد بن الموفق طلحة بن جعفر المتوكل ، وكان شجاعاً مهيباً ، وقيل له السفاح الصغير ، لأنه قتل أعادي بني العباس من مواليهم وغيرهم ، وكان قد حلب الدهر شطريه ، وتأدب بصروف الزمان ، وكان من أكمل الخلفاء المتأخرين ، وفيه تشيعٌ ، وبويغ بالخلافة سنة تسع وسبعين وله سبع وثلاثون سنة . وولي الأمر بعده ولده المكتفي علي بن أحمد المعتضد .

وروي أن سبب موت المعتضد أنه أكل لحم الأسد للجماع ، فاشتد شبقه وجامع حتى كان سبب موته ، وأجمع رأي الأطباء أن يسجر له تنور بحطب الزيتون ، ويلقى فيه ، ويمكث ثلاث ساعات ، ثم يخرج ولا يرد إلى التنور إلا بعد ساعتين ، فلما أخرج استغاث من البرد ، وأمرهم أن يردوه إلى التنور ، فرحمه بعض أهله ، فرده قبل تمام المدة ، فسكن صياحه ، ثم أخرج محرقاً ، ومات من ساعته . وروي أن الحكاية للوائق ، والله أعلم .

وفيها يحيى بن أيوب العلاف المصري ، صاحب سعيد بن أبي مريم .

سنة تسعين ومائتين

حاصرت القرامطة دمشق ، فقتل طاغيتهم (١) يحيى بن زكرويه ، وخلفه الحسين صاحب الشامة ، فجهز المكتفي عشرة آلاف لحربهم ، وعليهم أبو الأعرس ، فبيتهم القرمطي ليلاً ، ووضع فيهم السيف ، فهرب أبو الأعرس في ألف نفس . ثم جهز المكتفي جيشاً آخر ، وجاءت من مصر العساكر الطولونية ، فهزموا القرامطة ، وقتلوا منهم خلقاً ، وانهمز القرمطي إلى الأهواز ، وكان يزعم أنه من آل الحسين بن علي .

(١) في الأصل : داعيتهم ، وما أثبت من ب . وفي النسختين : يحيى بن زكرويه ،

وهو تحريف ، ينظر الطبري ١٠ / ٩٤ - ٩٥ .

وفيها دخل عبيد الله الملقب بالمهدي المغرب متنكراً ، والطاب عليه من كل وجه ، فقبض عليه متولي سجلماسة وعلى ابنه ، فحاربه أبو عبد الله الشيعي داعي المهدي فهزمه ، ومزق جيوشه ، واستولى على المغرب ، وكان باطني العقيدة ، وهو الذي بنى المهديّة في المغرب .

وفيها توفي الإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني ، وكان خيراً بالحديث وعلمه كأبيه .

سنة إحدى وتسعين ومائتين

نهض جيش من طرسوس ، فأوغلوا في بلاد الروم ، فافتتحوا أنطاكية عنوةً ، وغنموا غنيمة كبيرة .

وفيها عظم خطب القرمطي المكنى أبو الحسين ، وهو أخو المقدم ذكره ، وعاودوا حصار دمشق ، فالتزموا له بمال جزيل ، وترحل عنهم ، وقد أسلمهم سلطانهم ، وتقرط كثير منهم ، ثم ملك حمص وحماة والمعرّة وبعلبك ، فهض المكنفي من بغداد ، وقدم قدامه أبا الأغرّ السلمي ، فهزمهم القرمطي ، وأتى على أكثرهم قتلاً وسيياً ، ثم أنهض إليه المكنفي محمد بن سليمان الكاتب ، فأوقع بهم بنواحي البر مما يلي شيزر وحماة ، فانهزم القرمطي ، وأتى على جيوشه قتلاً وأسراً ، وفر القرمطي مخفياً يقطع البرية إلى الكوفة مع أربعة نفر من أهله ، فبروا بدالية ابن طوق^(١) ، فأسرهم ، وحملهم إلى المكنفي ، فوافاه بالركة ، فدخل بهم بغداد في أكمل زي ، فأحرقهم بعد أن قتلهم ، وقام بأمر القرامطة بعدهما أخوهما أبو الفضل ، وسار إلى أذرعات وبصرى من حوران والبسنيّة من أعمال دمشق ، فخرج إليه السلطان حمدان بن حمدون التغلبي ، فهزمهم القرمطي ، وسار إلى هيت ، وضمها بالنار بعد أن قتل أهلها ، ورجع إلى ناحية البر ، فأنفذ المكنفي جيشاً عظيماً ، فخاف

(١) في ب : أبي طوق .

أصحاب القرمطي إحاطة الجيوش بهم، فقتله رجل منهم يعرف (بالذئب بن القائم) (١) غيلةً، وحمل رأسه إلى المكتفي •

ثم خرج بعدهم من القرامطة ابن زكرويه بن مهرويه، وقيل: هو أبو من تقدم ذكره • وعاش في البلاد، وأكثر فيها الفساد، وقتل ثلاثة ركوب راجعة من الحج، وبلغ عدد المقنولين منهم خمسين ألفاً، وقيل: إن هذا العدد في الركب الثالث وحده، (وهزموا) (٢) على يدي وصيف بن صوار تكين التركي (٣)، وأسر زكرويه جريحاً، ومات من الغد، وحمل رأسه إلى المكتفي ببغداد •

وفيهما توفي علامة الأدب أبو العباس ثعلب أحمد بن يحيى الشيباني مولاهم الكوفي •

قال ابن مجاهد المصري: قال لي ثعلب: اشتغل أهل القرآن والحديث والفقهاء بذلك ففازوا، واشتغلتُ بزيد وعمرو، وليت شعري ما يكون حظي من الآخرة • قال ابن مجاهد: فرأيت النبي ﷺ في المنام، فقال لي: أقرئ أبا العباس ثعلب عني السلام وقل له: أنت صاحب العلم المستطيل •

قال العبد الصالح أبو عبد الله الرشود باري: أراد ﷺ أن الكلام به يكمل، والخطاب به يحمل، وأن جميع العلوم تقتنر إليه •

صنف ثعلب التصانيف المفيدة منها كتاب (الفصيح)، وهو صغير الحجم، كبير الفائدة، وكتاب (القراءات) وكتاب (إعراب القرآن) وغير ذلك • روى عنه الأخصس الصغير وغيره • وكان ثقةً صالحاً مشهوراً بالخط والمعرفة، وكان أحمر،

(١) في الأصل: ابن الدين، وفي ب: أبي الدين، وما أثبت من تاريخ الطبري ١٢٤/١٠ •

(٢) في الأصل و ب: وجدهم ابنه، وهي عبارة لا معنى لها لنقص فيها، واستفيد ما بين القوسين من الطبري ١٣٤/١٠ •

(٣) في الأصل: وصيف بن صوار الحردى، وفي ب: الحروري، وما أثبت من تاريخ الطبري ١٢٥/١٠، وهو الصواب •

فخرج من الجامع بعد العصر وفي يده كتاب ينظر إليه وهو يبشي ، فصدمنه فرس فألقته في هوة ، فأخرج منها كالمختلط ، فمات في اليوم الثاني •

وفيها مكرىء أهل دمشق هرون بن موسى ، عرف بالأخفش ، صاحب ابن ذكوان •

وفيها قبل مكرىء مكة عبد الرحمن المخزومي مولاهم •

سنة اثنتين وتسعين ومائتين

خرج صاحب مصر هرون بن خمارويه بن أحمد بن طولون ، وكان هو وآباؤه قد تغلبوا على الشام^(١) ، ولهم تحكم بالعباسيين ، وندب المكتفي لحربه محمد بن سليمان الكاتب ، فجرى بينهم وقعات ، واختلف أمراء هرون بينهم ، واقتتلوا ، فخرج يسكنهم ، فجاءه سهم فقتله ، ودخل محمد بن سليمان الإقليم ، فتملكه ، واحتوى على الخزائن ، وقتل من آل طولون طائفة وحبس طائفة •

وقيل : إن هرون هم بالمضي إلى المكتفي ، فامتنع عليه أمراؤه ، وسجنوه ، ثم قتلوه غيلة •

وفيها مات وقد قارب المائة وأكملها أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله المصري^(٢) الحافظ ، صاحب السنن ، ومسند الوقت • قيل : لما فرغوا من سماع المسند عليه عمل لهم مأدبة أففق فيها ألف دينار ، وتصدق بجملة منها • ولما قدم بغداد ازدحموا عليه ، وحضر مجلسه أربعون ألفاً وزيادة ، وفيه سبعة مبلغين ، كل واحد يباع الآخر •

وفيها قاضي القضاة أبو حازم عبد الحميد^(٣) بن عبد العزيز الحنفي ، كان عادلاً ، ولما احتضر جعل يقول : يارب من القضاء إلى القبر ، ويكي •

(١) في ب : وكان هو وأبوه قد تغلبوا على مصر والشام •

(٢) في مرآة الجنان ٢/٢٢٠ : البصري •

(٣) في مرآة الجنان ٢/٢٢٠ : عبد المجيد •

وفيها الإمام أبو العباس أحمد بن محمد الهروي ، كان فقيهاً صالحاً ، صاحب تصانيف ، روى عن أبي حفص الفلاس وطبقته .

وفيها يحيى بن منصور أبو سعيد الهروي ، أحد الأئمة في العلم والعمل . قيل : إنه لم يرَ مثل نفسه .

سنة ثلاث وتسعين ومائتين (١)

وفيها عيسى بن محمد المروزي اللغوي ، وهو الذي رأى بخوارزم امرأة بقيت نيفاً وعشرين سنة لا تأكل ولا تشرب ، في مكان واحد ، لا تتألم بحر ولا برد . وروى الياقعي عن الشيخ صفى الدين أنه ذكر امرأة بصصر أقامت ثلاثين سنة لا تأكل ولا تشرب .

وفيها أبو عبد الله محمد بن أسد الزاهد المجاب الدعوة ، عمر أكثر من مائة سنة .

سنة أربع وتسعين ومائتين (١)

وفيها توفي الحافظ صالح بن محمد الأسدي البغدادي ، محدث ما وراء النهر ، وروى ببخارى (٢) الكثير من حفظه ، وصنف ، وجرح وعدل ، وروى عن علي بن الجعد وطبقته .

وفيها الإمام المتقن محمد بن نصر المروزي . قيل : لم يكن للشافعية في وقته مثله .

(١) هذان العنوانان نقص من الأصل ، واستدركا من مرآة الجنان ٢/٢٢١

(٢) في الأصل و ب : تيجان ، وهو خطأ جرى تصويبه من مرآة الجنان ٢/٢٢٢

سنة خمس وتسعين ومائتين

توفي أحد أركان الحديث إبراهيم بن أبي طالب النيسابوري ، وهو ثالث محمد بن يحيى ومسلم بن الحجاج في حفاظ نيسابور •

وفيها إبراهيم بن أبي معقل القاضي المحدث ، صاحب المسند والتفسير ، وراوي صحيح البخاري عنه •

وفيها الخليفة المكتفي علي بن المعتضد أحمد بن أبي أحمد الموفق بن المتوكل ، كان بديع الجمال يمثل بحسنه ، وفيه يقول أحد أعيان الأدب وقد أبان زوجته عن نشوز وعقوق :

قايسَتْ بين جمالها وفعالها فإذا الملاحاة بالخلاعة لا تفي
والله لا راجعتها ولو أنها كالبلدر أو كالشمس أو كالمكتفي

وقد رويت هذه الحكاية على غير هذا الوجه ، والله أعلم •

ومات وله إحدى وثلاثون سنة وستة أشهر ، وابتلي في مدته بكثرة الفتوق واضطراب الأطراف وقاتل القرامطة • وولي بعده أخوه المعتذر ، وله ثلاث عشرة سنة ، ولم يكل أمر الأمة صبي قبله ، وخلع بعد أيام بابن المعتز العباسي ، وخلع مرة أخرى بأخيه القاهر •

وفيها الفقيه الإمام المحدث أبو جعفر محمد بن أحمد الترمذي كبير الشافعية بالعراق قبل ابن سريج ، لم يكن للشافعية بالعراق رأس منه • وكان يجري على نفسه في كل شهر أربعة دراهم ، ولا يسأل أحداً شيئاً • وعنه قال : تفقّهت بأبي حنيفة فرأيت النبي ﷺ في مسجد المدينة عام حججت ، فقلت : يا رسول الله ، آخذ بقول أبي حنيفة ؟ قال : لا ، قلت : فيقول مالك ؟ قال : خذ منه ما وافق سنتي ، قلت : فأخذ بقول الشافعي ؟ فقال : ما هو قوله إلا أنه أخذ سنتي وردّ على من خلفها • فخرجت إلى مصر ، وكنبت كتب الشافعي • وقال : كتبت الحديث سبعاً وعشرين سنة •

وفيها الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن إسماعيل الإسماعيلي ، من كبار محدثي نيسابور ، وله تصانيف محمودة •

سنة ست وتسعين ومائتين

اتفق الحسين بن حمدان والأمراء على خلع المقتدر وقتل وزيره ، فحمل ابن حمدان^(١) على الوزير العباس بن الحسن^(٢) وفاتك المعتضدي فقتلها ، وسمع المقتدر الهيعة وهو يلعب بالصولجان ، فدخل قصره وأغلق الأبواب ، وأقام ابن حمدان التغلبي بدلاً منه ابن المعتز ، وأرسلوا إلى المقتدر أن يتحول من دار الخلافة ، فأبى ، فحاصروه ، وتراموا بالنشاب . وثاب إلى المقتدر جماعة ، فنزلوا وحاربوا فهزموا ابن المعتز وابن حمدان ، وفر ابن المعتز على فرس يريد سامراء ، فأخذ من الطريق ، وسلم إلى المقتدر ، فقتله سراً ، وسلمه إلى أهله ملهوفاً في كساء . ودبر أمر المقتدر الوزير ابن الفرات ، ونشر العدل ، وحسنت سيرته ، واشتغل المقتدر باللعب^(٣) .

وابن المعتز هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هرون الرشيد ، أخذ الأدب عن المبرد وثلعب ، فبلغ مبلغاً في الأدب ، وله تصانيف كثيرة وشعر رائع .

وفيها أحمد بن يعقوب القاضي ، أحد من قام في خلع المقتدر احتساباً ، وذبح صبراً .

سنة سبع وتسعين ومائتين^(٤)

وفيها توفي الحافظ ابن الحافظ أحمد بن محمد بن زهير بن حرب ، وكان أبوه يستعين به في تصنيف التاريخ .

(١) في الأصل : محمد بن حمدان ، وما أثبت من ب ، وهو الصواب ، ينظر الطبري ١٤٠/١٠ .

(٢) في الأصل و ب : الحسين ، وما أثبت من الطبري ١٤٠/١٠ .

(٣) في ب زيادة : وانصلح أمر ابن حمدان وبعث إلى الولاة ، وهو موافق لما في الطبري ١٤١/١٠ .

(٤) هذا العنوان نقص من الأصل و ب ، واستدرك من مرآة الجنان ٢٢٧/٢

وفيها الشيخ الكبير الجامع بين العلمين عمرو بن عثمان المكي ، شيخ الصوفية ، صاحب التصانيف المفيدة ، وهو الذي دعا على الحلاج وهجره لما سأله : ماذا تكتب ؟ قال : أعارض القرآن ، ذكره القشيري في باب (حفظ قلوب المشايخ) .

وفيها الإمام البارِع محمد بن داود [بن علي] ^(١) الظاهري الأصفهاني ، أحد الأذكياء ، صنف كتاب (الزهرة) في مبتدأ شبابه ، جاء فيه بكل غريبة في الآداب ، ونادرة وشعر رائع . تصدر في حلقة أبيه بعده ، فاستصغر ، وسأله رجل ^(٢) عن حدِّ الشُّكْرِ ، فقال : إذا عزبت منه الهموم ، وباح بِسِرِّهِ المكتوم ، فاستحسن جوابه ، وعلم مكانه .

وتناظر هو وابن سُريج في مجلس الوزير ابن الجراح في الإيلاء ، وتعادلا بالشعر المطرف . ولابن داود كتاب (الوصول إلى معرفة الأصول) وكتاب (الإنذار) وكتاب (الاعتذار) وكتاب (الاتصار على محمد بن جرير وعبد الله بن شرسير) ^(٣) .

سنة ثمان وتسعين ومائتين

توفي السيد الإمام الفاضل الكامل الصالح المصلح يحيى بن الحسين بن القاسم ابن إبراهيم طباطبا ابن اسماعيل الديباج بن إبراهيم الشبه بن الحسن المثنى ، ويعرف بالهادي إلى الحق ^(٤) . وكان مولده بالمدينة سنة خمس وأربعين ومائتين قبل موت جده القاسم . ونشأ بالفرع وجبال الرسّ بقرب المدينة بين أبيه وأعمامه ، وظهرت نجابته في العلم والعمل وهو ابن ثمانئي عشرة سنة .

(١) ما بين المعقوفين زيادة من ب . وفي ابن خلكان ٢٥٩/٤ : بن علي بن خلف .

(٢) في ب : ودسوا له رجلا فسأله .

(٣) تنمة اسم الكتاب كما ذكره ابن خلكان ٢٦١/٤ : وعيسى بن إبراهيم الضرير .

(٤) الإمام الهادي يحيى بن الحسين رحمه الله هو أول من ترجم لهم المؤلف رحمه الله من علماء اليمن وأئمتها الذين أهملهم الياضي والأهلل .

وكان خروجه إلى اليمن وظهور شوكرته بها سنة ثمانين ومائتين في خلافة المعتضد وله خمس وثلاثون سنة ، والذي استدعاه إلى اليمن واليهما أبو العتاهية ، ولما وصل إليه بايعه هو وأهل مملكته ، وجاهد بين يديه حتى استشهد . وروي أنه رأى من أهل اليمن فتوراً ، وثقل الحق عليهم ، فرجع إلى الحجاز ، فتغير عن أهل اليمن الحال بعده ، فأوفدوا جماعة من وجوههم إليه ، واستشفعوا إليه بوالده وأهله ، فردهم رداً جميلاً ، ووعدهم الخروج خلفهم ، فخرج في جماعة كثيفة من أهله وغيرهم ، وقدم صعدة سنة أربع وثمانين ومائتين ، وله باليمن وقائع وحروب عظيمة مع القرامطة ، وشجاعته وشهامته ظاهرة .

ومن مصنفاته كتاب (الأحكام في الحلال والحرام) ، جمع فيه فأوعى ، وكان ابتداء تأليفه بالمدينة ، وصنف في الشرائع والأديان ، واتسعت بركاته ، وعظمت فضائله ، وتوفي بصعدة بعد أن مهد البلاد وقوم أودها ، وذلك لعشر بقين من ذي الحجة ثلاث سنين بقين من خلافة المقتدر ، وله ثلاث وخمسون سنة .

ولما نفي إلى الناصر للحق المسمى بالأطروش القائم ببلاد الجبل والديلم بكى بكاءً شديداً وقال : اليوم انهد ركن الإسلام .

وكان أسدي الوصف ، كحيل العينين ، واسع الساعدين غليظهما ، واسع الصدر ، خفيف الساقين والعجز . ومن المشهور [في قوسه أنه كان]^(١) في مفازة ، ونساؤه على بعير ، فاتقلت البعير بهم ، فاشتد خلفه ، وأمسك بذنبه ، فاتفصل الذنب بعروقه .

وعهد بالإمامة بعده إلى ابنه محمد المرتضى ، وقام بعد المرتضى أخوه أحمد الناصر ، ومن وقت الناصر إلى زماننا هذا — وهو سنة إحدى وستين وثمانمائة — لم تنقطع الإمامة من الشرفاء العلويين بجبال تهامة اليمن ، وأكثرهم من ذرية الهادي ، وله نزلات إلى تهامة اليمن ، وتغلب عليها ، والله أعلم .

وفيها توفي الشيخ الفاضل محمد بن مسروق الطوسي شيخ الجنيد .

(١) ما بين المعقوفين زيادة من ب .

وفيها شيخ الصوفية تاج العارفين أبو القاسم الجنيد (١) بن محمد القواريري (٢) الخزّاز ، بالزاي المكررة . وقيل : في سنة سبع أو تسع . صحب خاله السّري والمحاسبي وغيرهما من الجلة ، وصحبه أبو العباس بن سريج وكان إذا أفحم مناظريه قال : هذا من بركة مجالستي الجنيد .

وأصله من نهاوند ، ونشأ بالعراق ، وتفقه بأبي ثور ، وقيل : كان على مذهب سفيان الثوري ، وكان يقول : من لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر ؛ لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة .

وقال له خاله : تكلم على الناس ، فاستصغر نفسه ، فرأى رسول الله ﷺ يأمره بذلك . فلما جلس لذلك جاءه غلام نصراني متنكر فقال : ما معنى قوله ﷺ : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » ، فأطرق ساعةً ، ثم رفع رأسه وقال له : أسلم فقد حان وقت إسلامك ؛ فأسلم الغلام .

ولما صنف عبد الله بن سعيد بن كلاب كتابه الذي ردّ فيه على جميع المذاهب سأل عن شيخ الصوفية ، فقيل له : الجنيد ، فسأله عن حقيقة مذهبه ، فقال : مذهبنا أفراد القدم عن الحدوث (٣) ، وهجران الإخوان والأوطان ، ونسيان ما يكون وما كان . قال ابن كلاب : هذا كلام لا يمكن فيه المناظرة . ثم حضر مجلس الجنيد فسأله عن التوحيد ، فأجابه بعبارة مشتملة على المعارف ، فقال : أعدّ عليّ ، فأعاد لا بتلك العبارة ، ثم استعاده ، فأعاد بعبارة أخرى ، فقال : امله عليّ ، فقال : لو كنت أجريه كنت أمليه ، أي لو كنت أحدثه كنت أثبتته ؛ فاعترف بفضله .

وقال الكعبي المعتزلي لبعض الصوفية : رأيت لكم ببغداد شيخاً يقال له الجنيد ما رأيت مثله ، كان الكتابة يحضرونه لألفاظه ، والفلاسفة لدقة كلامه ، والشعراء لفصاحته ، والمتكلمون لمعانيه ، وكلامه ناءٍ عن فهمهم .

(١) في القاموس المحيط : « الجنيد كزبير : لقب أبي القاسم سعيد بن عبيد سلطان الطائفة الصوفية » .

(٢) في الأصل : القاروري ، ما اثبت من ب .

(٣) في الأصل و ب : الحدث .

وسئل السري عن الشكر والجنيد صبي يلعب فأجاب : هو أن لا تستعين بنعمه على معاصيه • فقال السري : ما أخوفني أن يكون حظك في لسانك ، قال الجنيد : لم أزل خائفاً من ذلك حتى جثته يوماً بشيء كان محتاجاً إليه فقال : أبشر فإني سألت الله أن يسوق ذلك على يد مفلح •

وفيها الشيخ الكبير العارف بالله أبو عثمان الحيري سعيد بن إسماعيل شيخ الصوفية بنيسابور ، وكان مجاب الدعوة •

سنة تسع وتسعين ومائتين

توفي شيخ نيسابور وحافظها أبو عمرو الخقف أحمد بن نصر الزاهد ، سمع إسحق بن راهويه وغيره •

وفيها أبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان^(١) البغدادي صاحب التصانيف في القرآن والغريب ، كان أبو بكر بن مجاهد يعظمه كثيراً •

سنة ثلاثمائة

توفي صاحب الأندلس عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الأموي ، وله خمس وعشرون ، وكان له عبادة بالغة وغزوات كبار ، أشهرها غزوة ابن حفصون^(٢) الخارجي ، وكان في ثلاثين ألفاً ، وعبد الله في أربعة عشر ألفاً ، فاستأصلهم عبد الله قتلاً •

وفيها أحد أركان الحديث أبو الحسن علي بن سعيد العسكري • وأبو الحسن مسدد بن قطن^(٣) النيسابوري الزاهد الورع •

(١) في الأصل : أحمد بن محمد بن كلسان ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبت •
(٢) في الأصل و ب : منصور ، وما أثبت من مرآة الجنان ٢/٢٣٦
(٣) في الأصل و ب : مسرهد ، وما أثبت من مرآة الجنان ٢/٢٣٦

سنة إحدى وثلاثمائة

قتل أبو سعيد القرمطي صاحب هجر ، دخل الحمام ، فراود غلاماً له عن نفسه ؛ فقتله الغلام ، ثم استدعى الغلام رئيساً بعده فقتله أيضاً ، ثم آخر كذلك حتى قتل أربعة ، ثم قتل •

وفيها سار المهدي المتغلب على المغرب في أربعين ألفاً ليأخذ مصر ، ففجر أمير مصر النيل فجراً بينهما ، وجرت بينه وبين جيوش المقتدر حروب ، ورجع وقد ملك الاسكندرية والفيوم •

وفيها توفي الحافظ محمد بن يحيى بن مندة العبدي الأصبغاني ، جد الحافظ محمد بن إسحق بن مندة •

وفيها الوزير ابن الفرات ، كان عالماً محباً للعلماء ، وبسببه سار الإمام الداوقطني من العراق إلى مصر ، ولم يزل عنده حتى فرغ من تأليف مسنده ، وكان كثير الإحسان إلى أهل الحرمين ، واشترى من المدينة داراً ليس بينها وبين الضريح النبوي إلا جدار واحد ليدفن فيها ، ولما مات حمل تابوته إلى مكة ، ووقف به في مواقف الحج ، ثم إلى المدينة ، وخرجت الأشراف إلى لقائه لسالف إحسانه ، ودفن حيث أمر ، وقيل : دفن بالقرفة ، وكان يوزر مدة كافور وبعده ، رحمه الله تعالى •

سنة ثلاث (١) وثلاثمائة

توفي الحافظ الإمام أحد الأئمة الأعلام ، صاحب المصنفات أبو عبد الرحمن [أحمد بن شعيب] بن علي النسائي ، منسوب إلى نسا مدينة خراسان ، إمام عصره في الحديث ، سكن مصر ، وانتشرت مصنفاته ، وأخذ عنه الناس ، وخرج إلى دمشق (٢) فستل عن فضائل معاوية فقال : أما يرضى معاوية أن يخرج رأساً برأس حتى يفضل ؟!

(١) في الأصل : سنة اثنتين وثلاثمائة ، وهو خطأ جرى تصويبه من مرآة

الجنان ٢/٢٤٠ وتذكرة الحفاظ ٢/٦٩٨

(٢) كذا في ب ، وفي الأصل : خرج عن مصر •

وروي أنه قال : ما أعرف له فضيلة إلا لا أشبع الله بطنه ، وكان يتشيع ، فدفعوا في خصيته حتى أخرجوه من المسجد . وروي أنهم داسوه ، ثم حمل إلى الرملة ومات بها . وقال الدارقطني : حمل بعد المحنة إلى مكة فتوفي بها ، ودفن بين الصفا والمروة . وقال الحافظ أبو نعيم : مات بسبب الدوس فهو مقتول .

وكان قد صنف خصائص عليّ وأهل البيت ، فقليل له : ألا تصنف في فضائل الصحابة؟! فقال : دخلت دمشق والمنحرف عن عليّ كثير ، فأردت أن يهديهم الله بهذا الكتاب .

وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، وكان موصوفاً بكثرة الجماع ، له أربع زوجات وسراري .

وقال الدارقطني : أدرك الشهادة وتوفي بمكة .

وفيها أبو علي الجبائي ، منسوب إلى جبا من قرى البصرة ، شيخ المعتزلة في وقته ، وعنه أخذ شيخ السنة والجماعة أبو الحسن الأشعري ، ثم رجع من مذهب الاعتزال إلى السنة ، وله مع شيخه الجبائي مناظرات ، دونها العلماء ، في الثلاثة الإخوة وغيره .

والإمام أبو إسحق النيسابوري الأثماطي ، صاحب التفسير . والحافظ أبو عبد الرحمن محمد بن المنذر . والهروي .

سنة أربع وثلاثمائة

توفي الشيخ الكبير شيخ الزي والجمال في التصوف يوسف بن الحسين الرازي ، كان نسيجاً وحده في إسقاط التصنع ، صحب ذا النون (١) .

ومن كلامه : لئن ألقى الله بجميع المعاصي أحب إليّ من أن ألقاه بذرة من التصنع . وقال : إذا رأيت المريد يشتغل بالرخص فاعلم أنه لا يجيء منه شيء . وكتب إلى الجنيد : أذاقك الله طعم نفسك ، فإنك إن ذقتها لا تذوق بعدها خيراً أبداً .

(١) في ب زيادة : وأبا أيوب .

وفيها يموت بن المِزْرَع^(١) ابن أخت أبي عثمان الجاحظ ، كان أديباً
أخبارياً ، صاحب مِلْح ونوادر ، وكان لا يعود مريضاً خشية أن يتطيروا باسمه ،
وملحه ، منصور الضرير فقال :

أنت تحيا والذي يكِدْ رَه أن تحيا يموت
أنت صنوُ النفس بل^(٢) أف ت لروح النفس قوت

سنة خمس وثلاثمائة

قدم رسول ملك الروم بطلب الهدنة ، فأقام المقنن جيوشه أمامه ستين ألفاً ،
والغلمان سبعة آلاف ، والحجاب سبعمائة ، وثمانية وثلاثين ألفاً ستردياجاً وزين
داره التي سماها الفردوس .

سنة ست وثلاثمائة

توفي القاضي الإمام ناصر المذهب، الملقب بالباز الأشهب أبو العباس أحمد بن
عمر بن سُريح ، أخذ عن الأنماطي وعن المزني ، وزاد عليهما .
قال الشيخ أبو حامد : نحن نجري مع ابن سُريح في ظاهر الفقه دون دقائقه .
روي عنه قال : رأيت كأنا مطرنا كبريتاً أحمر ، فملأت كسائي وحجري منه .
فعبرت رؤياه بأنه علم أعز من الكبريت الأحمر .
بلغت مصنفاًه أربعمائة مصنف . ومن غرائب أنه كان يقول بلزوم الحكم

(١) في الأصل : المدرع ، وفي متن ب : المدرع أو المدرع ، وفي حاشية ب :
المورع ، نقلاً عن كتاب تاريخ الخلفاء ، وبعده في المتن زيادة عما في الأصل : العسدي
البصري . وكلها خطأ ، وما أثبت من ابن خلكان ٥٣/٧
(٢) في الأصل : أنت روح النفس بل . وفي ب : أنت ضوء الشمس ، وما أثبت
من ابن خلكان ٥٤/٧ .

بالحكاية^(١) وقيل : إنه مجدد المائة الثالثة ، وصحح ابن عساكر أنه أبو الحسن الأشعري ؛ لأنه الذي اقتدب لرد المبتدعة بالحجج القاطعة من علم الأصول •

ولابن شريح نظم حسن • وجده شريح من كبار الصالحين ، وله رواية في الحديث • وعاش ابن شريح سبعاً وخمسين سنة وستة أشهر •

وفيها الفقيه الإمام أبو الحسن منصور بن إسماعيل بن عمر التميمي المصري الضرير ، أصله من رأس عين بلدة بالجزيرة ، له مصنفات في مذهب الشافعي ، وشعره جيد ، أصابته فاقة في سنة قحط ، فنادى بأعلى صوته فوق داره :

الغيثَ الغيثَ يا أحراراً نحن خلعنا فكمم وأقمم بحار
إنما تحسن المواساة في الشدة لا حين ترخص الأسعار

فسمعه جيرانه ؛ فأصبح على باب داره مائة حمل بر •

وفيها الشيخ الكبير الشهير أحمد بن يحيى بن الجلاء الشامي ، كان في البداية يسأل أبويه أن يهباه الله تعالى ؛ ففعلاً ، ثم جاءهم بعد ، فدق الباب وكانت ليلة مطيرة ، فقال أبوه : من ؟ فقال : ولدك فلان ، فقال : كان لنا ولد وهبناه الله ونحن لا نسترجع ما وهبناه ؛ ولم يفتح له ، نفع الله بهما •

وفيها الإمام صاحب [التصانيف] أبو محمد عبدان بن محمد بن أحمد الأهوازي الجواليقي •

سنة سبع وثلاثمائة

توفي أبو يعلى التميمي الحافظ صاحب المسند •

والحافظ الكبير أبو بكر [محمد] بن هرون الرويائي صاحب المسند والتصانيف في الفقه •

(١) في الأصل : بإحكامه ، وفي ب : بإحكامه الطلاق ، وما أثبت من مرآة الجنان ٢/٢٤٧

سنة ثمان وثلاثمائة

ظهر اختلال الدولة العباسية ، وعظمت الفتنة ، ونهبت بغداد ، وجرت حروب
بمصر ، ملك فيها العبيديون جيزة الفسطاط ، وهرب الخلق .

وفيهما توفي الفقيه الصالح راوي صحيح مسلم عنه أبو إسحق إبراهيم بن
محمد بن سفيان^(١) النيسابوري ، وكان مجاب الدعوة .

وفيهما أبو الطيب محمد بن المفضل بن سَكَمَةَ بن غاصم الضبي ، مصنف
كأبيه وجده ، وله مصنفات في مذهب الشافعي ، ووجوه منها أنه كان يرى تكفير
تارك الصلاة .

وفيهما الحافظ أبو العباس الوليد بن أبان بأصفهان ، صاحب المسند والتفسير .
وفيهما المفضل الجَنَكدي اليميني .

وفيهما أبو الفرج يعقوب بن يوسف ، وزير العزيز بن المعتز العبيدي صاحب
مصر . وكان يعقوب أولاً يهودياً يزعم أنه من ولد السموءل بن عادياء صاحب حصن
الأبلق باليمن بتيماء ، وأسلم ، وكان في خدمة كافور الإخشيدي ، وبعد وفاة كافور
ولي الوزارة للعزيز ، وكان يجب العلم والعلماء ، وقال له العزيز في مرضه : لو كنت
تشتري لاشتريتك بملكي وولدي ، ولما مات صلى عليه ، ودخل قبره ، وبلغ كنفه
عشرة آلاف دينار .

سنة تسع وثلاثمائة

استرد الخليفة المقتدر الإسكندرية ، ورجع العبيدي إلى المغرب .

وفيهما قتل الحسين بن منصور الحلاج ، وهو من أهل البيضاء ببلاد فارس ،
ونشأ بالعراق ، وصحب سهل بن عبد الله والثوري والجنيد وغيرهم . والناس فيه
ثلاث فرق : فرقة تعظمه ، وأخرى تكفره ، وفرقة تتوقف ، وهي أسلم لتباعد الزمان

(١) في ب زيادة : الثوري .

وضعف النقل والخطأ في الاعتذار ، والتوقف أهون من الخطأ في التكفير مع احتمال وجهٍ ما . وأما ما قيل أن ابن سريج وابن داود الظاهري والجنيد ممن أفتى بقتله فلا يصح إلا مع احتمال أن التخليط كثير منه ، ولم يقتل إلا بعد فتياهم بزمان ؛ لأن وفاتهم تقدمت على قصته ، ويؤيد ذلك أن الشيخ عمرو بن عثمان المكي دعا عليه ، وقد تقدمت وفاة الشيخ عمرو بن عثمان على قصته .

وأيضاً فلا يظن أن قتله كان إلا مع موجب للقتل ، لأنه كان عن تمهل وفتاوى وإجماع واجتماع عليه ، وتولى ذلك القاضي أبو عمرو المكي في مجلس وزير المقتدر حامد بن العباس . وفي القصة أنه قال وهم يكتبون : ظهري حمي ، ودمي حرام ، [واعتقادي الإسلام] ، ومذهبي السنة وتفضيل الأئمة الأربعة وبقية العشرة ، والله الله في دمي ، ولم يزل يرددها إلى أن قتل . ولما قتل أحرق وألقي رماده في دجلة ، ونصبوا رأسه على الجسر .

وما أحسن قول حجة الإسلام أبي حامد الغزالي في الاعتذار عن خطأ من تخيل منهم الطول والاتحاد أو غيرهما من مقالات أهل الإلحاد : إنه ينتهي بهم الحال من مشاهدة الأحوال ^(١) والصوارف إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق ، ولا يحاول محاول أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح ، ولا يمكنه الاحتراز منه ، والذي يلاحظ ذلك ويصير حالاً له ^(٢) ينبغي ألا يزيد على قوله :

وكان ما كان مما لست أذكره فظنّ خيراً ولا تسأل عن الخبر ^(٣)

انتهى كلامه .

وأظن - والله أعلم - أن ذلك الشطح والخروج عن الحد ولو في حال السكر لا يكون إلا عن ضعف الحال ، وأما الكامل صاحب الحال السليم فيكون محفوظاً في صحوه وسكره ، مزموماً بزمام الشريعة ، والله سبحانه أعلم بحقائق العلوم .

(١) في ب : الأمثال .

(٢) كذا في ب ، وفي الأصل : حالاً به . (٣) في ب : الرتب .

سنة عشر وثلاثمائة

توفي ببغداد الإمام الجبر البحر صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير والمصنفات العديدة المفيدة المجتهد المطلق أبو جعفر محمد بن جرير الطبري • قال ابن خزيمة : ما أعلم على الأرض أعلم منه ، ولقد ظلمته الحنابلة ، وكان ذا زهد وقناعة • قيل : أصح التواريخ وأثبتها تاريخه •

وفيهما أو في التي قبلها توفي الفقيه الإمام محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري العالم المطلع ، صنف في اختلاف العلماء كتباً لم يصنف أحد مثلها ، واحتاج إلى كتبه الموافق والمخالف ، ومن أشهرها (الإشراف على مراتب الخلاف) •

وفيهما وقيل : في التي بعدها توفي أبو إسحق الزجاج إبراهيم بن محمد النحوي ، كان على تبحره في علم الأدب من ذوي الدين المتين ، وله مصنفات في معاني القرآن وغيرها تبلغ عشرين مصنفاً • أخذ عن المبرد وثلعب ، وكان الزجاج يخرط الزجاج فنسب إليه ، وإليه أيضاً ينسب أبو القاسم عبد الرحمن الزجاجي صاحب (الجمل في النحو) •

وفيهما الإمام النحوي محمد بن العباس البريدي ، نسبة إلى يزيد بن منصور ، له في علم الأدب عدة تصانيف ، وأدب أولاد المقتدر •

وفيهما الطبيب الماهر أبو بكر (١) محمد بن زكريا الرازي المشهور ، له في الطب كتاب (الجامع) (٢) و (الأعصاب) وكتاب (المنصوري) وحجمه صغير ، جمع فيه بين العلم والطب والعمل • ومن قوله : مهما أمكن العلاج بالأغذية فلا تعالج بالأدوية ، والمفرد أولى من المركب ، وكان اشتغاله بالطب بعد أربعين من عمره •

(١) كذا في ب ، وفي الأصل : زكريا •

(٢) في الأصل : الحاوي ، وهو لابن سينا ، ينظر ابن خلكان ١٥٨/٥ •

سنة إحدى عشرة وثلاثمائة

دخل أبو طاهر القرمطي البصرة في ألف وسبعمائة فارس ، نصبوا السلام على
السور ، وتولوا فوضعوا السيف ، وأحرقوا الجامع ، وهرب خلق كثير إلى الماء
فغرقوا ، وسبوا النساء والذراري .

وفيها إمام الأئمة محمد بن إسحق^(١) بن خزيمة النيسابوري مصنف
(الصحيح) على شرط مسلم ، قال الدارقطني : كان معدوم النظر .

سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة

وقع أبو طاهر القرمطي على ركب العراق ومعه ألف فارس وألف راجل ،
فوضعوا السيف ، وساقوا الجمال ، وهلك الناس في البراري جوعاً وعطشاً ، وأسبر
أبا الهيجاء عبد الله بن أحمد بن حمدان أمير الحاج . وكان خروج هذا القرمطي من
فاحية البحرين .

سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة

سار ركب العراق إلى مكة ومعهم ألف فارس ، فاعترضهم هذا القرمطي في
خمسماية فارس وستماية راجل ، فظفر ببعضهم ، ورجع الباقيون إلى الكوفة ومدينة
السلام ، ثم تسلم الكوفة بعد قتال عظيم ، ونزل بالخورق ، فسار إليه ابن الساج ،
فاصطلمهم القرمطي ، وكانوا أكثر من ثلاثين ألفاً بين فارس وراجل ، ثم سار إلى
الكوفة ، وتسلم الأنبار ، وعاث في البلاد ، وعظم ضرره .

(١) في ب : محمد بن عبد الحق .

وفيها توفي الحافظ أبو العباس محمد بن إسحق الثقفي مولاهم السراج ، صاحب التصانيف ، منها المستخرج على صحيح مسلم . قال المكي : سمعته يقول : ختمت عن رسول الله ﷺ اثني عشر ألف ختمة ، وضجيت عنه اثني عشر ألف أضحية ، كان يضحى في كل أسبوع أو أسبوعين ويجمع عليها المحدثين ، وكان من الأمرين بالمعروف ، الناهين عن المنكر ، وعاش سبعاً وتسعين سنة .

سنة أربع عشرة وثلاثمائة

لم يحج الركب العراقي خوفاً من القرمطي ، وخرج أهل مكة منها خائفين منه .
وفيها توفي الليث بن القاسم^(١) البغدادي الفرائضي .

سنة خمس عشرة وثلاثمائة

قصدت القرامطة الكوفة ، واجتمعت عساكر المقتدر نحو أربعين ألف فارس ، وقع عليهم الخذلان ، ولم يجسروا^(٢) على القرمطي وجملة من معه ألف وسبعمائة ، وذهبت هيبة المقتدر ، وأعلن الجند بشتمه .

وفيها توفي الحافظ المصنف أحمد بن علي بن الحسين الرازي النيسابوري ، والأحفش الصغير علي بن سليمان البغدادي النخوي ، أخذ عن ثعلب والمبرد ، وروى عنه الزياتي وغيره ، ولم يصنف لقصوره ، واشتدت به الفاقة إلى أن أكل الشحم النبيء ، فقيل : إنه قبض على قلبه فمات فجأة . وقد تقدم ذكر الأحفش الكبير والأوسط في سنة خمس عشرة ومائتين .

(١) كذا في ب ، وفي الأصل : الليث نصر بن القاسم .

(٢) في ب : لم يقدروا .

سنة ست عشرة وثلاثمائة

تسلم القرمطي رحبة مالك بن طوق بالسيف ، واستباحها ، ثم تحول إلى هيت ، فرموه بالحجارة ، وقتلوا صاحبه أبا الدرداء ، ثم رحل إلى الكوفة ، وبنى بها داراً ، وسماها دار الهجرة ، ولم يحج أحد في هذه السنة .

• واستغنى علي بن عيسى من الوزارة ، وتولاها علي بن مقلة .

وفيها توفي الشيخ الكبير الشهير أبو الحسن بُنان^(١) الحمال فزيل مصر وشيخها ، صحب الجنيد وغيره . صاحب كرامات خارقات منها : أنه شكى إليه إنسان أنه ضاع له [قرطاس فيه]^(٢) تنزيل فقال له : أشتهي الحلوى ، فذهب فجاءه بها ، فأكل منها يسيراً ثم قرطس على بقيتها ، وقال : اذهب فأطعمها عيالك ، فذهب فوجد التنزيل فيها .

وفيها الحافظ عبد الله بن أبي داود السجستاني .

وفيها الحافظ أبو عوافة يعقوب بن إسحق الإسفرائيني صاحب المسند الصحيح ، روى عن الأئمة مسلم بن الحجاج وطبقته ، وروى عنه أبو بكر الإسماعيلي وغيره . وكان شافعيّاً ، وحج خمس حجج ، وقبره مشهور مزور بإسفرائين .

وفيها محمد بن السّري^(٣) بن السراج التحوي ، أخذ عن الميرد وغيره ، وأخذ عنه السيرافي وغيره ، ونقل عنه الجوهرى في صحاحه ، وله مصنفات جيدة ، ومن شعره :

مَيَّرَتْ بَيْنَ جَمَالِهَا وَفَعَالِهَا فَإِذَا الْمَلَاةُ بِالْخِيَانَةِ لَا تَقِي
حَلَفْتُ لَنَا أَنْ لَا تَخُونُ عَهْدَنَا فَكَأَنَّمَا حَلَفْتُ لَنَا أَنْ لَا تَقِي
وَاللَّهِ لَا كَلِمَتَهَا وَلَوْ أَنَّهَُا كَالْبَدْرِ أَوْ كَالشَّمْسِ أَوْ كَالْمَكْتَفِي

قيل : هذا الشعر له ، وقيل : لابن المعتز ، وقيل : لعبد الله بن طاهر ، وسببه متردد فيه . قال صاحب الأصل : والبيتان يجوز استعارتهما لوصف الدنيا .

(١) في الأصل : ذبيان ، وهو خطأ ، ينظر طبقات الصوفية ص ٢٩١ .

(٢) ما بين المعقوفين نقص من الأصل ، واستدرك من مرآة الجنان ٢/٢٦٩ .

(٣) في الأصل زيادة : عروة .

سنة سبع عشرة وثلاثمائة

فيها تواطأ بعض أمراء المقتدر عليه ، وأخرجوه من دار الخلافة هو وأمه وخالته ونسأوه ، وأقاموا بدلاً منه محمد بن المعتضد ، ولقبوه القاهر ، ووزر له ابن مقله ، وأشهد المقتدر على نفسه بالخلع ، فوثب جماعة من الأمراء فقتلوا صاحب القاهر أبا الهيجاء بن حمدان ، وأسروا القاهر ، وردوا المقتدر ، وعفا عن القاهر ، ثم أتى بالقضاة والأعيان ، وجددوا البيعة . وماتت القهرمانة جارية أمه التي كانت أمه قد أجلستها في دار العدل ، تفصل الخصومات . وحج بالناس منصور الديلمي ، فوافاهم أبو طاهر القرمطي يوم التروية ، فأسرف في قتل الحاج ، وقتل أمير مكة ابن المحارب ، وقلع باب الكعبة والحجر الأسود ، وحمله إلى هجر بالبحرين ، ولم يرد إلا في سنة تسع وثلاثين . قيل : قتل في المسجد الحرام فضلاً عن غيره ألفاً وسبعمائة ، وقيل : ثلاثة عشر ألفاً . وعمتهم الفتنه في إقليم اليمن والشام والعراق والحجاز . وكان من دعائهم في اليمن علي بن فضل ، وملك حصون اليمن وتهاونها ، وطرده الناصر بن الهادي من صعدة ، وأسرف في القتل ، وكان قيامه من جبل مسور في نواحي صنعاء^(١) ، وقام منه الخارجي الآخر علي بن محمد الصليحي^(٢) ، وقتل في فتنه القرمطي بالمسجد الحرام^(٣) .

(١) الذي كان في جبل مسور هو زميله منصور بن حسن ، أما علي بن الفضل فكانت مدينة مذيخرة من بلاد العدين مقر إقامته وعاصمة ملكه .

(٢) الملك علي بن محمد الصليحي كان إسماعيلي المذهب ، موالياً للفاطميين حكام مصر ، ولم يقتل في الحرم المكي ، وإنما قتل في المهجم في تهامة اليمن وهو في طريقه إلى الحج ، وقد قتله سعيد الأحول وأخوه جياش في سنة ٤٥٩ هـ ، وكان الملك الصليحي قد قتل أباهم نجاحاً الحبشي واستولى على ملك زبيد ، فقتله ابنا نجاح واستعادوا ملك زبيد .

(٣) في ب زيادة : وفيها الحافظ المشهور محمد بن الحسين الهروي .

وفيها المنجم المشهور صاحب الزيج^(١) والأعمال العجيبة محمد بن جابر الرقي الأصل البستاني ، توفي بموضع يقال له الحَصْر ، وهي مدينة بقرب الموصل ، وهي مملكة الساطرون ، وكان حاصرها أردشير ، وقتله وأخذها . ذكره ابن هشام في السيرة .

سنة تسع عشرة وثلاثمائة

توفي السيد الجليل محمد بن الفضل^(٢) البلخي الواعظ ، قيل : مات في مجلس له واحد أربعة أنفس .

وفيها أو قبلها توفي أبو عبد الله^(٣) الزبيري نسبةً إلى الزبير بن العوام ، إمام البصريين في زمنه في مذهب الشافعي ، روى عنه النقاش المفسر وغيره ، وكان ثقة ، ومن مصنفاته : (الكافي) في الفقه ، وهو من أصحاب الوجوه الغريبة .

سنة عشرين وثلاثمائة

تجهز مؤنس الخادم في عسكره إلى بغداد لحرب الخليفة المقتدر وقد خرج عليه في العام الماضي ، فخرج المقتدر في لقائه ، فهزمه مؤنس ، وقتل المقتدر ، وبقي في الأرض مهتوك العورة حتى ستر بالحشيش ، ثم حفر له حفرة وطمَّ فيها وأخفي أثره وقبره ، وقتل وله ثمان وثلاثون سنة ، وكان مسرفاً في المال ، ناقص الرأي ، تولى أمره أمه وخالته وجاريتهم القهرمانه ، فمقتته الناس ، ووقع الوهن في الخلافة العباسية . قيل : ولم يستخلف صغير قبله ، ولم يعمر في الخلافة مدته ، فإنه أقام خمساً وعشرين سنة . وفدم مؤنس على قتله وقال : لنقتلن كلنا ، ثم بايعوا القاهر ، فصادر بعض خواص المقتدر ، وعذب أمه حتى ماتت معلقة ، وبالغ في الظلم ، واستوزر ابن مقلة .

(١) في الأصل : الترويح ، يراجع ابن خلكان ١٦٤/٥ .

(٢) في ب : ابن أبي الفضل .

(٣) في ب : أبو عبيد البيزدي أحمد الزبيري .

وفيها أو قبلها أو بعدها توفي القاضي الحافظ محمد بن يحيى العدني قاضي عدن ، تزيل مكة ، سمع منه مسلم بن الحجاج والترمذي ، وروى عنه سفيان بن عيينة وطبقته . روى عنه الترمذي قال : حججت ستين حجة ماشياً على قدمي .

وفيها أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفَرَبْرِي ، روى البخاري عنه . وقاضي القضاة محمد بن يوسف الأزدي مولاهم ، كان من خيار القضاة علماً وحلماً وصلاةً وذكاءً وصيانةً .

وفيها الإمام أبو علي بن حيران^(١) الشافعي ، عرض عليه قضاء بغداد في خلافة المقتدر ، فامتنع ، فحتم بابه أياماً ، فلم يقبل ، وكان يعاتب ابن سُرَيْج في توليه القضاء .

سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة

قبض القاهر على مؤنس الخادم الذي ولاه وجماعة معه ، فذبخوا وطيف برؤوسهم ، وبعد هذا عظمت هيئته ، ونفى الخمر والمغنين والمخشئين وآلات الطرب ، قيل : وكان يفعلها سراً .

وفيها أبو جعفر أحمد بن محمد^(٢) الطحاوي الحنفي المصري ، اتهمت إليه رئاسة الحنفية بمصر ، وبرع في علوم كثيرة ، قرأ على المزني ، وكان ابن أخته فقال له يوماً : والله لا جاء منك شيء ، فانتقل إلى أبي جعفر بن أبي عمران^(٣) الحنفي ، ففاق أهل عصره . وكان يقول بعد : رحمة الله على أبي إبراهيم — يعني المزني — لو كان حياً لكفر عن يمينه . وصنف كثيراً . ونسبته إلى طحكا قرية بصعيد مصر ، ونسبته إلى الأزدي .

(١) في الأصل وب مهملة ، وفي وفيات الأعيان ٢٨٠/٢ : حيران .

(٢) في ب زيادة : الأزدي ، وهي كذلك في ابن خلكان ٧١/١ ومرآة الجنان ٢٨١/٢ .

(٣) في هامش النسخة ب : « في جامع الأصول : فانتقل إلى أبي جعفر بن عمران » . وما أثبت من ابن خلكان ٧١/١ .

وفيها أبو هاشم الجبائي شيخ المعتزلة وابن شيخهم ، وكان أولاً عامياً •
 وجباً قرية من قرى البصرة ، وقيل : كورة ذات قرى •

وفيها الإمام اللغوي العلامة أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي عن ثمان وتسعين سنة ، صنف عشرة كتب مفيدة منها : كتاب (الجمهرة) وكتاب (غريب القرآن) ولم يكمله • قيل : قام في مقام الخليل بن أحمد ، وكان ينتقل في البلاد للطلب ، وصحب الأمير ابن ميكال ، وقيل : عبد الله بن محمد بن ميكال وأبيه ، وكان يومئذ على عمالة فارس ، وقلده ديوان فارس ، فأفاد منها مالاً جزيلاً ، وكان لا يمسك درهماً سخاءً وكرماً ، ولما ملحهما في مقصورتها وصلاه بعشرة آلاف ، وأول مقصورتها :

أما تـرـيُّ رأسي حاكمي لوئـه [طـرـة صـبـح تحت أذيال الدجى] (١)

وابتلي في آخر عمره بالفالج نحو عامين ، وكان يصيح إذا دخل عليه [داخل • وكان مع هذه الحال] (٢) ثابت الذهن بحيث يرد فيما يسأل عنه رداً صحيحاً ، قال تلميذه أبو علي القالي (٣) : وكنت أقول في تأمله ذلك : عوقب بقوله :
 مارست من لو هوت الأفلاك من جوائب الجو (٤) عليه ما شكنا
 وكان ابن دريد يتمثل :

فواحزني أن لا حياة قريرة " ولا عمل يرضى به الله صالح

وتوفي يوم مات أبو هاشم الجبائي ، فقال الناس : مات اليوم علم اللغة وعلم الكلام •

وأحسن شروح قصيدته المقصورة شرح الفقيه محمد بن أحمد اللخمي السبتي (٥) •

- (١) ما بين المعقوفين شطر ناقص من النسختين ، واستدرك من ابن خلكان ٣٢٤/٤ •
 (٢) ما بين المعقوفين ليست في الأصل ، واستدركت من ابن خلكان ٣٢٦/٤ •
 (٣) في الأصل : العناني ، وهو خطأ ، ينظر ابن خلكان ٣٢٧/٤ •
 (٤) في ب : الدهر . (٥) كذا في ابن خلكان ومراة الجنان ٢٨٤/٢ •

سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة

قبض المماليك على القاهر وسلموا عينيه ، ولم يفعل ذلك بأحد قبله من ملوك الإسلام ، وكانت مدته نحو سنة ونصف وله ست وثلاثون سنة ، كان أثنى قبيح السيرة سفاكاً ، وأقاموا بدلاً منه محمد بن المقتدر ، ولقبوه الراضي •

وفيها اشتهر محمد بن علي الشلغماني ببغداد ، وشلغمان : من أعمال واسط ، وشاع عنه دعوى الإلهية وإحياء الموتى ، وكثر أعوانه (١) ، وهو الذي ذكره القاضي عياض في (الشفاء) ، ولقبه بابن أبي الفراقيد ، وأنه كان على نحو مذهب الحلاج ، وأحضره الراضي ، فأنكر ما نسب إليه ، ثم وجد في بيت صاحبه ابن عون كتاباً يصدق ما نسب إليه ، وبعد ترديد ومواقف أفتى الفقهاء بقتله ، فقتل وأحرق ، وقتل ابن عون وأحرق ، وكان أحد الأدباء ومن رؤوس الكتاب •

ولم يحج أحد في هذه السنة إلى سنة سبع وعشرين وثلاثمائة من أجل القرامطة •

وفيها توفي حافظ الأندلس أحمد بن خالد ، قال القاضي عياض : كان إمام وقته في مذهب مالك ، لا ينازع في الحديث •

وفيها السيد الكبير الشهير أبو الحسن خير النسّاج البغدادي ، صاحب أحوال وكرامات ، وعمر دهرًا طويلاً ، وقيل : إنه لقي السري •

وفيها المهدي عبيد الله والد الخلفاء العبيديين الباطنية المقترى أنه من ولد جعفر الصادق ، وكان قد تغلب [على مملكة] (٢) المغرب بضعاً وعشرين سنة ، ومات بالمهدية التي بناها ، وكان يظهر الرفض ويبطن الزندقة ، وقُتل هو وبنوه من بعده أربعة آلاف رجل في دار البحر التي يُعذب فيها ما بين عالم وزاهد ، ومنهم تولد مذهب الباطنية باليمن والمغرب •

(١) في الأصل وب : أعيانه •

(٢) ما بين المعقوفين نقص من الأصل ، واستدرك من ب •

وفيها توفي الشيخ الكبير العارف العرب أبو بكر محمد الكتاني^(١) شيخ الصوفية بمكة .

والشيخ الكبير العارف بالله تعالى أبو علي الرثوذباري^(٢) نزيل مصر وشيخها في زمنه ، صحب الجنيد ، وشيخه في الحديث إبراهيم الحربي ، وفي الأدب ثعلب .

سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة

جرت فتنة ابن شنبوذ ، وذلك أنه كان يقرئ في المحراب بالشواذ ، فطلبه الوزير ابن مقله ، وأحضر القاضي والقراء وابن مجاهد ، فناظره ، وأغلظ للحاضرين في الخطاب ، ونسبهم إلى الجهل ، فأمر الوزير بضربه ليرجع ، فضرب سبع درر وهو يدعو على الوزير ، ثم توبوه ، وكتبوا عليه محضراً ، وكان مما أفكر عليه : « فامضوا إلى ذكر الله وذروا البيع » « وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً » « ولتكن منكم فئدة يدعون إلى الخير » ونحوه مما روي ولم يتواتر ، وسيأتي تمام ذكره في تاريخ وفاته سنة ثمان وعشرين إن شاء الله .

وفيها فتنه شيخ الحنابلة البرّ بهاري^(٣) ، فودي عليه أن لا يجتمع اثنان من أصحابه ، وحبس منهم جماعة ، واختفى هو .

وفيها توفي الحافظ أبو بشر أحمد بن محمد الكندي المروزي ، كان إماماً في السنة والرد على المستدعة ، لكنه كان يضع الحديث الكذب .

وفيها نَفِطَوِيَه أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي الواسطي ، صاحب التصانيف الحسان ، هجاه بعض الناس بيوتين ، ثانيهما :
أحرقه الله بنصف اسمه وصيره الثاني صراخاً عليه

(١) ينظر طبقات الصوفية ص ٣٧٣ .

(٢) واسمه أحمد بن محمد . طبقات الصوفية ص ٣٥٤ .

(٣) واسمه الحسين بن علي بن خلف ، أبو محمد . ينظر طبقات الحنابلة ١٨/٢ .

وعجز الأول :

فليجتهد أن لا يرى نفظويه

قال الياضي : وصدره :

كرهت ذكره فحذفته (١) .

روى عن سعيد بن أيوب وطبقته .

وفيها الحافظ الجواد الفقيه أبو ثعيم عبد الملك بن محمد الجرجاني ،
سمع علي بن حرب وطبقته ، وكان من أئمة المسلمين ، قال أبو علي النيسابوري :
ما رأيت بخراسان بعد ابن خزيمة مثله ، يحفظ الموقوفات والمراسيل كالمسائيد ،
عاش إحدى وثمانين سنة .

وفيها أبو عبيد المحاملي القاسم بن إسماعيل أخو القاضي حسين .

سنة أربع وعشرين وثلاثمائة

قبض الوزير ابن مقله ، وأحرقت داره ، وضرب ، وعلق ، وأخذ خطه بألف
ألف دينار ، واضطربت الدولة ، وضعف أمر الخلافة ، وبقي الراضي صورة لا غير .

وفيها توفي مقرئ العراق أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس ، عرف بابن
مجاهد ، كان بصيراً بالقراءات علماً ورجالها ، عديم النظر .

وفيها أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد اليرمكي ،
عرف بجحظة ، كان صاحب فنون ونوادير ومنادمة ، مشوّ الخلق ، وفيه قال
ابن الرومي :

يا رحمتاً (٢) لمناديه تحمّلوا ألم العيون للذة الآذان

(١) في الأصل : ونصفه الثاني يبكي عليه . وهو مكسور الوزن والبيتان في وفيات

الأيان ٤٨/١ :

من سرّه أن لا يرى فاسقاً فليجتهد أن لا يرى نفظويه

أحرقه الله بنصف اسمه وصيّر الباقي ضراحاً عليه

(٢) في ب : يا رحمة .

وفيها فقيه الشافعية الحافظ صاحب التصانيف المفيدة عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري ، سمع محمد بن يحيى الذهلي وطبقته • قال الشيخ أبو إسحاق : كان زاهداً يفتي الناس أربعين سنة ، لم ينم الليل ، يصلي الصبح بوضوء العشاء •

سنة سبع وعشرين وثلاثمائة

توفي الحافظ^(١) عبد الرحمن بن الحافظ الجامع محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الرازي ، وهو المعروف بابن أبي حاتم الرازي الحافظ ، توفي بالري وقد قارب السبعين • قال أبو يعلى الحنبلي : أخذ علم أبيه وأبي زرعة ، كان بجرأ في العلوم ومعرفة الرجال ، صنف في الفقه واختلاف الصحابة والتابعين ، وكان زاهداً يعد من الأبدال ، وهو صاحب الجرح والتعديل والعلل المبوب على أبواب الفقه وغيرها • وقال يوماً : من يني ما تهدم من سور طرسوس وأضمن له الجنة ؟ فصرف رجل ألفاً ، وكتب له رقعة بالضمان ، فلما مات الرجل دفنت الرقعة معه ، فرجعت إلى ابن أبي حاتم وعليها مكتوب : قد وفينا عنك ولا تعد •

وفيها محمد بن جعفر الخرائطي مصنف (مكارم الأخلاق ومساوئها) وغير ذلك •

سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة

التقى سيف الدولة بن حمدان والدمستق طاغية الروم فهزمه الله ، وكان الدمستق قبل ذلك قد حاصر ملطية في خمسين ألفاً ، ولما تضرروا صالحوه على الجلاء ، وضرب له خيمتان على أحدهما صليب وقال : من أراد النصرانية فلينظر إلى التي عليها الصليب ، ومن أراد البقاء على دينه فلينحز إلى الأخرى ، فتنصر كثير منهم حين ضمن لهم رداً ما سئب منهم •

(١) في ب زيادة : العلم •

وفيها توفي الشيخ^(١) أبو سعيد الاصطخري شيخ الشافعية بالعراق من نظراء ابن سريج وابن أبي هريرة ، وكان زاهداً ورعاً قانعاً مصنفاً ، تولى حسبة بغداد ، واستنقضاه المقتدر على سجستان ، فوجد معظم أنكحتهم على غير اعتبار الولي ، فأبطلها عن آخرها .

وفيها الفقيه الواظ أحد الأئمة أبو علي الثقفي محمد بن عبد الوهاب النيسابوري ، عاش أربعاً وثمانين سنة . قال ابن سريج : ما جاءنا من خراسان أفقه منه ، وقال الضبي : ما عرفنا الجدل والنظر حتى ورد علينا . وذكره السلمي في طبقات الصوفية .

وفيها توفي المقرئ أبو الحسن محمد بن أحمد بن شنبوذ البغدادي ، أحد أئمة الأدب ، من مشاهير القراء وأعيانهم ، كان ديناً وفيه سلامة صدر وحق ، وقد سبق أن ابن مقلة اعتقله في بيته أياماً ، واستحضر القاضي أبا الحسين عمر بن محمد المقرئ وأبا بكر بن مجاهد ، ودعا هو على ابن مقلة أن تقطع يده ويثنت شمله ، وتوبوه على ألا يقرأ إلا على وفق مذهب عثمان .

وفيها الوزير محمد بن علي بن مقلة الكاتب المشهور ، وزير الخلفاء الثلاثة . ولما استولى ابن رائق وخرج عن طاعة الرازي تألفه وجعل إليه تديبر أمره ، وأمر أن يخطب له ، فأمر أن تقطع يد ابن مقلة ولسانه ، ولما قطعت يده تألم كثيراً وقال : كتبت بها القرآن مرتين تقطع كاللصوص ، وأشد :

إذا ما مات بعضك فابك بعضاً فإن البعض من بعض قريب

وكان يشد القلم على ساعده ويكتب ، وأقام في الحبس على هذه الحالة مدة وليس له من يخدمه ، فكان يستقي الماء بنفسه ، ويقوم حذته بيده ، ثم قطع لسانه بعد ، ومات في الحبس ، ودفن في موضعه ، ثم نبش بعد زمان ، وحمل إلى أهله ، وهو أول من نقل هذه الطريقة من خط الكوفيين إلى هذه الصورة هو وأخوه على خلاف فيه .

(١) في ب زيادة : الإمام .

وأخوه هو الحسن بن علي بن مقلة ، كان كاتباً أديباً بارعاً ، والصحيح أنه صاحب الخط ، ولأبي علي بن مقلة كل معنى مليح في النظم والنثر .

وفيها الإمام العلامة إمام اللغة ، صاحب التصانيف في علوم القرآن وغريب الحديث والمشكل أبو بكر محمد بن الأنباري ، عن سبع وخمسين سنة ، سمع في صغره عن ابن الكلبي^(١) ، وأخذ عن أبيه وثعلب ، وكان يحفظ ثلاثمائة ألف بيت من شواهد القرآن . وروي عنه أنه قال : أحفظ ثلاثة عشر صندوقاً ، وكان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً للقرآن بأسانيدھا . وقيل : إنه أملى غريب الحديث في خمس وأربعين ألف ورقة ، وكان صدوقاً ثقة سنياً ، وكان يملي في ناحية من المسجد وأبوه في ناحية أخرى .

وفيها الأستاذ الولي المزني^(٢) شيخ الصوفية ، صحب الجنيد وسهلاً ، وجاور بمكة ، وله مناقب ومحاسن كثيرة .

والشيخ الكبير العارف بالله أبو محمد المترعش عبد الله بن محمد النيسابوري ، صحب الجنيد وغيره .

وفيها أحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي ، وقرطبة : مدينة كبيرة دار مملكة الأندلس ، وكان ابن عبد ربه من الفضلاء ، وهو أموي بالولاء ، وحوى كتابه (العقد) كل شيء ، وله ديوان شعر جيد .

سنة تسع وعشرين وثلاثمائة

توفي الخليفة الراضي بالله أبو إسحق محمد ، وقيل : أحمد بن المقدر ، واستخلف المنقي ، وهو آخر خليفة له ديوان شعر مدون ، وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش ، وآخر خليفة خطب يوم الجمعة إلا الحاكم العباسي فإنه خطب أيضاً مرتين ، وآخر خليفة جالس الندماء إلا أنه كان مقهوراً مع أمرته ، وكان يجب العلماء والأدباء ،

(١) كذا في مرآة الجنان ٢/٢٩٤ ، وفي الأصل : ابن الكريمي .

(٢) اسمه أبو الحسن علي بن محمد ، ينظر طبقات الصوفية ص ٣٨٢

سمع الحديث من البغوي • وكافت خلافته نحو سبع سنين ، وعمره اثنتان وثلاثون سنة (١) .

ومن الحوادث في زمنه خروج القرمطي سليمان بن الحسن بن بهرام صاحب البحرين ، وهو المعروف بأبي طاهر ، وإسلافه (٢) في الإسلام بما لم يعهد مثله ، وذكر أنه رأى من انقضاء النجوم ليلة وقعت بالهجاج في طريق مكة وقتلهم ما لم يعهد مثله .

سنة ثلاثين وثلاثمائة

حدث الغلاء المفرط ببغداد ، وبلغ الكرم مائتين وعشرة دنانير ، والكرم ستة آلاف رطل بغدادي ، وأكلوا الجيف .

وفيهما أغارت الروم على أعمال حلب ، وسبوا عشرة آلاف نسمة .

وفيهما أقبل أبو الحسين علي بن محمد الزبيدي بجيوشه يريد بغداد ، فالتقاه المتقي وابن رائق فهزمهما ، ودخلت طائفة من الديلم دار الخلافة ، وأسرفوا قتلاً ونهباً ، وفر المتقي وابن رائق إلى الموصل ، فاشتد الغلاء ، فبلغ الكرم ثلاثمائة وستة عشر ديناراً ، وما عهد هذا بالعراق قط ، ثم زادت دجلة فبلغت زيادتها نحو عشرين ذراعاً ، وغرق خلق كثير .

ثم أقبل ناصر الدولة فعاد وهما معه ، وفر الزبيدي عن بغداد وقد استولى عليها نحو أربعة أشهر ، ثم عاد الزبيدي ثانياً فالتقاه سيف الدولة ، فكشفه الزبيدي ، ثم عاد فهزمه سيف الدولة ، وقتل جماعة من أمراء الديلم وأسرى آخرون ، وعاد الزبيدي إلى واسط بأسوأ حال ، وساق وراءه سيف الدولة ففر إلى البصرة (٣) .

(١) في مرآة الجنان ٢/٢٩٦ : إحدى وثلاثون سنة .

(٢) في ب : وإسرافه .

(٣) في الأصل : وألحقه سيف الدولة معز الدولة إلى البصرة ، وما أثبت من

مرآة الجنان ٢/٢٩٧

وفيها توفي الإمام الشهير أبو بكر الصيرفي الشافعي المصنف في الشروط ما لم يسبق إليه .

وفيها الشيخ الكبير الشهير أبو يعقوب النهْرَجُوري الصوفي ، صاحب الجنيّد ، وجاور بمكة (١) .

وفيها الإمام الكبير القاضي أبو علي عبد الله المجاملي (٢) ، عاش سبعاً وخمسين سنة ، وكان يحضر مجلسه عشرة آلاف رجل .

والحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الملك القرطبي ، ألف كتاباً على سنن أبي داود ، وكان عارفاً بمذهب مالك .

والحافظ أبو عبد الله محمد بن يوسف الهروي ، من أعيان الشافعيين والراخلين في الطلب ، عاش مائة سنة .

وفيها وقيل : بعدها أو قبلها توفي ببغداد الشيخ الإمام إمام أهل السنة والجماعة في العقائد أبو الحسن الأشعري علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ؛ نسبة إلى جده الأشعر ، وهو نبت بن أدد بن يشجب بن يعرب ، قيل له : أشعر لأن أمه ولدته بشعره على جلة بدنه .

وقد صنف جماعة في ترجمة الشيخ أبي الحسن مصنفات ، منهم حافظ الشام ابن عساكر ، واختصره الشيخ اليافعي في نحو ربعة ، وسماه (الشاش المعلم) ، ونصفه اختصار الفقيه حسين الأهدل ، وسماه (تحصيل المرام في تراجم علماء الإسلام) يعني الأشعرية ذوي العقائد المرضية .

وبلغت مصنفات الأشعري نيفاً وثلاثمائة وثمانين مصنفاً ، كل مصنف يشتمل على مجلدات كثيرة ، وردّ على جميع أهل الملل والنحل المخالفين لدين الإسلام ،

(١) في الأصل : مدة .

(٢) في مرآة الجنان ٢/٢٩٧ : أبو عبد الله ، الحسين بن إسماعيل الضبي .

وأبطل شرفهم من القرآن بواضح البرهان ، و انتهى تفسيره إلى سورة الكهف وهو مائة مجلد ، وكفاه منقبة أن علماء السنة المشاركين في أصول الدين يُنسَبون إليه من سائر المذاهب ، ولم يكن أول متكلم بلسان السنة إنما يجري على سيرة غيره ، لكنه ظهر بعد عموم فتنة المعتزلة في أيام المأمون والمعتمد ، ورغب أهل السنة عن مجادلتهم ومحاضرتهم كالإمام أحمد والحاتر المحاسبي وعبد الله بن كلاب ، وقد صنّفوا الكتب في الرد عليهم دون مناظرة ، وناظرهم عبد العزيز المكي فأفحمهم ، فقام الشيخ أبو الحسن في ذلك مقاماً لم يسبق إليه تصنيفاً ومناظرة ، وأمدّه الله بمواد التوفيق ، وأجبل الجبائي وسكّته وبكّته وقد كان ظهرت سفاسته ، ونهي عن المجيء إليهم وغشيانهم فقال : إذا كانوا لرياستهم لا يجيئون إلي وامتنت من المسير إليهم كيف يظهر الحق ويعلمون أن للسنة فاصراً •

وأهل السنة من الشافعية والمالكية على مذهبه ، وقد عدّ ابن عساكر من علماء السلف نحو ثمانين وتممهم الياضي مائة • ومن نصر مذهبه وحققه أبو بكر الباقلاني • قال ابن عساكر : فيكفيه فضلاً شهود هؤلاء الأئمة ، ولا يضره قدح قاذح بمجرد التهمة ؛ فلا مرية أن طريقته ومذهبه طريقة أهل السنة والجماعة ، جمع بين المعقول والمنقول ، وجاب مذهبه الحشوية الواقفين على ظواهر المنقول وإن كان مستحيلاً في العقول ، وبعكسهم المبتدعة القائلين بالمعقول دون المنقول ، فتوسط رحمه الله بين الطريقتين المذمومتين سالكاً للمنهج الأوسط المحمود •

وقد عدّ علماء السلف المجددون للدين فكان على رأس المائة الأولى عمر بن عبد العزيز ، وعلى رأس الثانية الشافعي ، وعلى رأس الثالثة أبو الحسن الأشعري ، وعلى رأس الرابعة أبو بكر الباقلاني ^(١) ، وعلى رأس الخامسة الغزالي ، وعلى رأس السادسة — على خلاف — فخر الدين الرازي ، والسابعة ابن دقيق العيد ، والثامنة البلقيني •

وقال الفقيه حسين : ورأيت لبعض المتأخرين ظمناً بمجدد التاسعة المهدي الفاطمي ، والله أعلم •

(١) في الأصل : أبو الطيب ، وهو خطأ ، ينظر مرآة الجنان ٢/٣٠٣

سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة

فكّلت ناصر الدولة بن حمدان رواتب المتقي ، وأخذ ضياعه ، وصادر العمال ، وكرهه الناس ، وزوج ابنته بابن المتقي على مائتي دينار .

وهاجت الأمراء بواسطة على سيف الدولة ، فهرب ، وسار أخوه ناصر الدولة إلى الموصل ، فنهبت داره ، وخرج خلق كثير إلى مصر والشام من تتابع الفتن .

وفيها الشيخ الصالح محمد بن إسماعيل الفرغاني الصوفي، كان من العابدين، وله بزة حسنة ، وله مفتاح منقوش إذا صلى وضعه بين يديه ؛ يوهم الناس أنه تاجر، وليس له بيت إلا المسجد، ويجوع أياماً .

وفيها الشيخ الجليل أبو محمد عبد الله بن محمد بن منازل النيسابوري^(١)، المجرد على الصدق والتحقيق ، صحب حَمْدُونَ الْقَصَّارَ ، وحدث بالمسند الصحيح عن أحمد بن سلمة النيسابوري ، وله كلام رفيع في الإخلاص والتصوف .

وفيها الشيخ الكبير الصالح أبو الحسن علي بن محمد بن سهل الدينوري، صاحب أحوال ومواعظ، ومن قوله : من أيقن أنه لغيره فماله أن يبخل على نفسه^(٢) .

سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة

مات القرمطي أبو طاهر ببلاد هجر بجدري عظم به ، وأراح الله منه عباده وبلادهم ، وقام بعده أبو القاسم القرمطي .

(١) في ب : محمد بن عبد الله بن محمد بن منازل النيسابوري ، وهو خطأ ، ينظر طبقات الصوفية ص ٢٦٦ وفيها أنه توفي سنة ٣٢٩ هـ ، وهو في الأصل أبو محمود ، وكذلك في مرآة الجنان ٣١٠/٢

(٢) في الأصل عبارة مضطربة جرى تصويبها من مرآة الجنان ٣١٠/٢

وفيها كاتب المتقي بني حمدان ، ليحكم توزون التركي على بغداد ، وجرت حروب ومصاف بين المتقي وبني حمدان وتوزون ، ثم صالح توزون بني حمدان •

وفيها الحافظ^(١) أبو العباس أحمد بن محمد الشيعي الكوفي ، أحد أركان الحديث ، وأحفظ أهل زمانه بالاتفاق ، وبلغت كنبه ستمائة جمل • وروي أنه قال : أحفظ أربعمائة ألف^(٢) . حديث من حديث أهل البيت ، ومع ذلك فقد ضَعُف واتهم بوضع الأحاديث لتشييعه •

سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة

حلف توزون للمتقي أيماناً مؤكدة ، فسار من الرقة واثقاً بأيمانه ، فتلقاه توزون ، وقبّل الأرض بين يديه ، ثم غدر توزون ، فقبض على الوزير ابن مقلة ، وكحل المتقي ، ودخل به بغداد مكحولاً مغلوعاً ، وبويع عبد الله بن المكتفي ولقب بالمستكفي بالله ، فلم يحل الحول على توزون •

وفيها تملك سيف الدولة بن حمدان حلب وأعمالها ، وهرب متوليها إلى مصر ، فجهز الإخشيد ومعناه بلسان الترك ملك الملوك جيشاً ، فالتقاهم سيف الدولة ، ودخل الإخشيد حلب •

وأصاب بغداد قحط لم ير مثله ، وضع الخلق ، وكان النساء يخرجن عشرين عشرين أو عشرًا عشرًا متماسكات يصحن الجوع حتى يمتن •

وفيها توفي أبو علي اللؤلؤي^(٣) راوي سنن أبي داود •

(١) في الأصل زيادة : ابن عقدة ، وهو خلط ، فابن عقدة غيره ، ينظر مرآة الجنان ٣١١/٢ .

(٢) كذا في ب ، وفي الأصل : أربعمائة ألف ألف ، وفي ذلك مبالغة ظاهرة .

(٣) واسمه : محمد بن أحمد البصري ، ينظر مرآة الجنان ٣١٢/٢ .

سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة

دثرت بغداد وتداعت إلى الخراب للقيح والفتن والجور .

واصطلح سيف الدولة والإخشيد، وصاهره، وتقرر لسيف الدولة حلب وحمص وأنطاكية . وقصد معز الدولة بغداد وكان متشيعاً ، فاخفى الخليفة ، وتسلمت الأتراك إلى الموصل ، وأقامت الديلم ببغداد ، ونزل معز الدولة الشمامسة ، وقدم له الخليفة التحف والطرف ، ثم دخل إلى خدمة الخليفة ، فلما تمكن كحل الخليفة المستكفي بالله ، وخلعه ، ونهبت دار الخلافة ، وقبض على القهرمانه التي كانت تأمر وتنتهى ، وعلى خواص الخليفة . وكانت خلافته سنة وأربعة أشهر ، وصار ثلاثة خلفاء مكحولين : هذا والذي قبله والقاهر .

واستوثق الأمر لمعز الدولة وإخوته عماد الدولة ، وركن الدولة ، وضربت لهم السكة . ثم أحضر معز الدولة أبا القاسم الفضل بن المقتدر ، ولقبه المطيع لله ، ورسم له كل يوم مائة دينار نفقة ، وانحطت رتبة الخلافة إلى هذه الغاية . واشتد الغلاء ببغداد في هذا العام حتى أكلوا الميتات والآدميين ، وبيع العقار بالرغيفين ، وأكل المطيع كرزاً دقيق بعشرة آلاف درهم .

وفيهما توفي الإخشيد محمد بن طغج - ملك مصر والشام ودمشق والحجاز وغيرها - التركي الفرغاني ، صاحب سرير الذهب . والإخشيد : لقب لكل من ملك فرغانة ، وكان الإخشيد ابن ملكها ، وولاه خلفاء العباسيين مصر حتى عظم شأنه وتغلب ، وكان حازماً حسن التدبير ، شديد القوى . توفي بدمشق ، وحمل تابوته إلى بيت المقدس ، وهو أستاذ كافور الإخشيدي وفاتك المجنون .

وأقام الجند كافوراً أبا الفوارس أحمد بن علي الإخشيدي ، وجعل على تدبير أموره الحسن بن عبيد الله ، وهو ابن عم أبيه ، وفيه يقول المتنبي :

والإفخائسني القوافي وعاقبي عن ابن عبيد الله ضعف العزائم

وانقراض دولة الإخشيدية سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة .

وفيها الوزير العدل علي بن عيسى بن داود بن الجراح البغدادي الكاتب ،
وزر للمقتدر ، ثم للقاهر ، وكان محدثاً عالماً دِيناً عالي الإسناد ، قيل : كان في الوزراء
كعمر بن عبد العزيز في الخلفاء • أتفق في وجوه البر ستمائة ألف وثمانين ألف دينار •
وآخر من روى عنه ابنه عيسى •

وذكر له اليافعي في (روض الرياحين) قصتين تدلان على فضله ، وقد استعفى
من الوزارة وجاور بمكة ، رحمه الله تعالى •

وفيها القائم بأمر الله زرار بن المهدي الداعي الباطني صاحب المغرب ، في أيامه
خرج أبو يزيد مغلد بن الكندار^(١) الخارجي ، وجرت له قصص يطول شرحها ،
ومات في المهديّة^(٢) •

وفيها مات الشيخ الكبير العارف بالله الشهير أبو بكر الشبلي دُلف بن
جَحْدَر ، اشتغل [في أول أمره]^(٣) بالفقه حتى برع في مذهب مالك ، ثم صحب
الجنيد وغيره ، وكان فسيحاً وحده حالاً وتعظيماً للشرع ، وكان أبوه من حجاب
الدولة ، وكان الشبلي صاحب غيبات وإشارات •

روي عنه قال : رأيت مجنوناً بالرصافة ، فقلت له : ألا تصلي ؟ فأشد :

يقولون زُرُّنا واقضِ واجبَ حقنا وقد أسقطتْ حالي حقوقهم عني
إذا هم رأوا حالي فلم يأنفوا لها ولم يأنفوا منها أنفت لهم مني

سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة

تملك سيف الدولة دمشق بعد موت الإخشيد ، فجاءته جيوش مصر ، فدفعته
إلى الرقة • واصطلح مع الدولة بن بُوَيْيْه وناصر الدولة بن حمدان •

(١) كذا في الأصل ومرآة الجنان ، وفي ب : كندر •

(٢) في الأصل : بالمدينة ، وهو خطأ •

(٣) في الأصل : اشتغل أمره ، وهي عبارة ناقصة جرى إتمامها من مرآة

الجنان ٣١٧/٢

وفيها توفي الإمام أبو العباس بن القاضي الطبري الشافعي ، تفقه بآبَن شَرِيح
وله مصنفات مشهورة •

وفيها وقيل : في التي بعدها توفي الإمام العلامة الأخباري الأديب المصنف
محمد بن يحيى البغدادي الصولي الشطرنجي • روى عن أبي داود وثعلب والمبرد
وغيرهما ، وروى عنه الدارقطني وغيره • وكان حسن الاعتقاد ، جميل الطريقة ،
يضرب به المثل في لعب الشطرنج ، ويعتقد كثيرون أنه الذي وضعه ، وإنما وضعه
صصه بن داهر الهندي لشهرام^(١) ، واسمه بكنهيت ، كما وضع لأردشير
النرد ، وكان الشطرنج أشرف لأنه ليس لعباً محضاً ، بل جعله مثلاً للدنيا وأهلها ؛
فرتب الرقعة اثني عشر بيتاً بعدد الشهور للسنة ، والقطع ثلاثين بعدد أيام الشهر ،
والفصوص مثل القدر في قلبه بأهله ، وبعد أن أتم وضعها أمر الملك أن تجعل في
بيوت الديانة ، ورآها أفضل ما وضع لآلة الحرب وعز الدين والدنيا وأساس العدل •
وكان قد تحدث له على مال جزيل ، فاقترح عليه في أول بيت حبة حنطة ، ويضعف
عدد كل بيت منها حتى ينتهي إلى آخرها ، فقال : ما تريد الإلهذا ؟ قال : نعم ،
فأجابه ، فقال لأرباب الديوان : احسبوه ، فقالوا : ما يطيق أحد ذلك ؛ فطالبهم الملك
فأظهروه ، فقال له : اقترحك أعظم من وضعك الشطرنج •

وذكر ابن خلكان وجه التضعيف : « •• ولم يزل يضاعفها حتى انتهت^(٢) في
بيت الأربعين إلى مائة ألف إردب وأربعة وسبعين ألف إردب وستمائة واثنين وستين
إردباً وثلاثين إردباً » وقال : « تجعل هذه الجملة في شوفة ، فإن الشونة لا يكون
فيها أكثر من هذا ، ثم ضاعف المدن إلى البيت الرابع والستين وهو آخر أبيات رقعة
الشطرنج إلى ستة عشر ألف مدينة وثلاثمائة وأربع وثمانين مدينة » وقال : « نعلم
أن الدنيا ليس فيها مدن أكثر من هذا العدد ؛ فإن دور كرة الأرض معلوم بطريق
الهندسة وهو ثمانية آلاف فرسخ ، بحيث لو وضعنا طرف الجبل على أي موضع

(١) كذا في وفيات الأعيان ، أما في الأصل ومرآة الجنان ٢/٣٢٠ فهو شيرام •

(٢) في الأصل عبارة ناقصة جرى ترميمها من مرآة الجنان ٢/٣٢١

كان من الأرض ، وأدرفا الجبل على كرة الأرض حتى اتتهينا بطرفه الآخر إلى ذلك
الموضع من الأرض ، والتقى طرفا الجبل ، فإذا مسحنا ذلك الجبل كان أربعة وعشرين
ألف ميل وهي ثمانية آلاف فرسخ ، وذلك قطعي لا شك فيه » •

وقد أراد المأمون أن يقف على حقيقة ذلك ؛ فسأل بني موسى بن شاكر ، وكانوا
قد انفردوا بعلم الهندسة ، فقالوا : نعم ، هذا قطعي ، فسألهم عن حقيقة معانيه ،
فسألوا عن صحراء مستوية ، فقالوا : صحراء سنجار ووطاة الكوفة ، فخرجوا إليها
فوقفوا في موضع ، وأخذوا ارتفاع القطب الشمالي ببعض [الآلات] ، وضربوا في
ذلك الموضع وتداً ، وربطوا فيه جبلاً طويلاً ، ثم مشوا إلى الجهة الشمالية على
الاستواء من غير انحراف إلى يمين ولا شمال بحسب الإمكان ، فلما فرغ الجبل
نصبوا وتداً آخر وربطوا فيه جبلاً آخر ، ومشوا لجهة الشمال حتى انتهوا إلى
موضع أخذوا فيه ارتفاع القطب المذكور ، فوجدوه قد زاد عن ارتفاع الأول درجة ،
فمسحوا ذلك القدر الذي قدره من الأرض بالجبال فبلغ ستة وستين ميلاً
وثلاثين ميل •

وجميع الفلك ثلاثمائة وستون درجة ، لأن الفلك مقسوم باثني عشر برجاً ،
وكل برج ثلاثون درجة ، فضربوا عدد درج الفلك الثلاثمائة والستين في ستة وستين
ميلاً وثلاثين التي هي حصة كل درجة ؛ فكانت الجملة أربعة وعشرين ألف ميل ، وهي
ثمانية آلاف فرسخ •

قال : فعلى هذا يكون دور كرة الأرض مسيرة ألف مرحلة ، وذلك مسيرة ثلاث
سنين إلا ثمانين يوماً بسير النهار دون الليل ، لأن المرحلة ثمانية فراسخ ، والفرسخ
ثلاثة أميال ، وهذا يناهني ما اشتهر أن الأرض خمسمائة عام مع أن طول الشيء أقل
من دوره ومساحته ، ويعلم من ذلك أيضاً أن في كل ثلاث مراحل إلا خمسة أميال
وثلاث في السير إلى جهة الشمال يرتفع القطب درجة ، ويكون عرض البلد الذي
اتتهى إليها زائداً درجة على عرض الأرض التي ابتداءً بالسير منها بثلاث المراحل
المذكورة إذ كانت المرحلة أربعة وعشرين ميلاً كما قدروها في مسافة القصر الشرعية •

ومما يدل على هذا أن عرض المدينة المشرفة يزيد على عرض مكة العظيمة ثلاث درج ، والله أعلم •

والمعمور من الأرض قدر ربع الكرة تقريباً ، والله أعلم •

توفي الصولي بالبصرة مستتراً ، لأنه يروي خبراً في حق علي رضي الله عنه ، فطلبه الخاصة والعامة ، فلم يقدروا عليه ، وكان قد خرج من بغداد لضائقة لحقته •

وفيها توفي الحافظ أبو سعيد الشاشي ، صاحب المسند ، محدث ما وراء النهر •

سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة

غرقت بغداد بزيادة دجلة ، وهلك خلق كثير •

وقوي معز الدولة بن بويه على صاحب الموصل ابن حمدان ، وفر منه إلى نصيبين ، ثم صالحه على ثمانية آلاف ألف في السنة •

وخرجت الروم ، وهرب سيف الدولة من مرعش^(١) ، وهي بالمعجمتين •

وتوفي الشيخ العارف بالله تعالى إبراهيم بن سفيان^(٢) القرمسيني • ومن كلامه :
علم الفناء والبقاء يدور على [إخلاص]^(٣) الوجدانية وصحة العبودية ، وما سواها فهو المغالط والزندقة •

سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة

توفي المستكفي بن المكتفي بن المعتضد •

وعماد الدولة [علي]^(٣) بن بثويته الديلمي ، وكان أبوه صياد السمك • وملك عماد الدولة وإخوته العراقيين والأهواز وفارس وغيرها •

(١) في القاموس المحيط : مرعش كمقعد : بلد بالشام قرب أنطاكية .

(٢) في مرآة الجنان ٣٢٥/٢ : أبو إسحق شيبان القرمسيني .

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من ب .

ومما اتفق لعماد الدولة أنه رأى حية في سقف فأمر بالبحث عنها ، فوجدوا فوق السقف سقفاً [آخر]^(١) لغرفة فيها عشرة صناديق ، فيها قدر خمسمائة ألف دينار .

وسأل مرة عن خياط يخيظ له ثياباً ، فأُتِيَ بخياط أصم ، فوقع للخياط أنه سعي به إليه ، فقال له على البديهة : والله ما عندي إلا عشرة صناديق ما أدري ما فيها ، فوجه معه من حملها ، فوجد فيها أموالاً عظيمة .

وفيها أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد النحوي المصري ، عاصر ابن الأعرابي ونفظويه ، وله تصانيف عديدة نحو بضعة عشر مصنفاً ، منها (شرح السبع المعلقة) .

والإمام الحافظ علي بن حمّشاذ - بكسر الحاء - النيسابوري ، صاحب المسند والتفسير ، مات فجأةً في حمام ، قال أحمد بن إسحق الضبيعي : صحبته في الحضرة والسفر فما علمت له خطيئة واحدة .

سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة

دخل سيف الدولة بن حمدان بلاد الروم في ثلاثين ألفاً ، فافتتح حصوناً ، وسبى وغنم ، فأخذ الروم عليه الدروب ، واستولوا على عسكره قتلاً وأسراً ، ونجا في عدد قليل .

وفيها أعادت القرامطة الحجر الأسود إلى مكانه ، وكان قد بذل لهم فيه مال كثير نحو خمسين ألفاً فأبوا .

ومات الحافظ الواعظ أحمد بن محمد الطوسي ، خرّج صحيحاً على وضع مسلم .

والحافظ الكبير محمد بن عبد الله الأصبهاني^(٢) ، وكان مجاب الدعوة ، قيل : لم يرفع رأسه إلى السماء نيفاً وأربعين سنة .

(١) ما بين المعقوفين زيادة من ب .

(٢) في الأصل : أحمد بن محمد ، ينظر مرآة الجنان ٢/٣٢٨

ومات أبو نصر أحمد بن محمد التركي الفارابي ، الحكيم المشهور ، صاحب التصانيف في المنطق والموسيقا وعدة علوم ، قيل : هو أكبر فلاسفة المسلمين ، لم يكن فيهم من بلغ رتبته ، وتخرج به أبو علي بن سينا^(١) ، وكان أبو نصر يعرف نحو سبعين لغة ، وتقلت به الأسفار إلى بغداد ، وبها أبو بشر متى بن يونس الحكيم ، وكان كبيراً يعلم الناس المنطق ويجمع عليه الخلق ، وكان يقرئ^(٢) كتاب أرسطاطاليس ، فكتب عنه في شرحه سبعين سفرأ ، ولم يكن في وقته مثله ، قال بعضهم : لم يكن في هذا الفن أبصر من الفارابي . وسئل من أعلم أنت أم أرسطاطاليس ؟ فقال : لو أدركته لكنت أكبر تلامذته .

وتكلم مع سيف الدولة وحاضريه بما أصمتهم في كل فن ، ثم أسمعهم في آلات الملاهي ما أتخفهم ، ثم أخرج من وسطه خريطة ، وأخرج منها أعواداً وركبها وضرب فيها ؛ فضحك كل من في المجلس ، ثم ركبها تركيباً آخر ؛ فبكى كل حاضر ، ثم ركبها تركيباً آخر وضرب فيها ؛ فنام الكل ، وخرج وهم نيام .

ويقال : إن آلة القافون من وضعه ، وكان معتزلاً عن الناس لم يزد سيف الدولة على أربعة دراهم لقناعته .

قال الفقيه حسين : هؤلاء الثلاثة متهمون في دينهم ، يعني الفارابي والكندي وابن سينا ، فلا تغتر بالسكوت عنهم .

سنة أربعين وثلاثمائة

أوغل سيف الدولة في بلاد الروم ، فغنم وسبى كثيراً ، وعاد سالمأ .

وفيها الزجاجي أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحق النهاوندي ، صاحب (الجمل) وغيره ، انتفع به الناس وبكتابه (الجمل) . وقيل : إنه جاور بمكة مدةً وصنفه ، وكان إذا فرغ من الباب طاف أسبوعاً ، ودعا الله بالمغفرة وأن ينفع الله بكتابه

(١) في الأصل : وتخرج بأبي علي بن سينا ، وما أثبت من مرآة الجنان ٢/٣٢٨

(٢) في الأصل : يحقق ، وما أثبت من المرآة .

قارئه • قال بعض المغاربة : لكتابه عندنا مائة وعشرون شرحاً • قال الياضي : عظم النفع به في النحو وبكافي الصوفي في الفرائض • توفي الزجاجي بطبرية ، وقيل : بدمشق •

سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة

ظهر رجل وامرأة من المتناسخة ، يزعم الرجل أن روح عليّ انتقلت إليه ، وتزعم المرأة أن روح فاطمة انتقلت إليها ، وآخر يدعي أنه جبريل ؛ فضربهم الوزير المهلبى وجسهم ، فأطلقهم بعض الولاة من الشيعة •

سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة

توفي النارشي^(١) الأصغر علي بن عبد الله بن وصيف الشاعر ، كان متكلماً شيعياً ، وله تصانيف عديدة ، وكان المتنبي وهو صغير يحضر مجلسه بالكوفة ويكتب من إملائه^(٢) •

سنة أربع وأربعين وثلاثمائة

توفي الإمام العلامة أبو بكر محمد بن أحمد^(٣) ، عرف بابن الحداد ، شيخ الشافعية • ولد يوم وفاة المزني ، أخذ الفقه عن أبي إسحق المروزي ، وسمع النسائي^(٤) ، وكان يصوم صوم داود ، ويختم في اليوم والليلة • وكتابه في الفقه صغير الحجم كبير الفائدة ، شرحه جماعة من الأئمة كالقفال المروزي ، والقاضي أبي الطيب الطبري ، والشيخ أبي علي السجزي^(٥) وشرحه أحسن شروحه • تولى ابن الحداد القضاء بمصر والتدريس والفتاوى ، ومات وله نحو ثمانين سنة •

(١) في الأصل : الناشي ، وما اثبت من مرآة الجنان ٢/٣٣٥

(٢) كذا في ب ، وفي الأصل : ويكتب من إملائه في قصيدة له •

(٣) في الأصل : محمد بن محمد •

(٤) في الأصل : الكسائي • (٥) في الأصل : السبخي •

وفيها أبو النضر محمد بن محمد الطوسي الشافعي، مفتي خراسان ومحدثها، صنف كتاباً على وضع مسلم، وكان يجعل ثلث ليله للتصنيف، وثلثاً للتلاوة والصلاة، وثلثاً للنوم، وكان يتصدق بما فضل عن قوته •

والمحدث أبو عبد الله محمد بن يعقوب الشيباني، محدث نيسابور، صنف (المسند الكبير)، وله مصنف على الصحيحين، ولم يرحل عن بلده •

سنة خمس وأربعين وثلاثمائة

غلبت الروم على طرسوس، وقتلوا وسبوا، وأحرقوا قراها •

ومات الفقيه الإمام شيخ الشافعية في وقته أبو علي الحسن بن الحسين بن أبي هريرة، أخذ عن ابن سريج والروزي، وتخرج به خلق، وكان معظماً عند السلاطين وغيرهم •

وفيها الحافظ الزاهد العلامة أبو الحسن القزويني القطان، سرد الصوم ثلاثين سنة، وكان يفطر على الخبز والملح، ورحل إلى اليمن والعراق •

وفيها المطرز^(١) صاحب ثعلب أبو عمر محمد بن عبد الواحد البغدادي • قيل: إنه صنف ثلاثين [ألف]^(٢) ورقة في اللغة من حفظه، استدرك على فصيح شيخه ثعلب جزءاً لطيفاً، ومصنفاته تزيد على العشرين، وكان لسعة حفظه يكذبه أدياء وقته، ووثقه المحدثون في الرواية • قيل: لم يتكلم في اللغة أحسن من كلام أبي عمر الزاهد [يعني المطرز]^(٣)، وتصانيفه أكثر ما يملها من حفظه من غير مراجعة الكتب •

وفيها الوزير محمد بن علي البغدادي الكاتب، وكان من الصلحاء • قيل: إنه أعتق في عمره ألف رقبة^(٤)، وأفق في حجته مائة ألف دينار •

(١) في الأصل: المطرف • (٢) زيادة من مرآة الجنان ٣٣٧/٢

(٣) زيادة من مرآة الجنان ٣٣٩/٢

(٤) في الأصل: مائتا ألف، وما أثبت من مرآة الجنان ٣٣٩/٢

وفيها صاحب التاريخ ، وهو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ، رحل وطوف في البلاد ، وحقق من التاريخ ما لم يحققه غيره ، وصنف في أصول الدين وغيرها من الفنون ، وقد ذكرها في صدر (مروج الذهب) .

سنة ست وأربعين وثلاثمائة

قل المطر ، وتقص البحر نحواً من ثمانين ذراعاً ، وظهر فيه جبال وجزائر . وكان بالري زلازل عظيمة ، وخسف ببلاد الطائقان ، ولم يفلت من أهلها إلا نحو من ثلاثين^(١) رجلاً ، وخسف بخمسين ومائة قرية من قرى الري فيما قيل ، وارتفعت قرية في الجوبن فيها نصف يوم ، ثم خسف بهم .

وفيها الحافظ الكبير أبو يعلى عبد المؤمن بن خلف النسفي ، رحل وطوف ، ودخل اليمن ، وأخذ عن أبي حاتم الرازي وطبقته ، وكان فيه زهد وتعبد .

وفيها أبو العباس المحجوبي محمد بن محبوب ، محدث مرو وشيخها .

وفيها رئيس الأندلس وهب بن ميسرة المالكي التميمي ، حقق الفقه مع الزهد والورع .

سنة سبع وأربعين وثلاثمائة

فتكت الروم ببلاد الإسلام ، وقتلوا خلائق ، وأخذوا عدة حصون .

وفيها سار معز الدولة واستولى على إقليم الجزيرة ، وفر منها صاحبها ناصر الدولة ، وجرت أمور طويلة ، ثم إن سيف الدولة أرسل إلى معز الدولة واستعطفه ، فعقد له على الموصل .

وفيها الحافظ البارع عبد الرحمن [بن أحمد] بن يونس بن عبد الأعلى حفيد يونس صاحب الشافعي ، صنف تاريخ المصريين الجامع ، وصنف تاريخاً في الغرباء الطارئين .

(١) في ب : ثمانون .

سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة

عمل الخطيب عبد الرحيم^(١) بن نباتة خطبة التحريض على الجهاد ، وكان الروم قد ظفروا بسرية محمد بن ناصر الدولة بن حمدان ، وأسروها معه ، وعاثوا في البلاد .

وفيها الفقيه الحافظ صاحب التصانيف شيخ الحنابلة النجاد أحمد بن سليمان ، وكان له حلقة للفتوى ، وحلقة للإملاء ، وكان يفطر كل ليلة على رغيف ، ويأكل منه لقمة واحدة ، وإذا كان ليلة الجمعة أكل تلك اللقمة وتصدق بالرغيف ، وصيامه سرمدى .

وفيها الشيخ الكبير أبو محمد جعفر [بن محمد] بن نصر شيخ الصوفية ، وكان إليه المرجع في علوم القوم وتصانيفهم ، قرأ على [علي بن] عبد العزيز وغيره ، حج نيفاً وخمسين حجة ، وعاش خمساً وتسعين سنة .

سنة تسع وأربعين وثلاثمائة

أوقع بالروم غلام سيف الدولة ، وغنم وسبى كثيراً .

وفيها وقعت فتنة هائلة ببغداد بين أهل السنة والرافضة ، وقويت الرافضة ببني هاشم ومعز الدولة ، وعطلت الصلوات في الجوامع ، ثم رأى معز الدولة المصلحة في قبض جماعة من الهاشميين ، فقبض عليهم ، وسكنت الفتنة .

وفيها أسلم من الترك عدد كثير .

وفيها الفقيه العلامة أبو الوليد حسان بن محمد القرشي الأموي النيسابوري ، شيخ الشافعية بخراسان ، صنف كتاباً على صحيح مسلم ، وكان عالماً زاهداً .

(١) في الاصل : عبد الرحمن ، وهو خطأ ، ينظر ابن خلكان ١٥٨/٣

سنة خمسين وثلاثمائة

توفي أبو شجاع فاتك المجنون الرومي ، أخذ من بلاد الروم صغيراً هو وأخته ، وتعلم الخط بفلسطين ، أخذه الإخشيد من سيده كرهاً بغير ثمن فأعتقه ، وكان عندهم من جملة المماليك ، وكان كريماً بعيد الهمة مقداماً ، ولذلك لقب بالمجنون ، وكان رفيق كافور في خدمة الإخشيد ، وكان كافور يكرمه خوفاً منه ، واجتمع به المنتبي في بعض الطرقات ، فجرى بينهما مفاوضات ، فلما رجع فاتك إلى بيته حمل إلى المنتبي هدية بألف دينار ، ومدحه المنتبي بقصيدته :

لا خيلَ عندك تهديها ولا مالٌ

[فليسعد النطق إن لم تسعد الحال]^(١)

وفيهما الفقيه الإمام أبو الحسن علي^(٢) بن قاسم الطبري ، نسبةً إلى طبرستان ، والنسبة إلى طبرية : طبراني .

وفيهما خليفة الأندلس ، أول من لقب أمير المؤمنين بها الناصر لدين الله الأموي ، وكانت دولته خمسين سنة ، وقام بعده ولده المنتصر^(٣) .

سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة

نزل طاغية الروم عين زُرْبَة ، فأخذها وأحرقها ، وقتل خلقاً لا يحصون ، وحاصر حلب حتى أخذها ، ولم ينج من أهلها إلا من صعد القلعة .

ورفعت المنافقون رؤوسها ببغداد ، وقامت شوكة الراضية ، وكتبوا على أبواب المساجد بلعن معاوية ، ومن منع فاطمة حقها ، ولعن من نفى أبا ذرٍّ ، فمجاه أهل

(١) هذا الشطر نقص من الأصل و ب .

(٢) في مرآة الجنان ٣٤٥/٢ : أبو علي الحسن .

(٣) كذا في الأصل و ب وإحدى نسخ الكامل لابن الأثير (ينظر حاشية ٥٣٦/٨) ، وفي مرآة الجنان ٣٤٥/٢ ومتن الكامل : المستنصر بالله .

السنة بالليل ، فأمر معز الدولة بإعادته ؛ فأشار عليه الوزير المهلبى أن يكتب : ألا لعنة الله على الظالمين لآل محمد ولعن معاوية فقط .

وفيها دعلج أبو محمد السجزي ، أخذ عن ابن خزيمة مصنفاًه ، وكان يفتي^(١) بمذهبه ، وأيسر حتى كان الذهب في بيته كالقفاف ، واشترى بمكة دار العباس بثلاثين ألف دينار . قال الدارقطني : ما رأيت في مشايخنا أثبت منه .

وفيها أبو بكر النقاش محمد بن الحسن الموصلى البغدادي المقرئ المفسر ، صنف في القراءات والتفسير ، وكان منتهماً برواية المناكير .

سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة

ألزم معز الدولة أهل بغداد في يوم عاشوراء النوح والبكاء والمآتم وتغليق الأبواب ولبس المسوح وتعطيل الأسواق ، وخرج نساء الرافضة ينحن مكشفات ، ويفتن الناس ، يبكين على الحسين .

ثم عيدوا يوم ثامن عشر ذي الحجة عيد الغدير غدیر خُمّ ، وصلوا بالصحراء صلاة العيد .

وفيها الحافظ أحد أركان الحديث بالأندلس أبو القاسم خالد بن سعيد^(٢) ، صنف التصانيف ، وكان عجبياً في معرفة الحديث ورجاله ، يحفظ لسماع واحد . قال المنتصر بالله : إذا فخرنا أهل المشرق بآبن معين فآخرفاهم بآبن سعيد .

سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة

توفي الحافظ البارع أبو سعيد أحمد بن محمد .

والسيد الجليل أبو عثمان الحيري شهيداً بطرسوس ، صنف التفسير الكبير والصحيح على شرط مسلم وغيرهما .

(١) كذا في ب ، وفي الأصل : يعنى .

(٢) في مرآة الجنان ٢/٣٥٠ : سعد .

سنة أربع وخمسين وثلاثمائة

توفي المتنبي شاعر عصره أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي نسباً الكوفي ثم الكندي . قدم الشام في صباه ، واشتغل في فنون الأدب ، ومهر فيها ، وتصلح في علوم اللغة . قال له أبو علي الفارسي صاحب (الإيضاح) و (التكملة) : كم لنا من الجموع على وزن (فعلى) ؟ فقال المتنبي سريعاً : حجلى وظهر بى . فقال الفارسي : مكثت ثلاث ليالٍ لم أجد لهما ثالثاً .

وحجلى : جمع حجل وهو الطائر المسمى بالقبج . والظربى : جمع ظربان كقطران ، وهي دابة منتنة الرائحة .

ومن الناس كثيرون يرجحون المتنبي على أبي تمام ومن بعده . قال ابن خلكان : ولا شك أن المتنبي رزق سعادة تامة في شعره ، واعتنى العلماء بديوانه فشرحوه أكثر من أربعين شرحاً . قال بعضهم : ما في العالم أشعر منه . مدح جماعة من الملوك ، ووصله ابن العميد بثلاثين ألفاً ، وأتاه من عضد الدولة صاحب شيراز مثلها .

وسمي المتنبي لأنه ادعى النبوة في بادية السماوة ، وتبعه خلق كثير من كلب ، فخرج له نائب الإخشيدية أمير مصر وأسره ، وتفرق أصحابه . وكان كافور الإخشيدى يقول لما هجاه : من ادعى النبوة أما يدعي الملك .

وكان العلماء يحضرون مجلس سيف الدولة بن حمدان ، ويتناظرون كل ليلة ، فوقع بين المتنبي وابن خالويه كلام ، فوثب ابن خالويه على المتنبي فضرب وجهه بمفتاح ، فشجه ، فخرج ودمه يسيل على وجهه ، فغضب وخرج إلى كافور ، فلما صدر منه قصد بلاد فارس بالمشرق ، ومدح عضد الدولة الديلمي ، فأجزل جائزته . فلما رجع من عنده عرض له فاتك بن أبي جهل الأسدي ، فقاتل^(١) المتنبي وابنه

(١) كذا في هامش ب ، وهو المناسب للسياق ، وأما في الأصل ومتن ب فهو :

فقتل .

مُحَسَّدٌ وغلّامه مفلح بالقرب من النعمانية ، ثم رأى المتنبي الغلبة ، ففرّ ، فقال له
الغلام : لا يتحدث عنك بالفرار وأنت الثائل :

الخيّل والليل والبيداء تعرفني
والسيف والرمح^(١) والقرطاس والقلم
فكرّ راجعاً ، فقتل .

ويحكى أن المعتمد صاحب قرطبة أشد يوماً بيت المتنبي :
إذا ظنّرت^٢ منك العيون بنظرة
أثاب بها معيي المطيّ ورازمه^٣
وجعل يردده ، فأشدد ابن وهبون الأندلسي بديهاً :

لئن جاد شعراً ابن الحسين فإنما
تجيد العطايا واللّثا تفتح اللّثا
تنبأ عجباً بالقريض ولو درى
بأنك تروي شعره لتألّها^(٢) .

وفيها العلامة الجبر صاحب التصانيف العديدة أبو حاتم محمد بن حبان
التميمي البستي المتفنن في العلوم كلها ، توفي بمست .

وفيها المحدث محمد بن عبد الله البغدادي الشافعي [قال] الخطيب : كان
ثقةً ثبتاً ، حسن التصنيف . ولما منعت الديلم الناس من ذكر فضائل الصحابة ،
وكتبوا السبّ على أبواب المساجد كان يعتمد إملاء أحاديث الفضائل في الجامع .

(١) في الأصل وب : والطعن والضرب .

(٢) في الأصل : بأنك ترويه إذا لتألّها ، ينظر ابن خلكان ١٢٤/١

سنة ست وخمسين وثلاثمائة

توفي السلطان معز الدولة أحمد بن بُوَيْه الديلمي ، وكان في صباه يحتطب ، وأبوه يتصيد ، فما زال يترقى إلى أن ولي بغداد نيفاً وعشرين سنة ، ومات بالإسهال ، وكان رافضياً ، وهو عم عضد الدولة وأخو ركن الدولة [وعماد الدولة] (١) .

وفيهما أبو الفرج علي بن الحسين القرشي الأموي الأصبهاني الأديب ، مصنف (الأغاني) ، قيل : لم يبلغ في بابه مثله ، يقال : جمعه في خمسين سنة ، وحمله إلى سيف الدولة ، فأعطاه ألف دينار ، واعتذر إليه ، وكان الصاحب بن عباد قد استغنى به عن جميع كتب الأدب لما وصله ، وكان منقطعاً إلى الوزير المهلبى ، ومن مدحه :

ولما اتجعنا لا نذنين بظله أعان وما عتسى ومَنْ وما مَنَّا
وردنا عليه مقترين فراشنا وردنا نداء مَجْدٍ بين فأخصبنا
عاش تسعاً وسبعين (٢) سنة .

وفيهما سيف الدولة الأمير الكبير علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي الجزري ، صاحب الشام ، توفي بحلب وله بضع وخمسون سنة .

قال الثعالبي في (تهيئة الدهر) : كان بنو حمدان ملوكاً ، أوجههم للصباحه ، وألستهم للفصاحة ، وأيديهم للسماحة ، وعقولهم للرجاحة ، وسيف الدولة مشهور بسيادتهم ، وواسطة قلاتهم ، لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعراء وغيرهم ، وكان شاعراً يرتاح للشعر ، وجرت بينه وبين أخيه ناصر الدولة وحشة ، فكتب إليه من شعره :

لست أجفو وإن جفوت ولا أترك حقاً عليّ في كل حالٍ
إنما أت والدٌ والأب الجاني يجازى بالصبر والاحتمالٍ

(١) ما بين المعقوفين زيادة من ب ؛ وفي مرآة الجنان ٢/٣٥٨ : عم عضد الدولة وعماد الدولة وركن الدولة .

(٢) في مقدمة الأغاني أنه ولد عام ٢٨٤ هـ ، وبذا يكون عمره اثنتين وسبعين سنة .

وكتب إليه مرةً أخرى :

رضيت لك العليا وقد كنت أهلها
ولم يك لي عنها نكول وإنما
ولا بد لي من أن أكون مصلياً
إذا كنت أرضى أن يكون لك سبق

وأخباره كثيرة مع شعراء وقته كالمتنبي والسري الرفاء والنامي والوأياء وتلك الطبقة ، وكان قد جمع من غبار الغزوات المجتمع عليه قدر ملء الكف ، وأوصى أن يوضع في لحدده ، ففعل به ذلك • وملك بعده ولده سعد الدولة ، وبعده ولده أبو الفضل ، وبموته انقرض ملك بني سيف الدولة •

وفيها أبو المسك كافور الحبشي الأسود الخادم للإخشيدي ، اشتراه الإخشيدي صاحب سرير الذهب وفرغانة ، وصار من أكبر قواده لعقله ورأيه وشجاعته ، ولما مات الإخشيدي أقام كافور وكده أبا القاسم ، وبقي الملك لأبي القاسم والدمست لكافور ، فأحسن كافور سياسة الأمور إلى أن توفي أبو القاسم ، واستمر بعده أخوه أبو الحسين وكافور على حاله إلى أن توفي أبو الحسين فاستقل كافور بالمملكة ، وكان وزيره ابن الفرات ، ولم تطل مدة استقلاله •

سنة سبع وخمسين وثلاثمائة

لم يحج الركب لفساد الوقت وموت السلاطين ، ومات المتقي لله أحمد بن الموفق العباسي المخلوع المسمول العينيين ، وكانت خلافته أربع سنين ، وكان فيه صلاح وصلاة وصيام •

وفيها مات أبو فراس الحرث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان ابن عم سيف الدولة ، وكان فريد دهره أدباً وشعراً وشجاعة وشهامة ، وكان المتنبي يشهد بتقدمه ، ويتحامى جانبه في المناظرة ، ولم يملحه إجلالاً وإعظماً لا إغفالاً ، وكان سيف الدولة يستخلفه إذا غزا •

وأسرت الروم مرة (١) في قسطنطينية ومرة ثانية (٢) في قلعة يجري الفرات تحتها، فيقال إنه ركب فرساً ، وركض فأهوى من أعلى الحصن إلى الفرات ، واختلف في سبب موته .

سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة

خرجت الروم من الثغور ، فأغاروا وقتلوا وسبوا ، ووصلوا إلى حمص ، وعظم المصاب ، وجاءت المغاربة مع القائد جوهر المغربي ، وأخذوا مصر ، وأقاموا الدعوة لبني عبّيد الرافضة ، مع أن الدعوة بالعراق في هذه المدة رافضية ، وشعارهم قائم يوم عاشوراء ويوم الغدير .

وفيها توفي ناصر الدولة الحسن بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان التغلبي صاحب الموصل ، وكان أخوه سيف الدولة يتأدب معه لسنه ورفعته عند الولاة والخلفاء ، وكان هو يجب سيف الدولة كثيراً ، وحين توفي حزن عليه ناصر الدولة حزناً شديداً ، وتغيرت أحواله ، وضعف عقله ، فبادر ولده عمدة الدولة الغضنفر فحبسه في حصن السلامة (٣) ، ومنعه من التصرف ، وقام بالمملكة ، ولم يزل ناصر الدولة معتقلاً حتى توفي .

وفيها أبو القاسم زيد بن علي الكوفي العجلي (٤) ، شيخ الأمراء ببغداد . ومات محدث دمشق محمد بن إبراهيم القرشي الدمشقي الحافظ ، خرج له ابن مندة ثلاثين جزءاً .

سنة تسع وخمسين وثلاثمائة

توفي الفقيه الإمام شيخ الشافعية أحمد بن محمد القطان ، أخذ عن ابن سريج وغيره ، وله مصنفات كثيرة في الأصول والفروع .

(١) في ب : مدة . (٢) في ب : قبلها .

(٣) كذا في مرآة الجنان ٢/٣٧١ ، وفي الأصل : البلية .

(٤) في مرآة الجنان ٢/٣٧١ : زيد بن علي العجل العجلاني .

سنة ستين وثلاثمائة

لحق الخليفة المطيع فالج" أبطل نصفه وثقل لسانه •

وأقامت الشيعة عاشوراء باللطم والأتراح ، وعيد الغدير باللهو والأفراح •

وفيها جعفر بن فلاح الكشامي ، أول نائب لبني عبيد الباطنية في دمشق ، وكان أحد قواد المعزّ العبيدي ، وكان قد سار إلى الشام ، وأخذ دمشق ، وقدم لحربه الحسين بن أحمد القرمطي ، وقتل جعفر وتعلّب على دمشق •

وفيها مات المسند المعمر أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني بأصبهان وله مائة سنة وعشرة أشهر ، وكان ثقة واسع الحفظ ، بصيراً بالعلل ، كثير التصنيف ، روى عن أبي زرعة وغيره •

وفيها الحافظ أبو عمرو بن مطر النيسابوري ، كان متعبداً (١) يحيي الليل كله ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويجتهد في متابعة السنّة •

وفيها الآجري محمد بن الحسن (٢) البغدادي الفقيه الشافعي المحدث الصالح العابد • روى عن عدد كثير ، وروى عنه عدد ، وصنف كثيراً ، وجاور بسكة ، وتوفي بها • قيل : إنه لما دخلها فأعجبتته قال : اللهم ارزقني الإقامة بها سنة ، فهتف به هاتف : بل ثلاثين سنة ، فعاش ثلاثين سنة ثم مات •

وفيها الوزير أبو الفضل ابن العميد وزير ركن الدولة بن بويه الديلمي ، كان متسعاً في علم الفلسفة والنجوم •
والصاحب بن عباد من أتباعه •
ومدحه المتنبي بقوله :

بادٍ هوأك صبرتَ أو لم تصبرا [وبكأك إن لم يجر دمك أو جرى] (٣)

(١) في الأصل : معتقداً ، وما اثبت من ب .

(٢) في مرآة الجنان ٣٧٣/٢ : محمد بن الحسين •

(٣) ما بين المعقوفين ليس في الأصل ، واستدرك من مرآة الجنان ٣٧٤/٢ •

سنة اثنتين وستين وثلاثمائة

مات الأمير الأديب إسماعيل بن عبد الله بن ميكال^(١) الذي امتدحه ابن دريد في مقصوده .

وأبو جعفر البلخي الذي يقال له : أبو حنيفة الصغير ، توفي ببخارى ، وكان شيخ تلك الديار .

وفيهما حامل لواء الشعر بالأندلس أبو الحسن محمد بن هانيء الأزدي الأندلسي ، قيل : إنه من ولد المهلب بن أبي صفرة الأزدي ، اتهم باقتهاك المحرمات ومعتقد الفلاسفة ، اتهمه أهل إشبيلية بذلك ، وساءت المقالة في ملكها بسبب اتصاله به ، فأشار عليه الملك بالخروج ، فخرج وعمره سبعة وعشرون عاماً ، ولم يزل يتتبع الولاية إلى أن اتصل بالمعز العبيدي ، فأكرمه وبالغ ، وتوفي ببرقة قيل : وهو سكران ، ورمي به في طريق .

قال ابن خلكان : ولو خلا ديوانه من الغلو المفضي إلى الكفر لكان أحسن الدواوين ، وهو عند المغاربة كالتنبي عند المشارقة ، وكانا متعاصرين ، وكان المتنبي أظ وأرفع ذكراً . ويقال : إيهما اجتمعا حين أراد المتنبي دخول المغرب ، فرده أبو الحسن بنوع حيلة .

وكنية ابن هانيء أبو نواس^(٢) بكنية أبي نواس الحسن بن هانيء الحكمي العراقي المتقدمة وفاته في سنة ست وسبعين ومائة .

(١) في مرآة الجنان ٣٧٥/٢ : . . . ابن محمد بن ميكائيل .

(٢) في مرآة الجنان ٣٧٧/٢ : « وقال في أول ترجمته - أي ابن خلكان - :

أبو نواس الأندلسي ، فكناه بكنية أبي نواس الحسن بن هانيء » .

سنة ثلاث وستين وثلاثمائة

أقيمت الدعوة بالحرمين للمعز العبيدي صاحب مصر ، وقطعت دعوة العباسيين (١) .

وفيها خلع نفسه الخليفة المطيع الفضل بن المقتدر ، وبويغ لولده الطائع عبد الكريم بن الفضل المطيع . ولم يحج ركب العراق .

وفيها استشهد الحافظ أبو الحسن (٢) محمد بن أحمد بن سهل الرملي ، سلخه المعز صاحب مصر لما بلغه أنه قال : لو كان معي عشرة أسهم لرميت الروم بسهم ورميت بني عبيد بتسعة ، وقرره بذلك فاعترف ؛ لأنه كان قوالاً بالحق عابداً زاهداً .

سنة أربع وستين وثلاثمائة

مات الحافظ الكبير أبو بكر بن السني الدينوري ، راوي كتاب النسائي ، وصاحب كتاب (عمل اليوم والليلة) ، رحل وكتب الكتب ، وبينما هو يكتب إذ وضع القلم ورفع [يديه] (٣) يدعو الله ، فمات رحمه الله تعالى .

سنة خمس وستين وثلاثمائة

توفي الشيخ الكبير إسماعيل بن كند (٤) النيسابوري شيخ الصوفية بخراسان ، أففق ماله في سبيل الله ، وصحب الجنيد وطبقته ، وظهر له أحوال ومناقب .

(١) في ب زيادة : ولم يحج ركب العراق وفي مرآة الجنان ٣٧٩/٢ : خطبة بني العباس .

(٢) في مرآة الجنان ٣٧٩/٢ : أبو الحسين .

(٣) زيادة من مرآة الجنان ٣٨٠/٢ .

(٤) في مرآة الجنان ٣٨٠/٢ : إسماعيل بن نجيد .

والحافظ أبو علي الماسرجسي ، أحد أركان الحديث ، سفينة عصره في كثرة الكتابة ، صنف المسند الكبير مهذباً معللاً جمع حديث الزهري جمعاً لم يسبق إليه ، وصنف على البخاري وعلى مسلم .

وفيها الإمام الفاضل النحرير محمد بن إسماعيل ، عرف بالقفال الكبير الشاشي ، شيخ الشافعية في عصره ، كان فقيهاً محدثاً أصولياً مفتياً ذا طريقة حميدة وتصانيف نافعة ، وله شعر جيد ، ولم يكن للشافعية بما وراء النهر مثله . أخذ عن ابن سريج وطبقته ، وابن جرير الطبري ، وإمام الأئمة ابن خزيمة ، وغيرهم ، وأخذ عنه الحاكم أبو عبد الله ، وابن مندة والحلي وأبو عبد الرحمن السلمي وغيرهم ، وهو والد القاسم صاحب (التقريب) . وهو منسوب إلى شاش مدينة وراء نهر جيحون .

واعلم أن لنا قفالاً غير شاشي ، وشاشياً غير قفال ، وكلهم يكونون بأبي بكر ، ويشترك اثنان في اسمهما ، واثنان في اسم أبيهما ، فالقفال غير الشاشي هو المروزي شيخ القاضي حسين وأبي محمد الجويني ، وسيأتي في سنة ست وخمسمائة .

وفيها المعز لدين الله أبو تميم محمد^(١) بن المنصور إسماعيل بن القائم بن المهدي العبيدي ، صاحب المغرب ومصر . لما ملك المغرب إلى البحر المحيط بلغه موت كافور الإخشيدي صاحب مصر ، فجهز قائده جوهرأ ، فأخذ مصر ، وبنى مدينة القاهرة المعزية ، وقبره بها ، وكان يظهر التشيع ، معظماً لحرمة الإسلام ، حليماً كريماً وقوراً حكيماً ، أقيمت له الدعوة بمصر والشام والحجاز . ولما قصد مصر قصدته وجوه أهلها إلى الإسكندرية ، فخطبهم بخطاب جزل وخلق حسن ، وأخبرهم أنه لم يرد دخول مصر لزيادة الملك ، وإنما أراد إقامة الحج والجهاد ، وأن يختم عمره بالأعمال الصالحة ، ويعمل بما أمره به جده عليه السلام ، حتى يلقى بعض الحاضرين ، وخلع على القاضي وغيره من الأعيان .

(١) في مرآة الجنان ٢/٣٧٦ : معد ، وفي ٢/٣٨٣ : سعد .

سنة ست وستين^(١) وثلاثمائة

حجت جميلة بنت الملك ناصر الدولة بن حمدان ، وصار حجها يضرب به المثل ،
فإنها أغتت المجاورين ، وثمرت على الكعبة لما دخلتها عشرة آلاف مثقال .

وفيها مات الفقيه الفاضل أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني الشافعي
القائل :

يقولون لي فيك اقتباسٌ وإنما رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجماً

الآيات . ومن شعره في قصيدة طويلة :

وقالوا توصل بالخشوع إلى الغنى وما علموا أن الخشوع هو الفقر
وبيني وبين المال شيئان حرماً علي الغنى نفسي الأبية والفقر

وله أيضاً :

ما تطعمت لذة العيش حتى صرت للبيت والكتاب جليسا
ليس شيء أعزّ عندي من العدم فلا أتبغي سواه أنيسا
إنما الذل في مخالطة النا س فدعهم وعش عزيزاً رئيسا

وله كتاب (الوساطة بين المتنبئ وخصومه) أبان فيه عن فضل عزيز .

وفيها ركن الدولة الحسين بن بويه الديلمي ، صاحب أصبهان وعراق العجم ،
والد عضد الدولة ومؤيد الدولة ، وأخو معز الدولة وعماد الدولة ، وكان ابن العميد
وزيره ، والصاحب بن عباد وزير ولده مؤيد الدولة ، قسم الممالك على أولاده ،
وكلهم قام بنوبته أحسن قيام .

(١) في الأصل : ست وخمسين ، وهو خطأ .

سنة سبع وستين وثلاثمائة

توفي الشيخ الكبير العارف بالله [أبو القاسم]^(١) النصرابادي ، شيخ الصوفية والمحدثين بخراسان ، صاحب الشبلي والرثوذباري . قيل له : هنا من يدعي العصمة في مجالسة [النسوان]^(٢) ؛ فقال : ما دامت الأشباح باقية فالأمر والنهي باقٍ ، والتحليل والتحرير مخاطب به .

وفيها القاضي محمد بن عبد الرحمن ، عرف بابن قريعة البغدادي ، قاضي السِّنْدِيَّة قرية بين بغداد والأبَّار ، كان شأنه عجباً في سرعة بديهة الجواب ، وله في ذلك أخبار معجبة ، من ذلك : أنه كتب إليه العباس بن المَعَلَّ الكاتب : ما يقول القاضي أيده الله في يهودي زني بنصرانية ، فولدت ولداً ، جسمه للبشر ووجهه للبقرة ؟ فكتب بديهاً : هذا من أعدل اليهود على الملائعين اليهود ، بأنهم أشربوا حب العجل في صدورهم حتى خرج من أيورهم ، وأرى أن يناط برأس اليهودي رأس العجل ، ويصلب في عنق النصرانية ، وينادي عليهما : ظلمات بعضها فوق بعض .

وفيها ابن القُوطِيَّة محمد بن عمر الأندلسي ، حافظ الحديث واللغة والشعر والنوادر ، لا يلحق شأوه ، له (تصارييف الأفعال) ، وهو الذي فتح هذا الباب أولاً ، وتبعه ابن القُطان^(٣) ، وأعجز من بعده ، وكان من العبَّاد .

قال يحيى بن هذيل الشاعر : خرجت إلى ضيعة إلى سفح جبل قرطبة ، فصادفت شيخنا ابن القوطية صادراً عنها ، فقلت له على البديهة :

من أين أقبلت يا مَنْ لا شبيه له ومن هو الشمس والدنيا له فلك

فقال (٤) :

من منزل يعجب النساء خلوته وفيه ستر على الفتاك إن فتكوا

فقبلت يده ودعوت له .

(١) زيادة من ب ، وهي مثبتة في مرآة الجنان ٢/٣٨٧

(٢) زيادة من مرآة الجنان يقتضيها السياق .

(٣) في مرآة الجنان : ابن القطاع .

(٤) في ب : فتبسم وأجاب سريعاً فقال .

سنة ثمان وستين وثلاثمائة

توفي أبو سعيد الحسن بن [عبد الله بن] المرزبان السّيرافي ، برع في عدة علوم ، وشهر^(١) فيها ، وكان ورعاً يأكل من النساخة ، ينسخ في يومه الكراس بعشرة دراهم بقصد الإفادة مع النزاهة وحسن السيرة [يذكر عنه] ^(٢) الاعتزال ، ولم يظهر منه •
والشيخ الزاهد أبو الحسن أحمد بن محمد^(٣) النيسابوري ، الحافظ المقرئ العبد الصالح الصادق ، صنّف في الشيوخ والعلل والأبواب • قال الحاكم : صحبته نيفاً وعشرين سنة ما أعلم أن الملك كتب عليه خطيئة •

سنة تسع وستين وثلاثمائة

مات الشيخ الكبير أبو عبد الله أحمد بن عطاء الروذباري ، شيخ الصوفية في وقته ، تزييل صور •
والإمام الجليل أبو سهل الصعلوكي محمد بن سليمان النيسابوري المتقن في عدة علوم مع التصوف حتى أقرّ له بالفضل والتقدم الموافق والمخالف • قال صاحب ابن عباد : ما رأى أبو سهل الصعلوكي مثل نفسه ولا فرى مثله^(٤) •

سنة سبعين وثلاثمائة

رجع عضد الدولة من همدان إلى بغداد ، وبعث إلى الخليفة الطائع أن يتلقاه ، فلم يقدر أن يتخلف لضعف الخليفة ، ولم تجر عادة بذلك •

-
- (١) في ب : ويرز فيها . (٢) زيادة من المرأة ٣٩١/٢ .
(٣) في ب : محمد بن محمد وكذلك في مرآة الجنان ٣٩١/٢ .
(٤) في الأصل و ب : ما رأى ، وما أثبت من ابن خلكان ٢٠٤/٤ .

وفيها [ابن خالويه أبو عبد الله الحسين بن أحمد خالويه]^(١) النحوي الهمداني المشهور ، أدرك الرجال وأخذ عنهم ، انتقل عن بغداد إلى حلب ، واستوطنها ، ومات بها ، وكان بنو حمدان يستعظمونه • دخل يوماً على سيف الدولة فقال له : اقعد ، ولم يقل : اجلس ، فاتخذت فضيلة لسيف الدولة ؛ وذلك أن القائم يقال له : اقعد ، والنائم^(٢) يقال له : اجلس •

وله مواقف مع المتنبّي في مجلس سيف الدولة ، ومن شعره :
 إذا لم يكن صدر المجلس سيداً فلا خيرَ فيمن صدّرته المجلسُ
 وكم قائل مالي رأيتك راجلاً فقلت له من أجل أنك فارس

وفيها الإمام العلامة أبو منصور الأزهري أحمد بن محمد^(٣) الشافعي ، صاحب المصنفات الكبار في اللغة (كتهذيب اللغة) ، وهو أكثر من عشرة مجلدات ، وله مصنف في (غريب ألفاظ الفقه) وغيرها • أخذ عن ثعلب وطبقته ، أسرته القرامطة ، فوقع في سهم عرب أهل فصاحة ؛ فأخذ من ألفاظهم كثيراً ، واستفاد منهم •

سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة

مات الشيخ الإمام الكبير أبو زيد المروزي الشافعي محمد بن أحمد ، كان حافظاً للمذهب ، حسن النظر ، زاهداً عابداً • روى الصحيح عن الفربري ، وسمع من الدارقطني • قال أبو بكر البزار : عادت أبا زيد من نيسابور إلى مكة ، فما علمت أن الملائكة كتبت عليه خطيئة قط •

وكان أول أمره فقيراً ، ثم انبسطت عليه الدنيا عند كبره وسقوط أسنانه وانقطاعه عن الجماع ، فقال مخاطباً لها : لا أهلاً بك ولا سهلاً ؛ أقبلت حين لا ناب

(١) ما بين المعقوفين زيادة من ب ونقص من الأصل •

(٢) في ب زيادة : والساجد •

(٣) في مرآة الجنان : محمد بن أحمد •

ولا نصاب ، ومات وله تسعون^(١) سنة . وهو صاحب أبي إسحق المروزي ، وعنه أخذ القفال وفقهاء مرو .

وفيهما الشيخ الأجل الكبير أبو عبد الله محمد بن حنيف^(٢) الشيرازي ، الفقيه الشافعي ، شيخ إقليم فارس ، صاحب الأحوال والمقامات ، وهو من أولاد الأمراء . مات وله خمس وتسعون سنة ، وقيل : مات عن مائة وأربع سنين^(٣) .

سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة

توفي عضد الدولة بن ركن الدولة ، وهو أول من خطب له ببغداد بعد الخليفة ، وله مشاركة في العلم ، وهو أول من خطب بشاه شاه في الإسلام^(٤) .

صنف له أبو علي الفارسي (الإيضاح) و (التكملة) في النحو ، وكان غالباً في التشيع ، سفاكاً ، ومن شعره الذي لم يفلح بعده قوله :

عضد الدولة باني ركنها^(٥) ملك الأملاك غلاب القدر

نعوذ بالله .

وهو الذي أظهر قبر علي بزعمه بالكوفة وبنى عليه ، وأصح ما قيل في قبر علي رضي الله عنه ، أنه بقصر الإمارة بالكوفة .

ومدحه المتنبي بقصيدته الكافية ، وجرى على لسانه فيها أشياء تدل على فناء عمره ، وهي آخر ما قال . ومما مدح به عضد الدولة قول السلامي :

وتشرق آمالي بملك هو الوري ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر

(١) في الأصل : سبعون ، وما أثبت من ب .

(٢) في مرآة الجنان ٣٩٧/٢ : محمد بن حنيف .

(٣) في الأصل : مات عن أربع وستين ، وما أثبت من مرآة الجنان ٣٩٧/٢ .

(٤) عبارة مكررة في الأصل : وأول من خطب له .

(٥) في مرآة الجنان ٣٩٨/٢ : وابن ركنها .

وقد أتى على هذا المعنى المتنبى • فقال :

هي الغرض الأقصى ورؤيتك المنى ومنزلتك الدنيا وأنت الخلاق

وفاته ذكر اليوم • قال ابن خلكان : وليس عليه حلاوة بيت السلامي •

وفيها الإمام الكبير الفقيه الشافعي ، إمامهم في زمنه أبو عبد الله محمد بن أحمد الفارسي المروزي الخِضْرِي • كان قوي الحفظ ، وكان تحته بنت علي الشبّوي ، فسئل يوماً عن قلامة ظفر المرأة : هل هو عورة ؟ فتوقف ، فقالت له زوجته : سمعت أبي يقول : يجوز للأجنبي نظر قلامة اليد دون الرجل ؛ ففرح الخضري وقال : لو لم أستفد من اتصالي بأهل العلم إلا هذه المسألة لكانت كافية • وقد قرر فتواها هذه كثيرون من العلماء ؛ لقوله تعالى : (إلا ما ظهر منها) ، وهو مفسر بالوجه والكفين •

قال الياضي : لنا وجهان في نظر الأجنبي إلى وجه المرأة وكفيها إذا لم تخف فتنة • وأرى والله أعلم أنه لا يجوز لغير حاجة النظر إلى شيء من أجزاء المرأة متصلاً أو منفصلاً •

سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة

تولى صمصام بن عضد الدولة بعد أن أخفى موت أبيه حتى قدم ، وجاءه الخليفة الطائع فعقد له لواء الملك ، ولقبه شمس الدولة •

وفيها مات أبو الفتح^(١) الصنهاجي نائب المعز العبيدي على المغرب ، وكان محمود السيرة ، تولى القيروان اثنتي عشرة سنة ، وكان له أربعمائة سرية ، يقال : ولد له في يوم سبعة عشر ولداً •

وفيها الشيخ الكبير العارف بالله تعالى أبو عثمان المغربي الصوفي سعيد بن سلم ، أو ابن سالم تزيل فيسابور • قال أبو عبد الرحمن السلمي : لم نر مثله في علو الحال وصفو^(٢) الوقت •

(١) في مرآة الجنان ٢/٤٠١ : أبو الفتح •

(٢) في مرآة الجنان ٢/٤٠١ : وصون •

قال اليافعي : لا أدري أنه الممدوح بقول الشاعر :

ألا قل لساري الليل لا تخشَ ضلّةً لنا سيدٌ أرَبى على كل سيّدِ
سعيدٌ بن سلم ضوءٌ كل بلادٍ جواد حشا في وجه كل جوادِ

يعني أنه سبق في الجود ، والسابق يحثو التراب بحافر فرسه في وجه المسبوق
أو فرسه •

سنة أربع وسبعين وثلاثمائة

مات خطيب الخطباء أبو يحيى عبد الرحيم^(١) بن محمد بن إسماعيل ، عُرف
بابن نبّاتة - بضم النون - الفارقي اللخمي العسقلاني المولد ، المصري الدار ،
ولي خطابة حلب لسيف الدولة ، وفي خطبه دلالة على قوة علمه وسعته وقوة قريحته
وقفحه ، وأجمعوا على أنه ما عمل مثلها قط ، وهو الذي حث سيف الدولة بخطبه
في الجهاد على التوسع فيه وتكثيره ، وسمع على المتنبّي بعض ديوانه ، وكان رجلاً
صالحاً ، رأى النبي ﷺ وعلى آله في المقابر ، وأشار إليها بيده فقال : كيف قلت
يا خطيب ؟ فقال : قلت : لا يخبرون بما إليه آلوا ، ولو قدروا على المقال لقالوا •
ثم أخذ يسوقها ، فنفل النبي ﷺ في فيه ، فاستيقظ وعلى وجهه نور وبهجة ، وعاش
بعد ذلك ثمانية وعشرين ليلة لا يستطعم طعاماً ولا شرباً من أجل تلك التقلّة وبركتها •
والخطبة التي فيها هذه الكلمات تعرف بالمنامية •

مولده وموته بميفارقين ، قيل : وعمره دون الأربعين • قيل : رئي في المنام
فقيل : ما فعل الله بك ؟ فقال : دفع إليّ رقعة فيها سطران بالأحمر :

قد كان أمنٌ^(٢) لك من قبل ذا واليوم أضحي لك أمّنانِ
والصفح لا يحسنُ عن محسنِ وإنما يحسن عن جانِ

قال الراوي : فاتبعت وأنا أحفظهما •

(١) كذا في ب ومرآة الجنان ٢/٤٠٣ ، وفي الأصل : عبد الرحمن •

(٢) كذا في مرآة الجنان ، وفي الأصل : أمناً •

سنة خمس وسبعين وثلاثمائة

مات الإمام أبو القاسم الداركي^(١) ، ودارك من قرى أصبهان ، انتهت إليه رئاسة مذهب الشافعي ببغداد ، وكان يدرس في مسجد علي بن أحمد في درب أبي خلف . وقال أبو حامد^(٢) الإسفرائيني : ما رأيت أفقه منه . تفقه على أبي إسحق المروزي ، وحدث عن جده لأمه الحسن^(٣) بن محمد الداركي .

سنة ست وسبعين وثلاثمائة^(٤)

وفيها مات الإمام أبو إسحق إبراهيم بن أحمد المستملي البلخي ، سمع الكثير ، وخرج لنفسه معجماً ، وحدث بالصحيح عن الفربري .

مات الإمام النحوي أبو علي الفارسي ، علت منزلته عند ملك فارس عضد الدولة حتى قال : أنا غلام أبي علي في النحو ، وصنف له (الإيضاح) و (التكملة) ، ومصنفاته تزيد علي العشرة ، وكان يجب الشعر ولا يقوله ، واستشهد في (باب كان) من كتابه (الإيضاح) بقول أبي تمام :

من كان يرعى عزمه وهمومه روض الأمانى لم يزل مهزولاً

وكان عضد الدولة يجب هذا البيت وينشده كثيراً .

مات ببغداد بالشونيزية^(٥) .

(١) اسمه : عبد العزيز بن عبد الله .

(٢) كذا في مرآة الجنان ٢/٤٠٥ ، وفي الأصل : أبو إسحق .

(٣) في ب : الحسين .

(٤) ورد هذا العنوان في الأصل بعد ترجمة أبي إسحق المستملي التالية ، وجرى

التصويب من النسخة ب ومرآة الجنان ٢/٤٠٦ .

(٥) كذا في مرآة الجنان ٢/٤٠٧ ، وأما في الأصل فهي السريرة ، وفي ب :

السويدية .

وفيها ماتت أمة الواحد ابنة القاضي أبي عبد الله المحاملي بعد أن حفظت القرآن والنحو والفرائض وغيرها ، وبرعت في مذهب الشافعي ، وكانت تفتي مع علي بن أبي هريرة •

وفيها ابن لؤلؤ الوراق أبو الحسن علي بن محمد الثقفى البغدادي ، كان ثقة ، يحدث بالآخرة •

سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة

مات أبو نصر السراج شيخ الصوفية في وقته ، صنف كتاب (المِلح) في التصوف •

والحافظ صاحب التصانيف في الحديث محمد بن أحمد النيسابوري • قال الحاكم : هو إمام عصره ، صنف على الصحيحين وعلى جامع الترمذي ، وله كتاب (الكُنَى) وكتاب (العلال) وكتاب (الشروط) و (المخرج على كتاب المزني) • ولي قضاء شناس ثم طوس ، ثم قدم نيسابور ، ولزم مسجداً ، وأقبل على العبادة ، وكفّ بصره قبل موته بسنتين •

سنة تسع وسبعين وثلاثمائة

مات أبو بكر محمد بن الحسن الزُّبَيْدِي ، نسبةً إلى زييد بن كعب بن صعب بن سعد العشيرة ، صنف أبو بكر التصانيف ، منها : (مختصر كتاب العين) و (طبقات النحويين واللغويين) في المشرق والأندلس من زمن أبي الأسود الدؤلي إلى زمنه ، وولي قضاء إشبيلية •

سنة ثمانين وثلاثمائة

توفي الإمام الحافظ أبو عبد الله محدث الأندلس محمد بن أحمد بن محمد الأموي مولاهم القرطبي ، سمع كثيراً ، وصنف (فقه الحسن البصري) في سبع مجلدات ، و (فقه الزهري) في أجزاء عديدة •

سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة

أكره بهاء الدولة الطائع على خلع نفسه بعد هوان الحقه إياه ، ففعل ، وكتب عليه بذلك سجلاً ، وأقذف إلى القادر وهو بالبطائح ، وأخذ ما في دار الخلافة حتى الأبواب ، واختببت بغداد ، وأقبل القادر وله يومئذ أربعون^(١) سنة ، وكان صاحب خير وتهجد وسنة وجماعة •

ومات العبد الصالح المقرئ ، مصنف كتاب (الغاية في القراءات) و (الشامل)^(٢) أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني ثم النيسابوري ، وكان مجاب الدعوة •
وفيها عبد الرحيم بن محمد بن حمدون بن نجار النجاري ، أحد الأئمة ، بعد أن عمي وصم وزال عقله ، وبقي كذلك قريباً من ثلاث سنين •

سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة

منع أبو الحسن بن المعلم الطوكي^(٣) الرافضة من إقامة المآتم يوم عاشوراء الذي تأسس من نحو ثلاثين سنة ، فطلب الرافضة من بهاء الدولة أن يسلمه إليهم وقالوا له : اختر بقاءك أو بقاءه ، فقبض عليه هو حينئذ وأصحابه ، وقتلوهم رحمهم الله تعالى •

وفيها أبو الحسن علي بن علي بن عبد الله^(٤) العسكري ، أحد أئمة الأدب والحفظ ، له أخبار ونوادر وتفاسير ، وكان الصاحب بن عباد يجب الاجتماع به ولا يجد إليه سبيلاً ، حتى اتفق أن الصاحب استأذن مخدمه مؤيد الدولة في دخول بلد العسكري لأمر تغلّل به ، فأذن له ، فلم يزره ، وتغلّل بالمرض والضعف •

(١) في مرآة الجنان ٢/٤١٠ : أربع وأربعون •

(٢) في مرآة الجنان ٢/٤١٠ : كتاب الغاية والشامل في القراءات •

(٣) كذا في ب : وفي الأصل : ابن الطويلي ، وفي مرآة الجنان ٢/٤١٥ : الكوكبي •

(٤) كذا في الأصل ، وفي ب : علي بن عبد الله العسكري ، وفي مرآة الجنان

٢/٤١٥ : أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري •

سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة

مات الزاهد العابد الواعظ شيخ الكرامية ورأسهم بنيسابور أبو إسحق بن حمشاذ . قال الحاكم : كان من المجتهدين ، يقال : أسلم على يديه أكثر من خمسة آلاف ، ولم أرَ بنيسابور (١) جنازةً أكثر جمعاً من جنازته .

والشاعر المشهور عمر بن العباس (٢) الخوارزمي ابن أخت الإمام محمد بن جرير الطبري ، كان إماماً في اللغة والأنساب والأشعار . استأذن على صاحب بن عباد فقال لحاجبه : قل له : إني ألزمت نفسي ألاّ يدخل عليّ إلا من يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب ، فأعلمه الحاجب ، فقال له : من شعر الرجال أو النساء ؟ فأذن له ، وانبسط معه ، ولم يجزل له العطاء ، ولما فارقه قال :

لا تحمدنّ ابن عبّادٍ وإن هطتْ
كفّاه بالجوّد حتى يُخجّل الديّما
فإنّها خطرّاتٌ من وساوسه
يعطي ويمنع لا بخلاً ولا كرماً
ولما بلغ ابن عباد خبر موته قال :

أقول لركبٍ من خراسانٍ قافلٍ
أمات خوارزميكم قيل لي نعم
فقلت اكتبوا بالجص من فوق قبره
ألا لعن الرحمن من يكفر النّعم

سنة أربع وثمانين وثلاثمائة

استبد البلاء بالعيّارين ببغداد ، وقووا على الدولة ، فتفرغ السلطان لحربهم ، فهربوا . ولم يحج أحد .

وفيهما الحافظ الكبير أبو الفضل التميمي الهمداني السمسار ، باع طاحوناً له بسبعمائة دينار وأنفقها في المحدثين ، وكان ركناً من أركان الحديث ، ورعاً ، لا يخاف في الله لومة لائم ، وله عدة مصنفات ، والدعاء عند قبره مستجاب !! .

(١) كذا في مرآة الجنان ، وفي الأصل : ببغداد .

(٢) في مرآة الجنان ٤١٦/٢ : محمد بن العباس .

وفيها محمد بن عمر^(١) المرزباني البغدادي ، صاحب التصانيف المشهورة ، وكان راوية في الأدب ، ثقةً في الرواية ، وهو أول من جمع ديوان يزيد بن معاوية ، وجمعه جماعة من بعد فزادوا أشياء ليست من شعره ، وهو مع قلته في غاية الحسن .
والمرزيان عند العجم : العظيم القدر .

وفيها المحسن بن علي التنوخي صاحب كتاب (المستجد من فعلات الأجواد)^(٢) ، وكان أديباً شاعراً أخبارياً ، ولاه المطيع قضاء عسكر مكرم ، وأعمالاً كثيرة ، وله ديوان شعر رائع حسن ، وله ولد أديب فاضل ، صحب أبا العلاء المعري ، وهم أهل بيت فضل .

وفيها الرماني شيخ العربية أبو الحسن علي بن عيسى النحوي ببغداد ، وله قريب من مائة مصنف في علوم متعددة ، وكان معتزلياً .

وفيها الإمام أبو الحسن^(٣) الماسرجسي ، شيخ الشافعية بخراسان ، محمد ابن علي النيسابوري وعقد له مجلس في دار السنة ببغداد .

سنة خمس وثمانين وثلاثمائة

توفي صاحب المعروف بابن عباد ، وهو أبو القاسم بن إسماعيل الطالقاني ، كان نادرة الدهر ، وأعجوبة العصر في الفضائل ، وهو أول من لقب بالصاحب في الوزراء ، لأنه صحب أبا الفضل بن العميد ، فقبل له : صاحب ابن العميد ، فبقي عليه عكماً . وقيل : سمي به لأنه صحب مؤيد الدولة من صباه ، وبقي عليه الاسم .
ويوم مات غلقت مدينة الري ، واجتمع الناس على جنازته ، فلما خرج نعشه صاح الناس ، وملئوا الأرض ، ومشى مخدموه فخر الدولة أمام الجنازة مع العامة ، وغير الجند والقواد لباسهم .

(١) في مرآة الجنان ٤١٨/٢ : عمران .

(٢) كذا في ب ، ومرآة الجنان ٤١٩/٢ ، وفي الأصل : الأجداد .

(٣) في مرآة الجنان ٤٢١/٢ : أبو الحسين .

وله نوادر وتصانيف كثيرة منها كتاب (المحيط في اللغة) سبع مجلدات ، وكتاب (الكشف عن مساوىء شعر المتنبي) وكتاب (أسماء الله وصفاته) وغيرها • وله نظم جيد ، منه :

رَقَّ الزَّجَاجُ وَرَقَّتِ الخَمْرُ فَتَشَابَهَا فَتَشَاكَلِ الأَمْرُ
فَكَأَنَّمَا خَمْرٌ وَلَا قَدْحٌ وَكَأَنَّمَا قَدْحٌ وَلَا خَمْرٌ

ودفن بالري ، ثم نقل إلى أصبهان • ورثاه جماعة من الشعراء (١) ، ومن كلامه في وصف الأئمة الثلاثة المتعاصرين أصحاب أبي الحسن الأشعري : الباقلاني نار تحرق ، وابن فورك ظل مطرق ، والإسفرائيني بحر مغرق • قال ابن عساكر : كأن روح القدس نث في روعه بحقيقة حالهم •

وفيهما الإمام الحافظ أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني البغدادي ، واحد عصره في الحفظ والتصنيف ، مع صحة الاعتقاد ، والتضلع من علوم شتى منها : القراءات ومذاهب العلماء والأدب وحفظ الدواوين • أخذ الفقه عن أبي سعيد الإصطخري ، والقراءة عن محمد بن الحسن النقاش •

روى عنه الحافظ أبو نعيم صاحب (حلية الأولياء) وغيره ، وصنف (السنن) و (المؤلف والمختلف) وغيرهما •

وخرج من بغداد إلى مصر قاصداً أبا الفضل جعفر بن الفرات (٢) وزير كافور ، حين بلغه أنه شرع في تصنيف مسند ، فبالغ أبو الفضل في إكرامه وأعطاه مالاً جزيلاً ، ولم يزل يعينه على جمع المسند حتى فرغ ، وأعانهم أيضاً الحافظ عبد الغني •

وتقم عليه اليافعي في ذهابه إلى أبي الفضل ، ورد عليه ابن نور الدين المزرعي بأنه لعله قصد حفظ تصنيف الوزير عن الغلط ، لحفظ الدين وغير ذلك من المقاصد •

وتوفي وقد قارب الثمانين أو بلغها ، وصلى عليه أبو حامد الإسفرائيني •

(١) في ب : الفضلاء .

(٢) كذا في مرآة الجنان ، وفي الأصل : جعفر بن الفضل .

وفيها الحافظ أبو حفص عمر بن أحمد بن شاهين البغدادي ، صنف ثلاثمائة وثلاثين مصنفاً ، منها : (التفسير الكبير) ألف جزء ، و (المسند) ألف وثلاثمائة جزء ، و (التاريخ) مائة وخمسون جزءاً ، وكان ثقة مأموناً .

والشاعر المشهور بابن سكرة ، وهو أبو الحسن محمد بن عبد الله الهاشمي البغدادي ، كان هو وابن حجاج^(١) في فنهما يشبهان بجرير والفرزدق ، وابن سكرة صاحب (كافات الشتاء) ، وعارضها الياضي بما يصلح لأهل الدين والدنيا ، فأجاد وأحسن .

وفيها الفقيه العلامة الزاهد الورع الخاشع البكّاء المتواضع أبو بكر الأردني ، شيخ الشافعية ببخارى .

سنة ست وثمانين وثلاثمائة

توفي شيخ الإسلام القدوة للعلماء والأولياء الكرام : أبو طالب المكي صاحب (قوت القلوب) محمد بن علي بن عطية الحارثي . نشأ بمكة وتزهد وصنف ووعظ [ولقي الأكبر]^(٢) ، وكانت بدايته رياضة ، ونهايته أسرار ومشاهدة ، وتخرج بالشيخ الصالح أبي الحسن^(٣) بن سالم البصري رحمه الله .

وفيها العزيز بن المعز ، صاحب الديار المصرية والمغرب ، ولي بعد أبيه المعز العبيدي الباطني ، وكان العزيز حليماً شجاعاً كريماً ، مغرمّاً بالصيد ، لا يحب سفك الدماء . وأقام بعده ولده الحاكم ، وهو الذي اختطّ جامع مصر القاهرة ، وبنى قصر البحر ، وقصر الذهب ، وجامع القرافة .

(١) في مرآة الجنان ٤٢٧/٢ : ابن نجاح .

(٢) زيادة من ب .

(٣) في الأصل : أبي إسحق ، وما أثبت من ب ومرآة الجنان ٤٣٠/٢

قيل : إنه كتب إلى صاحب الأندلس الرواني يهجوهُ ويذمُ نسبه ؛ فكتب
 الرواني إليه : عرفتنا فهجوتنا ، ولو عرفناك لهجوناك وأجناك ، والسلام . فاشتد
 ذلك عليه وأفحمه ؛ لأن أكثر الناس لا يسلمون للعبيدين بنسبهم إلى أهل البيت .

ووجد العزيز يوماً رقعة على منبر الخطبة فيها :

إنا سمعنا نسباً منكراً يتلى على المنبر بالجامع
 إن كنت فيما تدعي صادقاً فأنسب أباً بعد الأب الرابع
 وإن تردّ تحقيقاً ما قلتَهُ فأنسب لنا نفسك كالطائع

سنة سبع وثمانين وثلاثمائة

توفي الشيخ العارف العالم الناطق بالحكم أبو الحسين^(١) محمد بن أحمد بن
 شمعون ، كان واحد وقته في الكلام على الخواطر والإشارات وحسن العبارة .

قال أبو عبد الرحمن السلمي : ابن شمعون لسان الوقت المرجوع إليه في آداب
 الظاهر ، يذهب إلى أسد المذاهب مع ما يرجع إليه من صحة الاعتقاد وصحة الفقراء .
 وقال الشبلي وقد رآه صغيراً : أتدرون أي شيء لله في هذا الفتى من الذخائر ؟
 وكان الباقلاني والإسفرائيني يقبلان يده ، ويجلاؤه ، وكان أول أمره ينسخ بالأجرة ،
 ويبرّ أمه ، فأراد الحج فمنعته أمه ، ثم رأت رسول الله ﷺ وهو يقول : دعيه يحج
 فإن الخير له في حجه في الآخرة والأولى . فخرج مع الحاج فأخذهم العرب وسلبوه ،
 فاستمر حتى ورد مكة ، قال : فدعوت في البيت فقلت ، اللهم إنك بعلمك غني عن
 إعلامي بحالي ، اللهم ارزقني معيشة أستغني بها عن سؤال الناس . قال : فسمعت
 قائلاً يقول : اللهم إنه ما يحسن أن يدعوك ، اللهم ارزقه عيشاً بلا مشقة ، فأعدت
 ثلاثاً وهو يعيد ولا أرى أحداً .

(١) كذا في مرآة الجنان ٢/٤٣٢ ، وفي الأصل وب : أبو الحسن .

وروى الخطيب أن ابن شمعون خرج من المدينة الشريفة إلى بيته ومعه تمر صيحاني ، فاشتوى الرطب ، فلما كان وقت الإفطار إذا التمر رطب ، فلم يأكله ، فعاد إليه من الغد فإذا هو تمر ، فأكله .

وكان له في الإملاء مجالس ، ومن كلامه : سبحان من أنطق باللحم ، وأبصر بالشحم ، وأسمع بالعظم . إشارة إلى جوارح ابن آدم . وعنه قال : رأيت المعاصي نذالة فتركتها مروءةً ، فاستحالت ديانة .

ولأهل العراق فيه اعتقاد تام ، وإياه عنى الحريري بقوله : متواضعون ، واعظاً يقصدونه ، ويخالون ابن شمعون دونه . وكان مولده سنة ثلاثمائة .

سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة

توفي الشيخ الإمام الكبير أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابي البستي الشافعي ، صاحب التصانيف النافعة الجامعة ، منها : (معالم السنن) و (غريب الحديث) و (إصلاح غلط المحدثين) وغيرها .

روى عن جماعة من الأكابر ، وروى عن الحاكم بن البيع وغيره . ومن شعره :
وما غربة^(١) الإنسان في شقة النوى
وإني غريب بين بستٍ وأهلها
ولكنها والله في عدم الشكل
وإن كان فيها أسترني وبها أهلي
وله :

تسامح ولا تستوفِ حقك كلكه
ولا تغلُ في شيء من الأمر واقتصد
وأفضل فلم يستوفِ قط كريمٌ
كلا طرفي قصد الطريق ذميمٌ
ومنه :

ما دمت حياً فدارِ الناس كلهم
ولا تعلق بغير الله في ثوبٍ
فإنما أنت في دار المُدارةِ
والبیت الأخير مما أصلحته .
إن المهيمن كافيك المهماتِ

(١) في مرآة الجنان ٢/٤٣٥ : وما غمة .

وسئل عن اسمه : أحمد أو حمّد ، فقال : سميت حمداً وكتب الناس أحمد ، فتركته .

وبُست : من بلاد كابل .

وفيهما الحاتمي محمد بن الحسين ^(١) بن المظفر ، الكاتب اللغوي البغدادي ، أحد الأعلام المشاهير المطلعين الكثيرين ، أخذ الأدب عن أبي عمرو الزاهد وغيره ، وله (الرسالة الحاتمية) التي شرح فيها ما جرى بينه وبين المتنبّي من إظهار سرقاته وإبائه عيوب شعره ، دلت على غزارة أدبه ، وهي نحو اثنتي عشرة كراسة ، وله كتاب (حلية المحاضرة) نحو مجلدين .

سنة تسع وثمانين وثلاثمائة

توفي السيد الكبير الإمام الشهير أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المالكي ، شيخ المغرب ، كان يسمى مالكا الصغير .

وأبو الطيب بن غلبون الحلبي ، صاحب الكتب النافعة في القراءات .

ومات في يوم عرفة أبو هاشم الكشميهني محمد بن مكّي المروزي ، راوية البخاري عن الفربري ، وله رسائل أنيقة .

سنة تسعين وثلاثمائة

توفي أبو الحسين أحمد بن فارس اللغوي الرازي ، صاحب كتاب (المعجم) وكتاب (حلية الفقهاء) ورسائل أنيقة ، وكان مقيماً بهمدان ، وبه اشتغل بديع الزمان الهمداني صاحب المقامات .

ومن شعر ابن فارس :

وقالوا كيف حالك قلت صبراً
تَقْصَى حاجةً ويفوت حاجُ
إذا ازدحمت هموم الصدر قلنا
عسى يوماً يكون لها انفراج

(١) في مرآة الجنان ٢/٤٣٧ : محمد بن الحسن .

ومنه :

إذا كنتَ في حاجة مُرسلاً وأنت بها كلفٌ مفرمٌ
فأرسلٌ حكيماً ولا تُوصِهْ وذاك الحكيم هو الدرهمُ

وفيها توفيت أم السلام^(١) بنت القاضي أحمد بن كامل ، البغدادية ، وكانت
ديئةً أدبيةً فاضلةً .

وفيها مات القاضي أبو الفرج النهرواني المعافى بن زكريا الجزيري^(٢) ،
نسبةً إلى الجزيرة ، تفقه على مذهب محمد بن جرير الطبري ، وسمع من البغوي
وطبقته ، وكان أعلم الناس في وقته بأصناف الأدب . ومن شعره :

ألا قل لمن كان لي حاسداً أتدري على من أسأت الأدبُ
أسأت على الله في ملكه لأنك لم ترض لي ما وهبُ
فجازاك غني بأن زادني وسدَّ عليك وجوهَ الطلبُ

سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة

مات أبو الحسين المعروف بابن الحجاج الشاعر ، له ديوان في عشر مجلدات ،
تولى حسبة بغداد ، وعزل بأبي سعيد الإصطخري .

وفيها مات الفقيه الإمام الظاهري أبو الحسن عبد العزيز بن أحمد الخوزي .

سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة

[وفيها مات علي بن عبد العزيز الجرجاني صاحب كتاب (الوكالة) الذي
أودعه أربعة آلاف مسألة ، وله النظم الرائع ، وفيه يقول القائل :
إذا نحن سلمنا لك العلم كله فدع هذه الألفاظ تنظم شذورها

(١) في مرآة الجنان ٤٤٣/٢ : أمة الإسلام .

(٢) في مرآة الجنان ٤٤٣/٢ : الجزيري .

وهو صاحب الأبيات التي أولها :

يقولون لي فيك اقتباض وإنما رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجبا

وما أحسن لفظها ومعناها في زجر العلماء عن مداناة الدناة [(١)] .

وفيها مات أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي اللغوي ، كان أبوه مملوكاً رومياً ، فنشأ عثمان في الطلب ، وتفقه على أبي علي الفارسي ، وشرح ديوان المتنبي شرحاً كافياً .

وسئل المتنبي عن قوله :

باد هواك صبرت أم لم تصبرا

لِمَ أثبت الألف مع الجزم ؟ فقال للسائل : لو كان أبو الفتح هنا لأجابك . هذه الألف أبدلت من نون التأكيد الخفيفة ، أصله : أم لم تصبرن . وكان ربما ناظر المتنبي في شعره ، ويقول : ابن جني أعرف بشعري مني . ومن تصانيفه (التنييه) و (المهدب) و (اللمع) و (التبصرة) وبها سمي الشيخ [أبو إسحق] (٢) كتبه بعده .

سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة

مات ابن وكيع الشاعر المقدم في زمانه على أقرانه ، ومن شعره :

لقد قنعت همتي بالخمول وصدت عن الرتب العاليه
وما جهلت طيب طعم العلاء ولكنها تؤثر العافيه

ونظم أبو الفتح القضاعي المدرس بترية الشافعي بالقراءة في هذا المعنى فقال :
بقدر الصعود يكون الهبوط فأياك والرتب العاليه
وكن في مكان إذا ما سقطت تقوم ورجلاك في عافيه

(١) ما بين المعقوفين نقص من الأصل ، وأستدرك من ب .

(٢) زيادة من ب .

قلت : لكن المتنبي أخذ تعلقو همته في بعض ما قال ، فقال :

إذا غامرت في شرفٍ مرومٍ فلا تنفع بما دون النجومِ
فطعم الموتِ في أمرٍ حقيرٍ كطعم الموتِ في أمرٍ عظيمِ

وفيها مات الإمام اللغوي أبو نصر الجوهري إسماعيل بن حماد التركي صاحب (الصحاح) المتلقاة بالقبول ، وكان في جودة الخط في طبقة ابن مقلة ومهلل ، سكن نيسابور ، ومات متردياً عن سطح ، وقيل غير ذلك .

وفيها مات الطائع الخليفة ، وكانت خلافته أربعاً وعشرين سنة ، ولما خلع بالقادر بقي مكرماً عند القادر إلى أن مات وله ثلاث وسبعون سنة ، وصلى عليه القادر ، وشيعته الأكاير .

وفيها السلامي الشاعر محمد بن عبد الله المخزومي ، أشعر أهل العراق . قال عضد الدولة : إذا رأيت السلامي في المجلس ظننت أن عطار قد نزل من الفلك .

سنة ست وتسعين وثلاثمائة

مات السيد الجليل الإمام أبو سعيد بن الإسماعيلي^(١) ، شيخ الشافعية .

وابن شيخهم إسماعيل بن أحمد ، كان صاحب فنون وتصانيف ، توفي ليلة الجمعة وهو يقرأ في صلاة المغرب : (إياك نعبد وإياك نستعين) ففاضت نفسه وله ثلاث وستون سنة .

سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة

قصد رجل شيخ الشيعة ابن المعلم وأسمعه ما يكره ، فثارت فتنة وقتال بينهم وبين أهل السنة ، واختفى أبو حاتم الإسفرائيني حين رأى ظهور البدع ؛ فغضب القادر ، وبعث جيشاً لمعونة أهل السنة ، فانهمزت الراضة ، وأحرقت دورهم ، وأخرج ابن المعلم من بغداد .

(١) في مرآة الجنان ٤٤٨/٢ : أبو سعيد بن إسماعيل .

وزلزلت دینور، فهلك تحت الردم أكثر من عشرة آلاف، وغرق عدة مراكب،
ووقع برک عظیم، وزن الواحدة مائة وستة دراهم •

وهدم الحاكم العبيدي الكنائس في مملكته: ونادى: من أسلم وإلا فليخرج
من مملكتي •

وفيها مات بديع الزمان أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمداني، الأديب
العلامة، صاحب المقامات الفائقة، التي هي بالاختراع سابقة، وعلى منوالها نسج
الحريري، وقال (١) معترفاً بفضلته:

ولو قبل مبكاها بكت صاباةً بنيلي شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهاج لي البكا بكاها فقلت الفضل للمتقدم

وله كل معنى مليح ظمناً وثراً • ومن شعره:

وكاد يحكيك صوت الغيث منسكباً لو كان طلق المحيّا ينثر الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا

مات مسموماً بهراً من خراسان • وقيل: إنه مات بالسكنة، وعجل دفنه،
فأفاق في قبره، وسمع صوته، فنبش عنه، فوجد قد قبض لحيته من غم القبر،
والله أعلم •

سنة تسع وتسعين وثلاثمائة

توفي أحمد بن محمد الدارمي الشاعر، كان من خواص سيف الدولة، وله مع
المتنبي وقائع •

وفيها توفي فجاءةً أبو الحسن علي بن عبد الرحمن الصديقي بضم الصاد -
المنجم، صاحب الزيج المنجم المصري الحاكمي (٢) المشهور، وزوجه يعرف بزيج

(١) في ب: وكان •

(٢) كذا في مرآة الجنان ٢/٤٥١، وفي الأصل: الحاتمي •

ابن يونس ، وهو زبيح^(١) كبير في أربع مجلدات ، بسط^(٢) فيه القول والعمل ، وما قصر في تحريره ، عمله للعزير بن الحاكم صاحب مصر •

وكان أبلكه مُعَقِّلاً ، رث الهيئة ، إذا ركب ضحك منه الناس لطوله وسوء حالته ، وله إصابة بديعة في النجامة لا يشاركه فيها أحد ، وأفنى عمره في النجوم والسر^(٣) والتوليد ، وله شعر رائع •

سنة أربعمائة

أقبل الحاكم العبيدي على التآله والدين على مقتضى مذهبه ، وأنشأ دار العلم بمصر ، واستدعى فيها الفقهاء والمحدثين ، وعمر الجامع الحاكمي ، وكثر به الدعاء له ، فبقي كذلك ثلاث سنين ، ثم أخذ يقتل العلماء ، وأغلق الدار ، ومنع كثيراً من فعل الخير •

وفيها أبو نعيم الإسفرائيني عبد الملك بن الحسين^(٤) ، راوي كتاب المسند الصحيح عن أبي عوافة الإسفرائيني ، وكان عبداً صالحاً •

وفيها أبو الفتح البستي علي بن محمد ، الكاتب الشاعر ، صاحب الطريقة الأنيقة في علم التجنيس ، ومن ثمره البديع : من أصلح فاسده أرغم حاسده ، ومن أطاع غضبه أضاع أدبه • ومن سعادة جدك وقوفك عند حدك • ومن شعره :
تحمل أخاك على ما به فما في استقامته مطمع
وأنتى له خلق واحد وفيه طبائعه الأربع

(١) كذا في مرآة الجنان ٢/٤٥١ ، وفي الأصل : وتاريخه يعرف بتاريخ ابن يونس ، وهو تاريخ ...

(٢) في الأصل : تسقط ، وما أثبت من ب ومرآة الجنان .

(٣) في مرآة الجنان ٢/٤٥١ : السير •

(٤) في مرآة الجنان ٢/٤٥٢ : ابن الحسن •

وفيهما الفقيه السيد الجليل الصالح الورع جعفر بن عبد الرحيم البستي من نواحي الجند . سأله واليهما الإقامة عندهم ؛ فقال : بشرطين : أحدهما الإغناء من الحكم ، والثاني أن لا يأكل من طعام الوالي شيئاً . فاتفق يوماً أنه حضر عقداً للوالي ، فقال الوالي : هذا الموز أهدها لي فلان ، وذكر رجلاً من أهل الحل ، فأكل جعفر اثنتين ، ثم تقيأهما في الدهليز .

ولما تولى الصليحي سأله توليه القضاء ، فقال : لا أصلح لها ؛ فغضب عليه ، وخرج من عنده ، فأمر جنده أن يلحقوه ويقتلوه ، فضربوه بسيوفهم فلم تقطع شيئاً مع تكرير الضرب ؛ فأعلموا الصليحي ، فأمرهم بالكتمان . وسئل الفقيه عن حاله فقال : كنت أقرأ سورة (يس) فلم أشعر بذلك .

سنة إحدى وأربعمائة

مات الهروي أحمد بن محمد ، صاحب كتاب (الغريين) ، وهو من الكتب النافعة السائرة في الآفاق ، صحب أبا منصور الأزهري ، وبه انتفع [وتخرج] (١) ، ولم يوصف بالدين .

وفيهما أبو الحسن العلوي الحسني النيسابوري ، شيخ الأشراف ، عقد له مجلس الإملاء ، وكان يعد في مجلسه ألف محبرة .

سنة اثنتين وأربعمائة

كتب محضر بيغداد في القدح في نسب العبيديين الذين ادعوه إلى جعفر الصادق ، وفي عقائدهم أنهم زنادقة ، إخوان الكافرين ، شهادة يتقرب بها إلى رب العالمين ، وأن الناجم بمصر ، وهو المنصور الحاكم ، حكم الله عليه بالبوارج . مع كلام طويل في المحضر ، وشاع هذا في الحرمين ، وكتب عليه جماعة ، منهم الشريف الرضي ، وأخوه المرتضى ، وأبو حامد الإسفرائيني ، وأبو الحسن القدوري ، وخلق سواهم كثير ، ثم كتب عليه بعد ذلك .

(١) زيادة من ب .

وفيها أبو المطرف ^(١) عبد الرحمن بن محمد الأندلسي القرطبي ، صاحب التصانيف العديدة ، كان من جهاذة المحدثين ، جمع ما لم يجمعه أحد من أهل عصره ، وكان يملئ من حفظه ، وبيعت كتبه بأربعين ألف دينار قاسميّة ، وله كتاب (أسباب النزول) في مائة جزء وكتاب (فضائل الصحابة والتابعين) في مائتين وخمسين جزءاً .

وفيها الإمام أبو الحسين ^(٢) بن اللبان ، الفقيه الفرضي محمد بن عبد الله البصري ، روى سنن أبي داود ، وسمعها منه القاضي أبو الطيب . انتهى إليه علم الفرائض ، وصنف فيه كتاباً ، وبه وبأبي حامد تفقه محمد بن يحيى عرف بابن سراقه .

سنة ثلاث وأربعمائة ^(٣)

وفيها مات الإمام الكبير القاضي أبو عبد الله الحسن بن الحسين ^(٤) الحلبي الجرجاني البخاري الشافعي ، صاحب التصانيف الحسنة المتقنة ، تفقه على أبي بكر الأودني والقفال ، وكان إماماً معظماً في ما وراء النهر .

وفيها استشهد محمد بن الوليد ^(٥) الأزدي القرطبي الأندلسي الحافظ ، عرف بابن الفرضي ، له كتاب (المؤلف والمختلف) و (تاريخ الأندلسيين) وغيرها . وله نظم حسن ، قتله البربر يوم فتح قرطبة . وروي أنه تعلق بأستار الكعبة وسأل الله الشهادة .

وفيها سيف السنة القاضي أبو بكر محمد بن الطيب المشهور بابن الباقلاني الأصولي الأشعري المالكي ، مجدّد الدين على رأس المائة الرابعة على الصحيح ، وقيل : بأبي الطيب سهل الصعلوكي .

(١) في ب : أبو المظفر . (٢) في مرآة الجنان ٥/٣ : أبو الحسن .

(٣) هذا العنوان نقص من الأصل و ب ، واستدرك من مرآة الجنان ٥/٣ .

(٤) في مرآة الجنان ٥/٣ : الحسين بن الحسن .

(٥) كذا في الأصل ، وفي ب : أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف ، وفي مرآة الجنان ٥/٣ : الوليد بن محمد بن يوسف .

صنف الباقلاني تصانيف نافعة في الرد على الفرق الضالة • حكى أن ابن المعلم متكلم الرافضة قال لأصحابه يوماً وقد أقبل ابن الباقلاني : جاءكم الشيطان ، فلما جلس الباقلاني قال : قال الله تعالى : (ألم ترَ أتانا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزّزهم أزّاً) • وكان ورعاً لم تحفظ عنه زلة ولا نقيصة ، وكان باطنه معموراً بالعبادة والديانة والصيانة •

وحكى أنه قال : إنما أظهر ما أظهر من المجالس غيظاً لليهود والنصارى والابتدعين لئلا يستحقروا علماء الحق •

وكان تهجده عشرين ترويقة ، ويكتب بعدها خمساً وثلاثين ورقة تصنيفاً من حفظه ، حتى بلغت مصنفاته سبعين ألف ورقة في الرد [على الملحدين] (١) •

قال الطائي : رأيت في النوم بعد موته وعليه ثياب حسنة في رياض خضر نضرة ، وسمعته يقرأ : (في عيشة راضية ، في جنة عالية) ، ورأيت قبل ذلك رجلاً حسن حالهم فقلت : من أين جئتم ؟ قالوا : جئنا من الجنة من زيارة القاضي أبي بكر •

ومن قصيدة مدحه بها أبو الحسن السكري :

مئكت حَبَّاتِ القلوب بيهجة	مخلوقة من عفة وتحبب
فكأنها من حيث ما قابلتها	شيم الإمام محمد بن الطيب
اليعربي فصاحةً وبلاغة	والأشعري إذا اعتزى للمذهب

وفيهما شمس المعالي الأمير أبو الحسن قابوس بن أبي طاهر ، أمير جرجان والجيل وطبرستان ، وكان أميرها قبله أباه ، وكان قابوس من محاسن الدنيا ، غير أنه شديد البأس بعيد القعر ، ولذلك خلعه أهل مملكته ، وولوا ولده ، فرضي قابوس ، وسلم إليه خاتمه ، واستوصاه خيراً بنفسه ، وانحاز إلى بعض القلاع ، ثم قتلوه خشية ثورته عليهم ، والولد مع ذلك يحسن إليهم ويدار بهم ، وكان خط قابوس في نهاية الحسن ، وكان الصاحب بن عباد يقول : خط قابوس أم جناح طاووس ، وينشد قول المتنبي :

في خطه من كل قلب شهوة حتى كأن مداده الأهواء

(١) زيادة من مرآة الجنان ٩/٣ •

سنة أربع وأربعمائة (١)

وفيها مجدد الدين - على ما قيل - الإمام أبو الطيب سهل الصعلوكي الشافعي ، مفتي خراسان . قال الحاكم : هو أظن من رأيناه .

سنة خمس وأربعمائة (١)

وفيها الإمام الكبير الفقيه الشهير يوسف بن أحمد ، يعرف بابن كج الدينوري ، كان يضرب به المثل في حفظه المذهب ، ورجحه بعضهم على أبي حامد الإسفرائيني ؛ وقيل له : الاسم لأبي حامد والعلم لك ؛ فقال : رفعت بغداد وحطنتي دينور . قتله العيارون بالدينور .

وفيها أبو محمد الأصفهاني ، أنفق على أهل العلم مائة [ألف] دينار ، ومن ادعى أن أحداً أنفق على أهل العلم مثله فقد كذب .

وفيها أبو نصر عبد العزيز بن نباتة ، الشاعر التميمي السعدي . ومن مدحه لسيف الدولة :

لم يثقِ جودك لي شيئاً أوْ مِثْلَهُ تركتني أصحاب الدنيا بلا أملٍ
ومن شعره :

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تنوعت الأسباب والموت واحدٌ
ومنه توديعه لبعض إخوانه ، ومات عقيبه :

مَتَّعْ لحاظك من خِلِ ثوَدَعَه فما إخالك بعد اليوم بالوادي

وفيها الإمام الحافظ الكبير أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم ، ابن البيهقي النيسابوري ، كتب عن نحو ألف شيخ ، وصنف كثيراً ، ولازمه الدارقطني ، وسمع عنه القفال الشاشي ، وتفقه على الصعلوكي .

(١) هذان العنوانان نقص من الأصل ، واستدركا من ب ومرآة الجنان ١٢/٣ .

سنة ست وأربعمائة^(١)

توفي الإمام الجليل معدن الفضائل أبو حامد أحمد بن أبي الطاهر الإسفرائيني الشافعي ، شيخ العراقيين ، انتهت إليه رئاسة الدنيا والدين [ببغداد] (٢) ، وكان يحضر مجلسه نحو من سبعمائة فقيه ومتفقه ، أخذ عن ابن المرزبان والداركي (٣) . قال تلميذه سليم الرازي : كان لا يخلو له وقت ، عن اشتغال حتى إذا برى القلم قرأ وسبح ، وكذلك في الطرق . وسمع قارئاً يقرأ في المطاف : (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً) وكان عليه حينئذ زيّ الملوك ، فبكى بكاءً شديداً وقال : أما العلو فقد أردناه ، وأما الفساد فلا .

وقبله بعض الفقهاء بما لا يليق في المناظرة ، ثم أتاه معتذراً في خفية ، فأنشد أبو حامد :

جفاءً بدا جهراً لدى الناس وانبسط
ومن ظنّ أن يمحو جليّ جفائيه

وعاد مرةً مريضاً ، فأنشد المريض :

مرضتُ فاشتقتُ إلى عائدِ
ذاك الإمامِ ابنِ أبي طاهرِ

والمريض هو أبو الفرج الداركي . نقل أبو حامد من داره - وقد دفن بها - بعد أربع سنين فوجد له يتغير ، وكان يوم موته يوماً مشهوداً . وإسفرائين ، بلدة بخراسان .

(١) في الأصل : سنة خمس وأربعمائة ، وما أثبت من ب ومرآة الجنان ١٥/٣ .

(٢) زيادة من ب .

(٣) كذا في ب ومرآة الجنان ، وفي الأصل : ابن الديان والدارقي ، وكلاهما خطأ .

وفيها الشيخ الكبير العارف بالله تعالى ، نسيح وحده : محمد بن الحسن (١) ابن فورك الأصبهاني ، صاحب التصانيف العديدة المفيدة ، درس بالعراق مدة ، ثم توجه إلى الري ، فسعت به المبتدعة ، فالتمس منه أهل نيسابور التوجه إليهم ، فورد نيسابور ، وبنى بها مدرسة ، ومات مسموماً بنيسابور ، وقبره مشهور مزور .

وفيها السيد الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين (٢) الحسيني الموسوي ، نقيب الأشراف ، صاحب ديوان الشعر في أربع مجلدات ، وهو غاية في الجود ، وأشعر الطالبين ، وهو أخو الشريف المرتضى . وصنف في معاني القرآن ، ومجاز القرآن . ومما كتب به إلى الخليفة القادر :

عظما أمير المؤمنين فاتنا في دوحة العلياء لا تفرق
 ما بيننا يوم المخار تفاوت أبدأ كلانا في المعالي مئرق
 إلا الخلافة ميرتتك فإنني أنا عاطل منها وأنت مطوق

سنة سبع وأربعمائة

سقطت القبة التي على صخرة بيت المقدس ، وهاجت فتنة بين الشيعة وأهل السنة ، وأحرقت دور الشيعة ، وهربوا .

وفيها محمد بن أحمد بن شاكر ، مؤلف (فضائل الشافعي) .

وأبو الحسن المحاملي محمد بن أحمد الضبي (٣) البغدادي ، الفقيه الفرضي ، شيخ سليم الرازي .

(١) في ب : الحسين .

(٢) في الأصل : الحسن ، وما أثبت من ب ومرآة الجنان ١٨/٣ .

(٣) في مرآة الجنان ٢٠/٣ : الطيبي .

وفيهما الوزير فخر الملك أبو غالب محمد بن علي^(١) وزير بهاء الدولة وسلطان الدولة ، وكان من أمثل وزراء بني بويه بعد ابن العميد والصاحب • ومن أجله صنف ابن الحاسب كتاب (الفخري في الجبر والمقابلة) • ورفع إليه رقعة يسعى فيها بهلاك^(٢) شخص ، فكتب فخر الملك على ظهرها :

السعاية قبيحة وإن كانت صحيحة ، فإن كنت أجريتها في النصح فخرانك فيها أكثر من الربح ، ومعاذ الله أن تقبل من مهتوك في مستور ، ولولا أنك في حقارة نسبك لقابلناك بما يشبه مقالك ، ونزدع به أمثالك ، فاكتم هذا العيب واتق من يعلم الغيب ، والسلام •

قتله مخدومه سلطان الدولة لأمر نقمه عليه •

سنة ثمان وأربعمائة

وقعت فتنة عظيمة بين أهل السنة والشيعة ، وتفاحشت ، وقتل طائفة من الفريقين ، وعجز صاحب الشرط عنهم ، فقاتلوه ، فأطلق النار في سوق الزجاج^(٣) •

وفيهما استتاب القادر بالله - وكان صاحب سنة - طائفة من المعتزلة والرافضة ، وأخذ خطوطهم في التوبة ، وقتل جماعة ، وبقى آخرين ، وأمر بلعنهم على المنابر •

وفيهما قتل الدوري^(٤) ، وقطع لكونه ادعى ربوبية الحاكم •

وفيهما توفي أبو الفضل الخزاعي محمد بن جعفر المقرئ ، مصنف كتاب (الواضح في القراءات) •

(١) كذا في ب ومرآة الجنان ٢٠/٣ ، وفي الأصل : أبو محمد بن علي .

(٢) كذا في ب ومرآة الجنان ٢١/٣ ، وفي الأصل : بكتاب .

(٣) في مرآة الجنان ٢١/٣ : في سوق نهر الدجاج .

(٤) في ب : الدواري .

سنة تسع وأربعمائة

توفي الحافظ الكبير النسابة عبد الغني [بن سعيد]^(١) الأزدي المصري ، صاحب التصانيف النافعة ، منها كتاب (المؤتلف والمختلف) • قال منصور الطرسوسي : خرجنا نودع الدارقطني بمصر ، فبكينا ، فقال : تبكون وعندكم عبد الغني ، وكان يقول : كأنه شعلة نار •

سنة عشر وأربعمائة

افتتح السلطان محمود بن ناصر الدولة بن حمدان الهند ، وأسلم نحو من عشرين ألفاً ، وقتل من الكفار نحو خمسين ألفاً ، واستولى على عدة حصون ، وكان جيشه ثلاثين ألف فارس سوى الرجالة والمطوعة ، وفتح ما لم يبلغه أحد في الإسلام ، وبنى فيها مساجد ، وكسر الصنم المشهور بسومنات ، وهو عند كفره الهند يحيى ويميت ، ويقصدونه لأنواع عليلهم ، ومن لم يشف منهم احتج بالذنب وعدم الإخلاص ، ويزعمون أن الأرواح إذا فارقت الأجساد اجتمعت إليه على مذهب أهل التناسخ وتركنتها^(٢) فيمن شاء ، وأن مدّ البحر وجزره عبادة له • وتتحفه كل ملوك الهند والسند بخواص ما عندهم حتى بلغت أوقافه عشرة آلاف قرية ، وخدمه من البراهمة ألف رجل وثلاثمائة رجل ، يخلقون رؤوسهم ولحاهم عند الورود عليه ، وثلاثمائة امرأة يعنين ويضربن عند بابه • وبين قلعة الصنم وبلاد المسلمين مسير شهر ، في مفازة قليلة الماء ، صعبة المسلك ، لا يهتدى طريقها ، فأفق محمود ما لا يحصى في طلبها حتى وصلها وفتحها في ثلاثة أيام ، ودخلوا بيت الصنم ، وحوله أصنام كثيرة من

(١) زيادة من ب ومرآة الجنان ٢٣/٣ •

(٢) في ب : وتبرئها ، وفي مرآة الجنان ٢٣/٣ : وتشبيها •

الذهب المرصع بالجواهر ، محيطة بعرشه ، يزعمون أنها الملائكة ، فأحرق الصنم ،
ووجد في أذنه نيفاً وثلاثين حلقة ، فسألهم محمود عن تلك الحلقة ؛ فقالوا : كل حلقة
عبادة ألف سنة ، أي : كلما عبده ألف سنة علقوا في أذنه حلقة • ولهم فيه
أخبار طويلة •

وكان محمود حنيفياً مولعاً بعلم الحديث ، فسمع بين يديه من الشيوخ ؛ فوقع
في قلبه الانتقال إلى مذهب الشافعي لمطابقتها الحديث ؛ فجمع بين فقهاء الفريقين ،
ونظر بينهم ، فاتفقوا على أن يصلي كل منهم ركعتين بين يديه ، يقتصر فيهما على
أقل ما يجزىء عنده ؛ فصلى القفال الروزي ركعتين على مقتضى مذهب الشافعي ،
ثم صلى ركعتين على مقتضى مذهب أبي حنيفة ، فلبس جلد كلب مدبوغ ، ولطخ
ربعه بالنجاسة ، وتوضأ ببيذ التمر ، فاجتمع عليه من أجله الذباب ، وكان وضوءه
منكوساً من غير نية ، وأحرم وكبر بالفارسية ، ونقر نقرتين كنفرة الديك من غير
فصل ، وضرط في آخر تشهده من غير نية السلام • فأنكر أصحابه ذلك ، فأمر
بإحضار كتبه ، فوجدت كما قال ؛ فاتقل السلطان إلى مذهب الشافعي • ذكرها إمام
الحرمين في كتابه (المنتخب) •

سنة إحدى عشرة وأربعمائة

توفي الحاكم بن العزيز بن المعز العبيدي ، صاحب مصر والمغرب والشام
والحجاز ؛ قتلته أخته بعد أن كان كتب إليها بما أوحشها وخوفها ، واتهمها بالزنى ؛
فدست من قتله ، فقتله طليب بن دواس المتهم بها ، ولم يوجد من جسده شيء •
وأقامت بعده ولده ، ثم قتلت بعده طليياً وكل من اطلع على أمر أخيها •

وكان للحاكم سيرة شنيعة واعتقاد سوء ، وكان المسلمون وأهل الذمة منه في
تعب وعناء •

سنة اثنتي عشرة وأربعمائة

توفي الشيخ الكبير العارف بالله تعالى أبو عبد الرحمن السلمي محمد بن الحسين بن موسى النيسابوري الصوفي^(١) . صحب جده أبا عمرو بن نجيد ، وسمع الأصم وطبقته ، وصنف التفسير والتاريخ ، وبلغت مصنفاته مائة ، وكان محدثاً .

وفيها أبو عبد الله محمد بن جعفر التميمي النحوي القزاز القيرواني ، صاحب كتاب (الحروف) الذي اقترحه عليه العزيز العبيدي ، نحو ألف ورقة ، ألفه على حروف المعجم ، على وجه لم يسبق إليه ، وكان مهيباً عند الملوك والعلماء ، لا يخوض إلا في العلم ، وله عدة تواليف وظم حسن .

سنة ثلاث عشرة وأربعمائة

ضرب بعض الباطنية من البصريين الحجر الأسود بدبوس ثلاث مرات ، فشظاه وشققه وقال : إلى متى يعبد الحجر ولا محمد ولا علي ، فيمنعني محمد مما أفعل ، فأنا اليوم أهد هذا البيت . وتحاماه الناس هيبة له ، فاحتسب رجل فضربه بخنجر وهجم عليه بقية الناس ، واختبط الناس ، ونهب الركب المصري .

وفيها مات عالم الشيعة المعروف بابن المعلم ، وبالمنفرد أيضاً ، وكان يناظر أهل العقائد كلهم ، وكان معظماً عند بني بويه ، يزوره عضد الدولة وغيره ، وكان كثير الخشوع والصدقة وأنواع البر ، وله أكثر من مائتي مصنف . عاش تسعاً^(٢) وتسعين سنة ، وشيع جنازته من الشيعة والرافضة ثمانون ألفاً .

(١) في الأصل : الفرضي ، وهو خطأ ، وما أثبت من ب ومرآة الجنان ٢٦/٣ .

(٢) كذا في الأصل ، وفي ب : نيفاً وتسعين ، وفي مرآة الجنان ٢٨/٣ : ستاً

وسبعين .

سنة أربع عشرة وأربعمائة

توفي الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله بن جهضم الهمداني ، شيخ الصوفية بالحرم الشريف ، ومصنف كتاب (بهجة الأسرار) .

سنة خمس عشرة وأربعمائة

وفيها توفي عبد الجبار بن أحمد الإستراباذي المعتزلي الشافعي المذهب ، وإستراباذ من همدان قريب ، وكان له سيرة وصيت وقبول وإمامة في طريقتة ، ويلقب بقاضي القضاة ، علامة زمانه ، وله التصانيف المفيدة في علوم الأصول ، وعليه قرأ الإمام السيد المؤيد بالله من أهل البيت .

وفيها توفي الشيخ الإمام أبو الحسن المحاملي ، نسبة إلى المحامل التي يركب فيها ، وهو أحمد بن محمد الضبي ، تفقه على والده وعلى أبي حامد الإسفرائيني ، وإذا ذكر الكبير قيد بالشامي ، ودرس وظهرت نجابته في حياة شيخه . وصنف (المجموع) و (المقنع) و (اللباب) وغيرها ، وكان عديم النظر في الذكاء .

سنة ست عشرة وأربعمائة

ظهر أمر العيارين ببغداد ، وأخذوا الناس جهراً ، وهجموا السوق ليلاً على الشمع والمشاعل ، وأحرقوا دار الشريف الرضي ، ولم يحج ركب العراق .

وفيها مات أبو عبد الله القرطبي الحذاء التميمي ، مؤلف كتاب (البشري في تأويل الرؤيا) في عشرة أسفار .

وفيها مات التهامي الشاعر المشهور أبو الحسن علي بن محمد ، سجن في القاهرة ، ثم قتل سراً . ورثي في النوم فقال : غفر الله لي ، قيل : بأي عمل ؟ قال : بقولي في مريثة ولدي :

جاورت أعدائي وجاور ربته شتان بين جواره وجواري

والتهامي نسبة إلى تهامة ، وهي خطة متسعة بين الحجاز وأطراف اليمن .

سنة سبع عشرة وأربعمائة

مات القفال المروزي عبد الله بن أحمد ، شيخ الشافعية بخراسان ، أتقن صنعة الأقفال حتى صنع قفلاً مفتاحه وزن أربع حبات ، ولما بلغ ثلاثين سنة جدّ في الفقه واعتنى به حتى برع فيه ، وصار إمام الخراسانيين ، كما أن القفال الكبير الشاشي شيخ العراقيين ، لكن المروزي أكثر ذكراً في كتب الفقه ، ويذكر مطلقاً ، وإذا ذكر الكبير قيل : الشاشي • وأصيب رحمه الله بإحدى عينيه ، ويقال : إنه ملك في صورة آدمي ، مع الزهد والورع ، وبه تفقه القاضي حسين والجويني وابنه ، والشيخ أبو علي السبخي ، وشرح فروع ابن الحداد فأحسن ، ومات وله تسعون سنة •

وفيهما الحافظ أبو حازم عمر ^(١) بن أحمد المسعودي الهذلي النيسابوري يوم عيد الفطر ، وكان صدوقاً ، كتب عن عشرة أنفس عشرة آلاف جزء •

سنة ثمانى عشرة وأربعمائة

توفي الإمام الكبير إبراهيم بن محمد بن مهران الإسفرائيني الشافعي ، أحد الأعلام ، صنف (الجامع) في أصول الدين خمس مجلدات ، وذكر أنه بلغ رتبة الاجتهاد ، وبه تفقه القاضي أبو الطيب الطبري والقشيري والبيهقي • وكان يقول : أشتهي أن أموت بنيسابور ليصلي علي جميع أهلها ، فتوفي بها يوم عاشوراء ، ثم نقل إلى بلده إسفرائين ودفن بها في مشهده المعروف •

سنة عشرين وأربعمائة

أخرج القادر بالله كتاباً في الأصول ، وفيه وعظ ، ووفاة النبي ﷺ ، وقصة ما جرى لعبد العزيز صاحب كتاب (الحيدة) مع بشر المريسي ، والرد على القائلين بخلق القرآن ، وجمع له العلماء والأعيان ببغداد ، وأرسل إلى جامع براتنا الذي شبه بمسجد الضرار ، من خطب على السنة ، ومنع ما كانوا يقولون بعد الصلاة على النبي

(١) كذا في الأصل ومراة الجنان ، وفي ب : عمرو •

عليه السلام ، وعلى أخيه مكلم الجحمة ومحيي الأموات البشري الإلهي مكلم أصحاب الكهف ، وكسر أنف الخطيب ، وخلع كتفه ، ونهبت داره . وطلب الخليفة الشريف المرتضى شيخ الرافضة ، وكاتب السلطان ووزيره ابن ماكولا ، وصلب جماعة من الرافضة .

وفيها مات عبد الجبار بن أحمد الطرسوسي شيخ الإقراء بمصر مؤلف كتاب (المجتبى) في القراءات وأستاذ مصنف العنوان .

وفيها الأمير عبد الملك بن محمد الجرجاني^(١) الأديب الرافضي ، صاحب التصانيف في التنجيم وأنواع الجماع والسخافات وتاريخ مصر .

وفيها عبد الرحمن بن أحمد السرسري ، وسرر من قرى مرو .

سنة إحدى وعشرين وأربعمائة

توفي الإمام أبو الفتوح يحيى بن عيسى^(٢) بن ملابس اليمني ، وبه انتشر مذهب الشافعي باليمن ، تفقه بالمراغبي وابن سراقه ، وارتحل إلى مكة ، وبها شرح مختصر المزني ، ذكر فيه أنه شرحه في أربع سنين مقابلاً للكعبة ، وذكر عنه طاهر بن يحيى العمراني ولد صاحب البيان أنه لما استأذنه ولده في المجاورة بمكة نهاه أن يتزوج بها ، قال : لأنني تزوجت بها في أربع سنين ستين امرأة ، ولا آمن عليك أن تقع فيمن تزوجت بغير علم .

وفيها توفي السلطان محمود بن ناصر الدولة ، وكان قد استولى على خراسان ، ودان له الخلق على اختلاف مذاهبهم وأجناسهم ، وفرض على نفسه غزو الهند في كل عام ، فافتتح منه بلاداً واسعة ، واستولى على صنمهم المعظم كما سبق ، وكان أبوه أمير غزاة الهند .

(١) في مرآة الجنان ٣/٣٦ : الأمير عز الملك . . . الحراني .

(٢) في الأصل : عيسى بن يحيى ، وفي ب : أحمد بن أبي الفتوح يحيى بن عيسى ،

وفي مرآة الجنان ٣/٣٦ : أبو الفتوح يحيى بن عيسى .

وفيهما توفي ابن دراج الأندلسي أحمد بن محمد شاعر المغرب كالمثني في الشام ، وهو الذي عارض قصيدة أبي نواس في الخصب صاحب ديوان مصر الرائية .

وفيهما توفي الإمام أبو عبد الله محمد بن مسعود بن أحمد المسعودي ، نسبة إلى جد له يسمى مسعوداً ، الورع المبرز في مذهب الشافعي بمرو ، تفقه على أبي بكر القفال ، وشرح مختصر المزني فأجاد .

سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة

مات الخليفة القادر بالله ، واستخلف ابنه القائم ، وبايعه الشريف المرتضى وغيره ، واشتهرت صدقته وتهجده ودياقته ، وكان من أفقر الخلفاء ، وكانت خلافته إحدى وأربعين سنة .

وفيهما القاضي عبد الوهاب المالكي . قال الخطيب : لم ألقَ مالكيًا أفقه منه ، وكتبه في كل فن ، ومن شعره :

سلام على بغداد في كل موطن
فولله ما فارقتها عن قلا لها
ولكنها ضاقت علي بأسرها
وحنق لها مني سلام مضاعف
وإني لشطي جانبيها لعارف
ولم تكن الأرزاق فيها تساعف

ومنه :

ونائمة قبلتها فتنبهت
فقلت لها إني فديتك غاصب
وقالت تعالوا فاطلبوا اللص بالحد
وما حكموا في غاصب بسوى الرد

سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة

توفي الحافظ أبو الحسن علي بن أحمد بن نعيم النعيمي البصري . قال البرقاني : هو كامل في كل شيء لولا عجب فيه ، وقد رأته بعد موته في هيئة حسنة .

وفيهما ابن هلال الكاتب علي بن البواب ، الواحد في الكتابة ، وإن كان أبو علي بن مقلة أول من نقل الخط من الكوفي إلى هذه الطريقة ، وله فضيلة السبق ،

فقد زادها ابن البواب تنقيحاً وتهذيباً ، وقد كساها بهجةً ، وليس في الكتاب من يبلغ شأوه . وروي أن الناقل لهذه الطريقة من الحيرة إلى الحجاز هو حرب بن أمية بن عبد شمس ، أخذها من أسلم بن منذر ، وأخذها أسلم من واضعها مرار بن مرة^(١) ، فجرت هذه الكتابة قبل الإسلام بقليل ، وكان لحمير كتابة تسمى المسند ، وحروفها منفصلة ، وكانوا ينعون العامة من تعليمها ، فجاء الإسلام وليس باليمن من يقرأ ويكتب . وجميع كتابات الأمم اثنتا عشرة : العربية والحميرية واليونانية والفارسية والسريانية والعبرانية والرومية والقبطية والبربرية والأندلسية والهندية والصينية .

سنة خمس وعشرين وأربعمائة

توفي الحافظ الكبير البرقاني محمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي . قال الخطيب : لم نَرَ في شيوخنا أثبت منه مع الورع والفقہ والعربية . وصنف مسنداً ضمنه ما في الصحيحين ، وكان نسيج وحده .

سنة سبع وعشرين وأربعمائة

توفي الإمام أبو إسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، ويقال : الثعالبي النيسابوري المفسر ، كان حافظاً صحيح النقل ، ثقة ، كثير الحديث والفتوح ، له : (التفسير الكبير) و (العرائس) . والثعالبي لقب له وليس بنسب . وحكى عبد الغفار الفارسي أن أبا القاسم القشيري قال : رأيت رب العزة في المنام وقال في أثناء ذلك : أقبل الرجل الصالح ، فالتفت فإذا أحمد الثعلبي مقبل ، رحمه الله ونفع به .

وفيها الجياني المحدث أبو علي الحسين بن محمد الغساني الأندلسي ، له كتاب (تقييد المهمل) أجاد فيه وأحسن ، وكان من أفراد الحفاظ مع معرفة الغريب والشعر والنسب وحسن الخط . وجيان : بلدة كبيرة بالأندلس ، وجيان أيضاً من أعمال الري .

(١) في مرآة الجنان ٤٣/٣ : عامر بن مرة .

سنة ثمان وعشرين وأربعمائة

توفي أبو الحسن^(١) أحمد بن محمد القدوري الحنفي، نسب إلى عمل القدور،
ورحل وسمع وصنف وناظر، كان يناظر الشيخ أبا حامد الإسفرائيني •

وفيها الرئيس أبو علي بن سينا الحكيم المشهور الحسين بن عبد الله بن
الحسين^(٢) بن علي • تنقل في البلاد، واشتغل بالعلوم، وحصل الفنون، وأتقن علم
القرآن، وحساب الهندي، والجبر والمقابلة، وشيئاً من أصول الدين، كل ذلك قبل
عشر سنين من عمره، وقرأ على أبي عبد الله الناطلي، فأحكم المنطق وإقليدس، وفاق
شيخه، واختلف إلى أبي العباس الزاهد، فقرأ الفقه، ثم اشتغل بالطبيعي والإلهي
وغير ذلك، وظهر في النصوص والشروح، ففهم كل ذلك، ثم رغب في علم الطب
ففاق أقرانه فيه، وعالج تأديباً لا تكسباً حتى فاق الأوائل والأواخر، حتى قصده
الناس لالتماس ما عنده، وهو إذ ذاك ابن ست عشرة سنة، وكان معوله على
المطالعة، فإذا أشكلت عليه مسألة صلى ركعتين في الجامع وسأل الله تسهيلها •

وحصل لنوح بن نصر [أمير خراسان]^(٣) شفاء وجع به على يديه، فصار من
خواصه، فأدخله دار كتبه وكانت عديمة المثل، فيها ما لا يعرف اسمه فضلاً عن
معرفة، فلم يبلغ ثماني عشرة سنة إلا وقد حصل العلوم بأسرها، وصار هو وأبوه
يتوليان للسلطان الأعمال، وتولى الوزارة لشمس الدولة في همدان، وقبض عليه
جندها وسعوا إلى شمس الدولة في قتله، فامتنع، ثم أطلق، فتواري، ثم عاد وزيراً،
وغلب عليه قوة الجماع حتى أضعفه، وعرض له قولنج طال عليه حتى عجز عن
علاجه، ثم تاب، وتصدق بما معه على الفور، ورد المظالم على من عرفه، وأعتق
مماليكه، وجعل يختم القرآن في كل ثلاث •

(١) في مرآة الجنان ٤٧/٣ : أبو الحسين •

(٢) في مرآة الجنان ٤٧/٣ : الحسن •

(٣) زيادة من ب ومرآة الجنان ٤٨/٣ •

- وتصانيفه في الحكمة نحو مائة مصنف ، منها : (الشفاء) و (القانون) •
- وهو أحد فلاسفة الإسلام ، نادرة عصره ، وله رسائل بديعة منها رسالة الطير ومن شعره :

ورقاء ذات تعزّز وتمشع
وهي التي سفرت بغير تبرقع
كرهت فراقك وهي ذات تفجّع
ألفت مجاورة الخراب البلقع
ومنازلاً بفراقها لم تفنع^(١)
من ميم مركزها بذات الأجرع
بين المعالم والطلول الخضع
بمدامع تهمني ولما تفلع
ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع
والعلم يرفع كل من لم يرفع
في العالمين فخرقها لم يرقع
لتكون سامعة بما لم تسمع
سام إلى القعر الحضيض الأوضع
طويت عن القطن اللبيب اللودعي^(٢)
ثم انطوى وكأنه لم يلمع
ققص عن الأوج الفسيح الأوسع

هبط° إليك من المحل الأرفع
محبوبة عن كل مقلّة عارف
وصلت° على كثره° إليك وربما
أنفت° فيما ألفت فلما واصلت°
وأظنها نسيت عهداً بالحمى
حتى إذا اتصلت بهاء هبوطها
علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت
تبكي وقد نسيت عهداً بالحمى
حتى إذا قرب المسير إلى الحمى
وغدت تغرد فوق ذروة شاهق
وتعود عالمةً بكل خفية
فهبوطها إن كان ضربةً لأزب
فلأي شيء أهبطت من شاهق
إذ كان أهبطها الإله لحكمة
فكأنها برق تألق بالحمى
إذ عاقها الشرك الكفيف وصدّها

- قال الفقيه حسين : اعلم أنه يشير بهذا النظم إلى الروح ، وأخذه من جواب
علي كرم الله وجهه إلى ملك الروم ، وقد كتب إلى عمر يسأله عن الروح •
توفي بهذان في رمضان • وقيل : إن مخدومه غضب عليه ، فمات في السجن •

(١) كذا في ب ومرآة الجنان ٣/٥٠ ، وفي الأصل : لم تسمع .

(٢) كذا في ب ، وفي الأصل : الأودعي ، وفي مرآة الجنان ٣/٥٠ : الأورع .

قال اليافعي : طالعت كتابه (الشفاء) ، وما أجدره بقلب الفاء قافاً ، لاشتماله على فلسفة لا ينشرح لها قلب متدين ، والله أعلم بخاتمته وصحة توبته .

وقد كفره الغزالي في كتابه (المنقذ من الضلال) . وقال ابن الصلاح : لم يكن من علماء الإسلام ، بل كان شيطاناً من شياطين الإنس . وأثنى عليه ابن خلكان .

وفيها وجيه الدولة أبو المطاع بن حمدان التغلبي ، شاعر ظريف حسن السبك ، جميل المذهب ، دخل مصر في أيام الظاهر بن الحاكم العبيدي ، فقلده ولاية الاسكندرية ، فأقام بها سنة ثم رجع إلى دمشق . ومن شعره :

إني لأحسد لا في أسطر الصحف إذا رأيت عناق^(١) اللام للألف
وما أظنهما طال اعتناقهما إلا لما لقيتا من شدة الشغف

سنة تسع وعشرين وأربعمائة

توفي محدث هراة أبو يعقوب القراب إسحق بن إبراهيم السرخسي الهروي ، زاد عدد شيوخه على ألف ومائتين ، وصنف كثيراً مع الصلاح والزهد .

وفيها توفي الإمام أبو منصور البغدادي عبد القادر^(٢) بن طاهر الشافعي ، درس في سبعة عشر فنّاً ، وممن قرأ عليه زين الدين القشيري ، وصنف كثيراً .

وفيها توفي الخليفة القادر أبو العباس أحمد بن المستجير بن المكتفي ، وبويع لولده القائم بأمر الله أبي جعفر عبد الله بن أحمد القادر .

سنة ثلاثين وأربعمائة

توفي الإمام الحافظ الشيخ العارف أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني الصوفي ، صاحب كتاب (حلية الأولياء) ، من أعلام المحدثين وحفاظهم ، أخذ عن الأفاضل وأخذوا عنه . وعاب اليافعي على ابن الجوزي ذمه (للحلية) .

(١) في مرآة الجنان ٥١/٣ : اعتناق .

(٢) في مرآة الجنان ٥٢/٣ : عبد القاهر .

وفيها أبو منصور الثعالبي عبد الملك بن محمد النيسابوري ، صاحب التصانيف الفائقة ، منها : (يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر) وكتاب (فقه اللغة) و (مؤنس الوحيد) وغيرها . وهو منسوب إلى خياطة جلود الثعالب ، لأنه كان فرساً .

وفيها أبو القاسم بن بشران البغدادي الواعظ ، كان ثقة تقياً صالحاً ، وشهد جنازته من يعجز عنه الحصر .

سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة

توفي السلطان مسعود بن السلطان محمود .

وفيها الفقيه سالم بن عبد الله الهروي المعروف بغويطة — تصغير غول — وهو معدود في طبقة الشيخ أبي محمد ، وهو الذي قيل : ما عبر جسر بغداد مثله .

وفيها عالم همدان عبد الله بن عبدان ، حكى في كتابه (المقامات) أنه قال : رأيت الحق سبحانه في النوم فقال له : ما يدل على أنه يخاف علي ؟ قال : الإعجاب .

سنة أربع وثلاثين وأربعمائة

كانت زلزلة بتبريز ، هلك تحت الردم أكثر من أربعين ألفاً .

وفيها توفي الحافظ أبو ذر الهروي الفقيه الأنصاري المالكي ، نزيل مكة ، روى الصحيح عن ثلاثة من أصحاب الفربري ، وجمع لنفسه معجماً ، وكان شيخ الحرم ، وكان أديباً ثقةً عابداً حافظاً ، وأخذ علم الكلام عن ابن الباقلاني ، وصنف على الصحيحين ، ومات عن ثمان وتسعين سنة .

سنة ست وثلاثين وأربعمائة

توفي الشريف المرتضى أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى ابن إبراهيم^(١) بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، ومولده سنة خمس وخمسين وثلاثمائة ، وتلقب على الطالبين ، وكان إماماً في علم الكلام والشعر والأدب ، وله تصانيف على مذهب الشيعة وأصول الدين ، وجمع (نهج البلاغة) من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وقيل : جامعه أخوه الرضي . وقيل : ولم يكن من كلام علي ، وإنما وضعاه عليه . وأجاد في كتابه (الفرر والدرر) ، وفيه ما يدل على فضله وتطلعه .

وملح الشريف ونوادره كثيرة ، وبين وفاته ووفاة أخيه الرضي نحو ثلاثين سنة .

وفيها توفي أبو الحسين البصري المتكلم محمد بن علي ، شيخ المعتزلة ، صاحب التصانيف الفائقة في أصول الفقه ، منها (المعتمد) ، ومنه ومن (المستصفي) للغزالي استمد فخر الدين الرازي كتابه (المحصول) وله (تصفح الأدلة) و (غرر الأدلة) و (شرح الأصول الخمسة) وكتاب (في الإمامة) وغير ذلك .

سنة سبع وثلاثين وأربعمائة

توفي شيخ الأندلس وعالمها ومقرئها وخطيبها أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي ، وكان متبحراً كثير التصانيف ، منها كتاب (الهداية في معاني القرآن) تسعون جزءاً ، و (منتخب الحجة لأبي علي الفارسي) ثلاثون جزءاً ، و (التبصرة في القراءات) خمسة أجزاء ، و (الكشف عن وجوه القراءات وعللها) عشرون جزءاً ، وكتاب (الوقف في كلا وبلى) في القرآن ، وكتاب (تنزيه الملائكة عن الذنوب وفضلهم) ، وكتاب (خلاف العلماء في الروح والنفس) ، وكتاب (شرح التمام والوقف) أربعة أجزاء وغيرها نحو أربعين مصنفاً .

(١) زيادة من مرآة الجنان ٥٥/٣ .

وكان مجاب الدعوة ، روي أن إنساناً كان يتسلط عليه ويحصي فلتاته ، فحضر ذلك الرجل في بعض الجمع ، وجعل يحد النظر إلى الشيخ ويعمزه ، فلما خرج الشيخ إلى الموضع الذي كان يقرأ فيه قال لأصحابه : أمثنوا على دعائي وقال : اللهم اكفنيه ، ثلاثاً ، فأفعد ذلك الرجل وما دخل الجامع بعدها .

وفيهما الإمام [القاسم] (١) بن محمد بن عبد الله القرشي الجمحي من أهل سهفنة باليمن ، وأهله بها ، وانتشر عنه مذهب الشافعي باليمن ، تفقه بزبيد على بكر بن المصرف (٢) بمختصر المزني وبعض شروحه ، ودخل مكة ، وكان جامعاً لفنون .

سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة

توفي الشيخ أبو محمد الجويني عبد الله بن يوسف ، والد الإمام إمام الحرمين ، تفقه أولاً على أبيه بجوين ، ثم قدم نيسابور ، فاشتغل بالفقه على أبي الطيب الصعلوكي ، ثم انتقل إلى مرو ، فأتقن وحرر على أبي بكر المروزي ، ثم عاد إلى نيسابور ، ودرّس وأفتى ، وتخرج به خلق كثير ، وكان مهيباً لا يجري بحضرته الهزل ، وكانوا يعدون فيه من الكمال ما لو جاز أن يبعث الله نبياً ما كان إلا هو !! وله التصانيف النافعة ، منها (التفسير الكبير) المشتمل على عشرة أنواع في كل آية ، وصنف في عدة فنون . قيل : قال غاسله الشيخ المؤذن أبو إسحق (٣) : لما لَقَفْتَهُ في الكفن رأيت يده اليمنى تزهر منيرة من غير سوء ، تتلألأ تلاءؤ القمر ، فتحيرت وقلت : هذه بركة فتاويه رحمه الله تعالى .

وروي أنه رأى خليل الله إبراهيم ، وأراد أن يقبل قدميه ، فمنعه تكريماً له ، فقبل عقبه . قال : وأولت أن البركة تكون في عقبي .

(١) زيادة من مرآة الجنان ٥٨/٣ .

(٢) كذا في مرآة الجنان ٥٨/٣ ، وفي الأصل : المضرب .

(٣) في الأصل : أبو الحق ، وفي مرآة الجنان ٥٩/٣ : أبو صالح ، وما أثبت من ب .

سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة

تولى النَّسَوِي شرط بغداد ، فاتفق أهل السنة والشيعة عليه ، واصطلح الفريقان ، وصار أهل الكرخ يترضون عن الصحابة ، وصلوا في مساجد أهل السنة ، وزاروا مشاهد الصلحاء ، وهذا شيء لم يعهد .

وفيها توفي شيخ العراق أبو الحسن ^(١) القزويني الصالح الزاهد ، كان يقرئ ويحدث ، ولا يخرج إلا للصلاة ، غلقت جميع أبواب بغداد يوم موته ، وحضر جمع عظيم .

سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة

عادت فتنة الشيعة ، وأحكموا سور الكرخ ، وكتبوا على الأبواب : محمد وعلي خير البشر ، فمن رضي فقد شكر ، ومن أبى فقد كفر . واجتمع أهل السنة ، وهجموا دار الخلافة ، وثار أهل الكرخ ، والتقى الجمعان ، فانهزمت الرافضة ، وتم عليهم خزى عظيم ، فعمدوا إلى خان الحنفية فأحرقوه ، وقتلوا به رئيسهم ^(٢) أبا سعيد السرخسي رحمه الله تعالى .

سنة أربع وأربعين وأربعمائة

هاجت فتنة الرافضة [ببغداد] ^(٣) ، وحمل عليهم جماعة من غوغاء أهل السنة فهزموهم ، وجرت أمور عظيمة .

وفيها عمل ببغداد محضر يتضمن القدح في نسب العبيديين ، وأنهم كاذبون باتسابهم إلى جعفر الصادق ، وأن أصلهم من اليهود .

(١) كذا في ب ومرآة الجنان ٦١/٣ ، وفي الأصل : أبو إسحق .

(٢) في مرآة الجنان ٦١/٣ : مدرسه .

(٣) زيادة من مرآة الجنان ٦٢/٣ .

وفيها توفي أبو عمرو الداني عثمان بن سعيد القرطبي الحافظ [المقرئ ، أحد الأعلام ، صاحب التصانيف الكثيرة المتفننة ، وكان مجاب الدعوة ، توفي بدانية المنسوب إليها] (١) .

[سنة خمس وأربعين وأربعمائة] (١)

توفي الحافظ الكبير أبو سعيد السمان (٢) إسماعيل بن علي الرازي ، وكان عابداً رأساً في القراءات والحديث ، وحفظ مذهب أبي حنيفة والشافعي ، مع أنه من رؤوس المعتزلة . يقال : شيوخه ثلاثة آلاف ، وشيوخ ابن المبارك يزيدون على ألفين ، وشيوخ ابن عساكر ألف وثلاثمائة ، وشيوخ الطبراني (٣) ألف ، وشيوخ صلاح الدين العلائي دون الألف . قال الياضي : وليس فيهم أقل من شيخنا رضي الدين إبراهيم بن محمد الطبري إمام المقام (٤) .

سنة ست وأربعين وأربعمائة (٥)

توفي قاضي القضاة ابن ماكولا . وحكم بن محمد الجذامي (٦) .

وفيها أبو الفتح سليم بن أيوب بن سليم الرازي الفقيه الشافعي المفسر الأديب ، كان رأساً في العلم والعمل ، صنف كتباً كثيرة ، منها كتاب (الإشارة) و (غريب الحديث) و (التفرير) ، سكن صور بالشام متصدياً لنشر العلم ، وكان

(١) نقص من الأصل ، واستدرك من ب ومرآة الجنان ٦٢/٣ .

(٢) في مرآة الجنان ٦٣/٣ : أبو سعيد السمعاني .

(٣) كذا في الأصل ومرآة الجنان ٦٣/٣ ، وفي ب : الطبري .

(٤) في مرآة الجنان : مقام إبراهيم عليه السلام .

(٥) في مرآة الجنان ٦٣/٣ : سنة سبع وأربعين وأربعمائة ، ولعله الصواب .

(٦) في الأصل : ابن ماكولا بن محمد الحراني ، وهو تليق جرى تصويبه من مرآة

الجنان ٦٤/٣ .

يقول : وضعت مني صور ، مات غرقاً في رجوعه من الحج بساحل بحر القلزم •
قيل : وهو الذي غرق فيه فرعون ، فيحمل على الجانب الذي يلي مصر ، ودفن سليم
بجزيرة بقرب الجار ، والجار فرضة المدينة كما جده فرضة مكة •

والرازي منسوب إلى الري على غير قياس كالمروزي إلى مرو ، ومات وقد نيف
على الثمانين •

وفيها عبد الوهاب^(١) بن حسين بن برهان الغزال •

سنة تسع وأربعين وأربعمائة

توفي أبو العلاء المعري ، وهو أحمد بن عبد الله التنوخي ، الشاعر المشهور ،
صاحب التصانيف المشهورة ، منها : (سقط الزند) و (شرح المتنبي) وغيره ،
وابتدأ قراءته على أبيه بالمعرة • ومن شعره :

وإني وإن كنتُ الأخيرَ زمانه لآتٍ بما لم لم تستطعهُ الأوائلُ

وعمي بالجدري ، ولما شرح ديوان المتنبي قال : كأني أنظر إلى المتنبي يلحظ
الغيب ، حيث يقول :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعتُ كلماتي من به صممُ

وحضر مرةً مجلس الشريف المرتضى ببغداد ، وكان الشريف يفض من المتنبي
والمعري يثني عليه ، فقال المعري : لو لم يكن من شعره إلا التي يقول فيها :
(لك يا منازل في القلوب منازل) لكفاه ، فأمر الشريف بإخراجه وقال : ما أراد
القصيدَ وإنما أراد البيت الذي فيها وهو قوله :

وإذا أتتكَ مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كاملُ

(١) كذا في ب ومرآة الجنان ٦٦/٣ ، وفي الأصل : عبد الرحمن •

وكان المعري مترهداً ، قيل : إنه مكث نيفاً وأربعين سنة لا يأكل اللحم ، قيل :
إنه أراد أنه لا يتوصل إليه إلا بإيلام الحيوان بالذبح ، وهذا يخالف الشرع ، وهو
رأي الحكماء المتقدمين . وقظم الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة ، وكان العلماء
والوزراء يأتونه . ولما مات رثاه بعض تلامذته فقال :

إن كنت لم تثرِقِ الدماءَ زهادةً فلقد أرقّت اليوم من جفني دما

وأشار بذلك إلى تنزيهه عن ذبح الحيوان .

وفيها توفي أبو عثمان الصابوني ، شيخ الإسلام ، الواعظ ، المفسر ، شيخ

حاران .

سنة خمسين وأربعمائة

توفي القاضي أبو الطيب الطبري الشافعي طاهر بن عبد الله بن طاهر ، بلغ
مبلغاً في العلم والديانة وسلامة الصدر وحسن السمات والخلق ، وعليه تفقه الشيخ
أبو إسحق^(١) الشيرازي ، وقال : لم أرَ أكمل اجتهاداً وأشدّ تحقيقاً وأجود ظراً منه .
وكان الشيخ أبو إسحق يدرس في حلقة ويخلفه بإذنه ، وولي القضاء بربع الكرخ
ببغداد دهرًا طويلاً . وعاش مائة وستين سنة ، ويقال : وعشرين ، ولم يضعف جسده
ولا عقله حتى حكي أنه اجتاز بنهر يحتاج إلى وثبة عظيمة ، فوثب وقال : أعضاء
حفظها الله في صغرها فقواها في كبرها .

تفقه على ابن كج والإسماعيلي والإسفرائيني وغيرهم ، ورحل إلى الآفاق ،
وكان يحضر المواكب في دار الخلافة ويقول الشعر ، ومن شعره ما ألغز به على
أبي العلاء المعري :

وما ذات درٌّ لا يحل لحالبٍ تناولها واللحم منها مُحكَلٌ

(١) كذا في ب ومرآة الجنان ٧٢/٣ ، وفي الأصل : وتفقه بالشيخ أبي إسحق .

في أبيات في هذا المعنى في وصفها ، فأجاب المعري في الحال ارتجالاً :

جوابان عن هذا السؤال كلاهما
فمن ظنَّه كرمًا فليس بكاذبٌ
يكلفني القاضي انحلال مسائل^(١)
صوابٌ و بعض القائلين مُضللٌ
ومن ظنَّه نخلًا فليس يُجَهَّلُ
هي البحرُ قدرًا بل أعزُّ وأطولُ

فأجابه القاضي يثني عليه وعلى علمه وبديهته ، فأجاب المعري أيضاً :

فؤادك معمورٌ من العلم أهلٌ
فإن كنت بين الناس غير مُمَوَّلٍ
كأنك من في الشافعي مخاطبٌ
وكيف ترى علم ابن إدريس دارساً
تَجَمَّلَتِ الدنيا بأنك فوقها
وجدك في كل المسائل مقبلٌ
فأنت من الفهم المصون ممولٌ
ومن قلبه تسلي فما تتمهل
وأنت بإيضاح الهدى متكفل
ومثلك حقاً من به يتجمل

وفيهما أفضى القضاة أبو الحسن^(٢) علي بن محمد الماوردي البصري الشافعي، مصنف (الحاوي) و (الإقناع) و (آداب الدنيا والدين) و (الأحكام السلطانية) و (قانون الوزارة) و (سياسة الملك) و (تفسير القرآن العظيم) و (الثلاث الفنون)^(٣) وغيرها .

سكن بغداد ، وعاش ستاً وثمانين سنة ، وأدرك المشايخ ، وانتفع به خلق كثير . قيل : إنه لم يظهر شيئاً من تصانيفه في حياته بل جمعها في موضع ، فلما دعت وفاته قال لبعض أصحابه : الكتب التي في الموضع الفلاني هي تصنيفي ، وإنما لم أظهرها لأنني لم أجد نية خالصة لله تعالى ، فإذا عاينت موتي فأجعل يدك على يدي ، فإذا قبضت عليها وعصرتها فاعلم أنني لم يتقبل مني [شيء منها]^(٤) ، فألقها في دجلة ، وإن بسطت يدي ولم أقبض على يدك فاعلم أنها قد قبلت وقد ظفرت بما كنت أرجو . ففعل الموصى إليه ذلك ، فبسط يده ولم يقبضها ، فعلم أنها علامة القبول ، فأظهرها بعده .

(١) في مرآة الجنان ٧٠/٣ : يكلفني القاضي الجليل مسائلًا .

(٢) في مرآة الجنان ٧٢/٣ : أبو الحسين .

(٣) في مرآة الجنان ٧٢/٣ : والقلب والعيون . (٤) زيادة من ب .

قال الماوردي : كتب إليّ أخي من البصرة وأنا ببغداد :
طيبُ الهواء ببغدادٍ يشوّقني قدماً إليها وإن عاقتْ مقاديرُ
فكيف صبريَ عنها الآن إذ جمعتْ طيب الهوى بين ممدود ومقصور

قيل : ولما خرج من بغداد إلى البصرة أنشد أبيات ابن الأحنف :
أقمنا كارهين لها فلما ألفناها خرجنا مكرهينا
وما حب البلاد بنا ولكن أمرت العيش فرقةً من هويننا
خرجت أقر ما كانت لعيني وخلصت الفؤاد بها رهينا
وهو منسوب إلى بيع الماورد .

سنة إحدى وخمسين وأربعمائة (١)

توفي النجيب ابن النجباء عبد الغفار بن محمد بن إسماعيل الفارسي ابن أبي القاسم القشيري ، سبط عبد الغافر بن محمد بن محمد بن عبد الغافر الفارسي ، راوي صحيح مسلم عن المصنف . وجدته السيدة فاطمة بنت أبي علي الروذباري ، أعرق فيه الخير من كل جانب ، فأعجب وأعجب في فنون كثيرة ، وصنف (تاريخ نيسابور) و (مجموع الغرائب) و (المفهم في غريب صحيح مسلم) وغيرها .

سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة

وفيها توفي نصير الدولة صاحب ديار بكر أحمد بن مروان الكرخي (٢) ، ملك بعد أن قتل أخوه منصور ، وكان عالي الهمة مجدوداً . قيل : إنه لم يصادر أحداً في ولايته غير شخص واحد ، وإنه لم تفته صلاة الصبح في وقتها مع شدة انهماكه في اللذات ، وذلك أنه كان له من السراري بعدد أيام السنة ، يخلو كل ليلة بواحدة منهن . وكان قد قسم أوقاته على مصالح دولته ، وأهله ، وقضاء أوطاره .

(١) هذه السنة والترجمة التي تليها نقص من ب .

(٢) في مرآة الجنان ٧٤/٣ : الكردي .

سنة أربع وخمسين وأربعمائة

زادت دجلة أحداً وعشرين ذراعاً ، وغرقت بغداد .

واقصر المسلمون على الروم ، وسبوا كثيراً حتى بيعت السرية الحسنة بمائة درهم .

وفيها توفي المقرئ الزاهد أحد العلماء العاملين أبو الفضل الرازي (١) ، كان منفرداً عن الناس ، خشن العيش ، يسير في البراري وحده ، مع كثرة التصنيف والسماع ببلدان شتى ، وكان من أفراد الدهر .

وفيها توفي القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة الشافعي [القضاعي] (٢) قاضي الديار المصرية . قال ابن ماكولا : كان متفنناً في علوم ، لم أرَ بمصر من يجري مجراه . وله كتاب (الشهاب) و (مناقب الشافعي) وكتاب (الإنباء عن الأنبياء) وغيرها . وحج ، فسمع عليه الخطيب البغدادي بمكة .

سنة خمس وخمسين وأربعمائة

توفي أبو طالب محمد بن ميكال (٣) بن سلقوق أول ملوك السلجوقية ، وكانوا يسكنون قبل تملكهم وراء النهر قريباً من بخارى ، وكانوا عدداً غير محصور ، لا يدينون لأحد من الملوك ، فإذا قصدهم من لا يطيقونه دخلوا المفاوز وتحصنوا بالرمال ، ولهم مع ولاية خراسان أمور يطول شرحها . وأول من ملك منهم أبو طالب هذا في سنة تسع وعشرين وأربعمائة . وكان أبو طالب حليماً ضابطاً لما تولاه ، محافظاً على الصلوات في أوقاتها جماعةً ، ويصوم الاثنين والخميس ، ويكثر الصدقات ، وكان يقول : أستحيي من الله أن أبني داراً ولا أبني مسجداً .

(١) في مرآة الجنان ٧٤/٣ : أبو نصر زهير بن الحسن الرضي .

(٢) زيادة من ب . (٣) في ب ومرآة الجنان ٧٦/٣ : محمد بن ميكائيل .

وتردد الماوردي رسولاً بينه وبين الخليفة ببغداد القائم بأمر الله ، ثم خطب إلى القائم ابنته ، فشق ذلك عليه ، وترددت الرسل في ذلك مراراً ، فلم يجد من ذلك بُدّاً ، فزوجه بها ، وكان العقد بتبريز ، ثم توجه إلى بغداد من حينه ، وزفت إليه بدار المملكة ، وجلست على سرير ملبس بالذهب . فلما دخل عليها قبل الأرض بين يديها ، فلم يكشف البرقع عن وجهها في ذلك الوقت ، وقدم لها تحفاً يعجز الوصف عنها ، وفرق أموالاً لا تحصى .

وذكر أنه قال : رأيت وأنا بخراسان في المنام كأني رفعت إلى السماء وأنا في ضباب لا أبصر معه شيئاً غير أنني أشم رائحة طيب ، فنوديت : أنت قريب من الباري جلت قدرته فسل حاجتك ، فسألت طول العمر فقال : لك سبعون سنة ، فقلت : يا رب لا يكفيني ، فقيل : لك سبعون ، فمات وعمره سبعون سنة .

سنة ست وخمسين وأربعمائة

قبض السلطان ألب أرسلان على الوزير عميد الملك الكندي ، ثم قتله في آخر عامه ، وحمل رأسه إلى نيسابور ، وتفرد بالوزارة نظام الملك الطوسي ، فأبطل ما كان عليه العميد وسلطانه من سب الأشعرية على المنابر ، وانتصر للشافعية ، وأكرم زين الإسلام أبا القاسم القشيري [وكان العميد المذكور من رجال الدهر]^(١) جوداً وشجاعة .

وفيهما توفي أبو القاسم بن برهان - بفتح الباء - العكبري النحوي صاحب التصانيف ، وكان له أنس شديد بعلم الحديث .

وفيهما أبو علي الحسن بن رشيق ، صاحب التصانيف الرائقة ، والرسائل الفائقة ، والنظم الجيد ، سكن القيروان ، ثم انتقل إلى مارز التي ينسب إليها المازري الشارح فمات بها . ومن شعره :

(١) نقص من الأصل ، واستدرك من مرآة الجنان ٣/٧٧ .

وقل على مسامحه كلامي
كما قطبتُ في وجه المدامِ
وبعض كان من تحت ابتسام

أحب أخي وإن أعرضت عنه
ولي في وجهه تقطيب راضٍ
وربَّ تقطَّب من غير بغض

وله :

فقلت لها قول المشوق المتيم
فأطعمته لحمي وأسقيته دمي

وقائلة ماذا الشجون وما الضنى
هواكِ أتانِي وهو ضيف أعزه

وفيها توفي العلامة أبو محمد بن حزم الظاهري ، وهو علي بن أحمد بن سعيد الأموي مولاهم ، الفارسي الأصل ، الأندلسي ، صاحب المصنفات النافعة ، مات مطروداً عن بلده من قبل الدولة . وكان متفنناً في علوم جمّة ، وانتقل من مذهب الشافعي إلى الظاهرية ، وتزهد بعد الرياسة في الوزارة [التي كانت]^(١) له ولأبيه من قبله . ألف في فقه الحديث كتاب (الإيصال إلى فهم كتاب الخصال الجامعة بحمل شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام والسنة والإجماع) ، أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم . وله كتاب (إظهار تبديل اليهود والنصارى [في التوراة والإنجيل]^(٢)) وبيان تناقض ما بأيديهم من ذلك مما لا يحتمله التأويل) ، وهو مما لم يسبق إليه . وله كتاب (التقريب بحد المنطق) ، وسلك في بيانه وإزالة سوء الظن عنه وتكذيب المنحرفين به طريقة لم يسلكها أحد قبله ، وكان يقول [الشعر]^(٢) ثم تركه ، فمنه قوله :

فروحي عندكم أبداً مقيمٌ
له سأل المعاينة الكليمُ

لئن أصبحت مرتحلاً بجسمي
ولكن للعيان لطيف معنى

قيل : وكان كثير الوقوع في العلماء لا يكاد أحد يسلم منه ، فنفرت عنه القلوب ، وتمالأت الفقهاء على رد قوله وتضليله ، وحذروا السلطان من فتنته ، والعوام من الدنو إليه ؛ فشرد حتى انتهى إلى بادية فمات بها . وكان أبو العباس بن

(١) زيادة من مرآة الجنان ٧٩/٣ . (٢) زيادة من ب .

العريف يقول : لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان • وكان أبوه رأساً في الوزارة والأدب ، ومما أوصاه به قوله :

إذا شئت أن تحيا غنياً فلا تكن على حالةٍ إلا رضيت بدونها
فمن يطلب الأعلى من العيش لم يزل فقيراً من الدنيا أسير عيوبها

سنة ثمان وخمسين وأربعمائة

توفي الإمام الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي ، وهو أحمد بن الحسين ، واحد زمانه ، كان من كبار أصحاب الحاكم بن البيهقي في الحديث ، وزاد عليه في علوم شتى ، وبلغت تصانيفه ألف جزء ، وعم نفعها لإتقانه ودياقته ، وغلب عليه الفقه ، وهو أول من جمع نصوص الشافعي في عشر مجلدات ، وله : (السنن الكبير) و (الصغير) و (دلائل النبوة) و (السنن) و (الخلافيات) و (شعب الإيمان) و (الأسماء والصفات) و (البعث والنشور) و (الاعتقاد) و (الدعوات) و (الزهد) و (مناقب الشافعي) و (مناقب أحمد) •

وكانت سيرته جميلة ، وطريقته محمودة ، يقال : إنه سرد الصوم ثلاثين سنة ، ومشايخه نحو المائة ، وليس بالكثير بالنظر إلى علمه ، لكنه نور كله ، وفاته في السماع (مسند أحمد) و (سنن النسائي) و (ابن ماجه) و (جامع الترمذي) •

قال إمام الحرمين : ما من شافعي إلا وللشافعي عليه منة إلا أحمد البيهقي فله المنّة على الشافعي لنصره لمذهبه •

طلب إلى نيسابور فأجاب ، وأخذ عنه الحديث جماعة ، منهم الفراوي وعبد المنعم القشيري • ونسبته إلى بيهق : قرى مجتمعة بناحية نيسابور •

وفيهما الإمام القاضي أبو عاصم العبادي ، وهو محمد بن أحمد الهروي الشافعي ، كان إماماً ، صاحب فنون وتصانيف نافعة ، منها : طبقات الفقهاء المنتسبين إلى مذاهب العلماء •

وفيها الحافظ ابن سيده ، وهو أبو الحسن علي بن إسماعيل ، كان إماماً في العربية ، صنف (المحكم) في اللغة ، وشرح الحماسة ، قيل : إنه دخل المتوضأ وهو صحيح ، فسقط ، فخرج ، وقد ثقل لسانه وانقطع كلامه ، ومات بعد يومين •

سنة تسع وخمسين وأربعمائة

فرغت عمارة المدرسة النظامية ، وقرر لتدريسها الشيخ أبو إسحق الشيرازي ، فدرس ثم استعفى من ذلك ، فدرس بدلاً منه أبو نصر الصباغ ، ثم لم يزل نظام الملك يتلطف للشيخ أبي إسحق حتى رجع ودرس •

سنة ستين وأربعمائة

كان غلاء بمصر • وكانت زلزلة عظيمة ، وهلك بالرملة وحدها خمسة وعشرون ألفاً ، وانشقت صخرة بيت المقدس وعادت بإذن الله تعالى ، وبعد البحر من ساحله مسيرة يوم •

سنة إحدى وستين وأربعمائة

توفي الإمام الفُوراني عبد الرحمن بن محمد بن فُوران المروزي ، شيخ الشافعية ، تلميذ القفال ، صاحب التصانيف الكثيرة في الأصول والفروع والخلاف والجدل والملل والنحل • وكان في قلب إمام الحرمين عليه شيء حتى قال حاكياً عنه في (النهاية) : قال بعض المصنفين : كذا ، وغلظه • ووقفت في بعض التواريخ أن سبب ذلك أن والد الإمام لما مات قدّم الفُوراني للعزاء ودرس في حلقة ، ولم يحتفل بإمام الحرمين لكونه شاباً لم يتأهل حينئذ ، والله أعلم •

سنة اثنتين وستين وأربعمائة

أقيمت الخطبة العباسية بالحجاز ، وقطعت خطبة المصريين ، لانشغالهم بالقحط العظيم ، حتى كاد الخراب يستولي على مدائن مصر ، حتى حكي أن امرأة خرجت تصيح على مدّ من الجوهر من يأخذه بمثله^(١) فلم تجد ، فألقته في الطريق ، فلم يلتفت إليه أحد . ولما جاءت البشارة إلى العراق بإقامة الخطبة أرسل السلطان ألب أرسلان لصاحب مكة ثلاثين ألف دينار وكسوة .

وفيهما توفي القاضي حسين^(٢) بن محمد المروزي ، شيخ الشافعية في زمنه ، صاحب التعليقة ، تلميذ القفال المروزي ، صنف كثيراً ، ودرس وأفتى ، وتخرج به جماعة منهم البغوي والمتولي . ومتى أطلق القاضي في فروع الشافعية فهو هذا ، وفي كتب أهل السنة فهو الباقلاني ، وإذا قالوا : القاضيان فهما الباقلاني وعبد الجبار المعتزلي ، وإذا قالوا : الشيخ فهو أبو الحسن الأشعري ، وإذا أطلقه الفقهاء فهو أبو محمد والد إمام الحرمين .

وفيهما ابن الخالة أبو غالب بن بشران الواسطي الحنفي .

والسيد الجليل الفقيه الإمام أبو عبد الله بن عتّاب الجذامي^(٣) مولاهم المالكي ، مفتي قرطبة وعالمها بالرأي ومحدثها وورعها .

سنة ثلاث وستين وأربعمائة

خرج أرمافوس الرومي في مائتي ألف فارس من الروم والفرنج والكنزج — بالزاي والجيم — فأرسل إليه السلطان ألب أرسلان يريد المهادنة ، فأبى ، فاستعد للشهادة ، وعهد إلى ولده ملك شاه ، ثم حمل عليهم [في خمسة عشر ألف فارس]^(٤) ،

(١) في مرآة الجنان ٨٥/٣ : من يأخذه بمد برّ .

(٢) كذا في ب ومرآة الجنان ٨٥/٣ ، وفي الأصل : علي بن الحسين .

(٣) في مرآة الجنان ٨٦/٣ : الحراني .

(٤) زيادة من ب ومرآة الجنان ٨٦/٣ .

فأعطاه الله النصر ، وقتل ما لا يحصى ، وأسر كثيراً ، وجيء بملكهم إلى ما بين يديه ، فضربه بيده ، ثم فاداه بألف ألف وخمسمائة ألف دينار وبكل أسير معهم من المسلمين . ولما أطلقه خلع عليه ، وهادته خمسين سنة ، وزوده عشرة آلاف دينار .

وفيها توفي الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي ، وهو أحمد بن ثابت^(١) ، صاحب التوالمف النافعة المنتشرة ، [صنف]^(٢) قريباً من مائة مصنف في الفقه ، وبرع فيه ، ثم غلب عليه الحديث والتاريخ ، وكان الشيخ أبو إسحق يراجعه في الحديث ويعمل بقوله ، وحمل نعشه يوم مات . وكان أبو بكر بن أزهر^(٣) الصوفي ، قد أعد لنفسه قبراً إلى جانب قبر بشر الحافي ، وكان بيت فيه في الأسبوع مرة ، ويقرأ فيه القرآن كله . وكان الخطيب قد أوصى أن يدفن إلى جانب بشر ، فسأل المحذثون ابن أزهر أن يؤثرهم بقبره للخطيب ، فامتنع ، فألح عليه الشيخ أبو سعيد الصوفي ، فسمح ، فدفن فيه الخطيب ، وكان قد تصدق بماله وهو مائتا دينار على العلماء والفقراء ، وأوصى أن يتصدق بثيابه ، ووقف كتبه على المسلمين ، ولم يكن له عقب ، ولم يكن ببغداد بعد الدارقطني مثله .

وفيها أبو حسان بن سعيد^(٤) بن منيع ، الرئيس بمرؤ ، الذي عم خراسان ببره ، وكان يكسو كل عام ألف نفس ، وأنشأ الجامع المنيعي الذي كان خطيبه إمام الحرمين ، وأصل ماله من التجارة ، حتى قال السلطان : في مملكتي من لا يخافني وإنما يخاف الله عز وجل — يعنيه — وكان على قدم من الجد والاجتهاد والمعرفة في الحديث . وروى عنه البغوي وجماعة ، قال الأسنوي : وهو من ذرية خالد بن الوليد رضي الله عنه .

(١) في مرآة الجنان ٨٧/٣ : أحمد بن علي بن ثابت .

(٢) زيادة من مرآة الجنان .

(٣) في مرآة الجنان : زهر .

(٤) في مرآة الجنان : أبو علي حسان بن سعيد .

وفيه أم الكرام كريمة بنت أحمد المروزية ، المجاورة بمكة ، روت الصحيح ، وكافت إحدى الحافظات (١) ، روى عنها خلق [كثير] (٢) .

وفيه الحافظ الكبير أبو عمرو (٣) بن عبد البسر القرطبي ، عاش خمساً وتسعين سنة وخمسة أيام . صنف كثيراً ، منها : (التمهيد لما في الموطأ) وكتاب (الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار فيما تضمنه الموطأ في المعاني والآثار) وكتاب (الاستيعاب في أسماء الصحابة النجباء) وكتاب (العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله) وكتاب (العقل والعقلاء) وكتاب (الأنساب) وغيرها . وليس لأهل المغرب أحفظ منه ، مع النزاهة والفقہ والدين والورع والتبحر في العلوم .

سنة خمس وستين وأربعمائة

قتل السلطان ألب أرسلان بن الملك داود بن ميكائيل بن سلجوق ، أول من قيل له السلطان على منابر بغداد ، وكان له قدم راسخ في الجهاد ، عبر جيحون ومعه نحو مائتي ألف فارس ، قيل : ولم يعبر الفرات في الإسلام ملك تركي قبل ألب أرسلان .

وسبب موته أنه أتى بصاحب قلعة يقال له يوسف الخوارزمي ، فأمر به فشبَّح بأربعة أوتاد ، فقال له : يا مخنث مثلي يقتل هكذا؟! فغضب السلطان ، فأخذ الشاب فرماه ، فأخطأه ، وكان قل أن يخطيء ، فشد يوسف على السلطان ، وضربه بسكين في خاصرته ، فشد بعض المماليك على يوسف فقتله ، ثم مات السلطان من ذلك .

وفيه الأستاذ الكبير أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري ، شيخ خراسان ، جمع الشريعة والحقيقة ، وحقق فيهما ، قيل : ولم يرَ مثل نفسه . وأصله من ناحية أسنوي من العرب الداخلين خراسان ، توفي أبوه وهو

(١) في الأصل : أحد الحافظ . (٢) زيادة من ب .

(٣) في مرآة الجنان ٨٩/٣ : أبو عمر .

صغير ، فتربى على يد الدقاق ، ولما تخيل فيه النجابة أشار عليه بالعلم ، فجد في الطلب حتى أنجب وأعجب ، وحضر دروس الشيخ أبي إسحق الإسفرائيني ، فقال : هذا العلم لا يحصل بالسماع ولا بد من الضبط بالكتابة ، فقرأ عليه ، فأسمع منه جملة ، فعظم في عينه وقال له : يكفيك أن تطالع كتبي ، كل ذلك وهو يحضر مجلس الدقاق . وأخذ في مجاهدة النفس والتجريد ، وصنف التفسير العديم النظير ، والرسالة ، وحج في رفقة فيها أبو محمد الجويني وأحمد البيهقي وجماعة من المشاهير . وكان له في الفروسية واستعمال السلاح الباع الطويل ، وله سبق في مجالس الوعظ والتذكير ، وعقد مجلساً للإملاء في الحديث ، وكان أشعري الأصول ، شافعي الفروع ، وكان ولده أبو نصر عبد الرحيم^(١) كبير الشأن ، واطب على مجالسة إمام الحرمين ، وتخرج به ، ثم حج ، وعقد ببغداد مجلس وعظ ، وحصل له قبول تام ، وحضر مجلسه الشيخ أبو إسحق وغيره ، وأطبق علماء بغداد أنه لم ير مثله .

وفيها الخطيب المنتسب إلى المهدي العباسي ، وهو أبو الحسين محمد بن علي ، وكان سيد بني العباس وشيخهم ، يقال : إنه راهب بني هاشم ، لدينه وعبادته وسرده الصوم ، عاش خمساً وتسعين سنة .

وفيها أبو الربيع الأبلقي ، وأبلاق من بلد الشاش المتصلة بالترك ، تفقه عليه أهل الشاش وغيرهم .

سنة ست وستين وأربعمائة

كان الغرق ببغداد ، وطلع الماء ثلاثين ذراعاً ، وأقيمت الجمعة في الطيارة على ظهر الماء ، وكان الموج كالجبال .

وفيها توفي أبو سهل الحفصي^(٢) محمد بن أحمد المروزي ، راوي الصحيح على الكشميهني ، وكان رجلاً أميناً مباركاً ، سمع منه نظام الملك وأكرمه .

(١) في ب : عبد الكريم . (٢) في ب : الجعفي .

سنة سبع وستين وأربعمائة

توفي القائم بن القادر ، ومدته أربعون سنة ، وكان له فضل وعلم ، وبويح حفيده المقتدر (١) .

وتوفي جمال الإسلام أبو الحسن الداوردي ، وهو عبد الرحمن بن محمد بن المظفر البوشنجي ، شيخ خراسان علماً وفضلاً ، تفقه بالقتال والصعلوكي والإسفرائيني ، وروى عن ابن حمويه .

ومن شعره :

كان في الاجتماع من قبل نور
فمضى النور وادلهم الظلام
فسد الناس والزمان جميعاً
فعلى الناس والزمان السلام

وفيهما أبو الحسن البخارزي علي بن الحسن ، الرئيس الأديب ، صاحب (ذيل يتيمة الدهر) للثعالبي ، تفقه وتقن ، ثم غلب عليه الأدب والشعر ، وله ديوان كبير .

وفيهما مات الأمير محمود بن نصر الكلابي ، صاحب حلب ، ملكها بعد أبيه عشر سنين ، وكان يداري المصريين والعباسيين لتوسط داره بينهما ، قتله بعض الأتراك .

سنة ثمان وستين وأربعمائة

توفي الإمام المفسر علي بن محمد (٢) الواحدي أبو الحسن النيسابوري ، أستاذ عصره في النحو والتفسير ، تلميذ أبي إسحق الثعلبي ، رزق القبول فبسط وتوسط ووجز ، ومنه أخذ الغزالي أسماء كتبه ، وله (شرح أسماء الله الحسنى) و (أسباب النزول) و (شرح المتنبي) وهو أحسن شروحه ، وهو منسوب إلى الواحد من مهرة .

(١) في مرآة الجنان : المقتدي بأمر الله عبد الله بن محمد .

(٢) في مرآة الجنان ٩٦/٣ : علي بن أحمد .

وفيها البياضي^(١) الشاعر المشهور الهاشمي ، سمي بذلك لأنه حضر أحد أجداده مع جماعة من العباسيين مجلس بعض الخلفاء وهم لابسوا السواد على عاداتهم وهو لابس بياضاً ، فقال الخليفة : مَن ذلك البياضي ، فثبتت عليه • ومن شعر البياضي :

إن غاض دمعك والركاب تساق مع ما بقلبك فهو منك نفاق

سنة تسع وستين وأربعمائة

توفي إمام النحويين في عصره أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ ، صاحب (المقدمة) و (شرح الجمل) و (شرح كتاب الأصول لابن السراج) في مسودات توفي قبل تمامها ، قدر خمس مجلدات • وكان أهل الإنشاء لا ينفذون كتبهم حتى تعرض عليه ، وله مرتبة في ذلك ، ثم تزهّد ، ورغب عن الخدمة ، واستغنى بالله ، ولزم بيته ، وكان ملطوفاً به حتى مات ، وسببه أنه شاهد سنوراً أعمى في سطح الجامع يرقى إليه بقوته سنور آخر ويخدمه ، فكان له فيه عبرة • قيل : مات متردياً من غرفة ، وأصله من الديلم • وباب شاذ : كلمة أعجمية يتضمن معناها السرور والفرح •

سنة سبعين وأربعمائة

توفي أبو الحسن بن النّقّور — بالنون وتشديد القاف — محمد بن محمد البغدادي المحدث البزار ، أفناه الشيخ أبو إسحق بأخذ الأجرة على التحديث حين فوت عليه الطلبة كسبه • ومات وله إحدى وتسعون سنة •

وفيها توفي الحافظ أبو القاسم عبيد الله بن الجلاد^(٢) •

(١) اسمه مسعود بن عبد العزيز الهاشمي • (مرآة الجنان ٣/٩٧) •

(٢) في الأصل و ب تداخل بين أبي القاسم الجلاد وأبي القاسم ابن مندة ، وقد جرى تصويبه من مرآة الجنان ٣/٩٩ •

وفيها الحافظ ابن مندة ، وهو أبو القاسم عبد الرحمن الأصبهاني ، صاحب التصانيف ، كان ذا سمت ووقار ، وله أصحاب وأتباع • قال الذهبي : وفيه تستر مفرط ، وجرى على الظواهر ، بسببه اتهم بالتجسيم ، قال : وهو منه بريء فيما علمت ، ولم يوجد التصريح بالتجسيم في كلامه ، لكنه يقول بالجهة ، ويلزم منه القول بالتجسيم ، وفي ملزوم المذهب خلاف مشهور ، فأما إذا اعتقد الحركة والنزول والجارحة فصريح في التجسيم ، والله أعلم •

سنة إحدى وسبعين وأربعمائة

توفي أبو علي بن البناء الحسين ^(١) بن أحمد البغدادي الحنبلي ، صاحب التوليف والتاريخ ، الفقيه الزاهد •

والحافظ القدوة [الزاهد] ^(٢) نزيل الحرم الشريف أبو القاسم سعد بن علي الزنجاني ، كان صاحب كرامات وآيات ، يزدحم الناس عليه عند الطواف كازدحامهم على الحجر •

[وسئل محمد بن طاهر المقدسي عن أفضل من رأى ، فقال : سعد الزنجاني] ^(٣) وشيخ الإسلام الأنصاري ، وكان الأنصاري متفنناً ، والزنجاني أعرف منه بالحديث • وشيخ زمانه في همدان فضلاً وعلماً وجلالة وزهداً وتفنناً في العلوم أبو الفضل محمد بن عثمان بن زيرك القومساني • وأبو الفتيان بن حيّوس ، وكان أحد الشعراء النبلاء المدونين •

(١) في مرآة الجنان ٣/١٠٠ : الحسن بن أحمد •

(٢) زيادة من ب •

(٣) ما بين المعقوفين نقص مغل من الاصل و ب ، واستدرك من مرآة الجنان

١٠٠/٣ - ١٠١ •

سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة

توفي أبو محمد هياج بن عبيد^(١) العابد الزاهد ، كان يفطر على ماء زمزم ، ولا يطعم الطعام ثلاثاً ، فإذا كان اليوم الثالث من آتاه بشيء آكله ، وكان قد نيف على الثمانين ، وكان يعتمر في كل يوم ثلاث عمر ماشياً ، ويدرس عدة دروس لأصحابه ، ويزور قبر النبي ﷺ في كل سنة من مكة حافياً ذهاباً وإياباً . روى عن أبي ذر الهروي وطائفة .

سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة

أبو الحسن [علي بن محمد]^(٢) الصثلِيحي القائم باليمن ، كان أبوه قاضياً باليمن ، سني العقيدة ، وكان الداعي عامر بن عبد الله الرواحي يتردد إليه لرياسته وصلاحه ، فاستمال الداعي ولده المذكور وهو دون البلوغ . قيل : إنه رأى حليته^(٣) في كتاب الصور وتنقل حاله وما يقول إليه ، وهو عندهم من الذخائر القديمة المظنونة ، فأطلع على ذلك ، وكنمه عن أبيه وأهله ، ومات الرواحي عقيب ذلك على القرب ، وأوصى له بكتبه ، فعكف على درسها مع فطنته ، فلم يبلغ الحلم حتى تضلع من علم الباطنية الضلالية الأوهامية الإسماعيلية ، متبصراً في علم التأويل المخالف لمفهوم التنزيل ، ثم صار يحج بالناس دليلاً في طريق السروات والطائف خمس عشرة سنة ، وشاع في الناس أنه يملك اليمن بأسره ، وكان يكره من يقول له ذلك ، فلما كان سنة تسع وعشرين وأربعمائة ارتقى جبل مسور ، وهو أعلى جبال اليمن ذروة ، ومعه ستون رجلاً قد حالفهم بمكة على الموت ، فلما صعده لم ينتصف النهار حتى أحاط به عشرون ألف ضارب ، وقالوا : إن نزلت وإلا قتلناك بالجوع ، فقال لهم : لم أفعل هذا إلا خشية أن يركبه غيرنا ويملكونكم ، فإن تركتموني وإلا نزلت ، فانصرفوا عنه ،

(١) كذا في ب ومرآة الجنان ١٠٢/٣ ، وفي الأصل : على بن محمد هياج .

(٢) زيادة من ب . (٣) في ب : حليته .

فبنى فيه بعد هذا ، واستعد بأنواع العدة ، واستنفل أمره ، وكان يدعو للمتصر (١)
العبيدي الباطني صاحب مصر خفية ، ويخاف من نجاح صاحب تهامة ويدار به حتى
قتله بالسهم مع جارية جميلة أهداها له ، بالكدراء ، ثم استأذن المتصر في إظهار الدعوة ،
فأذن له ، فطوى البلاد ، وافتتح الحصون سريعاً ، وقال في خطبته بجامع الجند :
في مثل هذا اليوم يُخطب على منبر جامع عدن ، ولم يكن ملكها بعد ، فقال بعض من
حضر : سُبُوح "قدوس ، والله أعلم قالها استهزاءً أو تعظيماً ، وكلا الأمرين لا ينبغي ،
وإن كان أحدهما أهون من الآخر ، فكان كما قال * فقام ذلك الإنسان وعلا في
القول (٢) ودخل في بيعته ومذهبه *

واستقر ملكه في ظفار (٣) ، وولى حصون اليمن غير أهلها ، وحلف ألا يولي
تهامة إلا من وزن له مائة ألف دينار ، فوزتها زوجته أسماء بنت شهاب عن أخيها
أسعد بن شهاب ، فولاه وقال لها : يا مولاتنا أتتى لك هذا ؟ فقالت : (هو من عند
الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) ، فتبسم وقال : (هذه بضاعتنا ردت إلينا) ،
فقالت : (ونمير أهلنا ونحفظ أخانا) *

وعزم على الحج في سنة ثلاث وسبعين في ألفي فارس وأربعمائة ، منهم من آل
الصليحي مائة وستون شخصاً واستخلف ولده أحمد المكرم ، فنزل بظاهر المهجم (٤)
بضيعة تسمى أم الذهب وبئر أم معبد ، فهجمه سعيد الأحول بن نجاح الذي قتله
بالسهم ، ولم يشعر عسكره ونواحي جيشه إلا وقد قتل ، فاندعروا وفزعوا ، وكان
أصحاب الأحول سبعين رجلاً رجالة ، بيد كل واحد منهم جريدة فيها مسمار حديد ،
وتركوا جادة الطريق وسلكوا الساحل ، فوصلوا في ثلاثة أيام ، وكان الصليحي قد
سمع بهم وأرصد لهم نحو خمسة آلاف من الحبشة ، فاختلفت طريقهم ، ولما رأهم

(١) في مرآة الجنان ١٠٤/٣ : للمستنصر .

(٢) في مرآة الجنان ١٠٥/٣ : وتعالى في المقام .

(٣) في ب و مرآة الجنان : في صنعاء ، ولعله الأصوب .

(٤) في مرآة الجنان ١٠٥/٣ : المنجم ، وفي ١٠٦/٣ : المخيم .

الصليحي مع ما هم فيه من التعب والحفاء والجوع ، ظن أنهم من جملة عسكره ، فقال له أخوه : اركب فهذا والله الأحول ، فلم يبرح الصليحي من مكآته حتى وصل إليه الأحول ، فقتله وقتل أخاه وسائر الصليحيين ، وصالح بقية العسكر وقال : إنما أخذت بثأري ، ثم رفع رأس الصليحي على رأس عود المظلة ، وقرأ القارئ (قل اللهم مالك الملك) الآية ، ورجع الأحول إلى زييد سالماً غانماً .

وكان قد قام بالدعوة الباطنية قبل الصليحي علي بن فضل من ولد خنفر ، [بن سبأ] (١) سنة سبعين ، وملك تهامة اليمن وجبالها ، وطرده الناصر بن الهادي ، والله أعلم .

سنة أربع وسبعين وأربعمائة

توفي أبو الوليد الباجي سليمان بن خلف المالكي الأندلسي ، الإمام الحافظ ، أقام بمكة مع أبي ذر الهروي ثلاثة أعوام ، وكان يذهب معه إلى السراة ، ثم قدم بغداد ، ولقي القاضي أبا الطيب والشيخ أبا إسحق وأخذ عنهم ، وتفنن في عدة فنون ، وصنف في الأصول والجرح والتعديل ، وله مع ابن حزم الظاهري مناظرات ، وولي القضاء بالأندلس . وباجة : مدينة بإفريقية ، وبأصبهان باجة أخرى .

وفيها أبو بكر بن محمد المزكي النيسابوري المحدث ، كتب عن خمسمائة نفس ، وأكثر عن أبيه وأبي عبد الرحمن السلمي والحاكم . وروى عنه الخطيب مع تقدمه .

سنة خمس وسبعين وأربعمائة

قدم الشريف أبو القاسم البكري الواعظ من عند نظام الملك إلى بغداد ، فوعظ بالنظامية ، ورمى الحنابلة بالتجسيم ، فسبوه .

وفيها مات مفتي الحرمين عبد الرحمن بن محمد أبو القاسم الخرقى . وخرق : قرية بمر ، تفقه على الفوراني وغيره .

(١) زيادة من ب .

سنة ست وسبعين وأربعمائة

توفي الشيخ الإمام أبو إسحق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي ،
نسبة إلى فيروزآباد من قرى شيراز ، قرأ على أبي عبد الله البضاوي ، ثم بالبصرة ،
ثم ببغداد ، ولازم القاضي أبا الطيب واتفح به وجعله مفيداً ، وصنف التصانيف
المباركة المتلقاة بالقبول (كالتنبيه) و (المهذب) في الفروع و (اللمع) و (النكت)
في الأصول وغيرها . وله شعر حسن ، منه :

سألت الناس عن خِلِّ وفيَّ فقالوا ما إلى هذا سبيل
تمسكْ إن ظفرتَ بوَدِّ حرٍّ فإنَّ الحرَّ في الدنيا قليلٌ

تخرج على أئمة كبار^(١) ، ولم يحج ، ولا وجب عليه الحج لفقره ، ولو أراد
من غيره لحمل على الأعناق ، وكذلك الدامغاني على جلالته قدره . سمع الحديث
من البرقاني وغيره ، وكان أشعرياً ، وقد خالف الأشعري بقوله في (اللمع) : وقالت
الأشعرية : الأمر لا صيغة له ، لانفراد الأشعري بها . وقد أفتى هو تبعاً لغيره
بأن من طعن على الأشعرية طعن على أهل السنة ، ويجب على الوالي تأديبه بما يرتدع
به هو وغيره .

ورأى النبي ﷺ في النوم وسأله أن يروي عنه حديثاً بغير واسطة ، فقال :
يا شيخ ، من أراد السلامة فليطلبها في سلامة غيره منه .

ولما قدم نيسابور رسولاً من جهة المقتدر^(٢) تلقاه الناس ، وحمل إمام الحرمين
الغاشية بين يديه ، وناظره فعلمه الشيخ بقوة الجدل . قيل : قال له : ما غلبتني
إلا بصلاحك . ولما شافهه المقتدر بالرسالة قال له : وما يدريني أنك الخليفة ولم أرك
قبلها ، فتبسم وأمرَ مَنْ عرفه .

(١) في مرآة الجنان ١١١/٣ : تخرج به أئمة كبار .

(٢) في مرآة الجنان ١١٢/٣ : المقتدي بأمر الله .

وتراكب الناس عليه في بلاد العجم حتى تمسحوا بأطراف ثيابه وتراب نعله .
وتقدم أنه اعتذر من تدريس النظامية ، وأختفى ولم يزل نظام الملك يتلطف له حتى
رجع وبان على أصحابه والناس ما لا يخفى . وذكر أن أصحابه أرسلوا إليه أنه إن
لم يرجع إلى المدرسة وإلا خلفه ابن الصباغ ، فأجاب : وعزل ابن الصباغ . وكان
مدته في ذلك عشرين يوماً . وتحمل على أن للشيخ مقصداً صالحاً لا لمجرد
الرياسة .

وقد جرى للفقير علي بن قاسم الحكمي مع سلطان اليمن واقعة ، وذلك أنه
قال : إما أن تدرّس وإما أن تخرج من بلدي . وأمر بحبسّه ، وأخذوه بأطراف
قميصه فقال : يا قميص السلطان اخنقه ، فخنقه ، فأمر به فأطلق . وكان له معرفة
عظيمة في [كتاب]^(١) (التنبيه) بحيث أنه يجيب منه بما سئل .

وابتلي الشيخ أبو إسحق بوسوسة الوضوء ، فغسل مرةً وجهه في الشط
مراراً ، فقال رجل : يا شيخ ، أما تستحيي؟! تغسل وجهك كذا وكذا مرة! فقال :
لو حصلت لي الثلاث ما زدت عليها .

وروي أنه كان يخرج من النظامية وقت الصلاة ويصلي في مسجد آخر ويقول :
بلغني أن أكثر آلائها مفصوبة . وهذا خلاف ما ظهر من ملازمته لها .

وروي أنه كان يذهب في كل جمعة إلى الشط فيغسل ثيابه وبدنه ويصلي
صلاة أسبوع قضاءً ، احتياطاً لا وسوسة .

ولما مات الخليفة استقر رأي الناس على من اختاره الشيخ أبو إسحق ، فاختر
المقتدر^(٢) .

وروي النووي [في تهذيبه]^(٣) أن الشيخ أبا إسحق كان طارحاً للتكلف ،
روي أنه جيء بسؤال وهو عند دكان خباز أو يقال : فأخذ قلمه ودواته وأجاب على
السؤال ، ثم مسح بالقلم ثوبه ، وهذا أولى به من معنى الوسوسة المخالف بمثله .

(١) زيادة من ب . في مرآة الجنان : المقتدي .

(٢) زيادة من ب .

وعلى الجملة فإنه ممن أطبق الناس على فضله وسعة علمه وحسن سمته وصلاحه مع القبول التام من الخاص والعام ، وقد أثنى عليه علماء وقته بما يطول شرحه ، قال الملووردي : لو رآه الشافعي لتحمل به ، أو قال : لأعجب به . وقال الشاشي : هو حجة على أئمة العصر .

وقال فيه عاصم بن الحسين :

تراه من الذكاء نحيف جسم
إذا كان الفتى ضخماً المعالي
عليه من توثقه دليل
فليس يضره الجسم النحيل
ومما قيل فيه :

أزكى الورى ديناً وأكرم شيمة
وأقل في الدنيا القصيرة رغبة
ولله إبراهيم أي محقق
فتخاله في زهده ومخافه
وأمد في طلق العلوم بياناً
ولطالما قد أنصب الرهباناً
صلب إذا رب البصيرة لانا
لله قد نظر المعاد عياناً

مات وله ثلاث وثمانون سنة . ومن رثاه أبو القاسم بن نافيا فقال :

أجرى المدامع بالدم المهرق
ما لليالي لا تؤلف شملها
خُطب" أقام قيامة الآفاق
بعد ابن بجدتها أبي إسحق
حي على مر الليالي باق
إن قيل مات فلم يمت من ذكره

ولما مات جلس أصحابه للجزاء في النظامية ، ولما انقضى الجزاء رتب ابن نظام الملك أبا سعيد المتولي مدرساً ، وبلغ ذلك نظام الملك فقال : كان ينبغي أن تغلق سنة لأجل مصابه . وأمر أن يدرس بها ابن الصباغ .

سنة سبع وسبعين وأربعمائة

مات أبو حليم الخيري^(١) ، نسبة إلى خير بنواحي شيراز ، وكان فقيهاً صالحاً مهيباً ، كان يكتب في مصحف ، فألقى القلم من يده واستند وقال : والله إن هذا موت هنيئ طيب ، ثم مات رحمه الله .

(١) ترجمته في ب ملحقة بالسنة السابقة .

وفيها أبو سعيد عبد الله بن الإمام عبد الكريم القشيري^(١) ، أكبر إخوته من فاطمة بنت الشيخ أبي علي الدقاق ، وعاشت فاطمة بعده أربعة أعوام . وكانت فيه أوصاف قل أن تجتمع في إنسان ، أو يعبر عنها لسان ، وكان أبوه يحترمه ويعامله معاملة الأقران لما ظهر منه .

وفيها الإمام المجيد المفيد أبو نصر بن الصباغ ، واسمه عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد البغدادي ، فقيه العراق ، يضاهاه الشيخ أبا إسحاق ، ورجحه بعضهم عليه في الفقه ، وكان تقياً صالحاً حجة ، يرحل إليه ، وكتابه (الشامل) من أجل الكتب ، وأصحها نقلاً ، وأثبتها أدلة ، وله كتاب (تذكرة العالم والطريق السالم) و (العدة) في أصول الفقه . وكف بصره في آخر عمره .

سنة ثمان وسبعين وأربعمائة

توفي محدث الأندلس أبو العباس أحمد بن عمر الأندلسي . روى عن الحسين ابن جهضم وطائفة ، روى عنه إماما المغرب : ابن عبد البر ، وابن حزم ، وله : (دلائل النبوة) .

وفيها توفي الإمام الكبير الفقيه البارع أبو سعد ، وقيل : أبو سعيد ، المتولي ، وهو عبد الرحمن بن محمد النيسابوري ، شيخ الشافعية ، وتلميذ القاضي حسين ، جمع العلم والدين وحسن السيرة وتحقيق النظر في الفقه والأصول والخلاف ، ودرّس في النظامية بعد أبي إسحاق إلى أن توفي ، وكتابه (التتمة) من أجل كتب الشافعية ، وعاجلته المنية قبل تمامه ، فأتمه جماعة ولم يفوا بالمقصود من طريقته ، وهي تتمة (الإبانة) لشيخه الفُوراني . وله في الفرائض مختصر مفيد ، وطريقته في الخلاف جامعة لأنواع المآخذ . قيل : ولم يعلم سبب تسميته بالمتولي .

(١) كذا في ب ومرآة الجنان ٣/١٢١ ، وفي الأصل : القرشي .

وفيهما قاضي القضاة الدامغاني أبو عبد الله محمد بن علي الحنفي ، تفقه على القدوري ، وكان كأبي يوسف في الجاه والحشمة ، وعمر في القضاء ذهراً طويلاً ، ولما مات دفن إلى جنب أبي حنيفة في قبته .

وفيهما الفقيه الإمام في الأصلين وسائر العلوم إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني ، فخر الإسلام ، تفقه في صباه على والده واشتغل به مدته ، فلما توفي والده أتى على جميع مصنفاته ونقلها ظهراً لبطن ، وتصرف فيها ، وخرج المسائل بعضها على بعض ، ولم يرضَ بتقليد والده من كل وجه حتى أخذ في تحقيق المذهب والخلاف ، وسلك طريق المباحثة والمناظرة ، وجمع الطرف بالمطالعة حتى أربى على المتقدمين ، وأنى مصنفات الأولين .

توفي والده وهو دون العشرين سنة فأقعد مكانه للتدريس ، وكان يتردد إلى المشايخ في أنواع العلوم ، ويواظب على مجلسه ، حتى ظهرت براعته . ولما ظهر التعصب بين الأشعرية والبتدعة خرج مع المشايخ إلى بغداد ، فلقى الأكابر ، وناظر ، وظهرت فطنته ، وشاع ذكره ، ثم خرج إلى مكة فجاور بها أربع سنين ينشر العلم ، ولهذا قيل له : إمام الحرمين ، ثم رجع بعد مضي نوبة التعصب إلى نيسابور في ولاية ألب أرسلان السلجوقي ، ثم عاد إلى بغداد فتولى تدريس النظامية والخطابة والتذكير والإمامة ، وهجرت له المجالس ، وانفمر ذكر غيره من العلماء ، وشاعت مصنفاته وبركاته ، وكان يقعد بين يديه كل يوم نحو ثلاثمائة رجل من الطلبة والأئمة وأولاد الصدور . وحصل له من القبول عند السلطان ما هو لائق بمنصبه بحيث لا يذكر غيره ، والمقبول من اتمى إليه وقرأ عليه . وصنف (النظامي) و (الغياتي) فقبول بما يليق بهما من الشكر والخلع الفائقة والمرائب الثمينة والمرسومات (١) ، ثم قلد رعاية الأصحاب ورياسة الطائفة ، وفوض إليه أمر الأوقاف . وصار إلى أصبهان بسبب مخالفة الأصحاب ، فقابله نظام الملك بما هو لائق بمنصبه . وعاد إلى نيسابور ،

(١) في مرآة الجنان ١٢٦/٣ : الموسومات .

وكان أكثر عنايته (بنهاية المطلب في دراية المذهب) ، أودعه من التدقيق والتحقيق ما يعلم به مكاتته من العلم والفهم ، واعترف أهل وقته بأنه لم يصنف في المذهب مثله ، وشكروا الله تعالى على تمامه • وصنف (الشامل) في أصول الدين ، و (الإرشاد) و (العقيدة النظامية) و (غياث الأمم) في الإمامة ، و (مغيث الخلق في اختيار الأحق) ، و (البرهان) في أصول الفقه ، وغيرها •

وكان مع رفعة وجلالة قدره له حظ وافر من التواضع ؛ من ذلك أنه لما قدم أبو الحسن المجاشعي تلمذ له وقرأ عليه كتاب (أكسير الذهب في صناعة الأدب) من تصنيفه • وقد تقدم أنه حمل بين يدي الشيخ [أبي إسحق] (١) الغاشية •

وقد أثنى عليه علماء وقته ؛ من ذلك قول الشيخ أبي إسحق : تمتعوا بهذا الإمام فإنه نزهة هذا الزمان ، وقال له في أثناء كلامه : يا مفيد أهل المشرق والمغرب ، أنت إمام الأئمة اليوم • وقال المجاشعي : ما رأيت عاشقاً للعلم في أي فن كان مثل هذا الإمام •

وما كان يستصغر أحداً حتى يسمع كلامه ، ولا يستنكف من أن يعزو الفائدة إلى قائلها ، ويقول : استفدتها من فلان ، وإذا لم يرض كلامه زيفه ولو كان أباه • وقال في اعتراض علي والده : وهذه زلة من الشيخ رحمه الله • وكان إذا شرع في حكايات الأحوال وعلم الصوفية ومجالس الوعظ والتذكير يبكي كثيراً حتى يبكي غيره لبكائه ، وربما زعق ولحقه الاحتراق العظيم إذا أخذ في التفكير •

وسمع الحديث من جماعة كثيرة ، وأجاز له الحافظ أبو نعيم صاحب (الحلية) ، وسمع (سنن) الدارقطني من أبي سعيد بن عليك ، وكان يعتمد تلك الأحاديث في مسائل الخلاف ، ويذكر الجرح والتعديل في الرواية • وروى أن والده في ابتداء أمره كان ينسخ بالأجرة حتى اجتمع له شيء فاشتري به جارية سالحة ، ووطنها ، ولما وضعت إمام الحرمين أوصاها أن لا يرضع من غيرها ، فأرضعته يوماً جارة لهم ؛ فاجتهد الشيخ في تقيتها حتى قاءها • وكان ربما لحقته فترة بعد إمامته فيقول : لعل هذه من بقايا تلك الرضعة •

(١) زيادة من ب .

ولما مات جزع الناس عليه ما لا يعهد لغيره ، وغلقت أبواب البلد ، وكشفت الرؤوس حتى ما اجترأ أحد من الأعيان أن يغطي رأسه ، وصلى عليه ولده أبو القاسم بعد جهد عظيم من الزحام • ودفن في داره بنيسابور ، ثم نقل بعد سنين إلى مقبرة الحسين ، وكسر منبره في الجامع ، وقعد الناس للغزاء أياماً عزاءً عاماً ، وكان طلبته نحو أربعمائة يطوفون في البلد باكين عليه ، وكان عمره تسعاً وخمسين سنة • وآثاره في الدين باقية ، وإن انقطع نسله ظاهراً فنشر علمه يقوم مقام كل نسب • وراثه كثير من الشعراء ، رحمه الله تعالى •

سنة ثمانين وأربعمائة

عرس الخليفة المقتدر بينت السلطان ملك شاه السلجوقي، وأنفق الخليفة أموالاً خطيرة على الأمراء والوزراء ، وعمل سماً في أربعون ألف من السكر •

وفيها توفيت الشيخة الصالحة فاطمة بنت أبي علي الدقاق (١) زوجة الشيخ أبي القاسم القشيري ، وكانت عابدة عالية الإسناد ، روت عن أبي نعيم الإسفرائيني والحاكم وطبقتهما •

وفيها توفيت فاطمة بنت الحسن بن علي الأقرع ، الكاتبة المجودة على طريقة ابن البواب • حكى أنها كتبت ورقة للوزير الكندي فأعطها ألف دينار •

وفيها السيد المرتضى ذو الشرفين أبو المعالي محمد بن محمد بن وزير (٢) العلوي الحسيني الحافظ ، قتله الخاقان وراء النهر ظملاً • روى عن علي بن شاذان وخلق ، وتخرج بالخطيب ولازمه ، وصنف وحدث ببغداد وسمرقند وأصبهان ، وكان يفرق زكاة ماله في العام عشرة آلاف •

(١) كذا في مرآة الجنان ٣/١٣٢ ، وفي الأصل و ب : الروذباري .

(٢) في مرآة الجنان ٣/١٣٢ : ابن زيد .

سنة إحدى وثمانين وأربعمائة

توفي شيخ خراسان القدوة الحافظ أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري ، له عدة تصانيف ، وكان من أئمة الحنابلة • شكاه أئمة الشافعية والحنفية إلى الوزير ، ورموه بالتجسيم والتشبيه والاتحاد ، فلم يؤثر إنكارهم عليه لقوة جاهه •

قال الفقيه حسين : ومن تأمل كتابه (منازل السائرين) ظهر له منه أصول الاتحاد ، لكن الذهبي أشار إلى تأويل قوله لجلالة قدره في الإسلام ، وقد تعارضت الظنون فيه ، وفضله مشهور •

وفيها مات ابن ماجة الأبهري محمد بن أحمد الأصبهاني ، عاش خمسا وتسعين سنة •

سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة

توفي أحمد بن محمد بن صاعد أبو نصر الحنفي رئيس نيسابور وقاضيا ، كان يقال له : شيخ الإسلام ، كان مغالياً في التعصب لمذهبه • ومؤلف كتاب (بستان العارفين) محمد بن أحمد بن أبي جعفر المحدث ، كان صوفياً عابداً ، صاحب حديث ، روى عن الحاكم وطائفة •

سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة

كانت وقعة هائلة لم يسمع بمثلها بين أهل السنة والرافضة ، قتل فيها عدد كثير ، واستظهر أهل السنة بأعوان الخليفة ، وأجابت الشيعة إلى أن كتبوا على مساجد الكرخ : خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ، ولم يكن هذا إلا عن ذل عظيم •

سنة خمس وثمانين وأربعمائة

قتل الوزير نظام الملك ، قوام الدين ، أبو علي الحسن بن علي الطوسي ، أول من تلقب بفلان الدين ، وكانوا يلقبون قبله بفلان الدولة والملك ، قال الياضي : حتى لقبوا بفلان الدين السوقة ، والفجرة ، وفي ذلك قلت في بعض القصائد :

يسمى فلانُ الدين مَنْ هو عكس ما تسمى به حاوي الخصال الدينية
فنور "ظلام" والكمال "نقيصة" ومحبي مبيت" ثم عكس القضية

وقال الفقيه أحمد بن موسى بن عجيل : أصدق هذه الألقاب صارم الدين ،
أي : قاطع الدين •

وأول شأن النظام أنه كان يكتب للسلطان داود بن ميكائيل السلجوقي التركي والد السلطان ألب أرسلان ، فعظمت منزلته عنده ، فلما توفي اتخذه ألب أرسلان والدأ وألقى إليه بجميع أموره ، وبقي في خدمته عشرين سنة (١) • ثم تولاه بعده ابنه ملك شاه ، فكان كذلك وأبلغ عشرين سنة • ودخل على المقندر (٢) فأجلسه بين يديه وقال : يا حسن ، رضي الله عنك برضى أمير المؤمنين عنك •

وكان النظام كثير الخير ، وبنى كثيراً من المساجد والربط والمدارس في كثير من البلدان • وأملى واستمع الحديث ، وكان يقول : لست أهلاً لذلك ولكن أربط نفسي بقطار المحدثين • وكان كثير الإنعام على المحدثين والفقهاء والصوفية ، ومجلسه دائماً أهل لهم •

جاءه في أول أمره صوفي وهو في خدمة بعض الأمراء فقال له : اخدم من تنفعك خدمته ، ولا تشتغل بمن تأكله الكلاب غداً • فاتفق أن ذلك الأمير من الغد غلب عليه السكر ، فخرج وحده ، وكان معه كلاب تفترس من أفكرته ، فمزقته • وكان النظام يقول : أنا أخدم الصوفية لعلني أظفر ببعض ذلك •

(١) في ب : عشر سنين . (٢) في مرآة الجنان ٣/١٣٦ : المقندي .

وكان إذا سمع الأذان شغله عن كل شيء • ويبالغ في إكرام إمام الحرمين
والقشيري وأمثالهما •

وسبب موته أنه توجه صحبة ملك شاه إلى أصبهان فأفطر ليلة عاشر رمضان ،
وركب في محفته ، فبلغ قرية من نهاوند حيث الواقعة العظيمة التي استشهد فيها
النعمان بن مقرن في زمن عمر ، فقال النظام : طوبى لمن كان معهم وحضرهم ، فاعترضهم
صبي ديلمي على هيئة الصوفية ، فمد يده إليه تبركاً ، فضرب يده بسكين ، فحمل
إلى مضربه ، فمات ، وقتل القاتل في الحال ، وحمل النظام إلى أصبهان فدفن بها •
قيل : إن السلطان دس عليه ذلك ، لأنه سئم من طول حياته ، ولم يعيش بعده إلا نحو
شهر • وقيل غير ذلك • وكان عمره ثمانياً وسبعين^(١) سنة • وقال فيه أبو الهيثم
البكري :

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة نقيسة صاغها الرحمن من شرف
ضاعت فلم تعرف الأيام قيمتها فردّها غيرةً منه إلى الصدف

وفيهما الإمام الكبير العالم أبو بكر الشاشي محمد بن علي بن حامد ، شيخ
الشافعية ، صاحب الطريقة المشهورة والتصانيف المشكورة ، تفقه ببلاده [على أبي
بكر السبخي]^(٢) ، وتوفي عن نيف وتسعين سنة •

وفيهما توفي السلطان ملك شاه بن ألب أرسلان محمد بن داود السلجوقي
التركي ، ملك ما وراء النهر وبلاد الهياطلة وبلاد الروم والجزيرة والشام والعراق
وغير ذلك من مدينة كاشغراء الترك إلى بيت المقدس طويلاً ، ومن القسطنطينية وبلاد
الجزر إلى الهند عرضاً • ولقب بالعدل لحسن سيرته ، وكان مغرمًا^(٣) بالصيد حتى
قيل : إنه صاد بيده عشرة آلاف أو أكثر ، حتى بنى من حوافر الجمر وقرون الظباء
منارةً على طريق الحاج تعرف بمنارة القرون ، وتصنق عن كل نسمة بدينار وقال :
إني خائف من الله سبحانه وتعالى من إرهاب النفس لغير فائدة ولا مأكلة •

(١) كذا في ب ، وفي الأصل : ثمانياً وخمسين •

(٢) نقص من النسختين ، واستدرك من مرآة الجنان ٣/١٣٨ •

(٣) كذا في ب ، وفي الأصل : متعنياً •

وكان المقتدر قد تزوج بابنته ، وكان السفير في زواجها الشيخ أبو إسحق ، وزفت إليه سنة ثمانين ، ورزق منها ولداً .

ولما مات السلطان لم يفعل به كسائر السلاطين ، ولم يحضر جنازته أحد ظاهراً ، ولم تقطع أذنان الخيل لأجله .

ولما مات ملك شاه سار أخوه [تتش]^(١) - بالتاءين والشين [المعجمة]^(١) - فالتقاء إبراهيم العقيلي في ثلاثين ألفاً ، فأسر إبراهيم وقتله صبراً .

وفيهما توفي أبو الفضل الأصفهاني ، جمع وصنف وخرّج على الصحيحين ، روى عن ابن مردويه^(٢) وخلق .

وفيهما توفي شيخ الإسلام الهكاري أبو الحسن علي بن أحمد الأموي ، من ذرية عتبة بن أبي سفيان الأموي ، وكان زاهداً صالحاً ، ذا وقار وهيبة وتدين ، وكان له رحلة في الحديث .

سنة سبع وثمانين وأربعمائة

توفي الخليفة المقتدر^(٣) أبو القاسم العباسي ، ببيع بعد جده القائم وله تسع عشرة سنة [ومات فجاءةً وله تسع وثلاثون سنة]^(٤) ، قيل : سمته جاريته ، وكانت أيامه زاهرة نيرة وافرة ، أمر بنفي البغايا والمغنيات ، وببيع بعده المستظهر أحمد .

وفيهما الحافظ الكبير أبو نصر بن ماکولا علي بن هبة الله العجلي البغدادي النسابة ، صاحب التصانيف النافعة . قال الحميدي : ما راجعت الخطيب بشيء إلا أحالني على الكتاب ، ولا راجعت أبا نصر إلا أجابني من حفظه كأنه يقرأ من كتاب .

(١) زيادة من ب ومرآة الجنان ١٤١/٣ .

(٢) كذا في ب ومرآة الجنان ١٤٢/٣ ، وفي الأصل : مرزويه .

(٣) في مرآة الجنان ١٤٣/٣ ، وهامش ب : المقتدي .

(٤) زيادة من ب ومرآة الجنان .

جمع فنوناً من العلم ، وسمع بيلدان شتى ، وكتابه (الإكمال في المشتبه من أسماء الرجال) من أجل الكتب وأعظمها فائدة ، لم يوضع في بابيه مثله ، وذيقه ابن نقطة ، وما أقصر فيه • وهو من ذرية الأمير الممدح أبي دلف العجلي •

وله شعر جيد ، منه قوله :

قوض خيامك عن أرض تهبان بها وجانب الذل إن الذل يُجْتَنَبُ
وارحل إذا كان في الأوطان منقصةً لا خير في منزل أوطانه حطب^(١)

قتله غلمانه من الترك ، وأخذوا ماله ، وهربوا •

وفيها المنتصر^(٢) العبيدي أبو تميم ، صاحب مصر ، كبر شأنه ، وخطب له
بيغداد إرسالان البساسيري ، وقطع خطبة القائم • وناب عنه الصليحي باليمن ، ولي
الأمر وهو ابن سبع سنين ، وأقام فيه ستين سنة • وحدث في أيامه الغلاء المفرط الذي
لم يعهد مثله إلا في أيام يوسف الصديق ، ودام سبع سنين كسني يوسف عليه السلام ،
وبيع رغيف بخمسين ديناراً ، وأكل الناس بعضهم بعضاً ، وكان المنتصر يركب وحده
على بغلة وأصحابه يتساقطون بين يديه ، وذلك في سنة اثنتين وستين وأربعمائة •

سنة ثمان وثمانين وأربعمائة

توفي صاحب الأندلس المعتمد بن المعتضد^(٣) اللخمي ، من ذرية النعمان بن
المنذر ملك الحيرة ، بعد أن ملك نيماً وعشرين سنة ، فهره أمير المسلمين يوسف بن
ناشقين ، وسجنه حتى مات ، وخلع عن ثمانمائة سرية ومائة وثلاثة وسبعين ولداً •
وكان مستجعماً لخصال الكمال ، ورثاه الشعراء فأكثروا •

(١) في مرآة الجنان : فالمندل الرطب في أوطانه الحطب .

(٢) في مرآة الجنان ٣/١٤٥ : المستنصر .

(٣) في الأصل : المعتمد بن عباد المعتضد ، وما أثبت من ب .

وفيها مات قاضي القضاة [أبو بكر] أحمد بن محمد الحموي الشافعي ، ولي القضاء بعد أبي عبد الله الدامغاني ، ولم يأخذ على القضاء رزقاً ولا غير لباسه ، وحمدت سيرته جداً . قال ابن سكرة : لو رفع المذهب كان يمليه من صدره .

والإمام الحميدي أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الأندلسي ، مؤلف (الجمع بين الصحيحين) الذي لم يصنف في بابيه مثله . صحب عالمي المغرب ابن عبد البر وابن حزم ، وسمع ببلدان شتى ، وكتب عن خلق كثير ، وكان أحد حفاظ الدنيا ، وصنف كثيراً ، وهو ظاهري المذهب ، وله تاريخ شغله عنه الصحيحان إلى أن مات . قال أبو بكر بن طرخان : أشدني لنفسه :

فأقلل من لقاء الناس إلا لأخذ العلم أو إصلاح حال

سنة تسع وثمانين وأربعمائة

توفي أبو أحمد القاسم بن مظفر الشهرزوري ، ولي قضاء إربل ثم سنجان ، وله أولاد [وحفدة أنجبوا]^(١) ، ومن شعره :

همتني دونها السها والثريا قد عكّت جهدها فما تتوانا

وقيل : إنها لولده قاضي الخافقين ، وقيل له قاضي الخافقين لسعة ما تولى . وشهرزور من أعمال إربل ، مات بها الإسكندر ذو القرنين ، وقيل : مات بمداين كسرى ، وحمل إلى الإسكندرية ، ودفن عند أمه ، والله أعلم .

وفيها توفي الحافظ مفيد بغداد [محمد بن أحمد]^(٢) ، عرف بابن الحاضنة^(٣) ، روى عن الخطيب وغيره ، وكان محبباً إلى الناس لاستجماعه لخصال كثيرة من الخير وبذله نفسه في قضاء حوائج الناس .

(١) زيادة من ب ومرآة الجنان ٣ / ١٥٠ .

(٢) زيادة من ب ومرآة الجنان ٣ / ١٥١ .

(٣) كذا في النسختين ، وفي مرآة الجنان : ابن الخاضبة .

والإمام العلامة أبو المظفر السمعاني منصور بن محمد التميمي [المروزي] (١) الحنفي ثم الشافعي ، تفقه على والده وغيره ، وكان إمام وقته في مذهب أبي حنيفة ، فلما حج ظهر له بالحجاز ما اقتضى انتقاله إلى مذهب الشافعي ، ولما عاد إلى مرو لقي أذىً عظيماً بسبب انتقاله ، وصنف في مذهب الشافعي كتباً كثيرة ، وصنف في الرد على المخالفين ، وله (الطبقات) أجاد فيه وأحسن ، وله تفسير جيد ، وجمع في الحديث ألف جزء عن مائة شيخ • وسمعان : بطن من تميم ، بكسر السين (٢) •

سنة تسعين وأربعمائة

قتل أرسلان بن السلطان ألب أرسلان السلجوقي •

وفيها الإمام أبو الفتح (٣) عبدوس بن عبد الله بن عبدوس ، رئيس همدان ومحدثها ، روى عنه أبو زرعة وغيره •

وفيها الإمام الشهير بالعلم والصلاح ، شيخ الشافعية بالشام [أبو الفتح] (٤) نصر بن إبراهيم المقدسي النابلسي ، درس ببيت المقدس ، ثم بصور ، ثم بدمشق ، وانتشر صيته ، مع الزهد والورع ، والإعراض عن الولاية جملة ، والتعرض للمناصب ، والاقباض عن الناس ، لا يأكل إلا من غلة أرض له سافراً وحضراً ، يخبز له كل ليلة قرص • وزاره تاج الدولة بن ألب أرسلان وأرسل إليه بمال جزيل فلم يقبله ، ولامه بعض أصحابه ، فقال : سيأتك من الدنيا ما يكفيك ، وكان كما قال • وكانت أوقاته كلها مستغرقة في طرق الخير •

وقال بعضهم : صحبت إمام الحرمين بخراسان ، ثم صحبت الشيخ أبا إسحق ، فكانت طريقته عندي أفضل من طريقة الإمام ، ثم رأيت أبا الفتح فكانت طريقته عندي أفضل من طريقتهما جميعاً • توفي بدمشق يوم عاشوراء وقد نيف على الثمانين •

(١) زيادة من ب و امرأة الجنان ١٥١/٣ •

(٢) في امرأة الجنان ١٥٢/٣ : بفتح السين ، وقيل : يجوز بكسرها •

(٣) في ب : الفتح • (٤) زيادة من ب و امرأة الجنان ١٥٢/٣ •

سنة إحدى وتسعين وأربعمائة

انتشرت دعوة الباطنية بأصبهان^(١) .

وأخذت الفرنج بيت المقدس بعد حصار طويل ، وقتلوا أكثر من سبعين ألفاً ، وأخذوا من عند الصخرة من الذهب والفضة مالا يحصى ولا ينضب ، وذلك زمن المستعلي العبيدي .

سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة

التقى المسلمون والفرنج بقرب ملطية ، وهزم الفرنج ، وأسر ملكهم ، ولم يفلت منهم سوى ثلاثة آلاف من جملة ثلاثمائة ألف .

وفيها توفي الشيخ الحافظ عبد الملك بن محمد اليميني^(٢) اليافعي ، نسبة إلى يافع بطن من حمير .

سنة أربع وتسعين وأربعمائة

توفي أبو الفرج البزاز - بالزاي المكررة - وهو عبد الرحمن السرخسي ثم المروزي ، تلميذ القاضي حسين ، وكان يضرب به المثل في حفظ المذهب والورع ، وهو صاحب الإملاء الذي سارت بفضلها الركبان .

وفيها القاضي أبو المعالي عزيز^(٣) بن عبد الملك [شَيْذَلَة]^(٤) الجيلي الشافعي الواظ ، صنف في أصول الفقه والدين ، وتولى قضاء بغداد . ومن كلامه

(١) في مرآة الجنان ١٥٤/٣ أن انتشار الدعوة الباطنية وأخذ الفرنج لبيت المقدس كان في السنة التالية ، أي سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة .

(٢) كذا في ب و مرآة الجنان ١٥٥/٣ ، وفي الأصل : التميمي ، وهو خطأ .

(٣) كذا في مرآة الجنان ١٥٧/٣ ، وفي ب : العز عزيزي ، وفي الأصل : عزيزي .

(٤) زيادة من ب و مرآة الجنان .

في المحبة : إنما قيل لموسى : (لن تراني) لأنه قيل له : (انظر إلى الجبل) ، فنظر إليه ، فقيل له : يا طالب النظر إلىنا لِمَ تنظر إلى سوانا . وقد استدرك عليه في ذلك لمنصب النبوة . قال أبو المعالي : ودعني عند خروجه حاجباً فقال :

مددتُ إلى التوديع كفاً ضعيفةً وأخرى على الرضاء فوق فؤادي
فلا كان هذا العهدُ آخرَ عهدنا ولا كان ذا التوديعُ آخرَ زادي

دفن بقرب الشيخ أبي إسحق .

سنة خمس وتسعين وأربعمائة

توفي الحجاج^(١) يوسف بن سليمان الأعمش النحوي ، رحل إلى قرطبة ، وأخذ عن جماعة ، ورحل إليه الناس من كل وجه ، ومن أخذ عنه أبو علي الحسين بن محمد الغساني الجبائي ، وشرح (جمل الزجاجي) ، وشرح شعره شرحاً مفرداً ، وكف بصره في آخر عمره . وسمي الأعمش لكونه مشقوق الشفة العليا ، ويقال لمشقوق الشفة السفلى : أفلح ، وكان عنتره العبسي المشهور يلقب بالفحاء لفحة كانت به ، وإنما أفتوا لأنهم أرادوا الشفة . وكان سهيل بن عمرو أعلم ، ولذلك قال عمر : يا رسول الله ، دعني أنزع ثنيتي فلا يقوم عليك خطيباً بعدها ، لأنه كان مشقوق العليا ، وإذا نزع ثنيتي تعذر الكلام عليه مع الفصاحة .

سنة ثمان وتسعين وأربعمائة

توفي أبو عبد الله الطبري ، وهو الحسين بن علي الفقيه ، محدث مكة ، راوي صحيح مسلم عن عبد الغافر الفارسي . قال الذهبي : كان عارفاً بمذهب الأشعري ، وجرت له فتن وخطوب مع هياج بن عبيد وأهل السنة بمكة . قال الياضي : اسمعوا كيف جعل أهل السنة هم المخالفين للأشعري ، فيدل على اعتقاده لمذهب الظاهرية الحشوية ، مع دلائل أخرى متفرقة في كتابه !

(١) ترجمته في مرآة الجنان سنة ست وتسعين وأربعمائة .

قلت : كلا الرجلين من أهل السنة والجماعة ، ولادلالة في قول الذهبي على ذلك ، والله أعلم .

وفيها أبو علي الحسين بن محمد الجياني العسافي الأندلسي القرطبي ، أحد حفاظ الدنيا مع فنون آخر مع الضبط فيما ألف ، أخذ عن ابن عبد البر وغيره .

سنة تسع وتسعين وأربعمائة

ظهر بنهاوند رجل ادعى النبوة ، وكان ساحراً صاحب مخاريق ، فكثرت أتباعه ، وأعطى الأموال الجزيلة ، وكان لا يمسك شيئاً ، فأخذ وقتل .

سنة خمسمائة

أخذ السلطان محمد بن ملك شاه قلعة الباطنية بأصبهان ، وقتل صاحبها أحمد ابن عبد الملك ، وقد كان تملكها اثنتي عشرة سنة ، وهي من بناء ملك شاه (١) .

وفيها توفي عالم طوس أبو المظفر الخوافي ، وخواف من نواحي نيسابور . تفقه على إمام الحرمين ، وصار من أعيان أصحابه ، وتولى قضاء طوس ، وكان هو والغزالي رفيقين .

وفيها أبو الحسن بن الظنבורي (٢) مبارك بن عبد الجبار ، وكان مكثراً صدوقاً صالحاً .

وفيها علامة عصره باتفاق أهل مصره أبو محمد جعفر بن أحمد (٣) المعروف [بابن السراج] (٤) البغدادي ، صاحب التصانيف العجيبة ، منها كتاب (مصارع

(١) كذا في مرآة الجنان ١٦٢/٣ ، وفي النسختين : ملك سبأ .

(٢) في مرآة الجنان ١٦٢/٣ : أبو الحسين بن الطيوري .

(٣) كذا في ب و مرآة الجنان ١٦٢/٣ ، وفي الأصل : جعفر بن محمد بن جعفر ابن أحمد .

(٤) زيادة من ب و مرآة الجنان .

العشاق) وغيره . وكان أبو طاهر السلغني يفخر بأن رآه مع أنه لقي جماعة من الأكابر .

وفيها الملك العادل بالمغرب أبو يعقوب البربري يوسف بن تاشفين الملقب ، ولي بضعاً وثلاثين سنة ، وكان أعظم ملوك الدنيا في عصره ، وكان عظيم^(١) الرفاهية على عادة أهله البربر . ملك الأندلس ، واحتظ مراكش وجعلها دار الإمارة . وفي آخر أيامه بعث إليه الخليفة من بغداد بالخلع والتقليد واللواء ، فأقيمت الخطبة العباسية بمملكته ، وكان يكرم أهل العلم والدين ويتحفهم . وكان أولاً مقدم جيش أبي بكر بن عمر الصنهاجي ، وكان الصنهاجي مقدم الملتزمين ملوك حمير المغرب . واختلف لهم سموا الملتزمين ، وفيهم يقول الشاعر :

قوم لهم درك العلا من حمير
وإن اتمنوا صنهاجة فهم هم
لما علوا أحرار كل قبيلة^(٢)
غلب الحياء عليهم قتلتموا

وعهد ابن تاشفين بالأمر إلى ولده [علي الذي خرج عليه ابن تومرت]^(٣) . ومات بعد الخمسمائة عبد الله بن يزيد الخزازي ، الفقيه المتبحر ، مصنف كتاب (السبع الوصائف) في أصول على مذهب السلف ، معدود في أصحاب الشافعي .

وفيها أو بعدها الفقيه الإمام الفرضي إسحق بن يوسف بن يعقوب الصردفي مصنف كتاب (الكافي) في الفرائض الذي لم يسبق إليه وإلى تدريجه للمبتدئ ، وهو من الكتب المباركة النافعة ، قيل : اشتري مرة بوزنه ، واستغني به عن كتب الفن جميعها . وأصله من المعافر وسكن الصردف ، [وكان له ابتنان]^(٤) ، فزوج إحداهما واسمها ملكة الفقيه زيد بن عبد الله اليفاعي فأولدها هنداً أم محمد بن سالم

(١) في مرآة الجنان ١٦٣/٣ : عديم الرفاهية .

(٢) في مرآة الجنان ١٦٧/٣ : لما حووا إحرار كل فضيلة .

(٣) في النسختين : أبو مرت ، والزيادة المثبتة من مرآة الجنان ١٦٧/٣ .

(٤) زيادة من ب ومرآة الجنان ١٦٨/٣ .

الإمام بجامع ذي أشرق ، ولذلك صارت كتب زيد اليفاعي بأيديهم ، لأنه لم يرثه غير أهمهم هذه . وتزوج الأخرى إمام مسجد الجند حسان بن محمد ، فأولدها ولدأ فصار إليه كتب أبي إسحق .

حكى ابن سمره عن شيوخه عن الصردفي أنه كان يقرأ عليه جني ، فجاء ساحر ، فقال الجني : دعني أتمثل لهذا ثعباناً واقظر ما يكون منه ، فكره الشيخ منه ذلك ، ثم أذن له ، فدخن له المحنش حتى حصله في جؤة ، فطلب منه الشيخ إطلاقه ، فأطلقه ، فغاب خمسة عشر يوماً ، ثم جاء وفيه آثار من نار ، فسأله الشيخ عن ذلك فقال : لما عزمت على الخروج فكانت نار تلفحني من كل وجه إلا موضع جؤته ، فدخلتها كرهاً ، فهذه الآثار منها .

سنة إحدى وخمسمائة

توفي أبو علي تميم بن المعز الصنهاجي ملك إفريقية وما والاها بعد أبيه ، وكان حسن السيرة محباً للعلماء ، عاش تسعاً وسبعين سنة ، وولي ستاً وخمسين سنة ، وخلف أكثر من مائة ابن وستين ابنة ، وملك بعده ابنه يحيى ، وله أشعار حسان منها قوله :

إذا كنت مطبوعاً على الصد والجفا فمَنْ أين لي صبر فأجعله طبعي
ولتى المهدي لآبته ، ولم يزل بها إلى أن توفي والده واستبد بالملك .

سنة اثنتين وخمسمائة

حاصر جاوولي الموصل وبها زنكي ، فأجده صاحب الروم أرسلان ، ففر جاوولي ، ودخل أرسلان الموصل ، وحلفوا له ، ثم التقى جاوولي وأرسلان ، فحمل أرسلان بنفسه ، فضرب جاوولي بالسيف ، وقطع بعض لبوسه ، وحمل أصحاب جاوولي على الروم فهزموهم ، فدخل أرسلان نهر الخابور ، ففرق ، وطقا بعد أيام ، وأخذ جاوولي الموصل ، وظلم وغشم .

وقتل بأصبهان أبو العلاء صاعد بن محمد البخاري .

وقتل الباطنية بهمدان قاضي قضاة أصبهان عبد الله بن علي الخطيبي •
 وقتل النيسابوري • وقتلت يوم الجمعة في المحرم شيخ الإسلام أبا المحاسن
 الروياني عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد ، صاحب المصنفات العديدة المفيدة ،
 منها كتاب (بحر الذهب) وهو كاسمه ، و (الكافي) و (الحلية) وغيرها ، وكان
 يقول : لو أحرقت كتب الشافعي لأمليتها من حفطي ، وليس في الشافعية من يتصف
 بذلك إلا صاحب (التقريب) • روى الحديث عن خلق ، منهم عبد الغافر الفارسي ،
 وبنى بآمل مدرسة ، ثم انتقل إلى الري ودرس بها ، وقدم أصبهان ، وأملى بجامعة ،
 وأملى بجامع آمل ، وقتل عقب إملائه بسبب التعصب في السنة ، وعظم الخطب
 بهؤلاء الملحدين ، وخافهم الأمراء والعلماء لتهمهم على الناس •

وفيها أبو زكريا التبريزي الخطيب اللغوي يحيى بن علي بن محمد الشيباني،
 أخذ اللغة عن أبي العلاء المعري ، وروى عنه الخطيب البغدادي ، وتخرج به خلق ،
 ومن تصنيفه (شرح الحماسة) و (المعلقات السبع) و (شرح ديوان المتنبي) وله :
 (تهذيب غريب الحديث) و (تهذيب إصلاح المنطق) و (الملخص) في إعراب القرآن
 أربع مجلدات ، وقرأ عليه ابن بابشاذ بمصر •

سنة ثلاث وخمسمائة

توفي الكيِّا الهراشي^(١)، والكيِّا بلغة العجم : الكبير القدر، وهو أبو الحسن^(٢)
 علي بن محمد بن علي الطبري الشافعي • تفقه على إمام الحرمين حتى برع ، وكان
 ثاني الغزالي في الفضل ، بل رجح عليه في الصوت والمنظر ؛ لأنه كان فصيح العبارة ،
 حلو الكلام ، يستعمل الأحاديث في مناظرته • درّس في النظامية إلى أن توفي •

(١) ترجمته في مرآة الجنان ١٧٣/٣ في سنة أربع وخمسمائة ، وفي الأصل :
 الهراشي •

(٢) في ب : أبو الحسين •

وتولى القضاء ، وكان له الحظ الوافر عند ملك شاه السلجوقي . قال أبو طاهر السلفي : كتب إلى شيخنا الكيا في رجل أوصى بثلث ماله للعلماء والفقهاء ، هل يدخل المحدثون ؟ فكتب : نعم ، كيف لا وقد قال ﷺ : « من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً » (١) . وكلامه محمول على ما إذا عرف معنى الحديث وأحكامه .

وسئل الكيا عن يزيد بن معاوية ، فأجاب بجواب يتضمن القدح ، فبالغ ، ثم قلب الورقة وقال : لو مُدِّدَت ببياض لمُدِّدَت العنان في مخازي هذا الرجل . وكاد أن يتشيع في هذه المسألة . وأفتى الغزالي بخلاف هذا ، ويتضمن جواب الغزالي أنه وإن غلب الظن بقرائن حاله أنه رضي بقتل الحسين أو أمرَ فلا يجوز لعنه ، ويجعل كمن فعل كبيرة . وأفتى ابن الصلاح بمثله وأقرهم اليافعي .

قلت : الحاصل من ذلك أن يزيد إن صح ما جرى منه على الحسين وآله من المثلثة وتقلب الرأس الكريم بين يديه وإنشاده الشعر في ذلك مفتخراً فذلك دليل الزندقة والانحلال من الدين ؛ فإن مثل هذا لا يصدر من قلب سليم . وقد كفره بعض المحدثين ، وذلك موقوف على استحلاله لذلك ، والله أعلم .

وقال الإمام التفتازاني : إن رضا يريد بقتل الحسين وإهاتته لأهل بيت رسول الله ﷺ مما يقطع به ، وإن كان نقلته آحاداً ، فلا يتوقف في كفره ، لعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه .

دفن الكيا بتربة الشيخ أبي إسحق ، وقام على قبره الشريف أبو طالب الزينبي وأبو الحسن الدامغاني شيخا الحقيقة ، وقد كان بينه وبينهم مناقشة فأنشد الدامغاني :
وما تغني النوادب والبواكي وقد أصبحت مثل حديث أمس
وأنشد الزينبي :

عقم النساءُ فما يلدنَ شبيهه إن النساء بمثله عقم

ورثاه إبراهيم بن عثمان المغربي (٢) بأبيات حسنة .

(١) في الأصل زيادة : محققاً . (٢) في مرآة الجنان ٣/١٧٥ : الغزي .

سنة خمس وخمسمائة

توفي الإمام حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي . تفقه أولاً بطوس على أحمد الداركاني^(١) . ثم قدم نيسابور فاشتغل على إمام الحرمين ، وتخرج به ، وبرع في زمن يسير ، وصار من الأعيان المشار إليهم ، وكان يتبجح به ويفتخر وفي نفسه منه شيء ، ولازمه إلى أن توفي . ودرس بالنظامية ، وأعجب به أهل العراق ، وكان له جاه وشيع عند الولاة . ثم ترك جميع ذلك ، وتزهد ، وقصد بيت المقدس ، ثم دمشق ، وحج على التجريد ، وبقي صاحب الشأن^(٢) ، ثم رجع إلى طوس بعد أن تهذبت^(٣) نفسه وأمن عليها الالتفات إلى مذموم ، ودينتها ، وزال عنها ما كان خرج لأجله .

وصنف المصنفات المفيدة في الفقه وعلوم شتى، منها (المستصفى) و (المنحول) في علم الأصول، و (المنتخل في الجدل) و (إحياء علوم الدين) و (تهافت الفلاسفة) و (محك النظر) و (المقاصد) و (المظنون به على غير أهله) و (مشكاة الأنوار) و (المنتقد من الضلال) و (التفسير) في أربعين مجلداً، و (أسرار علم الدين) و (منهاج العابدين) و (القسطاس المستقيم) و (كيمياء السعادة) و (كشف علوم الآخرة) و كتاب (الأنيس في الوحدة) و كتاب (القربة إلى الله تعالى) و كتاب (أخلاق الأبرار والنجاة من الأشرار) و (بداية الهداية) و (جواهر القرآن ودرره) و (الأربعين في أصول الدين) و (المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى) و (التفرقة بين الإيمان والزندقة) و (الذريعة إلى مكارم الشريعة) و (تلبيس إبليس) لعنه الله ، و (نصيحة الملوك) و (الاقتصاد في الاعتقاد) و (شفاء العليل) و (أساس القياس)

(١) في مرآة الجنان ١٧٧/٣ : الزادكاني .

(٢) كذا في ب ، وفي الأصل : ولقي صاحب البيان .

(٣) في الأصل : انهذبت ، وفي ب : تذهبت .

و (إجماع العوام عن علم الكلام) و (الرسالة اللدنية) (١) و (الرسالة القدسية)
وكتاب (أسباب الفطر) (٢) وكتاب (تحصين الموجود) (٣) وكتاب (أعداد الوقف
وحدوده) وكتاب (مقصد الخلاف) وغيرها .

وله السبق في الرد على المخالفين ، وإفحام الخصوم .، وشرح عجائب القلب ،
وبيان عيوب النفس .

وقد ملحه تلميذه أبو العباس أحمد بن معد الإقليشي صاحب كتاب (النجم)
فقال :

أبا حامد أنت المخصص بالمجد وأنت الذي علمتنا سنن (٤) الرشد
وضعت لنا (الإحياء) يحيي نفوسنا وينقذنا من طاعة النازع المردي
فربح عبادات وعاداتها التي تعاقبها كالدر ثنظم في العقد
وثالثها في المهلكات وإنه لمنج من الهلك المبرح بل يفدي
ورابعها في المنجيات وإنه ليسرح بالأرواح في جنة الخلد
ومنها ابتهاج للجوارح ظاهر ومنها صلاح للقلوب من البعد

ثم ألزم بالعود إلى نيسابور لتدريس النظامية ، فأجاب ، ثم ترك وعاد إلى
وطنه ، واتخذ خانقاهاً للصوفية ، ومدرسة لنشر العلم ، ووزع أوقاته في درس القرآن
وخته ، ومجالسة أهل القلوب ، ونشر العلم ، والتصنيف ، وشهد له أولياء وقته
وعلمائهم بالصدقية العظمى . ونشر الله علمه في الآفاق ، ومن تأمل تصانيفه علم ذلك
ضرورة . وكان إفحام الخصوم ألدّ عنده وأسهل عليه من شرب الماء ، وتهياً له ذلك

(١) زيادة من ب .

(٢) كذا في الأصل وفي ب : أسباب النظر ، وفي مرآة الجنان ٣/١٨٠ : آيات
النظر .

(٣) في ب : تحصين المآخذ .

(٤) كذا في ب ومرآة الجنان ٣/١٨٠ ، وفي الأصل : شيمة .

كله في حياة شيخه ، وتركه أدباً ، وقيل : إله عرض عليه كتابه (المنحول) فقال له ما معناه : دفتني ، أو دفت كتابي وأنا حي . * وأعرض آخرأ عن الرسوم والجاه . * واشتغل بالصحيحين وكتب الحديث ، ولو طالت مدته لكان له السبق فيها في مدة سيرة . * وعرضت عليه الأموال فلم يقبلها واكتفى بما يصون به عرضه ووجهه . *

وقد باهى به نبيه محمد ﷺ موسى وعيسى عليهما السلام فقال ، يا موسى ويا عيسى ، أفي أمتكما حبر كجبري هذا ؟ روي ذلك بالإسناد الثابت عن الشيخ القطب أبي الحسن الشاذلي . *

وعلى الجملة فلم يكن في أصحاب الشافعي من يدانيه ، ولا يجول في معانيه ، زاده الله من كل فضيلة ، وبلغه المرتبة العالية الجليلة ، وجمع بيننا في دار كرامته بحوله وقوته بجاه محمد وآله الميامين ، آمين . *

سنة ست وخمسمائة

توفي فخر الإسلام أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين الشاشي المعروف بالمستظهري^(١) ، تفقه على أبي إسحق الشيرازي ، وقرأ (الشامل) على [مصنفه]^(٢) ابن الصباغ ، ثم صنف التصانيف النافعة ، منها : (حلية العلماء) . * واتهت إليه رئاسة الشافعية بعد انقراض مشايخه . * وكان ينشد :

خلت الديار فسدت غير مسودة
ومن العناء تفردني بالسؤدد

ذكره في بعض دروسه ، ووضع المنديل على عينيه ، وبكى بكاءً شديداً . *

وفيهما توفي الحافظ محمد بن طاهر^(٣) المقدسي المعروف بابن القيسراني ، وقيسارية المنسوب إليها : بليدة من ساحل الشام . * كان عارفاً بعلوم الحديث ،

(١) ترجمته في مرآة الجنان في السنة التالية . (٢) زيادة من ب .

(٣) كذا في ب ومرآة الجنان ٣/١٦٥ ، وفي الأصل : محمد بن أحمد .

رحل إلى بلدان شتى ، وله مصنفات مفيدة منها كتاب (أطراف الكتب الستة)
وكتاب (الأنساب) ذيل له أبو موسى الأصبهاني ، وله غيرهما • أحرم بحجة من بيت
المقدس ، ومات عقب الفراغ منها ، رحمه الله تعالى •

وفيها أبو المظفر محمد بن أبي العباس^(١) الأموي معاوي ، اللغوي الشاعر
الأخباري النسابة ، صاحب (المؤتلف والمختلف) وغير ذلك • كان جميل السيرة ،
توفي بأصبهان مسموماً ، وكان ينشد الأشعار في تنكير الناس على الأمويين وانقلاب
الحال عليهم •

سنة ثمان وخمسمائة

توفي أبو الوحش سبيع بن المسلم المقرئء دمشقي الضرير ، وكان يقرأ من
السَّحَر إلى الظهر •

والشريف أبو القاسم علي بن إبراهيم بن العباس الحسيني الدمشقي الخطيب
الرئيس المحدث ، صاحب الأجزاء العشرين التي خرجها له الخطيب ، وكان ثقة سنياً •

سنة تسع وخمسمائة

توفي السلطان يحيى بن تميم بن المعز أبو طاهر الحميري ، صاحب إفريقية ،
وكان جواداً عارفاً بالسير ، وله سيرة جميلة • قال له منجم في عيد الأضحى : (السير
في موكبك في هذا النهار عليك نحس)^(٢) فلا تخرج ، فوقف وخرج العسكر ، فلما
رجعوا إليه قام إلى مجلس الطعام فوق مبيتاً • وخلف ثلاثين ابناً ، ملك بعده ابنه علي ،
وبعد علي ابنه الحسين بن علي وهو مراهق ، فامتدت دولته إلى أن أخذت الإفرنج
طرابلس المغرب سنة إحدى وأربعين ، وفر من المهديّة إلى عبد المؤمن •

(١) كذا في ب ومرآة الجنان ٣/١٩٦ ، وفي الأصل : محمد بن العباس •

(٢) كذا في مرآة الجنان ٣/١٩٨ ، وفي الأصل عبارة مضطربة •

سنة إحدى عشرة وخمسمائة

غرقت سنجان ولم يسلم غير طفل ؛ طفلاً به السرير ، فتعلق به ، فعاش وكبر .

وفيها توفي أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب ابن الحافظ محمد بن إسحق بن محمد بن يحيى بن مندة العبدي الأصبهاني ، الحافظ ، صاحب التاريخ ، بيت علم ، بدأ يحيى وختم يحيى . سمع من البيهقي وطبقته ، وصنف كثيراً ، وسمع وكتب عنه أكابر عصره ، منهم : شيخ الشيوخ عبد القادر الجيلاني .

وفيها مسند العراق أبو علي بن نبهان الكاتب محمد بن سعيد الكرخي ، عاش مائة سنة ، وبقي في آخر عمره سنة كاملة على ظهره لا يعقل ، وقد رمي بالتشيع .

سنة اثنتي عشرة وخمسمائة

توفي المستظهر الخليفة العباسي وله اثنان وأربعون سنة ، وخلافته خمس وعشرون سنة ، وكان قوي الكتابة ، جيد الأدب ، مسارعاً في الخير .

وأبو طالب الحسين بن محمد الزينبي الملقب بنور الهدى .

وفيها تحرير وقته أبو القاسم الأنصاري النيسابوري الشافعي ، من تلامذة إمام الحرمين ، وشرح كتابه (الإرشاد) ، وكانت معرفته فوق لسانه ، ومعناه فوق ظاهره ، مع تصوف وصلاح ، وكانت الجن ⁽¹⁾ تكلمه وتجالسه تبركاً ، مع عفة وورع ، تجنب أن يخالط أحداً في مطعم .

سنة ثلاث عشرة وخمسمائة

ظهر قبر الخليل إبراهيم وإسحق ويعقوب صلوات الله وسلامه عليهم داخل المغارة ، ورآهم جماعة لم تبل أجسادهم ، وعندهم قناديل من ذهب وفضة ، ذكر

(1) كذا في ب ، وفي الاصل : الحسن ، وهو خطأ .

ذلك حمزة بن الفلانسي - بالفاء والنون [الشين]^(١) المعجمة - في تاريخه ، وهو
وارد على ما ذكره الجندي^(٢) وغيره أنه لا يصح قبر نبي بعينه سوى قبر نبينا ﷺ ،
وإبراهيم داخل السور من غير تعيين •

وفيها شيخ الحنابلة ابن عقيل البغدادي المظفري^(٣) ، كان كثير العلوم
والتصانيف ، وله كتاب (الفنون) يريد على أربعمائة مجلد !! قال السلفي : ما رأيت
مثله ، وما يقدر أحد أن يتكلم معه لبلاغته وقوة حجته •

وفيها أبو بكر محمد بن طرخان التركي ثم البغدادي ، المحدث ، تفقه
بالشيخ أبي إسحق ، وكان ورعاً زاهداً ، ينسخ بالأجرة •

سنة أربع عشرة وخمسمائة

فيها توفي بالجند الفقيه الإمام زيد بن عبد الله اليفاعي اليميني ، نسبةً إلى
يفاعة مكان باليمن • تفقه على الشيخ الإمام أبي بكر بن جعفر بن عبد الرحيم
المخائي - والمخا من سواحل اليمن - وكانت وفاة المخائي سنة خمسمائة ، وقد
تخرج به جماعة ، وقد كان يحفظ (المجموع) للحاملي و (الجامع في الخلاف)
لأبي جعفر • وتفقه زيد اليفاعي بأبي إسحق الصردفي ، وزوجه الصردفي ابنته كما
تقدم ، ثم ارتحل إلى مكة المرة الأولى ، فقرأ على تلميذي الشيخ أبي إسحق الشيرازي :
الحسين بن علي الشاشي مصنف (العدة) ، وأبي نصر البندنجي مصنف (المعتمد
في الخلاف) • ثم رجع إلى الجند واجتمع عليه الموافق والمخالف من أهل اليمن ،
وقرأ عليه الإمام يحيى صاحب (البيان) ، بكتب الشيخ أبي إسحق في الخلاف وعدة
كتب ، وقرأ عليه أيضاً عبد الله الهمداني وعبد الله بن يحيى الصعبي ، وذلك في دولة
أسعد بن أبي الفتح الحميري الذي قتله أصحابه بحصن تعز ودفنوه فيه ، ونبشه
سيف الإسلام ابن أيوب ، ودفنه في مقابر المسلمين •

(١) زيادة من مرآة الجنان ٢٠٤/٣ • (٢) في ب : الجزري •

(٣) كذا في ب ، وفي مرآة الجنان ٢٠٤/٣ : الظفري ، وفي الأصل : الطوسي •

وكان اليفاعي لا يصلي في الجامع إلا الجمعة في مؤخر المسجد ، ومثله ما ذكر الغزالي أنه رأى بمكة بعض العارفين يصلي في بيته ، فسأله عن ذلك ، فذكر أنه يدخل عليه من الضرر أكثر من النفع •

قلت : وهذا لا يسوغ ولا يرخص في ترك الجماعة ، ولا ينبغي حكاية مثل هذا عن العلماء المقتدى بهم ، فربما استروح به بعض أهل البطالة من المتصنعين والمترفهين • وكان زيد صغير الجسم ، وله مهابة عظيمة •

وسئل زيد عن الفقيه إبراهيم بن علي ابن الإمام الحسين بن علي الطبري صاحب (العدة) : كيف حاله في العلم ؟ فقال : هو مجود لولا أنه اشتغل بالعبادة فراراً من العلم • وقد نص الشافعي رحمه الله أن طلب العلم أفضل من صلاة النافلة ، وحديث : « لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً » دليل على ذلك ، والله أعلم • وعلم الباطن هو نتيجة العلم الظاهر ، فمن استعمل رسوم الشريعة الظاهرة كما جاءت عن الأنبياء فقد اهتدى وهدى ، وهم المشار إليهم بقوله تعالى : (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا) ، ولا شك أن العالم بأحكام الله إذا استبطن التقوى واستشعر العمل أورثه ذلك العلم بالله الذي هو أجل العلوم ، والمراد بالعلم بالله علم التوحيد الذي هو إثبات وحدانيته بنفي الشريك والأضداد ، إيماناً جازماً ، وإثبات الصفات والملائكة والأنبياء والكتب المنزلات • وأفضل العلوم بعده علم الفقه الذي يستفاد من الكتاب والسنة للذين ضمن الله العصمة في جانبهما ، ولم يضمنها في جانب الكشف والإلهام والمشاهدة • كذا نقله صاحب الأصل من غير واحد من المحققين ، ومنهم الشيخ القطب أبو الحسن الشاذلي ، نفع الله بهم •

وفيها الحافظ الكبير أبو علي بن سكرة حسين بن محمد الأندلسي ، سمع ببغداد من البانياسي وطبقته ، ومن الشاشي المستظهري ، وأخذ بدمشق عن نصر المقدسي ، وبرع في الحديث ، وصنف ، وأكره على القضاء ، ففُضِيَ ، ثم اختفى واستغفى فأعفي ، واستشهد في المصاف [وله نحو ستين سنة] (١) •

(١) زيادة من ب ومرآة الجنان ٣/٢١٠ •

[وفيها الإمام أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم بن] (١) **أبي القاسم** القشيري ؛ أشبه أباه في علومه ومجالسه ، واطب على دروس إمام الحرمين حتى تروى عنه ، ثم حج ، فلما وصل بغداد عقد بها مجلس الوعظ ، وألقي له القبول ، وحضر مجلسه الشيخ أبو إسحق الشيرازي ، وأشيع أنه لم ير مثله . وله خصام مع الحنابلة هو وأبوه وشيخه إمام الحرمين آل إلى المقتلة ، فقتل فيه جماعة ، وركب ولد نظام الملك يسكن الفتنة بينهم . وأصابه في آخر عمره ضعف أو فالج . ولما توفي دفن بمشهدهم المعروف لهم بنيسابور ، وفيه يقول إمام الحرمين :

تميس كغصن إذا مابدا وتبدو كشمس وترنو كريم
معاني النجاة مجموعة لعبد الرحيم بن عبد الكريم

وحكايته عنه في النهاية من أعظم الإنصاف . ومن قوله في ولده فضل الله :

كم حرة لي في الحشا من ولدي حين نشأ
كنا نشأ فلاحاً فما نشأ كما نشأ

وفيها توفي ابن القطاع (٢) المصري المنزل والوفاة ، وهو أبو القاسم علي بن جعفر السعدي ، الصقلي المولد ، كان من أئمة الأدب ، صنف كتاب (الأفعال) أحسن من (الأفعال) لابن القوطية ، وإن كان سبقه في العروض .

سنة ست عشرة وخمسمائة

توفي ناصر السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الفراء ، صاحب الفنون الجامعة والمصنفات النافعة مع الزهد والورع والقناعة ، كان يأكل الخبز وحده ، فلما ليم في ذلك أكله بالزيت ، تفقه بالقاضي حسين ولازمه ، وسمع من جماعة ، ثم برع ، وصنف التصانيف النافعة ، منها : (معالم التنزيل) و (الجمع بين

(١) زيادة من ب ومرآة الجنان ٣/٢١٠ .

(٢) ترجمته في مرآة الجنان ٣/٢١٢ في السنة التالية .

الصحيحين) و (المصاييح) وغيرها ، وصنف في الفقه (التهذيب) و (شرح السنة) ، وكان لا يلقى الدروس إلا على طهارة ، توفي بمرور ، ودفن إلى جنب شيخه القاضي حسين . ونسبته إلى بَغ (١) بقرب هراة ، وقيل له الفراء لأن أباه كان يصنع الفراء .

وفيها أبو محمد الحريري ، وهو القاسم بن علي البصري ، حامل لواء البراعة ، وفارس النظم والنثر ، تشهد له مقاماته المشتملة على العجائب والغرائب ، وتلقيت بالقبول التام عند الخاص والعام . وسبب وضعه لها أنه كان في مسجد بمحلة بني حرام بالبصرة ، فدخل عليهم شيخ ذو طمرين حسن العبارة ، فسأله : من أين أنت ؟ فقال : من سروج ، واكتنى بأبي زيد ، فعمل الحريري المقامة الحرامية وعزاها إلى أبي زيد السروجي ، فاشتهرت ، واتفقت إلى الوزير أبي نصر القاشاني وزير المسترشد ، فأعجب بها ، وسأله أن يعمل على منوالها خمسين مقامة . وقيل : إنه سأله إياها الوزير أبو علي الحسين بن أبي المعز ، وإليه أشار في الخطبة . وأما تسميته الحارث بن همام ، فأشار بذلك إلى نفسه لقوله ﷺ : « كلكم حارث ، وكلكم همام » . وقيل : إن الحريري عملها أربعين ، وحملها إلى الخليفة بيغداد فلم يصدقه الأدباء فيما ادعى ، فاقترح عليه الوزير إنشاء رسالة ، فأرتج عليه ، فخرج خجلاً وانصرف إلى البصرة ، وعمل عشر مقامات ، وسيرهن إلى الوزير ، واعتذر من حضرة الديوان بالهيبية ، وكان الحريري يزعم أنه من ربيعة ، وكان مولعاً بننف لحيته عند الفكرة . وكان مسكنه مشان : بليدة فوق البصرة كثيرة النخل ، شديدة الوخم ، وكان له بها ثمانية عشر ألف نخلة ، ومسكنه منها سكة بني حرام . وله تاريخ سماه (صدور زمان القبور وقبور زمان الصدور) ، وله (درة الغواص في أوهام الخواص) و (ملححة الإعراب) [وشرحها] (٢) وديوان رسائل وشعر ، وكان مع فضله وعلو صيته قبيح المنظر ، جاءه غريب ليأخذ عنه ، فلما رآه استزراه ، ففهم الحريري وأنشد :

(١) كذا في ب ومرآة الجنان ٣/٢١٣ ، وفي الاصل : بغا .

(٢) زيادة من ب .

ما أنت أول سار غره قمر" ورائد أعجبتَه خصرة الدِمنَ
فاختر لنفسك غيري إنني رجل مثل المعيدي فاسمع بي ولا ترني

والمثل في المعيدي شائع ، وهو قولهم : « سماعك بالمعيدي خير من أن تراه » .
وله في مقاماته اختراعات لم يسبق إلى منوالها ، وقد اعترض عليه الياضي
في قوله :

لا تزر من تحب في كل شهر غير يوم ولا تزده عليه

وذكر أن ذلك يختلف باختلاف أحوال الزورين ، فمنهم من ينبغي أن يزار في
كل يوم كالشمس ، ومنهم كل أسبوع كالجمعة ، وبعضهم في كل شهر كالهلال ،
وبعضهم في السنة مرتين كالعידين .

سنة سبع عشرة وخمسمائة

سار الخليفة المسترشد بالله إلى ديبس الأسدي ، وكان قد طغى ونهب البلاد
وهم بنهب بغداد ، فهزمه الخليفة ، وقتل من عسكره خلقاً واسعاً . وديبس الذي
مثل به الحريري في قوله : « وهبك القرني أويس ، أو الأزدي ديبس » .

وفيها مات الحافظ الكبير أبو نعيم عبد الله بن أبي علي الحداد ، مؤلف
(أطراف الصحيحين) ، وكان مفيداً للرحالة محسناً إليهم ، زاهداً عابداً ، ذا فضيلة
تامة .

وفيها أبو بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب العرابطي (١) ، وكان حافظاً
للحديث وطرقه عارفاً لعله ، قيل : إنه كرر البخاري سبعمئة مرة .

وفيها أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري الأديب اللغوي ،
اختص بصحبة الواحدي المفسر ، وقرأ عليه ، وله في اللغة تصانيف مفيدة ، منها

(١) في مرآة الجنان ٢٢٣/٣ : القرماطي .

كتاب (الأمثال) لم يعمل مثله ، وكتاب (السامي في الأسامي) ، وسمع الحديث ، وكان ينشد :

تنفس صبح الشيب في ليل عارضي فقلت عساه يكتفي بعذاري
فلما فشا عاتبته فأجابني أيا هل ترى صباحاً بغير نهار

سنة تسع عشرة وخمسمائة

استجار ديس الأزدي بسنجر صاحب خراسان ، وطلب عفو الخليفة •

سنة عشرين وخمسمائة

توفي السيد أبو الفتح أحمد بن محمد الغزالي أخو حجة الإسلام ، وكان فقيهاً متفنناً غلب عليه التصوف ، ودرس بدلاً عن أخيه زمن تجرده ، وكان مليح الوعظ فصيحاً مفوهاً ، صاحب قبول تام ، وعظ مرة بحضرة السلطان محمود فأعطاه ألف دينار ، واختصر (الإحياء) في مجلد سماه (لباب الإحياء) وله (الذخيرة في علم البصيرة) ، وله كرامات ، وأثنى عليه ابن النجار وغيره من العلماء ، ولا التفات إلى ما أشار إليه الذهبي من الغضب عنه تبعاً لمحمد بن طاهر المقدسي حيث قال : إنه كان في غاية الكذب ، أو كما قال :

وروي عنه أنه سأل سائل عن أخيه فقال : هو في الدم ، فوجده السائل في المسجد فأخبره بقول أخيه : في الدم ، فقال : صدق ، كنت أفكر في مسألة الحيض •
توفي بقزوين ، رحمه الله تعالى •

وفيهما أبو الفتح بن برهان — بفتح الباء الموحدة — وهو محمد بن أحمد ابن علي^(١) الشافعي ، تفقه بالغزالي والشاشي والكنيا^(٢) ، وكان قد صنف (الوجيز في أصول الفقه) ، ودرس بنظامية بغداد •

(١) كذا في الأصل ، وفي ب ومرآة الجنان ٣/٢٢٥ : أحمد بن علي •

(٢) كذا في مرآة الجنان و ب ، وفي الأصل : والكبار ، وهو خطأ •

وفيها الإمام أبو بكر بن الوليد القرشي الفهري الأندلسي الطرطوشي ،
وطرطوشة من فواحي الأندلس .

صحب أبا الوليد الباجي ، وأخذ عنه وعن ابن حزم ، ورحل إلى بغداد والبصرة ،
وتفقه على الشاشي المستظهري ، وعلى أبي العباس الجرجاني ، وكان من أعيان
المالكية . صنف (سراج الملوك) وغيره . واجتمع بالغزالي بالشام زمن تجرده ،
وطلب مناظرته (١) ؛ فقال الغزالي : هذا شيء تركناه لصيبة بالعراق . يعني أنه ترك
المغالبة بالعلم مع المفاخرة التي يستحکم فيها الهوى للصيبة جمع صبي - والله أعلم .

سنة إحدى وعشرين وخمسمائة

أقبل السلطان محمود بن محمد بن ملك شاه السلجوقي لحرب الخليفة
المسترشد ، فنزل في شرقي بغداد ، وتراموا بالنشاب ، وصاح الخليفة : يا آل هاشم ،
فتحرت النفوس معه ، وخرج ومعه ديبس بن صدقة الوزير وغيره ، فقدموا السفن
دفعه واحدة ، وعبر عسكر الخليفة وعسكر السلطان مشغولون بالهيب ؛ فولوا
هاربين ، وقتل كثير وأسر كثير ، ورجع الخليفة ومعه نحو ثلاثين ألف مقاتل . ثم
وقع الصلح ، وورد الخبر بأن سنجر صاحب خراسان قتل من الباطنية اثني عشر ألفاً .
وولى الخليفة بغداد الأمير عماد الدين زنكي عن إشارة السلطان محمود ، ثم صرف
بعد أشهر إلى الموصل لموت متوليها .

وفيها توفي أبو السعادات (٢) الهاشمي العباسي العبد الصالح ، سمع من
الخطيب وغيره ، ختم التراويح ليلة سبع وعشرين ، ورجع إلى منزله ، فسقط من
السطح فمات عن ثمانين سنة .

(١) كذا في ب ، وفي الأصل عبارة مضطربة : وزمن تجرده ، وطلب تجرده ،
وطلب مناظرته .

(٢) اسمه : أحمد بن أحمد بن عبد الواحد . (مرآة الجنان ٣/٢٢٧) .

وفيها أبو الحسن الدينوري علي بن عبد الواحد، أقدم شيوخ ابن الجوزي،
روى عن جماعة •

وفيها عبد الله بن محمد البطلوسي النحوي ، المتبحر في الأدب ، كان حسن
التعليم للطلبة ، وعظمت الفائدة منه ، صنف (المثلث) في مجلدين ، وفيه دليل على
فضله ، وشرح (أدب الكتاب) (١) ، و (سقط الزند) للمعري ، و (أبيات الجمل)
و (ديوان المتنبي) • ومن شعره :

أخو العلم حي خالد بعد موته وأوصاله تحت التراب رميم

سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة

تملك عماد الدين زنكي حلب • وسار السلطان محمود إلى عمه سنجر ، فأطلق
له ديس بن صدقة ، وقال له : اسأل الخليفة أن يعفو عنه ، وولاه الموصل والشام •

وفيها توفي الحافظ أبو محمد عبد الله بن أحمد الإشبيلي ، اختص بأبي علي
الغساني ، وكان عارفاً بالحديث وعلله •

وفيها عبد الكريم بن علي بن أبي طالب أبو طالب الرازي ، تلميذ الغزالي ،
كان مجوداً في المذهب ، وكان فيه تصوف وتعبد وصلاح •

سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة

التزم زنكي للسلطان في كل سنة ثمانين ألفاً وخيلاً وثياباً ، فأقره السلطان •
ونهب ديس نواحي بغداد ، وقصده محمود ، فدخل البرية •

وفيها دخل بهرام الإسماعيلي الشام ، وأضل خلقاً كثيراً ، وملك عدة
حصون ، وأقام داعياً بدمشق ، فقتله بوري بن طغتكين ، ووضع السيف في
الإسماعيلية •

(١) اسم الكتاب : (الاقتضاب في شرح أدب الكتاب) ، وهو مطبوع •

سنة أربع وعشرين وخمسمائة

قتل زنكي الفرنج بناحية حلب • وظهر ببغداد عقارب طيارة •

وفيها توفي أبو [إسحق إبراهيم بن يحيى] ^(١) الكلبى الغزي • وغزة : من بلاد الشام ، تعرف بغزة هاشم ، لأن هاشمًا جد النبي ﷺ مات بها مسافرًا • سمع الغزي من نصر المقدسي ومن غيره • وله شعر حسن ، منه قوله :

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة باب الدواعي والبواعث مغلق
خلت الديار فلا كريم يُرتجى منه النوال ولا مليح يُعشق

ومنه قوله :

إشارة منك تكفيننا وأحسنها ركد السلام غداةَ البين بالنعيم
أما ترانا وقد ضمت يدٌ ليدٍ عند العناق وقد لاقى فمٌ لفم
حتى إذا طاح عنها المرط من دهشٍ وانحل بالضم سلك العقد بالظلم
تبسمت فأضاء الليل فالتقطت حبات منثرٍ في ضوء منتظم

وفيها السيد الشريف محمد بن عبد الله بن تومرت الهَرَغي ، نسبةً إلى هرغة قبيلة من المصامدة في جبل السوس من أقصى المغرب ، وينسبون إلى [الحسين السبط] ^(٢) ، ويلقب بالمهدي ، وهو صاحب دعوة عبد المؤمن في المغرب ، نشأ ببلده ، ثم رحل إلى المشرق ، ولقي الغزالي وجماعة ، وتفنن في عدة علوم ، وأقام بمكة مدة مديدة ، وكان كثير الإطراق ، طويل الفكر ، مهيباً ، ساماً في وجوه الناس ، عابداً ، لا يصحبه شيء من متاع الدنيا سوى ركوة وعصا ، مقصده الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واحتمال الأذى في ذلك ، ولم تقبله بلد بسبب ذلك ، حتى نسب إلى الجنون • ولما رجع إلى المغرب وانتهى إلى المهديّة إحدى مدن إفريقية دخل مسجداً ،

(١) نقص من الأصل ، واستدرك من ب ومرآة الجنان ٣/٢٣٠ .

(٢) بياض في الأصل ، استدرك من ب ، وفي مرآة الجنان ٣/٢٣٣ : ينتسب إلى

الحسن بن علي بن أبي طالب .

وأسرع نظره في كوة مشرفة على الطريق ، فلا يرى منكراً إلا خرج وغَيَّرَهُ ، فتسامع به الناس ، واستدعاه الأمير ، وعرف محله في العلم والدين ، وقرأ عليه في أنواع من العلوم ، وسأله الأمير الدعاء ، فقال له : أصلحك الله لرعيك ، ثم انتقل إلى ملالة ، فوجد بها عبد المؤمن بن علي القيسي وهو مطلوبه •

وكان ابن تومرت قد اطلع على كتاب يسمى (الجَقْر) ينسب إلى جعفر الصادق ، ورأى فيه صفة رجل يظهر بالمغرب الأقصى من ذرية رسول الله ﷺ ، ووصفه وحليته ، وموضع قيامه وموته ، هجاء اسمه : (ع ب د م و م ن) ، ويجاوز وقته المائة الخامسة من الهجرة •

وكان ابن تومرت قد رأى بالمشرق أنه شرب البحر كله مرتين ، ووقع في نفسه أنه القائم بالأمر ، ثم إنه دخل مدينة مراکش وسلطانها ابن تاشفين ، وكانت سيرته حميدة ، فأنكر ابن تومرت على ابنه الملك على عادته في ذلك^(١) ، وجرى له في ذلك قصة طويلة • وكان قد صار له حينئذ أتباع وشيعة ، فأحضره الملك ، وسأله ما مقصده ، فتكلم بوعظ بالغ بكى منه الملك ، فقال مالك بن وهيب الأندلسي : أيها الملك ، اقبل نصحي واعتقل هذا الرجل وأصحابه ، وأنفق عليهم كل يوم ديناراً وإلا لتنفق عليهم خزائنك ولا ينفعك • فقال الوزير : يقبح منك أن تبكي من موعظته ثم تمسكه وهو فقيه لا يملك شيئاً •

ثم انتقل من هناك إلى جبل بريشى ، وهو جبل متيع واسع ، فأكرمه أهل الجبل واعتقدوه ، ولما تمكن أظهر لهم ما يضره من الخروج على الملك • ورأى شقرة بعض أولادهم مع أدمة آبائهم ، فسألهم عن ذلك فقالوا : إن للملك علينا خراجاً ، فيأتي مماليكه ، وربما غلبونا على بعض نساءنا ، فقال لهم : إذا جاؤوا فخلوا بيتهم وبين ما أرادوا ، ثم اسقوهم الخمر وأذفوني • ففعلوا ، ثم آذفوه ، فقتلهم جميعاً • ثم جاء الخبر إلى الملك ، فجهز جيشاً لحربهم [فلم ينالوا منهم ما أرادوا]^(٢) ورجعوا

(١) كذا في ب ومرآة الجنان ٣/٢٣٥ ، وفي الأصل : فأنكر ابن تومرت عليه على عادته في ذلك •

(٢) زيادة من ب •

خائبين ؛ فتمكن حبه من قلوب أهل الجبل • وأكد ذلك أنه قد كان واطاً رجلاً من علماء أصحابه وفصحائهم ، وأمره أن يدعي العجمة واللكنة بحيث لا يحسن شيئاً مدة قيامه عندهم ، ثم أمره أن يصلي الصبح ويظهر معرفته دفعةً واحدة في صورة منام لقنه إياه يتضمن كرامةً ومعجزةً للداعي ، وفيها اختلاف كثير ودعاوى تدل على الزندقة وفساد الدين ؛ فتمكن حينئذ من قلوب أهل الجبل ، واجتمعت كلمتهم عليه ؛ فجهز جيشاً قدر عشرة آلاف فارس وراجل فيهم عبد المؤمن والرأي للرؤيا ، فحاصروا مراکش شهراً ، ثم كسروا كسرة شنيعة ، وقتل منهم خلق كثير فيهم الرأي للرؤيا ، وسلم عبد المؤمن • فلما ورد الخبر لابن تومرت وهو في مرض الموت أوصى وصيةً إلى أصحابه أن العاقبة لهم ، والحرب سجال ، في كلام طويل • ثم توفي في الجبل ، وصار قبره مزاراً عظيماً • وكان أسمر ربة عظيم الهامة ، حديد النظر ، قيل : وكان له معرفة بالرمل ، قدمه في الثرى وهمنه في الثريا •

ثم استقبل عبد المؤمن الفتوحات ، فأخذ تلمسان ، ثم فاس ، ثم مراکش ، وامتد ملكه إلى أقصى المغرب • انتهى ما ذكره صاحب الأصل من قصة تومرت مختصراً لفظها •

وحاصلها العجب من تناقض أحوال هذا الرجل ، حيث وصفه بالعلم والزهد ، والإفكار دائماً على كل حال ، والمذهب السني مع الورع بحيث لا يأكل دائماً إلا من غزل أخت له ، وتم على ذلك حتى مات ، مع التزوير في المنام المذكور بما لا يسوغ ذكره ، والخروج على هذا السلطان الموصوف بالعدل وحسن السيرة ، مع الإقدام على الحروب الهائلة والملاحم العظيمة ، والله أعلم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم •

ولقد عجبت من صاحب الأصل حيث حكى أنه ما أخذ ذلك إلا من كتاب (الجفر) ^(١) المنسوب إلى جعفر الصادق على زعم الباطنية ، وفيه جميع ما يحتاجون

(١) في النسختين : الجفرة .

إلى يوم القيامة ، وأهل السنة والجماعة تأبى ذلك ، وكثير من الزيدية [والشيعة]^(١) منكرة عليهم ، وقد قال سعيد بن هرون الزيدي :

ألم ترَ أن الرافضين تفرقوا فكلهم في جعفر قال منكرا
فطائفة قالوا إمام ومنهم طوائف سمّته النبي المطهرا
ودعواهم في قصة جلد جفرهم برئت إلى الرحمن ممن تجعّرا

يعني بذلك كتاب الجفر ، والله أعلم .

سنة خمس وعشرين وخمسمائة

توفي الشيخ الولي حماد بن مسلم الدباس ، كان أمياً ، وفتح الله عليه بالمعارف اللدنية ، فصار قدوة للمشايخ الكبار ، وكبرت به الأصاغر ، وممن تخرج به الشيخ عبد القادر الجيلاني ، وله كرامات عديدة .

وفيها الشيخ الكبير محمد بن عبدويه المدفون بجزيرة كمران من أرض اليمن ببحر القلزم ، تفقه بالشيخ أبي إسحق ببغداد ، وقرأ عليه كتابه (المذهب) وبكتبه في الأصول والجدل ، وهو أول من دخل بالمذهب اليمن ، وكان يسكن عدن ، ثم انتقل إلى زبيد في دولة الحبشة ، فلما دخلها مفضل بن أبي البركات بعسكر من المغرب اتّهب مالا لابن عبدويه كان يتجر فيه من جملة ما اتّهب ، ثم خرج إلى كمران وأقام بها إلى أن توفي ، وقبره هناك مشهور مزور . وكان زاهداً ورعاً لا يأكل إلا الأرز يأتي من بلاد الهند ، وكان عبيده يسافرون إلى الحبشة والهند ومكة وعدن للتجارة ، فأخلف الله عليه مالا عن ماله المنهوب ، وكان يتفق على طلبه العلم ، وكانت طريقته سنية ، وله تصنيف في أصول الفقه يسمى (الإرشاد) . وكان له ولد عالم في الأصول والفقه يسمى عبد الله ، تفقه بأبيه ، ومات قبله ، ورثاه بعض الفقهاء فقال :

أمن بعد عبد الله نجل محمد يصون دموع العين من كان مسلماً
وقد غاض بحر العلم مذغاب شخصه ولكن بحر الوجد من بعده طمأ

(١) زيادة من ب .

وله ذرية أخيار ، وابتلي في آخر عمره بذهاب بصره ، فأني بقداحٍ ، فأبى ،
وأشُد :

وقالوا قد دهى عينيك سوءً فلو عالجتَه بالقِدحِ زالا
فقلت الرب مختبري بهذا فإن أصبر أنل منه السؤال
وإن أجزع حرمت الأجر منه وكان حصيتي منه الوبالا
وإني صابرٌ راضٍ شكورٌ ولست مغيراً ما قد أنالا
صنيع مليكنا حسنٌ جميلٌ وليس لصنعه شيءٌ مثالا
وربي غير متّصفٍ بحيفٍ تعالى ربنا عن ذا تعالى

وروي أنه لما قال هذه الأبيات رد الله عليه بصره .

وفيها أبو العلاء زهير بن عبد الملك الإيادي الإشبيلي ، طيب الأندلس
المصنف ، حدث عن أبي علي الغساني وجماعة ، وله شعر رائق ، وكياسة عظيمة ،
وأموال عسيمة ، وهو أحد شيوخ أبي الخطاب بن دحية ، وكان يحفظ شعر ذي الرمة
وهو ثلث اللغة ، مع معرفة الطب التامة . وأهل بيته كلهم وزراء علماء .

سنة ست وعشرين وخمسمائة

كانت وقعة هائلة بين ملوك السلاجقة سنجر وابن أخيه مسعود ، قتل فيها
أربعون ألفاً ، وقاد مسعود نفسه إلى بين يدي عمه ، فعفا عنه ، وردّه على عمله .

وفيها أبو العز محمد بن عبد الله العكبري ، روى عن الجوهري والقاضي
أبي الطيب والماوردي وغيرهم .

سنة ثمان وعشرين وخمسمائة

قدم رسول سنجر السلجوقي على المسترشد بغداد ، فأكرمه ، وأرسل معه
خلعة عظيمة الخطر بمائة وعشرين ألف دينار ، وعرض المسترشد جيوشه فكانوا
خمسة عشر ألفاً في هيئة عظيمة ، وجدد قواعد الخلافة ، وهابته الملوك .

وفيها توفي الشيخ أبو الوقت أحمد بن علي الشيرازي ، صاحب الرباط والمرادين ببغداد ، كان يحضر (١) السماع .

وفيها توفي شيخ الشافعية أبو علي الفارقي ، وهو الحسن بن إبراهيم ، تفقه على محمد بن بيان الكازروني ، وحفظ (المهذب) على مؤلفه أبي إسحق و (الشامل) على مؤلفه ابن الصباغ ، وسمع من الخطيب وأبي جعفر بن المسلمة وجماعة ، وولي قضاء واسط ، وعليه تفقه القاضي ابن أبي عسرون ، وصنف كتاب (الفوائد) على المهذب .

سنة تسع وعشرين وخمسمائة

التقى الخليفة المسترشد ومحمود صاحب همدان ، فانهزم الخليفة وأسر ، وصار به محمود إلى مراغة ، فورد عليه رسول من سنجر يهدده ويأمره أن يرسل الخليفة ويمشي في ركابه ، فامتل ، فاعترضه جماعة من الباطنية ، فقتلوه ، ودفن بجانب مراغة ، وجلس السلطان للعزاء ، وقيل : إن محموداً هو الذي دس إليه الباطنية . وأقام أهل بغداد مأتماً للنوح أياماً . ومدة خلافته سبع عشرة سنة ونصف .

وفيها ديس بن صدقة الأزدي ، كان مقداماً شجاعاً ، استفحل أمره في العرب ، فسار بهم ، وخرج على المسترشد ، ودخل خراسان والشام والجزيرة ، قتله السلطان مسعود . وإياه عنى الحريري بقوله : « أو الأزدي ديس » ، وكان في زمنه ، فرام التقرب إليه . وله نظم حسن ، منه :

تمتع بأيام السرور فإنما عذار الأمانى بالهموم يشيب

وفيها الشيخ الحافظ عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر الفارسي صاحب (تاريخ نيسابور) ، و (جمع الغرائب (٢)) ، و (الملهم (٣)) في شرح صحيح مسلم .

(١) كذا في الأصل ومراة الجنان ٢٥٣/٣ ، وفي ب : يحظر .

(٢) في مراة الجنان ٢٥٦/٣ : مجمع الغرائب .

(٣) في مراة الجنان : والمفهم في شرح مختصر صحيح مسلم .

حدث عن جده لأمه أبي القاسم القشيري وطبقته ، وكان إماماً في الحديث والأدب
والبلاغة •

وقاضي الجماعة محمد بن أحمد التجيبي^(١) القرطبي المالكي • روى عن أبي
علي الغساني وغيره ، وقتل مظلوماً بجامع قرطبة في صلاة الجمعة ، وكان ديناً خاشعاً •

والحافظ أبو عبد الله محمد بن الفضل الفراوي الصاعدي النيسابوري ، يقال
فيه : الفراوي ألف راوٍ • روى عن الأكابر ، وتفرد بكتب كبار ، وصار مسند
خراسان ، تفقه بإمام الحرمين ، وحج وأظهر العلم بالحرمين ، وعاد إلى نيسابور ،
فدرس بها ، سمع صحيح مسلم من سعيد بن أبي سليمان ، ومن عبد الغافر الفارسي ،
وسمع من أبي إسحق والبيهقي والقشيري والفراوي - بضم الفاء - نسبةً إلى
فراوة : بلدة تلي خوارزم بناها عبد الله بن طاهر في خلافة المأمون •

سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة

توفيت الحافظة المقرئة المعروفة ببنت زعل • روت صحيح مسلم ، وعاشت
سبعاً وتسعين سنة •

وفيهما قتل الخليفة الراشد بن المسترشد بأصبهان ، وكان قد خلعه السلطان
داود بن محمود ، ومرض هناك ، فوثب عليه جماعة من الباطنية فقتلوه •
وفيهما مات الفقيه سالم بن عبد الله اليمني ببلدة ذي أشرق ، وكان إمام
جامعها •

سنة أربع وثلاثين وخمسمائة

توفي هبة الله بن الحسين الشاعر المشهور ، المبدع في علم الفلك حتى نسب
إلى الأسطرلاب ، وهي كلمة يونانية معناها : ميزان الشمس • قيل : إن أول من
وضعه بطليموس ، وسببه أنه كان معه كرة فلكية وهو راكب ، فسقطت ، فداستها

(١) كذا في ب ومرآة الجنان ٢٥٦/٣ ، وفي الأصل : اليمني •

دأبته ، فتصورت على هيئة الأَصْطِرلاب ، وكان علماء الرياضة يزعمون أن هذه الصورة لا ترسم في جسم كروي على دائرة ، ويحصل منه ما يحصل من الكرة ، فوضع الأَصْطِرلاب ، ولم يسبق إليه ، وما اهتدى أحد من المتقدمين إلى أن هذا القدر يتأتى في الخط ، ولم يزل الأمر مستمراً على استعمال الكرة والأَصْطِرلاب إلى أن استنبط الشيخ شرف الدين الطوسي المذكور في ترجمة الشيخ كمال الدين ، وهو شيخه في هذا العلم ، أن [يضع] ^(١) المقصود من الكرة والأَصْطِرلاب في خط ^(٢) ، فوضعه ، وسماه العصا ، وعمل له رسالة بديعة ، وكان قد أخطأ في بعض وضعه ، فأصلحه الشيخ كمال الدين وهذبه ، والطوسي أول من أظهره في الوجود ، فصارت [الهيئة] ^(١) توجد في الكرة ؛ لأنها تشتمل على الطول والعرض والعمق ، وتوجد في السطح الذي هو مركب من الطول والعرض بغير عمق ، وتوجد [في] ^(٣) الخط الذي هو عبارة عن الطول فقط ، ولم يبق سوى النقطة ، ولا يتصور ^(٤) أن يعمل فيها شيء ؛ لأنها ليست جسماً ولا سطحاً ولا خطأً ، بل هي طرف الخط ، كما أن الخط طرف السطح ، والسطح طرف الجسم ، [والنقطة لا تتجزأ] ^(٣) ؛ فلا يتصور أن يرتمس فيها شيء . وهذا وإن كان خروجاً عما نحن بصدده فلا يخلو من فائدة إن شاء الله تعالى .

وفيها عبد الجبار بن محمد الخوارزمي . وخوارزم : قرية من بيهق ، وخوارزم أيضاً قرية من الري . وكان الخوارزمي إماماً جليلاً سمع من الواحدي وغيره .

(١) زيادة من مرآة الجنان ٢٦٢/٣ .

(٢) في الأصل : في حفظ ، وفي ب : في خيط و فوقها كلمة (كذا) ، وما أثبت من

مرآة الجنان ٢٦٢/٣ .

(٣) زيادة من ب ومرآة الجنان ٢٦٣/٣ .

(٤) في الأصل : ولا ينصب .

سنة خمس وثلاثين وخمسمائة

توفي الحافظ أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الطليحي (١) ،
إمام الأئمة بأصبهان ، أُملى قريباً من ثلاثة آلاف مجلس ، وصنف (التفسير) في ثلاثين
مجلداً كباراً ، ودرس في فنون .

وفيهما صاحب (تجريد الصحاح) رزين بن معاوية الأندلسي الحافظ ،
خطبه في التجريد وديباجته تدل على سعة حفظه ، وتوسعه في علوم النقل .

والشيخ الكبير ذو الأسرار والمعارف أبو يعقوب يوسف بن أيوب الهمداني ،
تفقه على الشيخ أبي إسحق ، وبرع وناظر ، ثم ترك المناظرة ، واشتغل بدعوة الخلق
إلى الحق ، فعم النفع به ، وعقد له مجلس الوعظ بنظامية بغداد . وسأله فقيه يعرف
بابن السقا عن مسألة ، فقال له الشيخ : اجلس فإنني أشم منك رائحة الكفر ، وقد
كان أحد القراء ، فاتفق أنه تنصر ومات عليها ، فعوذ بالله من شر الخاتمة ، وذلك أنه
خرج إلى ملك الروم رسولاً من الخليفة ، فافتتن بابنة الملك ، فطلب زواجها ،
فامتنعوا إلا أن ينتصر ، فتنصر ، فوجد بالقسطنطينية مريضاً ويده خلق مروحة
يذب بها الذباب عن وجهه ، فسئل عن القرآن ، فذكر أنه نسيه إلا آية واحدة :
(ربما يوكد الذين كفروا لو كانوا مسلمين) . وذكرت حكاية ابن السقا في كتاب
(مناقب الشيخ عبد القادر) ، وأن ابتلاءه كان بسبب إساءته إلى بعض الأولياء
يقال : إنه الغوث ، والله أعلم .

توفي أبو يعقوب عن أربع وتسعين سنة في طريق مرو ، ثم دفن ، ونقل إلى مرو
بعد ذلك .

وفيهما أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان القيسي ، صاحب كتاب
(قلائد العقيان) ، جمع فيه شعر شعراء المغرب وتراجمهم .

(١) كذا في ب ومراة الجنان ٢٦٣/٣ ، وفي الأصل : أبو القاسم بن إسماعيل بن
أحمد بن الفضل اليميني الصليحي .

قال ابن دحية : كان مخلوع العذار في دنياه ، وكلامه كالسحر الحلال والماء الزلال • قتل ذبحاً في مراكش بإشارة الملك ابن تاشفين •

سنة ست وثلاثين وخمسمائة

قتلت الترك الكفرة من عسكر السلطان سنجر مائة ألف أو أكثر ، وأسرت زوجته ، ودخل بلخ في ستمائة نفس •

وفيها الإمام أحد الأعلام محمد بن علي التميمي المازري ، نسبة إلى مازر بلدة بجزيرة صقلية • وكان ذا فنون ، من أئمة المالكية ، وله (المعلم بفوائد مسلم) ، وعنه أخذ القاضي عياض شرحه (الإكمال) • توفي بالمهدية عن ثلاث وثمانين سنة •

وفيها كبير المقام أبو العباس [ابن العريف أحمد بن محمد]^(١) الصنهاجي الأندلسي الصوفي العارف بالقراءات وجمع الروايات ، كثر تابعوه ، فتوهم السلطان أنه يخرج عليه ، فاستدعاه إلى مراكش فمات في الطريق •

وفيها الشيخ العارف أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرجال^(٢) اللخمي الإشبيلي ، تفنن في العلم ، وشرح (الأسماء الحسنى) مع الزهد والعبادة • توفي بمراكش ، ودفن إلى جنب ابن العريف^(٣) •

سنة سبع وثلاثين وخمسمائة

توفي أبو الفتح بن البيضاوي ، وهو القاضي عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد ، أخو قاضي القضاة أبي القاسم الزيني [لأمه]^(٤) •

(١) زيادة من مرآة الجنان ٣/٢٦٧ •

(٢) كذا في النسختين ، وفي مرآة الجنان ٣/٢٦٨ : المعروف بابن بركان •

(٣) كذا في مرآة الجنان ، وفي النسختين : ابن الغريب •

(٤) زيادة من مرآة الجنان ٣/٢٦٨ •

وفيها [أبو]^(١) المظفر عبد الرحيم بن عبد الكريم السمعاني ، النجيب ابن النجيب ابن النجيب ، وبه خاتمة أهل هذا البيت الطاهر ، وأرأى علي من تقدمه ، واقتتت إليه رياسة مذهب الشافعي ، رحمه الله .

وفيها مات صاحب المغرب علي بن يوسف بن تاشفين ، وكان من أئمة الهدى غلاماً وعملاً ، قيل : هو الذي أمر بإحراق كتب الغزالي ، وعليه خرج ابن تومرت ، وتولى بعده ولده .

وفيها الإمام الأوحى المتقن المتقن أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، جاور بمكة زماناً ، ولذلك لقب جارا لله ، وكان قد سقطت إحدى رجليه [من الثلج]^(١) في سفر ، فاتخذ محضراً فيه جماعة من الأعيان يشهد بذلك لثلاثين به رية . وقيل : إنه قطع رجل عصفور ، فتألمت أمه ودعت عليه ، فسقط عن دابته فانكسرت رجله ، واقتضت حاله القطع . وكان من أئمة الحنفية ، معتزلي العقيدة ، واستفتح خطبة كتابه (الكشاف) بقوله : « الحمد لله الذي خلق القرآن » ، فقيل له : إذا تركته هكذا هجر ، فأصلحه بقوله : « الذي أنزل القرآن » ، وقيل : إنما أصلحه غيره . وله (المفصل) في النحو وغيره . وعظم صيته في علوم الأدب ، وسلم مناظروه له . ومات وله إحدى وسبعون سنة . ومن شعره يرثي شيخه أبامضر :

وقائلة ما هذه الدرر التي تساقط من عينيك سمطين سمطين

فقلت لها الدر الذي قد حشا به أبو مضر أذني تساقط من عيني

وفيها ، وقيل : في التي بعدها ، أبو منصور موهوب بن أبي طاهر الجواليقي البغدادي ، صاحب فنون حقق فيها ، منها (شرح أدب الكاتب) و (تمة درة العواصم الحريري) ، وأخذ الناس عنه علماً جماً . ومن شعره ، وقيل : هما لابن الخشاب :

ورد الورى سلسال جودك فارتوا
ووقفت خلف الورد وقفة حاتم
حيران أطلب غفلة من وارد
والورد لا يزداد غير تزاحم

(١) زيادة من ب .

سنة أربعين وخمسمائة

توفي عماد الدين زفكي (١) الأتابك الملقب بالملك المنصور ، صاحب الموصل وحلب وما والاها بتفويض السلطان محمود ورسم المسترشد الخليفة ، وثب عليه ثلاثة من غلمانه من الباطنية وقتلوه ، وتملك بعده ابنه غازي الموصل ، وتملك حلب ونواحيها ابنه الآخر محمود نور الدين ، وكان محمود من كبراء الدولة السلجوقية ، وكان شجاعاً ، ميمون النقيبة .

سنة اثنين وأربعين وخمسمائة

توفي أبو الحسن بن الأبنوسي أحمد بن عبد الله البغدادي الشافعي الوكيل ، سمع وتفقه وبرع وقرأ علم الكلام واعتزل ، ثم لطف الله به وراجع السنة .

وفيها الشريف أبو السعادات المعروف بابن الشجري هبة الله الحسيني البغدادي ، كان متضلعا من علوم الأدب ، صنف (الحماسة) مضاهياً بها (حماسة) أبي تمام ، وله في النحو تصانيف . وكان تقيب الطالبين بالكرخ نيابة عن والده ، ولما ورد الزمخشري بغداد حاجاً ذهب إليه أبو السعادات مسلماً وأنشد :

كانت مساءلة الركبان تخبرني عن جعفر بن فلاح أحسن الخبر
حتى التقينا فلا والله ما سمعت أذني بأحسن مما قد رأى بصري

والبيتان للحسن بن هانئ . فقال الزمخشري : قيل : لما قدم زيد الخيل على النبي ﷺ قال : « يا زيد ما وصف لي أحد في الجاهلية فرأيت في الإسلام إلا رأيتَه دون ما وصف لي غيرك » .

ومن شعر الشريف في مدح الوزير نظام الدين بن المظفر :
هذي السديرة والغدير الطافح فاحفظ فؤادك إنني لك ناصح

(١) وردت وفاته في مرآة الجنان ٢٧٤/٣ في سنة إحدى وأربعين وخمسمائة .

سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة

نازلت الفرنج دمشق ، واستشهد طائفة ، وتضرع المسلمون ، وأخرجوا المصحف العثماني إلى صحن الجامع^(١) ، فأغاثهم الله ، فصلبوا قسيس النصارى وحماره ، وانهزمت الفرنج ، وأصيب منهم خلق ، واحترقت الصليبان ، وأنجد غازي وأخوه نور الدين محمود أهل دمشق في عشرين ألفاً .

وفيها أبو إسحق الغنوي إبراهيم بن محمد بن نبهان الرقي الصوفي ، تفقه بالغزالي وغيره ، وهو راوي خطب ابن نباتة .

وفيها أبو بكر بن العربي المالكي ، وهو أبو بكر بن محمد [بن عبد الله]^(٢) الأندلسي المعافري الإشبيلي . رحل إلى المشرق والشام ، وتفقه بالطرسوسي ، وصحب الغزالي والشاشي وغيرهما ، ثم رجع إلى إشبيلية بعلم جم ، فانتفع الناس به نفعاً عاماً مع حسن معاشرة وكرم نفس ، واستقضى ببلده ، وكانت أيامه تيرة بالعدل والإنصاف ، ثم صرف عن القضاء ، فأقبل على نشر العلم ، وله مصنفات منها : (عارضة الأحوزي في شرح الترمذي) ، والعارضة : القدرة على الكلام ، والأحوزي : الخفيف في الشيء لحذقه .

سنة أربع وأربعين وخمسمائة

توفي أحمد بن محمد الأرجاني قاضي تستر ، ومحدثه في العرب^(٣) ، وكان جيد الشعر ، منه :

أحب المرء ظاهراً جميل
لصاحبه وباطنه سليم
مودته تدوم لكل هول
وهل كل مودته تدوم

(١) كذا في ب ومرآة الجنان ٢٧٨/٣ ، وفي الأصل : وخرجوا إلى صحن الجامع .

(٢) زيادة من ب ومرآة الجنان ٢٧٩/٣ .

(٣) كذا في ب ومرآة الجنان ٢٨١/٣ ، وفي الأصل : ومحدثه في العلم .

والبيت الأخير يقرأ معكوساً من أوله إلى آخره ولا يتغير شيء من معناه ولا من لفظه •

وفيها القاضي الإمام العلامة عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ، أحد الحفاظ الأعلام ، سمع من أبي علي بن سكرة وأبي محمد بن غياث وطبقتهما ، وأجاز له أبو علي الغساني ، ولي قضاء سبته ، ثم قضاء غرناطة ، وصنف التصانيف النافعة ، منها : (الإكمال) في شرح مسلم كمل به شرح الماوردي^(١) ، ومنها : (الشفاء) الذي لم يسبق إلى مثله ، و (مشارق الأنوار) في غريب الصحيحين والموطأ ، وكان إمام وقته في علوم شتى ، مفرطاً في الذكاء ، وله شعر حسن ، منه قوله :

الله يعلم أنني منذ لم أركم كطائر خانه ريش الجناحين
فلو قدرت ركبت البحر نحوكم فإن بعدكم عني جنى حيني

وفيها سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي ، ملك غازي الموصل وما والاها ، وكان غازي منطوياً على خير وصلاح ، ولم تطل مدته في الملك •

سنة خمس وأربعين وخمسمائة

ضايق نور الدين محمود بن زنكي دمشق ، فخرج إليه صاحبها مجير الدين ووزيره ابن الصوفي ، فخلع عليهما ورجع وقد أحبته الناس لدينه •

وفيها مات عبد الملك بن أبي نصر الجيلاني ثم البغدادي الشافعي^(٢) ، كان صالحاً يأوي الخراب ، ليس له مسكن ولا قرار معلوم ، تفقه على الروياني وغيره •

سنة ست وأربعين وخمسمائة

توفي أبو الأسعد عبد الرحمن بن عبد الواحد بن أبي القاسم القشيري ، خطيب نيسابور [ومسندها]^(٣) ، سمع من جده حضوراً ، ومن جدته فاطمة بنت أبي علي الدقاق •

(١) في مرآة الجنان ٢٨٢/٣ : المازري •

(٢) كذا في ب ، وفي الأصل : الشعبي • (٣) زيادة من ب •

سنة سبع وأربعين وخمسمائة

توفي المقرئ الأستاذ أبو عبد الله محمد بن الحسن الداني ، تصدر للإقراء ، وانتفع الناس به ، وشارك في علوم جمعة ، وولي خطابة بلده .

وفيها مسعود بن محمد^(١) بن ملك شاه السلجوقي، استقل بالملك، وامتدت أيامه ، وكان منهماكاً في اللهو ، لين الجانب ، فرق مملكته على أصحابه ، ولم يبق له سوى الاسم .

سنة ثمان وأربعين وخمسمائة

خرجت التركمان على خراسان ، وهم نحو مائة ألف مما وراء النهر ، واستباحوا عسكر سنجر السلجوقي ، وأسروه ، وهجموا نيسابور ، وأخذوا بلخ .

وفيها أخذت الفرنج عسقلان عنوة .

وفيها توفي الزاهد العابد أبو العباس أحمد بن أبي غالب البغدادي ، زاره السلطان مسعود^(٢) السلجوقي في مسجده ، فتشاغل عنه بالصلاة ، وما زاده على أن قال له : يا مسعود^(٢) ، عدل . وأحرم بالصلاة ، فبكى السلطان وتاب .

وفيها أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني المتكلم الأشعري ، تفقه في عدة علوم ، وبرع في علم الكلام ، وصنف فيه كتباً ، منها : (نهاية الإقدام في علم الكلام) وكتاب (الملل والنحل) ، ووعظ بغداد ، فألقي له القبول ، وسمع الحديث من ابن المدائني^(٣) ، وكتب عنه ابن السمعاني . وعظم صيته في الدنيا .

(١) في مرآة الجنان ٢٨٥/٣ : مسعود بن محمود .

(٢) كذا في ب ومرآة الجنان ٢٨٦/٣ ، وفي الأصل : محمود .

(٣) كذا في الأصل ، وفي ب : ابن أبي المدني ، وفي مرآة الجنان ٢٩٠/٣ : علي

ابن المدني .

• وشهرستان : اسم لثلاث مدن ، الأولى : شهرستان بين نيسابور و خوارزم^(١) .
 • والثانية : قسبة ناحية نيسابور بفارس • والثالثة : مدينة على نحو ميلين من أصبهان •
 روى الشهرستاني بإسناده عن النظام البلخي إبراهيم بن بشار^(٢) أنه كان
 يقول : لو كان القرآن^(٣) صورة لارتاع لها القلوب ، ولهد لها الجبال ، ولجمر
 الغضا أقل توهجاً من حملة •

وفيها الإمام العلامة محيي الدين محمد بن يحيى النيسابوري ، شيخ
 الشافعية ، صاحب الغزالي ، اتهمت إليه رئاسة المذهب بخراسان ، ودرس بنظامية
 نيسابور وهراة • ومن تصانيفه (المحيط شرح الوسيط) و (الاقتصاف في مسائل
 الخلاف) • وكان له حظ في التذكير ، وفيه يقول أحد تلامذته :

رفاة الدين والإسلام تحيا بمحيي الدين مولانا ابن يحيى
 كأن الله ربَّ العرش يلقي عليه حين يلقي الدرس وحيًا

قتله التركمان شهيداً لما استولوا على نيسابور •

وفيها شيخ الصوفية ببلده أبو الفتح محمد بن عبد الرحمن الكشميهني
 المروزي ، أحد من روى البخاري عن محمد بن أبي عمران •

وفيها البوشنجي ، وهو عبد الرحمن بن محمد الخطمي الجرجيدي^(٤) ،
 تفقه على أبي نصر ابن القشيري^(٥) وغيره ، احترق في فتنة الغز بمرو في المنارة •

(١) كذا في ب ومرآة الجنان ٣/٢٩٠ ، وفي الأصل : وخراسان .

(٢) في ب : سيار .

(٣) في مرآة الجنان : الفراق .

(٤) كذا في ب ، وفي الأصل : عبد الرحمن بن الخطيبي الجرجودي .

(٥) كذا في ب ، وفي الأصل : المعتزي .

سنة تسع وأربعين وخمسمائة

نزل الخارجي علي بن مهدي الحميري إلى تهامة اليمن مستنجحاً دماء الناس لاعتقاده التكفير بالكبائر ، وكان قبل قيامه يظهر النسك ويطعم الطعام ، كما روي عن الشيخ عبد الله الأسدي (١) قال : كنت معتكفاً أنا والشيخ الصالح أبو العباس أحمد بن أبي الخير الصياد ، فسمعنا بصدقات ابن مهدي وصيته ، فسرنا إليه ، فوجدناه يطعم الناس فوجاً بعد فوج وهو في سهوة (٢) من خشب النخل يطلع بدرجة . فلما وقفنا ببابه قال لنا أصحابه : أجيئوا الإمام صلوات الله عليه ، فلما دخلنا عليه بشئ لنا بشاشة عظيمة ، وذلك في دولة الحبشة ، ثم قدم لنا الطعام ، فكرهناه وقلنا : نحن صيام ، فقال : أريد أن تصحباني إلى مسجد القارة (٣) ، فسرنا جميعاً إلى المسجد ، فوصلناه وقت الضحى ، فركعنا وقعدنا ، فأقبل زيلعي يمشي على البحر ! فلما دخل زعق ابن مهدي فاستجار منه ، فقال : يا شيطان ، يا فتان ، تدخل هذا المسجد المبارك؟! والله لأريحن الناس منك ؛ فاستجار بنا ، وخرج الرجل على حاله يمشي على الماء . ثم أقبل بدوي طويل ويده عصا ، فصاح أيضاً على ابن مهدي وقال : يا شيطان ، يا فتان ، ما تفعل في هذا الموضع المبارك؟! اليوم أريح الناس منك ، وحمل عليه ليضربه ، فسألناه بالله أن يتركه ، فركع وودعنا ، فقال ابن مهدي : أريد أن ترداني إلى المكان الذي كنت فيه ، فكرهنا ، فلم يزل بنا حتى صحبناه إلى موضعه الأهواب بساحل البحر . فلما كان سنة أربع وخمسين كثرت عساكره وأظهر مذهبه الرديء .

وفيها جاءت الأخبار أن السلطان محمد شاه السلجوقي قاصد بغداد ، فحشد الخليفة المقتفي (٤) وعرض جيوشه فزادوا على اثني عشر ألف فارس ؛

(١) كذا في ب و مرآة الجنان ٢٩٢/٣ ، وفي الأصل : الأزدي .

(٢) في القاموس : « السهوة : الصفة ، والمخدع بين بيتين ، وشبه الرف والطاق يوضع فيه الشيء ، أو بيت صغير شبه الخزانة الصغيرة » .

(٣) في مرآة الجنان ٢٩٣/٣ : الفازة .

(٤) كذا في مرآة الجنان ٢٩٤/٣ وفي الأصل : المكتفي .

فضعف عزم محمد شاه ، وهرب بعض أمرائه ، ولجؤوا إلى المكتفي ، وسنجر حينئذ
في أسر الغز التركماني .

وفيها أخذ نور الدين محمود دمشق من مجير الدين محمد بن بوري^(١)
ابن طفتكين على أن يعوضه حمص ، فلم يف له ، فغضب وسار إلى بغداد ، فأكرمه
ال خليفة ، وبعث الخليفة بالسلطنة لنور الدين .

وفيها توفي أبو البركات عبد الله بن محمد بن الفضل الفراوي النيسابوري ،
كان رأساً في معرفة الشروط . وحدث بمسند أبي عوادة ، مات جوعاً بنيسابور في
قتة الغز .

سنة خمسين وخمسمائة

توفي الإمام أبو العباس أحمد بن معد [التجيبي]^(٢) الأندلسي الإقليشي ،
صاحب كتاب (النجم) ، سمع أبا الوليد بن الدباغ وطائفة ، وكان عارفاً زاهداً ،
وله تصانيف مفيدة وشعر في الزهد .

وفيها محدث العراق أبو الفضل محمد بن ناصر السلامي البغدادي ، برع
في الحديث واللغة ، روى عن^(٣) كثير ، منهم : أبو الفرج بن الجوزي ، وكان تقياً
فقيراً متعففاً ، وخلف ثلاثة دنانير وكتباً وفقهاً ، لم يعقب .

وفيها الفقيه الزاهد عمر بن عبد الله بن سليمان بن السري اليمني^(٤) ، توفي
بمكة حاجاً . روى طاهر بن يحيى العمراني أنه كان قد أصابه بثرات في وجهه ،
فارتحل إلى ذي جبلة^(٥) متطياً لها ، فرأى ليلة قدمه عيسى بن مريم عليه السلام
فقال : يا روح الله امسح وجهي ، فأصبح معافى .

(١) كذا في مرآة الجنان ٢٩٥/٣ ، وفي الأصل : توري بن طفتكين .

(٢) زيادة من ب ومرآة الجنان ٢٩٦/٣ .

(٣) في ب : عنه . (٤) في الأصل : التميمي ، وهو خطأ .

(٥) كذا في مرآة الجنان ٢٩٧/٣ وفي الأصل : جبلة .

سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة

حاصر السلطان محمد شاه بغداد شهراً ، ونهض المقتفي ، وفرق الأموال ، وعمل ثمانية وعشرين ألف قارورة للنفط ، ثم إن السلطان قتل ميرتهم ، وجاءه الخبر بأخذ همدان ، فرجع خائباً .

وفيهما توفي سنجر السلجوقي سلطان خراسان ، أعظم ملوك عصره ، خطب له بالعراقين وإرمينية والشام والموصل والحرمين وخراسان وديار بكر وغيرها ، وملك من الذهب ما لم يملكه غيره .

وفيهما هزم نور الدين الفرنج على (صفد) ، وكانت ملحمة عظيمة .

وفيهما القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله اليافعي ، حضر موته صاحب (البيان)^(١) وقال : ماتت المروءة . أخذ الفقه عن زيد اليفاعي . وكان عالماً شاعراً . روى عن أبيه وجده كتاب (رسائل الشافعي) و (مختصر المزني) ، وولي قضاء اليمن ، وكان له ولد يقال له محمد مات في حياته ورثاه فقال :
جوار الله خير من جواري له دار لكل خير دار

وكان للقاضي أبي بكر جاه عظيم عند الملوك ، وبسعائه خلص فقهاء اليمن من الخراج والمظالم ، ولما قدم القاضي الرشيد [من مصر إلى اليمن أكرمه القاضي أبو بكر كرامة عظيمة . وحكي أن]^(٢) الرشيد استأذن هو والجلس أبو المعالي على بعض الوزراء فاعتذر ، ثم عاوداه فاعتذر ، فأنشد الرشيد :

توقع لأيام اللئام زوالها فعمّا قليل سوف تنكر حالها
فلو كنت تدعو الله في كل حالة لتبقى عليهم ما أمنت زوالها

(١) هو الإمام العلامة يحيى بن أبي الخير اليمني العمراني . (مرآة الجنان

٣/٣٠٠) .

(٢) زيادة من ب ومرآة الجنان ٣/٣٠٢ .

وقال صاحبه :

لئن أفكرتمُ عنا ازدحاماً
وإن فتمتم عن الحاجات عمداً
ليجتنبنكم هذا الزحامُ
فممن الدهر عنكم لا تنامُ
فنكب ذلك الوزير نكبة عظيمة .

وفيها توفي أبو الحسن العكبري ^(١) الشافعي ، تفقه على أبي بكر الشاشي المستظهري . ودرس وأفتى ، وشرح (التنبيه) .

وفيها أبو عبد الله بن خميس الحسين بن نصر الموصللي الجهني ، الملقب تاج الإسلام ، أخذ الفقه عن الغزالي ، وقضى برجة مالك بن طوق ، ثم رجع إلى الموصل ، [وصنف كثيراً ، وسكن قرية في الموصل] ^(٢) ، ورأى القرية التي فيها العين المعروفة بعين العيادة ^(٣) التي ينفع الاستحمام بها من الفالج والريح الباردة ، مشهورة هنالك .

سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة

توفي الإمام الورع عمر بن إسماعيل بن يوسف اليميني ، أخذ عن الإمام زيد بن الحسن الناشي (المهذب) وأصول الفقه ، وصحب يحيى بن أبي الخير صاحب (البيان) في الطلب .

وفيها توفي مسند الدنيا أبو الوقت عبد الأول الهروي الصوفي الزاهد ، كان عامياً أكثرأ في الحديث ، عالي الإسناد ، ألحق الأحفاد بالأجداد ، سمع (البخاري) و (مسند الدارمي) و (عبد بن حميد) عن جمال الإسلام الداودي سنة خمس وستين وأربعمائة ، وصحب شيخ الإسلام الأنصاري وخدمه . ودخل بغداد ، فازدحم الناس عليه ؛ لأنه آخر من روى في الدنيا عن الداودي ، وكان ظاهر

(١) اسمه محمد بن المبارك . (مرآة الجنان ٣/٣٠٢) .

(٢) زيادة من ب .

(٣) كذا في ب ، وفي الأصل : الفتاوة ، وفي مرآة الجنان ٣/٣٠٣ : القيادة .

الديانة ، مجباً للرواية • ولد بهراة سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ، وتوفي برباط فيروز ، وصلي عليه بالجامع ببغداد ، وأمّ الناس عليه الشيخ القطب عبد القادر الجيلاني ، ودفن بالشونيزية إلى جنب الشيخ رويم •

وفيها توفي الإمام العلامة عبد الله بن يحيى الصعبي^(١) عن ثمان وسبعين سنة أو إحدى وثمانين سنة ، [وكان مدرس سهفنة]^(٢) وقد تفقه عليه خلق باليمن ، وكان صاحب (البيان) يحبه ويقول له : شيخ الشيوخ ، وحضر جنازته يوم مات • وروي أن أناساً وقعوا عليه في الطريق ، وضربوه بالسيوف فلم تقطع سيوفهم ، فسئل عن ذلك فقال : كنت أقرأ سورة (يس) • قال ابن سمرّة : والمشهور أنه كان يقرأ (ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم) ، (فالله خير حافظاً) الآية ، و (حفظاً من كل شيطان مارد) ، و (حفظاً ذلك تقدير العزيز العليم) ، آيات الحفظ ، وسببه أنه وجدها في عنق شاة معلقة والذئب تلاعبها لا تضرها • صنف الصعبي كتاب (التعريف) في الفقه و (احترازات المذهب) • وكان يقوم بكفايته وما يحتاج إليه رجل من مشايخ بني يحيى من يافع •

قال اليافعي رحمه الله : أهل يافع يقولون : أهل يحيى وأهل عيسى وأهل موسى ، ثلاثة بطون ، لهم عز وشرف ، فأهل موسى أخوالي وفيهم الكرم والمشيخة ، وأهل يحيى أخوال بني عمي وفيهم العز والنجدة ، ولا تزال الحرب بينهم وبين أعدائهم ، وفيهم الولي أبو بكر الجيوي الذي كان السلطان المؤيد في طوعه ، واستدرك الفقيه حسين علي اليافعي وغلّظه في ثنائه عليه ونسبه إلى الزندقة لكونه من أتباع ابن عربي ، والله أعلم بحاله •

سنة أربع وخمسين وخمسمائة

وقعت فتنة بنيسابور بين الشافعية والعلوية ومعهم العلوية الحنفية ، ووقع القتل بالشافعية ، وحرقت مدارس الفريقين •

(١) في مرآة الجنان ٣/٣٠٦ : الصعبي •

(٢) زيادة من ب . وسهفنة من قرى ذي السفال من محافظة إب •

سنة خمس وخمسين وخمسمائة

توفي المقتني لأمر الله الخليفة ببغداد ، وكان خليقاً بالخلافة ، كافياً لما تولاه ، وكان وزيره علي بن طراد ، ثم أبو نصر بن جهير (١) ، ثم ابن هبيرة ، وصحبه أبو المعالي ابن الصباح وجماعة بعده ، وكانت دولته خمساً وعشرين ، وبويع بعده ولده المستنجد بالله .

سنة ست وخمسين وخمسمائة

توفي طلائع بن رزيك الملقب بالملك الصالح وزير العبيديين ، وهو الذي أخذ بثأر الظافر العبيدي من وزرائه الذين قتلوه ، ونفاهم ، وأقام العاضد ، فلما استقل العاضد بالملك قتله ، وخرجت بالخلع لولده العادل . والصالح هو الذي بنى الجامع الصالحى بظاهر القاهرة ، لكنه كان رافضياً يناظر الفقهاء على الإمامة وعلى القدر ، وله مصنف في ذلك ، ومدحه المهذب بن أسعد (٢) الموصلى بقصيدته التي أولها :

أما كفاك تلاقٍ في تلاقيا ولست تنقم إلا جناً فيكا
وفيمَ تعبت أن قال الوشاة سلا وأنت تعلم أنني لست أسلوكا
لا نلت وصلك إن كان الذي زعموا ولا سقى ظمئي جود ابن رزيكا (٣)

وفيهما سلطان ما وراء النهر خاقان محمود بن محمد التركي ابن بنت السلطان شاه السلجوقي .

(١) في ب : ابن جهني ، وفي مرآة الجنان ٣/٣١٠ : ابن جهيرة .

(٢) كذا في ب ومرآة الجنان ٣/٣١١ ، وفي ب : سعد .

(٣) وصحبه عمارة بن علي الحكيم الشاعر اليمني ، ومدحه ، وحاول الصالح أن يجره إلى مذهبه ؛ فبعث له ثلاثة آلاف دينار وأبياتا يقول فيها :

قل للفقير عمارة يا خير من أضحي يؤلف خطبة وخطابا
إقبل نصيحة من دعاك إلى الهدى قل حطةً وأدخل علينا البابا
فرد عليه عمارة بأبيات منها :
حاشاك من هذا الخطاب خطابا يا خير أملاك الزمان نصابا
فاشدد يدك على صفاء مودتي وامنن علي وسد هذا البابا

سنة سبع وخمسين وخمسمائة

الشيخ الولي عدي بن مسافر الشامي ، صحب الشيخ عقيلاً المنبجي والشيخ حماداً الدباس ، وإليه تنسب الطائفة العدوية ، انقطع إلى جبل الهكارية ، وبني هناك زاوية ، ومال إليه خلق كثير ، وقبره مشهور مزور ، وله كرامات عظيمة ، منها : أنه إذا ذكر على موج البحر سكن ، وإذا ذكر على الأسد وقف ، وإلى ذلك أشار الشيخ العارف الصديق بن محمد المقرئ المعروف والده بالمدوخ في وسيلته الجامعة ، فقال :

بجاه عدي غوث كل مسافرٍ
به تسكن الأمواج في لجج البحر
وإن قلته للثيث لم يخط خطوةً

ولا الشبر من قاعٍ ولا البعض من شبر^(١)

وفيها الشيخ الإمام المحدث سيد الحفاظ أبو الحسن سراج الدين علي بن أبي بكر بن حمير اليمني الهمداني ، روى عنه الإمام يحيى بن أبي الخير صاحب (البيان) وجماعة من ذي أشرق (البخاري) و (سنن أبي داود) ، وانتشر عنه الحديث بقطر اليمن ، وعنه أخذ أحمد بن عبد الله القريظي . قال الإمام يحيى بن أبي الخير : ما رأيت ولا سمعت بمثله . وله كتاب (الزلازل والأشراط) .

سنة ثمان وخمسين وخمسمائة

توفي الشيخ الزاهد أحمد بن محمد بن قدامة ، خطيب جماعيل^(٢) مدينة من مدن الفرنج مهاجراً ، ونزل هو وأهله جبل قاسيون ، وكانوا بمسجد أبي صالح ، ولهذا قيل : جبل الصالحية ، وكان من الصالحين .

وفيها سلطان المغرب عبد المؤمن بن علي الكومي [نسبة إلى الكومية]^(٣) قبيلة بساحل تلمسان ، القيسي القائم بتقويم ابن تومرت كما تقدم ، كان أبوه وسيطاً

(١) ليت أن هذا الكتاب الحافل بتراجم الأعيان قد حلا من هذه الروايات .

(٢) جماعيل : بلدة بالقدس . (القاموس) . (٣) زيادة من ب .

في قومه ، وكان يعمل الآجر^١ والطين ويبيعه ، وكان عاقلاً ، سمع يوماً دويماً من السماء ، فرفع رأسه ، فرأى سحابة سوداء من النحل قد وقعت على ولده عبد المؤمن وهو قائم ، فصاحت أمه ، فسكنها أبوه وقال : لا بأس عليه ، ثم طار عنه بأجمعه ، فأول ذلك باجتماع أهل المغرب على طاعته ، وكانت سيرته حميدة من كل وجه حتى شبه بالخلفاء الراشدين ، والأئمة المهديين ، ولقب بأمر المؤمنين ، وأنشده بعض الفقهاء قوله :

ماهز عطفه بين البيض والأسل مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي

فسكنه ، وأمر له بألف دينار ، وتوفي بمدينة سلا ، وعهد إلى ولده محمد ، فاضطرب أمره ، فخلعوه ، وبايعوا أخاه يوسف •

وفيها الإمام أبو زكريا يحيى بن أبي الخير اليمني العمراني ، من بني عمران المنتسبين إلى معد بن عدنان ، تفقه بخاله أبي الفتوح وزيد اليفاعي وزيد بن الحسن الفاسي^(١) وموسى بن علي الصعبي^(٢) وغيرهم ، وحفظ (المهذب) و (اللمع) و (الملخص في الجدل) للشيخ أبي إسحق و (الإرشاد) لابن عبدويه و (الكافي) للصدفي ، وسمع أمهات الحديث ، وتفقه ولده طاهر وأجاب عن المشكلات في حياة أبيه ، وجاور بمكة سنتين ، ثم عاد ، وولي قضاء ذي جبلة من زمن ابن مهدي إلى زمن بني أيوب ، وصنف كتاب (مناقب الإمامين الشافعي وأحمد) و (مقاصد اللمع) ، وجمع بين الفقه والحديث وعدة فنون ، ولما برع الإمام يحيى وعرف منزلته من العلم استشار شيخه زيد اليفاعي في جمع كتاب يجمع ما ليس في (المهذب) فأشار عليه ، فشرع في تعليق كتاب (الزوائد) ، وكمل في قريب من أربع سنين •

قال ولده طاهر : وما علق الزوائد حتى طالع (المهذب) أربعين مرة بعد حفظه ، وكان قوي الحفظ للمهذب ، متصرفاً في معانيه •

(١) في مرآة الجنان ٣/٣١٨ : زيد بن الحسين العائشي •

(٢) في الأصل : الصغير ، وفي مرآة الجنان : الضبعي •

وألف كتاباً في الدور من كتاب ابن البيان وغيره • ثم ابتداءً تصنيف (البيان) ، وفرغ منه في قريب من ست سنين ، ونقل فيه عن الشريف العثماني مقالات ، وكان اجتمع به في حجه ، واعتمد في تصنيف (البيان) على (المهذب) ، ثم أضاف إليه ما ذكر في (الزوائد) ، كما فعل صاحب (الحاوي الصغير) في تضمينه له كتاب (اللباب) مع زوائد أخرى ، وأشار إلى ذلك في خطبته ، واعتمد فيه أيضاً على (شامل) ابن الصباغ ، واصطلاحه في البيان أن ما قال فيه : مسألة ، فهي من (المهذب) ، وما قال فيه : فرع ، فهو من غيره ، ولما فرغ منه سأله الفقيه محمد بن مفلح الحضرمي أن يستخرج منه المسائل المشككة ، فاستخرجها في كتاب مستقل • وله كتاب (الاتصار في الرد على القدرية الأشرار) ، وكتاب (غرائب الوسيط) ، و (مختصر الإحياء للغزالي) •

وكان في أول أمره مقيماً بسير ، فجرت فتن وحروب ، فاتقل إلى ذي السفال ، ثم إلى ذي أشرق ، ثم ظهر ابن مهدي على زييد وأعمالها ، وقويت شوكة ولده مهدي من بعده ، وأغار على الجند ، وحرقت مسجدها ، وقتل أهلها ، واستولى أخوه الذي سمته العوام عبد النبي على جبال اليمن كلها ، وأزال دولة بني زريع • ودامت دولة بني مهدي خمس عشرة سنة ، وكسر وزال ملكهم على يد شمس الدولة بن أيوب ، ولما تراكت الفتن انتقل الإمام يحيى إلى ذي سفال ، ثم توفي مبطوناً شهيداً ، وما ترك فريضة قط في جملة مرضه ، ونازع ليلتين وهو يسأل عن أوقات الصلاة ، وكان يصلي كل ليلة بسبع القرآن في مائة ركعة •

وكتابه (البيان) أجل مصنفاته ، وهو كاسمه ، وفيه يقول الشاعر :

الله شيخ من بني عمران	قد شاد قصر العلم بالأركان
يحيى الذي أحيا الشريعة هادياً	بزوائد وغرائب وبيان
هو درة اليمن الذي ما مثله	من أول في علمه أو ثان

وكان حنبلي العقيدة ، شافعي الفروع كالأجري صاحب (الشريعة) ، وله تصنيف ينصر فيه عقيدته ، وتحامل على الأشعرية ، وألزمهم ما لا يلزمهم • وكان ولده

طاهر أشعرياً ، فكان ينكر على والده ويرد عليه • وعامة أهل بلد صاحب (البيان) على عقيدته ؛ ولذلك يولعون بكتاب (الشريعة) ويزعمون أنه يقرأ للجذب والمهمات • قال بعضهم : لو صحت هذه الفضيلة لكان كتاب (الأسماء والصفات) للبيهقي أولى به • والعجب من كون صاحب (البيان) اختصر (الإحياء) وفيه الرد عليهم • ولم يزل فقهاء الجبال (١) قديماً وحديثاً يقلحون في الإمام الغزالي وعقيدته السننية المخالفة لعقائد الحشوية من الحنابلة والقائلين بالجهة والحرف والصوت في كلام الله ، مع أنه قد صرح (٢) ابن الجوزي وغيره من أئمة الحنابلة أن الإمام أحمد وقدماء أصحابه برآء من ذلك ، حتى ذكر ابن الجوزي أنهم صاروا سبة على المذهب باعتقادهم وحشوهم ، وكذلك قال البيهقي •

قال الياضي : وأما قولهم - يعني الحنابلة - : مذهبنا مذهب السلف - يعني في السكوت عن تأويل أحاديث الصفات - فجهل منهم بمذهب السلف ؛ فإن السلف سكتوا مع اعتقادهم تنزيه الله سبحانه وتعالى عن التجسيم والنزول والحركة والجهة ، وإن الأحاديث الموهمة لذلك غير مرادة الظواهر ، وقليل " أول كالخلف ، وقليل من الخلف سكت كالسلف •

سنة تسع وخمسين وخمسمائة

كسر نور الدين الإفرنج ، وأسر صاحب أنطاكية وصاحب طرابلس ومقدم الروم •

وفيها توفي صاحب سجستان أبو الفضل بن خلف ، وكان عمره مائة سنة ، ملك منها ثمانين ، وكان عادلاً حسن السيرة ، ولم يبلغ أحد من ملوك الإسلام هذا القدر •

(١) كذا في ب ومرآة الجنان ٣/٣٢٥ ، وفي الأصل : فقهاء الحنابلة .

(٢) كذا في ب ، وفي الأصل : خرج •

وفيها وزير صاحب الموصل محمد بن علي ، عرف بالجواد لسعة جوده ، وكان إقطاعه عشر مغل البلاد على جاري عادة وزراء السلجوقيين . أجرى إلى عرفات عيناً أيام الموسم من مكان بعيد ، وبنى سور المدينة الشريفة وما خرب من مسجد النبي ﷺ ، وكان يحمل في كل سنة لفقراء الحرمين ما يبلغهم السنة المستقبلة نفقةً وكسوةً ، وأقام على ذلك إلى أن توفي سلطانه غازي وتولى أخوه قطب الدين ، فقبض عليه وحبسه إلى أن توفي ، وصلى عليه ، وكان يوم موته يوماً مشهوداً ، ودفن بالموصل إلى بعض سنة ستين ، ثم نقل إلى مكة ، وطيف به حول الكعبة بعد أن وقعوا به على الجبل ، ثم حمل إلى المدينة ، وطيف به حول الحجرة المقدسة ، وكان قد صحبه شخص يعدد مزاياه في الإسلام ، ويصيح بها في المواقف العظيمة ، ثم دفن بالبقيع (١) .

(١) في الأصل زيادة في المتن ، أشار الناسخ إلى بدايتها ونهايتها ، والغالب أنها ليست من أصل الكتاب ، وهي ليست في ب ، ولذا فقد أثبتتها في الحاشية ، وهذا نصها : قال في بعض التواريخ ما لفظه : اسم هذا الوزير محمد بن أبي منصور الأصفهاني ، وزير بني زنكي ، أحد الأجواد ، بنى رباطاً في المدينة الشريفة أوقفه على فقراء العجم ، وجعل فيه تربة لها شباك ، وكان بينه وبين أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين بن أيوب عهد على أن من مات منهما قبل صاحبه حمله الآخر إلى المدينة الشريفة ويدفنه فيها ، فلما تقدم موت محمد دفع أسد الدين للشيخ أبي القاسم الصوفي مالا كثيراً ، فحمله إلى الحرمين ومعه جماعة يقرؤون بين يدي تابوته ، فلما كان بالجنائذ اجتمع الناس للصلاة عليه ، فارتفع شباب على موضع وأنشد بأعلى صوته :

سرى نعشه فوق الرقاب وطالما سرى جوده فوق الرقاب ونائله
يمر على الوادي فتثني رماله عليه وبالبادي فتثني أرامله

فلم نرَ باكياً أكثر من ذلك اليوم ، ثم وصلوا به إلى مكة ، وطافوا حول الكعبة ، وصلوا عليه عندها ، ثم أعادوه إلى المدينة فصلوا عليه ودفنوه بتربيته سنة (٥٥٩) ، وكان له آثار جميلة ولا سيما بالحرمين ، وهو الذي بنى سور المدينة ، ومن قبله رباطة بتربة أسد الدين شيركوه وأخيه نجم الدين ، حملوا من مصر إلى المدينة الشريفة بعد موتها سنة ست وسبعين وخمسمائة .

سنة ستين وخمسمائة

توفي أبو المعمر حذيفة بن سعد الأزجي^(١) ، فقيه أهل الجزيرة [جزيرة ابن عمر]^(٢) ومفتيها ، وكان تفقه على الغزالي وعلى أخيه والكبار ، وكان أحفظ أهل زمانه لمذهب الشافعي ، وصنف في مشكلاته ، وكان صاحب دين قوي •

وفيها أبو طالب العلوي محمد بن محمد بن محمد الشريف الحسيني البصري ، فقيه الطالبين ، روى عن أبي علي التستري ، واستقدمه الوزير ابن هبيرة لسماع (السنن) ، فروى الكتاب بالإجازة سوى الجزء الأول فإنه بالسماع من التستري •

وفيها أبو الحسن بن التلميذ أمين الدولة النصراني قسيس النصارى وشيخ قومه^(٣) •

وفيها [شيخ الطب]^(٤) الوزير أبو المظفر عون الدين بن هبيرة وزير المقتفي ، دخل بغداد شاباً في طلب العلم ، فقرأ وأكثر ، وساد في فنون ، ثم ولي مشاركة^(٥) الخزانة ، ثم ديوان الخاص ، وكان شامة في الوزراء لعلمه وعدله ، وامتنع من لبس خلعة الحرير للوزارة ، وشرح (الجمع بين الصحيحين) ، وألف كتاب (العبادات)

(١) في مرآة الجنان ٣/٣٤٤ زيادة تشير إلى نقص وتلفيق في النسختين اللتين نعتد عليهما وهي :

« وفيها توفي فقيه أهل الجزيرة أبو القاسم عمر بن محمد الشافعي الجزري إمام جزيرة ابن عمر ومفتيها ، تفقه على الإمام الغزالي . . . » •

(٢) زيادة من ب .

(٣) في الأصل و ب : وشيخ الطب ، وما أثبت من مرآة الجنان ٣/٣٤٤ ، وشيخ الطب هو الوزير أبو المظفر التالية ترجمته .

(٤) زيادة من مرآة الجنان ٣/٣٤٤ .

(٥) في مرآة الجنان : مصارف الخزانة .

في مذهب أحمد ، وسمع من جماعة منهم ابن الجوزي^(١) ، واختصر كتاب [إصلاح]^(٢) المنطق • وله أرجوزة في (المقصود والمدود) ، وله أرجوزة في (علم الخط) • مات شهيداً بالبسم ، وقد سبق أنه إنما نال الوزارة بدعائه عند قبر معروف الكرخي ، نفع الله به •

وفيهما قطب الأولياء محيي الدين عبد القادر بن أبي صالح موسى بن أبي عبد الله عبد الله بن يحيى بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المشني بن الحسن بن علي بن أبي طالب الجيلاني^(٣) ، قدس الله روحه • نسب إلى جيل ، وهي بلاد متفرقة من وراء طبرستان ، وبها ولد ، ويقال لها أيضاً جيلان وكيلان • وهو سبط أبي عبد الله الصومعي من جلة مشايخ جيلان له أحوال باهرة • [وأمه أم الخير بنت أبي عبد الله الصومعي]^(٤) • وأخوه الشيخ أبو أحمد أصغر منه سناً ، نشأ في العلم والخير ، ومات بجيلان شاباً • وعمته الصالحة أم عائشة^(٥) ، استسقى بها أهل جيلان فلم يسقوا ، فكنت رحبة بيتها وقالت : يا رب ، كنت رحبة بيتي [فرش آمت]^(٤) ، فمطروا كأفواه القرب •

وكان شيخ الشيوخ عبد القادر نحيف الجسم ، عريض الصدر ، عريض اللحية ، أسمر ، مدور الحاجبين ، ذا صوت جهوري وسمت بهي • ولما تزرع الشيخ وعلم أن طلب العلم فريضة شمر ساق الاجتهاد في تحصيله ، وسارع في تحقيق فروعه وأصوله ، بعد أن اشتغل بالقرآن حتى أتقنه • وتفقه بأبي

(١) كذا في النسختين وفي مرآة الجنان ٣/٣٤٥ : وسمع منه خلق كثير منهم ابن الجوزي . ولعله الصواب .

(٢) زيادة من مرآة الجنان .

(٣) أثبتنا النسب الوارد في ب ، وأهملنا ما في الأصل لانقطاعه . ووردت ترجمته في مرآة الجنان ٣/٣٤٧ في السنة التالية .

(٤) زيادة من ب .

(٥) في مرآة الجنان ٣/٣٥١ : وعمته المرأة الصالحة أم محمد عائشة بنت عبد الله .

الوفاء علي بن عقيل ، وأبي الخطاب محفوظ بن أحمد ، وأبي الحسن محمد بن القاضي^(١) أبي علي ، والمبارك المخرمي ، وسمع الحديث من جماعة ، وعلوم الأدب عن آخرين ، وصحب حماداً الدباس وأخذ عنه علم الطريقة بعد أن لبس الخرقة من أبي سعيد المبارك المخرمي ، وسمع الحديث ، وفاق أهل وقته في علوم الديانة ، ووضع له القبول ، مع قدم راسخ في المجاهدة ، وقطع دواعي الهوى والنفس ، ولما أراد الله إظهاره أضيف إلى مدرسة أستاذه أبي سعيد المخرمي ، فعمرها وما حولها ، وأعانه الأغنياء بأموالهم ، والفقراء بأنفسهم ، فكملت في سنة ثمان [وعشرين وخمسائة]^(٢) ، ثم تصدر فيها للتدريس والوعظ والتذكير ، وقصد بالزيارات والنذور من الآفاق . وصنف وأملى ، وسارت بفضل الركبان ، ولقب بمجمع الفريقين ، وموضح الطريقين ، وكريم الجدين . وتلمذ له أكثر الفقهاء في زمنه ، ولبس منه الخرقة المشايخ الكبار ، وصار قطب الوجود ، وأكثر شيوخ اليمن في الخرقة تنسب إليه .

وكراماته تخرج عن الحصر ، وقد اعتنى بتدوينها ، وألف من نبذ كلامه ، وله نظم رائع ، وكان أشعري العقيدة ، متفقاً بمذهب أحمد بن حنبل .
وقد بسط الياضي في ترجمة الشيخ بسطاً يليق بقدره ، وهو أتم من ذلك ، ونقم على الذهبي حيث اقتصر على وصفه بالزهد والصلاح .

وفيها توفي الإمام الحافظ أبو سعيد^(٣) عبد الكريم بن محمد بن منصور المروزي ، محدث المشرق ، صاحب الرحلة الواسعة والتصانيف الكبيرة منها : معجم شيوخه في عشر مجلدات .

(١) في الأصل : القباض .

(٢) زيادة من مرآة الجنان ٣/٣٥٤ .

(٣) في مرآة الجنان ٣/٣٧١ ورد أن أبا سعيد عبد الكريم وأبا سعد السمعاني شخص واحد وترجمة واحدة وردت في العام اثنين وستين وخمسائة، ولعله الصواب .

وفيها القاضي الرشيد أبو الحسن أحمد بن القاضي الرشيد أبي الحسن علي الغساني الأسوائي ، كان من ذوي الفضل والرياسة • [وأسواء : قرية بصعيد مصر]^(١) ، وله ديوان شعر ومصنفات ، ولأخيه القاضي المهذب ديوان شعر أيضاً ، والمهذب أشعر ، والرشيد أعلم بسائر الفنون ، قتله الوزير شاور ظلماً ، وذلك أنه لما دخل اليمن رسولاً مدح ملوكها ، فقال في علي بن حاتم الهمداني قصيدته التي يقول فيها :

وإن جهلت حقي زعائف خندفٍ فقد عرفت فضلي غطاريف همدان
فكتب بذلك داعي الإسماعيلية إلى صاحب مصر ، فأخذ جميع موجوده ، ثم قتله شاور •

سنة اثنتين وستين وخمسمائة

توفي الحافظ أبو سعد السمعاني واسطة عقد البيت السمعاني وعينهم الباصرة ، وإليه انتهت رياستهم ، وبه كملت سيادتهم ، رحل إلى الآفاق ، وبلغت شيوخه أربعة آلاف • صنف (تذييل تاريخ بغداد للخطيب) خمسة عشر مجلداً ، ونازع ابن الأثير واستدرك عليه مختصره في نحو ثلاثة مجلدات • وكان أبوه إماماً شافِعياً له عدة تصانيف ، توفي سنة ست عشرة وخمسمائة •

سنة ثلاث وستين وخمسمائة

الشيخ أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله السهروردي القرشي البكري ، بينه وبين أبي بكر اثنا عشر رجلاً ، بلغ مبلغاً في العلم حتى لقب مفتي العراقيين وقُدوة الفريقين ، وكان يشرح أحوال القوم ، ويتطيلس ، ويلبس لباس العلماء ، ويركب البغلة ، ويرفع بين يديه الغاشية • مرَّ يوماً على جزار وقد علق شاةً مسلوخةً ، فوقف وقال : إن هذه الشاة تقول : إنها ميتة ، فعشي على الجزار ، وتاب على يد الشيخ ، وله جملة كرامات ، وكلام في الحقائق •

(١) زيادة من ب .

سنة أربع وستين وخمسمائة

حاصرت الفرنج القاهرة ، فكتب شاوور وزير العاضد إلى نور الدين محمود بن زنكي يستنجده ، وكان حينئذ في حلب ، فساق إليه أسد الدين من حمص ، فتقهقرت الفرنج ، ودخل أسد الدين القاهرة ، وجلس في دست الملك ، وخلع عليه العاضد خلع السلطنة ، وعهد إليه بالوزارة ، وقبض على الوزير شاوور ، ثم قطع رأسه بأمر العاضد ، ومات أسد الدين بعد ذلك بشهرين ، فأقام العاضد بدلا عنه ابن أخيه صلاح الدين بن نجم الدين أيوب ، وهو الذي قام على يديه ملك بني أيوب ، ولقبه الناصر .

وفيها القاضي أبو المعالي محمد بن علي^(١) القرشي العثماني ، صاحب الفنون في أنواع العلم ، هنا صلاح الدين بن أيوب بفتح حلب بقصيدة هائلة ، منها :

وفتحك القلعة الشهباء في صفر مبشر بفتوح القدس في رجب

فكان كما قال . ولما فتح بيت المقدس تطاول كل من أعيان العلماء للخطبة ، وهيئوا الخطب ، فخرج مرسوم صلاح الدين لأبي المعالي ، فخطب خطبة بليغة طويلة نحو ثلاث ورقات ، ذكر فيها إعزاز الله المسلمين وإذلاله المشركين ، وتطهير بيت المقدس من قاذورات الشرك ، وتعرض لقصة الإسراء إلى بيت المقدس ، وذكر الخلفاء الأربعة على ترتيبهم السني ، وهنأ المسلمين باسترداد هذه الضالة على أيديهم من الأمة الضالة بعد قريب من مائة سنة ، وذكر فضل بيت المقدس وأنه أول القبلتين وثاني المسجدين وثالث الحرمين ، ولا تشد الرحال بعد المسجدين إلا إليه ، وغير ذلك .

(١) في ب : محمد بن علي بن الحسن . وفي مرآة الجنان ٣/٣٧٤ : محمد بن أبي الحسن علي بن محمد . وفي الأصل : محمد بن الحسن .

سنة خمس وستين وخمسمائة

وقعت زلزلة عظيمة بالشام ، فهلك تحت الردم ثمانون ألفاً .

وحاصر نور الدين محمود بن زنكي سنجار ، وأخذها بالأمان ، وتوجه إلى الموصل ، وبنى بها جامعها ، ورتب أمورها . ومات واليها وابن واليها قطب الدين مودود بن زنكي أخو محمود .

وفيها أبو بكر بن النور عبد الله بن محمد البغدادي البزار ، كان محدثاً ثقةً من أولاد الشيوخ .

وفيها حافظ وقته ابن عدي مصنف كتاب (الكامل) في الضعفاء والمتروكين ، إليه المنتهى في فنه خلا أن فيه لحناً لأنه كان فيه عجمة ، ولا يعرف العربية .

سنة ست وستين وخمسمائة

توفي أبو عبد الله محمد بن يوسف الزينبي زليل شاطبة وقاضيها ، كان محدثاً عارفاً بالفنون كلها ، فصيحاً مفوهاً ، مع التصنيف والخشوع والعبادة .

وفيها المستنجد ابن الخليفة المقتفي .

سنة سبع وستين وخمسمائة

تجاسر صلاح الدين بن أيوب وقطع خطبة العاضد العبيدي ، وكان قبل هذا كالمتحكم له ، وخطب للخليفة العباسي المستضيء (١) ، ومات العاضد عقب ذلك ، قيل : إنه مات غماً ، وأظهر صلاح الدين الحزن عليه ، وجلس للجزاء ، ثم تسلم القصر وما حوى ، ثم حول أولاد العاضد وخاصته إلى مكان آخر ، ورتب لهم كفايتهم . ولما وصل أبو نصر سعد بن عسرون (٢) رسولاً بذلك إلى بغداد زينت ،

(١) كذا في ب ومرآة الجنان ٣/٣٧٩ ، وفي الأصل : المقتفي ، وهو خطأ .

(٢) كذا في مرآة الجنان ، وفي النسختين : أبو سعد بن عسرون .

وظل يوماً مشهوداً • وكانت الخطبة العباسية قد قطعت من مصر منذ مائتي سنة
وتسع سنين بخطبة بني عبيد أهل المذهب الرديء • ثم أرسل الخليفة بالخلع الفاتقة
الرائقة لنور الدين محمود بن زنكي، ولنائبه صلاح الدين ، وكان فيما أرسل لنور
الدين طوق ذهب وزنه ألف مثقال ، وحصانان وسيفان قلد بهما ، وفيه إشارة إلى
الجمع له بين مصر والشام •

وفيها سار نور الدين محمود لحصار الكرك^(١) ، وطلب صلاح الدين
فاعتذر ، [فلم يقبل عذره ، وهم بالدخول إلى مصر وعزل صلاح الدين ، فلما انتهى
خبر ذلك إلى]^(٢) صلاح الدين جمع أهله وخواصه ووالده وخاله شهاب الدين
الحارمي ، واستشارهم ؛ فقال ابن أخيه عمر : إذا جاءنا قاتلناه ، وتابعه الحاضرون ؛
فستهمهم نجم الدين أيوب والد صلاح الدين وقال : أنا وخالك ليس في هؤلاء من
يريد لك الخير مثلنا ، لو رأينا نور الدين لقبلنا الأرض بين يديه ، ولو أمرنا بضرب
عنقك لنعلنا ؛ فما ظنك بغيرنا؟! ثم تفرقوا عن ذلك ، وكتب به النصحاء إلى نور الدين
والأمراء • فلما خلا نجم الدين بولده قال : أنت جاهل ؛ تطلع هذا الجمع على سرّك ،
فلو قصدك نور الدين بالشر لتخلوا له عنك ، فاكتب له كتاب خضوع وتذلل ؛ فإن
ذلك يصرف همته عن التوجه إليك ويشتغل بهمهم غيرك •

وقيل : إن نور الدين كتب إليه آخر مرة : « فإذا وقفت على كتابي فكن لأمرنا
بالمرداد ، ومن حالك على اقتصاد ، وقرأ أول (النحل) وآخر (صاد) »^(٣) •

وفيها يحيى بن سعيد^(٤) بن تمام القرطبي ، صائن الدين ، القاريء ،
المحدث ، اللغوي ، كان ورعاً ذا سكينه ووقار • قال ابن خلكان : وكان شيخنا

(١) في الأصل : الكرخ ، وما أثبت من ب ومرآة الجنان ٣/٣٨٠ •

(٢) زيادة من ب ومرآة الجنان •

(٣) يريد قوله تعالى (أتى أمر الله فلا تستعجلوه) . وبآخر صاد ، قوله تعالى :
(ولتعلمن نبأه بعد حين) . وفيها تهديد وتحذير •

(٤) في مرآة الجنان ٣/٣٨٠ : يحيى بن سعدون •

أبو المحاسن يوسف بن رافع يفتخر بقراءته عليه ورؤيته ، وكان يسمط كل يوم
دجاجة ، ويتولى طبخها بيده ، وكان يشد :

جری قلم القضاء بما يكون فسيان التحرك والسكون
جنون منك أن تسعى لرزقٍ أما في البطن قد رزق الجنين

قال صاحب الأصل : ولو قال : (فشكّ منك)^(١) لكان أصوب ، ثم قال :
أما الساعي : فإن كان متوسلاً بالسبب^(٢) إلى ما قسم له المسبب فهو سني ، وإن
كان معتمداً على مجرد السبب^(٣) فمذموم يستحق الذم ، والكلام في السعي المحمود
والمذموم والتجريد المحمود والمذموم مبسوط في كلام المشايخ ، وأحسن كتاب وضع
فيه كتاب (التنوير في إسقاط التدبير) لتاج الدين بن عطاء ، نفع الله به .

وفيها العلامة أبو محمد الخشاب عبد الله بن أحمد البغدادي ، صنف كتاباً ،
وكان له شعر قليل ، منه قوله ملغزاً في كتاب :

وذي أوجهٍ لكنه غيرٌ بأخٍ بسرٍّ وذو الوجهين للسرِّ مضمراً
تناجيك بالأسرار أسرار وجهه فتسمعها بالعين ما دمت تبصر

وقد سبقه إلى هذا المعنى المنبهي في مدحه لابن العميد بقوله :

خلقت صفاتك في العيون كلامه كالخط يملأ مسمعي من أبصرا

وكانت فيه بذاذة في الملبس وخشونة في المأكل ، يستقي بجرة مكسورة ، وما
تأهل قط ولا تسرّى .

قال العماد : كان بيني وبينه صحبة ، فرأيت في المنام بعد موته فقلت : ما فعل
الله بك ؟ قال : خيراً ، قلت : هل يرحم الله الأدياء ؟ قال : نعم ، فقلت : وإن كانوا
مقصرين ؟ قال : يجري عتاب كثير ، ثم يكون بعده النعيم .

قال الياضي : فهذا للمقصرين لا للعاصين .

(١) في ب : فشك منك في رزق جنون أما في البطن قد رزق الجنين

(٢) في الأصل : فإن كان متوسلاً بالتسبب .

(٣) في الأصل : وإن كان معتمداً على مجرد الكسب .

وفيها أبو الحسين^(١) بن النعمة علي بن عبد الله الأنصاري الأندلسي ، كان صاحب فنون مع الورع وحسن الخلق . وشرح (سنن النسائي) شرحاً طويلاً بلغ فيه الغاية .

وفيها أبو حامد النوري^(٢) الطوسي الشافعي تلميذ محمد بن يحيى الغنوي المتبحر في علم الكلام ، كان يعظ بالنظامية ومدرستها يومئذ الشاشي ، وكان يحط على الحنابلة ، فأصبح يوماً ميتاً ؛ قيل : أهدوا له حلوى مسمومة على يدي امرأة .

وفيها أبو الفتح نصر الله بن قلائس^(٣) الشاعر اللخمي الإسكندري ، صحب أبا طاهر السلفي ، وأثنى عليه السلفي ، ودخل اليمن وامتدح أمير عدن ؛ فأجزل عطيته ، ثم غرق ما معه ، وعاد إليه عرياً فأنشده قصيدته التي أولها :
صدرنا وقد أوليتنا كل نعمة^(٤) فعدنا إلى مغناك والعود أحمد

سنة ثمان وستين وخمسمائة

قام صيت الدولة الأيوبية ، فافتتح قراقوش ابن أخي صلاح الدين المغرب ، وانتزع طرابلس من أيدي الفرنج ، وسار عمه توارث شاه إلى اليمن ، فاستدعى الشريف منصور بن أحمد بن غانم ، وسببه أن الشريف قاسم بن وهاس بن يحيى كان قد استقطع من الحبش الذين هم ملوك تهامة اليمن من وادي عين إلى بيش ، فلما زال ملك الحبش على يدي علي بن مهدي الحميري وقتله لسرور الحبشي فازع الأشراف السليمانيين الغانمين في مخالفتهم المذكور ، وجرى للشريف قاسم معه ومع بنيه وقعات مشهورة ، وضربات بسيفه الذي سماه العائش مأثورة ، وذلك في أيام

(١) في مرآة الجنان ٣/٣٨٢ : أبو الحسن .

(٢) في ب : الشروي ، وفي مرآة الجنان ٣/٣٨٢ : النووي .

(٣) في ب : نصري ، وفي الأصل : فلافس .

(٤) في ب ومرآة الجنان ٣/٣٨٣ : (صدرنا وقد نادى السماح بنا ردوا) .

المتوكل على الله أحمد بن سليمان المقبور بحيّدان ، وآخر الأمر أنه قتل الشريف وهاس بن غانم في أعمال حرّض على يد عبد النبي بن مهدي^(١) ، فبعث أخوه قاسم ابن أخيهما منصوراً إلى بني أيوب بمصر ، فبعث معه صلاح الدين أخاه شمس الدولة^(٢) ، فقبض على عبد النبي ، ثم شنقه مع أخيه أحمد في سنة إحدى وسبعين [وخمسائة] ، وزالت دولة بني مهدي أهل المذهب الرديء . ثم افتتح شمس الدولة اليمن سهلها وجبلها ، وأقرّ الأشراف على مخالفتهم ، فكان بيد منصور من وادي عين إلى الساعد ، ومنه شاميا بيد عمه قاسم ، ولما مات قاسم انتفضت الغز على الأشراف ، ولهم معهم وقعات . ولما قتل المرتضى بن قاسم بن غانم قام بثأره أخوه المؤيد ، فقتلوا أيضاً صلاح بن المرتضى ، واستنجد المؤيد الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة ، فأنجده ، وأوقع بالغز في المهجم وأحرقها ، وذلك في سنة ست عشرة وستمائة^(٣) ، فاستتبع المؤيد في ظهر فرسه قوماً من العرب بتلك النواحي حتى انفرد عن الجيش ، فرماه أحدهم بحجر أسقطه ، فأخذه وسلموه إلى الغز ، فأجارته الحرة بنت سيف الإسلام بن أيوب ، وسلمته إلى أخيها أيوب ، فبقي أسيراً مدة ، ثم رهن زوجته بالطاعة ، فلما مات أيوب أطلقت الحرة زوجة المؤيد .

ولما ضعف أمر بني أيوب باليمن وتولاها سليمان الصوفي ، وذلك سنة اثنتي عشرة وستمائة أرسل الملك العادل ابن ابنه المسعود يوسف بن محمد بن أبي بكر ابن أيوب ، وولاه اليمن مضافة إلى الحجاز ، وأرسل معه القلب يدبر أمره لأنه كان حينئذ صغيراً ، فتسلم اليمن سهولها وجبالها بغير قتال . ثم نازع الأئمة العلويين في بلدانهم ، وللقليب مع الإمام المنصور وولده من بعده محمد بن الناصر وقعات عديدة قد دونت في زمن المسعود .

(١) في ب : على يد عبد الله بن علي بن مهدي .

(٢) في ب : شمس الدين .

(٣) في الأصل : سنة عشر وستمائة ، وما اثبت من ب .

واختلف الشريفان المؤيد وابن عمه علي بن دوزه ، وكان الأمير المؤيد قد استفصل أمره وعلاصيته ، فاستنجد ابن عمه عليه بالمسعود ، فأرسل معه الخوارزمي في مائتي فارس ، وقيل : ثلاثمائة ، فتنحى عنهم المؤيد إلى الملجأ من نواحي حرص في بلاد حجور ، وندم الشريف علي بن محمد ، وهرب ولحق ببلده صيبا ، وأرسل إلى المؤيد يشير عليه أن لا يصادمهم ، ويخبره أن لا طاقة له بهم ، فلم يقبل ، وسار عليهم بمن معه من بني سليمان وبني حراب وغيرهم ، وتعلل بعض أهله بمرض ، فسار وهو يقول :

فلو كان يا منصور عزمك من عزمي لما رعت لما قيل هذا الخوارزمي

فحمل عليهم بنفسه ، فشجره القوم برماحهم من كل جانب ، واقتض جيشه ، فقتل منهم ثلاثة عشر أو ستة عشر رجلاً ولم يقتل من الغز سوى رجل أو رجلين ، وذلك سنة ست عشرة وستمائة . وبعدها استولى المسعود على مخالف بني سليمان ، وتردد مراراً من اليمن إلى مكة ، ثم إلى مصر ، ومات بمكة سنة ست وعشرين وستمائة . وبعد موته انقطع تعلق ملوك الشام باليمن . ودبر أمر اليمن نور الدين علي بن رسول ، وذلك في سنة سبع عشرة (١) وستمائة ، وتسلمن ولده عمر بن علي ابن رسول من بعده ، ولقب بالمنصور ، وذلك بعد إجماع أهل اليمن عليه ، وأخذ القضيبي من الخليفة من بني العباس ببغداد أبي أحمد المستعصم ، وشرط عليه أن يثب اسمه في السكة ويدعى له في الخطبة ، فاستمر الدعاء في جميع بلدانهم وملوكهم إلى آخر ملوكهم المسعود في حدود سنة خمسين وثمانمائة .

ويدبر أمر اليمن اليوم علي بن طاهر بن مغوضة (٢) ، وذلك سنة إحدى وستين وثمانمائة .

وفيها — وهي سنة ثمان وستين وخمسمائة — توفي الأمير نجم الدين أيوب ابن شاذي والد الملوك بني أيوب : صلاح الدين وسيف الدين وسيف الإسلام

(١) كذا في ب ، وفي الأصل : سبع وعشرين وستمائة .

(٢) في ب : علي بن طاهر وصنوه عامر بن طاهر بن مغوضة .

وشاهنشاه وتاج الملوك بوري وست الشام وربيعة خاتون . وسبب موته أنه شب به فرسه يوماً فألقاه ، فتألم أياماً ، ومات بالقاهرة ، وكان أول ولاية تولاهها قلعة تكريت بتولية غياث بن مسعود السلجوقي ، فقتل أخوه أسد الدين رجلاً ، فأخرجها منها ، فخرج إلى الموصل ، فأحسن إليهما عماد الدين زنكي والد نور الدين وهو يومئذ متحكماً للسلجقة ، وولى نجم الدين قلعة بعلبك ، فبنى بها نجم الدين خانقاهاً للصوفية ، وهي المعروفة اليوم بالنجمية . وكان نجم الدين صالحاً حسن السيرة ، كريم السريرة ، ولما تولى ولده صلاح الدين مصر استدعى أباه وكان بدمشق في خدمة نور الدين محمود بن زنكي ، واستأذنه ، فأذن له ، فلما قدم على صلاح الدين أراد أن يخلع الأمر إليه ، فكره .

وفيهما ملك النجاة أبو نزار الحسن بن صافي البغدادي ^(١) ، الفقيه الأصولي المصنف في الأصولين والنحو وفنون الأدب ، واستوطن دمشق آخرأ ، وتوفي بها عن ثمانين سنة ، وكان قد لقب نفسه ملك النجاة ، ويفضبه على من لا يدعوه بذلك ، وله ديوان شعر ، ومدح النبي ﷺ بقصيدة . واتفق أهل عصره على فضله ومعرفته .

سنة تسع وستين وخمسمائة

توفي الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بن سنقر ، وقيل : فتسقر ، وكان محمود السيرة كاسمه ، واسع الخيرات والجهاد ، ومآثره في أمصار الإسلام لا تحصى ولا تعد ولا تستقصى ، وكان أولاً متحكماً للملوك السلجقة ، ثم استقل . وكان في الإسلام (زفاده يتقى به) ^(٢) ، افتتح من بلاد الروم عدة حصون ، ومن بلاد الفرج ما يزيد على خمسين حصناً .

(١) كذا في ب ومرآة الجنان ٣/٢٨٦ ، وفي الاصل : انور الحسن صافي البغدادي ، وواضح فيه النقص .

(٢) في النسختين وردت العبارة دون إعجام ، وهي غير مبينة .

ومحاسن نور الدين كثيرة شهيرة ، وكان في الأولياء يعد في الأربعين ، وصلاح الدين في الثلاثمائة ، ذكر ذلك بعض الشيوخ العارفين ، ويصدق ذلك ما ذكره المطري رحمه الله في كتابه (تاريخ المدينة) ، وقد سمعته على شيخنا شرف الدين أبي الفتح المدني ، ثم على حفيد المؤلف محب الدين المطري سمعاً من لفظ الأول بمكة المشرفة سنة خمس وثلاثين وثمانمائة ، وقرأته على الباني بالمدينة النبوية سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة بجميع الكتاب : وذلك أن السلطان محمود رأى النبي ﷺ ثلاث مرات وهو يقول له كل مرة : يا محمود أفتدني من هذين الشخصين ، لشخصين أشقرين تجاهه ، فاستحضر وزيره قبل الصبح وأخبره ، فقال له : هذا أمر حدث في مدينة النبي ﷺ ليس له غيرك ، فتجهز وخرج على عجل بمقدار ألف راحلة وما يتبعها من خيل وغير ذلك حتى دخل المدينة على غفلة من أهلها ، فلما زار طلب أهلها عامة للصدقة ، وقال : لا يبقى بالمدينة أحد إلا جاء ، فلم يبق إلا رجلان مجاوران من أهل الأندلس نازلان في الناحية التي تلي حجرة النبي ﷺ من خارج المسجد عند دار عمر بن الخطاب التي تعرف اليوم بدار العشرة رضي الله عنهم ، قالوا : نحن في كفاية ، فجدد في طلبهما حتى جيء بهما ، فقال للوزير : هما هذان ، فسألهما عن حالهما وما جاء بهما ، فقالا : لمجاورة النبي ﷺ ، ففكر السؤال عليهما حتى أفضى إلى العقوبة ، فأقرا أنهما من النصارى وصلا لكي ينقلا من في هذه الحجرة الشريفة باتفاق من ملوكهم ، ووجدهما قد حفرا ثقباً في الأرض من تحت حائط المسجد القبلي ، ويجعلان التراب في بئر عندهما في البيت ، ف ضرب أعناقهما عند الشباك الذي في حجرة النبي ﷺ خارج المسجد ، ثم أحرقا بالنار . وركب متوجهاً إلى الشام راجعاً ، فصاح به من كان فارلاً خارج السور ، واستغاثوا ، وطلبوا أن يبني لهم سوراً يحفظهم ؛ فبنى هذا السور الموجود الآن ، ومثل هذا لا يجري إلا على يد ولي الله تعالى ، والله أعلم .

توفي نور الدين بعلة الخوانيق ، وأشار عليه الأطباء بالفصد ، فامتنع ، وكان مهيباً فما روجع ، ودفن بيت كان يخلو فيه بقلعة دمشق ، ثم نقل إلى مدرسته التي عند سوق الخواصين . وروي أن الدعاء عند قبره مستجاب . وعمره نيف وخمسون

سنة • وقام بعده بالملك ولده الصالح إسماعيل • ولما استظهر صلاح الدين على بلاد الشام كلها تركه في حلب حتى توفي سنة سبع وسبعين وخمسمائة ، وكان لموته وقع عظيم في قلوب الناس لصلاحه •

وفيها أبو العلاء العطار الحسن [بن أحمد] ^(١) المقرئ ، شيخ همدان ، رحل إلى الآفاق ، وكان إماماً في القرآن والحديث والأدب والزهد والتمسك بالأثر ، وله تصانيف في القراءات والحديث والرفائق في مجلدات كثيرة ، منها كتاب (زاد المسافر) خمسون مجلداً ، وكان أبوه تاجراً ، ففرق أبو العلاء المال ، وسافر أسفاراً يحمل كتبه على ظهره ، ويأوي إلى المساجد ويأكل خبز الدخن إلى أن نشر الله ذكره في الآفاق •

وفيها سعيد بن المبارك النحوي ، عرف بابن الدهان ، صاحب التصانيف الكثيرة ، منها (شرح الإيضاح) في ثلاثة وأربعين مجلداً ، وأظنه صنف في الغريبين ^(٢) ، وكان سيوييه زمانه •

وفيها المسمى عبد النبي بن علي بن المهدي ^(٣) الحميري ، قتله شمس الدولة ابن أيوب كما مضى ، وكان هو وأبوه قد تغلبوا على اليمن ونفوا الحبش ، وكانا من دعاة الباطنية بني عبيد ، فظلما وغشما وقتلا الأبطال ، وكانت فتنتهم عظيمة ، ومدتهم خمس عشرة سنة •

وفيها الفقيه عمارة بن علي بن زيدان ^(٤) الحكمي المدحجي اليمني الفرضي ، نزيل مصر ، وشاعر العصر ، ذكر في بعض تصانيفه أن وطنه مدينة يقال لها مرطان ^(٥) بتهامة اليمن من وادي سباع على أحد عشر يوماً من مكة ، واشتغل بالفقه في زييد ،

(١) في مرآة الجنان ٣/٣٨٩ : أبو علي العطار ، وما بين قوسين زيادة منه .

(٢) كذا في ب ، وفي الأصل : في العربية .

(٣) في مرآة الجنان ٣/٣٩٠ : عبد النبي بن المهدي .

(٤) كذا في ب ومرآة الجنان ٣/٣٩٠ ، وفي الأصل : زيد .

(٥) في مرآة الجنان : برطان .

وحج ، فسيره صاحب مكة قاسم بن هاشم إلى صاحب مصر العبيدي ، فمدحه بقصيدة ميمية حسنة ؛ فأجزل عطيته ، فرجع إلى مكة ، ثم إلى زيد ، ثم حج ثانية ، فأرسله صاحب مكة ثانياً إلى مصر ، فاستوطنها ، ولم يزل أمره باهراً إلى أن أشيع عنه أنه يتعصب للعبيديين مع ثمانية من الرؤساء ، وأنهم يسعون في إعادة دولتهم ، فشنقهم صلاح الدين بن أيوب ، وذلك في رمضان .

سنة سبعين وخمسمائة^(١)

وفيهما توفي أحمد بن المبارك خادم الشيخ عبد القادر الجيلاني الذي كان يسط له المرقعة على الكرسي .

وفيهما القاضي علي بن عمر بن عبد العزيز بن قررة اليميني ، المفسر ، الواعظ على المنابر ، المعبر ، مع قبول تام عند الناس ، توفي في الطرية في ناحية مسجد الرباط من بلاد اليمن .

سنة إحدى وسبعين وخمسمائة^(١)

توفي شيخ الإسلام ومحدث الشام أبو القاسم بن عساكر ، وهو علي بن الحسين^(٢) بن هبة الله ، كان رفيق الحافظ عبد الكريم بن السمعاني في الطلب ، وكلاهما أنجب . وبالع ابن عساكر في طلب الحديث حتى جمع ما لم يتفق لغيره ، وخرج تاريخ بلده دمشق في ثمانين مجلداً جاء فيه بالعجائب . قال القاضي شرف الدين بن خلكان : قال لي شيخي عبد العظيم المنذري : ما أظن هذا الرجل إلا شرع في هذا التاريخ من يوم عقل ، وإلا فالعمر يقصر عن جمع مثله . وله توالييف غيره وشعر حسن ، منه :

(١) هذان العنوانان نقص من النسختين ، واستدركا من مرآة الجنان ٣٩٢/٣ - ٣٩٣ .

(٢) في مرآة الجنان : علي بن الحسن .

ألا إن الحديث أجل علم
وأفنع كل يوم منه عندي
وإنك لن ترى للعلم شيئاً
فكن يا صاح ذا حرص عليه
ولا تأخذه من صحف فترمي
وأشرفه الأحاديث العوالي
وأحسنه الفوائد والأمال
تحققه كأفواه الرجال
وخذه من الرجال بلا ملال
من التصحيف بالداء العضال

ومن تأليفه (تلقين المقبري فيما ينسب إلى الشيخ أبي الحسن الأشعري) ، وهو كتاب جليل الفوائد . قال الشيخ اليافعي رحمه الله : وقد اختصرته في نحو ربعة ، وسميته (الشاش المعلم وشاؤوش كتاب المرهم) ، ذكر هو فيه ثمانين إماماً من الأشعرية ، ووفيتهم مائة .

وكان ابن عساكر حسن السيرة والسريرة ، ملازماً لطريقة واحدة نحو أربعين سنة : من لزوم الصلوات الخمس في الجماعة في الصف الأول إلا من عذر ، واعتكاف رمضان وعشر ذي الحجة ، وعدم التطلع إلى الأملاك وبناء الدور ، وقد أسقط عن نفسه ذلك ، وأعرض عن مناصب الرفعة كالإمامة والخطبة وقد عرض عليه ، غير ملتفت إلى الأمراء والكبراء ، لا تأخذه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لومة لائم .

قال ابنه الحافظ أبو محمد القاسم : كان أبي يختم في كل جمعة ، وفي رمضان في كل ليلة ، يحيي ليلة النصف من شعبان وليتي العيدين ، كثير النوافل ، يتأسف على لحظة تمضي في غير طاعة . وسمع من نحو ألف وثلاثمائة شيخ وثمانين امرأة .

قال الحافظ عبد القادر^(١) الرهاوي : رأيت الحافظ السلفي والحافظ أبا العلاء الهمداني والحافظ أبا موسى المدنيي فما رأيت منهم مثل ابن عساكر .

وفيها توفي الشيخ الزاهد أبو بكر بن سالم من جبال اليمن ، استأذن عليه شمس الدولة بن أيوب وتبرك به .

(١) في مرآة الجنان ٣/٣٩٦ : عبد القاهر .

وفيها توفي جعدة العطاردي ، الإمام مجد الدين ، الفقيه الشافعي ، أبو منصور بن أسعد الطوسي ، تلميذ الإمام البغوي ، رحل بلداناً كثيرة في الطب ، وارتفع صيته ، وكان مشهور الوعظ ، وأنشد يوماً على الكرسي من جملة أبيات :
تحية صوب المزن يقرؤها الرعدُ على منزل كانت تحل به هندُ
نأت فأعرناها القلوب صبايةً وعاريةً العشاق ليس لها ركدُ

سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة

أمر صلاح الدين ببناء السور الكبير المحيط بمصر والقاهرة من البر^(١) ، طوله تسعة وعشرون ألف ذراع وثلاثمائة ألف ذراع بالهاشمي . وأمر ببناء قلعة الجبل ، وأنفق في ذلك أموالاً جزيلة ، ولم يزل العمل في ذلك حتى مات .

سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة

سار صلاح الدين من مصر ، فسبى وغنم بأرض عسقلان ، ولقي الفرنج بالرملة ، فأنكسر عسكره ، وثبت هو وابن أخيه تقي الدين ، واحتوت الفرنج على العسكر بما فيه ، ودخل الليل ، وعطش الشراد في الرمال ، وتقطعوا ، وأسر الفقيه عيسى الهكاري . ونزلت الفرنج على حماة ، وحاصرتها أربعة أشهر .

وفيها توفي السلطان أرسلان السلجوقي .

وفيها أبو محمد المأمون^(٢) الأديب هرون بن العباس العباسي المأموني البغدادي ، صاحب التاريخ ، وشارح مقامات الحريري .

(١) كذا في ب ومرآة الجنان ، وفي الأصل : من الشرق .

(٢) في ب ومرآة الجنان ٣/٣٩٨ : أبو محمد بن المأمون .

سنة أربع وسبعين وخمسمائة

توفي الحيص بيص أبو الفوارس سعد بن محمد التميمي المشهور بالشعر ،
وسمي بذلك لأنه رأى الناس يوماً في حركة قوية مزعجة ، فقال : ما للناس في حيص
بيص ؟! ومعناها : الشدة والاختلاط .

وفيها الشيخ نصر بن محلي ، قال ابن خلكان : كان من ثقات أهل السنة ،
روي عنه قال : رأيت في المنام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقلت له : يا أمير
المؤمنين ، يفتحون مكة ويقولون : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ثم جرى علي
ولذلك الحسين ما جرى ؟! فقال : أما سمعت آيات ابن الصيفي ؟ فقلت : لا ، فقال :
اسمعا منه ، ثم استيقظت ، فبادرت إلى دار ابن الصيفي ، وذكرت له ذلك ، فأجش
بالكباء ، وحلف بالله ما خرجت من فمي ولا من خطي إلى أحد ، ولا قظمتها إلا في
ليالي هذه ، ثم أشدني :

ملكننا فكان العفو منا سجيةً فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحلتم قتل الأسارى وطالما غدونا على الأسرى نمنّ ونصفح
وحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل إناء بالذي فيه ينضح

وفيها مسندة العراق شهدة بنت أبي نصر العابدة الصالحة الدينورية ، نسبة
إلى دينور - بكسر الدال ، وقيل : بفتحها - من بلاد الجبل . وهي بغدادية المولد
والوفاة ، وعمرت حتى ألحقت الأصاغر بالأكابر ، وانتشر صيتها ، وكان لها حظ جيد .

وفيها القدوة الصالح الورع المستجاب الدعاء أبو عبد الله محمد بن أحمد
الأنصاري الأندلسي ، قرأ كثيراً ، وكان من أولياء الله تعالى .

وفيها السيد محمد بن هبة الله بن عبد الله السلماسي الفقيه الشافعي (١) ،
إمام عصره ، تولى إعادة المدرسة النظامية ببغداد ، وكان مسدداً في فتياه ، وأتقن

(١) كذا في ب ومرآة الجنان ٣/٤٠٠ ، وفي الأصل : الشافعي الفقيه الفارسي .

عدة فنون ، وهو الذي شهر طريقة الشريف بالعراق ، وقصده الناس من كل جهة ،
واتفقوا به ، وصاروا علماء مصنفين ، من جملتهم عماد الدين وموسى ولدا الشيخ
يونس ، والشيخ محمد بن علوان وغيرهم .

سنة خمس وسبعين وخمسمائة

توفي المستضيء الخليفة العباسي ببغداد ، وكان ببيع بعد أبيه المستنجد ، وكان
ذا دين وكمال .

قال ابن الجوزي : أظهر من العدل والكرم ما لم نره في أعمارنا ، وفرق مالا
عظيماً على الهاشميين وفي المدارس وأنواع الخير ، وليس للمال عنده قدر . قيل :
وكان يطلب ابن الجوزي ويأمره بعقد مجلس الوعظ ويحضر ويسمع ولا يرى .
وفي أيامه اختفى الرض ببغداد ، وهى وتلاشى بمصر والشام ، وزالت دولة العبيدين
بمصر والشام وبعض المغرب ، وببيع بعده ابنه الناصر .

وفيها يسع بن عيسى بن حزم الغافقي المقرئ ، أخذ في القراءات عن أبيه
وغيره ، وكان فقيهاً بديع الخط ، نساباً أخبارياً . قيل : وهو أول من خطب الخطبة
العباسية بمصر . وكان صلاح الدين بن أيوب يكرمه ويحترمه .

سنة ست وسبعين وخمسمائة

قدم السلطان سيف الإسلام بن أيوب اليمن بدلاً عن أخيه شمس الدولة (١) .
وفيها الزاهد محمد بن سعيد القرظي (٢) اللّحجّي ، له مصنفات فائقة ،
منها : (المقتفى (٣) في سنن المصطفى) و (مختصر الإحياء) . قيل : إنه رأى
النبي ﷺ ودعا له بالتشيت .

(١) كذا في مرآة الجنان ٤٠٣/٣ ، وفي النسختين : شمس الدين .

(٢) كذا في ب ، وفي الأصل : القرظي ، وفي مرآة الجنان ٤٠٣/٣ : القرظي .

(٣) في ب : المستقصى ، وفي مرآة الجنان : المستصفي .

وفيها توفي القاضي ابن القاضي طاهر بن يحيى العمراني النجيب ابن النجيب،
قضى في أيام شمس الدولة^(١) بن أيوب ، وكان مخالفاً لعقيدة أبيه كما سبق ، وتوفي
في سَهْفَنَة يوم الجمعة منتصف ذي الحجة .

وفيها توفي أبو طاهر السلفي الحافظ ، مسند الدنيا غير مدافع أحمد بن
محمد بن أحمد بن محمد الأصهباني^(٢) ، أدرك الرجال ، وحدث بأصبهان وهو ابن
سبع عشرة سنة ، وأدرك ابن الخطاب^(٣) وابن البَطْرِ بِنِغداد ، وعمل معجماً لشيوخ
بغداد ، ثم حج وسمع بالحرمين والمصرين وهمذان وأذربيجان والري ودينور
وغيرها ، واشتغل في الفقه على الكيا ، ثم استوطن بضعاً وستين سنة ، وقصده
الناس من الآفاق ، وبنى له العادل وزير الظافر العبيدي مدرسة بالإسكندرية ،
وفوضها إليه . وما وجد بخطه من قصيدة لمحمد بن عبد الجبار الأندلسي :

لولا اشتغالي بالأمير ومدحه لأطلت في ذاك الغزال تغزلي
لكن أوصاف الجلال غلبني فتركت أوصاف الجمال بمغزل

توفي بالإسكندرية يوم الجمعة وقد جاوز المائة رحمه الله تعالى .

وفيها السلطان توران شاه شمس الدولة بن أيوب بن شاذي ، كان أسن
من أخيه الملك صلاح الدين ، وكان يحترمه ويتأدب معه ، أرسله إلى النوبة ، فسبى
وغنم ، ثم إلى اليمن فافتتحها كلها وأباد بني مهدي ، وأعطى جزيل العطايا ، وكانت
إقامته باليمن ثلاث سنين ، ثم اشتاق إلى طيب الشام وفضارتها ، فرحل إليها ،
واستخلف على اليمن نواباً ، وكانوا يحملون خراجها إليه إلى الشام . فلما مات
أرسل صلاح الدين أخاهما طغتكين وهو سيف الإسلام .

(١) كذا في ب ومرآة الجنان ٤٠٣/٣ ، وفي الأصل : شمس الدين .

(٢) ورد في مرآة الجنان ٤٠٣/٣ : أن السلفي غير أحمد بن محمد الأصهباني
وأنهما رجلان لا رجل واحد .

(٣) في مرآة الجنان ٤٠٣/٣ : أبا الخطاب .

وأقام شمس الدولة بدمشق ، ثم تحول إلى مصر ، ودفن بالإسكندرية ،
فنقل إلى دمشق ، ودفنته أخته ست الشام بمدرستها بظاهر دمشق ، ودفنت هي
معه وولدها •

وكان توران شاه متحكماً لأخيه صلاح الدين إلى أن مات ، ومات وديونه
مائتا ألف قضاها عنه أخوه • وحكى الشيخ أبو طالب نزيل مصر قال : رأيت في النوم
شمس الدولة في قبره ، فمدحته بأبيات ، فلف كفته ورماه لي ، وأنشدني :

لا تستقلنّ معروفاً سمحت به ميتاً فأمسيت منه عارياً بدني
ولا تظنن جودي شانه بخل من بعد بذلي ملك الشام واليمن
إني خرجت من الدنيا وليس معي من كل ما ملكت كفي سوى كفي

ومعنى ثوران شاه : ملك المشرق •

وقدم مع سيف الإسلام في هذه السنة إلى اليمن القاضي الفاضل أثير الدين
قاضي قضاة المسلمين ، وسمع عليه الشهاب جماعة حفيظة ، قال ابن سمرة : وكنت
منهم ، ثم غضب عليه سيف الإسلام وفتاه إلى بغداد ، فحجج إلى مكة ، وكتب إليه
رسالة ، فيها :

وما أنا إلا المسك ضاع وعندكم يضيع وعند الأكرمين أضوع

وفيها صاحب الموصل غازي بن زنكي ، وكان خيراً صالحاً ، يجب العلم
وأهله •

وفيها الشيخ الإمام رضي الدين الشافعي [الموصلبي] ^(١) يونس بن محمد ،
والد الشيخين عماد الدين أبي حامد ، وكمال الدين أبي الفتح موسى ، وكان أصله
من إربل ، ثم انحدر إلى بغداد ، وتفقّه بها ، ثم أصدع إلى الموصل وصادف بها قبولاً
تاماً ، وقصده الطلاب من النواحي ، وظهر على يديه نجابة ولديه ، وكانوا أهل بيت
علم ، خرج منهم جماعة فضلاء نجباء ، وارتفع صيتهم بالعلم •

وفيها الشيخ الكبير ذو الجاه الواسع المعروف بمدافع رضي الله عنه •

(١) زيادة من ب .

سنة سبع وسبعين وخمسمائة

توفي الملك الصالح إسماعيل أبو الفتح ابن السلطان نور الدين محمود بن زنكي ، مات أبوه بعد أن ختنه بدمشق ، وكان يوم ختانه يوماً عظيماً معظماً . وأوصى له بالسلطنة فلم يتم له ذلك ، وبقيت له حلب ، وكان شاباً عاقلاً صالحاً ، أحبه أهل حلب إلى الغاية بحيث أنهم قاتلوا صلاح الدين قتال الموت لما جاء ليملكها ، ولما مات أقاموا عليه المآتم أياماً ، وفرشوا الرماد في الطريق ، وعمره تسع عشرة سنة ، وأوصى بحلب لابن عمه مسعود بن مودود .

وفيها أبو البركات الأنباري ، العبد الصالح ، عبد الرحمن بن محمد الأنباري ، كان من المشهورين بعلم الأدب ، وتقفه بمذهب الشافعي ، وأنجب من اشتغل عليه . صنف كتاب (أسرار العربية) وهو سهل المأخذ كثير الفائدة ، وكتاب (الميزان) في النحو أيضاً ، وكتاب (طبقات الأدباء) [جمع فيه بين ^(١) المتقدمين والمتأخرين مع صغر حجمه ، ثم انقطع في آخر عمره في بيته ، واشتغل بالعلم والعبادة ، وترك الدنيا ومجالسة أهلها ، وكان لا يبرح بيته مع خشونة الملابس والفراش ، ولا يخرج إلا يوم الجمعة ، وحمل إليه المستضيء خمسمائة دينار ، فردها ، فقال : اتركها لولدك ، فقال : إن كنت خلقته فأنا أرزقه . وزادت مصنفاته على الخمسين ، ومات وله نحو أربع وستين سنة ، ودفن في تربة الشيخ أبي إسحق الشيرازي . والأنبار : قرية قديمة على التفرات ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ .

وفيها أبو بكر البوصيري ^(٢) ، وهو هبة الله بن علي الأنصاري الخزرجي المصري ، كان أديباً له سماعات عالية انفرد بها ، وكان طبقة وحده ، قاله الذهبي .

(١) زيادة من مرآة الجنان ٤٠٨/٣ .

(٢) كذا في ب ومرآة الجنان ٤٠٩/٣ ، وفيها وردت ترجمة البوصيري في السنة التالية : سنة ثمان وسبعين وخمسمائة . وفي الأصل : النواصيري ، وهو خطأ .

وفيها أحمد بن الرفاعي ، الزاهد القدوة ، أبو العباس أحمد بن علي ، كان أبوه قد نزل بالبطائح من العراق بقرية أم عبيدة ، وتزوج بأخت الشيخ منصور الزاهد ، فولدت الشيخ أحمد سنة خمس مائة ، وتفقه قليلا في مذهب الشافعي ، وكان إليه المنتهى في التواضع والقناعة ولين الكلمة والذل والانكسار والإزاء على نفسه وسلامة الباطن، ولكن أصحابه فيهم الجيد والرديء ، وتجددت لهم أحوال شيطانية : من دخول النيران ، والركوب على السباع ، واللعب بالحيات . وهذا ما عرفه الشيخ ولا صلحاء أصحابه ، فنعوذ بالله من الشيطان . وذكره ابن خلكان بالثناء الحسن ، ثم قال : والبطائحية من الفقراء منسوبون إليه ، ولهم أحوال عجبية في الحيات ، والنزول في التناير وهي تضطرم بالنار ، وركوب الأسود ، ومثل هذا وأشباهه ، ولهم مواسم يجتمع عندهم من الفقراء عالم لا يحصون ، ويقومون بكفاية الجميع ، وأمورهم مشهورة ؛ فلا حاجة إلى التطويل . وإنما ذكر الياضي رحمه الله الترجمتين بكاملهما معجبا للناظر من سوء اعتقاد الذهبي ، ومن حسن اعتقاد ابن خلكان في الفقراء ، ثم هو ذكر الثناء الجميل الممتد اللائق بقدر مسندي أحمد (١) .

قال ابن خلكان : وكان للشيخ أحمد بن علي شغل بالعبادة ، وشعر جيد ، فمنه :

إذا جنّ لي لي لي هام قلبي بذكر كم	أنوح كما نوح الحمام المطوق
وفوقي سحاب يمطر الهم والأسى	وتحني بحار للهوى تتدفق
سلو أم عمرو كيف حال أسيرها	تفك الأسارى دونه وهو موثق
فلا هو مقتول ففي القتل راحة	ولا هو ممنون عليه فيطلق

توفي في عشر السبعين (٢) . وهو منسوب إلى رجل من العرب اسمه رفاعة . قال ابن خلكان : كذا نقلته من خط بعض أهل بيته . وأم عبيدة : في العراق . وذكر غير ابن خلكان أن الأبيات المذكورة سمعها الشيخ أحمد من قوال فكافت سبب موته !!

وقد صنف ابن عبد المحسن في مناقبه وكراماته مصنفاً ذكر فيه كثيراً .

(١) كذا في ب ، وفي الأصل : بقدر مسند الشيخ أحمد .

(٢) في ب : في عشر التسعين .

وفيها حافظ الأندلس ومحدثها ومؤرخها أبو القاسم بن بشكوال خلف بن عبد الملك الخزرجي الأنصاري [القرطبي] (١) . له التصانيف المفيدة ، منها : كتاب (الصلة) ، وكتاب (الغوامض والمهمات) ، وجزء ذكر فيه من روى الموطأ عن مالك ، رتبهم على حروف المعجم ، فبلغوا ثلاثة وسبعين رجلاً ، وكتاب (المستعين بالله عند المهمات والحاجات وما يسر الله من الإجابات) ، وله غير ذلك .

وفيها الإمام العلامة مسعود بن محمد النيسابوري ، تفقه على محمد بن يحيى صاحب الغزالي ، وغيره . ودرس ببغداد ودمشق وحلب ، واطتت إليه رئاسة مذهب الشافعي بدمشق ، وكان حسن الأخلاق ، قليل التصنع ، عالماً صالحاً ورعاً . صنف (الهادي) في الفقه ، اقتصر فيه على ما عليه الفتوى .

سنة تسع وسبعين وخمسمائة

توفي بوري بن أيوب أخو صلاح الدين الأصغر ، أصابته طعنة في حصار أخيه بحلب ، ثم حصل الصلح ، وعمل صلاح الدين ضيافة ، وجلسوا يأكلون هو وعماد الدين صاحب حلب ، والناس في سرور ودعة ، فجاءه الحاجب وأخبره بموت أخيه ، فلم يتغير حاله ، وأمر بتجهيزه سراً ، وكان يقول : ما أخذت حلب رخيصة بقتل تاج الملوك بوري .

وفيها قاضي زيد الإمام الفاضل البارع علي بن الحسين السيّري — بفتح السين والراء المهملتين (٢) — توفي بمخلاف الساعد قافلاً من مكة ، وكان ممن أجمع على فضله الموافق والمخالف . يقال : إنه أجاب عن ألف مسألة امتحن بها أهل زيد علي يد القاضي ابن النجار (٣) ، وفضائله يتعجب منها .

(١) زيادة من ب . (٢) في مرآة الجنان ٣/٤١٥ : وكسر الراء .

(٣) في ب : ابن النجاري . وفي مرآة الجنان : ابن النجاب .

وفيها توفيت الشيخة الفاضلة تقيّة بنت غيث بن علي السلمي السوري •
 أثنى عليها الحافظ السلفي وغيره ، وكان لها شعر جيد ، مدحت المظفر ابن أخي صلاح
 الدين بقصيدة خمرية أغربت في وصفها ووصف مجلسها ، فقال : ربما أنها تعرف
 هذه الأحوال من صباها ، فبلغها ذلك ؛ فنظمت أخرى حربية أغربت فيها ، ثم سيرت
 بها إليه تقول : علمي بتلك كعلمي بهذه •

وعثرت مرة فأنجرحت ، فشقت وليدة في الدار خرقة من خمارها وعصبت به
 الجرح للفور ، فقالت :

لو وجدت السبيل جدت بخدي عوضاً عن خمار تلك الوليدة
 كيف لي أن أقبل اليوم رجلاً سلكت دهرها الطريق الحميدة

وفيها أبو عبد الله محمد المعروف بالأبله البغدادي ، أحد الشعراء المتأخرين
 المدونين ، ديوانه متداول بالأيدي ، جمع فيه بين الفصاحة والصناعة والرقّة ، ومنه :
 دعني أكابد لوعتي وأعاني أين الطليق من الأسير العاني

سنة ثمانين وخمسمائة

حاصر صلاح الدين الكرك ، ونصب عليها المنجنيق ، فجاءت الفرنج لتتقدها ،
 فأوقع بهم ، وتركها ، وأخذ كحلان ، وولى فيه الشريف مهدي الجوالي •

وفيها توفي السلطان أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن القيسي^(١) صاحب
 المغرب ، وكان كامل الخصال ، قوي المشاركة في الحديث والقرآن وغير ذلك ، قيل :
 وكان يحفظ أحد الصحيحين لكن ميله إلى الحكمة والفلسفة أكثر • والدنانير
 اليوسفية منسوبة إليه • ولما قوي ملكه دخل جزيرة الأندلس واسترجع بلاد المسلمين
 من أيدي الفرنج ، واتسعت مملكته بالأندلس ، وتهايا له من الفتح ما لم يتهايا لأبيه •

(١) كذا في ب ومرآة الجنان ٤١٧/٣ ، وفي الاصل : يوسف بن عبد الله العبيسي ،

وهو خطأ .

وهادن ملك صقلية على جزيرة يحملها كل عام ، وكان يملئ أحاديث الجهاد على
الموحدين بنفسه • وآخر الأمر أنه توغل في بلد الفرنج ، وانفرد في قلعة ، فاغتنم
الفرنج الفرصة ، فحملوا وأحاطوا بالمخيم ، وقتل على بابه جماعة ، ثم خلصوا إليه ،
فقتل بطعنة مات منها بعد أيام ، وبويغ ولده •

سنة إحدى وثمانين وخمسمائة

حاصر صلاح الدين الموصل ، وسارت إليه ابنة نور الدين زوجة عز الدين
صاحب البلد ، فلم يلتفت إليها ، فحشد أهل الموصل وقتلوا شديداً ، فترحل ، وندم
على ردها خائبة • ثم نزل على ميفارقين فأخذها بالأمان ، ثم رجع إلى الموصل
فحاصرها أيضاً ، فوقع الصلح على أن يتحكموا له ويكون له شهرزور وحصونها •
وفيها البهلول محمد شمس الدين صاحب أذربيجان وعراق العجم ، وكان
له خمسة آلاف مملوك •

وفيها الشيخ الولي الشهير حيوة بن قيس الحراني ، أحد الأربعة الذين قال
فيهم أبو عبد الله القرشي : رأيت أربعة مشايخ يتصرفون في قبورهم كحياتهم : الشيخ
عبد القادر الجيلاني ، والشيخ عقيل المنبجي ، والشيخ حيوة بن قيس الحراني ،
والشيخ معروف الكرخي ، رضي الله عنهم ونفعنا بهم •

وتخرج بالشيخ حيوة كثير من المريدين وأنجبوا • وله من الكرامات والأحوال
ما يذهل العقول ، منها ما حكى الشيخ الصالح غانم بن يعلى قال : انكسرت بنا
سفينة في بحر الهند ، فنجوت إلى جزيرة ، فوجدت فيها مسجداً فيه أربعة نفر
متوجهون إلى الله ، فلما كان وقت العشاء دخل الشيخ حيوة الحراني ، فبادروا
للسلام ، فتقدم وصلى بهم ، ثم صلوا إلى الفجر ، وسمعت في مناجاته يقول : لا أجد
لي في سواك مطعماً ، ولا إلى غيرك منتجعاً ، يا حبيب التائبين ، يا سرور العارفين ،
يا قرة عين العابدين ، يا أنس المنفردين ، يا حرز اللاجئين ، يا ظهير المتقطعين ،

ويا من حُب إليه قلوب الصديقين ، وأنست به أفئدة المحبين ، وعكفت عليه همة الخائفين • ثم بكى ، ورأيت الأنوار قد حفت بهم ، ثم خرج من المسجد وهو يقول :

سير المحب إلى المحبوب زلالٌ
أطوي المهامه من قعر على قدمٍ
والقلب فيه من الأهوال بلبالٍ
إليك يرفعي سهلٌ وأجالٌ

فقالوا لي : اتبع الشيخ ، فاتبعته ، وكانت الأرض تطوى لنا ، فوافينا حران وهم يصلون الصبح في أسرع وقت •

سكن حران إلى أن توفي رحمه الله تعالى •

وفيها الفقيه الفاضل محمد بن زكريا المدرس بالشوشوَيْرَى ، توفي وخلف ولداً اسمه إبراهيم ، فضل على أبيه ، وكان يختم القرآن في كل ليلة من رمضان •

وفيها المهذب ابن الدهان عبد الله بن سعد بن علي الموصلي الفقيه الشافعي ذو الفنون ، درس بجمص وتوفي بها •

وفيها الحافظ عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الإشبيلي ، [المعروف بابن الخراط] ^(١) ، مؤلف (الأحكام الكبرى) و (الصغرى) و (الجمع بين الصحيحين) وكتاب (الغريين) وكتاب (الجمع بين الكتب الستة) • وكان متعففاً موصوفاً بالصلاح والزهد والورع ولزوم السنة ، نزل بجاية ، وتولى خطابتها ، وتوفي بعد أن لحقته محنة من دولتها •

وفيها الإمام السهيلي ، وهو أبو زيد عبد الرحمن بن الخطيب عبد الله بن الخطيب أحمد الخثعمي ^(٢) الملقب ، صاحب كتاب (الروض الأتق) في شرح سيرة ابن هشام ، و (الإعلام بما أبهم القرآن من الأسماء الأعلام) ، وكتاب (نتائج النظر) ، و (مسألة رؤية الله عز وجل في المنام ورؤية النبي ﷺ) ، و (مسألة السر في عور

(١) زيادة من مرآة الجنان ٤٢٢/٣ •

(٢) كذا ورد نسبه في مرآة الجنان ٤٢٢/٣ ، وفي النسختين : عبد الرحمن بن الخطيب بن عبد الله بن الخطيب الخثعمي •

الذجال) ، ومسائل كثيرة • وله أبيات الفرج المشهورة • قال ابن دحية : أنشدنيها وقال : إنه ما سأل الله بها حاجة إلا أعطاه إياها ، وهي :

يا مَنْ يرى ما في الضمير ويسمع	أنت المُعَدُّ لكل ما يتوقَّع
يا من يَرَجَى للشدائد كلها	يا من إليه المشتكى والمفزع
يا من خزائن رزقه في قول كن°	أمنن فإن الخير عندك أجمع
ما لي سوى قرعي لبابك حيلة°	فلئن رددت فأني باب أقرع
من ذا الذي أدعوا وأهتف باسمه	إن كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لمجدك أن تَقْتَنَطَ عاصياً	الفضل أجزل والمواهب أوسع

قال الياضي ، قوله : (أجمع) يحتاج إلى تأويل في إعرابه وإلا لزم أن يكون من الإقواء المعيب •

وله أشعار كثيرة نافعة ، أخذ القراءات عن جماعة ، وروى عن أبي بكر بن العربي والكبار ، وكان مشهوراً بالصلاح والورع والعفاف والقناعة والكفاف ، وأقام ببلده إلى أن نمي خبره إلى مراکش ، فطلبه واليها وأحسن إليه وأقبل عليه ، وأقام بها نحو ثلاثة أعوام ، ومات رحمه الله • وهو منسوب إلى السهيل : قرية بالقرب من مالقة بالأندلس •

وفيها عبد الصمد بن الحسين الكلاهيني • وكلاهين بليدة بنواحي زنجان • انقطع إلى العبادة بعد معرفة الفقه والحديث ، وكان للناس عليه إقبال ، ولقب بالبديع •

سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة

قال العماد : أجمع المنجمون في جميع البلاد على خراب العالم في شعبان منها عند اجتماع الكواكب الستة في الميزان بطوفان الريح كريح عاد ، وشرع الروم والأعاجم في حفر مغارات ، ونقلوا إليها ما يحتاج ، وتهيؤوا ، فلما كانت الليلة المعينة لم ير ليلة أحسن منها ولا أركد ريباً منها •

وفيها أقامت الرافضة المأتم يوم عاشوراء ببغداد ، وكان قد مات شعارهم ، وهاج أهل الكرخ يصيحون بسب الصحابة ، ويقولون : ما بقي كتمان • وفرشوا الرماد في أسواق بغداد ، ونسب ذلك إلى الصاحب مجد الدين ، وقتل بينهم وبين أهل السنة خلق واسع •

سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة

الفقيه الفاضل المصنف حسن بن أبي بكر الشيباني ، سكن الجوهة من بلاد اليمن بساحل حبش • تفقه على ابن عبدويه وعبد الله الهروي والطويري لزم مجلسه تسع سنين ، ورحل إلى عدن رحلتين بينهما أربعون سنة ، وعرض عليه قضاء زيد فامتنع وأشار بالقاضي عبد الله بن أبي عقامة الثعلبي ، وبنو عقامة بيت علم كثير ، وبه انتشر مذهب الشافعي في تهامة ، منهم أبو الفتوح ، له مصنفات منها كتاب (التحقيق) وكتاب (الخبايا) • أخذ الفقه عن أبي الغنائم ، وهو عن أبي حامد الإسفرائيني • ومنهم محمد بن علي بن أبي عقامة ، ولي قضاء زيد عن الحبشة وكان معظماً عندهم • ومنهم [الحسن بن محمد بن أبي عقامة]^(١) الخطيب ، قيل : كان ينظم الخطبة على المنبر ، وتنسب إليه (الخطب العقامية) • ومنهم عبد الله بن محمد بن عبد الله قاضي زيد من جهة الأثير^(٢) ، وله معرفة بالحديث والتفسير ، قال ابن سمره : وهو آخرهم في زماننا •

قال الياضي : وفقهاء اليمن ينشدون أحياناً ينسبونها إلى ابن أبي عقامة يمدح فيها نفسه بمعرفة عشرين علماً • قال الفقيه حسين : قلت : هو القاضي الحسن^(٣) صاحب (جواهر الأخبار) ، وأبياته خمسة وعشرون بيتاً ، والله أعلم •

(١) زيادة من ب. ومراة الجنان ٣/٤٢٥ .

(٢) في مراة الجنان : الأمير . (٣) في ب : الحسين .

وفيها ابن المقدم محمد بن عبد الملك^(١) ، كان من أمراء الدولتين وأعيانهم ، وعلاصيته ، وحج ، فلما نزل عرفات أمر برفع علم السلطان صلاح الدين بن أيوب ، وضربت الكوسات^(٢) ، فأنكر عليه أهل الركب العراقي ، والتقوا ، فأصاب ابن المقدم سهم في عينه ، فمات في غده بنسى .

وفيها مات مجد الدين الصاحب للناصر العباسي ، وهو الذي أحميا شعار الإمامية الراضية ببغداد ، فقتل وأخذت حواصله .

سنة أربع وثمانين وخمسمائة

توفي أسامة بن مرشد^(٣) الأمير أبو المظفر الكتاني الشيزري ، أحد الأبطال الشعراء ، وله عدة تصانيف في الأدب والأخبار ، وله ديوان شعر ، ومن شعره :

لا تستعن أحداً على هجرانهم فقواك تضعف عن صدود دائم
واعلم بأنك إن رجعت إليهم طوعاً وإلا عدت عودة راغم

وفيها التاج المسعودي محمد بن عبد الرحمن الخراساني الصوفي الرحال الأديب ، كتب وسعى ، وجمع فأوعى ، وشرح (مقامات الحريري) بخمسة مجلدات ، ولم يبلغ أحد ممن شرحها قبله مثل نصفه . وكان مقيماً بدمشق ، وكان معلم الملك الأفضل عند السلطان صلاح الدين [وحصل بطريقه كتباً نفيسة غريبة]^(٤) ، وكان فاضلاً في كل فن ، توفي عن اثنتين وثمانين سنة .

وفيها الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن موسى الحازمي ، نسبة إلى جده حازم الهداني ، الملقب زين الدين ، أحد الحفاظ المتقنين ، وعباد الله الصالحين ،

(١) كذا في ب ومرآة الجنان ٤/٤٢٦ ، وفي الأصل : عبد الله .

(٢) كذا في ب ومرآة الجنان ٤/٤٢٦ ، وفي الأصل : الكوبات .

(٣) كذا في النسختين ومرآة الجنان ٣/٤٢٧ ، ولعله أسامة بن منقذ المشهور .

(٤) زيادة من ب ومرآة الجنان ٣/٤٢٨ .

رحل وتنقل في العلوم ، وغلب عليه الحديث ، وعرف به . سمع من أبي الوقت وأبي زرعة ومعر بن الفاخر . وصنف (الناسخ والمنسوخ) في الحديث ، ولم يصنف في فنه مثله ، وكتاب (سلسلة الذهب) فيما روى الإمام أحمد عن الشافعي ، وكتاب [الفصل في مشتبه السنة]^(١) وغيرها من التصانيف النافعة ، واستوطن بغداد ، ولازم الاشتغال والتعبد إلى أن مات ، ودفن في الشونيزية مقابل الجنيد . وكان قد فرق كتبه على أصحاب الحديث .

سنة خمس وثمانين وخسمائة

جرى لصالح الدين مع الفرنج وقعات عظيمة ، وامتدت فنتتهم نحو عشرين شهراً ، قيل : بلغ عدد الفرنج ستمائة ألف ، وكافح صلاح الدين الحروب بنفسه ، وكان شجاعاً مفرطاً .

وفيها قاضي القضاة ابن أبي عسرون^(٢) الشافعي ، صاحب التصانيف المفيدة العديدة ، وهو عبد الله بن محمد التميمي ثم الموصل ، أحد الأعلام ، تفقه أولاً بالموصل ثم رحل إلى بغداد وواسط ، ثم رجع إلى الموصل بعلم واسع ، فدرس وأفتى ، وولي قضاء دمشق لصالح الدين ، وله مصنفات كثيرة .

وفيها المبارك ابن المبارك ، شيخ الشافعية في وقته ببغداد ، ومؤدب أولاد الناصر الخليفة ، وكان صاحب نسك ودين وورع وحديث ، وجوّد الكتابة حتى قيل : إنه أكتب من ابن البواب .

وفيها الخطيب القاضي المدرس ، صاحب الطريقة في الخلاف ، أبو طالب محمود بن علي التميمي الأصبهاني ، تفقه على الشهيد محمد بن يحيى تلميذ الغزالي ، وصنف في الخلاف (التعليقة) الشاهدة بفضله ، جمع فيها بين الفقه والتحقيق ، واتفق به خلق وصاروا علماء .

(١) كذا في مرآة الجنان ٣/٤٢٩ ، وفي الاصل : المشتبه .

(٢) في مرآة الجنان ٣/٤٣٠ : ابن عسرون .

وفيها البحراني الشاعر المشهور ، تفنن في الأدب ، واشتهر بكتب الأوائل ، وحل كتاب إقليدس ، وهو منسوب إلى البحرين بليدة بقرب هجر تسمى البحرين ؛ لأن في ناحية قراها بحيرة على باب الإحساء قدرها ثلاثة أميال . وكرهوا أن يقولوا : البحري فتشبه النسبة إلى البحر .

سنة ست وثمانين وخمسمائة

قاضي القضاة أبو حامد محمد بن قاضي القضاة الشهرزوري الشافعي ، له فضائل كثيرة ، ومكارم شهيرة ، وشعر جيد ، منه قوله في وصف جرادة :
لها فخذاً بكرٍ وساقاً نعامةٍ وقادمتا نسر وجؤجؤ ضيغم
حبتها أفاعي الرمل بطناً وأنعمت عليها جياذ الخيل بالرأس والفم

وفيها نجم الدين^(١) محمد بن الموفق الصوفي الزاهد الفقيه الشافعي ، تفقه على الشهيد محمد بن يحيى تلميذ الغزالي ، وكان يستحضر كتابه (المحيط في شرح الوسيط) ، وصنف عليه كتاباً سماه (تحقيق المحيط) في ستة عشر مجلداً^(٢) . وكان صلاح الدين يعتقدده ، وعمر له مدرسة الشافعي ، فعمد إلى قبر ابن الكيزاني ، وهو من غلاة أهل السنة فنشبهه من عند الشافعي وقال : لا يكون صديق وزنديق في موضع واحد ، فثارت عليه حنابلة مصر ، ووقعت فتنة بسبب ذلك . ودفن نجم الدين تحت رجلي الشافعي بينهما شباك . وكان يوصف بسلامة الباطن وقلة المعرفة بأحوال أهل الدنيا . وهنا استدرك اليافعي على الذهبي حيث قال في حقه : من غلاة أهل السنة ، وقال : هو يسمي الظاهرية أهل السنة ، وتوهم أن مذهبه كذلك ، والله أعلم .

(١) وردت ترجمته وترجمة من يليه في مرآة الجنان في السنة التالية : سنة سبع وثمانين وخمسمائة .

(٢) كذا في ب ومرآة الجنان ٤٣٣/٣ ، وفي الأصل : في سبعين مجلداً .

وفيها الحكيم شهاب الدين يحيى بن حبش الشهرزوري^(١) المقتول بحلب ، كان فقيهاً شافعيّاً بارعاً في الحكمة والفلسفة والأصولين ، وكان مفرط الذكاء محجّاجاً متزهداً ، وله تصانيف عديدة (كالتلويحات) و (الهياكل) و (الرسالة الغريبة) وغير ذلك . وكان يتهم بالتعطيل ومذاهب ردية ، أفتى العلماء بإباحة دمه . قال الأمدي : اجتمعت به فرأيتَه كثير العلم قليل العقل ، وهو ممن قيل : علمه أكثر من عقله . قتل في دولة الملك الظاهر بن صلاح الدين ، حبسه ، ثم خنقه بإشارة والده وعمره ست وثلاثون سنة . وقيل : قتله وصلبه أياماً . وقيل : خيّر في أنواع القتل فاختر القتل بالجوع لاعتياده الرياضات ، فمنع من الطعام حتى تلف . قال ابن شداد : قمت بحلب فرأيت أهلها مختلفين فيه ، منهم من يصدقه ، ومنهم من يزندقه .

سنة سبع وثمانين وخمسمائة^(٢)

توفي صاحب مكة داود بن عيسى بن فليته العلوي الحسيني .
وصاحب الموصل مسعود بن مودود بن زنكي ، وكان من الصالحين ، بقي عند موته عشرة أيام لا يتكلم إلا بالشهادتين والتلاوة .

وفيها أول ملوك بني أيوب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي ، صاحب مصر والشام والعراق واليمن . وسيطة العقد ، قيل : إنهم من الأكراد ، وكان أبوه أيوب بن شاذي أمير السلاجقة على تكريت ، فغضب عليه مخدموه ، فأخرجه منها ، فوصل إلى زنكي صاحب الموصل ، فأحسن إليه ، وأقام عنده حتى فتح بعلبك وولاه إياها . ولما مات زنكي بقي صلاح الدين مع أبيه وعمه أسد الدين في خدمة ابنه العادل نور الدين بن زنكي حتى جاء شاور السعدي من بني سعد بن بكر وزير العاضد العبيدي صاحب مصر مستنجداً لنور الدين حين حط عليهم

(١) في مرآة الجنان ٤٣٤/٣ : السهروردي .

(٢) في مرآة الجنان ٤٣٨/٣ : سنة تسع وثمانين وخمسمائة .

الفرنج ، فبعث معه أسد الدين وابن أخيه صلاح الدين ، فارتفع الفرنج ، ودخلوا مصر ، وأقاموا بها حيناً . وقتلوا (١) شاور لخيانة ظهرت منه في جانبهما ، وبقيتا متحكمتين للعاضد إلا أنهما على مذهب أهل السنة . ولما مات أسد الدين أقام صلاح بعده مدة وخلع العاضد وخطب للخليفة ببغداد ، ولم تمتد حياة العاضد بعد هذا . قيل : مات مبطوناً غيظاً ، وبقي صلاح الدين متحكماً لمخدومه العادل ظاهراً حتى مات واستقل بمملكته وغيرها ، وتهاى له من اتساع الملك والفتوح في بلد الكفر ما لا يتهاى ملك قبله مع الدين والعبادة واستفراغ الوسع في الجهاد والشجاعة . ولما تقررت أموره بمصر أرسل إلى العادل ليرسل إليه أباه وأخوته ليتم له السرور وتكون قصته مشاكلة لقصة يوسف عليه السلام ، فأرسل أباه ومنعه إخوته وقال : أخشى أن يختلفوا عليك ، فوصلوا إليه على التدرج . وهمّ بخلع طاعة العادل ، فتنبه أباه ومنعه ، وقد سبق ذلك .



وهنا ذكر صاحب الأصل انتهاء دولة العبيديين [وعددهم وعدد العباسيين والأمويين والخلفاء الراشدين وكان ابتداء دولة العبيديين] (٢) أهل المذهب الرديء المتسبين إلى أهل البيت وليسوا منهم بإفريقية المغرب سنة تسع وتسعين ومائتين ، ومدتهم مائتا سنة وست وستون سنة ، ومقامهم بمصر مائتا سنة وثمانين سنين ، وجملة ملوكهم أربعة عشر : أولهم المهدي ، ثم القاهر ، ثم المنصور ، ثم المعز ، ثم العزيز ، ثم الحاكم ، وهو الذي ملك الشام والحجاز مع المغرب ، ثم الظاهر ، ثم المستنصر ، ثم المستعلي ، ثم الأمر ، ثم الحافظ ، ثم الظافر ، ثم الفائز ، ثم العاضد . وجملة العباسيين سبعة وثلاثون : السفاح ، ثم أخوه المنصور ، ثم ابنه المهدي ، ثم ابنه الهادي ، ثم الرشيد ، ثم ابناه : الأمين ، والمأمون ، ثم أخوهم المعتصم ، ثم

(١) الذي قتل شاور هو أسد الدين وصلاح الدين .

(٢) زيادة من ب .

الواثق بن المعتصم ، ثم أخوه المتوكل ، ثم المنتصر^(١) بن المتوكل ، ثم المستعين بن المعتصم ، ثم المعتز بن المتوكل ، ثم المهدي بن الواثق ، ثم المعتمد بن المتوكل ، ثم المعتضد أحمد بن الموفق طلحة بن المتوكل ، ثم المكتفي علي بن المعتضد ، ثم المقندر جعفر بن المعتضد ، ثم القاهر محمد بن أحمد المعتضد ، ثم الرازي أحمد بن المقندر ، ثم المكتفي بن المقندر ، ثم المتقي إبراهيم بن المقندر ، ثم المكتفي بن المقندر ، ثم المطيع بن المقندر ، ثم الطائع بن المطيع ، ثم القادر بن المقندر ، ثم القائم ابن القادر ، ثم المقتدي بن القائم ، ثم المستظهر بن المقتدي ، ثم المسترشد بن المستظهر ، ثم الراشد بن المسترشد ، ثم المكتفي بن المستظهر ، ثم المستجد بن المكتفي ، ثم المستضيء بن المستجد ، ثم الناصر بن المستضيء ، ثم الظاهر بن الناصر ، ثم المستنصر بن الظاهر ، ثم المستعصم بن المستنصر . ومدتهم خمسمائة عام^(٢) .

وبنو أمية أربعة عشر^(٣) : معاوية ، ثم ابنه يزيد ، ثم معاوية بن يزيد ، ثم مروان بن الحكم ، ثم ابنه عبد الملك ، ثم الوليد بن عبد الملك ، ثم سليمان بن عبد الملك ، ثم عمر بن عبد العزيز ، ثم يزيد بن عبد الملك ، ثم هشام بن عبد الملك ، ثم الوليد بن يزيد ، ثم يزيد بن الوليد ، ثم إبراهيم بن الوليد ، ثم مروان بن محمد الجعدي ، وهو آخرهم . ومدتهم إحدى وتسعون سنة ؛ بعضها لبني حرب ، وبعضها لبني مروان .

وذكر الخلفاء الراشدين المشار إليهم بقوله ﷺ : «خلافة النبوة ثلاثون سنة» . وهم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب والحسن بن علي رضي الله عنهم أجمعين .

* * *

(١) كذا في ب وتاريخ الطبري ١٦٢/٩ ، وفي الأصل ومرآة الجنان ٤٤٧/٣ : المستنصر ، وهو خطأ .

(٢) ورد اختلاف بين النسختين في الأسماء وترتيبها ، ونقص من الأصل ، وقد جرى تصويب ذلك من مرآة الجنان ٤٤٦/٣ - ٤٤٧ .

(٣) كذا في ب ، وفي الأصل ومرآة الجنان ٤٤٧/٣ : ثلاثة عشر ، وذلك بإسقاط إبراهيم بن الوليد من الخلفاء الأمويين .

رجعنا إلى أخبار صلاح الدين بن أيوب ، وذلك أنه لما تقررت له قواعد الملك وقرت عينه باجتماع أبيه وإخوته وأولادهم ، وارتفعت عنه ربة التحكم بموت العادل ، أقبل على البلاد ففتحها شيئاً فشيئاً ، ولما فرغ منها غزا بلاد الفرنج ، وأعاته ملوك عصره ، وبذل المال ، واستنقذ القدس من أيدي الفرنج ، وكانوا قد استولوا عليه في سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة^(١) ، وكان فتحه فتحاً عظيماً شهدته العلماء والصلحاء من الآفاق ، وكثر الضجيج والتضرع إلى الله سبحانه ، وكان قاعدة الصلح أن الفرنج قطعوا على أنفسهم على الرجل عشرين ديناراً ، وعلى المرأة خمسة دنانير ، [وعن كل صغير ذكراً أو أنثى ديناراً واحداً ، فمن أحضر قطيعته نجا بنفسه ، وإلا أخذ أسيراً]^(٢) ، ثم توغل في بلادهم مع الجند والعزيمة والتغريب بنفسه في المكاره . وكان موته بدمشق سنة تسع وثمانين وخمسائة ، ودفن بمقابر الشهداء بالباب الصغير ، وكان الناس لم تصبهم مصيبة قبله ، ورتب على قبره خدام ، وكثر الدعاء له . ولم يخلف ذهباً ولا فضة سوى سبعة وأربعين درهماً مصرية .

وكتب القاضي الفاضل حين موته إلى ولده الظاهر بحلب رسالة بديعة ، صدرها بقوله : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) ، (إن زلزلة الساعة شيء عظيم) . ومحاسن صلاح الدين كثيرة ، وكان كاسمه رحمه الله . وقد تقدم في ترجمة العادل عن بعض الأولياء أنه أخبر أن العادل من الأربعة ، وصلاح الدين من الثلاثمائة ، والله أعلم . ومدحه الشعراء بما يطول ذكره ، وقال فيه بعض شعراء المشرق :

الله أكبر جاء القوسَ باريها وراشَ أسهمَ دينِ الله راميتها
وكم لمصر على الأمصار من شرف يوسفين وهل أرض تدانيها
فبا بن يعقوب هزت جيدها طرباً وبابن أيوب هزت عطفهايتها

(١) كذا في ب ، وفي الأصل ومرآة الجنان ٣/٥٥٥ : سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة .

(٢) زيادة من مرآة الجنان ٣/٥٥٦ .

سنة تسعين وخمسمائة

توفي الإمام المقرئ أبو محمد القاسم^(١) بن فيرثه - بتشديد الراء وضمها - ابن خلف الرعيني الشاطبي ، نسبة إلى شاطبة مدينة بشرق الأندلس . كان رحمه الله ضريب البصر ، علامة ، واسع الحفظ ، ولم يسبق إلى مثل قصيدته في القراءات ، وأيضاً لم يلحق ، وكان ينشد في نعش الموتى :

أتعرف شيئاً في السماء نظيره إذا سار سار الناس حين يسير
فتلقاه مركوباً وتلقاه راكباً وكل أمير يعتليه أسير
يحض على التقوى ويكره قربه وتنفر منه النفس وهو نذير

ورعين جد الشاطبي أحد أقبال اليمن .

وفيها أبو شجاع محمد بن علي ، عرف بابن الدهان ، البغدادي الفرضي الحاسب الأديب ، صنف (غريب الحديث) في ستة عشر مجلداً لطافاً ، ورمز فيه حروفاً لأماكن الكلمات المطلوبة منه ، وكان قلمه أبلغ من لسانه ، وله تاريخ ومعرفة طولى بالنجوم .

وفيها الشيخ الكبير أبو مدين شعيب بن الحسين ، وقيل : ابن الحسن ، المقرئ ، نشر الله ذكره ، وتخرج به جماعة من الفضلاء كأبي عبد الله القرشي ، وعبد الرحيم القنادي ، واتفق إليه كثير من العلماء المحققين وفضلاء الصالحين ، وله في الحقائق كلام واسع . ومن شعره :

يا من علا فرأى ما في الغيوب وما تحت الثرى وظلام الليل منسدل
أنت الغياث لمن ضاقت مذاهبه أنت الدليل لمن حارت به الحيل
إنا قصدناك والآمال واثقة والكل يدعوك ملهوف ومبتهل
فإن عفوت فذو فضل وذو كرم وإن سطوت فأنت الحاكم العدل

(١) كذا في مرآة الجنان ٣/٤٦٧ ، وفي ب : أبو القاسم بن محمد ، وفي الأصل :

القاسم بن محمد .

طلبه سلطان المغرب ، فلما وصل إلى تلمسان قال : مالنا وللسلطان ! نزور الإخوان ، ثم نزل واستقبل القبلة وتشهد وقال : هاقد جئت ، هاقد جئت ، (وعجلت إليك رب لترضى) ، فمات ، ودفن في جبانة العباد وقد قارب الثمانين ، وقبره بها مشهور مزور ، رضي الله عنه ونفعنا به .

وفيها الشيخ جاكير الكردي ، كان صاحب كرامات وأحوال عظام ، ولما شاع ذكره بعث إليه تاج العارفين أبو الوفا طاقيته مع الشيخ علي الهيتي ولم يكلفه الحضور ، وقال : سألت الله أن يكون جاكير من مردي ، فوهبه لي ، وكان يفخر به وينوّه بذكره . ولجاكير كرامات واسعة ، وكان ربما عرف ما في بطون البهائم المنذورة له ومن يذبها ، سكن صحراء من صحاري العراق من قنطرة الرصاص على يوم من سامراء ، ومات بها ، وقبره مشهور مزور ، وبني إلى جانبه قرية للتبرك به .

سنة إحدى وتسعين وخمسمائة

كانت وقعة الزلافة بين يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وملوك الفرنج ، فنصر الله جيش الإسلام وخذل العدو ، وقتل منهم مائة ألف وأربعمائة ألفاً ، وأسر ثلاثون ألفاً ، وغنم المسلمون غنيمة لم يسمع بمثلها حتى بيع السيف بنصف درهم ، والحمار بدرهم ، والحصان بخمسة دراهم .

سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة

توفي الحبر^(١) أبو القاسم محمود بن المبارك الواسطي ثم البغدادي ، الفقيه الشافعي ، خير زمانه ، درس بدمشق في مدرسة جاروخ وغيرها .

وفيها أبو الغنائم ابن المعلم ، وهو محمد بن علي ، الشاعر ، كان رقيقاً لطيف [الطبع]^(٢) مقبول القول ، محبوباً نظمه جد^٤ .

(١) كذا في مرآة الجنان ٣/٤٧٣ ، وفي الاصل وب : المحبر .

(٢) زيادة من ب .

حكى ابن خلكان عن مشايخ البطائح سماعاً منهم أن سبب قبوله لهج أصحاب
الرفاعي بشعره ، ولهجهم به في سماعاتهم ، فعاد عليه بركات أنفاسهم .

وعن ابن المعلم قال : دخلت بغداد فسمعت ابن الجوزي في مجلس وعظه يقول :
ولقد أحسن ابن المعلم حيث يقول :

يزداد في مسمعي تكرر ذكركم طيباً ويحسن في عيني تكرر ربه

ولم يشعر بحضوري أحد .

سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة

توفي سيف الإسلام طغتكين بن أيوب بن شاذي صاحب اليمن بعد أخيه
شمس الدولة . ولهما فتوح باليمن تحتل مجلدات ، وكانت وفاته بالمنصورة
[مدينة]^(١) اختطها هو باليمن ، وتولى بعده [ولده]^(١) الملك المعز الذي أفرط
في الظلم ، وادعى أنه أموي . وللمعز صنف أبو الغنائم مسلم بن محمود الشيرازي
كتابه الذي سماه (عجائب الأسفار في غرائب الأخبار) ، ولهج الناس بتحصيله
كثيراً . وذكر بعضهم أنه مات بالحرراء من أرض اليمن . وذكر أبو الغنائم أنه مات
ببغداد وأن ولده فتح الدين قتل بمكان شامي زبيد ، وتولى بدله [أخوه]^(١) الملك
الناصر أيوب بن طغتكين . وكان [محمود والد]^(١) أبي الغنائم المذكور من نبلأ
الشعراء الأديباء متصديراً لإقراء النحو بجامعة دمشق . قال ابن عنين : أنشدني
محمود لنفسه :

يقولون كافات الشتاء كثيرة وما هي إلا واحد غير مفترى
إذا صح "كاف" الكيس فالكل حاصل لديك وكل الصيد في جانب الفرى

(١) زيادة من ب .

سنة خمس وتسعين وخمسمائة

أخرج ابن الجوزي من السجن ، وكان قد بقي في المطمورة خمس سنين بسبب إنكاره على الشيخ عبد القادر الجيلاني وعداوته لولده . قال اليافعي : والعجب منه في إنكاره عليه وعلى غيره من الشيوخ ، وبمحاسنهم يطرز كلامه .

قال الذهبي : وفيها كانت فتنة الفخر الرازي ، وذلك أنه قدم هراة ، وأكرمته الدولة ، وبالغت ، واشتد ذلك على الكرامية ، فلما ناظر ابن القدوة استطال الفخر عليه وشتمه ، فلما كان من الغد جلس ابن عمه مجد الدين ، ووعظ الناس وقال : (ربنا آمنة بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) ، أيها الناس ، ما لنا إلا ما صح عن رسول الله ﷺ ، وأما قول ابن سينا وكفرياتة وفلسفة الفارابي فلا نعلمها ؛ فلأي شيء يشتم بالأمس شيخ من شيوخ الإسلام يذب عن دين الله؟! وبكى فأبكى الناس ، وضجت الكرامية ، وثاروا من كل ناحية ، وحميت الفتنة ، فأرسل السلطان وسكنهم ، وأمر الفخر بالخروج . قال اليافعي : هكذا ذكر من المؤرخين من له غرض في الطعن على أئمة الأشعرية .

قال الذهبي أيضاً : وفيها كانت بدمشق فتنة الحافظ ، وكان أماراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، داعياً إلى السنة ، فقامت عليه الأشعرية ، وأفتوا بقتله لقوله بالاستنواء والجهة والحرف ، فأخرج من دمشق طريداً .

قال اليافعي : ومذهب الكرامية والظاهرية معروف ، والكلام عليها إلى كتب الأصول مصروف ، فهناك تظهر البراهين القواطع ، ويظهر الصواب عند كشف النقاب للسامع . ولا يخفى ما بين الكلامين من التفاوت ، والله أعلم .

وفيها مات صاحب مصر عثمان بن يوسف صلاح الدين ، وكان كريم الخصال ، وأقيم بعده علي ، واختلف عليه الناس . واختلف أيضاً أولاد السلاطين بني أيوب بعد الألفة العظيمة بين آبائهم .

وفيها صلب بدمشق أعجمي زعم أنه عيسى ، وضلت به طائفة ؛ فأفتى العلماء بقتله .

وفيها الإمام العلامة أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي ، عرف بابن رشد^(١) الفتوني ، صنف في الطب والفقه والمنطق والرياضي [والإلهي]^(٢) . توفي بمراكش .

وفيها شيخ الطب ، جالينوس عصره محمد بن عبد الملك الإيادي ، برع في الطب وغيره ، قيل : حفظ (صحيح البخاري) كله ، وشعر ذي الرمة كله ، وتوفي بمراكش .

وفيها [المنصور أبو يوسف]^(٣) يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن المغربي ، طاب حاله ، وأظهر بهجة ملك بني عبد المؤمن ، وتنصل للجهاد ، وأجرى الأحكام على قانون الشرع ، ولقب أمير المؤمنين كآبيه وجده ، رحل إلى الأندلس ، ورتب قواعدها ، وعزم عليهم في الجهر بالبسملة في أول (الفاتحة) ، ثم عاد إلى مراكش وهي كرسي ملكهم ، فجاءه كتاب ملك الفرنج يتهده ، ومن جملة كتابه : « باسمك اللهم فاطر السموات والأرض ، وصلى الله على السيد المسيح روح الله وكلمته » . فمزق يعقوب كتابه ، وكتب على ظهره : (ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم) الآية ، ثم سار من حينه إلى الأندلس ، ثم منها إلى بلادهم ، وأوقع بهم وقعة لم يسمع بشئها ، ولم ينج منهم إلا ملكهم في عدد يسير ، وبلغت الدروع من المغنم ستين ألف درع ، ولم يحص عدد الدواب . وكان من عادة الموحدين أنهم لا يأسرون مشركاً بل يقتلونهم ، ثم عاد إلى إشبيلية ، والتمس الفرنج صلحه ، فصالحهم ، وبنى بالقرب من (سلا) مدينة على هيئة الإسكندرية في اتساع الشوارع وحسن التقسيم والتحصين ، وبنها على جانب البحر المحيط ، وسماها (دار الفتح) ، ثم رجع إلى مراكش .

(١) كذا في مرآة الجنان ٤٧٩/٣ ، وفي الأصل وب : ابن رشيد الفتوني .
والفتوني وردت في النسختين (غير منقوطة) ، وعسى أن يكون الصواب ما أثبت .

(٢) زيادة من ب .

وكان يعقوب محباً للعلم والعلماء ، ويصلي بالناس الصلوات الخمس ، ويلبس الصوف ، وكان على قدم في التواضع ، وإليه تنسب الدنانير اليعقوبية ، وله صنف أبو العباس الموحيدي^(١) (صفة الأدب) في الشعر . وكان يعقوب قد عزم على علماء زمانه أن لا يقلدوا واحداً من الأئمة الماضين ، بل تكون أحكامهم بما ينتهي إليه اجتهادهم . قال ابن خلكان : أدركنا جماعة منهم على هذا المنهج مثل أبي الخطاب بن دحية وأخيه أبي عمرو ومحيي الدين بن عربي ، وغيرهم . قال الفقيه حسين : أما ابن عربي فقد أخرجه عدم التقليد ودعواه صحة الاستنباط إلى ما عرف المحققون من حاله ، والله أعلم .

قيل : توفي يعقوب بمراكش ، وأوصى أن يدفن على قارعة الطريق ليرحم عليه المارة . وقيل : إنه تجرد عن الملك ، وذهب إلى المشرق ، فمات خاملاً لا يعرف .

قال الياضي : سمعت من لا أشك في صلاحه من الفقهاء المغاربة أن شيوخ المغرب راموا أن يعارضوا رسالة القشيري ، وما ذكر فيها من المشايخ المشاركة برسالة في ذكر شيوخ المغرب ، فذكروا إبراهيم بن أدهم فقالوا : ما تتم لنا المعارضة إلا بملك مثله ، فجاء الشيخ أبو إبراهيم إلى يعقوب ، فسر يعقوب بمجيئه ، وأبرز له جواهر من خزائنه ، فالتفت أبو إبراهيم إلى شجرة هناك فإذا هي حاملة جواهر !! فدهش يعقوب ، واحتقر ما هو فيه ، وتزهد ، وساح ، وصار من كبار الأولياء رضي الله عنه .

وبويع بعد يعقوب لولده الناصر محمد ، واسترجع المهديّة من المثلث . وانقضت دولة بني عبد المؤمن على يدي بني مرين^(٢) ، حيث قتلوا إدريس بن يوسف بن عبد المؤمن ، وبنو مرين على ملكهم إلى الآن كما قال الياضي تبعاً لابن خلكان . قال الياضي : إلا أنه قد تضعف واضطرب .

(١) كذا في مرآة الجنان ٣/٤٨٢ ، وفي الأصل : الحداوي ، وفي ب : الحواري .

(٢) في مرآة الجنان ٣/٤٨٣ : مرين .

سنة ست وتسعين وخمسمائة

توفي العلامة أبو إسحق العراقي إبراهيم بن منصور^(١) المصري الخطيب ،
شيخ الشافعية بمصر ، شارح (المهذب) في عشرة أجزاء . قال الياضي : وهو أول
من شرحه فيما علمته . والثاني صاحب (الاستقصاء) عثمان بن عيسى الماراني^(٢) ،
شرح في نيف وعشرين مجلداً بلغ فيه إلى كتاب الشهادات . والثالث والرابع
السيدان إسماعيل الحضرمي ومحيي الدين النووي ، توفيا في سنة واحدة .
والخامس تقي الدين السبكي ، ولم يكمله أحد منهم إلا العراقي والحضرمي ، وشرح
السبكي إنما بناه على شرح النووي ولم يكمله أيضاً .

وفيهما علاء الدين خوارزم شاه ملك الهند والسند وما وراء النهر إلى
خراسان إلى بغداد ، وكان جيشه مائة ألف فارس ، وهو الذي أزال^(٣) دولة
السلجقة ، مات فجأة وهو سائر إلى العراق حين تغيط على الخليفة ، وحمل إلى
خوارزم ، وتولى بعده ولده قطب الدين .

وفيهما المعروف بالقاضي الفاضل عبد الرحيم ابن القاضي الأشرف علي ابن
القاضي السعيد محمد بن الحسن اللخمي ، العسقلاني المولد ، ثم المصري . تمكن
من السلطان صلاح الدين غاية التمكن ، فاق في صناعة الإنشاء ، وانفرد في الرسائل ،
وله في ذلك ما يبلغ مائة مجلد ، ومن شعره :

وإذا السعادة لاحظت عيونها نمّ فالمخاوف كلهنّ أمان
واصطد بها العنقاء فهي حباله واقتل بها الجوزاء فهي عنان

(١) كذا في ب ومرآة الجنان ٣/٤٨٤ ، وفي الأصل : يعقوب .

(٢) كذا في ب ومرآة الجنان ٣/٤٨٥ ، وفي الأصل : عيسى بن عثمان .

(٣) كذا في ب ، وفي الأصل : أذل .

قيل : إن كتبه بلغت مائة ألف^(١) مجلد . وله آثار جميلة ، وأفعال حميدة وديانة متقنة ، وأوراده كثيرة ، قيل : كان يختم القرآن كل ليلة . ومات وله بضع وستون سنة [ودفن بقرية في سفح المقطم رحمه الله]^(٢) .

وفيهما الشيخ شهاب الدين الطوسي أبو الفتح محمد بن محمود ، نزيل مصر ، شيخ الشافعية ، درس ووعظ ، وصنف ، وكان يركب بالغاشية بين يديه والسيوف المسلولة ومنادٍ ينادي : هذا ملك العلماء . وكان صاحب ضوالة على الحنابلة في نصره الأشعرية .

وفيهما أبو الفتح عبد المنعم بن أبي الفتح الحراني الأصل ، البغدادي المولد ، الحنبلي المذهب ، كان تاجراً ، وله السماعات العالية في الحديث ، واتته إليه الرحلة حتى ألحق الصغار بالكبار ، وتوحد في وقته ، توفي ببغداد ، ودفن بمقبرة الإمام أحمد ، وكان صحيح الذهن والحواس ، وتسرى بمائة وثمان وأربعين جارية .

سنة سبع وتسعين وخمسمائة

جاع أهل مصر جوعاً شديداً حتى لو قيل : مات ثلاثة أرباع أهلها لم يبعدوا ، أحصي من مات في مدة اثنتين وعشرين شهراً مائتا ألف وأحد عشر ألفاً بالقاهرة ، وهو قليل بالنسبة إلى من مات في الإقليم ، وبلغ الفروج مائة درهم ، ثم عدم الدجاج بالكلية ، واستفاض أكل لحوم الناس .

وفي شعبان منها كانت الزلزلة التي عمت أكثر الدنيا في ساعة واحدة ، ومنشؤها أولاً من صعيد مصر ، وماتت تحت الهدم خلق كثير ، ثم امتدت إلى الشام ، وهدمت نابلس وعكا^(٣) ، وذهب بعض المنارة بدمشق ، وذكر خسفاً عظيماً ، قال : وأحصي من هلك في هذه السنة فكان ألف ألف ومائتا ألف .

(١) كذا في مرآة الجنان ٤٨٧/٣ ، وفي الأصل وب : ألف الف . وهي مبالغة ظاهرة .

(٢) زيادة من هامش ب .

(٣) كذا في ب ، وفي الأصل : عكار .

وفيها توفي الإمام الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي ، نسبة إلى قرضه الجوز ، البغدادي التيمي البكري ، كان علامة عصره وإمام وقته في الفنون ، ووعظ من صغره ، وكان له قبول حتى حرر مجلسه بمائة ألف ، وحضره الخليفة المستضيء من وراء ستر مراراً . وكتبه أكثر من أن تعد . يقال : جمعت براءة أقلامه التي كتب بها حديث رسول الله ﷺ ، فحصل له شيء كثير . وكان له في مجالس الوعظ أجوبة نادرة ، منها :

ما حكى أنه وقع نزاع بين أهل السنة والشيعة في المفاضلة بين أبي بكر والإمام علي رضي الله عنهما ، فرضوا بما أجاب ، فسأله شخص وهو على المنبر عن ذلك فقال : أفضلهما من كانت ابنته تحته . ونزل في الحال لثلاثين رجلاً ، فقال أهل السنة : ذاك أبو بكر ، وقالت الشيعة : هو علي .

وحكى أن الخليفة غضب على شخص من حاشيته ، فطلبه ، فهرب ، فأمسك أخاه ، وصادره بمال ، فشكا المصادر إلى ابن الجوزي ، فلما وعظ وانقضى مجلسه والخليفة من وراء الستر أشد :

قفي ثم اخبرينا يا سعاداً بذب الطرف لم سلب القواد
وأى قضية حكمت إذا ما جنى زيد به عمرو يتقاد
يعاد حديثكم فيزيد حسناً وقد يستحسن الشيء المعاد

وكرر المصراع ، فقال الخليفة من وراء الستر : يعاد ، يعني المال .

قال الياضي : وكلام ابن الجوزي وإن افتخر فهو بالنسبة إلى كلام الشيخ عبد القادر الجيلاني محتقر ، ولو سلم من طعنه وإنكاره على المشايخ لبقى مكتسباً بحلل المحاسن .

قال النقيه حسين : قلت : يشير الياضي إلى إفكاره نكتاً نادرة تصدر عن بعضهم ، ذكره في كتاب (تلبس إبليس) ، لا ينبغي أن ينسب منكرها إلى الإنكار على المشايخ مطلقاً ، فإن المشايخ غير معصومين ، وإفكار تلك النوادر للتحفظ عن مثلها لا للتنقص بهم ، نفعنا الله بهم .

وكانت ولادته سنة ثمانٍ ، أو عشر وخمسمائة ، توفي ليلة الجمعة ثاني عشر من رمضان للتاريخ المتقدم • ودفن بباب حرب • وكان أبوه يعمل الصفر • وكان لولده محيي الدين يوسف مجلس بيغداد ، وتولى تدريس المستنصرية لطائفة الحنبلية ، وكان يتردد في رسائل الملوك • وكان سبطه شمس الدين أبو المظفر يوسف الواعظ المشهور ، له صيت في مجالس وعظه ، وقبول عند الملوك ، وصنف تاريخاً كبيراً في أربعين مجلداً ، وقفت على بعضه ، والله أعلم •

وفيهما العماد الكاتب الوزير الفاضل أبو عبد الله محمد بن محمد الأصبهاني الشافعي ، تفنن في علوم كثيرة ، وولاه الوزير يحيى بن هبيرة النظر بالبصرة ثم واسط • وولاه العادل محمود كتابة الإثشاء ، ثم صحب صلاح الدين ، وكانت له عنده منزلة رفيعة ، وكان ينشئ الرسائل بالعجمية والعربية ، وصنف كتاب (خريدة القصر) في عشرة مجلدات ، جعله ذيلاً على (زينة الدهر) للخطيري ، والخطيري ذيله على (دمية القصر) للباخرزي ، والباخرزي ذيله على (يتيمة الدهر) للشعالبي ، والشعالبي ذيل (البارع) لابن المنجم • وله تصانيف غير ذلك نافعة •

سنة ثمان وتسعين وخمسمائة

تغلب قتادة بن إدريس الحسيني على مكة وأزال دولة بني فليته •

وفيهما توفي ضياء الدين عبد الملك بن زيد بن ياسين التغلبي الأرقمي [الدولعي] ^(١) ، خطب بجامع دمشق ، والدولية : قرية من قرى الموصل ، ودفن بباب الصغير بجنب قبر كعب الأجار •

وفيهما توفي صاحب اليمن إسماعيل بن سيف الإسلام طغتكين بن أيوب ، وكان قبيح السيرة ، وثب عليه أخوان من أمرائه فقتلاه ، وولي بعده أخوه الناصر أيوب •

(١) زيادة من ب .

وفيها لؤلؤ الحاجب العادلي ، صاحب صلاح الدين ، وكان مؤيداً بالنصر ، تقدم لحرب الذين قصدوا الحرم النبوي وكانوا نحو ثلاثمائة بطل من الكرك والشويك وطائفة من العرب ، فأدرکهم وبينهم وبين المدينة يوم قتلهم كلهم ، وقدم بهم مصر ، وكان يوم قدم بهم مصر يوماً مشهوداً • ثم كبر لؤلؤ وترك الخدمة ، وكان يتصدق كل يوم باثني عشر ألف رغيف ، ويضعف ذلك في رمضان •

سنة تسع وتسعين وخمسمائة

رمي بالنجوم ، وماجت وتطارت ، ودام ذلك إلى الفجر ، فانزعج الخلق وضجوا بالدعاء • قالوا : ولم يعهد هذا إلا زمان ظهور النبي ﷺ •

وفيها علم الدين الشاتاني الفقيه ، غلب عليه الشعر ، وكان ابن هبيرة يبجله جداً ، ومدح صلاح الدين بقصيدة أولها :

أرى النصر معقوداً برايتك الصفرا فسرّ واملك الدنيا فأنت بها أخرى
يمينك فيها اليمن واليسر في اليسرى فبشرى لمن يرجو الندى بهما بشرى

وفيها الشيخ الولي محمد بن إبراهيم القرشي الهاشمي قدس الله روحه ، اجتمع على جلالاته وتمكنه بأكابر العلماء ، وله كلام تقيس^(١) ، اعتنى بجمعه تلميذه الشيخ الإمام أحمد بن علي القسطلاني ، نفع الله بهما ، آمين •

سنة ستمائة

توفي الإمام العلامة محمد بن محمد بن محمد العراقي القزويني ، ركن الدين المعروف بالطاوسي [الحنفي]^(٢) • صنف ثلاث تعاليق في الخلاف ، خيرها الوسطى ، وأكثر اشتغال الناس بها ، وكان مناظراً محججاً • ونسب إلى طاووس بن كيسان اليمني •

(١) كذا في ب ، وفي الأصل : ثقيل • (٢) زيادة من ب •

وفيها توفي الإمام أبو الفتح العجلي منتجب الدين أسعد بن [أبي الفضائل]^(١) محمود بن خلف الأصبهاني ، شيخ الشافعية ، كان من الموصوفين بالزهد والعبادة ، لا يأكل إلا من كسب يده بالوراقة ، ثم ترك الوعظ وألف كتاب (الوعظ)^(٢) و (شرح مشكلات الوسيط والوجيز) للغزالي ، وله (تسمية اليتيمة) للمتولي ، وكان عليه الاعتماد في الفتوى بأصبهان . وهو منسوب إلى عجل بن لجم ، بضم اللام ، وعجل^(٣) : الذي يضرب به المثل في الحقم والغباوة ؛ لأنه كان له فرس جواد فقيل له : ما اسمه ؟ فقال : لم أسمه بعد ، ففقا إحدى عينيه وسماه الأعور حتى قال الشاعر :

رمتني بنو عجل بداء أيهم وهل أحد في الناس أحق من عجل

قال الفقيه حسين الأهدل : وكتابه على (الوسيط) و (الوجيز) قد ضعفه الإمام أحمد بن علي^(٤) ، وكان الصواب عدم تصنيفه ، وذكر له تصانيف ، والله أعلم .

وفيها الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي . سمع الحديث في بلدان ومشايخ شتى ، وصنف مع الورع والعبادة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واقتفاء الأثر ، وسيرته المذكورة في نحو جزأين من تأليف الحافظ الملقب بالضياء .

وفيها ، وقيل : في سنة ثلاث ، الشيخ الحافظ عبد الرزاق ابن الشيخ القطب عبد القادر الجيلاني ، أسمعه أبوه عن أبي الفضل الأرموي وطبقته ، ثم أسمعه بنفسه ، قيل : لم ير مثله في تصنيفه وتحريره .

سنة إحدى وستمائة

تغلب الفرنج على القسطنطينية ، وأخرجوا الروم عنها بعد حصار طويل وحروب عظيمة .

(١) زيادة من ب . (٢) في مرآة الجنان ٤٩٩/٣ : آفات الوعظ .

(٣) كذا في مرآة الجنان وفي النسختين : ولجم .

(٤) كذا في ب ، وفي الأصل : أحمد بن عجيل .

سنة اثنتين وستمائة (١)

توفي مدرس إرمينية التقي الأعمى ، سرق ماله فاتهم قائده ، فاحترق قلبه ، فأهلك نفسه ، وجد مشنوقاً بالمنارة الغربية ، نسأل الله العافية وحسن الخاتمة •

وفيها الإمام العلامة أبو عمرو عثمان بن عيسى الهدباني الماراني - نسبة إلى ماران - ضياء الدين ، ونسبه يرجع إلى بني عبدوس • شرح (المهذب) الشرح المسمى (بالاستقصاء لمذاهب الفقهاء) ، بلغ فيه إلى الشهادات ، وشرح لمع الشيخ أبي إسحق بجزأين • ولاء صلاح الدين قضاء مصر ، وانفرد بالسؤدد في مذهب الشافعي ، مات عن نيف وثمانين ، ودفن بالقرافة الصغرى •

وفيها السلطان محمد بن شهاب الدين الغوري ، صاحب غزنه ، قتلته الإسماعيلية بعد قفوله من غزوة الهند • وكان واسع المملكة ، حسن السيرة ، وهو الذي حضر عند الفخر الرازي ، فوعظه وقال : يا سلطان العالم لا سلطانك يبقى ، ولا تليس الرازي يبقى ، فاتحب باكياً •

سنة ثلاث وستمائة

أو في التي قبلها توفي الشيخ أبو الحسن علي بن عمر بن محمد المعروف بالأهدل ، وقيل : توفي سنة سبع وستمائة ، واقتصر عليه الجندي في تاريخه • وكان من أعيان المشايخ أهل الكرامات والإفادات • قدم جده محمد من العراق على قدم التصوف ، وهو شريف حسيني ، ونشأ ابنه على نشوء حسن ، وبلغ من الحال والشهرة مبلغاً ، قيل : ولم يكن له شيخ • وقيل : بل صحبه رجل صالح من أصحاب الشيخ عبد القادر الجيلاني • وقيل : رأى أبا بكر الصديق رضي الله عنه وأخذ عنه البد مناماً • وقيل : أخذها من الخضر ، وكان يقول : أنا نبات الرحمن • وبه تخرج

(١) زيادة من ب .

الشيخ أبو الغيث بن جميل وتهذب ، وكان يقول : خرجت من عند ابن أفلح لؤلؤة بهما فثقيني سيدي علي الأهدل • وأما والد الشيخ فكان سائحاً ، ونعاه ولده الشيخ إلى أصحابه يوم مات ، وصلوا عليه ، وتوفي الشيخ علي بأجواف السودان من سهام ، ولذريته كرامات وبركات •

سنة ست وستمائة

نزل الكزج - بالزاي والجيم - على خلط ، فلما كادوا يأخذونها زحف ملكهم في جيشه إلى باب البلد •

وفيه أم هانئ عفيفة بنت أحمد بن عبد الله الأصبهانية ، آخر من روى عن عبد الواحد صاحب أبي نعيم ، وسمعت (معجم) الطبراني من فاطمة الحورانية^(١) •

وفيه الإمام الأصولي المتكلم المناظر المفسر ، صاحب التصانيف المشهورة النافعة ، فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي التيمي البكري ، المعروف بالإمام عند الأصوليين ، الطبرستاني الأصل ، الرازي المولد ، الشافعي المذهب •

كانت ولادته بالري سنة أربع وأربعين ، واشتغل أولاً على والده حتى مات ، ثم على الكمال السمناني ، ثم على المجد الجيلي ، ثم بدا وجهه ، واقتصر صيته ، واشتهر بنصرة السنة وتجديد الدين ، وفيه يقول سراج الدين السكسكي •

اعلمن علماً يقيناً أن رب العالمينا
لو قضى في عالمهم خدمة للأعلمينا
أخدم الرازي فخراً خدمة العبد ابن سينا

وتفسيره مبين عن قوة علمه في المعقول والمنقول ، وفيه غرائب وعجائب لكن لم يكتمل ، شرح الفاتحة وحدها بمجلد • وصنف في علم الكلام (المطالب العالية)

(١) في مرآة الجنان ٦/٤ : الجوزدانية •

و (نهاية العقول) وكتاب (الأربعين) و (المحصل) وكتاب (البيان والبرهان) •
 وفي أصول الفقه (المحصول) • وفي الحكمة (الملخص) وشرح (الإشارات)
 لابن سينا ، و (شرح عيون الحكمة) •

وله في الوعظ اليد الطولى باللسانين العربي والعجمي ، وكان يلحقه حال وعظه
 وجد وبكاء ، وكان يحضر مجلسه الموافق والمخالف ، والأمراء والملوك ، وكان
 صاحب ثروة وبزة حسنة ومماليك ، ويمشي بين يديه إذا ركب نحو ثلاثمائة طالب •
 ورجع بسببه خلق كثير من الكرامية وغيرهم • وقد سبق ما جرى بينه وبين ابن
 القدوة بهراة ، وثورات الكرامية عليه حتى قيل : إنهم سموه ، ومات بذلك • ومن
 شعره رحمه الله :

نهاية إقدام العقول عقالٌ وأكثر سعي العالمين ضلالٌ
 وأرواحنا في وحشة من جسوننا وحاصل دنيانا أذىٌ ووبالٌ
 ولم نستفد من بحثنا طول دهرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
 وأنشد يوماً معاتباً لأهل هراة :
 المرء ما دام حياً يُستهان به ويعظم الرزءُ فيه حين يُتفتدُ

وفيهما أبو السعادات ابن الأثير محمد بن محمد الشيباني الجزري ثم
 الموصلية ، الكاتب ، أحد العلماء الأفاضل • أخذ النحو عن سعيد بن المبارك ،
 وسمع الحديث متأخراً ، ولم تسمع له رواية • وله رسائل بديعة ومصنفات وسيرة ،
 منها : (جامع الأصول) الستة الصحاح وأمّهات الحديث ، وضعه على كتاب رزين
 ابن معاوية الأندلسي^(١) إلا أن فيه زيادات كثيرة • ومنها : (النهاية في غريب الحديث)
 وكتاب (الإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف) في تفسير القرآن العظيم ،
 أخذه من الثعلبي والزمخشري • وله كتاب (المصطفى والمختار من الأدعية والأذكار)
 وكتاب (صنعة الكتابة) و (شرح الأصول) في النحو لابن الدهان ، وكتاب (الشافي
 في شرح مسند الشافعي) وغير ذلك •

(١) في ب : الأندريني •

ولي ديوان الإنشاء لصاحب الموصل مسعود بن مودود السلجوقي • وعرض له فالج أبطل نصفه ، وبقي مدة يغشاه الأكابر من العلماء ، وأنشأ رباطاً ووقف أملاكه عليه وداره التي يسكنها • وحكي أن تصنيفه كله في حال تعطله لأنه كان عنده طلبية يعينونه على ذلك • وحكى أخوه أبو الحسن^(١) أنه جاءه طبيب وعالجه بدهن ، فلما قارب أن يبرأ قال : أنا في راحة من صعبة هؤلاء القوم وحضورهم وقد سكنت نفسي إلى الانقطاع والدعة ، فدعني أعش باقي عمري سليماً من الذل ، وترك •

وفيها أبو المكارم أسعد بن الخطير مهذب بن مينا ، الكاتب الشاعر ، ناظر الدواوين بمصر • وله فضائل عديدة ، ونظم سيرة السلطان صلاح الدين بن أيوب ، وله ديوان شعر •

سنة سبع وستمائة

صاحب الموصل أرسلان شاه بن مسعود • قال وزيره أبو السعادات ابن الأثير : ما قلت له في خير إلا وبادر إليه • وقال أبو المظفر ابن الجوزي : كان سفاكاً جباراً • ولم يكن في بيته شافعي سواه • وخلف ولديه القاهر والمنصور ، وتسلمن بعده ابنه مسعود القاهر •

وفيها مسند العراق الحافظ عبد الوهاب بن سكينه البغدادي الصوفي ، تقنن في علوم ، وكان شيخ العراق في وقته في الحديث واقتفاء السنة ، لاتمضي له ساعة إلا طاعة •

وفيها الزاهد محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي ، سمع كثيراً وكتب كثيراً ، وكان موزعاً أوقاته في الطاعات ، عديم النظير في زمانه •

(١) كذا في ب ومرآة الجنان ١٣/٤ ، وفي الاصل : أبوه أبو الحسين •

سنة ثمان وستمائة

قدم بغداد رسول جلال الدين حسن^(١) صاحب الأملوت بدخول قومه في الإسلام ، وأنهم قد تبرؤوا من مذهب الباطنية ، وبنوا المساجد وصاموا رمضان ، فسر الخليفة والناس •

وفيهما عدا قتادة الحسيني^(٢) أمير مكة على الركب العراقي بمنى فنهبه وقتل جماعة •

وفيهما توفي أبو العباس العاقولي أحمد بن الحسن^(٣) بن أبي البقاء المقرئ . قرأ القراءات ، وسمع الحديث ، وبرع في مذهب مالك ، ولم يبق له نظير في وقته •

وفيهما الإمام العلامة عماد الدين محمد بن يونس الشافعي ، إمام وقته ، تخرج به خلق فكانوا أئمة ، وارتفع صيته ، تفقه أولاً بأبيه بالموصل ، ثم رحل إلى بغداد وسمع بها على عدة [شيوخ] ثم رجع إلى الموصل ، ودرس في عدة مدارس ، وصنف (المحيط في الجمع بين المذهب والوسيط) وشرح (وجيز) الغزالي ، وصنف جدلاً وتعليقة في الخلاف ، وصنف عقيدة لنور الدين صاحب الموصل ، وكان له عنده منزلة رفيعة ، ولأجله انتقل إلى مذهب الشافعي ، ولم يكن في بيت نور الدين شافعي غيره على كثرتهم ، وأرسله إلى الخليفة ببغداد مراراً ، وكان شديد الورع ، ولا يلبس الثوب الجديد حتى يغسله ، ولا يمس القلم للكتابة الا وقد غسل يده ، وكان سهل الأخلاق لطيف الحكايات ، ولم يرزق قبولاً في تصانيفه ، فإنها ليست على قدر فضائله ، رحمه الله •

(١) في ب : حصين •

(٢) في ب : الحسيني •

(٣) في ب : الحسين •

سنة تسع وستمائة (١)

كانت وقعة العقاب الملحمة العظيمة بين الناصر محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وبين الفرنج بناحية الأندلس ، وكان النصر لطائفة الإسلام ، واستشهد بها خلق منهم الحافظ أحمد بن هرون البغوي الشاطبي وكان من العلماء العاملين ، ولم تطل مدة أمير المؤمنين محمد بن يعقوب بعدها .

وفيها أبو نزار ربيعة بن الحسن الحضرمي اليمني الصنعائي الشافعي المحدث ، تفقه بظفار ، وسمع من المطهر الصيدلاني . وكان مجمع الفضائل ، كثير التعبد والعزلة .

وفيها الملك الأوحده أيوب ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، كان ظلوماً سفاكاً لدماء الأمراء .

سنة عشر وستمائة

أبو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي ، منسوب إلى جزولة بطن من البربر . وكان أبو موسى محققاً في النحو غاية التحقيق ، ومقدمته (القانون) لم يسبق إلى مثلها ، اعتنى بها جماعة من الفضلاء وشرحوها ، واعترف أكثرهم بالتقصير عن إدراكها ، فإنها مع جازتها محتوية على علوم في العربية واسعة . وكان قد دخل مصر ، وحج ، ورجع إلى المغرب .

وفيها أبو الفتح ناصر بن أبي المكارم المطرزي الفقيه النحوي الخوارزمي المعتزلي ، شرح المقامات شرحاً وجزياً [وافية بالمقصود] (٢) ، وله كتاب (المغرب)

(١) هذا العنوان نقص من النسختين ، واستدرك من مرآة الجنان ٤/١٨ .

(٢) زيادة من ب .

تكلم فيه على غريب ألفاظ الفقه ، وهو للحنفية ككتاب الأزهرى للشافعية ، وكان مشهوراً بعيد الصيت • ومن شعره :

وَإِنِّي لِأَسْتَحْيِي مِنَ الْمَجْدِ أَنْ أَرَى حَلِيفَ عَوَانٍ أَوْ أَلِيفَ غَوَانٍ

ويقال : إنه كان بخوارزم خليفة الزمخشري •

وفيهما أبو الحسن (١) علي بن محمد الحضرمي ، عرف بابن خروف النحوي الأندلسي الإشبيلي ، إمام العربية ، شهدت مصنفاًته بفضلها ، شرح كتاب سيبويه شرحاً جيداً و (الجمل) • وهو غير ابن خروف الشاعر •

سنة إحدى عشرة وستمائة

الإمام الحافظ علي بن المفضل اللخمي المقدسي الإسكندراني ، الفقيه المالكي ، سمع من السلفي والمندري ، ومن شعره :

تجاوزت ستين من مولدي ويسألني زائري حالتي
فأسعد أيامنا المشترك وما حال من حل في المعترك

وله :

أيا نفس بالمأثور من خير مرسل
عساك إذا بالغت في نشر دينه
وأصحابه والتابعين تمسكي
وخابي غداً يوم الحساب جهنماً
لما طاب من نشر له أن تمسكي
إذا لفت نيرانها أن تمسك

وفيهما الشيخ أبو الحسن الهروي ، طاف البلاد ، وأكثر الروايات ، وله معرفة بعلم السيمياء ، وله مصنفات ، منها كتاب (الإشارات في معرفة الروايات) (٢) ، وكتاب (الخطب الهروية) •

(١) كذا في ب ومرآة الجنان ٢١/٤ ، وفي الأصل : أبو زيد .

(٢) كذا في ب ، وفي الأصل ومرآة الجنان ٢٣/٤ : الزيارات .

سنة اثنتي عشرة وستمائة

وفيها الحافظ عبد الله بن سليمان^(١) الأندلسي ، الحافظ المتقن لأسماء الرجال ، صنف كتاباً في أسماء رجال الصحيحين وأبي داود والترمذي والنسائي ، ولم يكمله ، وكان إماماً في العربية . ولي قضاء إشبيلية وقرطبة ، وأدب أولاد المنصور صاحب المغرب .

وفيها الحافظ عبد القادر الرهاوي ، كان مملوكاً لبعض أهل الموصل^(٢) ، فأعتقه ، وجب إليه فن الحديث حتى سمع كثيراً منه ، وجمع وصنف ، [وله الأربعون]^(٣) المتباينة الأسناد والبلاد ، وهو شيء ما سبقه إليه أحد ولا يرجوه بعده محدث لخراب البلاد التي سمع بها وتعددها ، وكان صالحاً زاهداً ورعاً ناسكاً .

وفيها الوجيه ابن الدهان المبارك بن المبارك النحوي الضرير الواسطي ، حقق في القراءات والنحو والحديث ، وكان حنبلياً ثم انتقل إلى مذهب أبي حنيفة ، ثم انتقل إلى مذهب الشافعي لغرض دنيوي ، وفي ذلك يقول أبو البركات التكريتي :
ومَنْ مبلغٌ عني الوجيه رسالةً
تمذهبتُ للنعمان بعد ابن حنبلٍ
وما اخترت رأي الشافعي تديناً
وعما قليل أفت لا شك صائرٌ
وإن كان لا تجدي إليه الرسائلُ
وذلك لما أعوزتك المآكلُ
ولكن لما تهوى الذي منه حاصلُ
إلى مالك فافطن لما أنا قائلُ
ومراده : إلى مالك خازن النار .

وفيها الشيخ الكبير ابن الصباغ أبو الحسن علي بن حميد الصعيدي ، صحب الشيخ عبد الرحيم العبادي فتخرج به . وكان والده صباغاً ، وكان يعيب عليه عدم معاوته وانقطاعه إلى أهل التصوف ، فصاح عليه يوماً في ذلك ، فأخذ الثياب

(١) في ب : سليمان بن عبد الله .

(٢) كذا في ب ومرآة الجنان ٢٣/٤ ، وفي الأصل : المغرب .

(٣) زيادة من ب .

التي عنده والده جميعها وألقاها في زير واحد ؛ فصاح عليه والده وقال : أتلفت ثياب الناس ، فأخرجها ، وكل ثوب على اللون الذي أراد صاحبه ؛ فحينئذ اشتهر أمره ، وصحبه خلائق ، وكان لا يصحب إلا من رآه مكتوباً من أصحابه في اللوح المحفوظ^(١)!! وسأله إنسان الصحبة والخدمة ، فقال له : ما بقي عندنا وظيفة نحتاجك لها إلا أن تأتينا كل يوم بحزمة من الحلفاء ، فقال : نعم ، فكان كل يوم يأخذ المحش فيأتي بحزمة ، ثم مكلّ وترك ، فرأى القيامة قامت ، فأشرف على الوقوع في النار وإذا حزمته الحلفاء تحته مارة به على النار فكان فوقها حتى أخرجته . فجاء إلى الشيخ ، فلما رآه قال : قلنا لك ما عندنا خدمة تصلح سوى الحلفاء !! فاستغفر وعاد إلى الخدمة . وله مناقب كثيرة ، ويكفي أن الشيخ أبا عبد الله القرشي لما مات شيخه أصابته وحشة ، فذهب إليه وتأنس به رضي الله عنه .

سنة ثلاث عشرة وستمائة

وقع بالبصرة برد أصغره كالنار نجة الكبيرة ، وأكبره يستحيا من ذكره .

وفيها العلامة [أبو اليمن]^(٢) زيد بن الحسن^(٣) الكندي ، البغدادي المولد والمنشأ ، الدمشقي الدار والوفاة ، النحوي اللغوي ، المقرئ ، قرأ القراءات العشر وله عشرة أعوام ، وما علم هذا لأحد سواه . وكان الملك الأعظم ينزل إليه من القلعة إجلالاً ، أخذ عن جلة من المشايخ كالشريف أبي السعادات ابن الشجري وأبي محمد بن الخشاب وأبي منصور الجواليقي ، ومن شعره حين طعن في السن :

(١) لست أدري كيف تتجرأ الألسنة على النطق بهذه الأقوال (ولا يظهر على غيبه

أحداً إلا من ارتضى من رسول) .

(٢) زيادة من ب .

(٣) كذا في ب ومرآة الجنان ٢٦/٤ ، وفي الأصل : زيد بن الحسين .

أعمر والأعمار لا شك أرزاق
من العمر ما قد كنت أهوى وأشتاق
لها في إرعاد مخوف وإبراق
وما لي إلا رحمة الله ترياق

تمنيت في عصر الشيبية أني
فلما أتاني ما تمنيت ساءني
وها أنا في إحدى وتسعين حجة
يقولون ترياق لمثلك نافع

ولما توفي نزل الناس درجة في القراءات والحديث ؛ فإنه آخر من سمع ممن هو
أعلى منه في عصره .

وفيها الإمام معين الدين محمد بن إبراهيم السهيلي الشافعي مؤلف (الكافية)
وكتاب (إيضاح الوجيز) في مجلدين أحسن فيه ، وله طريقة في الخلاف مشهورة ،
وله القواعد المشهورة وعظم النفع بها .

سنة خمس عشرة وستمائة

توفي الملك العادل سيف الدين أبو بكر محمد بن أيوب . كان أخوه صلاح
الدين يستشيريه في جميع أموره ، واستولى آخرأ على الممالك ، وتسلم ابنه الكامل
على مصر ، وابنه المعظم على الشام ، وابنه الأشرف على الجزيرة ، وابنه الأوحده على
خِلاط^(١) ، وابن ابنه المسعود على اليمن . وكان ملكاً جليلاً ، طويل العمر ، عميق
الفكر ، بعيد الغور ، جماعاً للأموال ، ذا حلم وسؤدد ، وله نصيب وافر من العبادة ،
وكان يضرب به المثل في كثرة أكله ، ولم يكن محبباً إلى الرعية لمجيئه بعد الدولتين
النورية والصلاحية ، وكانا بحيث لا يقاس بهما . وخلف العادل سبعة عشر ابناً ،
تسلمن منهم خمسة : الكامل والمعظم والأشرف والصالح وشهاب الدين غازي .

وفيها أم المؤيد زينب بنت عبد الرحمن بن الحسن الجرجاني الأصل ،
النيسابوري الدار ، المعروف بالشّعري . أدركت زينب أكابر العلماء وأخذت عنهم
كأبي المظفر [القشيري]^(٢) وعبد الغافر الفارسي وأبي البركات الفراوي والزمخشري ،

(١) خِلاط : بلد بإرمينية . (القاموس) . (٢) زيادة من ب .

وفيها كان ابتداء ظهور التتر ، وهم نوع من الترك ، مساكنهم جبال صمعاغ من نحو الصين ، يسجدون للشمس عند طلوعها ، ولا يحرمون شيئاً ، ولا يحصون كثرة ، أخذوا كيسان [وكاشغر]^(١) وما وراء النهر وسمرقند وبخارى وخراسان والري وهمذان والجيل والعراق وأذربيجان ، وخربوا جميعها في أقل من سنة ، وهذا لم يسمع بمثله .

سنة ست عشرة وستمائة

خرب عيسى المعظم سور بيت المقدس خوفاً وعجزاً من الفرنج أن يملكه ، فقتل أهله ، وسعى مع أخيه الكامل في كشف الفرنج عن دمياط ، وحاربوا شديداً ، ثم سلموها بالأمان عجزاً ، وتداعت الفرنج وأرادوا أخذ مصر ، وعزم أهلها على الجلاء فثبتهم محمد الكامل ، وسار إليه منجداً أخوه الأشرف موسى بعسكر الشام ، وخرج الفرنج من دمياط ، وذلك أيام الزيادة في النيل ، فعبر المسلمون عليهم النيل ، فلم يبق لهم وصول إلى دمياط ، وجاء الأسطول ، وأخذوا مراكبهم وكانوا مائة كند^(٢) وهو المركب . ولما بان للفرنج الغلبة سلموا دمياط ، وصالحهم الكامل ، ثم عمل سباطاً عظيماً ، وأحضر ملوك الفرنج ، وأنعم عليهم ، ووقف في خدمته أخوه موسى الأشرف وأخوه عيسى المعظم ، وكان يوماً مشهوداً ، وقام حينئذ راجح الجيلي فأنشد قصيدة منها :

ونادى لسان الكون في الأرض رافعاً عقيرته في الخافقين ومنشداً
أعباد عيسى إن عيسى وحزبه وموسى جميعاً ينصران محمداً

وما أحسن هذا الشعر وأليقه بالحال ، وأحسنه مطابقة للمعنى حيث وقف الملوك في خدمة أخيه محمد الكامل ، ووافق ذلك أسماء الأنبياء الثلاثة صلوات الله وسلامه عليهم ، وقد قال نبينا محمد ﷺ : « لو كان موسى وعيسى حين ما وسعهما إلا اتباعي » ، وفي ذلك أعظم تبيكيت للفرنج بل لليهود والنصارى أجمعين .

(١) زيادة من ب .

(٢) في النسختين وردت الكلمة مهملة ، وعسى أن يكون ما أثبت الصواب .

وفيها أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري الضرير النحوي الفرضي المصنف ، لم يكن في آخر عصره مثله في فنونه • ومن تصانيفه (شرح ديوان المتنبّي) و (إعراب القرآن) و (إعراب الحديث) و (شرح لمع ابن جني) و (مفصل الزمخشري) و (مقامات الحريري) و شرح أمر العنقاء عندما ذكرها الحريري ، وذكر أنها طائر عظيم ، خطفت صبياً وذهبت به ؛ فسميت عنقاء مغرب ، والمغرب : الذي يجيء بالغرائب • قال بعضهم : العنقاء والغول يسمع بهما ولا يريان •

قلت : أما الغول فقد شهدت الأحاديث الصحيحة بوجودها وهي السعلاة من الجن المتشيطنة • وأما العنقاء فلا نعرف ذكرها إلا من كتب الأخباريين ولا تحقيق لها ، وعلى كل حال فليست موجودة اليوم ، وقد انقطع خبرها ونسلها بدعوة نبينا محمد ﷺ ، أو دعوة حنظلة بن صفوان ، أو خالد بن سنان العبسي ، والله أعلم •

وفيها العلامة أبو محمد عبد الله ، عرف بابن شأس الجذامي المصري ، شيخ المالكية ، صاحب كتاب (الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة) وضعه على ترتيب (وجيز) الغزالي ، كثر اشتغال المالكية به • حج ابن شأس في آخر عمره ورجع فامتنع من الفتيا ، وتوجه لجهاد الفرنج حين أخذت دمياط فتوفي هناك ، رحمه الله تعالى •

سنة سبع عشرة وستمائة

كافت وقعة السويس ^(١) بين الكامل والفرنج ، وكانت فتحاً عظيماً ، وقتل من الملاعين عشرة آلاف •

وفيها أخذت النتر خراسان وقتلوا أهلها ، واثهوا إلى حدود العراق بعد أن هزموا جيش خوارزم ومزقوهم ، ثم عطفوا على قزوین فاستباحوها ، واستباحوا أذربيجان ، وحاصروا تبريز وبها البهلوان ، فبذل لهم أموالاً وطرفاً ، فرحلوا عنه ،

(١) في مرآة الجنان ٣٦/٤ : وقعة البرنس •

ثم أخذوا مراغة ، ثم كروا نحو إربل ، فاجتمع لحربهم عسكر العراق والموصل ؛ فهابوهم ، وعدلوا إلى همدان فأخذوها ، ثم عدلوا إلى الكزج وقتلوا منهم نحو ثلاثين ألفاً ، ثم سلكوا طرقاً وعرة في الجبال حتى وصلوا بلاد اللان وفيها طوائف من الترك والمسلمين فقتلوهم ، ولم يزالوا يطوفون في البلاد ويضربون بسيوفهم إلى أن كلت ، وتكلمت أيديهم من القتل •

وفيها الشيخ المقدام ، تام الشجاعة ، كثير الجهاد ، عظيم الشأن ، منقطع القرن ، دائم الذكر [عبد الله بن عثمان اليوشيني]^(١) ، كان الأجد صاحب بعلبك يزوره فيواجهه بالإفكار ، وينهاه عن الظلم ، وكان قوسه ثمانية عشر رطلاً ، وكان لا يبالي بالرجال قلو أم كثروا ، وكان ينشد :

شفيعي إليكم طول شوقي إليكم وكل كريم للشفيح قبول
وعذري إليكم أنني في هواكم أسيرٌ ومأسورٌ الغرام ذليلٌ
فإن تقبلوا عذري فأهلاً ومرحباً وإن لم تجيبوا فالمحب حمولٌ
سأصبر لا عنكم ولكن عليكم عسى لي إلى ذاك الجنب وصولٌ

توفي وهو صائم في ذي الحجة وقد نيف على الثمانين •

قال الياضي : ما أظن الذهبي في مدح أحد من الشيوخ العارفين بالله سواه •

قال الفقيه حسين : وذلك بحسب علمه بسلامة حاله مما يغمض عليه •

وفيها الشيخ الشهير المبارك على أهل زمانه محمد بن أبي بكر الحكمي اليمني ، نفع الله به ، نشأ في السلوك في بلدة يقال لها المصبر^(٢) من نواحي رجبان ، وبها قبر والده ، ثم انتقل إلى دوال ثم إلى سهام ، وصحب بها الفقيه العالم الصالح محمد بن حسين البجلي المعلم ، وأخذ خرقة التصوف القادرية عن الشيخ علي الحداد ، وسكن مع البجلي في عواجة حتى مات سنة سبع عشرة وستمائة ودفن هناك ، ثم مات البجلي بعد سنة إحدى وعشرين ، وقبراهما متلاصقان ، وإلى جنبهما علي بن حسين

(١) زيادة من مرآة الجنان ٣٨/٤ . (٢) كذا في ب ، وفي الأصل : المصاه .

البجلي ، ولهما رواية محترمة ، وذكر واسع ، وكرامات جمّة ، وذرية أخيار ، تعدد فيهم الصلحاء والعلماء ، وبصحبتهما وتآخيهما في الله يضرب المثل •

وفيها شيخ الشيوخ عمر بن علي الجويني ، البارع في مذهب الشافعي ، ولي تدريس مشهد الشافعي بمصر ، بعثه الكامل إلى الخليفة ببغداد يستجده على الفرنج فأدركه الموت بالموصل •

سنة ثمان عشرة وستمائة

توفي الشيخ ناصر السنة نجم الدين الكبرى ، رحل الأقطار راكباً وماشياً ، وأدرك من المشايخ ما لا يحصى كثرة ، ولبس خرقة التصوف الأصلية النهرجورية من الشيخ إسماعيل القصري ، والسهروردية للتبرك من الشيخ عمار بن ياسر • سبق أقرانه في صغره إلى فهم المشكلات والغوامض ، فلقبوه الطامة الكبرى ، ثم كثر استعماله ، فبقيت الكبرى ، وحذفوا الطامة • استشهد رضي الله عنه بخوارزم في فتنه التتر ، وذلك أن سلطاتها لما مر جمع الشيخ أصحابه ، وكانوا نحو ستين ، فقال لهم : ارتحلوا إلى بلادكم فإنه قد خرجت نار بأرض المشرق تحرق إلى قرب المغرب ، وهي فتنه عظيمة ما وقع في هذه الأمة مثلها ، فقال له بعضهم : لو دعوت برفعها ، فقال : هذا قضاء محكم لا ينفع فيه الدعاء ، فقالوا له : تخرج معنا ، فقال لهم : إني أقتل هنا • فخرج أصحابه • فلما دخل الكفار البلد نادى الشيخ وأصحابه الباقون : الصلاة جامعة ، ثم قال : قوموا فقاتل في سبيل الله ، ودخل البيت ، ولبس خرقة شيخه ، وحمل على العدو فرماهم بالحجارة ، ورموه بالنبل ، وجعل يدور ويرقص حتى أصابه سهم في صدره ، فزرعه ورمى به نحو السماء ، وفار الدم وهو يقول : إن أردت فاقتلني بالوصل أو بالفراق ، ثم مات ، ودفن في رباطه رحمه الله تعالى وتنع به • وممن رثاه المؤيد بن يوسف الصلاحي فقال : ما زال يجهد في مرضاة خالقه وما أعد له الرحمن ما كسبا

من ذا رأى بحر علم في بحار دمٍ يجري إذا ما طفت أنواره سبياً
أبح له يا إله الخلق نيل منى لا يدرك الكنه منه حاسبٌ حساباً

وفيها أبو نصر موسى^(١) بن الشيخ عبد القادر الجيلاني ، نفع الله به ، روى عن أبيه وعن سعيد بن البناء وابن ناصر وأبي الوقت ، وسكن دمشق ، ومات بها •

وفيها أبو الدر ياقوت بن عبد الله الموصلبي ، الكاتب المشهور بالخط ، أخذ النحو عن ابن الدهان ، وقرأ عليه جملة من تصانيفه وغيرها ، وكان ينقل صحاح الجوهري ، وكتب منها نسخاً كثيرة ، كل نسخة في مجلد واحد يباع بمائة دينار • وقصده الناس ، وسير له النجيب الواسطي قصيدة مدحه بها ، أولها :

أين غزلان عالج والمصلى من ظباءٍ يسكن نهر المعلى

قال اليافعي : وهذا وإن كان في النظم مليحاً فهو في المعنى قبيح لاستحقاقه غزلان المصلى ، والله أعلم •

سنة تسع عشرة وستمائة

توفي أبو العباس خضر^(٢) الإربلي ، الفقيه الشافعي ، تفنن في العلوم مع الزهد والورع ، وهو أول من درس بإربل ، وله تصانيف حسان في التفسير والفقه ، وله كتاب ذكر فيه ستاً وعشرين خطبة للنبي ﷺ ، كلها مسندة ، وانتفع به خلق كثير •

وفيها الشيخ الشهير بالكرامات يوسف بن يونس^(٣) الشيباني • قال الذهبي : وهو شيخ الطائفة اليونسية أولي الشطح وقلة العقل وكثرة الجهل ، أبعده الله شرهم • وكان صاحب حال وكشف ، تحكى عنه كرامات •

(١) كذا في ب ومرآة الجنان ٤/٤٢ ، وفي الأصل : محمد بن الشيخ •

(٢) في مرآة الجنان ٤/٤٥ : نصر بن خضر الإربلي •

(٣) في مرآة الجنان ٤/٤٦ : يونس بن يوسف •

سنة عشرين وستمائة

توفي شيخ الشافعية بالشام فخر الدين بن عساكر ابن أخي الإمام أبي القاسم .
كان فخر الدين عالماً مسدداً في الفتاوى ، لا يمل ناظره من رؤيته لحسن سمته ونور
وجهه وكثرة ذكره لله تعالى ، وانتفع به خلق وصاروا أئمة ، وله مصنفات في الفقه
لم تنشر ، وقبره يزار بخانقاه الصوفية بظاهر دمشق ، ومن شعره :

خَفَّ إِذَا أَصْبَحْتَ تَرْجُو وَارْجُ إِذَا أَصْبَحْتَ خَائِفَ
كَمْ أَتَى الدَّهْرَ بَعْسَ فِيهِ لِلَّهِ لَطَائِفَ

وفيها الشيخ موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد^(١) بن قدامة المقدسي
الحنبلي ، صاحب التصانيف ، ارتحل إلى بغداد ، وأدرك الشيخ عبد القادر الجيلاني
وسمع منه ، وكان مستغرق الأوقات في العلم والعمل . قال بعض الأئمة : رأيت الإمام
أحمد في النوم فقال : ما قصر صاحبكم الموفق في شرح الخرقى . وقال ابن الصلاح :
ما رأيت مثل الموفق .

سنة إحدى وعشرين وستمائة

رجع التتر إلى الري وقد تراجع أهلها فأحاطوا بهم ، ثم ساروا إلى ساوة ففعلوا
بأهلها كذلك ، ثم قاشان ، ثم همدان ، ثم ساروا إلى تبريز ، ووقع بينهم وبين
الخوارزمية مصاف .

وفيها الشيخ العارف أبو الحسن القرشي ، كان صاحب حال وكشف وصدق ،
وهو الذي حكى أنه قال : أربعة يتصرفون في قبورهم كنعرف الأحياء : الشيخ
عبد القادر ، ومعروف ، وعقيل المنبجي ، وحيوة بن قيس الحراني ، نفع الله بهم .

وفيها شيخ المالكية محمد بن محمد الأنصاري الإشيبلي ، تعصب لمذهبه ،
وأوذي من جهة بني عبد المؤمن لما أبطلوا القياس وألزموا الناس الأخذ بالظواهر ،
وكان قد صنف كتاب (الملعى في الرد على المحلي لابن حزم) .

(١) كذا في ب ومرآة الجنان ٤/٤٧ ، وفي الأصل : محمد بن أحمد .

سنة اثنتين وعشرين وستمائة

جاء جلال الدين بن خوارزم فذق دقوقاً وأحرقها ، وهم بهجم بغداد ، فحشد الخليفة الناصر ، وأنفق الأموال ، وأعلم ابن خوارزم شاه أن الكرج خرجوا على بلاده ، فرجع إليهم وقتل منهم سبعين ألفاً ، ثم أخذ تفليس وقتل بها ثمانين ألفاً ، ثم أخذ تبريز بالأمان ، وتزوج ابنة السلطان ابن سلجوق .

وفيها أيضاً أبو الدر ياقوت بن عبد الله الرومي مهذب الدين الشاعر ، تفتن في العلم ، وأجاد النظم ، ولما اشتهر سمي نفسه عبد الرحمن ، وجد ميتاً بمنزله ببغداد ، ومن شعره :

إن غاض دمعك والأحباب قد بانوا فكل ما تدعي زور وبهتان
وكيف تأنس أو تنسى خيالهم وقد خلا منهم ربع وأوطان

وفيها توفي الخليفة الناصر العباسي ببغداد ، وكان فيه شهامة وشجاعة ، متفقداً لأحوال المملكة ، [يتولى ذلك بنفسه]^(١) ، وما زال في عز وسعادة وظفر ، وعمر في الخلافة نحو سبع وأربعين سنة ، فهو أطول بني العباس خلافة كالناصر الأموي صاحب الأندلس ، وكالمستنصر العبيدي في العبيديين ، وكسنجر في بني سلجوق ، وكالعاذل في بني أيوب .

وفيها الإمام كمال الدين ابن الإمام كمال الدين بن يونس الموصلية ، كثير المحفوظات ، غزير المادة ، حسن السمات ، جميل المنظر . شرح (التنبيه) واختصر (الإحياء) مرتين كبيراً وصغيراً ، وكان يلقي دروس (الإحياء) حفظاً ، وينسج على منوال أبيه في فنون العلم ، وتخرج به جماعة ، ودرس ياربل والقاهرة^(٢) . قال ابن

(١) زيادة من ب .

(٢) في مرآة الجنان ٥١/٤ : « ثم انتقل إلى الموصل سنة سبع عشرة وستمائة وفوضت إليه المدرسة القاهرية » . وفي الأصل وب : القاهرة ، وهو خطأ .

خلكان : وكان من محاسن الوجود ، ولا أذكره إلا وتصغر الدنيا في عيني ، وكان اشتغاله على أبيه ببلده الموصل ، وكان الفقهاء يتعجبون منه : كيف استفاد في وطنه بين أهله واشتغاله ، لكنهم بيت علم • وأظن في مدح أبيه وعمه وجده وقال : لو شرعت في وصف محاسنه لأطلت ، ولم يتغرب لأجل اشتغاله بالعلم • قال اليافعي : وأما شرحه للتنبيه فهو غير جدير بالمدح •

وفيها الفخر الفارسي محمد بن إبراهيم الفيروزآبادي الشافعي الصوفي ، صاحب العلوم الربانية الغامضة ، هذا كلام اليافعي ، وقم على الذهبي ، وتوفي وقد نيف على السبعين ، وقبره بالقرافة مشهور مزور •

سنة ثلاث وعشرين وستمائة

توفي أبو العز مظفر العلاني^(١) الشاعر المصري الأعمى العروضي ، له ديوان حسن ، منه :

قالوا عشقت وأنت أعمى ظيلاً كحيل الطرف ألمي

وفيها الظاهر بأمر الله بن الناصر الخليفة ببغداد ، ومدته تسعة أشهر ، وشبهت سيرته بالعمرين ؛ لأنه أبطل المكوس ، وأزال المظالم ، مع الدين المتين •

وفيها الإمام البارع أبو القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم القزويني المشهور بالرافعي ، صاحب (العزيز في شرح الوجيز) الجامع لدقائق المذهب وغوامضه وتصحيحه وتنقيحه ، ولم يسبق إلى مثله ، وصاحب (المحرر) معتمد المفتين ، ولما استكمل مجيبي الدين رحمه الله كنهه أعجب بتصانيفه واختصر كتابه وأثنى عليه •

ومن كراماته أنه أضاءت له شجرة في داره لما انطفأ السراج الذي يستضيء به حال التصنيف •

(١) في مرآة الجنان ٥٤/٤ : العيلاني .

سنة أربع وعشرين وستمائة

مات تمرجين طاغية التتر وسلطانهم الأعظم ، الذي جيش الجيوش ، وخرب البلاد ، وأوسع القتل ، ودانت له الخلق وأطاعوه ولا طاعة الأبرار للملك الجبار .
وأصل مخرجه من بادية الصين ، والتتر بعد موته خربت (١) .

وفيها الملك الأعظم سلطان الشام عيسى بن الملك العادل الفقيه الأديب ، شرح (الجامع الكبير) بمجلدات بإعانة غيره ، وسمع كثيراً ، وكان لا يلتفت إلى النواقيس وأبهة الملوك ، يركب وحده مراراً ثم يلحقه مماليكه بعد ، وكان حنفياً شديداً التعصب لمذهبه ، ولم يكن في بني أيوب حنفي سواه . وتبعه أولاده ، وكان قد شرط لمن حفظ المفصل للزمخشري مائة دينار وخلعة ، فحفظه جماعة لهذا السبب . وكان من النجباء الأذكياء .

سنة ست وعشرين وستمائة

توفي المسعود بن الكامل - وقد تقدم خبر المسعود - ابن العادل صاحب اليمن بمكة ، وتولاه الشيخ الصالح صديق الكردي توصية منه ، وجهزه جهاز الفقراء . ولما انتهى الخبر إلى والده أراد أن يكافئ الشيخ صديقاً فأبى وقال : إنما جهزته قصد الله تعالى .

سنة سبع وعشرين وستمائة

توفي زين الأمانة أبو البركات بن عساكر ، وكان صالحاً حسن السمات ، تفقه وبرع ، وولي نظر الخزانة والأوقاف ، ثم ترك وتزهده .

وفيها أبو محمد عبد السلام بن عبد الرحمن بن الشيخ العارف أبي الحكم ابن برجان اللخمي المغربي ثم الإثيبي ، حامل لواء اللغة بالأندلس .

(١) في ب : وللتتر بعد موته خرجات .

سنة ثمان وعشرين وستمائة

توفي شيخ الطب المذهب الدمشقي الذي وقف المدرسة الحسنة الصنعة على الأطباء^(١) ، أخذ الصناعة عن أبي المطران والرحبي ، وحظي عند الملوك ، وخرس في آخر عمره ، وعالج نفسه بأنواع العلاج فلم ينتفع .

وفيها الإمام النحوي يحيى بن المعطي^(٢) بن عبد النور الزواوي نسبة إلى زواوة قبيلة كبيرة بأعمال إفريقية . روى عن القاسم بن عساكر وغيره . وانفرد بعلم العربية ، وصنف الألفية المشهورة وغيرها . ومات بمصر ، وقبره قريب من تربة الشافعي .

وفيها توفي ابن المعلم أبو القاسم عبد الرحمن النهرجوني . ونهرجون : محلة بواسطة .

سنة تسع وعشرين وستمائة

توفي السلطان جلال الدين خوارزم شاه ابن السلطان علاء الدين ، وكانت له محاسن ومساوىء ، فمن محاسنه أنه أوقع بالنتار مراراً ، قيل : ومع ذلك فقد كان صحيح الإسلام ، يخلو بالمصحف ويقرأ ويكي ، دخل عليه كردي وقد تفرق عنه أصحابه فقتله . ثم ظلم وعسف ، وفعل ببلاد إسلامية افتتحها كخلائط وغيرها كفعل النتار مراراً .

وفيها الحافظ الرحال محمد بن عبد الغني ، عرف بابن نقطة الحنبلي ، كان من المكثرين في الحديث المهتمين فيه الراحلين في طلبه . ذيل على كتاب (الإكمال) لابن ماكولا وما أقصر فيه ، وجاء في مجلدين . وله كتاب (التقييد لمعرفة رواة السنن والمسافيد) . وكان ينشد لغیره :

لا تظهرن لعادل أو غادر حاليك في السراء والضراء
فلرحمة المتوجعين مرارة في القلب مثل شماتة الأعداء

(١) في مرآة الجنان ٦٥/٤ : واقف المدرسة التي بالصاغة العتيقة على الأطباء .

(٢) في مرآة الجنان وب : عبد المعطي .

سنة ثلاثين وستمائة

توفي القاضي إبراهيم بن شاكر التنوخي الشافعي ، والد تقي الدين إسماعيل ، ولي القضاء بالمعرة خمس سنين ، وفي ذلك يقول :

وليت الحكمَ خمساً هن خمّس لعمرى والصبا في العنقوان
فلم تضع الأعادي قدرَ شاني ولا قالوا فلان قد رشاني

قوله : (هن خمس لعمرى) يعني أن عمره يومئذ خمس وعشرون سنة .

وفيها إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن صاحب المغرب ، كان شجاعاً مهيباً سفاكاً .

وفيها الحافظ ابن الأثير الإمام أبو الحسن علي بن محمد الجزري صاحب (التاريخ) و (معرفة الصحابة) وغيرها ، واختصر كتاب (الأنساب) للسمعاني واستدرك عليه أشياء ، وهو مفيد جداً في ثلاث مجلدات ، والأصل في ثمان ، ومختصره هو الموجود اليوم في أيدي الناس ، وله كتاب (أخبار الصحابة) في ستة مجلدات . وكان كثير الفوائد والفضائل لأهل الموصل .

وفيها الحافظ الرحال ابن الحاجب عمر بن محمد الدمشقي ، خرج لنفسه معجماً في بضع وستين جزءاً .

وفيها أبو المحاسن محمد بن نصر الشاعر ، عرف بابن عثين ، لم يكن في آخر عمره من يقاس به ، متفنناً في أساليب الشعر ، مولعاً بالهجو ، وله قصيدة طويلة ، جمع فيها رؤساء دمشق وغيرهم ، سماها (مقراض الأعراض) فأخرجه السلطان [صلاح الدين] ^(١) بسبب ذلك إلى الهند ، وكتب إلى أخيه من الهند .

سامحت كتبك في القطيعة عالماً أن الصحيفة لم تجد من حاملٍ
وعذرت طيفك في الخفاء لأنه يسري ويصبح دوننا بمراحلٍ

(١) زيادة من ب .

ولما مات صلاح الدين استعطف العادل بقصيدة أولها :
ماذا على طيف الأجابة لو سرى وعليهم لو ساعدوني بالكرى

فأذن له بالرجوع ، فلما استقر في دمشق قال :
هجوت الأكابر في جلقٍ ورعت الوضيع بسب الرفيع
وأخرجت منها ولكنني رجعت على رغم أنف الجميع
وتولى الوزارة للمعظم ، ومات وله نحو من ثمانين سنة .

وجلق - بكسر الجيم واللام - : موضع بالشام .

سنة إحدى وثلاثين وستمائة

تكامل بناء المستنصرية ببغداد على المذاهب الأربعة . قيل : ولا نظير لها في الدنيا .

قال الياضي : لو تمت بعد نيف وسبعمائة وستين مدرسة حسن بن محمد بن قلاوون في مصر ما كان في الدنيا مثلها فيما شاع عن الجهم الغفير .

وفيهما الإمام العلامة علي بن أبي علي بن محمد سيف الدين الأمدي الثعلبي الحنبلي ، صاحب التصانيف العديدة المفيدة . كان حنبلياً ثم تشقّق ، وانتفع بأبي القاسم بن فضلان ، وبرع في الأصول ، ثم اشتغل بالمعقولات حتى كان أحفظ أهل زمانه لها ، ودرس بالمدرسة المجاورة لقبر الشافعي ، واشتهر فضله ، وعظم نفعه ، ثم حسده فقهاء مصر ونسبوه إلى التعطيل ومذهب الفلاسفة ، وكتبوا محضراً يتضمن ذلك ، ومقتضاه إباحة دمه ، فلما رأى بعضهم ذلك الإفراط وقد حملت إليه الكتب كما كتبوا كتب :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا فضله فلكل أعداء له وخصوم

واستوطن حماة ، وصنف في الأصولين والحكمة والخلاف ، ثم انتقل إلى دمشق ومات بها ، وقبره بسفح جبل قاسيون ، وعمره ثمانون سنة . وآمد : مدينة في بلاد بكر مجاورة للروم .

وفيها الشيخ الصالح القدوة عبد الله بن يونس الأرموي ^(١) ، كان صالحاً متواضعاً طارحاً للحشمة ، يمشي وحده ، ويشترى حاجته بنفسه ، وله أحوال ومجاهدات وزاوية بجبل قاسيون •

وفيها قاضي القضاة ابن فضالان محمد بن يحيى البغدادي الشافعي ، تقفه على والده أبي القاسم ، وبرع في المذهب والأصول والخلاف والنظر ، ولاه الناصر وعزله الظاهر •

سنة اثنتين وثلاثين وستمائة

توفي ابن الفارض ، وهو الشيخ العارف عمر بن علي الحموي الأصل ، المصري المولد والوفاة ، شرف الدين • قيل : دخل في بدايته مدرسة بمصر فوجد شيخاً بقالاً يتوضأ بغير ترتيب ، فأفكر عليه ، فقال البقال : يا عمر ، أنت ما يفتح عليك بمصر إنما يفتح عليك بمكة ، وأشار له إليها ، ثم بعد ذلك سمع ذلك الشيخ البقال يقول له : يا عمر ، احضر ، فجاء إليه ، فأعطاه ديناراً وقال : جهزي به ، ثم احملني فضني في هذا المكان ، ثم انتظر ما يكون من أمري • قال : فحملته ووضعتنه حيث أمر ، فنزل رجل من الهواء فصلينا عليه ، ثم وقفنا ننتظر ، فامتأل الجو بطيور خضر ، فجاء طير كبير منها فابتلعه ، فتعجبت ، فقال لي ذلك الرجل : «أرواح الشهداء في حواصل طير خضر ترعى في الجنة» ، أولئك شهداء السيوف ، وأما شهداء المحبة فأجسامهم أرواح ، رضي الله عنهم ونفعنا بهم •

قيل : إن شرف الدين اجتمع بالشيخ شهاب الدين السهروردي بمكة ، وكان قد خطر بقلب الشيخ : هل ذكرت في هذا الموسم ؟ فأنشده ابن الفارض قصيدته إلى أن قال :

ما بين معترك الأحداق والمهج أنا القليل بلا إثم ولا حرج

(١) كذا في ب ، وفي الأصل ومرآة الجنان ٧٥/٤ : الأرموني •

إلى أن قال :

أهلاً بمن لم أكن أهلاً لموقعه قول المبشر بعد اليأس بالفرج
لك البشارة فاخلع ما عليك فقد ذكرت ثم على ما فيك من عوج

فتواجد الشيخ وأصحابه ، وخلعوا عليه •

وهذا ما نقله الفقيه حسين عن ابن خلكان والياضي • ورد عليهم في الثناء عليه ، وذكر أن حاله خفي عن السهروردي والجعفي (١) وغيرهم ممن أثنى عليه من أهل الخير والصلاح ، وقال : له خزعبلات لا تخفى على فطن ، فلا يعتبر بثناء الياضي عليه وغيره ، ففي قصيدته الثائية فضائح من مذهب الإلحاد والدعاوى والترفع والاتحاد • انتهى قوله •

وأما ابن خلكان فقال : سمعت أنه كان رجلاً صالحاً على قدم التجرد ، حسن الصحبة ، حسن السيرة •

مات بمصر ، ودفن بسفح جبل المقطم رحمه الله • والفارض : الذي يكتب الفروض للنساء على الرجال •

وفيها شيخ الطريقين وإمام الفريقين شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد التيمي البكري السهروردي صاحب التصانيف النافعة الفائقة الرائقة ، منها : (عوارف المعارف) و (العقيدة) المشهورة السنية التي صنفها بمكة • قال الياضي : رويتها عن غير واحد بسندهم إليه ، وكان إذا أشكل عليه شيء حال تأليفها تضرع إلى الله في التوفيق لإصابة الحق والتحقيق • تخرج أولاً بعمه أبي النجيب عبد القاهر (٢) في فقه الشافعي والتصوف والوعظ والحديث • وصحب الشيخ عبد القادر الجيلاني والشيخ أبا محمد بن عبد الله البصري ، وسمع الحديث أيضاً من أبي زرعة

(١) في ب : والجعبري .

(٢) في ب : عبد القادر .

وآخرين ، وجلس في مدرسة عمه على دجلة للوعظ فألقي له القبول ، وقصد من الآفاق ، وظهرت بركات أفناسه في توبة العصاة ، وأعطي من الجاه عند الملوك ما لم يكن لسواه ، ولم يكن في آخر عمره مثله • وقد قال له سيدنا الشيخ عبد القادر : يا عمر ، أنت آخر المشهورين بالعراق • حكى أنه أشد على الكرسي :

لا تسقني وحدي فما عودتي أني أشح بها على جلاسي
أنت الكريم ولا يليق تكرمأ أن تعدم الجلاس ذوق الكاس

فتواجد الناس ، وقطعت شعور كثير منهم ، وتاب جمع كثير منهم •

قال اليافعي : بيني وبينه اثنان في كتابة المعارف والعقيدة ولبس الخرقه • وقال : رأيت في النوم أعطاني سجادة •

وكتب إليه بعض أصحابه : إن عملت داخلي العجب ، وإن تركت أخذت إلى البطالة ، فأيتهما أولى ؟ فقال : اعمل واستغفر الله •

وفيها قاضي القضاة ابن شداد أبو العريف ^(١) يوسف بن رافع الأسدي الحلبي الشافعي ، صنف (ملجأ الحكام عند التباس الأحكام) وكتاب (دلائل الأحكام) وغيرها • وتولى قضاء العسكر والحكم بالقدس الشريف لصالح الدين ، وعرض عليه الظاهر الحكم بحلب فامتنع ثم قبل بعد ذلك • وذكر صاحب الأصل هنا أن خمسة فقهاء ببغداد تواطؤوا على شرب البلاذر للحفظ والفهم ، ففعلوا ؛ فجنّوا جميعهم ، وجاء واحد منهم إلى المدرسة وهو عريان ، عليه سكينه ووقار فقال : جن أصحابي وما سلم إلا أنا وحدي •

وفيها الملك الزاهد ابن صلاح الدين ، صاحب قلعة البيرة : قرية من ثغور الروم بقرب سميساط • وكان يجب العلماء ، وهو الثاني [عشر] ^(٢) من أولاد صلاح الدين •

(١) كذا في النسختين ، وفي مرآة الجنان ٨٢/٤ : أبو العز .

(٢) زيادة من ب ومرآة الجنان ٨٤/٤

سنة ثلاث وثلاثين وستمائة

توفي ابن دحية الحافظ ، وهو عمر بن حسن^(١) الكلبي الأندلسي [الداني]^(٢) ، كان من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء ، جل شغله بالحديث ، جعله الكامل شيخ الحديث بالقاهرة وقاضي القضاة ، وقد تكلم فيه .

وفيها الشيخ نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلاني ، فقهه ودرس وناظر وأفنى ، وولي القضاء ، وعزل بعد أشهر ، وكان متواضعاً بين الديانة ، متحريراً في القضاء ، قوي النفس في الحق مع عدم التكلف والمحاباة .

سنة أربع وثلاثين وستمائة

توفي الملك المحسن بن صلاح الدين ، سمع الحديث وأكثر ، وكان متزهداً ، وأفضل على المحدثين كثيراً . قال الذهبي : وفيه تشييع .

وفيها بقية أعلام الأثر الحافظ أبو الريح الكلاعي سليمان بن موسى الأندلسي ، فاق أهل زمانه في الجرح والتعديل والمواليد والأنساب والوفيات والنظم . وله تصانيف في فنون ، استشهد في سبيل الله مقبلاً غير مدبر .

وفيها الناصح ابن الحنبلي عبد الرحمن^(٣) بن نجم الدين الأنصاري الشيرازي ، له (تاريخ الوعاظ) وخطب ومقامات .

وفيها صاحب الروم علاء الدين السلجوقي ، كان ملكاً جليلاً ، متسع الممالك ، تزوج بابنة الكامل بن أيوب .

(١) كذا في ب ومرآة الجنان ٨٤/٤ ، وفي الاصل : عمر بن حسين .

(٢) زيادة من ب ومرآة الجنان ٨٤/٤ .

(٣) في مرآة الجنان ٨٦/٤ : عبد الوهاب .

وفيها أبو الحسن المؤرخ ، وهو محمد بن أحمد البغدادي المحدث ، أخذ الوعظ عن ابن الجوزي ، وهو آخر من حدث بالبخاري سماعاً عن أبي الوقت السجزي^(١) ، وضعفه ابن النجار .

سنة خمس وثلاثين وستمائة^(٢)

توفي الملك الأشرف موسى بن العادل بن أيوب صاحب دمشق ، وولي بعده أخوه الصالح إسماعيل ، فسار الملك الكامل إلى دمشق وأخذها ، وذهب إسماعيل إلى بعلبك . ونزل الكامل قلعة دمشق القلندرية والحيدرية ، ومرض ومات بعد شهرين . وكان الأشرف ذا سيرة جميلة جداً ، محبباً إلى الرعايا ، ومع اتساع مملكته لم يوجد في خزائنه شيء من المال ، بل كان يدان من التجار . وكان مؤيداً بالنصر ، هزم أرسلان شاه صاحب الموصل وصاحب الروم وابن عمه الأفضل وغيرهم .

وفيها توفي الملك الكامل أبو المعالي محمد بن العادل بن أيوب أخو الأشرف موسى ووالد المسعود صاحب اليمن والحجاز . قال فيه الخطيب : صاحب مكة وعبيدها ، واليمن وزبيدها ، ومصر وصعيدها ، والشام وصناديدها ، والجزيرة ووليدها ، سلطان القبليتين ورب العلامتين ، وخدام الحرمين الشريفين ، أبو المعالي الملك الكامل . قال ابن خلكان : رأته بدمشق راجعاً من بلاد الشرق وفي خدمته يومئذ بضعة عشر ملكاً منهم أخوه موسى الأشرف .

ومحاسن الكامل وأبيه العادل وابنه المسعود كثيرة مشهورة في الدين والدنيا ، قاطعة الوصف بالنسبة إلى ملوك زمنهم ، وقاصرة بالنسبة إلى الدولتين قبله النورية والصلاحية . وللكمال هفوة جرت منه عفا الله عنه ، وذلك أنه سلم بيت المقدس مرة إلى الفرنج اختياراً ، نعوذ بالله من سخط الله وموالاته أعداء الله .

(١) في الأصل : الشجري .

(٢) هذا العنوان نقص من النسختين ، واستدرك من مرآة الجنان ٨٦/٤ .

سنة ست وثلاثين وستمائة

توفي الشيخ العارف بالله أبو العباس أحمد بن علي القسطلاني الفقيه المالكي ، زاهد مصر ، صحب الشيخ أبا عبد الله القرشي وتلمذ له ، وكان القارىء في مواعيده ، وتزوج بعده زوجته الصالحة الجليلة أم ولده قطب الدين الإمام المحدث . جاور أبو العباس بمكة ، وتوفي بها ، وقبره يزار في الشعب الأيسر . وحكي أن أهل المدينة أجذبوا ، واتفق أن يستسقوا يوماً ، والغرباء والمجاورون يوماً ، فاستسقى أهل المدينة يومهم فلم يسقوا ، ثم عمل هو طعاماً للضعفاء ، واستسقى مع المجاورين ، فسقوا . وله مؤلف جمع فيه كلام شيخه القرشي وبعض كراماته . وكان رحمه الله فقيهاً مدرساً محدثاً .

سنة سبع وثلاثين وستمائة

الحافظ المؤرخ المغربي أبو عبد الله محمد بن سعيد الدشيشي الواسطي الشافعي واسع العلم ، غزير الحفظ في الحديث وغيره ، ذيل على تاريخ السمعاني الذي ذيله على تاريخ بغداد للخطيب ، وصنف تاريخاً بواسط ، وأنشد لنفسه .

خبرت بني الأيام طراً فلم أجد	صديقاً صدوقاً مسعداً في النوائب
وأصفيتهم مني الوداد فقابلوا	صفاء ودادي بالعدا والشوائب
وما اخترت منهم واحداً وارتضيت	فأحمدته في فعله والعواقب

فأخذ من أبيات الشافعي التي يقول فيها :

وما أكثر الإخوان حين تعدهم ولكنهم في النائبات قليل

وفيها أبو البركات المبارك بن أبي الفتح اللخمي الإربلي ، عرف بابن المستوفي ، كان أحد الحفاظ واسع الكرم ، لم يصل إلى إربل أحد من الفضلاء إلا بادر إلى زيارته ، وحمل إليه ما يليق بشأنه ، جمع لإربل تاريخاً في أربع مجلدات ، وله كتاب (النظام في شعر المتنبي وأبي تمام) في عشر مجلدات وله (المحصل في أبيات المفصل) في مجلدين ، وله كتاب (سر الصنعة) ، وله كتاب سماه (أبا قماش) جمع فيه آداباً ونوادير . وكان مستوفي الديوان ، وكذلك كان أبوه ، وهي منزلة تلي الوزارة

وشكرت سيرته فيها • ولما مات السلطان مظفر الدين قعد في بيته ، وكان عمه أبو الحسن فاضلاً ، وهو الذي نقل (نصيحة الملوك) للغزالي من الفارسية إلى العربية ، فإن الغزالي لم يضعها إلا بالفارسي •

أرسل أبو البركات المستوفي ديناراً إلى شاعر على يد رجل يقال له : الكمال ، وكان الدينار مثلوماً ، فتوهم الشاعر أن الكمال نقصه ، فكتب :

يا أيها المولى الوزير ومن به في الجود حقاً تضرب الأمثال
أرسلت بدر التم عند كماله حسناً فوافي العيد وهو هلال
ما عابه النقصان إلا أنه بلغ الكمال كذلك الآجال
فأجاز الشاعر وأحسن إليه •

ورثاه بعضهم يوم مات فقال :

أبا البركات لو درت المنايا بأنك فرد عصرك لم تصبكا
كفى الإسلام رزاً فقد شخصه عليه بأعين الثقلين يبكي

وفيها أبو الفتح بن الأثير الشيباني ، وهو نصر بن أبي الكرم ، الملقب ضياء الدين الجزري العلامة • ولد بجزيرة ابن عمر ، ونشأ بها ، وانتقل مع والده إلى الموصل ، وحصل العلوم والأحاديث النبوية ، وانتهت إليه رئاسة الإنشاء والترسل (١) ، [توزير للأفضل] (٢) ، ثم تنقلت به الأحوال إلى أن هم أهل دمشق بقتله ، فخرج مستخفياً في صندوق مقفل عليه إلى مصر ، ثم إلى حلب ، ثم إلى سنجار ، ثم إلى الموصل وتوفي بها • وله تصانيف دلت على غزارة فضله ، منها : (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) ، وكتاب (الوشي المرقوم في حل المنظوم) • وله رسائل بليغة أغرب فيها وجاوز الحد وطفى ، وكان هو وأخوه أبو السعادات وعز الدين كلهم نجباء رؤساء ، لكل منهم تصانيف •

وفيها أبو الحسن علي بن أحمد التجيبي المرسي ، كان متقناً عارفاً بالنحو ، سكن حماة ، وله تفسير عجيب •

(١) كذا في ب ومرآة الجنان ٩٧/٤ ، وفي الأصل : وانتهت إليه رئاسة نيسابور .

(٢) زيادة من ب .

سنة ثمان وثلاثين وستمائة

سلم الملك الصالح بن أيوب قلعة الشقيف للفرنج لغرض في نفسه ، فمقتسه المسلمون ، وأنكر عليه الشيخ عز الدين بن عبد السلام وأبو عمرو بن الحاجب ، فسجنهما وعزل ابن عبد السلام عن الخطابة بدمشق .

وفيهما توفي محيي الدين بن عربي أبو بكر محمد بن علي الطائفي الحاتمي المرسي الصوفي ، نزيل دمشق ، صاحب التصانيف ، وقدوة القائلين بوحدة الوجود . ولد سنة ستين وخمسائة ، روى عن ابن بشكوال وطائفة ، وتنقل في البلاد ، وسكن الروم مدة ، واتهم بأمر عظيم . هذه ترجمة الذهبي فيه . وحكى اليافعي قال : بلغني أنه اجتمع بالشيخ شهاب الدين السهروردي وافترقا من غير كلام ، فسئل عنه الشيخ شهاب الدين فقال : [بحر الحقائق ، وسئل هو عن الشيخ شهاب الدين فقال]^(١) : مملوء حكمة من قرنه إلى قدمه .

وشرح الإمام ابن الزمكاني كتابه (الفصوص) ووجه كلامه بوجوه ، ونفى عنه الظنة . قال اليافعي : وكل من اختلف في تكفيره فمذهبي فيه التوقف ووكول أمره إلى الله .

قلت : وهذا من اليافعي ، مع كون الغالب عليه حسن الظن بالمنسويين إلى التصوف أمر عظيم .

وقال الفقيه حسين : من طالع كتبه وتحقق مقاصده علم أنه قائل بوحدة الوجود ومذهب الجبرية المشركين ، وبناء على ذلك القول بقدم العالم ، وتصويب عبدة العجل والأصنام حيث صرح بأنهم ما عبدوا غير الله ، بل صوب جميع الفرق ، وقطع بأن فرعون مات مؤمناً ، وقال بالاتحاد والتشبيه والتجسيم ، وذكر أن المرء إما جاهل وإما صاحب سوء أدب ، وأن الحق تعالى يظهر بصفات المحدثات ، وأن المخلوق قد يظهر بصفات الحق من أولها إلى آخرها ، وكلها حق له كما أن صفات المحدثات حق للحق ، وأن السنة والشرائع إنما جاءت تفهيماً للعامة حتى تأول ما ورد في القرآن

(١) زيادة من ب .

من ذكر البعث والنشور والجهة وغير ذلك • وحرف معاني التفسير كتحريفه قصة قوم نوح وقوم هود وغيرهم ، مما إذا وقف عليه العالم قطع بأنه لا يقوله صوفي بل ولا مسلم ، فما عسى أن يقول شارحه؟! فقد رأيت بعض شروحه ، فما وجهه إلا بتقرير قواعده ، وكل مسندهاته ترجع إلى أصول الفلاسفة إلا القول بالاتحاد فإنه مذهب النصارى والباطنية ، وإلا تحريف القرآن فإنه مذهب الباطنية •

وعدد جماعة ممن سبقه بالإنكار والرد عليه وتكفيره كزين الدين المراني وشيخه تقي الدين السبكي ونور الدين الدرعي والذهبي، [وتقي الدين الفاسي] (١) • ثم قال : واعلم أن حسن الظن ، وإن كان حسناً مأموراً به ، فذلك إذا لم يجر إلى مخالفة الشرع ، فأما من خالف وصمم وابتدع واتخذ مذهباً يدعو إليه فلا يجوز تحسين الظن به •

هذا بعض كلام الفقيه حسين رحمه الله ، وفيه طول ، ويظهر — والله أعلم — أن ما حمله على ذلك الحمية لله تعالى ولجانب الشرع ، والله أعلم بالنيات •

وقد اعتذر العلماء عن شطح من صلحاء الصوفية أهل الكرامات والعقائد السنية ، وسامحهم في حالة السكر والغيبة والذهول ، وقالوا في كثير منها : لعله لا يصح عنهم ذلك لبعث الزمان وكثرة الوسائط ، وإن صح فإن كان في غيبة وحالة يرتفع فيها التكليف فذاك عذر شرعي ، وإن لم يكن تَسْبَعَتْ وجوه الاحتمالات والمعاذير ما أمكن ؛ وذلك أن الخطأ في الاعتذار أهون من الخطأ في التفسيق والتكفير؛ لأن الكفر يحتاج مدعيه على غيره إلى التواتر الصريح (٢) في الطرفين والوسط • من ذلك قول شهاب الدين السهروردي ما يحكى عن أبي يزيد من قوله : (سبحاني) : حاشا أن يعتقد في أبي يزيد أنه يقول ذلك إلا على معنى الحكاية عن الله تعالى ، قال : وهكذا ينبغي أن يعتقد في الحلاج وقوله : (أنا الحق) • وقد سبقه إلى ذلك الغزالي وغيره •

(١) زيادة من ب . (٢) كذا في ب ، وفي الأصل : الصحيح •

قال بعضهم : ولا يصدر الشطح من أهل الحال السليم المحفوظين في غيبتهم وحضورهم ، وإنما سمي حالهم سليماً لسلامة الناس من الوقوع فيهم حيث استقامت ظواهرهم أقوالاً وأفعالاً على الكتاب والسنة ، فحسن الاقتداء بهم في عموم أحوالهم . وقد قيل للشبلي رحمه الله : ما علامة صحتك في حالك ؟ فقال : إنه لا يجري عليّ في أوقات الغيبة ما يخالف الصحة . وقيل للجنيّد : إن أبا الحسين النوري بقي سبعة أيام لا يأكل فيها ولا يشرب يقول : الله الله . فقال الجنيّد : انظروه في أوقات الصلاة ، فقيل له : إنه يصلي الفرائض ، فقال : الحمد لله الذي لم يجعل عليه للشيطان سبيلاً . فهذا كله خارج عن عقائد المخالفين المبتدعين الذين اتخذوها مذهباً وألفوا فيها كتباً ، فهؤلاء لا يسع أهل السنة إلا الرد والإنكار عليهم بحسب الإمكان ، والله أعلم .

سنة تسع وثلاثين وستمائة

الإمام العلامة [أبو الفتح] ^(١) الملقب بالكمال موسى بن يونس الموصلّي الشافعي ، أحد الأعلام ، تفقه أولاً على والده ، ثم على السيد التلمساني ، وابن سعدون القرطبي ، والكمال الأنباري وغيرهم ، واطلع على علوم جمة وبرع فيها ، حتى قيل : إنه حقق ^(٢) في أربعة وعشرين فناً تحقيقاً تاماً ، وكان يفيد أهل المذاهب في مذاهبهم ، وأهل الحكمة في فنهم ، حتى قيل : إنه استفاد منه أهل الذمة في التوراة والإنجيل وشرح معانيها . قال الياضي : وهذا إن صح فمذموم . وكان ابن الصلاح يظنّب في الثناء عليه حتى قيل له : من شيخه ؟ فقال للسائل : هذا الرجل خلقه الله عالماً ، لا يقال : على من تفقه ، فإنه أجل من هذا . وكان يتوقّد ذكاءً ، ويتموج بالعلوم كالبحر . وقد قال بعضهم : إنه أكثر فنوناً من الغزالي . قال الياضي : هيهات أن يلحق بحجة الإسلام الذي كان إفحام الخصوم عليه أيسر من شرب الماء .

إمام الهدى المبني على الفضل منشأً سبوقاً على المهر الأغر المحجّل
غزلت لهم غزلاً دقيقاً فلم أجد لغزلي نساجاً فكسرت مغزلي

(١) زيادة من ب ومرآة الجنان ١٠١/٤ . (٢) في ب : صنف .

سنة أربعين وستمائة

مات المستنصر الخليفة ، وبويع لولده المستعصم بالله .

وفيها جمال النساء بنت أحمد بن العراف ، سمعت من عشرة شيوخ .

سنة إحدى وأربعين وستمائة

تحكم ابن خوارزم شاه للتتر بأن يحمل إليهم في كل عام (١) ألف دينار ومملوكا وجارية وكلب صيد .

وفيها توفي السلطان ابن محمود البعلبكي ، صاحب الأحوال والكرامات ، أحد أصحاب الشيخ عبد الله اليونيني (٢) .

وفيها أم الفضل كريمة بنت عبد الوهاب القرشية الزبيرية ، مسندة الشام ، روت كثيراً ، وأجاز لها كثير ، منهم أبو الوقت السّجزي (٣) .

وفيها أبو البقاء موفق الدين بن يعيش (٤) بن علي الموصلبي ، سمع الحديث ، وكان ماهراً مشتهراً بالنحو والتصريف ، اجتمع في دمشق بتاج الدين أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي ، وسأله عن أشياء ، وأثنى عليه .

قال ابن خلكان : دخلت حلب وهي مشحونة بالعلماء ولم يكن فيهم مثله ، وشرعت عليه في قراءة (اللمع) لابن جنبي ، وكان حسن الإفادة ، طويل الروح على

(١) في مرآة الجنان ١٠٤/٤ : في كل يوم .

(٢) كذا في ب و مرآة الجنان ١٠٤/٤ ، وفي الأصل : اليوناني .

(٣) كذا في مرآة الجنان ١٠٤/٤ ، وفي الأصل : الشجري .

(٤) في هامش النسخة ب أن « وفاة ابن يعيش وابن الصلاح والسخاوي وابن النجار - كما في تذكرة الحفاظ للذهبي - سنة ثلاث وأربعين وستمائة » . وكذلك في مرآة الجنان ١٠٦/٤ .

المتبديء ، لطيف الشمائل ، كثير المجون مع سكينه ووقار • سأله يوماً بعض العلماء
وأنا حاضر عن قول ذي الرمة :

أيا ظيية الوعاء بين حلاله وبين النقا أنت أم أمم سالم

فشرحه له شرحاً تاماً فلم يتلقه السائل بالقبول ، بل قال : أي شيء في المرأة
الحسنة يشبه الظبي ؟ فقال له الشيخ على وجه الانبساط : تشبهها في ذنبها وقرونها ؛
فضحك الحاضرون ، وخجل الرجل ، ولم يعد إلى مجلسه •

وفيها شيخ الإسلام أبو عمرو ابن الصلاح ، وهو عثمان بن عبد الرحمن
الكردي الشهرزوري ، الإمام المتفزن ، الغالب عليه علم الحديث •

قال ابن خلكان : هو أحد مشايخي الذين انتفعت بهم ، وكانت فتاويه مسددة •
وقال غيره : كانت فتاويه سديدة رشيدة ما عدا فتياه الثانية في صلاة الرغائب • كذا
نقل الياضي • قال ابن خلكان : وبلغني أنه درس (المهذب) قبل أن يطلع شاربه •
قرأ أولاً على والده الصلاح وكان من مشايخ الأكراد المشار إليهم ، ثم نقله والده
إلى الموصل ، ثم انتقل إلى خراسان ، ثم رجع إلى دمشق وقد اشتغل ، وتولى دار
الحديث الأشرفية ثلاث عشرة سنة ، وانتفع الناس به ، وكان على قدم حسن ، وصنف
في علوم الحديث كتاباً لم يصنف في فنه مثله ، وقد اختصره النووي ، وكذلك منسكه
في الحج ، وله طبقات الفقهاء الشافعية ، وله إشكالات على (الوسيط) ومؤاخذات
حسنة ، وله رحلة واسعة • ومن مشاهير شيوخه الفخر بن عساكر وزين الأمان
والمؤيد الطوسي وابن سكينه وزينب الشعرية • وممن تفقه عليه أبو شامة وابن رزين
وابن خلكان والكمال أرسلان والكمال إسحق شيخ النووي •

وكان إماماً متبحراً في العلوم الدينية مع عبادة وتهجد وورع ونسك على طريقة
السلف في العقيدة • وقد أثنى عليه النووي وبالغ • ولد سنة سبع وسبعين (١)
 وخمسائة ، وتوفي سنة إحدى وأربعين وستمائة ، وارتجت البلد لموته ، وحمل على
الرؤوس ، ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر من دمشق ، رحمه الله ورضي عنه •

(١) كذا في الأصل ومراة الجنان ٤/ ١١٠ ، وفي ب : سنة سبع وتسعين •

وفيها الإمام العلامة علم الدين [علي بن محمد السخاوي الهمداني المقرئ]، أتقن القراءات عن الإمام أبي القاسم الشاطبي^(١) المشهور بمصر، ثم انتقل إلى دمشق، وكان للناس فيه اعتقاد عظيم، وشرح (الشاطبية) و (المفصل)، وله خطب وأشعار، وتوفي بدمشق وقد نيف على التسعين، وأنشد عند وفاته:

قالوا غداً تأتي ديار الحمى وينزل الركب بمغناهم
وكل من كان مطيعاً لهم يصبح مسروراً بلقياهم
فقلت لي ذنبي فما حيلتي بأي وجه أتلقاهم
قالوا أليس العفو من شأنهم لا سيما عن ترجأهم

وفيها الحافظ الكبير محب الدين بن النجار البغدادي، صاحب تاريخ بغداد. ولد سنة ثمان وسبعين وخمسائة، ورحل إلى بلدان كثيرة، وكان واسع الحفظ.

سنة خمس وأربعين وستمائة

توفي الكاشغري إبراهيم بن عثمان الزركشي ببغداد، سمع من جماعة، ورحل إليه الطلاب، وكان آخر من بقي ممن بينه وبين الإمام مالك بن أنس خمسة أنفس.

وفيها الشيخ أبو محمد بن أبي الحسين بن منصور الدمشقي الصوفي. ولد بحوران، ونشأ بدمشق، وأقبل بها على سماعات الصوفية وبالغ، فمنَّ يحسن الظن فيه ومنَّ يسيء. قال الياقوبي: وهو أحد المتردد فيهم، لكنه مات فجأة يوم الجمعة وقد نيف على تسعين سنة، قال: ولم يزل الفقراء يذكرون عنه عجائب من الكرامات.

وفيها أبو علي عمر بن محمد الأزدي الأندلسي^(٢)، صاحب التصانيف في النحو الدالة على سعة علمه، شرح المقدمة الجزولية، وله كتاب (التوطئة) وغير ذلك، وكان مع ذلك يوصف بالبله حتى إنه سقط منه كراسه في نهر ماء، فرام أن يتناولها بيده فبعدت منه، فتناولها بكراسة أخرى؛ ففرقتا معاً، وله مثل ذلك.

(١) ما بين المعقوفين نقص من الأصل، استدرك من ب ومرآة الجنان ٤/١١٠.

(٢) في هامش مرآة الجنان ٤/١١٣: « ويعرف بالشلوين ».

سنة ست وأربعين وستمائة

توفي الإمام أبو عمرو بن الحاجب ، وهو عثمان بن عمرو الكردي الأَسْناوي ثم المصري الأصولي النحوي الفقيه المالكي المقرئ ، صاحب التصانيف المستجادة المشتمة على التحقيق والإفادة ، كان والده حاجباً للأمير عز الدين الصلاحي ، واشتغل هو في صغره بالقرآن العظيم ثم بالفقه ثم بالعربية والقراءات ، وبرع في كل منها ، ثم انتقل إلى دمشق ، وكبر صيته • [وُصِفَ مختصراً في مذهبه] (١) ، وُصِفَ في الأصولين والنحو والتصريف ، وكان ذهنه جيداً • ثم عاد إلى مصر ودرس ، ثم انتقل إلى الإسكندرية فتوفي بها ودفن خارج [باب] (٢) البحر بتربة الشيخ الصالح أبي شامة ، وكان مولده بأَسْنا سنة سبعين وخمسمائة (٣) •

قال اليافعي : وكان محبباً للشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وإن ابن عبد السلام حين حبس بسبب إنكاره على السلطان دخل معه الحبس موافقاً ومراعاةً ، ولعل انتقاله إلى مصر كان بسبب انتقال الشيخ ابن عبد السلام • وقيل : إنهما اجتمعا بالإنكار •

وفيهما ابن البيطار (٤) البارع في الطب عبد الله بن أحمد المالقي (٥) ، صاحب كتاب (الأدوية المفردة) ، انتهت إليه معرفة النبات وصفاته ومنافعه وأماكنه ، وله اتصال بخدمة الكامل •

(١) زيادة من ب •

(٢) زيادة من مرآة الجنان ١١٥/٤

(٣) كذا في ب ، وفي الأصل : سنة سبع وسبعين وخمسمائة ، وفي مرآة الجنان : سنة تسعين وخمسمائة •

(٤) في الأصل : ابن السلطان ، وهو خطأ •

(٥) كذا في ب ومرآة الجنان ، وفي الأصل : المالكي •

سنة سبع وأربعين وستمائة

نازلت الفرنج دمياط بحراً وبراً وكان بها فخر الدين بن الشيخ [مذهب الدين]^(١) ، فهرب وجميع أهلها ، فتملكها الفرنج ، فغضب السلطان الصالح^(٢) عليهم ، وشنق من أعيان أهلها ستين نفساً ، وقامت قيامته على العسكر حتى هموا به ، فقال لهم فخر الدين : أمهلوه فهو على شفا ، فمات ليلة نصف شعبان بالمنصورة ، ثم إن مملوكه (أقطايا) أرسل إلى المعظم ولد الصالح فتسلطن • وجرت حروب مع الفرنج عظيمة إلى أن اتفقت وقعة المنصورة ، وذلك أن الفرنج وصلوا إلى دهليز السلطان^(٣) ، فركب مقدم السلطان فخر الدين بن الشيخ وقاتل إلى أن قتل ، وانهمز المسلمون ، ثم كروا على الفرنج ، ونزل النصر ، فقتل من الفرنج مقتلة عظيمة • ثم أقبل المعظم من دمشق بعد أيام •

سنة ثمان وأربعين وستمائة

أخذ أسطول المسلمين أسطولَ الفرنج أجمع ، وقتل منهم خلق ، وطلب ملكهم الأمان على نفسه فأومن وأركب في حراقة والمراكب الإسلامية محدقة به ، وضربت الكوسات والطبول ، وفي البر الشرقي الجيوش محدقة بها ألوية النصر ، وفي البر الغربي العريبان والعوام ، وكان يوماً مشهوداً ، وأسر ملك الفرنج بالمنصورة مع نيف وعشرين ألف أسير ، وقتل منهم سبعة آلاف ، ومن المسلمين نحو مائة ، وظهر من الملك المعظم بعد هذه الواقعة خفة وعجب زائد ، فخرج عليه مماليك أبيه وقتلوه ، وقدموا عليهم عز الدين التركماني الصالحى •

(١) زيادة من ب •

(٢) كذا في هامش ب ، وفي الأصل : المنصور ، وفي مرآة الجنان ١١٦/٤ : وكان السلطان في المنصورة •

(٣) كذا في مرآة الجنان ، وفي النسختين : المنصورة •

سنة تسع وأربعين وستمائة

توفي العلامة أبو الحسن علي بن هبة الله اللخمي المصري الشافعي ، عرف بابن الحميري ، تفرد في زمانه ، ورحل إليه الطلبة من كل ناحية ، واطته إليه مشيخة العلم بالديار المصرية •

وفيها الأمير صاحب جمال الدين بن مطروح ، خدم الصالح بدمشق في صورة وزير ، فلما مات الصالح رجع إلى مصر فأقام بها خالياً من الوظائف مع الجلالة التامة والفضل والمروءة والأخلاق الرضية ، وله ديوان شعر أجاد فيه •

سنة خمسين وستمائة

توفي العلامة أبو الفضائل الحسن بن محمد الصغاني العدوي العمري الهندي اللغوي ، نزيل بغداد ، له مصنفات كبار في اللغة ، وله تصرف في الفقه والحديث مع الدين والأمانة •

وسعد الدين بن حموية الجويني الصوفي ، كان صاحب أحوال ومريدين ، سكن بسفح قاسيون بدمشق^(١) ، ثم رجع إلى خراسان فتوفي هناك •

وفيها توفي الفقيه العلامة المحدث الصالح الورع محمد بن إسماعيل الحضرمي والد الفقيه إسماعيل المشهور ، وكان الفقيه محمد متفنناً مدرساً ، وصنف واختصر (شعب الإيمان) للبيهقي ، وله عليه زيادات حسنة ، وتخرج به جماعة منهم ولده • ولما مات نزل في قبره الشيخ أبو الغيث بن جميل اليمني ، نفع الله بهما •

(١) في الأصل وب : بسفح المقطم بدمشق ، وهو خطأ ، ينظر مرآة الجنان ٤/١٢١

سنة إحدى وخمسين وستمائة

توفي شيخ شيوخ اليمن أبو الغيث بن جميل اليمني ، كان الشيخ كبير الشأن ،
ظاهر البرهان ، تخرج به خلق ، وانتفع به الناس ، وكان وجوده حياة للوجود ، وفيه
يقول الياضي رحمه الله :

لنا سيد" كم ساد بالفضل سيذا
بكل زمان ثم كل مكان
إذا أهل أرض فاخروا بشيوخهم
أبو الغيث فينا فخر كل يمان

كان رحمه الله عبداً قاطعاً للطريق ، فيبينما هو كامن لأخذ قافلة إذ سمع هاتفاً
يقول : يا صاحب العين عليك أعين ، فوق منه موقعاً أزعجه ، وأقبل على الله سبحانه ،
وظهر عليه من أوله صدق الإرادة وسيماء السعادة ، وصحب أولاً الشيخ علي بن
أفصح الزبيدي ، فلما ظهرت على يديه خوارق الكرامات قال له شيخه : اذهب عني
فسيفان لا يجتمعان في غمد ، فجاء إلى الشيخ علي الأهدل فصحبه . قال الشيخ
أبو الغيث : فكنت عند صحبته كقطرة وقعت في بحر . وقال أيضاً : كنت عند ابن
أفصح لؤلؤة بهمي فتقبها الأهدل وعلقها في عنقي . ولما اتشر صيت الشيخ واستقر
بنواحي سردد كتب إليه الإمام أحمد بن الحسين صاحب ذنين يدعوهُ إلى البيعة ،
فأجابه الشيخ : ورد كتاب السيد ، وفهمنا مضمونه ، ولعمري إن هذا سبيل سلكه
الأولون وأقره الآخرون ، غير أنا نفر مذ سمعنا قوله تعالى : (له دعوة الحق) لم يكن
لإجابة الخلق فينا متسع ، وليس لأحد منا أن يشهر سيفه على غير نفسه ، ولا أن
يفرط في يومه بعد أمسه ، فليعلم السيد قلة فراغنا لما رام ، ويعذر المولى ، والسلام .

قال الياضي : وقد رأيت في المنام هو والفقير إسماعيل بن محمد الحضرمي في
ليلة واحدة ، فقال لي أحدهما - أظنه الشيخ أبا الغيث - أنا ما فتح علي إلا بعد
الخمسين ، فقلت : يا سيدي هذه بداية الفتح أم نهايته ؟ فقال : يا ولدي إذا جاء
فضل الله جاء دفعة واحدة . فهتمت أنه يعني بذلك الجذبة من جذبات الحق التي
تغني العبد عن نفسه وعن الخلق .

وللشيخ أبي الغيث أحوال باهرة ، وكرامات ظاهرة ، وكلام في الحقائق ، وقد جمع ذلك وعني به •

قال الفقيه حسين : لم يصح عندنا للشيخ أبي الغيث كلام ؛ لأنه كان أمياً ، والكتاب المنسوب إليه كله أو أكثره موضوع عليه ، وفيه كثير من مقالات ابن عربي وأتباعه ، والمتهم بوضعه أبو بكر اليجوي ، والله أعلم •

وفيها توفي الإمام العلامة عبد الواحد بن خطيب زمكا الأنصاري السماكي الشافعي ، عرف بابن الزمكاني ، كان ذكياً ذا فنون ، ولي قضاء صرخد ، ودرس بعلبك ، واشتهر بعلم المعاني والبيان ، وتوفي بدمشق •

وفيها توفي الملك الصالح صلاح الدين بن الظاهر بن صلاح الدين بن أيوب ، وأخفت زوجته شجرة الدر التركية موته وحكمت أياماً ، ثم تملك المعز عز الدين التركماني الصالح • [واستقل بالملك ، وخلع طاعة مواليه بني أيوب] (١) •

[سنة اثنتين وخمسين وستمئة] (١)

[قتل أقطايا التركماني] (١) ، وذلك أنه لما تسلطن المعز تزوج أقطايا بنت صاحب حماة ، وقال للمعز : أريد أن أعمل العرس في جانب القلعة [فأخلها لي ؛ فأضمر المعز وزوجته شجرة الدر قتله ، وأغلقوا عليه القلعة] (١) ، فلما شاع الخبر ركبت مماليكه ، وكانوا سبعمئة ، وأحاطوا بالقلعة فألقى إليهم المعز رأسه ؛ فهربوا وتفرقوا •

وفيها مات الخسر وشاهي الإمام الشافعي بدمشق ، وهو عبد الحميد بن عيسى ، وكان له معرفة بالأصلين والفروع ، وتخرج به جماعة •

وفيها مات الكمال محمد بن طلحة النصيبي المفتي الشافعي البارع في الفقه والخلاف ، ولي الوزارة مرة ، ثم ترك وتزهد ، وتوفي بحلب وقد جاوز السبعين ،

(١) زيادة من ب .

وله دائرة الحروف • روى الشيخ عبد الغفار صاحب الزاوية في مدينة قوص قال :
أخبرني بعضهم قال : طلعت جبل لبنان فرأيت فقيراً فقال لي : رأيت البارحة في المنام
قائلاً يقول :

الله درك يا بن طلحة تاركاً أمر الوزارة عامداً متسلطناً
لا تعجبوا من زهده في دهره في درهم لما أصاب المعدناً

قال : فلما أصبحت ذهبت إلى الشيخ ابن طلحة فأخبرته بما قال الفقير ، فقال :
إن صدقت رؤياك مت إلى أحد عشر يوماً ، فكان كذلك • ولعله والله أعلم أخذ العدد
من ألفاظ الرؤيا وهو (أصاب المعدن) فإنه أحد عشر حرفاً ، والمعدن هو الغنى المطلق
الذي انتقل إليه من الزهد والثقة بالله مع ما يتم من السعادة الكبرى بعد الموت • قال
الراوي : ولما جئت أخبره برؤياي أتيت والملك الأشرف على بابه يطلب الإذن عليه •

سنة ثلاث وخمسين وستمائة

توفي الشهاب الفرضي^(١) أبو المحامد إسماعيل بن حامد الأنصاري الشافعي ،
خرج لنفسه معجماً في أربع مجلدات كبار • قال الذهبي : وفيه غلط كثير ، وكان أديباً
أخبارياً بصيراً بالفقه •

وفيها أبو الحجاج يوسف بن محمد الأنصاري أحد فضلاء الأندلس وحفاظها ،
كان له معرفة بالتاريخ ، ونقل الدواوين ، وصنف كتاب (الإعلام بالحروب الواقعة
في صدر الإسلام) ابتداءً فيه بمقتل عمر ، وختمه بخروج الوليد بن طريف على هرون
الرشيد ، ومما نقل فيه قول العباس بن الأحنف :

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه وإن كنت مظلوماً فقل أنا ظالمٌ
فإنك إن لم تغفر الذنب في الهوى يفارقك من تهوى وأثقل راغمٌ

(١) في مرآة الجنان ٤/١٢٩ : القوصي •

ومنه قول الواواء الدمشقي، قال ابن خلكان : وظني أنها لأبي فراس بن حمدان :
 بالله ربكما عوجا على سكني وعاتباه لعل العتب يعطفه
 وعرضا بي وقولا في ملاطفة ما ضرَّ لو بوصول منك تسعفه
 وإن بدا لكما من سيدي غضب فغالطاه وقولا ليس نعرفه

وما تقدم في ترجمة ابن عباس أنه قال حين كف بصره :

إن يأخذ الله من عيني نورهما ففي لساني وقلبي منهما نور
 قلبي ذكي وذهنني غير ذي دخل وفي فمي صارم كالسيف مشهور

سنة أربع وخمسين وستمائة

ظهرت النار بظاهر المدينة النبوية ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، وكان
 مصداق قوله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تظهر نار بالحجاز تضيء لها أعناق الإبل
 ببصرى » • وبقيت أياماً ، قيل : ثلاثة أشهر • وكان نساء المدينة يغزلن على ضوءها ،
 وظن أهل المدينة أنها القيامة ظهرت من وادي أحليلين في الحرة الشرقية ، تدب ديب
 النمل إلى جهة الشمال تأكل ما أتت عليه من أحجار وجبال ، ولا تأكل الشجر حتى
 إن صاحب المدينة الشريفة منيف بن سبحة أرسل اثنين ليأتياه بخبرها ، فدنيا منها فلم
 يجدا لها حراً ، فأخذ أحدهما سهماً ومد به إليها ، فأكلت النصل دون العود ، ثم قلبه
 ومد بالطرف الآخر ، فأكلت الريش دون العود ، قيل : كان العود من شجر الحرم ،
 لكن ما عهد أن السهام تعمل منه • والحاصل أنها خارقة للعادة ، مخالفة للنار المعتادة ؛
 حيث أكلت الحديد والحجر دون الشجر ، تذيب وتسبك ما مرت عليه من الجبال ،
 فسدت وادي شطاه بالحجر المسبوك بالنار سداً ولا كسد ذي القرنين ، واحتبس
 الماء خلفه ، فصار بحراً مده البصر طولاً وعرضاً كأنه نيل مصر عند زيادته ، ثم خرقة
 الماء سنة تسعين وستمائة ، فجرى الماء من الخرق سنة كاملة يملأ ما بين جنبي الوادي ،
 ثم انفسد ، ثم انخرق ثانية في العشر الأول بعد السبعمائة ، فجرى سنة كاملة وأزيد ،

ثم انخرق في سنة أربع وثلاثين وسبعمائة^(١) ، وذلك بعد نزول أمطار عظيمة في الحجاز ، وكثر الماء ، وفاض من جانبي السد ومما يلي الجبل وغيره ، فجاء سيل طام لا يوصف ومجراه ملاصق لقبه حمزة رضي الله عنه ، ولو زاد مقدار ذراع في الارتفاع وصل المدينة الشريفة ، وحفر السيل وادياً آخر قبل الجبل ، وبقيت القبة في وسط السيل قريباً من سنة .

وفيها احترق المسجد النبوي ليلة الجمعة أول ليلة من رمضان بعد صلاة التراويح على يد الفراهي بكر المراغي لسقوط ذبالة من يده ، واحترق هو وجميع سقف المسجد الشرقي حتى لم يبق إلا السواري قائمة كأنها جذوع النخل وحيطان المسجد والحائط المحيط بالحجرة النبوية الذي بناه عمر بن عبد العزيز حول حائط الحجرة الشريفة [المجهول على خمسة أركان لثلاث تصور لأحد استقبال الحجرة الشريفة]^(٢) بالصلاة . ثم سقفه المستعصم الخليفة في سنة خمس وخمسين وستمائة ، ثم قتل المستعصم بعد ذلك قبل تمامه ، فوصلت الآلات من صاحب مصر المنصور علي بن المعز الصالح ، ووصل أيضاً آلات من المظفر يوسف بن عمر ملك اليمن ، فتمموا البناء . ثم عزل صاحب مصر ، وتولى مكانه مملوك أبيه قطز ، وكان سيده أوصاه واستأمنه على ولده ، فدبر أمره أياماً ، فلما رآه لا يغني شيئاً عزله وقام مقامه ، وعلى يديه انكسرت جارحة التتر ، واستعاد منهم الشام ، فعمل في تمام السقف . ثم تولى مصر آخر تلك السنة بيبرس الصالح فتمم بقية السقف واجتهد فيه ، وتم في أربع سنين . وكان المظفر صاحب اليمن قد أرسل منبراً بدلاً عن المحترق عمله من الصندل ، فحول منبر بيبرس إلى حاصل الحرم . قال الياقعي : وهو باق إلى الآن ، وجعل بيبرس عوضه المنبر الموجود اليوم وطوله أربعة أذرع ، ومن رأسه إلى عتبه سبعة أذرع ، وعدد درجاته سبع بالمقعد ، وبين المنبر ومحراب

(١) كذا في ب ومرآة الجنان ٤/١٣٣ ، وفي الأصل : سنة أربع وستين وسبعمائة .

(٢) ما بين المعوفين نقص من الأصل ، واستدرك من ب ومرآة الجنان ٤/١٣٤

الرسول ﷺ أربعة عشر ذراعاً وشبر ، وبين القبر وبين المحراب وبين آخر مسجد النبي ﷺ القديم المسكون ثلاثة وخمسون ذراعاً .

وفيها غرقت بغداد بزيادة دجلة زيادة ما سمع بمثلها ، وأشرف الناس على الهلاك ، وسارت المراكب في أزقة بغداد ، وركب الخليفة في مركب ، وعج الناس بالدعاء والابتغال ، وكشفه الله عنهم بعد أن غرق كثير من الدور بأهلها .

وفيها ملكت الروم التتار^(١) بالسيف .

وفيها شيخ الطريق العارف بالله عبد الله بن محمد الرازي الصوفي ، صحب نجم الدين الكبرى ، وهو من شيوخ الدمياطي .

وفيها الشيخ الكبير عيسى بن أحمد الجويني ، كان منقطع القرين في الجد والاجتهاد وقوة الحال مع العلم وحسن المطعم والملبس ، يقال له : سلاب الأحوال . تخرج بالشيخ عبد الله الرازي ، وتخرج الرازي بنجم الدين الكبرى ، وكلهم أغرب وأعجب ، نفع الله بهم .

وفيها الكمال أبو البركات المبارك بن حمدان الموصلبي ، مؤلف (عقود الجنان في شعراء الزمان) .

وفيها العلامة الواعظ المؤرخ شمس الدين يوسف التركي البغدادي المعروف بابن الجوزي ، وهو سبط الشيخ أبي الفرج بن الجوزي . سمع من جده ومن جماعة ، وقدم دمشق فوعظ بها فألقي له القبول . وله تفسير في تسعة وعشرين مجلداً ، وشرح (الجامع الكبير) وألف في مناقب أبي حنيفة ، وكان في شببته حنبلياً ، ولم يزل وافر الحرمة عند الملوك .

قلت : وقد وقفت على جزء من تاريخه الكبير ، وهو عظيم الفائدة ، يتكلم فيه على مسانيد الرجال وشيء من الأحاديث ، وسماه (مرآة الزمان في وفيات الأعيان) .

(١) كذا في النسختين ، وفي مرآة الجنان ١٣٥/٤ : ملكت التتار سائر الروم بالسيف ، ولعله الصواب .

سنة خمس وخمسين وستمائة

قتل صاحب مصر الملك المعز التركماني الصالحي عز الدين أيك ، وكان ذا عقل ودين وذكاء ، قتلته أم خليل التركية المسماة شجرة الدر ، وكانت بارعة الحسن ، ذات دهاء ومكر ، قتلته غيرةً عليه لما خطب بنت صاحب الموصل ، وكانت قبله تحت الصالح بن أيوب كما تقدم ، وقتلت تحت القلعة مصلوبة .

وفيها العلامة القدوة نجم الدين عبد الله بن محمد الباذرائي الشافعي الفرضي ، درس بنظامية بغداد ، وبنى بدمشق مدرسة كبيرة ، وقضى بالعراق ، وكان متواضعاً .

وفيها العلامة شرف الدين محمد بن عبد الله بن أبي الفضل الأندلسي المحدث المفسر النحوي ، سمع كثيراً ، وجمع فنوناً ، وصنف ، مع زهد وورع وتعفف .

سنة ست وخمسين وستمائة

كانت الكائنة ببغداد ، وقتل فيها الخليفة المستعصم وأهل بيته وأعيان دولته ، وسبها أن الوزير ابن العلقمي الرافضي الباطني لما لحقه هو وإخوانه من الرافضة الهوان كاتب التترخنية وحرصهم على قصد بغداد ، فلما جاؤوا أشار ابن العلقمي على الخليفة بأنه يخرج إليهم في تدبير الصلح بينه وبينهم ، فخرج الخبيث ، وتوثق لنفسه منهم ، فلما رجع قال للخليفة : إن ملكهم قدرغب أن يزوج ابنته بابتك وتودوا الطاعة له كما كان أجدادك مع الملوك السلجوقية ، ثم يرحل عنكم ، فخرج الخليفة في أعيان دولته ، فأزلهم التتر في خيمة ، ثم خرج ابن العلقمي فاستدعى العلماء والرؤساء ليحضروا العقد بزعمه ، ثم ضرب رقاب الجميع ، وصار كذلك يستدعي طائفةً طائفةً ويضرب أعناقهم . وأما الخليفة فطلبه ليلاً وسأله عن أشياء ثم قتلته وقتل أولاده عن آخرهم ، ثم دخل بغداد ، واستمر القتل نيفاً وثلاثين يوماً ، ثم نودي بالأمان ، فخرج من كان مخفياً ، وفي ذلك يقول ابن التعاويذي :

بادت وأهلها معاً فيوتهم بقاء مولانا الوزير خراب

وقد كان ظن ابن العلقمي بعدها أنه ينفرد بالأمر ويبقى خليفة علويًا ، فمات على القرب مريضاً مهاناً مغموماً • قيل : وبلغ عدد القتلى ألف ألف وثمانمائة ألف وكسراً •

وكان المستعصم بن المستنصر حليماً كريماً ، سليم الباطن ، قليل الرأي ، حسن الديانة ، مبغضاً للمبتدعة ، وسمع واستجاز ، ثم رزق الشهادة ، فمات هو وابنه أبو بكر بالرفس بأيدي النتر ، وهو آخر الخلفاء العباسيين ببغداد ، وكانت دولتهم خمسمائة سنة وأربعاً وعشرين سنة • وعن المستعصم انتصب سلطان اليمن المنصور عمر بن علي بن رسول ، وقد كان قبل ذلك متحكماً هو وأبوه لبني أيوب ، فلما تضعض أمر بني أيوب وانقطع تعلقهم باليمن أجمع رأي رؤساء اليمن على المنصور أن يتسلطن ، فبعث إلى الخليفة ببغداد ، فنصبه وشرط عليه الدعاء له في الخطب ، وإثبات اسمه على السكة المضروبة • فوفى له المنصور بذلك هو وبنوه من بعده ، واستمر له الدعاء في جميع بلدان اليمن ، وتجدد ملوكهم إلى حدود سنة خمسين وثمانمائة ، وخلفهم الملكان الفاضلان علي بن طاهر بن معوضة وأخوه عامر ، وسيرتهما محمودة ، وأفعالهما سديدة ، والله أعلم ما يكون بعد ذلك •

وفيهما توفي أبو الفضل زهير بن محمد المهلبى ، وكان من فضلاء عصره وأحسنهم نظماً وثراً ، اتصل بخدمة الصالح بن أيوب بن الكامل ، وكان يتوسط بينه وبين الناس توسطات محمودة •

وفيهما توفي أبو العباس القرطبي أحمد بن عمر الأنصاري المالكي ، المحدث نزيل الإسكندرية ، سمع بالمغرب ، واختصر الصحيحين ، وصنف كتاب (المفهم في شرح مسلم) •

والحافظ أبو علي الحسن بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عمرو (١) التيمي البكري النيسابوري الدمشقي الصوفي ، سمع ببلدان شتى ،

(١) كذا في ب ، وفي الأصل : وعبدوس ، وفي مرآة الجنان ٤/١٣٩ : عمروك .

وجمع وصنف ، وشرع في مسودة ذيل على تاريخ ابن عساكر ، وولي مشيخة الشيوخ وحسبة دمشق ، وعظم شأنه في دولة المعظم ، ثم توضع وابتلي بالفالج ، وتحول إلى مصر ، وتوفي بها .

وفيها الملك الناصر بن أيوب صاحب الكرك ، كان حنيفاً مناظراً شاعراً ممدحاً ، ملك دمشق بعد أبيه فاتتزعها منه عمه الأشرف ، فتحول إلى الكرك فملكها إحدى وعشرين سنة ، ثم سلمها آخرأ إلى الصالح صاحب مصر ، وزالت مملكته .

وفيها الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري الشافعي ثم المصري ، صاحب التصانيف ، وله معجم كبير ، [واختصر صحيح مسلم وسنن أبي داود]^(١) ، وولي مشيخة الكاملة ، وانقطع بها نحواً من عشرين سنة مكباً على العلم والإفادة ، وكان مع حفظه وتفقهه أخذاً بالطريقة المثلى من الزهد والورع والصفات الحميدة ، ومن شعره :

اعمل لنفسك صالحاً لا تلتفت لظهور قيل في الأنام وقال
فالناس لا يرجى اجتماع جسيهم لا بد من مثنٍ عليك وقال

وفيها الشيخ كبير الشأن ظاهر البرهان أبو الحسن الشاذلي ، قال تلميذه تاج العارفين ابن عطاء . قيل للشيخ أبي الحسن : من هو شيخك ؟ قال : كنت أتسب إلى الشيخ عبد السلام بن مئيش ، وأنا الآن لا أتسب إلى أحد بل أعوم في عشرة أبحر ، خمسة من الآدميين : النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ، وخمسة من الروحانيين : جبريل وميكائيل وعزرائيل وإسرافيل والروح .

قال تلميذه أبو العباس المرسي : رأيت الشيخ أبا مدين متعلقاً بساق العرش !! فقلت له : ما علومك وما مقامك ؟ فقال : أما علمي فأحد وسبعون علماً ، وأما مقامي فإربع الخلفاء ورأس السبعة الأبدال . فقلت : ما تقول في شيخي أبي الحسن الشاذلي ؟ قال : زاد عليّ بأربعين علماً ، وهو البحر الذي لا يحاط به .

(١) زيادة من ب .

• وذكره الشيخ العارف صفي الدين بن أبي منصور وأثنى عليه الثناء العظيم •
 • وذكره الإمام قطب الدين القسطلاني في مشايخه • وشهد له ابن النعمان بالقضية •
 وقال تاج الدين ابن عطاء : اجتمع الشيخ أبو الحسن هو وجماعة من العلماء ، منهم :
 الإمام عز الدين بن عبد السلام ورسالة القشيري تقرأ عليهم ، فسألوا الشيخ أبا
 الحسن أن يتكلم ، فسكت ساعة ثم تكلم بالأسرار العجيبة الغريبة ، فقال ابن
 عبد السلام : اسمعوا هذا الكلام الغريب القريب العهد من الله تعالى •

قال الياضي رحمه الله تعالى : أين هذا الكلام — يعني كلام ابن عبد السلام —
 وكلام الذين قبله من كلام بعض أهل الشام في تاريخه — يعني الذهبي — وقوله :
 « الشيخ أبو الحسن الشاذلي علي بن عبد الله بن عبد الجبار المغربي الزاهد ، شيخ
 الطريقة الشاذلية ، سكن الإسكندرية ، وصحبه بها جماعة ، وله عبارات في التصوف
 مشكلة توهم ويتكلف له في الاعتذار عنها » • فاستدرك عليه حيث أثنى عليه بالزهد
 الذي هو من مبادئ السلوك • قال : فهل هذه الترجمة مدح؟! بل هي غمض وقدح
 كما هي عادته في وضع أوصاف [الأكاير ورفع أوصاف]^(١) أئمة الحشوية الجارين
 على الظواهر •

وفيهما توفي الشيخ الجليل المعروف بالخاز أحد مشايخ العراق ، قتل
 شهيداً •

وفيهما المقرئ محمد بن أحمد الموصلي الحنبلي الذي اختصر (الشاطبية) ،
 وكان شاباً صالحاً ، توفي بالموصل وله ثلاث وثلاثون سنة •

وفيهما الإمام أبو عبد الله محمد بن حسن المغربي المقرئ شارح (الشاطبية) ،
 كان فقيهاً متفتناً ، ظاهر الديانة جليل القدر ، تصدر للإقراء بحلب •

وفيهما الشيخ الصالح أبو زكريا يحيى بن يوسف ، الصرصري الأصل ، ثم
 البغدادى ، الضرير ، كان إليه المنتهى في علم اللغة وحسن الشعر ، وديوانه مشهور ،
 ومدائحه سائرة • قيل : إنه قتل بعض التتر بعكازه ثم استشهد •

(١) زيادة من ب .

وفيها سفير الخلافة محيي الدين يوسف بن أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الواظ ، كان أستاذ دار المستعصم ، كثير المحفوظ ، قوي المشاركة في العلوم ، وافر الحشمة ، ضربت عنقه هو وأولاده .

سنة سبع وخمسين وستمائة

قبض قطز أحد غلمان المعز على ابن أستاذه علي المنصور ، وتسلمن بدلا منه حين لم يكن فيه كفاية للقيام بما تولاه . وعلى يد المظفر قطز المعزي جرت وقعة عين جالوت التي أعز الله فيها الإسلام ، وذلك أن التتر نزلت على حلب ، فلم يصبح الصباح إلا وقد حفروا عليهم خندقاً عمق قامه وعرض أربعة أذرع ، ونصبوا حائطاً ارتفاع خمسة أذرع ، ونصبوا عشرين منجنيقاً ، وألحوا بالرمي ، وشرعوا في ثقب السور ، ثم ركبوا الأسوار ، ووضعوا السيف ، فقتل كثير وأسر كثير ، ثم نودي برفع السيف ، وأذن المؤذن بالجمعة ، فأقيمت بأناس ، وأحاطوا بالقلعة فحاصروها ، ووصل الخبر إلى دمشق ، فهرب ناس ، ثم حاصرت التتر دمشق ، ورموا برج الظامة بعشرين منجنيقاً فتشقق ، وطلب أهلها الأمان ، فأمنوهم ، وسكنها النائب كتبغا ، وتسلموا بعلبك وقلعتها ونابلس ونواحيها ، ورفع نصارى دمشق صليبيهم ، وألزموا المسلمين القيام له تعظيماً ، ثم وصل جيش الإسلام من المصريين وغيرهم وعليهم الملك المظفر قطز الصالحي ، فالتقى الجمعان على عين جالوت غربي بيسان ، ونصر الله دينه ، وقتل في المصاف مقدم التتر كتبغا [من أمراء المُعْتَل]^(١) ، ووقع بدمشق القتل في النصارى ، وأحرقت كنيسة مريم وذلك في آخر رمضان سنة ثمان وخمسين وستمائة ، وعيد المسلمون أحسن عيد . فلما رجع المظفر إلى مصر بعد شهر رماه وهو داخل بهادر المعزي بسهم قضى عليه ، وتسلمن بدلاً منه الملك الظاهر بيبرس .

(١) زيادة من ب .

وكرت التتر في آخر السنة على حلب فأخذوها ، ولم يستكمل قطز في الملك سنة ، وكان كافياً لما تولاه ، واسمه الحقيقي محمود بن ممدود ، وأمه أخت السلطان جلال الدين خوارزم شاه السلجوقي ، وأبوه ابن عمه وقع عليه السبي من التتر في آخر السنة فبيع بدمشق ثم بمصر ، وتملك بعد أن كبر .

وفيها^(١) توفي الإمام الحافظ محمد بن محمد بن أحمد الجويني ، وكان لبس الخرقة من الشيخ عبد الله البطايحي عن الشيخ عبد القادر الجيلاني ، وكان عظيم الهبة مليح الصورة حسن السميت والوقار .

وفيها الإمام الحافظ العلامة محمد بن عبد الله القضاعي ، الكاتب الأديب ، أحد الأئمة في الحديث والقراءات قتله صاحب تونس ظلماً .

وفيها الملك ناصر الدين بن غازي بن العادل بن أيوب ، وكان عالماً فاضلاً عادلاً محبباً إلى الرعية ، ولم يكن في بيته من يضاھيه ، حاصرته التتار عشرين شهراً حتى فني أهل البلد بالوباء والقحط ، ثم دخلوا عليه وضربوا عنقه ، وطيّف برأسه ، ثم علق على باب الفراديس بعد أخذ حلب ، ثم دفنّه المسلمون بمسجد الرأس داخل البيت .

وفيها الشيخ أبو بكر بن قوام ، كان زاهداً عابداً قدوة ، صاحب وكشف وكرامات ، وله رواية .

سنة تسع وخمسين وستمائة

أغار التتر على حلب ، ثم على حمص لما بلغهم قتل المظفر قطز ، فاتدب لحربهم الأشرف صاحب حمص والمنصور صاحب حماة وحسام الدين ، في ألف وأربعمائة ، والتتر ستة آلاف ، فنصر الله المسلمين حتى أبادوا الكفار ، وهرب مقدمهم بأسوأ حال ، ولم يقتل من المسلمين سوى رجل واحد . وبعدها أمر ملك التتر هولوكو بقتل الملك الظاهر غازي شقيق صلاح الدين بن أيوب وكان أسيراً في أيديهم قبل ذلك .

(١) أي في سنة ثمان وخمسين وستمائة . وكذلك التراجم الثلاث التالية .

وفيها ابن سيد الناس الخطيب الحافظ محمد بن أحمد الإشبيلي ، كان له عنية بالحديث ، وهو أحد الحفاظ المتقنين بالمغرب ، توفي في تونس •

وفيها قدم الخليفة المستنصر بالله العباسي، وهو أول الخلفاء العباسيين بمصر، وعقد له مجلس أثبت فيه نسبه ، ثم بايعه الظاهر بيبرس وأعيان دولته على مراتبهم، ثم خطب وصلى بالناس الجمعة ، ثم ألبس السلطان خلعة بيده وطوقه، وزينت القاهرة كذلك ، وهو الثامن والثلاثون (١) من خلفاء بني العباس ، وكان جسيماً شجاعاً عالي الهمة ، ورتب له السلطان أتاكاً وأستاذ دار وحاجباً ، وكتب إنشاء (٢) ، وجعل له خزانة ومائة فرس وثلاثين بغلاً وستين جملاً وعدة ممالك ، فلما وصل دمشق عزل من القضاء نجم الدين بن سناء الدولة ، وولى مكانه الإمام شمس الدين بن خلكان ، ثم سار المستنصر ليأخذ بغداد ويقيم بها ، فوقع بينه وبين التتر مصاف ، فقتل المستنصر ، وقيل : عدم ، وقيل : قتل ثلاثة من التتر ، ثم تكاثروا عليه ، واستشهد رحمه الله •

وفيها الإمام العلامة القاضي الخطيب الملقب بسطان العلماء شيخ الإسلام، بحر المعارف الذي أرسل له النبي ﷺ بالسلام على لسان الشاذلي : الإمام عز الدين ابن عبد السلام السامي الدمشقي الشافعي ، قيل : بلغ رتبة الاجتهاد المطلق ، وله التصانيف العديدة المفيدة والفتاوى السديدة ، وعنه أخذ الشيخ شرف الدين الدمياطي وابن دقيق العيد • واشتهر بالزهد والورع ، لا يخاف في الله لومة لائم ، يشافه بالإنكار عند عظم الأخطار ؛ قيل له في ذلك ، فقال : أستحضر عظمة الله فيكون السلطان في عيني أحقر من قط • وكان مع ذلك حسن المحاضرة بالنوادر والأشعار ، وربما حضر سماع الأكابر ، وربما لحقه وجد ورقص •

(١) ورد فيما مضى أن عدد خلفاء بني العباس سبعة وثلاثون ، وآخرهم المستعصم بن المستنصر •

(٢) كذا في مرآة الجنان ١٥٢/٤ ، وفي الأصل و ب : وكتب التتار •

ووقع بينه وبين ابن الصلاح منازعات في صلاة الرغائب وصلاة ليلة النصف من شعبان ، فابن الصلاح يقويهما ويصوب فاعلهما بعد أن كان أفتى ببطلانهما ، وابن عبد السلام يوهنهما ويخطيء فاعلهما ، ولكل منهما تصنيف في الرد على الآخر ، واستصوب المحققون مذهب ابن عبد السلام ، وشهدوا له بالبروز بالحق والصواب . وجرى الاختلاف بعدهما في كثير من الأمصار حتى تناقض فيها في عصرنا فقهاء بيت حسين . وصنف الحافظ شرف الدين أبو القاسم بن أحمد بن مطير تصنيفه في تحسينهما ، ونقض عليه الفقيه الإمام حسين بن عبد الرحمن الأهدل .

وقد تأملت كلام الكل ، ومدار مَنْ حَسَّن فعلهما على أنهما طاعة لله تدخلان في عموم الأمر بالطاعات والتكثير من العبادات ، وجعلوا الحديث الوارد فيهما من حيز الضعيف الذي يجوز العمل به في فضائل الأعمال . وبالغ بعضهم في تعديد من صلاحهما من فضلاء السلف العلماء ، وليس فيهم من يدعي صحة حديثهما . وعلة من أنكروهما وقبح فعلهما أن الحديث فيهما موضوع ، ولا يجوز العمل بالموضوع لا في فضائل الأعمال ولا في غيرها عند الكل ، أو ضعيف ، وقد قال العلماء : إنما يجوز العمل بالضعيف في فضائل الأعمال إذا لم يحدث شعاراً ظاهراً كالترابيح ، ولم يقع في مصادمة حديث أصح منه . ولم يفرق الأكثرون بين الصلاتين تحسیناً ، وتقيحاً ، والصواب التفريق حيث يقال : ضعف الحديث فيهما لا وضعه ، فنقول بجواز صلاة ليلة النصف من شعبان فرادى إذا لم تصادف ليلة جمعة ولا كذلك صلاة الرغائب ، فإنها وقعت في مصادمة الحديث الثابت في الصحاح : « لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي » . وقد سبق شرطهم في جواز العمل بالحديث الضعيف ، ويستويان حيث يقال بوضع الحديث فيهما ، فيحرم فعلهم فرادى أو جماعة ، لكن تتأكد المخالفة في صلاتهما جماعة . إذا تقرر ذلك فقد قال أبو الفرج بن الجوزي في كتابه (الموضوعات) : حديثهما موضوع ، والمتهم به أبو الحسن علي بن عبد الله بن جهضم ، قال : وسمعت شيخنا عبد الوهاب الحافظ يقول : رجاله مجهولون ، وقد فتشت عنهم جميع الكتب فما وجدتهم . وقال وفي موضع آخر :

لا شك أنه موضوع وأنه محال قطعاً ؛ وتبعه على ذلك عامة الحفاظ المتسمين بالحديث تحقيقاً وترسماً ؛ كابن عبد السلام والنووي وابن دقيق العيد وابن دحية وأبي محمد عبد الرحمن وأبي شامة المقدسيان وابن تيمية والذهبي وابن خليل في تحفته ، واعتذر عن أوردها من كبار الأئمة كالغزالي وأبي طالب المكي ، وذكر هؤلاء أنها لم تحدث إلا بيت المقدس بعد الأربعمئة • وكذلك الجزري في عدته قال : لا يصحان وسندهما موضوع ؛ فمن تأمل القاعدة التي قررناها أولاً ونظر قطع هؤلاء الأئمة الذين لا يرتاب في عدالتهم بوضع هذا الحديث ، وخلا رأسه من دخان العصية ، وارتكاب الحمية ، واستعمل الإنصاف ، وجانب الاعتساف ، لم يمتري في بطلانهما ، والله أعلم •

رجعنا إلى ذكر الإمام ابن عبد السلام رحمه الله تعالى : دخل بغداد سنة تسع وتسعين وخمسماية ، ومات أبو الفرج بن الجوزي يوم دخوله ، فأقام بها شهراً ، ثم عاد إلى دمشق ، وتولى الخطابة والتدريس بزاوية الغزالي ، وهو من الذين قيل : إن علمهم أكثر من تصانيفهم ، لا من الذين عبارتهم دون درايتهم • ومرتبته في العلوم الظاهرة من السابقين ومن الرعيل الأول • وأما في المعارف وحضور الهيبة من الله تعالى فقد عُدَّ رحمه الله نفسه من القسم الثالث ؛ وذلك أنه عُدَّ الناس أقساماً ، فذكر أن القسم الأول هم الذين تحضرهم المعارف من غير استحضار وتفكر واعتبار ولا تغيب عنهم في جميع الأحوال • ثم قال : والقسم الثالث هم الذين تحضرهم باستحضار من غير دوام واستمرار كأمثالنا •

وروي أنه تكرر عليه الاحتلام في ليلة شديدة البرد ؛ فكرر الاغتسال حتى غشي عليه ، فسمع قائلاً يقول : لأعوضنك عز الدنيا والآخرة •

ولما سلم الصالح إسماعيل بن العادل للفرنج قلعة صنف اختياراً أفكر عليه ابن عبد السلام ولم يدع له في الخطبة ، وكان خطيباً بالجامع الأموي ؛ فغضب الملك وحبسه ، ثم أطلقه من السجن فخرج إلى مصر هو وابن الحاجب النحوي وقد كان احتبس معه أيضاً ، فلتقاه صاحبها الصالح نجم الدين بن أيوب وولاه القضاء

والخطابة ، ومكنه من الأمر والنهي حتى هدم سقفاً لبعض الأمراء آذى به المسجد ، فلما سمع أن الوزير شق عليه ذلك حكم على نفسه وعزل نفسه عن القضاء ، فشق ذلك على الناس ، ولزم بيته يفتي ويدرس •

ولما مرض أرسل إليه الملك الظاهر يقول : هل في أولادك مَنْ يصلح لوظائفك ؟ فقال : لا • ولما مات حضر جنازته الخاص والعام •

ومن مصنفاته الجليلة كتاب (التفسير الكبير) وكتاب (شجرة الأخلاق الرضية والأفعال المرضية) و (مختصر الرعاية) وكتاب (الإمام في أدلة الأحكام) وغيرها • وله اليد الطولى في تعبير الرؤيا • ومن شعره :

أوجه وجهي نحوهم مُتَشَفِّعاً إليهم بهم منهم إذا الخطب أعياني
فهم كاشفو ضري وكربي وشدتي وهم فارجو همي وعمي وأحزاني
وهم واهبو الأبصار والسمع والنهي وهم عالمو سري وجهري وإعلاني

توفي بمصر وعمره اثنتان وثمانون سنة ، رحمه الله ونفع به •

وفيها ابن العديم كمال الدين عمر بن أحمد العقيلي الحلبي ، سمع ببلدان كثيرة ، وكان عديم النظر ، ودرس وأفتى ، وصنف وجمع تاريخاً لحلب نحو ثلاثين مجلداً ، وولي خمسة من آباءه القضاء ، وقد ناب مرة في سلطنة دمشق ، وتوفي بمصر •

سنة إحدى وستين وستمائة

عقد مجلس عظيم لبيعة الحاكم حفيد المسترشد العباسي ، وبايعه الظاهر بيبرس بالخلافة ، والأعيان ، وقد حينئذ السلطنة الظاهر ، وخطب من الغد خطبة بليغة ، أولها : « الحمد لله الذي أقام لآل العباس ركناً وظهيراً » • ثم كتب يدعو إليه في الأقطار • وبقي في الخلافة أربعين سنة وأشهرًا •

وفيها وصل أحد أمراء التتر في طائفة كثيرة إلى الظاهر فأسلموا •

وفيها الفقيه سليمان بن خليل العسقلاني الشافعي ، خطيب الحرم ، سبط عمر بن عبد الحميد ^(١) الميائشي ، صاحب المنسك الكبير المعروف عند المكيين بمنسك سليمان •

وفيها شيخ القراء ^(٢) صاحب الشاطبي • وزوج ابنته علي بن شجاع الهاشمي العباسي المصري الشافعي •

سنة اثنتين وستين وستمئة

توفي شيخ الشيوخ عبد العزيز بن محمد الأنصاري الدمشقي الحموي الشافعي ، كان أبوه قاضي حماة ، ويعرف بابن الرفاء ، مشهور بالفضل •

وفيها الملك المغيث صاحب الكرك ابن أيوب ، كان كريماً مفرطاً ، نزل عليه الظاهر بيبرس ، وتحيل عليه حتى نزل إليه ، فخنقه ، وكذلك خنق عمه وأباه العادل •

وفيها ابن سراقه الإمام محيي الدين أبو بكر محمد بن محمد الأنصاري الشاطبي ، شيخ دار الحديث الكاملة ، وله مؤلفات •

وفيها — أو في التي بعدها — توفي فاضل الوترية الفقيه الشافعي أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن رشيد البغدادي ، كان عارفاً بالفقه والخلاف ، وأعاد بنظامية بغداد ، وقدم مصر والاسكندرية ووعظ بها ، وسمع منه جماعة ، وسمع منه ابن جماعة قضاؤه الوترية ، ورافقه في الحج ، ودخل إفريقية ، وطاف بلاد المغرب ، وكان ظاهر التدين والصلاح •

(١) كذا في ب ، وفي الأصل : عمر بن عبد المجيد ، وفي مرآة الجنان ١٥٩/٤ :
عمر بن عبد العزيز •

(٢) اسمه : أبو محمد القاسم بن أحمد المرسي ، (مرآة الجنان ١٦٠/٤)

سنة ثلاث وستين وستمائة

كانت ملحمة عظيمة بالأندلس بين الإفرنج وأبي عبد الله بن الأحمر سلطان المسلمين ، وانهمزم الملاعين ، وأسر ملكهم ثم أفلت ، وحشد وجيش ، ونازل غرناطة فكسرهم ابن الأحمر ثانية ، وأسر منهم نحو عشرة آلاف ، وقتل منهم نحو أربعين ألفاً ، وجمعت رؤوسهم فكافت كوماً هائلاً أذن عليه المسلمون ، واستعيد منهم عدة مدائن .

وفيها جدد بديار مصر أربعة حكام من المذاهب الأربعة لأجل توقف تاج الدين ابن بنت الأغر عن تنفيذ كثير من القضايا ، فتعطلت الأمور ، فأشار بهذا جمال الدين الدغددي العزيزي ، فأعجب السلطان فعله ، ثم فعل ذلك بدمشق .

وفيها الحافظ ابن مسدي^(١) محمد بن يوسف الأزدي الغرناطي ، توفي بمكة بعد أن سمع وأسمع وصنف .

سنة أربع وستين وستمائة

غزا الظاهر بيبرس وبث جيوشه بالسواحل : عكا وصور وطرابلس وحصن الأكراد ، ثم حط على صفد ، فأخذها في أربعين يوماً خديعة ، وضرب رقاب مائتين من فرسانهم ، واستشهد بها خلق كثير ، واستباح المسلمون قارة^(٢) ، وسبي منها ألف نفس ، وجعلت كنيستها مسجداً .

وفيها ابن صصرى بهاء الدين بن سالم الثعلبي الدمشقي ، ولي هو وأخوه شرف الدين المناصب الكبار ونظر الديوان .

(١) كذا في ب ، وفي الأصل : ابن مدي ، وفي مرآة الجنان ١٦٢/٤ : ابن السيد .

(٢) في مرآة الجنان ١٦٢/٤ : دارة .

وفيها مات هولاكو^(١) المثلثي مقدم التتر وقائدهم إلى النار ، وكان بعثه ابن عمه القائن الكبير على جيش المغل ، فوطىء البلاد ؛ أذربيجان والروم والعراق والجزيرة والشام وحصون الإسماعيلية ، وكان فيه حزم وعزم وكرم مفرط ومعرفة بعلوم الأوائل من غير فهم لها ، وكان بعد قتله الملك الكامل محمد بن غازي بن أيوب يصرع في كل يوم مرتين ، وتملك بعده ابنه أبغا ، وخلف سبعة عشر ابناً .

سنة خمس وستين وستمائة

توفي العلامة المعروف بأبي شامة المقدسي ، كني بشامة كانت له فوق حاجبه كبيرة ، وهو عبد الرحمن بن إسماعيل الشافعي المقرئ النحوي المؤرخ ، أتقن القراءات على السخاوي ، وصنف كثيراً منها كتاب (البسمة) في مجلد كبير ، وكتاب (الروضتين في الدولتين النورية والصلاحية) ، واختصر تاريخ دمشق لابن عساکر في خمس مجلدات ، وشرح للشاطبية في غاية الحسن ، ونظم مفصل الزمخشري وغير ذلك ، وولي مدرسة دار الحديث الأشرفية بدمشق ، وكان متواضعاً خيراً ، رحمه الله تعالى .

وفيها ابن [بنت]^(٢) الأغر تاج الدين قاضي القضاة عبد الوهاب بن خلف المصري الشافعي ، صدر الديار المصرية ، وكان له ذهن ثاقب وحس صائب في الأحكام .

وفيها أبو الحسن الدهان علي بن موسى السعدي^(٣) المصري المقرئ الزاهد ، تصدر بالكاملية ، وله ورع وعلم وعمل .

(١) كذا في هامش ب ، وفي متنها : هالاؤون بن قائن ، وفي مرآة الجنان ٤/١٦٣ : هولاء .

(٢) زيادة من ب ومرآة الجنان ٤/١٦٤ .

(٣) كذا في ب ومرآة الجنان ٤/١٦٥ ، وفي الأصل : البغدادي .

وفيها صاحب المغرب المرتضى المؤمني القيسي ، دخل عليه ابن عمه الواثق مراکش ؛ فهرب المرتضى ، فظفر به عامل الواثق وقتله بأمره ، وأقام الواثق بعده ثلاثة أعوام ، ثم قامت دولة بني مرين^(١) وزالت دولة آل عبد المؤمن القيسي .

سنة ست وستين وستمائة

افتتح الظاهر الشام : حصن الأكراد ، وأعمال طرابلس ، وأخذ أنطاكية في أربعة أيام ، وقتل فيها أكثر من أربعين ألفاً .

وفيها خطيب الخليل إبراهيم بن الخطيب عبد الله المقدسي الفقيه النبيه الصالح المصلح السني ، جمعت سيرته في مجلد .

وفيها مات سلطان الروم ركن الدين بن السلطان غياث الدين السلجوقي ، كان هو وأبوه مقهورين مع التتر ، له الاسم ولهم الشرف ، فوشي به إليهم أنه يكتب صاحب مصر ؛ فخنقوه ، ثم أجلسوا مكانه غياث الدين وعمره عشر سنين .

وفيها الضياء الطوسي^(٢) ، شارح (الحاوي الصغير) و (المختصر) ، وهو أول من شرحه ، وله إجازة من الرافعي .

وفيها توفي العلامة علي بن وهب^(٣) القشيري المالكي ، شيخ أهل الصعيد ، نزيل قوص ، والد الإمام تقي الدين بن دقيق العيد ، وكان جامعاً لفنون من العلم ، موصوفاً بالصلاح والتأله ، معظماً في النفوس ، وعظم شأن ولده من بعده حتى قيل : إنه مجدد المائة السابعة .

(١) في مرآة الجنان ١٦٥/٤ : بنو مريق .

(٢) كذا في مرآة الجنان ١٦٦/٤ ، وفي الأصل : الطلوسي ، وفي ب : الطاوسي .

(٣) وردت وفاته في مرآة الجنان ١٦٦/٤ في السنة التالية : سبع وستين وستمائة .

وفي الإصل : محمد بن وهب .

سنة ثمان وستين وستمائة

تسلم الظاهر حصون الإسماعيلية ، وألزم زعيمهم ابن الشعراني أن يحمل كل سنة مائة ألف وعشرين ألفاً .

وفيها - وقيل : في سنة خمس وستين وستمائة - توفي العلامة المجيد الذي ألين له الفقه كما ألين الحديد لداود عليه السلام نجم الدين عبد الغفار بن عبد الكريم ابن عبد الغفار القزويني الشافعي ، أحد الأئمة الأعلام وفقهاء الإسلام ، قال اليافعي : سلك في (حاويه) مسلكاً لم يلحقه أحد ولا قاربه ، قيل : صنفه لولده جلال الدين ، وكان والده من جلة الفقهاء . وقد رد اليافعي على من جهل قدر الحاوي بقصيدة هائلة ، منها :

وفيه أفنى ، به سمعي ، به بصري
إليه وردي وعنه صادر صدري
والبحر فيما حوى من فاخر الدرر
مخالف للصحيح الراجح الشهر
كل التصانيف لا تصفو عن الكدر
منزهاً عن جميع النقص والغير

وفيه حبي ومحفوظي ومعتدي
وفيه درسي وتدريسي ومورده
كأنه السحر في تحسين صنعه
نعم لعمرى يسير من مسأله
لكنه لا يري التكدير منفرداً
سبحان من بالكمال اختص منفرداً

قال الفقيه حسين : وقد صنف بعض المتأخرين مختصرات بفضله ، وذلك (كجامع المختصرات) للنسائي⁽¹⁾ ، ولم يقف عليه اليافعي ، وقد شرحه مصنفه بأربع مجلدات ، وصنف الجمال بن زفكي (الينايع) كالحاوي ثلاث مرات في الحجم ذكر فيه المذاهب الأربعة بأدلتها وتراجيحها ، وأسهب في وصفه ، بحيث لو تأمله النقيه البارع يقول : لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما اشتغلت إلا به ، وكثيراً ما يتتبع فيه عبارة (الحاوي) إلا أن يرى غيرها أحسن منها ، أو يأتي بزيادة عليه ، جزاهم الله خيراً .

ولعبد الغفار اللباب والعجاب واليد الطولى في معرفة الحساب .

(1) في ب : النسائي .

وفيها توفي قاضي القضاة منتجب الدين الأموي الدمشقي الشافعي، تفقه على

الفخر ابن عساكر، وولي قضاء دمشق مرتين، وكان صدراً معظماً معروفاً بالفضائل • قال الذهبي: وكان له في ابن عربي عقيدة تجاوز الوصف، وكان من الطائفة الكوفية الذين يفضلون علياً على عثمان رضي الله عنهما، ثم نُسب إلى التشيع • قال اليافعي: كأن الذهبي جعل التفضيل كالعلة لتشييعه، وهذا من الذهبي العجب العجاب؛ أما علم أن جماعة من أكابر أئمتنا المحققين ذهبوا إلى ذلك؟! منهم سفيان الثوري ومحمد ابن إسحاق والحسين بن الفضل^(١) دعامة الكوفيين؛ ولهذا قال سفيان الثوري حين سئل عن ذلك: «أنا رجل كوفي» • قال اليافعي: وقد أوضحت رجحان الدليل على هذا في كتاب (المرهم) في الأصول، وتثبت أن علياً رضي الله عنه اجتمع فيه من الفضائل في آخر عمره ما لم يكن في أوله، وقد قدمت قصيدة ذكرت فيها التفضيل المذكور، قال: ولكن لو نُسب إلى التشيع بسبب ما ذكر في تاريخه عنه أنه القائل:

أدين بما دان الوصي^ش ولا أرى سواه وإن كانت أمية محتدي
ولو شهدت صفين خيلي لأرعدت وساء بني حرب هنالك مشهدي

لكان ذلك أنسب؛ إذ ذكر علياً بالوصاية لا يقوله إلا الشيعة • هذا معنى قول اليافعي، واستدرك عليه الفقيه حسين وقال: والذي أراه أن الذهبي أعرف بأحوال الرجال منه، ولهذا اتخذ الذهبي هو وابن خلكان قدوة له فيما ينقله، ولكن اليافعي يتحامل عليه كثيراً • قال الفقيه حسين: والذي أراه أن الذهبي قد قصر في وصف بعض الأكابر من الصوفية، وأنصف في مثل ابن عربي وابن التلمساني • وبالجملة فكل مأخوذ من قوله ومتروك، وكل بحسب نظره ومبلغ علمه يعبر، وبالله التوفيق • وذكر الذهبي أن القاضي منتجب الدين هذا قصد ملك التتر، فخلع عليه خلعة سوداء مذهبة، وهذا إن صح فخلعة كبيرة، والله أعلم •

(١) كذا في ب ومرآة الجنان ١٦٩/٤، وفي الأصل: الحسن بن الفضل •

سنة تسع وستين وستمائة

افتتح الظاهر حصن الأكراد ، وأخذ عكا بالأمان ، ودان له صاحب طرابلس ،
وهادنه عشرين سنة •

وفيها جاء سيل طام ، فغلقت أبواب دمشق ، وطمع ، وأخذ البيوت والجمال
وغيرها ، وارتفع عند باب الفرج ثمانية أذرع ، ولو ارتفع ذراعاً لفرق نصف دمشق •

وفيها قاضي حماة شمس الدين إبراهيم بن المسلم بن هبة الله الحموي
الشافعي ، تفقه بالفخر ابن عساكر ، ودرس وأفتى وصنف •

وفيها ابن قرقول صاحب كتاب (مطالع الأنوار) ، وهو إبراهيم بن
يوسف الحموي الشافعي ، كان من الفضلاء الصلحاء ، صحب علماء الأندلس ،
وكتابه ضاهى به (مشارق الأنوار) للقاضي عياض ، صلى الجمعة في الجامع ثم
حضرته الوفاة ، فتلا سورة الإخلاص ، وكررها بسرعة ، ثم تشهد ثلاث مرات ،
وسقط على وجهه ميتاً ساجداً ، رحمه الله تعالى •

وفيها ابن سبعين الملقب قطب الدين عبد الحق بن إبراهيم المرسي المتصوف •
قال الذهبي : كان من زهاد الفلاسفة ، ومن القائلين بوحدة الوجود ، وله تصانيف
وأتباع يقدمهم إلى النار • وتبعه على ذلك الياضي وقال : كان له جاه عظيم عند
صاحب مكة ، وبسبب إقامته بمكة ارتحل عنها الشيخ الإمام القسطلاني [إلى مصر •
مات ابن سبعين بمكة ، وكان ينتسب إلى الفلسفة] ⁽¹⁾ وعلم السيمياء ، وحكي عنه
حكايات في ذلك •

سنة سبعين وستمائة

توفي أبو الفضائل الكمال سلار بن الحسن الإربلي الشافعي المفتي ، إمام
المذهب في عصره ، والمرجوع إليه في حل مشكلاته ، وهو صاحب ابن الصلاح ،
وأحد مشايخ النووي •

(1) ما بين المعقوفين زيادة من ب .

وفيها ابن يونس الإمام العلامة تاج الدين عبد الرحيم ابن الإمام رضي الدين محمد بن العماد الإمام محمد بن يونس الموصلي الشافعي ، مصنف كتاب (التعجيز في مختصر الوجيز) ، وهم أهل بيت علم ، وتولى قضاء الجانب الغربي ببغداد .

سنة إحدى وسبعين وستمائة

توفي الحافظ أبو المظفر يوسف بن الحسن ، عرف بالشرف ابن النابلسي ، سمع وكتب الكثير ، وولي مشيخة دار الحديث النورية .

وفيها الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي القرطبي ، صاحب كتاب (التذكرة بأمور الآخرة) و (التفسير الجامع لأحكام القرآن) الحاكي مذاهب السلف كلها ، وما أكثر فوائده .

[وكان من الغواصين على معاني الحديث ، حسن التصنيف ، جيد النقل] ^(١) .

وفيها ابن الهامل ، المحدث العامل ، محمد بن عبد المنعم ، كان من أعيان المحدثين .

سنة اثنتين وسبعين وستمائة

توفي إمام العربية أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، عرف بابن مالك الطائي الجبالي الشافعي النحوي اللغوي ، صاحب التصانيف النافعة ، روى عن السخاوي وغيره في القراءات ، أربى على من تقدمه في النحو ، مع الدين المتين ، وحسن السميت ، وكمال العقل ، والنفع به عموماً . ومن تصانيفه (الألفية) و (الكافية) و (الشافية) وشرحها ، و (التسهيل) و (قطر الندى) ^(٢) و (قواعد الإعراب) . روى عنه ولده بدر الدين والشيخ علاء الدين بن العطار والشيخ محيي الدين النووي ونقل عنه في شرح مسلم في الطهارة . توفي بدمشق في عشرة الثمانين .

(١) زيادة من ب .

(٢) المعروف أن كتاب (قطر الندى) لابن هشام .

سنة أربع وسبعين وستمائة^(١)

توفي شيخ الشيوخ الخضر ابن شيخ الشيوخ تاج الدين ابن شيخ الشيوخ أبي الفتح الجويني^(٢) ثم الدمشقي ، كان له جاه واسع ، وتقدم أنه عزم على السلطان في إبطال الخمر بدمشق .

سنة خمس وسبعين وستمائة

جاءت كتب أمراء الروم إلى الظاهر يببرس يستدعونه إلى بلدانهم ؛ فسار سريعاً ، وقطع البلاد ، ثم وقع صاحب مقدمته سنقر الأشقر على ثلاثة آلاف من التتر ، فهزمهم ، وأشرف الجيش من الجبال ، وإذا بالتتر قد بعثوا أحد عشر طلباً ، الطلب ألف فارس ، فلما التقى الجيشان انكشف المسلمون ؛ فحمل الظاهر بنفسه حملة صادقة ؛ فهزمهم وأخذتهم السيوف المحمدية حتى قتل أكثرهم ، وقتل من أمراء المسلمين جماعة ، ثم سار الظاهر يخترق مملكة الروم من السلاجقة المقهورين بأيدي التتر حتى وصل قيصرية الروم ، فتلقاه أعيانها ، ودخلها ، وجلس على سرير ملكها ، وصلى الجمعة بجامعها ، ثم بلغه أن التتر يطلبونه ؛ فرحل عنهم ، وخلفه قائد التتر هولوكو^(٣) فوضع في الروم السيف ، ولم يقبل لهم عذراً ، قيل : قتل منهم ما يزيد على مائتي ألف ، فإننا لله وإننا إليه راجعون .

وفيها عماد الدين الدمهوري^(٤) ، ودمهور من أعمال مصر ، وكان فقيهاً لكنه أكثر الاعتراض على الشيخ في مذهبهِ وتبنيهِه ، فأخمل الله ذكره .

(١) هذا العنوان نقص من الأصل ، واستدرك من ب ومرآة الجنان ١٧٣/٤

(٢) في مرآة الجنان ١٧٣/٤ - ١٧٤ : « . . . أبي الفتح عمر بن علي بن القدوة الزاهد محمد بن حموية الحموي » .

(٣) في مرآة الجنان ١٧٤/٤ : أبغا ، ولتله هولوكو .

(٤) وردت وفاته في ب في السنة السابقة : سنة أربع وسبعين وستمائة .

سنة ست وسبعين وستمائة

توفي الظاهر بيبرس بقصر الأبلق بدمشق ، وحلفت الأمراء لولده السعيد ، وكان أبوه قد استخلفه في حياته . وهو أبو الفتح الظاهر بيبرس التركي الصالحي النجمي ، يعرف بالبندقدрани ، وكان قد اشتراه الأمير علاء الدين [الصالحي ، فقبض الملك الصالح عليه ، وظهر من شهامته وشجاعته ما أظهر أمره] (١) ، وصار أميراً في الدولة المعزية ، ثم ولي السلطنة سنة ثمان وخمسين وستمائة ، وكان مؤيداً بالنصر ، مجاهداً ، خليقاً للملك لولا غشم فيه أحياناً ، وقتل جماعة من مواليه الملوك [بني أيوب ، وهو يعد من] (١) الملوك العادلين ، رحمه الله .

وفيها إمام اليمن وبركة الزمن ، إمام الطريقين ، وقدوة الفريقين ، الفقيه الكبير ، الولي الشهير ، صاحب الكرامات الظاهرات أبو الذبيح إسماعيل بن محمد الحضرمي ، صاحب الضحّي (٢) من أعمال المهجم ، وبها قبره مشهور مزور . اشتغل أولاً على والده ، وتجر وبرع ودرس وأفتى ، وفتاويه مجموعة ، وشرح (المهذب) واختصر (صحيح مسلم) وكتاب (العرائس) وسماه : (نفائس العرائس) ، وروى (التنبيه) عن والده عن الإمام محمد بن كبانة بن عبدويه . قال الياضي : وجدت خطه بذلك . وبه تفقه الإمام ابن الخطيب صاحب مَوْزَع وغيره . وله كرامات مجموعة وسبعة ، نفعنا الله به وبآبيه ، ولثله يقال : النجيب ابن النجيب .

ومن اتفق به وتخرج العلامة أحمد بن الرنبول ، ورحل عنه ابن الرنبول بعد أن اتفق به ، وهجره لشيء وقع في نفسه ، وكان في خلقه شدة ، فجاءه الفقيه إسماعيل واسترضاه واعتذر إليه ، فقال له ابن الرنبول : أتحسب أنني لا أجد مثلك؟! فبكى الفقيه إسماعيل وقال : يا أحمد تجد مثلي ولا أجد مثلك . ومنهم الإمام علي ابن أحمد القيسي الجعفي (٣) وغيرهم .

(١) زيادة من ب . (٢) الضحّي : اسم القرية التي يسكنها .

(٣) كذا في ب ، وفي الأصل : الجعفي ، وفي مرآة الجنان ٤/١٧٧ : علي بن أحمد

العبيسي الجعفي .

وسأله سائل عن مسألة قد أجاب عنها الفقيه أحمد بن موسى بن عجيل، فأجاب بخلاف جوابه، فتحير الرجل، فقال له الفقيه إسماعيل: خذ بجوابنا، فإن دباغنا في الفقه أقوى من دباغهم. وكان أحد الفقيهين المذكورين أفقه من الآخر وأقوى نقلاً، وقد جمع عنهما فتاوى في جزء لطيف وكانا يصحبان الشيخ أبا الغيث بن جميل، والفقيه إسماعيل أكثر ملازمة له لقرب البلد، وكان يقول: شيخي أبو الغيث.

وشوهدت الكعبة تطوف بسريه بالليل في حالة المشاهدة!! وفادته سدرة المنتهى وطلبت أن يأكل منها هو وأصحابه!! وسمع قوماً يعذبون في المقابر فشفع فيهم!! واستوقف الشمس عن الغروب^(١) حتى وصل إلى زيد من مكان بعيد!! وكان الملك المظفر يقول لحاجبه: لا تتركه يدخل علينا إلا بإذن خشية أن يرى منا ما يكره، فدخل عليه يوماً ولم يشعر به حاجب ولا غيره. وكان جلة العلماء يقبلون قدمه لإشارة اشتهرت عنه في ذلك. قال الياضي: أخبرني الفقيه نجم الدين الطبري أنه رآه هو وجده محب الدين الطبري وقبلاً قدمه. قال: وأخبرني نجم الدين أنه نعي بمكة والإمام أحمد بن موسى يومئذ بها حاج، فقال: أرجو أن يفديه الله بمائة فقيه، ثم جاء الخبر أنه حي، وعاش بعد ذلك زماناً.

وولاه المظفر قضاء الأفضية، وكان المظفر يطيعه، وكتب إليه مرة في شقف خزف: (يا يوسف) • فعاتبه السلطان وقال: هب أنك موسى ولست بموسى، وأني فرعون ولست بفرعون. وفي رواية: أرسل من هو خير منك إلى من هو شر مني، وأمره الله باللطف واللين فقال: (قولا له قولاً لئلاً لعله يتذكر أو يخشى) أما تكتب إليّ في ورقة بفلس!؟

وكان إذا كشف له أن الحق في جانب المقضي عليه يصرفهما إلى قاض آخر، وهذا أحوط مما كان يفعله بعض القضاة المنورين من الحكم بما انكشف له من حكم الباطن.

(١) اخترنا هذا الكتاب للطبع لما اشتمل عليه من التراجم الكثيرة المختصرة، ولكن مؤلفه رحمه الله تنزع به روح صوفية فيورد من كرامات المتصوفة ما لا يقبله شرع ولا عقل تجاوز الله عنه. اهـ (المشرف).

وسبب ولايته للقضاء أنه استدعاه المظفر هو والفقير أحمد بن موسى للقضاء، فقال الفقيه إسماعيل : يا فقيه أحمد ، إن الله استرعانا عليه كما استرعاه على الرعية ، فنحن نأمره وننهاه ، فإن قبل منا وإلا كنا قد خرجنا من العهد . فلما اجتمعا به استتقى الفقيه إسماعيل ، ثم عزل نفسه بعد حين ، وذلك أنه دخل بيت نائبه يزيد وقد عهد من قبل ضعيف الحال فقال : من أين لك هذا؟! فقال : من سعادتك يا أبا الذبيح ، فقال : ذبحني الله إن تركتك ، ثم عزله وعزل نفسه .

وكان مع زهده كثير الزوج ، وقال : كل شيء قدرت على الزهد فيه إلا المرأة الحسناء والدابة النفيسة . وقال لبعض ذريته : لا تتزوجوا في يزيد فإني أخشى أن تقعوا في محارم لكم .

وقال : حصل اجتماع بجماعة من المشايخ المتقدمين في حال اليقظة ، وكل واحد منهم أفاد فائدة ، ومجموع ذلك : من لم يفارق تعب ، ومن نظر إلى نفسه بغير المراعاة عطب . إن وجدت في الدنيا ما يبقى لك وتبقى عليه فاعكف عليه . ومن وقف على العوائق لحظة أو ثقته . ما بقي من السم فقاتل وإلا فمرض . إنك ميت فتجهز ، وإنهم ميتون فلا تتعلق بهم . من لم يكفه لفظه لم تنفعه القناطر المقنطرة .

والجماعة المذكورون سبعة : أبو يزيد ، وذو النون ، وبشر الحافي ، والجنيدي ، والسري ، وأبو تراب [والشبلي] (١) ، رضي الله عنهم وفتح بهم ، كل قال كلمة من الكلمات .

ومما وقع له من الخطابات المشهورات : يا إسماعيل ، إنا مشتاقون إليك فهل أنت مشتاق إلينا؟ أو فما هذا التخلف؟ فقال : يا رب عوقنتي الذنوب ، فقيل : قد غفرنا لك ولأهل تهامة من أجلك .

وكان في بدايته معتزلا عن الناس مختلياً بنفسه ، يقات من النبق . وكان ابن عجيل يتأدب معه ويقول : نحن محبوبون وهو محبوب . وربما مشى معه وهو راكب . وحجا معاً في سنة بركب اليمن ، فلتقاهاهم سلطان مكة أبو نمي ، وكان له في ابن عجيل

(١) زيادة من مرآة الجنان ٤/١٨٠

عقيدة ومحبة ، وكان يسافر بركب الحجاج إلى الحرمين ، وكان أبو نمي لا يلبس حريراً ، فأنكر عليه الفقيه إسماعيل وأخذ بطوقه وقال : يا شريف إنما يلبس هذا من لا خلاق له ؛ فبقي الشريف مبهوراً ينظر إلى ابن عجيل ، فقال له ابن عجيل : أندري من هذا؟ هذا الأرعن على ربه ، لو تغير علينا هلكننا كلنا . وفصائله وكراماته لا تنحصر ، ولا تحتمل بعضها العقول .

وفيها توفي الشيخ الإمام ، محرر المذهب ومهذب ومنقحه ، عديم النظير علماً وعناءً ، هدياً ودلاً وسمناً محيي الدين النووي أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين الشافعي ، صاحب (الروضة) و (المنهاج) و (المناسك) و (تهذيب الأسماء واللغات) و (شرح مسلم) و (شرح المهذب) و كتاب (التبيان في أدب القرآن) و (الأذكار) و (رياض الصالحين) و (الأربعين) و (الإرشاد) و (التقريب) و (التفسير) و (طبقات فقهاء الشافعية) وقطع كثيرة اخترتمه المنية وهو شارح فيها ، وكلها معمورة بالتحصيل ، ومشهورة بعموم النفع ، متلقاة بالقبول لحسن قصده .

قال اليافعي : وبلغني أنه حصلت له نظرة جمالية من نظرات الحق سبحانه وتعالى بعد موته فظهرت بركتها على كتبه .

ولد سنة إحدى وثلاثين وستمائة . وقدم دمشق سنة تسع وأربعين وهو ابن ثمان عشرة سنة ، فقرأ (التنبيه) في أربعة أشهر ونصف ، وحفظ ربع (المهذب) في بقية السنة ، وكان له على المشايخ في اليوم اثنا عشر درساً شرحاً وتصحيحاً ، ومكث قريباً من سنتين لا يضع جنبه على الأرض .

وعنه قال : عزمت مرة على الاشتغال بالطب ، فاشترت (القانون) فأظلم قلبي ، ومكثت أياماً لا أشتغل بشيء ، فتفكرت فإذا هو من (القانون) ؛ فبعته في الحال .

وكان لا يدخل الحمام ، لا يأكل في اليوم والليلة إلا أكلة واحدة بعد صلاة العشاء ، ولا يشرب إلا واحدة عند السحر ، ولا يأكل من فواكه دمشق لكثرة الشبه ، ولا يشرب الماء المبرد بالثلج ، وكان كثير السهر في العبادة والتصنيف ، صابراً على خشونة العيش في ورع لم يبلغه أحد . وإنما اختار المدرسة الرواحية لنزوله لأنها من

بناء بعض التجار أهل الحل • وحج به أبوه سنة إحدى وخمسين ، قال والده : فلم تفارقه الحمى إلا يوم عرفة وما تضجر ، وسمع من الرضي بن برهان الدين بن خالد ، وشيخ الشيوخ عبد الحميد الحموي ، والكمال الإربلي ، وأكثر اتفاعة عليه • وقرأ الأمهات الخمس وابن ماجه والدارقطني وشرح السنة ومسندي الشافعي وأحمد • ومن أخذ عنه علاء الدين العطار وأبو الحجاج المري ، ومحيي الدين الدرعي ، وشمس الدين بن النقيب وهو آخر من بقي من أعيان أصحابه ، وخلق كثير • قال اليافعي : منهم جبريل الكردي الشيخ الصالح قال : وسمعت عليه (الأربعين) •

قال : وكان رحمه الله يصدع بالحق ، ويواجه الأمراء والملوك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ أفكر مرة على الملك حتى أغضبه وهم أن يبطش به ، فواقاه الله شره ، ثم قبل منه وعظمه ، وكان الملك الظاهر بيبرس يقول : أنا أفزع منه •

وولي مشيخة دار الحديث الأشرفية ولم يتناول من معلومها شيئاً بل يقتصر على ما يبعث به إليه أبوه ، وبورك له في أوقات عمره القصير ، فوسع قراءته وإقراءه وتصنيفه الواسع ، مع حظ وافر في الأوراد والعبادة من صيام دائم وعمل منتظم •

وفضائله كثيرة شهيرة ، وقد ألف فيها ابن العطار جزءاً وقفت عليه ، فذكر فيه من الفضائل ما لا يحصى ، وفيه مرث كثيرة رثاه بها الأعيان من العلماء • قال اليافعي : وله من الفضائل ما لا يعرف لسواه إلا أن يكون ابن عجيل ، وقل أن يوجد لهما ثالث فيما اتصفا به من المحاسن في صغر سنهما • ومن المشهور أنه كان يقتدي في التصوف بالشيخ الكبير ياسين المزين ويقبل إشارته • وحكي عنه أنه أشار عليه قريب موته برد ما عنده من الكتب المستعارة وزيارة أهله بنوى ؛ ففعل ، وودع من بقي من مشايخه ، ثم توفي عندهم في الرابع والعشرين من رجب وفي لحيته شعرات بيض •

قال اليافعي : رأته في النوم ، ودعا لي فقال : وفقك الله وزادك فضلاً وثبتك بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة • قال : وبلغني أنه كان يبكي بالليل وينشد :

لئن كان هذا الدمع يجري صباية على غير ليلى فهو لا شك ضائع

تفعلنا الله به •

وفيها الشيخ خضر بن أبي بكر المهراني العدوي شيخ الملك الظاهر ، كان له حال وكشف ، [وفيه سنة] ^(١) ، تغير عليه السلطان بعد انقياده له ، وعقد له مجلساً نسب إليه فيه أموراً فظيعة ، وأشير على السلطان بقتله ، فقال للسلطان : بيني وبينك في الموت شيء يسير ، فوجم السلطان ، وجبسه إلى أن توفي في سادس محرم والسلطان في الثاني والعشرين منه •

وفيها الزكي بن الحسين البلقاني ، الفقيه الشافعي الطويل الباع المناظر ، أخذ عن فخر الدين الرازي ، وسمع من المؤيد الطوسي ، وكان صاحب ثروة وتجارة ، وعمر دهرأ ، وسكن اليمن ، ومات بعدن • وقيل : إن الفقيه إسماعيل قرأ عليه •

سنة ثمان وسبعين وستمئة

اختلف خواص الملك السعيد عليه ، وتابعه من الظاهرية مماليك أييه نحو أربعمئة ، ثم إن مقدم الخارجين عليه سيف الدين قلاوون سار عليه بمن معه ، فحاصروه بالقلعة حتى ذل لهم وخلع نفسه ، وخرج إلى الكرك ، وقد كان قدم خزائن ماله إليها ، وسلطنوا أخاه سلامش وعمره سبع سنين ، ثم خلعه سيف الدين قلاوون الصالحي ، وسله من الوسط ، وترتب في السلطنة ، وتسمى المنصور ، وذلك في رجب من غير قتال ، ولا اختلف عليه اثنان ، وجعل نيابة دمشق لسنقر الأشقر ^(٢) ثم في ذي الحجة خلع سنقر طاعة قلاوون ، وتسلمن بدمشق ، ولقب بالكامل ، وجرت حروب بين المصريين والشاميين ^(٣) ، وغلب سنقر وانهمز عنه أصحابه وخذلوه ، فتوجه إلى الرحبة ، واستولى على سواحل الشام ، ورتب المنصور في دمشق لاجين المنصوري ، وكان ممن أبي طاعة سنقر بدمشق ، وصفح السلطان عنم ظاهر سنقر •

وفيها توفي شيخ الشيوخ عبد الله بن عمر الجويني •

(١) زيادة من ب •

(٢) في النسختين زيادة : لسنقر الأشقر عيسى بن مهنا الصالحي ، وعيسى شخص آخر غير سنقر ، تراجع مرآة الجنان ٤/١٩٠

(٣) في مرآة الجنان ٤/١٩٠ أن هذه الحروب جرت في السنة التالية : سنة تسع وسبعين وستمئة •

سنة تسع وسبعين وستمائة

وصلت التتر حلب ، ووضعوا السيف ورموا النار في المدائن ، وأحرقوا منبر الجامع ، وأقاموا يومين ، ثم ساقوا المواشي والغنائم .

وفيها خرج المنصور إلى الشام ، وخضع له أهل عكا وهادنوه ، واستسلم له سنقر الأشقر ، فعفا عنه وأكرمه .

سنة ثمانين وستمائة

قبض المنصور على جماعة من الأمراء ، وهرب السعدي والهاروني إلى سنقر ، ودخل المنصور^(١) دمشق ، وبعث عسكرياً حاصروا شيزر وأخذوها من سنقر ، فرضي سنقر وصالح السلطان ، وأطلق له أنطاكية وغيرها .

وفيها كانت وقعة حمص ، أقبل سلطان التتر يطوي البلاد ، وسار إليه المنصور ، فالتقوا بحمص شمالي تربة خالد بن الوليد ، وكان التتر مائة ألف ، والمسلمون خمسون ألفاً ، فانكسرت ميسرة المسلمين مع بعض القلب ، فثبت السلطان مع فوارس من أعيان الأمراء ، وبهرت شجاعتهم ، مثل سنقر والوزير والسعدي ولاجين ، فانكسر أعداء الله ، وأصيب ملكهم بطعنة يقال : إنها من الشهيد لاجين ، والحمد لله .

وفيها الشيخ العلامة الصالح يوسف بن حسن الشيباني الكواشي ، وكواشة : قلعة بالموصل ، وكان منقطع القرين زهداً وورعاً وصلاحاً ، وله كشف وكرامات .

(١) كذا في ب ، وفي الأصل : الظاهر .

وفيها ابن بنت الأغر قاضي القضاة عمر ابن قاضي القضاة [عبد الوهاب العلائي ، ولي القضاء بمصر سنة ثم عزل]^(١) .

[وفيها شيخ الإسلام قاضي القضاة]^(١) ، عرف بابن رزين محمد بن الحسين العامري الحموي الشافعي ، طلب العلم في صغره ، [فبرع في فنون كثيرة ، وأفتى وله ثمانني عشرة سنة ، أخذ الفقه عن ابن الصلاح ، والقراءات]^(١) عن السخاوي ، وكان يفتي بدمشق في أيام ابن الصلاح ، ويؤم بدار الحديث ، ثم تولى الوكالة في أيام الناصر مع تدريس الشامية ، ثم تحول إلى مصر ودرس بالظاهرية ، ثم ولي قضاء القضاة فلم يأخذ عليه رزقاً تديناً وورعاً ، وتفقه به جماعة .

وفيها الحافظ ابن الصابوني محمد بن علي ، شيخ دار الحديث النورية ، حصل الأصول ، وجمع وصنف .

سنة إحدى وثمانين وستمائة

توفي قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان ، وهو أبو العباس أحمد بن محمد ابن إبراهيم بن أبي بكر الإربلي الشافعي ، قاضي القضاة ، صاحب التاريخ المشهور ، رحل ولقي الأكابر ، وبرع في الفضائل والآداب ، ونب في قضاء مصر مدة ، ثم ولي قضاء الشام عشر سنين ، ثم عزل بابن الصائغ ، فأقام بمصر معزولاً سبع سنين ، ثم رد إلى قضاء الشام وعزل به ابن الصائغ ، وتلقاه يوم دخلها نائب السلطنة وأعيان دمشق ، وكان يوماً مشهوداً قلَّ أن رأى قاضٍ مثله ، وكان عارفاً بالمذهب وفنونه ، حسن المذاكرة ، حلو المحاضرة ، جميل الأخلاق ، وتاريخه من أجمع التواريخ وأحسنها ، لكنه لم يذكر فيه من الصحابة إلا جماعة قليلة تدعو الحاجة إليهم ، ولم يذكر الخلفاء الأربعة اكتفاءً بذكرهم في المصنفات الكثيرة وشهرتهم ، وبالغ في وصف من عاصره من الملوك والولاة . وعزل آخرأ بابن الصائغ ، واستمر معزولاً ويده المدرسة الأمينية إلى أن توفي ، وشيعه يوم مات خلق كثير ، ومن شعره :

(١) نقص من الأصل ، واستدرك من ب .

أيُّ ليلٍ على الحب أطالته
 ينشدُ الربعَ عن ظباء المُصلّي
 هذه سنة المحبين ييكون
 يا عريب الحمى اعدروني فإني
 فصلونا إن شئتم أو فصّدوا
 سائقُ الظعن يوم زمّ رحاله
 ما على الربع لو أجاب سؤاله
 ن على كل منزل لا محاله
 ما تجنّبت أرضكم عن ملاله
 لا عدناكم على كل حاله

نعم ، وانقطع النقل عن ابن خلكان من ههنا وأرّخ كما أرخ ، وهو سبيل مهّيج ، نسأل الله حسن الخاتمة . قال ابن دريد :

وإنما المرءٌ حديثٌ بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى

وفيها الشيخ الكبير عبد الله بن أبي بكر الحربي^(١) ، بقية شيوخ العراق ، وله أحوال وكرامات وأتباع ، وسمع الحديث . قال الذهبي : كان شيخنا شمس الدين الدباهي يحكي عنه عجائب وكرامات .

وفيها زين الدين عبد السلام بن علي المالكي ، شيخ القراء ، الزاهد العابد ، قرأ على السخاوي ، وولي مشيخة الإقراء اثنتين وعشرين سنة ، وتخرج به خلق كثير ، وولي القضاء سبعة أعوام ، وعزل نفسه يوم مات صاحبه شمس الدين بن عطاء ، واستمر على التدريس والإفتاء والإقراء إلى أن توفي .

وفيها هلك طاغية التتر المغلي ، وكان نصرانياً ، جرح يوم حمص ، وحصل له غم ، واعتراه صرع متدارك كأبيه هولاً وو .

سنة اثنتين وثمانين وستمائة

الشيخ محمد بن أحمد بن قدامة^(٢) المقدسي الحنبلي ، كان منقطع القرين وعديم النظير عملاً وفضلاً وجلالاً .

(١) في مرآة الجنان ٤/١٩٧ : الخريبي .

(٢) في مرآة الجنان ٤/١٩٧ : الإمام شمس الدين عبد الرحمن بن القدوة الزاهد محمد بن أحمد بن قدامة .

وفيها العماد الموصللي علي بن يعقوب الشافعي المقرئ ، انتهت إليه رئاسة الإقراء ، وكان فصيحاً مفوهاً فقيهاً مناظراً تكرر على (وجيز) الغزالي .

سنة ثلاث وثمانين وستمائة

توفي ابن المنير العلامة أحمد بن محمد الجذامي الإسكندراني المالكي ، صنف كثيراً .

وابن الندي^(١) ، قاضي القضاة وابن قاضيها وأبو قاضيها نجم الدين عبد الرحيم ابن إبراهيم بن هبة الله الجهني الشافعي ، كان مع فقهه له شعر حسن وديانة وصدق وتواضع ، توفي في تبوك في ذي القعدة ، فحمل إلى المدينة .

وفيها عيسى بن مهنا ملك العرب بالشام ورئيس أهل الفضل ، كانت له المنزلة العظيمة عند سلطان مصر .

قال الياضي : كنت يوماً ماراً إلى القرافة تحت قلعة السلطان ، فرأيت جمعاً مجتمعين فإذا هم على رباب يسمعون عرب عيسى وهم يجتمعون على واحد منهم يسمعونهم ، ففكرت فيما أسكت به صاحب الرباب وأنا فقير حقير وهم وفد عزيز على السلطان ، فهولت عليه بالصياح بقولي : اسكت ، اسكت ، وكررت حتى أوهمت أنني صاحب شوكة ، فرفع رأسه إليّ وسكت ، فقلت : أما علمت أن هذا حرام ؟ فقال : من حرّمه ؟ فقلت : الله ورسوله ، فقال : إلا على آل عيسى ! فعجبت من جهله وذهبت .

وقام بعد عيسى ولده حسام الدين مهنا صاحب تدمر .

وفيها ابن الصائغ قاضي القضاة محمد بن عبد القادر الأنصاري الدمشقي الشافعي ، كان علامة فتونياً ، عزل به ابن خلكان ، فقام بالحق بكل ممكن مع فظافة وإهمال لجانب الأكابر من أهل زمانه ، فنهضوا لخفض شأنه ، وامتنحن ، وانقطع بمنزله حتى توفي .

(١) في مرآة الجنان ٤/١٩٨ : ابن البارزي .

وفيها صاحب حماة الملك المنصور [محمد بن مظفر الأيوبي] ^(١) ، تملك بعد أبيه وله عشر سنين ، وكان مذموماً في ديوانته ، سامحنا الله وإياه .

وفيها الإمام محمد بن موسى بن النعمان التلمساني ، قدم الإسكندرية شاباً فسمع بها ، وكان عارفاً بمذهب مالك ، راسخ القدم في العبادة ، وودفن بالقرافة ، وشيعه أمم ، وله مناقب مشهورة .

قال الذهبي : كان أشعرياً منحرفاً عن الحنابلة . قال الياضي : هذه عادته من التنقص لأئمة الأشعرية .

سنة أربع وثمانين وستمائة

توفي النسفي ، الإمام العلامة ، برهان الدين محمد بن محمد بن محمد ، الحنفي المتكلم ، صاحب التصانيف في الخلاف ، تخرج به خلق ، مات وله نحو أربع وثمانين .

وفيها ست العرب أم الخير بنت يحيى الدمشقية الكندية ، سمعت من مولاها التاج الكندي . وحضرت سماع الغيلانيات على ابن طبرزد .

وفيها الصائغ مقيء بلاد الروم ، المجوّد الضرير ، أبو عبد الله محمد بن البصري ، كان مع تبخره في القراءات بصيراً بمذهب الشافعي صالحاً .

سنة خمس وثمانين وستمائة ^(٢)

ابن الزكي ، قاضي القضاة محيي الدين أبو المعالي محمد ابن قاضي القضاة زكي الدين علي ابن قاضي القضاة منتجب الدين محمد بن يحيى الدمشقي الشافعي .

(١) زيادة من هامش ب . وفي الأصل : الملك المنصور أحد بني أيوب .

(٢) هذا العنوان نقص من الأصل ، واستدرك من ب ومرآة الجنان ٢٠١/٤ .

سنة ست وثمانين وستمائة

توفي أبو اليمن ابن عساكر عبد الصمد بن عبد الوهاب ابن زين الأمانة
الدمشقي ، المجاور بمكة ، روى عن جده وغيره ، وكان صالحاً ، قوي المشاركة في
العلم ، بديع النظم ، لطيف الشائل ، صاحب توجه وصدق ، جاور بمكة أربعين
سنة ، توفي وقد نيف على السبعين • ومن نظمه ، وقد دعاه الوزير أبو المحاسن
العديدة المعروف بابن حنا إلى التدريس لما بلغه من فضله ، قصيدة من جملتها هذه
الآيات :

يا مَنْ دَعَانِي إِلَى أَبْوَابِهِ كَرَمًا
وَمِنْ حَدَانِي إِلَى تَدْرِيسِ مَدْرَسَةٍ
أَتَيْتُ اللَّهَ جَارًا لَا أَلُودُ بِمَا
وَإِنِّي طَائِفٌ مِنْ حَوْلِ كَعْبَتِهِ
إِنِّي إِلَى بَابِ بَيْتِ اللَّهِ أَدْعُوكَا
إِنِّي إِلَى السَّبْعِ فِي التَّطَوُّافِ أَحْدُوكَا
شَيْءٌ سِوَاهُ وَهَذَا الْقَدْرُ يَكْفِيكََا
أَرَى مَلُوكَ بَنِي الدُّنْيَا مَمَالِيكََا

وفيهما قطب الدين القسطلاني محمد بن أحمد بن علي المكي ثم المصري ،
سمع من الشيخ شهاب الدين السهروردي وابن البنا ، وفقه وأفتى ، ويقال : له
ألف شيخ ببلدان شتى ، وكان ممن جمع العلمين كأبيه ، ولي مشيخة دار الحديث
الكاملية ، وأبوه أبو العباس المعروف بزاهد مصر أبو العباس تلميذ أبي عبد الله
القرشي ، وأمه تزوجها أبو العباس بعد وفاة الشيخ بإشارة منه بعد موته ، فأثرت
الإشارة في قطب الدين ، وكان مباركا مكاشفاً من صغره •

وفيهما البدر بن مالك ابن العلامة جمال الدين بن مالك الطائي الجياني •
قال الذهبي: كان بدر الدين ولد ابن مالك - يعني هذا المذكور - ذكياً عارفاً بالمنطق
والأصول ، ولكنه كان لعباً معاشراً • توفي بالقولنج في الحرم ولم يتكهل • واستدرك
عليه الياضي حيث ذكر أنه رأى ترجمته في شرحه الألفية حيث وصفه المترجم بأوصاف
جسيمة في العلم والدين كوصف والده ، لكن الذهبي أعرف بأحوال الرجال ، والياضي
مقر له بذلك ، لا سيما في مثل هذا ، تتأكد معرفته بتقارب الزمن واتحاد البلد ،
يعني دمشق •

سنة سبع وثمانين وستمائة

توفي الشيخ إبراهيم بن معصار أبو إسحق الجعبري الزاهد الواعظ ، روى عن السخاوي ، وسكن القاهرة ، وكان لكلامه وقع في القلوب لصدقه وإخلاصه وصدمه بالحق . هذه ترجمة الذهبي . وأثنى عليه الياضي كثيراً ، وذكر من كراماته أنه جاء إلى موضع قبره ثم قال ، يا قبير قد جاءك زبير ، ومكث هناك ليس به علة ولا مرض ، ثم توفي عن قرب . وحضر مياعده يوماً الشيخ العارف أبو محمد المرجاني مستخفياً ، فقال في أثناء كلامه : جاءكم المرائي الجاني . وانقطع في حياته بعض الأمراء وترك الخدمة ، فقطعوا خيره ، فكتب إليهم الشيخ : أيتها الكلاب الزورية اتركوا من اللحم على العظم بقية تأكلها الكلاب البلدية ، وأرسل بها . فلما وقف عليها السلطان [القاهر بن أيوب] ^(١) استشاط ، فوصف له حال الشيخ ؛ فسكن ، ورد لذلك الأمير خيره . وكان مذهبه المحو الكلي وإظهار الإفلاس . لما وقف على قول الشيخ عبد القادر :

أنا بلبل الأفراح أملاً دوحها طرباً وفي العلياء باز أشهب

فقال :

أنا صرصر المرحاض أملاً بيته تنناً وفي البيداء كلب أجرب

وقال له بعض أصحابه : سمعت بيتين أعجباني ، فقال : ما هما ؟ فقال :

وقائلة أنفقت عمرك مسرفاً على مسرف في تيهه ودلاله
فقلت لها كفي عن اللوم إنسي شغلت به عن هجره ووصاله

فقال له : ما هذا مقامك ولا مقام شيخك ، فأطرق التلميذ ساعة ثم قال : قد

وقع لي غيرهما ، فقال : ما هما ؟ قال :

وقائلة دام اتسابك دائماً فهل أنت يوماً قد خطرت بباله
فقلت لها ما كنت أهلاً لهجره فما تعتريني شبهة في وصاله

(١) زيادة من ب ، وفي مرآة الجنان ٢٠٥/٤ : الظاهر بن أيوب .

قال : ومما أنشدنا عنه ولده ناصر الدين :

أحنث إلى ملح السراب بأرضكم فكيف إلى جمع به مجمع السرب
فوا أسفي دون السراب وإني أخاف بأن يقضى على ظمئي نجبي

قال : وذكر محاسنه يحتاج إلى تصنيف مستقل ، رحمه الله وفقنا به •

وفيها الشيخ ياسين الحجام المغربي ، كان من ذوي الأحوال والمكاشفات ، يتستر بالحجامة عن ظهور الولاية والكرامة ، وكان الشيخ محيي الدين النووي يتردد إليه ويتبرك به ويتلمذ له ويقبل إشارته • هذه ترجمة الياضي قال : وأما قول الذهبي : « الحاج ياسين المغربي الحجام الأسود ، كان النووي يزوره ويتلمذ له » فغير لائق بقدرهما • توفي ياسين وقد قارب الثمانين •

وفيها ابن النفيس علاء الدين علي بن أبي الحزم القرشي الدمشقي ، شيخ الطب بمصر ، صاحب التصانيف والمشاركة في الفقه والحديث والأصول •

سنة ثمان وثمانين وستمائة

حاصر المنصور قلاوون طرابلس وأخذها بالسيف ، وغنم المسلمون منها ما لا يوصف ، وأخربها ، وكانت من أحسن المدائن ، ثم أنشأ منها مدينة شرقيها على ميل ، فجاءت رديئة الهواء والمزاج •

وفيها توفي يوم عرفة الشيخ العماد أحمد بن العماد إبراهيم المقدسي الصالحي ، تفقه ثم تجرد وتفقر ، وصار له أتباع ومريدون طعن فيهم الذهبي •

وفيها المعلم ابن الصاحب أحمد بن يوسف المقرئ ، اشتغل ودرس وتميز ثم تفقر وتجرد ، وغض منه الذهبي أيضاً ثم قال : ونوادره مشهورة ، وروائده حلوة ، وله أولاد رؤساء •

وفيها زينب بنت مكي الحراني ابن علي بن كامل ، الشبيخة المعمرة العابدة أم أحمد ، سمعت من ابن طبرزد وغيره ، وازدحم على بابها الطلبة ، وعاشت أربعاً وتسعين سنة •

وفيها الفخر البعلبكي المفتي عبدالرحمن بن يوسف^(١) ، سمع من القزويني^(٢) والزيدي وجماعة ، وعرض أنواع الحديث على مؤلفه ابن الصلاح ، وأخذ الأصول عن الأمدى ، وكان من الصالحين •

وفيها شمس الدين الأصبهاني ، الأصولي المتكلم ، العلامة محمد بن محمود نزيل مصر ، صاحب التصانيف ، له كتاب (القواعد) في العلوم الأربعة : الأصلين والخلاف والمنطق ، وتخرج به المصريون • توفي وقد نيف على السبعين •

سنة تسع وثمانين وستمائة

توفي السلطان المنصور قلاوون التركي الصالحي النجمي ، كان من كبار الأمراء زمن الظاهر بيبرس ، وتملك سنة ثمان وسبعين ، وكسر التتر يوم حمص ، وغزا الفرنج غير مرة ، توفي بالمخيم بظاهر القاهرة وهو عازم على الغزو •

وفيها خطيب دمشق عبد الكافي بن عبد الملك الدمشقي الشافعي المفتي ، ناب في القضاء مدة ، وكان ديناً حسن السمات ، وللناس فيه عقيدة كبيرة •

وفيها الرشيد الفارقي عمر بن إسماعيل بن مسعود الشافعي الأديب ، درس بالناصرية ثم بالظاهرية ، وتصدر للإفادة [وكان شاعراً بليغاً ، خنق في بيته بالظاهرية]^(٣) وأخذ ماله ، ودرس بعده علاء الدين ابن بنت الأغر •

سنة تسعين وستمائة

دخل السلطان الأشرف بن المنصور قلاوون بلاد الشام ، فافتتح عكا بالسيف ، وهرب أهلها في البحر ، وخربها المسلمون ، ثم أخذوا مدينته صور بلا قتال ، وخرت صيدا ثم بيروت ثم طرسوس وغيرها ، ولم يبق للنصارى بأرض الشام معقل •

(١) في ب : يونس . (٢) في ب : والوليدي .

(٣) زيادة من ب ومرآة الجنان ٢٠٩/٤ .

وفيها توفي عن اثنتين وثمانين سنة الإمام السيد الجليل فقيه اليمن وبركة الزمن أبو العباس أحمد بن موسى بن عجيل الذوالي المغربي • وقيل : توفي سنة إحدى وثمانين • انتهت إليه رياسة الفقه والفتوى حتى قال شيخه الكرمانى في إجازته له : « علامة اليمن وأعجوبة الزمن » • وكان عمه محمد عارفاً بالفرائض والحساب ، وكان عمه وشيخه إبراهيم عارفاً بالفقه وأصوله والحديث والعربية ، وكان أبوه يصحب الشيخ والفقيه صاحبى عواجة ، وكافا يقولان له إذا زارهما : ارحب يا أبا أحمد ، ويشرافه بأنه يولد له ولد يكون له شأن عظيم • وقال له الحكيمى : يكون أحمد شمس زمانه لا كشموسنا • وحكى أنهما حضرا سابعه وأسرا في أذنه كلاماً سئل عنه بعد ما كبر فقال : أوصياني بذريتهما • واستفاض أنه نشأ على العبادة والطلب من صغره ، واشتغل على عمه اثنتي عشرة سنة ، وقرأ في فنون من العلم ، ثم سمع على محمد بن يوسف بن مسندي وسليمان بن خليل العسقلاني وإسحق الطبري ومحمد بن إبراهيم القشلي (١) • وأخذ عنه خلائق أئمة منهم الفقيه علي بن إبراهيم البجلي ، صاحب شجينة من أرض سهام ، وكان يحج بركب اليمن بعده • قال اليافعي : أدركته وحججت معه • قيل : خرج من تحت يده وثمانون مدرساً ، وكان فقه كتاب (المهذب) على ذهنه • وكان ولده إبراهيم أيضاً عالماً صالحاً صاحب أحوال وكرامات • روي أنه زار مع أبيه مساجد الفتح غربى المدينة ، فنبجهم كلب ، فالتفت إليه إبراهيم وبصق في وجهه فمات الكلب • ومن مناقب الفقيه علي بن إبراهيم أن رجلاً أودع امرأة ودیعة وماتت ولم يعلم أين الودیعة ، فقال الفقيه : أروني قبرها ، فأروه إياه ، فوقف عليه ساعة ، ثم قال : هل في بيتها شجرة ؟ فقيل : نعم ، فقال : احفروا تحتها ، فحفروا فوجدوا الودیعة • حج وزار في شبابه مراراً ، وقدم مرة المدينة وابن عجيل فيها ، فخرج للقاءه بإشارة نبوية ، فوجده عند المصلی سابع سبعة وحرثته على ظهره •

(١) كذا في مرآة الجنان ٢١٠/٤ ، وفي الأصل : العسلي .

وممن أخذ عن ابن عجيل العلامة أبو الحسن علي بن أحمد الصريديح ، وكان صالحاً منتفعاً به . مر عليه اليافعي في زيارته لقبر ابن عجيل ، وكان يسكن قريباً منه ، وألقى عليه في تدريسه ثلاث مسائل . فتوقف في جوابها ، ثم رجع اليافعي إلى مكة ، وقدم الفقيه العلامة ابن دَعْسَيْنَ القرشي ، وكان من درسه ابن الصريديح ، قال اليافعي : فحكى لي تلك المسائل وهو لا يعرفني ، قال : وجدنا واحدة ، وأخرى وجدنا فيها وجهين ، والثالثة لم نجدها ، ثم عرف أنني السائل .

وبنو الصريديح جماعة منهم الفقيه عبد الله بن أحمد ، أخذ على ابن عمر بن عجيل جد الإمام أحمد .

وممن أخذ على ابن عجيل الإمام رضي الدين بن الأديب اللحجي . ومنهم البارع علي بن عبد الله الجبرتي . وممن أخذ عنه ولده إبراهيم بن أحمد ، قال اليافعي : اجتمعت به ووجدته يقرئ بِنَسِيَةٍ له صغيرة . وممن روى عنه الإمام الحافظ إسحق ابن أبي بكر الطبري^(١) إمام المقام الشريف بمكة ، روى عنه كتاب (المصاييح) للبعوي . وكان ابن عجيل إذا سأله المكيون الدعاء يقول لهم : عندكم إبراهيم ، يعنيه . قال اليافعي : ولعله يعني ابن عجيل .

وكان يزيد على النووي في زهده وتقشفه ومعيشته ، وكانت معيشته من الذرة الحمراء والقطيب والمخيض طول الزمن . ولم يرض كثير من هذا من اليافعي . قال الفقيه حسين : لو سلمنا المساواة فشهرة النووي ونفع كتبه وعموم قبوله ليس لأحد ، وذكر كلاماً طويلاً في تعدد مناقب محيي الدين ونفع كتبه وسعة علمه ، ثم قال : وأما ما ذكره اليافعي من معيشة ابن عجيل — يعني بالذرة الحمراء — فكان ذلك في أول عمره ، فلما أسن وسع عليه الرزق ، وكان يأكل الدسم ويشرب السمن ، حتى صح أنه كان يشرب في كل يوم ربيعة ، وربما كان يشرب منه مقدار ثلثية ، وهو قدر ثمانية وأربعين أوقية . قال : وبالجمل : لو عاش محيي الدين مقدار ما عاش السيد أحمد

(١) في مرآة الجنان ٤/٢١٣ : إبراهيم بن محمد الطبري .

وأتم التصانيف التي كان يشرع فيها لكانت تسع أهل الوقت • انتهى كلام الفقيه حسين •

قلت : وربما يزيد الفقيه أحمد على محيي الدين بالشهرة في الحياة وتعداد الكرامات الخارقات للعادات ، وقد رأيت أيضاً في الجزء الذي ألفه ابن العطار في مناقب شيخه النووي أنه صح له مقام القطبية ، وأن بعض مشايخ ذلك الوقت رأى ذلك مناماً ، فجاء إليه ليخبره ، فأتى وهو في حلقة التدريس ، فنلقاه الشيخ وقال : اكتب ما رأيت • وهذا كله فيما يظهر للمفاضلين بينهم في ظاهر الحال ، وحقيقة الأمر إلى الله تساوياً وتفاوتاً ، جزاهم الله خيراً ووقع بهم •

ومن كرامات ابن عجيل أنه جاءه رجل بيده علة فقال له : درت على الصالحين فلم أتنفع بأحد منهم ، فإن لم تدع لي بذهاب هذه العلة ما بقيت أحسن ظني بأحد ؛ فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ثم قرأ عليها وقال : اربط عليها بخرقه ، ففعل ، فقال : لا تقتحها حتى تصل بلادك ، فعمل رفقته في الطريق أكلة يقال لها الشرفة^(١) ، ولا يمكن أكلها إلا بجميع الكف ، فنظر فإذا العلة قد زالت من كفه ، وأكل مع أصحابه ، ومن مناقبه شهرة قبره وحصانة من لاذ به وبقرته المشهورة المنسوبة إليه على طول المدة • ومن عيون مناقبه حجه بالركب اليماني غير مرة ، وكان يتفق له مع العرب في طريق مكة والمدينة عجائب وغرائب قد دونت وعني بها •

وسئل رضي الله عنه عن سماع الصوفية ، فقال : إن أبجه فلست من أهله ، وإن أنكره فقد سمعه من هو خير مني • رضي الله عنه ووقعنا به •

وفيهما توفي الحكيم السويدي شيخ الأطباء إبراهيم بن محمد بن طرخان الدمشقي ، أخذ الأدب عن ابن معطر ، والطب عن المهذب ، وبرع فيه وصنف ، وسمع من جماعة^(٢) •

(١) الشرفة أكلة تهامية لا تزال معروفة بهذا الاسم حتى الآن .

(٢) ترجمته كلها نقص من الأصل ، واستدركت من ب .

وفيها التلمساني سليمان بن علي الأديب الشاعر ، الملقب بعفيف الدين . قال الذهبي : أحد زنادقة الصوفية ، وأما شعره ففي الدرجة العليا من حيث البلاغة والبيان . وشتت عليه اليافعي حيث أضافه إلى الصوفية ، كما اعترض على القاضي عياض قبله في عبارة في كتابه (الشفاء) ، وهذا لا يقدر في أهل الحق منهم ، وإنما عاب القاضي والذهبي وأشباههم على المتصوفة المتسمين باسمهم الخالين عن رسمهم ، وقد سبقهم إلى مثل هذه العبارات أكابر الصوفية كالقشيري والسهروردي ، والله أعلم .

وفيها شيخ المذهب في زمانه المعروف بابن الفركاح ، وهو أبو أحمد عبد الرحمن ابن إبراهيم الفزاري ، يعرف بابن سباع تاج الدين ، تفقه على ابن عبد السلام وابن الصلاح ، حتى تبحر في الفقه وأصوله ، وتقدم في المناظرة ، وسمع من جماعة . ومن مصنفاته (الإقليد في در التقليد) علقه على أبواب (التنبيه) . وكان محبباً إلى الناس لعفته وديافته ونصحه للمسلمين . وكان يحضر السماع ويرقص فيه : وله اختيارات في المذهب مشى على أكثره ولده برهان الدين . وخرج له الحافظ علم الدين البرزالي مشيخة عن مائة شيخ ، وسمعا عليه جماعة منهم ابنه برهان الدين وابن تيمية وأبو الحجاج المزري ونجم الدين بن صصرى وابن العطار وغيرهم . ويحكى أن ولده برهان الدين كان يرخص في السماع أيضاً بشروط كوالده ، وروي أنه ما حضر السماع إلا بعد أن شاهد كرامة من بعض مشايخ الصوفية ، رضي الله عنهم ونفعنا بهم .

سنة إحدى وتسعين وستمائة

حاصر السلطان الأشرف بن المنصور قلاوون قلعة الروم ، ونصب المنجنيق ، ففتحها بعد خمسة وعشرين يوماً ، وأهلها نصارى من تحت طاعة التتر ، فقال في ذلك الشهاب محمود : فسطا خميس الإسلام يوم السبت على أهل الأحد ، فبارك الله للامة في سبتها وخميسها .

سنة اثنتين وتسعين وستمائة

توفي الإمام قاضي القضاة ناصر الدين عبد الله بن قاضي القضاة، إمام الدين عمر بن قاضي القضاة فخر الدين محمد بن الإمام صدر الدين علي القدوة الشافعي البيضاوي، صاحب (المنهاج) في أصول الفقه. عظم النفع به، وأطبق عليه الطلبة، وكثر شارحوه، وله (الطوابع) في أصول الدين، وله (الغاية القصوى) في الفقه، وله (شرح المصاييح) و (تفسير القرآن) و (المطالع) في المنطق وغيرها مما شاع وسارت به الركبان، وتخرج به أئمة كبار. تفقه على والده، ووالده على محمود بن المبارك البغدادي، وتفقه محمود بنصور بن عمر البغدادي، وهو على الغزالي، رضي الله عنهم.

وفيها الشيخ إبراهيم بن الشيخ عبد الله الأرموي. حضر جنازته القضاة والأمراء، وحمل على الرؤوس لصلاحه وزهده وولايته.

سنة ثلاث وتسعين وستمائة

قتل الأشرف، وكان ولي السلطنة بعد والده قلاوون سنة تسع وثمانين وستمائة، وقتله نائبه بيدرا وتسلطن ولقب بالقاهر، فقتله أيضاً كتبغا والجاشكير، وحلفوا للناصر محمد بن قلاوون، وهو ابن تسع سنين، وتسلط العذاب على ابن سلغوس وابن الشجاعى وزراء الأشرف حتى ماتا.

وفيها قاضي القضاة شهاب الدين ابن قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن الخليل بن سعادة بن جعفر الشافعي، كان من أعلم أهل زمانه وأكثرهم فنوناً وأحسنهم تصنيفاً ومجالسة، ولي قضاء حلب مدة.

وفيها الملك الحافظ غياث الدين محمد بن شاهنشاه، صاحب بعلبك، الملك الأمجد، روى صحيح مسلم، ونسخ الكثير بخطه.

وفيها الدمياطي شمس الدين محمد بن عبد العزيز المقرئ، أخذ القراءات عن السخاوي.

سنة أربع وتسعين وستمئة

تسلطن الملك العادل كتبغا المنصوري ، وزينت مصر ودمشق ، وخلق سنة ست وتسعين بحسام الدين لاجين المنصوري ، وحبس كتبغا بقلعة صرخد .

وفيها الإمام العلامة أحمد بن إبراهيم الواسطي الصوفي شيخ العراق ، لبس [الخرقه]^(١) من شهاب الدين السهروردي ، وأسمع الكثير في الحرمين والعراق ودمشق . قال الياقعي : وعليه قرأ شيخنا نجم الدين الطبري (الحاوي الصغير) ، وهو يرويه من مصنفه . قدم الشام سنة إحدى وتسعين وستمئة فولي مشيخة دار الحديث ، وإعادة الناصرية وتدرّس النجبية وخطابة البلد ، وكان إذا صلى ربما خرج بالخلعة السوداء . وشيع الجنائز ، وزار بعض أصحابه وهو لابسها ، وكان كثير العبادة . وكتبه نحو ألفي مجلد . توفي بواسط العراق .

وفيها المحب الطبري ، شيخ الحرم ، وحافظ الحجاز ، صاحب التصانيف الكثيرة الشهيرة أبو العباس أحمد بن عبد الله الطبري المكي الشافعي . ولد سنة خمس عشرة وستمئة ، وسمع من ابن الحميري وابن المقير وغيرهم ، ومن تصانيفه (شرح التنبيه) وهو كبير مبسوط ، لكنه قد يرجح الوجوه الضعيفة ، وله مختصرات للتنبيه . و (مختصر السيرة) ، وله كتاب (القرى في تاريخ أم القرى) ، وله كتاب (الأحكام) في عدة مجلدات أجاد فيه وأفاد لكنه أورد فيه الأحاديث الضعيفة ولم يبين ضعفها . وأخذ عنه خلائق كثيرة من الفقهاء والمحدثين ، وانفرد بسيادة الفقه والحديث .

وتوفي قبله بأيام ولده النجيب قاضي مكة مؤلف كتاب (التشويق إلى حج بيت الله العتيق) .

وكان المحب له حظ عظيم عند المظفر صاحب اليمن . فلما قدم المظفر من اليمن سأله قرابته أن يشفع فيهم إليه ، وكان من عادة المظفر أن يطلبه إليه كل حين ، فسلم عليه المحب حين قدم ولم يطلبه المظفر بعدها إلى أن فرغ من الحج ، وكان المحب

(١) زيادة من مرآة الجنان ٤/٢٢٣

يصحب الولي الكبير أبا العباس المورقي المغربي المدفون بالطائف، فشكا إليه انقباض السلطان عنه ، فقال أبو العباس : أنا شغلته حتى لا يشغلك عن الحج والآن أطلقه ، فعند ذلك أرسل له السلطان وقضى حوائجه وحوائج من تعلق به .

وفيهما ابن المقدسي خطيب دمشق ومفتيها وشيخ الشافعية بها أبو العباس أحمد بن نعمة ، سمع من السخاوي وابن الصلاح وابن عبد السلام ، وصنف كتاباً في الأصول .

وفيهما صاحب اليمن الملك المظفر يوسف بن المنصور ، كان مستظهماً في الولاية ، وله مشاركة في العلوم ، وكان يحب العلماء ويعتقد الصالحين ، وكان أحد غلمان أبيه قتل خادماً للشيخ أبي العيث بن جميل ، فغضب الشيخ وقال : « مالي وللحراسة؟! أنا أنزل عن المشبأب^(١) وأترك الزرع » ، فقتل السلطان قاتل خادم الشيخ ، وأرسل ولده المظفر مسترضياً له ، فقال له الشيخ : قد وليتك ، فبقي في الملك نيفاً وأربعين سنة ، وبقي أبوه قبله نيفاً وعشرين سنة .

وكان المظفر مجبياً إلى الرعية ، وصحبه في حجه خمسمائة فارس . ومن ظرفه أنه كتب إليه رجل : إنما المؤمنون إخوة ، وأخوك بالباب يطلب نصيبه من بيت المال ، فأرسل إليه المظفر بدرهم وقال في جوابه : إخواني المؤمنون كثيرون في الدنيا ، لو قسمت بيت المال بينهم ما حصل لكل واحد درهم . وكتب إليه إنسان يقول : أنا كاتب أحسن الخط الظريف والكشط اللطيف ، فقال : حسن كشطك دليل على كثرة غلطك . واشتكى إليه فآظره على عدن صاحب موزع عبد الله بن أبي بكر الخطيب نفع الله به أنه أراق خمورهم ، فأجابه : هذا لا يفعله إلا صالح أو مجنون ، وكلاهما ما لنا معه كلام .

وفيهما الشيخ أبو الرجال [بن مري]^(٢) شيخ الحنفية ومدرسهم بالمستنصرية ببغداد ، وله مصنفات في الفقه وأصوله والأدب .

(١) المشبأب : خشبات تنصب في وسط الزرع ويجعل عليها عريش يقعد الحارس عليه . فإذا نزل عنه ضاع الزرع بترك الحراسة .

(٢) زيادة من مرآة الجنان ٤/٢٢٧ .

سنة خمس وتسعين وستمائة

حصل بمصر قحط شديد ووباء مفرط ، يقال : خرج في يوم واحد ألف وخمسمائة جنازة ، وكانوا يدفنون الجماعة في حفرة واحدة ، وبلغ الخبز خمس أواق بدرهم .

وفيها قدم الشام شيخ الشيوخ صدر الدين إبراهيم بن الشيخ سعد الدين ابن حموية الجويني ، فسمع الحديث وأخبر أن ملك التتر غازان أسلم على يديه بواسطة نائبه بوروز .

وفيها قاضي القضاة ابن رزين صدر الدين .

وابن بنت الأغر قاضي القضاة بمصر تقي الدين عبد الرحمن بن تاج الدين ، وأشد عند الضريح النبوي قصيدة له على قافية الدال . وولي بعده ابن دقيق العيد .

سنة ثمان وتسعين وستمائة

قتل المنصور لاجين المنصوري ، هجم عليه سبعة أنفس بعد العشاء وهو يلعب بالشطرنج وعنده حسام الدين قاضي القضاة الحنفي رابع أربعة ، قال القاضي : رفعت رأسي فإذا سبعة أسياف تنزل عليه ، ثم ذبح نائبه من الغد ، ونودي بالملك للناصر محمد بن قلاوون ، وأحضر من الكرك ، فاستتاب في المملكة سلار ، ثم ركب بخلعة الخليفة وتقليده . وكان سلطنة لاجين سنتين ، وكان ديناً عادلاً .

سنة تسع وتسعين وستمائة

قصد التتر الشام ، فوصل الناصر إلى دمشق ، ثم التقى الجيشان بين حمص وسلمية ، فاستظهر المسلمون ، وقتل من التتر نحو عشرة آلاف ، وثبت ملكهم غازان ، وحصل تجاول ، وولت اليمينه ، وقاتلت الخاسكية أشد قتال الى الغروب ، وانصرف السلطان بحاشيته إلى بعلبك ، وجاء الخبراء إلى دمشق ، فساروا إلى خدمة غازان ، فأمنهم وقرهم . واقتشرت جيوشه في الشام طولا وعرضاً ، وذهب للناس

من المال والأهل ما لا يحصى ، وحمى الله دمشق من النهب والسبي ، ولكن صودروا على مال مصادرة عظيمة • وثبت متولي القلعة علم الدين ثباتاً كلياً حتى هابه التتر ، ودام العذاب مع المصادرة والغلاء ، وقيل : إن الذي وصل إلى ديوان غازان من البلد ثلاثة آلاف ألف وستمائة سوى ما أخذ التتر من البرطيل ، وكان التاجر إذا صودر بألف درهم لحقه عليها فوق المائتين ترسيماً وبرطيلاً • ودخلت جيوش المسلمين القاهرة بعد ما ترحل غازان في غاية الضعف ، ففتحت بيوت الأموال وأنفقت ، وقطعت خطبة الناصر مائة يوم خوفاً من التتر •

وفيهما توفي من شيوخ الحديث في دمشق أكثر من مائة نفس ، وقتل في الجبل جوعاً وبرداً نحو أربعمائة ، وأسر نحو أربعة آلاف منهم سبعون من ذرية الشيخ أبي عمرو •

وفيهما أحمد بن فرج الإشبيلي ، تفقه على ابن عبد السلام ، وحدث عن ابن عبد الدائم وطبقته ، وكان ورعاً عابداً ، وله حلقة ، اشتغل بجامع دمشق •

وفيهما ابن الزكي قاضي القضاة عز الدين ابن قاضي القضاة عبد العزيز بن محيي الدين بن محمد القرشي ، درس في العزيزية •

وإمام الدين قاضي القضاة أبو القاسم عمر بن عبد الرحمن القزويني الشافعي ، كان مجموع الفضائل • توفي بالقاهرة •

وفيهما الشيخ أبو محمد المرجاني [عبد الله بن محمد]^(١) الولي الشهير ، توفي بتونس ، قيل له : قال فلان : رأيت عمود نور ممتد من السماء إلى فم الشيخ المرجاني في حال كلامه ، فلما سكت الشيخ ارتفع العمود ، فتبسّم وقال : لم يعرف كيف يعبر ، بل لما ارتفع العمود سكت • يعني أنه كان يتكلم عن مدد الأنوار ، فلما ارتفع النور انقطع الكلام •

(١) زيادة من مرآة الجنان ٢٣٢/٤ •

قيل : إنه حضر مجلسه بعض المنكرين عليه ، وكان أعور ، فقال الشيخ قبل أن يضيء النهار : الله أكبر حتى العور جاؤوا للاعتراض ، ثم أطفأ القنديل ونزل ، وانفض المجلس على خلاف العادة سترأ منه على الأعور .

قال اليافعي : ومناقبه تحتمل مجلداً ، قال : وأما قول الذهبي : (أبو محمد عبد الله المرجاني المغربي الواعظ ، أحد مشايخ الإسلام علماً وعملاً) فغض من قدره .

سنة سبعمائة

توفي الإمام العلامة محمود بن أبي بكر البخاري ^(١) الصوفي الحافظ ، كان إماماً في الفرائض ، وسمع وكتب كتباً كثيرة ، ووقف أجزاءه ، وذهب مع التتار ، قيل : من خوف الغلاء والجوع ، ومات بماردين .

سنة إحدى وسبعمائة

توفي الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد العباسي ، ودفن عند السيدة نفيسة ، وكانت خلافته أربعين سنة وأشهرأ ، وعهد بالخلافة بعده إلى ولده المستكفي بالله ، وكانت خلافته بمصر تحكماً لا حكماً ، وترسماً لا رسماً .

وفيها توفي المحدث أبو الحسين علي بن محمد اليونيني بعلبك شهيداً من جرح في دماغه من مجنون وثب عليه بسكين .

وفيها خُنيق شيخ الحنفية العلامة زكي الدين عبد الله بن محمد السمرقندي مدرس الظاهرية ، وألقي في بركتها ، وأخذ ماله ، ثم ظهر أن قاتله هو قيم الظاهرية ، فشقق .

وفيها ظهر جراد لم يسمع بمثله ، ترك غوطة دمشق حطباً ، وييست أشجار لا تنحصر .

(١) كذا في ب و مرآة الجنان ٤/٢٣٤ ، وفي الأصل : البحراني .

سنة اثنتين وسبعمئة

رجع التتر إلى الشام ، فالتقاهم تترك المسلمين ، فنصرهم الله عليهم ، وقتل من التتر خلق ، ورجعوا وتجهزوا مرة أخرى ، فلما بلغوا مرج دمشق قدم السلطان وتصافوا ، فهزم الله التتر ، ومزقوا كل ممزق •

وفي ذي القعدة وقعت زلزلة بمصر ، وتساقطت الدور ، ومات بالإسكندرية تحت الهدم نحو المائتين ، وكافت آية •

وفيها مات في القاهرة قاضيها شيخ الإسلام تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب ابن دقيق العيد القشيري الشافعي ، صاحب كتاب (الإمام) و (شرح العمدة) ، عن سبع وسبعين سنة •

روى عن ابن الحميري وغيره ، وكان رأساً في العلم والعمل عديم النظر ، أجل علماء وقته وأكثرهم علماً وديناً وورعاً واجتهاداً في نشر العلم وتحصيله ليله ونهاره مع كبر سنه وشغله بالحكم • ولد بمدينة ينبع ، ونشأ بمصر ، واشتغل أولاً بمذهب مالك ، ودرس فيه ، ثم اختار مذهب الشافعي وبرع فيه • ودرس في فنون كثيرة لا سيما علم الحديث حتى قيل : إنه آخر المجتهدين • وكان يعتقد المشايخ ويوزورهم ، قيل : إنه زار بعضهم ، فلما وصل بابه نزل عن البعلة ونزع العمامة والطيلسان وبقي في كوفية • وشكا إلى فقير وسوسة يجدها في صدره ، فقال الفقير : أف لقلب يكون فيه غير الله • وكان يقول : هذا الفقير خير عندي من ألف فقيه • وركبته ديون لم يجد لها قضاء ، فقصد زيارة الشيخ ابن عبد الظاهر ، فقدم إليه الشيخ مأكولاً وفيه سميط ، وكان الشيخ تقي الدين لا يأكله لأنه يشوى وفيه آثار الدم ، فقال له تلميذه : هذا سميط ، فقال : ليس هذا موضع ذاك ، ثم أكل وأسمع الفقراء وهو حاضر ساكت ، فلما انقضى سماعهم قال الشيخ منشداً بيت المتنبي :

وفي النفس حاجات وفيك فطانة
سكوتي بيان عندها وخطاب

فقال له الشيخ : انقضت ، فلما رجع وجد ديونه قد انقضت ؛ وذلك أن الوزير ابن حنا سأل عنه ، فقيل له : قصد الشيخ ابن عبد الظاهر لديون تكاثرت عليه ؛ فاستدعى أرباب الديون وقضاهم •

قيل : كتب إليه النووي :

لكل زمان واحد يقضى به وهذا زمان أت لا شك واحده

وكتب هو إلى النووي ما هو لائق بقدره ، وقال هو في حق النووي : لا حاجة للناس إلى تصانيف القدماء مع تصانيف هذا الشاب •

وكان تقي الدين يتنعم في الأكل وينكح الحسان ، وقيل له : إن النووي لا يأكل في اليوم والليلة إلا أكلة واحدة ، فقال : أما أنا فأنتق في بطني كل يوم مثقالا • وكان يتجوز في اللباس •

وقيل : إنه مجدد الدين على رأس المائة السابعة • وكان السلطان قبله يخلع على العلماء الحرير ، فنهاه تقي الدين وقال : هذا لا يحل ؛ فخلع عليهم الصوف ، وعده ذلك منه تجديداً للدين •

وفيها بدر الدين الحسن بن علي الخلال الدمشقي ، حدث عن مكرم وابن الشيرازي وابن المقير وكريمة وغيرهم •

وفيها مسند المغرب الإمام الأديب أبو محمد عبد الله بن محمد بن هرون الطائي القرطبي عن مائة عام •

سنة ثلاث وسبعمائة

توفي العلامة الزاهد بركة الوقت إبراهيم [بن أحمد]^(١) الرقي الحنبلي ، كان من الأولياء ، وله مشاركات في العلوم •

وفيها المعمرة أم أحمد ست الأهل بنت علوان البعلبكية بدمشق •

والمفتي شيخ دار الحديث وخطيب البلد زين الدين عبد الله بن مروان الفارقي •

(١) زيادة من مرآة الجنان ٢٣٨/٤ •

سنة أربع وسبعمائة

تكلم ابن النقيب وغيره في فتاوى ابن العطار ، وسعوا إلى القضاة ، فخار ابن العطار وأربع ، فغضب بسبب التضييق عليه النائب واعتقل ابن النقيب أربع ليال .

وفيها المعمر ركن الدين أحمد بن عبد المنعم بن أبي الغنائم الطاووسي كبير الصوفية بدمشق .

وفيها شيخ البطايحية تاج الدين بن الرفاعي بقرية أم عبيدة عن سن كبيرة وشهرة كثيرة .

والشيخ عالم الإسكندرية ومحدثها علي بن أحمد الحسيني العراقي .

سنة خمس وسبعمائة

جرت فتنة شيخ الحنابلة تقي الدين ابن تيمية ، وذلك أنه طلب على البريد إلى مصر ، وأقيمت عليه دعوى عند قاضي المالكية ، فاستخصمه ابن تيمية ، ثم سجن هو وأخوه بضعة عشر شهراً ، ثم أخرج ، وحبس ثانياً بحبس الحاكم ، ثم أبعده إلى الإسكندرية ، فلما تمكن السلطان سنة تسع طلبه واحترمه وصالح بينه وبين الحاكم . ودعواهم عليه أنه يقول : (الرحمن على العرش استوى) حقيقة ، وأنه يتكلم بحرف وصوت . ثم نودي بدمشق وغيرها : من كان على عقيدة ابن تيمية حل دمه وماله .

وفيها مات حافظ الوقت شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي الشافعي بعد أن صنف التصانيف المفيدة ، قيل : ولم يخلف في معناه مثله .

سنة ست وسبعمائة

قدم من الشرق الشيخ براق العجمي في نحو المائة وفي رؤوسهم قرون ، محلقة لِحاهم دون شواربهم ، وشيخهم من أبناء الأربعين ، وفيه إقدام وجرأة نفس وصوله ، وكان يدق له نوبة ، ونفذ إليه الكبار غنماً ودراهم ، وزاروا القدس كذلك ، ولم يسكنوا من القدوم إلى مصر .

وفيه الإمام العلامة ضياء الدين عبد العزيز بن محمد الطوسي ، شارح (الحاوي) و (المختصر) في الأصول ، درس وأعاد في عدة مدارس بدمشق ، ومات بها .

سنة سبع وسبعمائة

عقد مجلس فاستتيب النجم بن خلكان من العبارات القبيحة وقبيحة الدم وادعاء النبوة ، فاختلف الآراء فيه ، وقال الشيخ برهان الدين : إلا أنه توقف فيه فئات .

ومات بسكة شيخها أبو عبد الله محمد بن حجاج (١) بن إبراهيم الحضرمي الإشبيلي المعروف بابن المطرف الأندلسي في رمضان عن نيف وتسعين سنة . ومن كراماته أنه ودعه الشيخ أبو محمد اليشكري (٢) المغربي وهو عازم إلى المدينة النبوية فقال له : بلغني أن (القفيز) ما فيه ماء ، وستلقون شدة ثم تغاثون ، فسافر رابع أربعة أحدهم الراوي ، فلما بلغوا القفيز وجدوه كذلك ، فلقوا شدة ، ثم ارتفعت سحابة وصبت المطر ، فأخذوا منه حاجتهم ثم مشوا خطوات فلم يجدوا للمطر أثراً . ولما مات ابن المطرف قال الشيخ نجم الدين الأصبهاني : مات الفقير من الحجاز .

(١) كذا في مرآة الجنان ٢٤٢/٤ ، وفي الأصل : محمد بن محمد بن حجاج .

(٢) في ب : البكري .

ومات ببغداد مسندها الإمام رشيد الدين محمد بن أبي القاسم المقرئ شيخ
المستنصرية ، وخلف كتباً كثيرة تساوي ستين ألفاً .

ومات بدمشق مسندها شهاب الدين محمد بن أبي العزيز مشرف بن بيان
الأنصاري شيخ الرواية بالديار الأشرفية ، حدث عن الناصح وابن صباح وغيرهم .

سنة ثمان وسبعمائة

تزهده الملك الناصر ، واختار الانقطاع والعزلة ، وسار إلى الكرك ، ثم عزل
نفسه ببيرس الخاسكي^(١) وتسلطن ولقب بالمظفر .

وفيها مات شيخ الحرم ظهير الدين محمد بن عبد الله بن منعة البغدادي بعد
أن جاور أربعين سنة ، توفي بالمهجم من أرض اليمن .

وفيها مات بغرناطة عالما الحافظ المقرئ النحوي ذو العلوم أبو جعفر
أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقيفي .

سنة تسع وسبعمائة

بعث بابن تيمية إلى الإسكندرية وأسر هناك . وأبطلت الخمر والفاحشة من
السواحل .

وفيها تآمر أمراء وهموا بقتل المظفر القائم بدل السلطان ابن قلاوون حتى
خلع نفسه ، ففر المظفر إلى الشقيف وراجع الناصر بن قلاوون الأمر ، ودخل مصر
ومعه جملة من الأمراء ، واستقر في ملكه ، ثم جاء المظفر إلى خدمته ، فوبخه ثم
خنقه ، فسبحان من لا يزول ملكه .

وفيها توفي الشيخ العارف بالله تاج الدين بن عطاء الله الشاذلي الاسكندري
صاحب أبي العباس المرسي ، كان فقيهاً عالماً يشكر على الصوفية ، ثم جذبته العناية ،

(١) كذا في النسختين ، وفي مرآة الجنان ٤/٢٤٤ : الجاشنكير .

فصحب شيخ الشيوخ المرسي ، وفتح عليه على يديه ، والذي جرى له معه مذكور في كتابه (لطائف المتن) ، وله عدة تصانيف مشتملة على أسرار ومعارف نثرا ونظماً ، وما أحسن قوله في شيخه في بعض قصائده :

كم من قلوب قد أميتت بالهوى أحيأ بها من بعد ما أحيأها

وكان شيخه يستعيد منه هذا البيت • ومن طالع كتبه عرف فضله • قال اليافعي : « وأما قول الذهبي فيه : » ومات بمصر الشيخ العارف الركن تاج الدين أحمد بن محمد بن عطاء الله الشاذلي الاسكندري ، صاحب أبي العباس المرسي « • هذه ترجمته ، وفيها غض من رفيع مرتبته على عادة الطائفة الحشوية لسوء اعتقادهم في مشايخ الصوفية • هذا كلام اليافعي رحمه الله • والحق أن الذهبي ليس بحشوي ، بل هو سني ، بل هو أعرف بأحوال الرجال مع القصد في الوصف والاعتدال ، وربما قصر في وصف بعض الأكابر لقصد الغض منه ، والله أعلم بالنيات •

وفيها المعمر الصالح أبو العباس أحمد بن أبي طالب البغدادي الزامكي المجاور •

ومات بحلب شهدة بنت صاحب عمر بن العديم العقيلي الحافظة الزاهدة ، سمع عليها الذهبي وغيره •

سنة عشر وسبعمائة

عزل ابن جماعة بنائيه جمال الدين الردي (١) ، وكان الردي امتنع يوم عقد المجلس للمظفر ، فعرفها له السلطان محمد الناصر بن قلاوون ، ثم أعيد ابن جماعة بعد عام ، وجعل الردي قاضي العسكر •

وفيها توفي قاضي القضاة أحمد بن إبراهيم السروجي الحنفي صاحب التصانيف •

(١) في مرآة الجنان ٢٤٨/٤ : الزرعي ، وفي ب : الروعي •

وفيها الإمام شيخ الشافعية في وقته نجم الدين محمد بن محمد المعروف بابن الرفعة ، الذي رفعه شرف العلم على إخوانه وأقرانه ، وصنف التصانيف المفيدة ، قيل : لم يعلق على (التنبية) أجود من شرحه ، ومنه أخذ الشارحون له بعد ، وشرح (الوسيط) شرحاً بسيطاً جداً ، وأودعه علوماً جمة ومناقشات [حسنة ولم يكمل ، وسمع الحديث من جماعة ، وولي حاسبة الديار المصرية]^(١) ودرس بالمعزية •

وفيها الشيخ العالم المتقن المتفنن علي بن أسحق اليعقوبي ، حفظ (المصايح) للبغوي و (المفصل) و (المقامات) وركب البغلة ، ثم تزهد وهاجر إلى دمشق ، واستمر بدلق ومنزراً صغيراً أسود ، وتردد إلى المدارس ، وأقرأ العربية •

وفيها العلامة القاضي بدر الدين بن رزين عبد اللطيف بن محمد الحموي ثم المصري الشافعي ابن شيخ الشافعية قاضي القضاة تقي الدين • كان إماماً متفناً عارفاً بالمذهب ، درس وأقنى ، وأعاد لأبيه ، ولي قضاء العسكر ، وخطب بجامع الأزهر ، وحدث عن جماعة •

سنة إحدى عشرة وسبعمائة^(٢)

مات في الثغر الإمام الناظم العابد أبو حفص عمر بن عبد البصير السهمي المقدسي ، حدث بدمشق عن ابن المقير وابن الحميري •

وفيها مات بدمشق السيد الفاضل فخر الدين إسماعيل بن نصر الله بن تاج الأمان أحمد بن عساكر ، وكان حافظاً ، شيوخه نحو السبعين •

وفيها الإمام العارف بالله القدوة عماد الدين أحمد بن شيخ الحرامية إبراهيم ابن عبد الرحمن الواسطي صاحب التوايف في التصوف •

(١) نقص من الأصل ، واستدرك من ب .

(٢) نقص من النسختين ، استدرك من مرآة الجنان ٢٥٠/٤ .

سنة اثنتي عشرة وسبعمائة

حج السلطان الناصر محمد بن قلاوون • قال اليافعي : رأيتَه يطوف بالكعبة وهو يعرج في مشيته ، وحوله جماعة من الأمراء بأيديهم الطير ، ثم ركع خلف المقام ، وصلى في الحجر ، ثم جاءه نجم الدين الطبري قاضي مكة ، ثم جاءه إمام الصلاة والحديث إبراهيم بن محمد الطبري ، ولا أدري أتيا باستدعاء أم لا ، وكان دخوله بعد الركب ، سافر في أيام يسيرة ، ثم حج وانصرف قبل الركب • قال : وتلك أول حجة لي بعد بلوغي ، ثم رجعت إلى اليمن ، وعدت إلى مكة سنة ثمان عشرة ، وأقامت بها ، وازددت من الشغل في أنواع العلوم ، وتأهلت وأولدت من بنات أئمة الحرمين •

وفيهما توفي شيخ بعلبك إبراهيم بن أحمد الحنبلي •

وفيهما ست الأجناس بنت عبد الوهاب بن عتيق المصرية ، روت عن جماعة •

سنة ثلاث عشرة وسبعمائة

صدر السلطان من حجه إلى دمشق لابساً عباءة وعمامة مدورة ، وصلى جمعيتين بالمقصورة •

وفيهما مات بمكة الحافظ الكبير فخر الدين عثمان بن محمد بن عثمان التوزري المجاور بمكة ، سمع من ابن الحميري وعدة ، وقرأ ما لا يوصف كثرة ، وقرأ السبع • قال اليافعي : حضرت بعض مجالسه ، وسمعت شيئاً من الأحاديث المقروءة عليه • قلت : وفي سلسلة سيدنا في أذكار النووي عن الفقيه محمد بن عيسى ابن مطير عنه عن النووي • ولم أرَ اليافعي ذكر عنه اتصالاً من النووي ، والله أعلم •

سنة أربع عشرة وسبعمائة

قال الذهبي : مات بدمشق سليمان التركماني وهو يجلس بسقاية باب البريد ، وعليه عباءة نجسة وهو متوسخ ساكن ، قليل الحديث ، له كشف وحال من نوع أخبار الكهنة ، وللناس فيه اعتقاد زائد ، قال : وكان شيخنا إبراهيم مع جلالته يخرج له ويجلس عنده ، وكان يأكل في رمضان ولا يصلي •

قال اليافعي : يكفي ما ذكر عن شيخه المذكور ، ومن الجائز أن المجريين يصلون في أوقات لا يشاهدون فيها ، وأنهم لا يدخل أجوافهم شيء مما يراه الناس من أكلهم ، يفعلون ذلك تجريباً وتسترأ ، فللقوم أحوال يحتجبون بها • وروي مثل ذلك عن قضيب البان وريحان وغيرهم •

وفيها ماتت السيدة الجامعة بين العلم والعمل ، سيدة نساء زمانها أم زينب فاطمة بنت عياش البغدادية ، وشيعها خلائق ، وحزن عليها الناس لعظم موقعها علماً ووعظاً وتذكيراً وأمرأ بالمعروف وحرصاً على منافع الخلق مع القناعة باليسير والقبول التام عند الخاص والعام • قال الذهبي : زرتها مرة •

ومات بالشعر العدل جمال الدين بن عطية اللخمي ، المتفرد بكرامات الأولياء عن المظفر القوّي^(١) ، بضم الفاء وتشديد الواو • قال اليافعي : يعني أنه تفرد برواية ذلك عن الشيخ المذكور •

سنة خمس عشرة وسبعمائة

قتل أحمد الرويس الاقناعي لاستحلاله المحارم وتعرضه للنبوة وقوله : أتاني النبي وحدثني •

ومات سلطان الهند محمود ، وتسلمن بعده ولده^(٢) غياث الدين •

وفيها مات بالموصل السيد ركن الدين الحسن بن محمد العلوي الحسيني ، وكان صاحب تصانيف لا يحفظ القرآن ولا بعضه ، وكانت جامكته في الشهر ألفاً وثمانمائة درهم •

(١) كذا في الأصل ومرآة الجنان ٢٥٤/٤ ، وفي ب : القوّي ، بضم القاف وتشديد الواو •

(٢) في مرآة الجنان ٢٥٤/٤ : نائبه •

سنة ست عشرة وسبعمائة

مات العلامة النجم سليمان بن عبد القوي الحنبلي الشاعر صاحب (شرح الروضة) ، وكان على بدعته كثير العلم عاقلاً منتبهاً .

وفيها مسندة الوقت ست الوزراء بنت عمر التنوخية ، روت عن أبيها وابن الزبيدي ، وحدثت بالصحيح ومسند الشافعي بدمشق ومصر ، وكانت على خير .

وفيها مات سلطان التتر غياث الدين بن أرغون بمراغة ، وكانت ولايته ثلاث عشرة سنة ، وتملك بعده ابنه أبو سعيد .

والمعمر المصري المسند صدر الدين أبو الفداء إسماعيل بن يوسف بن مكتوم القيسي الدمشقي ، سمع من ابن مكرم وابن الشيرازي ، وقرأ على السخاوي ثلاث روايات .

وفيها العلامة ذو الفنون صدر الدين محمد بن الوكيل خطيب دمشق (١) .

وفيها الإمام العلامة المفتي الشافعي أحمد بن أحمد المدلجي المعروف بعز الدين النسائي (٢) ، كان من أورع أهل زمانه ، واتفّع به الطلبة ، توفي بمكة ، ودفن بالمعلّى .

سنة سبع عشرة وسبعمائة

حدثت الزيادة العظمى ببلبك ، ففرق في البلد مائة وبضع وأربعون نسمة ، وجرف السيل سورها وهو مساحة أربعين ذراعاً ، وانهدم من البيوت والحوائيت نحو ستمائة موضع .

(١) في النسختين زيادة ، وردت في مرآة الجنان ٢٥٦/٤ خاصة بزین الدين عمر بن مكي بن المرّحل ، وهي : « أفتى عن اثنتين وعشرين سنة ، وحفظ المقامات في خمسين يوماً ، وفيه مزاح كثير ، عفا الله عنه » ؛ ففي النسختين تلفيق بين ترجمتين .

(٢) في ب : المعروف بأمين الدين النسائي .

وفيها ظهر جبلي ادعى أنه المهدي ، وثار معه خلق كثير من النصيرية والجهالة بلغوا ثلاثة آلاف ، وقال مرة : أنا محمد المصطفى ، ومرة : أنا علي ، ومرة : أنا محمد ابن الحسن المنتظر ، [وزعم أن دين النصيرية هو الحق ، وأن]^(١) الناصر صاحب مصر قدمات ، وعاثوا في الساحل ، ورفعوا أصواتهم يقولون : (لا إله إلا علي ولا حجاب إلا محمد ولا باب إلا سلمان) ، فسار إليهم عسكر طرابلس فقتلوا طاغيتهم وجماعة ، ومات شرهم .

سنة ثمان عشرة وسبعمائة

كان القحط المفرط بالجزيرة وذيوار بكر حتى بيع الأولاد ، وبيغداد دون ذلك ، وجاءت بأرض طرابلس زوبعة ، فأهلكت جماعة وحملت الجمال في الجو .

وفيها مات الإمام القدوة محمد بن عمر بن أبي بكر بن قوام النابلسي ، روى عن ابن طبرزد ، وكان محمود الطريقة متين الديانة .

وفيها مسند الوقت أبو بكر ابن المسند أحمد بن عبد الدائم المقدسي .

وفيها قاضي المالكية بدمشق أحمد بن سلامة القضاعي ، وكان حميد السيرة .

سنة تسع عشرة وسبعمائة

حج الناصر بن قلاوون .

وكانت الملحمة العظمى بالأندلس بظاهر غرناطة ، فقتل من الفرنج أكثر من ستين ألفاً ، وقتل من المسلمين نحو ثلاثة عشر نفساً ، والحمد لله .

(١) زيادة من ب .

سنة عشرين وسبعمائة

حج مع السلطان الأمير عماد الدين ، فسلطنه على حماة ، ولقبه بالمؤيد .

وفيهما قتل بمصر المقرئ إسماعيل على الزندقة وسب الأنبياء .

وفيهما حبس ابن تيمية لإفتائه في الطلاق بما يخالف جماهير السنة .

وحصل بالسلطانية بركد كبار ، كان وزن الواحدة ثمانية عشر درهماً ، واستغاث

الخلق ، وعجوا إلى الله تعالى ، وأبطلت الخمر والفاحشة .

وفيهما قتل صاحب مكة حميضة بن أبي نمي الحسني ، وكان قد خرج من

طاعة السلطان الناصر ، قتله جندي التصق به في البرية غيلة وهو نائم ، وقيل : جاء

إليه الجندي في صورة هارب من السلطان ، وهي مكيدة منه ومن السلطان ، وتولى

بعده أخوه عطيفة .

قال اليافعي : رأيت في المنام قبيل قتله كأن القمر في السماء احترق بالنار ،

وأظنه سقط إلى الأرض ، وكان قبل ذلك خرج من مكة ، وجاء بجيش فدخل بهم

مكة ، وقتل جماعة من الفقهاء والمجاورين ، وجاءني القاضي نجم الدين خائماً يقول :

أين أذهب وعندني بنات لا أستطيع الذهاب عنهن ؟ فرأيت في المنام ضحى اليوم التالي

من مقاتله كأني شهدت النبي ﷺ وقبلت قدمه الشريفة وقلت : يا رسول الله ،

نجم الدين ! فتبسم وقال : ما يصيبه شر ، فقلت : أهل مكة ، فانقبض ولم يجبني ،

فأعدت عليه ذلك ثلاثاً ، فقال : ما عليهم إلا خير ، يقول ذلك بغير بشاشة .

ثم أقبل بالجيش عقيب هذا المنام إلى أن بلغ بطن مر ، فخرج إليه إخوته :

عطيفة وعطاف وأبو العيث في عسكر ضعيف ، فانهزم هو ، ونصرهم الله ، وكان له

هبة قبل ذلك بحيث لا ينكسر . وكان يقول : لأبي نمي خمس فضائل : الشجاعة

والكرم والحلم والشعر والسعادة ، فورث هذه الخمس خمسة من أولاده ، الشجاعة

لعطيفة ، والكرم لأبي العيث ، والحلم لرميثة ، والشعر لشميلة ، والسعادة لي حتى

أني لو قصدت جبلاً لهتكته ، ثم قتل بعد كسرته بأيام يسيرة .

سنة إحدى وعشرين وسبعمائة

أطلق ابن تيمية من الحبس •

وفيها نهبت الحرامية سوق بغداد ، فانتدب لهم أهل بغداد ، فقتلوا منهم نحو المائة ، وأسروا جماعة (١) •

وفيها وقع حريق بالقاهرة ودام أياماً ، فذهبت الأموال ، ثم عرف فاعلوه ، وهم جماعة من النصارى ، عملوا قوارير تنقدح منها النار بغير قدح ، فقتل جماعة منهم ، وكان أمراً مزعجاً ، قيل : إنما حملهم عليه إخراج كنيسة أخرجها المسلمون • ومات بالفيوم خطيبها الرئيس المحتشم الأكمل مجد الدين أحمد بن المعين النويري المالكي صهر الوزير ابن حنا ، وكان يضرب به المثل في السؤدد والمكارم •

وفيها توفي بمكة الشيخ العارف بالله كبير الأحوال نجم الدين الأصهباني عبد الله بن محمد الشافعي ، تلميذ المرسي • جاور بمكة سنتين • وكراماته تخرج عن حد الحصر ، وكان رأى في صغره أنه خلع عليه أحد عشر علماً ، فقال له بعض أهل الفضائل يتبعك أحد عشر ولياً •

وقال له الفقير العارف بالله علي بن إبراهيم البجلي اليمني : إني تركت ببلدي ولدي مريضاً لعلك تراه في بعض أحوالك وتخبرني كيف هو ، فنكس رأسه ثم رفعه وقال : قد تعافى ، وهو الآن يستاك ، وصفته كذا وكذا ، وما كان رآه قبل ذلك •

وطلع يوماً في جنازة بعض الأولياء ، فلما قام الملقن وفرغ قال نجم الدين : سمعت صاحب القبر يقول : ألا تعجبون من ميت يلقن حياً؟! وكان الملقن من كبار الفقهاء • قال الياضي : كرهت أن أسميه •

(١) ورد هذا الخبر في مكانه هذا في ب ومراة الجنان ٢٦٠/٤ ، وورد في الأصل

بعد ترجمة خطيب الفيوم القادمة •

قال : ورأيته في المنام يكلم شيخاً من المجاورين الصالحين مقبلاً عليه ، وكنت حينئذ مصروفاً في حاجة ، فأردت أن أبشر الشيخ بإقبال نجم الدين عليه وإذا به قد جاءني وقضى لي تلك الحاجة التي تعسرت علي ، ففهمت أنه ما كان يكلمه إلا من شأني •

قال : وأدركته في حجتي الأولى وهو صحيح الجسم ، يعتمر في الجمعة مرتين ، ويطوف نحو سبعة أسابيع بعد الصبح ، وأسبوعاً بعد المغرب ، وآخر بعد العشاء ، وسمعته يقرأ سورة (بني إسرائيل) ، وأسبوعاً بعد الفجر • وأحرمت معه بالعمرة في وقت •

وأدركته في حجتي الثانية وهو ملازم بيته لوجع اشتد به ، وكان ذا صورة جميلة ولحية طويلة وهيبة عظيمة ، وكان كتابه في الفقه الوجيز ، وما تزوج ولا أكل طبخ امرأة قط • وقال له شيخه في بلاد العجم : ستلقى القطب في مصر ، فخرج في طلبه ، فلقية الحراس ، فظنوه جاسوساً ، وبنات مكتوفاً يتآمرون في قتله ، فنظم أبياتاً ضمنها قول امرئ القيس :

وقد أوطأت نعلي كل أرض
وقد طوفت في الآفاق حتى
وقد أتعبت نفسي باغترابي
رضيت من الغنيمة بالإياب

قال : فما استتممتها حتى انقض عليّ شيخ كالبازي ، فحل كتابي وقال لي في أثناء كلامه : الحقني يا عبد الله فأنا مطلوبك • قال : فذهبت ، فلما وصلت مصر ما عرفت مطلوبي ولا أين هو ، فذكرت للمرسي ، فقال للفقراء : اذهبوا بنا نسلم عليه ، فلما رأته تحققت أنه الذي حل كتابي وقال لي في أثناء كلامه : الحقني يا عبد الله فما جئت إلا بسبيك ، فتبعته وصحبته إلى أن توفي ، رحمهم الله تعالى •

قال : ووقع لي معه عجائب وغرائب ، ثم حج فمرّ على قبر الشيخ أبي الحسن الشاذلي [فكلمه من قبره وقال له : اذهب إلى مكة وانحس بها • قال الشيخ جمال الدين المرشدي : ولم يطعم الشيخ نجم الدين شيئاً حتى بلغ قبر شيخه أبي الحسن الشاذلي] (١) وهو بصحراء عبدان ، ولما بلغ طرف الحرم الشريف سمع هاتفاً يقول

(١) زيادة من ب .

له : قدمت على خير بلد وشر أهل ونحو ذلك من الكلام . ولم يرَ خارجاً من مكة إلى غير عرفة ، وقبره إلى جانب قبر الفضيل بن عياض رحمهم الله ونفع بهم .

وحكى الشيخ الولي محمد البغدادي قال : كنت شاكناً في رباط مراغة فرأيتَه — يعني الشيخ نجم الدين — ماراً في الهواء إلى جهة المدينة . وناداه وكلمه ، وقد كان يعترض عليه في تركه الزيارة فقال : قل للمشرع هل يجوز للعبد أن يسافر بغير إذن مولاه ؟ . وقل للمحقق : من هو معك في كل مكان حاضر هل لطلبه تسافر !

واستأذنه الشيخ أبو محمد المرجاني في زيارة النبي ﷺ ، فقال له : مالك طريق إليه في هذا الوقت ، فخالفه وسافر مع جماعة فأصبحوا حيث أمسوا ، ثم كذلك مراراً ، فقال المرجاني لأصحابه : سافروا فما عوقمكم إلا أنا ، ثم سافر بعد مدة بإذنه ، فتسهلت له الطريق ، ووجد بعض المجاورين بالمدينة قد أوصى له بثياب يلبسها .

قال اليافعي : واقتصر الذهبي في ترجمته على كلمات غاضة من قدره ، وعرض بالانتقاد عليه في ترك الزيارة .

وفيهما توفي شيخ القراءات عبد الله الدلاصي ، يقال : إنه سمع رد السلام من النبي ﷺ . قال اليافعي : رأيتَه يطوف ضحى بعد فراغ الطلبة من القراءة وقد انحنى كثيراً ، فإذا جاء إلى الحجر الأسود زال ذلك الانحناء ، وقبله ، وكان عنده طفل غابت أمه عنه وهو يرضع ، فبكى ، فدرئدي الشيخ ، فارتضع منه حتى سكت ، وله كرامات أخر .

وفيهما توفي صاحب اليمن الملك المؤيد هزبر الدين داود بن المظفر ، وكانت دولته بضعاً وعشرين سنة ، وكان عالماً فاضلاً سائساً شجاعاً . بلغت كتبه نحو مائة ألف مجلد ، وكان يحفظ (التنبيه) وغيره . وكان أبوه المظفر وابنه المجاهد كلاهما أكثر مشاركة منه في العلم فرعاً وأصلاً ، وأذكى قريحة ، وأشهر فضلاً ، وأحسن ملكاً . وللمظفر أربعون حديثاً منتقاة عوالي . قال اليافعي : رويناها عن شيخنا رضي الدين الطبري بروايته لها عن محب الدين الطبري عن المظفر . وأما المجاهد فله أشياء بديعة ثراً وطقماً ، وله ديوان شعر ومعرفة بعلم الفلك والرمل والفقهِ وغيره .

سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة

قال الياضي : فيها توفي شيخنا إمام المقام بقية المحدثين إبراهيم بن محمد الطبري المكي ، لا يحصى من سمع عليه وسمع منه ، وتفرد في آخر عمره ، واعترف له بالسبق والعلو حتى قال الياضي : قال محدث القدس المتفرد في زمانه صلاح الدين العلائي : لي من الشيوخ قريب من ألف شيخ ما فيهم مثل شيخنا إبراهيم . وله نظم جيد وتوايف منها كتاب (الجنة في شرح السنة للبغوي) وغيرها . قال : وقرأت عليه أول سنة إحدى وعشرين إلى أن اشتد مرضه سنة اثنتين وعشرين . وقال لي : يا ولدي ، حصلت في هذه السنة ما لم أحصله في سنين كثيرة . وقد أثبت الياضي رحمه الله في ثبت جميع مسموعاته ومستخاراته وعدد مشايخه كلهم في ثبت واحد . قال : وجل اعتمادي على ثلاثة منهم يعني الشيخ إبراهيم ، والبصال [الذهبي]^(١) بعذن ، والشيخ علي بن عبد الله الطواشي بحلي . وذكر لكل منهم مناقب عديدة علماً وعملاً ، ومات البصال والطواشي في سنة واحدة .

سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة

توفي قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ، صنف وانتفع به وله (التعجيز على التنبيه) .

وفيها مات قاضي دمشق وعالمها الكامل نجم الدين أبو العباس أحمد بن محمد [المعروف بابن مصري]^(٢) الثعلبي الشافعي ، سمع وأسمع ، وله النظم والرسائل والخط والفصاحة مع دين وصلاح سريرة وحسن سيرة ، وولي القضاء إحدى وعشرين سنة .

(١) زيادة من مرآة الجنان ٤/٢٦٨ .

(٢) كذا في مرآة الجنان ٤/٢٧٠ ، وفي ب : ابن مصري ، وما بين المعقوفين نقص

من الأصل .

سنة أربع وعشرين وسبعمائة

كان غلاء شديد بالشام ، بلغت الغرارة أزيد من مائتي درهم ، وأسقط مكس الأوقات • قال الياضي : وبلغ ثمن الغرارة في مكة فوق ألف وثلاثمائة درهم •

وفيها . قدم ملك التكرور موسى بن أبي بكر الأسود في ألوف من عسكره ، فنزل سعر الذهب درهمين ، ودخل إلى السلطان فسلم عليه ولم يجلس ، ثم ركب حصاناً ، وأهدى هو إلى السلطان أربعين ألفاً وإلى نائبه أربعة آلاف ، وهو شاب عاقل ، حسن الشكل ، راغب في العلم ، مالكي المذهب • ووقع فتنة بين أصحابه وبين الترك وهو في شباك مشرف على الكعبة يسكنهم وأكثر غضبه على أصحابه •

وفيها مات بمصر المفتي نور الدين علي بن يعقوب البكري الشافعي ، وهو الذي شنع بالإنكار على ابن تيمية حتى أخرجه الناصر من بلاده وسلم من بطشه • وقيل : إنه أمر بقطع لسانه ، قتلجرح وظهر عليه الخوف ، فقال السلطان : لو تبت لكنت عندي عظيم الشأن •

وفيها مات بدمشق علاء الدين ابن العطار ، وهو علي بن إبراهيم الشافعي المفتي الزاهد ، ويلقب بمختصر النووي ، سمع من غير واحد ، وأصابه فالج عشرين سنة •

وفيها الشيخ صفي الدين محمد بن عبد الرحيم العلامة الأصولي الشافعي ، نزل دمشق ، تفقه بجده لأمه وأخذ العقليات عن سراج الدين الأرموي ، وصنف وأفنى ، وتخرج به أئمة فضلاء •

سنة خمس وعشرين وسبعمائة

كان الغرق ببغداد ودام خمس ليال بقيت المدينة كالسفينة ، وسأوى الماء الأسوار ، وغرق أمم من الفلاحين ، وتهدم من الجانب الغربي نحو خمسة آلاف بيت • ومن الآيات أن مقبرة الإمام أحمد بن حنبل غرقت سوى قبة ضريحه فإن الماء دخل الدهليز علو ذراع ، ووقف بإذن الله من غير سبب ، وبقيت السواري حول القبر عليها الغبار ، وصح هذا •

وفيهما سار من مصر نحو ألف فارس منجدين للمجاهد على ابن عمه الظاهر وهو محصور في حصن تعز ، فرجع عسكر مصر ، وقد ماتت خيولهم ولم يغنوا العسر جبال اليمن ، وخرج المجاهد بعد عزمهم من الحصن في نفر يسير وسار إلى عدن وأخذها بمساعدة يافع لأنهم مترتبون في جبالها وحصونها ، ولم يزل ملكه في علو حتى أمسكه في مكة أمير مصر المسمى طار بمساعدة الشريف عجلان صاحب مكة ، وانخذل عسكره ، ولم يزل مخذولاً بعدها ؛ قيل : وذلك لأنه عاهد الله حين لزم أنه يعدل ، فلما رجع إلى اليمن لم يف بذلك ، ولم يزل ظلمه في ازدياد وملكه يضعف إلى أن مات ، وكان إمساكه سنة إحدى وخمسين ، وهرب من السجن بمساعدة السجنان في قصة طويلة .

وفيهما ضرب بمصر الشهاب بن مري التميمي وسجن لنهيه عن الاستغاثة والتوسل بغير الله ، ومقت لذلك ، وفر إلى الجزيرة .

وفيهما مات بمصر شيخ القراء محمد بن أحمد بن عبد الخالق المصري الشافعي الخطيب ، تلا بالسبع على الكمال بن الضيرير وابن فارس ، وله دين ومشاركة في علوم .

وفيهما شيخ الحديث بالمنصورية نور الدين علي بن جابر الهاشمي اليمني الشافعي ، أخذ عن الزكي البيلقاني ، وعرض عليه (وجيز) الغزالي .

وفيهما مات بالكرك قاضيها عز الدين محمد بن أحمد بن إبراهيم الأسيوطي (١) الشافعي ، حكم بها نحو ثلاثين سنة ، وحدث عن القطب القسطلاني ، وهو والد شرف الدين قاضي المدينة النبوية وخطيبها وإمامها .

وفيهما مات بدمشق شيخ الإسلام بقية العلماء سليمان بن هلال الهاشمي الجعفري الحوراني الشافعي ، تفقه بالشيخ محيي الدين وتاج الدين ، وناب عن ابن صصري ، وكان بينه وبين جعفر الطيار ثلاثة عشر أباً ، وكان فيه تواضع وترك تصنع مع علو قدره ، فربما مشى إلى الحكام لأداء الشهادات مع جلالة القدر ، وربما نزل عن حماره وحمل عليه حزمة حطب لمسكينة تلقاه ، ولم يدخل حماماً رحمه الله ورفع به .

(١) في الأصل ومرآة الجنان ٢٧٤/٤ : الأسيوطي . وما أثبت من ب .

وفيه قاضي القضاة أبو بكر بن أحمد بن الأديب الشافعي اليمني . قال
اليافعي : رأته بعدن قاضياً ، ثم ولي القضاء الأكبر ، وسكن تعز ، وكان عارفاً بالفقه
والأصلين ، تفقه بآبن عجيل وابن الرّثبؤل وغيرهما ، وصار تلميذه الإمام العلامة
وقاضي القضاة بعده حسن بن السرور اليمني ، قرأ عليه اليافعي وانتفع به .

سنة ست وعشرين وسبعمائة

توفي سراج الدين عمر بن أحمد بن الخضر الأنصاري الخزرجي الشافعي المقتي
خطيب المدينة النبوية وقاضيها ، نشأ بالقاهرة ، وتفقه بها على جماعة ، وحضر درس
الإمام عز الدين بن عبد السلام وابن رزين ، وله إجازة من المرسي والمنذري
والقسطلاني ، وأقام بالمدينة أربعين عاماً قاضياً وخطيباً ، ثم تعلق وصار إلى مصر
للتداوي فمات بالسويس .

وفيه مات ببلبك شيخها قطب الدين موسى بن الشيخ اليونيني صاحب
التاريخ .

ومات بالحلّة شيخ الشيعة المطهر حسن صاحب التصانيف .

وفيه الشيخ حماد القطان ، وكان يقرأ القرآن ، ويحكي عجائب عن الفقراء ،
ويحضر السماع ويصيح ، وله وقع في القلوب .

سنة سبع وعشرين وسبعمائة

حاصر ودي بن حمار المدينة النبوية ، وأحرق بابها ، وقتل القاضي هاشم بن
علي وعبيد الله بن القائد .

وفيه رجم أهل الإسكندرية أميرهم ، وأحرقوا الباب ، وأخرجوا المسجونين
بها ، فبعث السلطان إليهم أربعة أمراء ، فأهانوا أهلها وصادروهم بمال عظيم .

وفيه مات بنابلس^(١) قاضي حلب بقية المجتهدين الملقب كمال الدين محمد
ابن علي بن عبد الواحد الأنصاري الشافعي ، أفتى وصنف ، وتخرج به الأصحاب .

(١) في مرآة الجنان ٢٧٧/٤ : في بلبس .

سنة ثمان وعشرين وسبعمائة

قدم صاحب الروم ابن حوبان^(١) بعسكر ضليع إلى السلطان الناصر ، ووصل الماء إلى القدس بعد عمل ستة أشهر .

وفيها مات بقلعة دمشق محبوساً الحافظ تقي الدين ، عرف بابن تيمية ، وهو أحمد بن عبد الحلیم^(٢) بن عبد السلام بن عبد الله ، ومنع قبل وفاته بخمسة أشهر من الدواة والورق ، ولد بحران سنة إحدى وستين وستمائة ، وبرع في الحديث والأصلين ، وكان يتوقد ذكاءً ، وصنف أكثر من مائتي مجلد ، وله غرائب حبس بسببها مخالفة لمذهب أهل السنة ، منها : نهي عن زيارة قبر رسول الله ﷺ ، وإنكاره على مشايخ الصوفية العارفين بالله كالغزالي والقشيري وابن العريف والشاذلي وغيرهم ممن حقق في العلمين ، وكذلك فتياه في الطلاق ، وعقيدته في الجهة وغير ذلك . قال الياضي : وقد رأيت مناماً في حقه يدل على خطئه في عقيدته .

قال الفقيه حسين : إنما أنكر على المعينين مسائل معينة مع اعترافه بفضائلهم . قال : واعتقاده في الجهة إنما يعني به ما فوق العالم وهو الله سبحانه ، كذا رأيت في كلامه . قال : وفي ترجمة الياضي له ضعف ، وترجم الذهبي له ما هو لائق به وبجلالته وإمامته وعلومه التي انفرد بها .

وفيها قتل نائب الشرق حوبان بهراة ، ونقل تابوته ، فدفن بالبقيع من المدينة الشريفة .

وفيها أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الواحد ، عرف بابن نهبان الخزرجي الشافعي مفتي الشام ، قاضي القضاة شيخ الشافعية كمال الدين أبو المعالي ، سمع من أبي الغنائم وجماعة من الكبار ، أفتى وهو ابن نيف وعشرين سنة ، وكان عارفاً بالمذهب وأصوله والعربية والمتون ، يضرب المثل بذكائه .

(١) في ب : حربان . (٢) كذا في ب ومرآة الجنان ٢٧٧/٤ .

سنة تسع وعشرين وسبعمائة

توفي النجيب ابن النجيب شيخ الإسلام برهان الدين إبراهيم بن سباع الفزاري، المصري الأصل، وشيعه خلق كثير إلى عند قبر أبيه بالبواب الصغير، سمع من ابن عبد الدائم وابن أبي اليسر^(١) وغيره. وله مشيخة، وحدث بالصحيحين، وأعاد لوالده، وخلفه بالتدريس، وتخرج به أئمة، وشرح (التنبيه) شرحاً كبيراً، وكان ورعاً، وله وقع في القلوب وقبول، وامتنع من القضاء، وخطب أياماً ثم ترك.

قال اليافعي: اجتمعت به في مسجد الخيف، ورأيت له في المنام رؤيا سالحة. وكان في خلقه حدة؛ سأله غامي وأنا حاضر عن رجل قال: أحرمت لله بحجة وعبرة مفردة، فقال: ما قال بهذا اللفظ أحد من العلماء، فقلت له: فما حكمه إذا وقع؟ فانزعج ولم يجب بشيء. قال اليافعي: يحتمل أن يكون قارئاً، وقوله: (مفردة) لفظ آخر، قال: ويحتمل أنه قصد الإحرام بحجة مفردة وسبق لسانه إلى ذكر العمرة، ويحكم بالمتيقن وهو الحج، وينبغي أن يحرم بالعمرة بعد الفراغ منه، والله أعلم.

وفيهما مات بدمشق شيخ الشيوخ علاء الدين القونوي، وهو علي بن إسماعيل بن يوسف التبريزي الشافعي الأصولي قاضي القضاة. سمع على أشياخ، وتنقل للفائدة، ثم قدم القاهرة وقد تزلج من العلوم، وولي بها المدرسة الشريفة ومشيخة الشيوخ بخانقاه سعيد السعداء، ومشيخة الميعاد بجامع ابن طولون، وتصدى للفتوى، وارتفع صيته ودياقته، وتخرج به أئمة. وتلطف به الناصر حتى قبل قضاء أفضية الشام ومشيخة الشيوخ أيضاً؛ فتوجه إلى دمشق لذلك، فحسن نظره، وحمدت سيرته مع النزاهة والعفة إلى أن أدركه أجله عن بضع وسبعين سنة. وشرح (الحاوي الصغير) في أربع مجلدات، واختصر (منهاج الحلبي)، وله (شرح كتاب التعرف في التصوف)، وله شيء في الأصول. قال اليافعي: ولم أر في شروح (الحاوي) أحسن من شرحه.

(١) كذا في مرآة الجنان ٢٧٩/٤، وفي الأصل: البشر.

سنة ثلاثين وسبعمائة

مات مسند الدنيا المعمر شهاب الدين أحمد بن أبي طالب الصالحي الحجازي ، ويعرف بابن شحنة ، حدث يوم موته وله مائة وبضع ستين ، سمع من ابن الزبيدي وغيره ، ونزل الناس بموته درجة .

وفيهما مات بمكة شيخ الحرم وقاضيه ومفتيه نجم الدين محمد بن الإمام [العالم جمال الدين بن الشيخ الإمام]^(١) محب الدين الطبري . تفقه نجم الدين على جده محب الدين وغيره . وكان مجتمعا للفضائل .

قال اليافعي : قرأت عليه (الحاوي) فكان يقول لي : [استفتدت معك أكثر مما استفتدت معي ، ولقد قرأته مرارا]^(١) فما استفتدت مثل هذه المرة . ولما ختمته قال بحضرة جماعة : أشهدوا أنه شيعي فيه . وجاءني في مكاني في ابتداء القراءة عليه تواضعا ومحبة في الله . وكان قد قرأه وشرحه على الإمام عز الدين الفاروقي بروايته له عن مؤلفه . وكان نجم الدين يحفظ (مُحَرَّر) الرافي ، وأعجب بعد (بالحاوي) كثيرا . وكان له صحبة من أولياء الله تعالى . قال لبعض الأكابر : أريد أن أصحبك مع التخليط ، قال : اصحبنى على أي حال . وكانت له والدة من الصالحات ، وقد بشرت فيه بأنه لا يموت حتى تكون سنة سبعين ، وكان كذلك .

سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة

مات ببلاد المغرب سلطانها أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المديني^(٢) ، تملك اثنتين وعشرين سنة .

وفيهما أفضى القضاة جمال الدين محمد بن أحمد بن محمد القلانسي اليمني^(٣) الشافعي قاضي العسكر ، وكان لين الكلمة .

(١) زيادة من ب . (٢) في ب : الرسي .

(٣) في مرآة الجنان ٤/٢٨٣ : التميمي .

سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة

جاء بحمص سيل عظيم ، وغرق به خلق كثير •

وفيها مات صاحب حماة المؤيد عماد الدين إسماعيل بن الأفضل الحموي ، صاحب التاريخ ، وناظم (الحاوي) ، وله كتاب (تقويم البلدان) وقصائد وفلسفة ، وتسلطن بعده ولده الأفضل •

وفيها الولي الكبير ياقوت الحبشي الشاذلي تلميذ شيخ الشيوخ المرسي •

وفيها قطب الدين السنباطي^(١) محمد بن عبد الصمد بن عبد القادر الأنصاري المصري ، الفقيه الشافعي من أعيانهم ، كثير التواضع ، قليل التكلف ، وانتفع به خلق ، وصنف في الفقه (زوائد التعجيز) ، وناب في الحكم عن الردعي وعن ابن جماعة •

وفيها محمد بن الفضل كاتب الممالك ، ناظر الجيش ، قال اليافعي : رأيت به المسجد الحرام يطوف على أهل الخير يفرق عليهم الدنانير •

وفيها الشيخ الجليل برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري الشافعي المقرئ صاحب التصانيف المنيفة على مائة مصنف ، ومن شعره :

وإن فسح الله الكريم بمدي وأدركت عمراً ليس في أصله ضعف
سأشتر للطلاب علماً كعادتي غزير المعاني فيه من حسنه لطف
وإن صادفتني يا صحابي منيتي فصبر جميل فالصبور له الوصف

وله وقد سئل عن عدد مؤلفاته ومولده ، فقال :

أيا سائلي عن عدد ما قد جمعته من الكتب في أثناء عمري من العلم
أصخ لي فقد عرفت ذاك بنيف على مائة ما بين نشر إلى نظم

(١) كذا في مرآة الجنان ٢٨٤/٤ ، وفي الأصل : الشاطبي •

ومن عجبٍ زادت على نحو تسعة
 فخذ منه ما يختار واسمح بنشره
 وخذ مولدي في الأربعين مقرباً
 وكان وجودي في الوجود جميعه
 إلهي فاختم لي بخير وكفّرَن°
 وعشر وما أدري متى منتهى يومي
 على طالبيه داعياً لي على رقي
 وست مئات أو مئتين على الرسم
 كطيف خيالٍ زار في نوم ذي حلم
 ذنوبي عسى ألقاك ربي بلائيم

توفي وله اثنتان وتسعون سنة . أجاز له ابن خليل . وكان عرض (التعجيز)
 على مؤلفه ، ورحل إليه القراء ، رحمه الله تعالى .

وفيها ابن القماح القاضي شمس الدين الحسن بن محمد بن عبد الرحمن
 السخاوي الفقيه الشافعي المتفنن ابن الإمام جمال الدين . كان يحفظ (المقامات)
 و (ديوان المتنبي) وغيرها . وعنه قال : أنشدني شيخني ابن الدعار لما توفي كمال الدين
 النسائي (١) ، وولي بعده القضاء كمال الدين عيسى الطيلوني (٢) كتب إليه :
 نقل الناس وهو نقل غريب
 أن بعد الكمال يحدث نقص
 فأتانا بعد الكمال كمال
 وأتانا بعد الأعم الأخص

سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة

توفي شيخ الإسلام بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة الكناي الحموي
 الشافعي قاضي القضاة ، صاحب الفنون عن أربع وتسعين سنة . سمع كثيراً ، وانفرد
 في وقته . وكان حسن الهدى ذا تعبد وأوراد ، وحج واعتماد وحسن عقيدة في
 الصالحين ، وله تصانيف سائرة . ولي مناصب كثيرة أولاً ، ثم ولي القضاء بعد ابن
 دقيق العيد ، وامتدت أيامه ، ونفعت أحكامه ، وكثرت أمواله ، ترك الأخذ على

(١) في ب : النسائي .

(٢) كذا في ب ، وفي الأصل : الطيلوني ، وفي مرآة الجنان ٢٨٦/٤ : القليوبي .

القضاء عفةً ، [وكان يخطب من النبائية]^(١) ، ولما تغير سمعه ترك القضاء وأقبل على شأنه . وكان له وقع في القلوب ، وكان والده من أكابر الأولياء . قيل : إنه كان يمر في صغره على فقير في بلاد الشام فيقول له : مرحباً بقاضي الديار المصرية .

وفيهما مفتي المسلمين [الإمام شهاب الدين]^(١) أحمد بن جميل الشافعي ، البارع ، سمع وأسمع . قال اليافعي : اجتمعت به في المدينة وسألته عن الذكر الوارد في كفارة المجلس ، وقلت : لا يخلو أن يكون صادقاً في قوله : « وأتوب إليك » ، أو كاذباً ، فإن كان صادقاً فالمغفرة تحصل له بمجرد التوبة ولا تفتقر إلى الذكر المذكور ، وإن كان كاذباً فكيف تحصل له مغفرة مع إخباره بتوبته وهو كاذب فيها مصر على المعاصي ، فأجابني بجواب ليس بشاف .

وفيهما مات بندر الولي الشهير علي بن الواسطي محرماً متوجهاً إلى الحج ، وكان ذا همة عالية ، حج مراراً واعتمر - على ما قيل - أكثر من ألف عمرة ، وتلا أكثر من أربعة آلاف ختمة ، وطاف مرات في كل ليلة أكثر من سبعين أسبوعاً . قال اليافعي : ورأيتَه يسرع في طوافه ، وأنكر عليه بعضهم ، فرأى النبي ﷺ فذكر له فقال : إن قدر أن يزيد على ذلك الإسراع فليفعل . قال اليافعي : ولعله كان في عدوه واجداً . قال : ورأيت غيره من الصالحين يطوف في حال وجده عدواً ، فأنكر عليه بعض الفقهاء فلم يلتفت ، فأمر بإمساكه ، فسلط على ذلك الفقيه من أمسكه من الظلمة وضره على القرب من فعله .

وكان الواسطي يغتسل لكل فريضة مع اشتداد البرد والحر . وبلغني أنه رأى النبي ﷺ في اليقظة ، فسأله عن ذلك ، فأمره به . وقيل له مرة والناس يصلون التراويح : مالك لا تصلي معهم ؟ فذكر كلاماً معناه : ما يجد قلبه في مخالطة الناس . وكان في ذلك الوقت ثلاثة واسطيون كلهم رجال ملاح مع تفاوت طريقتهم في أوصاف الصلاح : هذا أحدهم ، فإنه كان بعيداً عن الناس خالياً بنفسه كالأسد . وكان مهنا سلطان^٢ عرب الشام يحبه شديداً ويقسم برأسه .

(١) ما بين المعقوفين زيادة من ب . وفي مرآة الجنان ٢٨٧/٤ : وكان يخطب من إنشائه . والنبائية : نسبة إلى الخطيب المشهور ابن تباتة .

والثاني : الشيخ عز الدين الواسطي ، كان سهل الخلق ، لين الجانب ، لو جاءه صغير ذهب به ، مع سلامة صدر وذهول عن أحوال الناس ، إذا عرف إنساناً في يومه أنكروه من الغد • جاور كثيراً بالمدينة ، وكان إمام المسجد النبوي • ودخل الشريف ودي بعسكره المدينة فاهباً ، وكان قد حاصرها أياماً ، فقال : ما لهؤلاء ؟ وما شعر بما سبق منهم • وكان قد لبس الخرقه بواسطة بينه وبين الشيخ شهاب الدين السهروردي • قال اليافعي : وهو آخر من ألبسنيها •

والثالث : الشيخ أحمد الواسطي ، وكان متوسطاً في الطريقة ، يتقرب من الفقراء ويتباعد من أهل الدنيا ، مع جدٍ عظيم واجتهاد • قال اليافعي : وكان كثير المودة لي يقول : مالي في الحرم صديق إلا فلان • قال : ولي من الثلاثة نصيب وافر ، بل من غيرهم من الصالحين ؛ فقد قال الولي خالد بن شبيب : رأيت الأولياء كلهم يجوبونك داعين لك مستبشرين • وكان رضي الله عنه يخبر برجال الغيب في البراري كثيراً ، وله معهم حكايات عجيبة ، وكان يبلغني الكلام منهم •

سنة أربع وثلاثين وسبعمائة

قال الذهبي^(١) : جاء سيل بالمدينة النبوية أخذ الجمال وعشرين فرساً وخرّب أماكن كثيرة • قال اليافعي : وقد رأيت بها سيلاً عظيماً في وادي قنّاة ، واستمر ستة أشهر وأكثر ، وطلع في قبة سيدنا حمزة أذرعاً ودار بجبل الرماة ، وأقامت أياماً أتوضأ منه مع الشيخ الولي المجرد عبد الرحمن الحسيني ، رحمه الله تعالى •

وفيها توفي الفقيه الحافظ أبو الفتح ابن سيد الناس ، وهو محمد بن محمد بن سيد الناس • رحل وجمع وصنف وحدث •

(١) في النسختين : الفرطبي ، وما أثبت من مرآة الجنان ٢٩١/٤ •

سنة خمس وثلاثين وسبعمائة

توفي ملك عرب الشام مهنا بن عيسى بن مهنا الطائي ، وأقاموا عليه المأتم ، ولبسوا السواد ، وكان فيه خير وتعبد .

وفيها ماتت المعمرة زينب بنت الخطيب يحيى بن الشيخ عز الدين بن عبد السلام عن سبع وثمانين سنة روت عن جماعة وتفردت في وقتها .

وفيها الإمام الحافظ قطب الدين عبد الكريم بن عبد النور الحلبي ، تلا بالسبع ، وسمع كثيراً ، ولزم الاشتغال مع التودد والتأليف والتخريج والديانة والأمانة والتواضع ، وعمل تاريخاً بمصر ، وشرح سيرة عبد الغني في مجلدين ، وعمل أربعين تساعيات وأربعين متباينات وأربعين بلديات ، وعمل معظم شرح البخاري في عدة مجلدات .

وفيها عبد الكافي بن علي السبكي ، والد تقي الدين ، وجد تاج الدين ، وهو من أهل سبك العبيد بالديار المصرية ، وناب في القضاء عن ابن دقيق العيد ، وزاد ولده عليه .

سنة ست وثلاثين وسبعمائة

أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن ممدود البغدادي الصوفي ، سمع وأجاز وسماعاً ، وتفردت .

وفيها عائشة بنت محمد بن مسلم الحرائية ، روت عن جماعة حضوراً وسماعاً وتفردت .

سنة سبع وثلاثين وسبعمائة

توفي الشيخ الكبير ذو الكرامات أبو عبد الله محمد المرشدي بقرية مرشد كهلان . قال الياضي : له عجائب تحير العقول ، لو اجتمع عنده أكثر عسكر في الوري لعجل لهم في الحال ما أحبوا من القرى ، يخرج ذلك من خزانة صغيرة ولا يشاهد

فيها شيء ، قال : سمعت ذلك من خلائق ، بل رأيته منه عياناً ، وذلك أني وردت عليه زائراً فلقيني وقال : ما أراها إلا غزالية ، ثم أعد سماطاً فيه شهوة لي مخصوصة ما كنت ذقتها في عمري ، واستأذني في حضور جماعة التمسوا منه الطعام معي ، منهم الفقيه الإمام شرف الدين بن الصاحب وأولاده من نسل الوزير ابن حنا ، وبلغ من حسن اعتقادهم أن شربوا غسالتني . ولما أصبحت استأذنته في السفر فقال : تحضر معنا الليلة إلى نجوم مزح^(١) مكان يجتمع فيه عنده خلائق ويطعمهم جميعاً ، فاعتذرت ، فقال : إن كان ولا بد فأقم عندنا إلى العشاء ، فنازعنتني نفسي ، فقال لي في الحال : نصالحها . ثم قال : هل لك إلى مجلس علم ؟ اذهب إلى الموضع الفلاني ، فذهبت إليه ، ومكثت يسيراً ، فجاءت فتوى ، فقال شرف الدين بن الصاحب وجماعة معه : أجب عليها ، فقلت : أنا تركت ذلك في موضعي فكيف أفعله هنا؟! فقالوا : لا بد ، فقلت : إن كان لا بد فليحضر صاحبها فأذكر له ما عندي ، فحضر ، فذكرت له ، ثم لازموني على قراءة كتاب (الجاوي) عليّ فاعتذرت ، فشاهدت منه إحضار الطعام الذي وقع في نفسي ومصالحة النفس ، وقوله : هل لك إلى مجلس علم .

وأما قوله : « ما أراها إلا غزالية » فأسأل الله الكريم أن يمن علي بسيرة^(٢)

• الغزالي

وأخبرني أنه صحب سبعين من الشيوخ منهم : المرسي وابن عجيل . وكان رحمه الله قد حفظ القرآن عليه ، وقرأ (التنبيه) ، ثم انقطع في زاوية . وأكثر الناس تعنتده لكراماته ومكاشفاته ومد السماطات العظيمة من غير وجود أسبابها ولا خادم يخدمه ولا معاون حتى قيل : إنه أطعم في ثلاث ليال ما قيمته ألف مثقال . وناس لا يعتقدونه كما نقل عن ابن تيمية أنه قال : « هو مخدوم » ، والجان لا علم لهم بما يقع في بواطن العباد ، فعوذ بالله من سوء الاعتقاد . وناس يشكون فيه كالشيخ عبد الهادي المغربي قال : لا شك أنه حصل له نصيب من أحوال الفقراء ، إلا أن

(١) كذا في النسختين ، وفي مرآة الجنان ٢٩٣/٤ : كوم قرح .

(٢) في الأصل وب : بشهرة الغزالي ، وما أثبت من مرآة الجنان : ٢٩٤/٤

الفقراء لا يرضون بشهرة هذه الكرامات • والشيخ الولي حسن الحاكمي قال : لو ظهر على يدي مثل هذا الذي ظهر على يديه لدخلت تحت الأرض • وكذلك الشيخ الفقيه خليفة الشاذلي الإسكندري قال : متى يفرغ هذا الرجل ليشغل أوقاته بمن يأتيه من الأمراء والوزراء وغيرهم من أهل الدنيا ، ولما سمع المرشدي بذلك عنه قال للراوي ، قل للفقيه خليفة : والله لو شغلوني عن الله طرفة عين ما سلمت عليهم • قال اليافعي : والذي أراه أن لا ينكر على من أقامه الحق وصرفه فيه ، ولا يصح صدور ذلك بغير إذن ، ولو كان لتغير عليه حاله وافضح ، والله أعلم •

سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة

توفي الصالح المسند المعمر أبو بكر بن محمد بن الرضا الصالحي القطان ، سمع وأسمع ، وتفرد آخرًا •

وفيهما مات بحمارة قاضيها شيخ الإسلام البارزي ، وهو شرف الدين هبة الله ابن القاضي نجم الدين عبد الرحمن ابن القاضي شمس الدين إبراهيم البارزي الجهني الشافعي عن ثلاث وتسعين سنة • روى عن جده وغيره ، وتخرج به الأصحاب • قال الذهبي : وبلغ رتبة الاجتهاد • وله الفضائل العديدة ، والتصانيف المفيدة منها (المسمى)^(١) و (التيسير) وكتاب (المغني) جمع فيه مسائل (التنبيه) وزيادات • قال اليافعي : وله مسألة تفرد بها في جواز نثر الحائض قبل طواف الإفاضة كمذهب الحنفية ، وهي خارجة عن الكتاب والسنة والقياس ، وليس هذا طعنًا في البارزي ، بل تحذيرًا من فعل ذلك ؛ فالجواد قد يعثر • وكان رحمه الله حسن الاعتقاد في الصوفية • قال : وبلغني أن محيي الدين النووي مدحه فقال : ما في البلاد أفقه من هذا الشاب ، وأنه كان يعرض عليه ما يكتبه في (الروضة) حال الاختصار (للعزيز) • وقال الفقيه نور الدين الأزرق : وحكى عنه النووي في حياته في بعض تصانيفه ،

(١) كذا في ب ، وفي الأصل : الميمي •

ومات النووي قبله ، وحكايته عنه من الإنصاف له ، قال : لكن البارزي لم ينصف النووي حيث حكى عنه كلاماً في شرحه (المسمى) ^(١) ولم يصرح باسمه ، بل قال : قال بعض علمائنا ، أو علماء زماننا رحمهم الله وجزاهم خيراً .

وفيهما قاضي القضاة جمال الدين ابن جماعة يوسف بن إبراهيم الأنصاري . أخذ الفقه عن الفارقي وابن النقيب وابن الوكيل وابن الزملكاني ، وولي قضاء دمشق ، وكان شديداً على ابن تيمية والمبتدعين ، متين الديانة .

وفيهما توفي العلامة زين الدين ^(٢) بن المرحل محمد بن عبد الله بن خطيب دمشق عمر بن مكى القرشي العثماني العبدي الأموي . قرأ على عمه ابن الوكيل وعلي ابن السريشي وابن الزملكاني ، وناب في الحكم بدمشق عن ابن الأخباري ، وكان ورعاً بارعاً لم ير في الشام مثله ولا مثل عبارته مع طلاقة الوجه . ومن تصانيفه كتاب (الفوائد) وكتاب (النظائر) و (مختصر الروضة) ، وفي أصول الفقه (التلخيص) و (الملخص) و (الخلاصة) فاقت على أصول ابن الحاجب .

وفيهما أو في التي بعدها مات بمصر شيخ الشافعية زين الدين أبو حفص عمر بن حزم الدمشقي الكنانى العلامة ، كان كثير الفقه ، عظيم الفوائد ، إماماً في الأصول والفروع ، متصوفاً متديناً ، وعين للقضاء ، لكن في خلقه شدة ووعارة ، لا يخضع لقاض ولا أمير ، مع قوة نفس ، وقلة إنصاف . قال اليافعي : حكى بعض فقهاء مصر قال : جئت مع والدي إليه ، فقال لي والدي : قف قليلاً ثم ادخل خلفي ، فدخل وسلم ، فسمعتة يقول : يا حمار ، فوقفت قليلاً ثم دخلت فقال لي : أيش أنت؟ فقلت : يا سيدي جئت ذلك الحمار ، فضحك هو ومن عنده . قال اليافعي : وجاءني مرة — يعني بمكة — يطلب مني عارية نسخة (للحاوي) وكانت عندي للقاضي نجم الدين الطبري ، وذكر أنه أمره بقبضها ، فامتنعت ، فخرج مغتاظاً ، ولقي بعض الفقهاء المكيين فشكا إليه مني وقال : جئت فلم يقم لي ومنعني الكتاب ، وكنت قد قلت له : لوجاء صاحبه ما أعطيته إياه . فهو من عليه ذلك وقال : إنه يدل على القاضي ، فجاءني بعد ذلك وأنا في المسجد الحرام وعندى جماعة يشرحون علي الكتاب المذكور ، فقال

(١) كذا في ب ، وفي الأصل : الميمي . (٢) في ب : زكي الدين .

لي : أحب أن تعيرني الكتاب أنت فأنا أعتقد أنك لا تحتاج إليه ، فأنعمت عليه فقلت له : ما أنت إلا صبرت على جفائي بجلافة خلقي ، فتبسم ثم مدحني ونهى ما ذكرت من الخلق . قال : وبلغني أنه كان يستحضر .

سنة تسع وثلاثين وسبعمائة

هلك ستون نفساً بالزلزلة في طرابلس الشام .

وفيها قدم الإمام تقي الدين السبكي علي بن عبد الكافي متولياً قضاء القضاة في الشام ، وفرح الناس به لدينه وجميل أوصافه علماً وعملاً .

وفيها مات بدمشق عن ثلاث وتسعين سنة قاضي القضاة جلال الدين محمد ابن عبد الرحمن القزويني الشافعي ، ولي خطابة دمشق وقضاءها ، ثم ولي قضاء الممالك ، وعظم شأنه عند الناصر ، وكان فصيحاً يتكلم بالعربي والعجمي والتركي ، لين الجانب ، جم الفضائل . ومن تصانيفه الكتابان المشهوران في علم المعاني والبيان .

وفيها الإمام الصالح الخاشع أبو البشر ^(١) محمد بن محمد الأنصاري الدمشقي المعروف بابن الصائغ ، سمع من أبيه وغيره ، وحدث بصحيح البخاري ، وحفظ (التنبية) ، واقتصر صيته ، ولازم الشيخ برهان الدين ، وأحبه الناس ، حتى جعل إليه قضاء الأقضية فأبى ، فاعتقده الناس ، وكان حسن الظن . قال اليافعي : بلغني أنه لما وقف على بعض كتبني وضعه على عينيه تبركاً . قال اليافعي : وكان يسمع بقراءتي سنن أبي داود على شيخنا رضي الدين الطبري ، فلما فرغنا قال لي : اكتب لي الإجازة ، فكتبت وذكرت بعض أوصافه ، فضرب عليه سوى قولي : (المقرئ الواعظ) .

وفيها شيخ بلاد الجزيرة الإمام القدوة محمد المنتسب إلى شيخ الشيوخ عبد القادر الجيلاني ، وهو جده الرابع ، وكان مجمعاً للفضائل ، وحج مرتين .

وفيها صاحب التاريخ محمد بن إبراهيم الجوزي الدمشقي عن إحدى وثمانين سنة .

(١) كذا في الأصل ومراة الجنان ٣٠١/٤ ، وفي ب : أبو النسر .

وفيها محدث الشام وحافظها علم الدين [القاسم بن محمد] ^(١) البرزالي الشافعي صاحب التاريخ وغيره ، مات بخليص محرماً في آخر ذي القعدة ، وصلى عليه إماماً بإشارة بعض ركب الشاميين الإمام الياضي . روى عن خلق كثير وعن الجهم الغفير ، مع حسن السميت والهدى ، ووقف جميع كتبه ، وأوصى بثلثه ، وحج خمس مرات .

سنة أربعين وسبعمائة

في صفر هبت ريح فيها عواصف وسموم على جبل عكا وجبل طرابلس ، وسقط نجم اتصل نوره بالأرض برعد عظيم ، وعلقت منه نار في أراضي الجون أحرقت كثيراً .

ونزلت من السماء نار بقرية الفيحة على قبة خشب أحرقتها وثلاثة بيوت .

وفيها توفي بمصر الإمام العلامة أبو بكر بن إسماعيل بن عبد العزيز السنكلومي ، نسبة إلى سنكلوم بلدة من أعمال الشرقية ، الفقيه الشافعي المفيد ، صنف عدة كتب منها انتخابه لكتابه (التنبيه في شرح التنبيه) لابن الرفعة ست مجلدات ، ومنها (تحفة النبيه في شرح التنبيه) في أربع مجلدات وهو متداول منتفع به ، ومنها (الحكمة العارضة فيما بين الرافعي والنووي من المعارضة) في مجلد ، ومنها (شرح المنهاج) للنووي ، و (شرح مختصر التبريزي) في الفقه ، وابتدأ في (شرح التعجيز مختصر الوجيز لابن يونس) بلغ فيه نحو النصف . وكان حسن الشمائل ، يحمل خبز عياله إلى القرن بنفسه، وله كرامات، نيف عمره على الستين ^(٢) .

وفيها مسندة الشام أم محمد بنت الكمال أحمد بن عبد الكريم ^(٣) المقدسية الصالحة العذراء عن أربع وتسعين سنة ، سمعت كثيراً وأسمنت ، وانفردت آخرأ بالرواية .

(١) زيادة من مرآة الجنان ٣٠٣/٤ .

(٢) كذا في الأصل ومرآة الجنان ٣٠٥/٤ ، وفي ب : نيف على التسعين .

(٣) في مرآة الجنان ٣٠٥/٤ : عبد الرحيم .

قال الياضي : ههنا انتهى تاريخ الذهبى ، وانتهى تاريخ ابن خلكان فى نيف وستين وستمائة . قال : وهأ أنا أذكر من توفى من الأعيان .

سنة إحدى وأربعين وسبعمئة

توفى الإمام العلامة شمس الدين أحمد بن يحيى بن محمد المقدسى^(١) السهروردى الكاتب . سمع الحديث ، وفاق فى علوم كثيرة منها علم الموسيقى ، وصار شيخ الكتاب ، وكان حسن الأخلاق .

سنة اثنتين وأربعين وسبعمئة

توفى الشيخ شهاب الدين أحمد بن منصور الديماطى ، عرف بابن الجباس الصوفى الأديب ، ومن شعره :

زاد وجدى فلست أملك صبرا أعظم الله لى فى الصبر أجرا

وفىها أبو الحجاج جمال الدين يوسف بن الزكى القضاعى الحلبى المزى ، نسبة إلى المزة قرية بظاهر دمشق ، أيقظ أهل زمانه لا سيما الرجال المتقدمين ، رحل إليه من الأقطار ، انفرد بالعلوم مع الأمانة والديانة والمعرفة التامة فى اللغة والتصريف مع الفقر والاحتساب والانتباض عن الناس ، طارحاً للتكليف ، صنف تهذيباً فى أسماء رجال الكتب الستة ، واختصره الذهبى فى الكاشف ، وصنف كتاب (الأطراف) ودرس بدار الحديث ، وكان مولده بحلب سنة أربع وخمسين وستمائة ، واستوطن دمشق إلى أن توفى بها فى دار الحديث الأشرافية . وقد جمعهم - أعني الثلاثة الحفاظ : ابن تيمية والمزى والذهبى - الشيخ مجد الدين الشيرازى فى بيت من منظومته فقال :

تيمينا المزى ثم الذهبى^(٢)

(١) فى مرآة الجنان ٤/٣٠٥ : القرشى .

(٢) الشطر الثانى غير مقروء فى النسختين ؛ فأثرنا حذفه .

سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة

توفي قاضي القضاة عبد الله بن محمد العبيدلي الفرغاني الحنفي الفقيه العلامة، درس في مذهب أبي حنيفة والشافعي، وصنف فيهما، وتفرد في المعقول والأصول، وشرح (الطوابع) و (المصباح) و (المنهاج) للبيضاوي وغيرها، ولي قضاء تبريز إلى أن توفي بها.

سنة أربع وأربعين وسبعمائة

توفي الإمام العلامة تقي الدين أبو الفتح محمد بن عبد اللطيف الأنصاري الشافعي السبكي نزيل دمشق، برع في الفقه والأصول، وصار علامة زمانه مع حسن السمعة والديانة.

سنة خمس وأربعين وسبعمائة

توفي العلامة المفتي المدرس الشافعي القاضي شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن النقيب، ولي القضاء بحلب، وحدث سيرته، واتفق به المسلمون.

سنة ست وأربعين وسبعمائة

توفي الإمام شيخ الإسلام أبو المكارم أحمد بن حسن، نزيل تبريز، صاحب المصنفات البديعة، منها حواشي الكشاف في عشر مجلدات، وشرح منهاج البيضاوي، وشرح البزدوي، وشرح الهداية للحنفية، وشرح تصريف ابن الحاجب.

سنة سبع وأربعين وسبعمائة

توفي الفقيه شرف الدين المفتي أبو عبد الله محمد بن الصاحب من ذرية الوزير الشهير بابن حنا، كان مع تقدمه في العلم صاحب محاسن وتواضع واعتقاد في الصالحين.

سنة ثمان وأربعين وسبعمائة

توفي السيدان الإمامان الجليلان بركتا اليمن ، قال الياضي : أحدهما : شيخنا أبو عبد الله جمال الدين محمد بن أحمد الذهبي المشهور بالبصالي ، وهو الذهبي ، بضم الذال المعجمة وبالباء الموحدة بين الياءين المثنتين من تحت • صحب الشيخ الكبير مسعوداً الجاوي ، وانتفع به بمدينة عدن ، وانتفع الشيخ مسعود الجاوي وغيره بالشيخ المعروف بابن الخطيب صاحب موزع • قال : والشيخ مسعود أول من ألبسني الخرقة ، جاءني وأنا معتزل في مكان ، فذكر أنه حصلت له إشارة بالباسي ، وكان يجتمع هو وشيخنا الذهبي وجماعة من أصحابهما في ساحل عدن وساحل ضراس الذي خلف ساحل حقائق • وتفقه الذهبي بالفقيه المعروف بابن سفيان من ذرية سفيان اليمني الحضرمي (١) • ثم جمع الذهبي كتاباً جليلاً انتفع به الفقيه في شرح (التنبيه) ، رأته يطالعه ولا يظهره لأحد • وفاق في المعرفة شيخه وغيره ، وانتفع به الطلبة • وامتنع من قضاء عدن ، وكان له صوت في قراءة القرآن يطرب ويعجب ، وعبارة حسنة ، وسيرة جميلة ، ومخاسن عزيزة الوجود • قال : قرأت عليه القرآن ، وصليت به إماماً في رمضان خمس سنين • وأولم عند فراغي عليه (التنبيه) بكشين • وهو أول من انتفعت به ورأيت من بركته •

والشيخ الثاني علي بن عبد الله الطواشي الأزدي نسباً ، الشافعي مذهباً ، الحلوي بلداً وأثنى عليها كثيراً • اشتغل رضي الله عنه في فنون كثيرة حتى علم الطب ، وغلب عليه النسك والتخلي ، وكان يسافر مع أبيه وإخوته ، فإذا دخلوا الأسواق للتجارات دخل المسجد للعبادات • وعلمه بعض الأولياء الاسم الأعظم ، وحصلت له جذبة من جذبات الحق • قال : وكنت أعهد في سنين عديدة في الحج والزيارة ، متحلياً بحلية جميلة ، ويأتيني تفضلاً ، ثم لزم مكانه بعد ذلك ، فكان لا يتحرك إلى جهة إلا بإشارة •

(١) في ب : الجعدي ، وفي الأصل : الحصوي • وما أثبت من مرآة الجنان

ولما سافرت أول مرة إلى اليمن تلقاني إلى الساحل في جمع من فقرائه وجيرانه ، فرأيته
قد تغير حاله ووصفه الذي أعهد ، ظاهره قد كسي بملابس الأنوار ، وبباطنه خزائن
الأسرار ، وقلت في ذلك مستعبراً للبيت الثاني :

لقد حق لي يا هند أشد في الهوى ولاق بحالي حين جا سيدي عندي
خليلي هل أبصرتما أو سمعتما بأكرم من مولى يجيء إلى عبد

قال : ثم سافرت المرة الثالثة فرأيت ما أدهش عقلي ، وذكر كلاماً كثيراً معناه
أنه رأى المواهب الإلهية قد ترافدت عليه وتكاثرت ، وأشار إلى أنه يجري على لسانه
في حال غيبته ما يريد الله ليسمعه جليسه ليس باختيار منه ، وأما في حال الصحو فهو
في نهاية المحو ينكر ذلك ، ولا يظهر شيئاً أصلاً ولا علماً ولا حالاً ، اللهم إلا مجالس
تكلم فيها معي في حال الصحو وكشف الخمار عن كثير من الأسرار ، وأطال البسط
معي في ثلاثة مجالس : الأول للإيناس والتأليف ، والثاني تأديب وتخويف (١) .
والثالث تبشير (٢) وتعريف على ما سبق به القضاء من تقدير وتصريف ، وهذا المجلس
الثالث هو الذي أشرت إليه بقولي فيه :

ولا سيما يوماً أعرّ مباركاً به اليمن والبشرى بتبليغ منيتي

ولعل كثيراً من الناس لهم معه مجالسة كثيرة ولا يظهر لهم منه شيء . وحكى
رحمه الله قصيدته التي امتدحت بها وما فيها من الاستعارات وحسن التغزل ،
ومفتحتها :

تخلفت يوم البين عنهم بجثتي وراحوا بقلبي يوم بانئت أحبتي
وناديت والركب اليماني راحل وعندي مقيم في الحشا حر لوعتي
خليلي سيرا بلغاني أحبتي إلى عند سكان الربوع البهية
إذا جئتما خلّي ابن يعقوب يمنا قليلاً إلى حيث السعادات حكّت

(١) كذا في مرآة الجنان ٤/٣١٣ ، وفي النسختين : تأديب وتخفيف .

(٢) كذا في مرآة الجنان ٤/٣١٣ ، وفي النسختين : تشبه .

وهي طويلة ، ثم قال : والعجب من المنكرين لها من أهل السنة ممن لا يفهم في الاستعارات والمجازات وقد أنشدت على إمام الزيدية الفاضل يحيى بن حمزة فيما أخبرني بعض الأخباريين المباركين قال : « رأيت في جبال حراز من بلاد اليمن وقد أتى غازياً الإسماعيلية في جيش كبير ، فلما علم بقصدي الحج قال : لعلك تأتيني بشيء من كلام فلان ؛ فقد وقت له على قصيدتين أعجبتاني إحداهما في شيخه » • فهذا استحسان ممن ينكر الكرامات • وقد وعدني شيخنا بالجائزة للقصيدة وقال : هي تأتيك ولو بعد حين فلا تيسس وإن طال الزمان •

قال : ومن تواضعه أنني رجعت يوماً من صلاة الجمعة في حلي فوافقته خارج القرية يريد الرجوع إلى منزله وقد أتى بمركوب لضعف حل به ، فألح عليّ بالركوب حتى ركبت ومشى خلفي •

وحصل مرة تأديب في وقت وهو غائب فيه لحال ورد عليه ، فلما أفاق قال لي : قد يؤدب الفاضل على يد المفضول ، يعني كقصّة موسى مع الخضر •

ومن كراماته أنه قال لأمرأه زمانه والقضاة في مكانه : إن لم تنتهوا جاء تكلم النار • فقيل له : متى تجيء ؟ فقال : ليلة الجمعة ، وطلع المؤذن سحر تلك الليلة ليؤذن فرأى ناراً مقبلة في الجو مثل المنارة ، فصاح ، فقصدته الناس وكان خارجاً عن البلد في بيت وحده ، وبكوا وأظهروا التوبة ؛ فاقسمت النار نصفين ، ورجع كل قسم إلى جهة •

ومنها أن إنساناً يقال له ثابت ممن أعرفه أقام عندنا بمكة أياماً يحسبه الناس صالحاً ، ثم سافر إلى حلي ، فترصد الشيخ يوماً في طريقه إلى الجمعة وسبّه ، فهمّ به بعض أصحابه ، فقال الشيخ : دعوه ، معه ما يكفيه ؛ فاشتعل في الحال ناراً ، وأراد بعضهم أن يدفع عنه فاحترقت يده •

ومنها أن بعض ذرية بني عجيل جاء بركب اليمن فأرسل إلى الشيخ يستشيره في البحر أو البر ، فلم يكلم الرسول بشيء لأنه وجدته منقبضاً ، فقال الرسول : ليت الشيخ استشار فلاناً رجلاً معهم في القافلة ! فقال الشيخ في الحال : قل له يسافر بحراً أو برّاً فما عليهم إلا السلامة •

وذكر الياضي كلاماً معناه : أنه سافر من مكة إلى اليمن لزيارة جماعة من الصالحين ، ونوى زيارة الشيخ علي الطواشي في رجوعه من اليمن . قال : فلما بلغنا ساحل حلي خرج أصحابي ولم أخرج ، فلما كان اليوم الثاني من نزول أصحابي حصل معي داع إلى النزول ، فخرجت فإذا بالشيخ قد أقبل ومعه جمع كثير من أصحابه وجيرانه ، فسلم عليّ وألبسني الخرقه ، فعلمت أن الداعي الذي أزعجني إلى الخروج خاطر الشيخ .

قال : وخرجت يوماً من البلد ، فولجت في مكان لا يهتدى إليه ، فما شعرت إلا وهو معي ، فسررت به وأردت أن أسأله عن كل ما أريد ، فورد عليه حال ، ورأيت فيه مبادئ السكر ، وقام ، فاحترق باطني وتألم ، فقلت له : ما كان لي بمجيئك حاجة لأنني تألمت بقيامك ، فوضع أصبعه على قلبي وقال : هذا موضع الألم ، وبردت تلك الحرقه كما تبرد النار بالماء .

قال : ومررت عليه مرة وهو جالس على بعض الكثبان ، فناداني ، فجلست معه قليلاً وهو منشرح إليّ ، ثم أقبل عليه السكر ، فتغير وتنمر ونظر إليّ نظرة منكرة وقال : من جالس الملوك لم يرض بمجالسة غيرهم ، فقامت من عنده هارباً ، ورجعت في طريقي التي كنت فيها ، وذلك ضحياً ، ثم رجعت إليه بعد العصر وقد تخلق بالانبساط ، وأتني بمركوب ، فأقسم عليّ بالركوب ، فركبت ومشى خلفي مع جلالته وضعفه ، وفي معنى ذلك أنشدوا :

إذا كنا به تهنا دلالةً على كل الموالي والعبيد
ولكننا إذا عدنا إلينا يعطل دننا دل اليهود

قال : وجمعت بينه مرة وبين الولي خالد بن شبيب في المسجد الحرام ليلاً ، فسرّ خالد . قال : وخطر لي في وقت : من أفضل هو أو فلان ، فقال لي عند ذلك : ما الفرق بين الرسول والنبي ؟ فأردت أن أذكره ، فقال : إن الرسول هو الذي يوحى إليه ، ويرسل إلى الخلق ، ويؤيد بالمعجزات . والنبي غير متصف بذلك ، وكذلك الأولياء منهم من يؤمر بإرشاد المريدين ويؤيد بالكرامات ، ومنهم من ليس كذلك ، فهتمت أنه في أعلى درجات الولاية ، والشخص المذكور دونه . قلت : هل يصير النبي رسولاً ، فأشار أنه يتصور .

قال : وله رضي الله عنه إشارات في ضمنها لي بشارات ؛ منها قوله : أرجو لك في آخر العمر لما قلت : إن فلاناً يبشرني وأنت لا تبشرني • وقال : الجائزة - يعني على القصيدة - تأتيك • وقال لي وأشار إلى صدري : ما يخرج الله من هذا الصدر من الحكم • وقال لي وقد خلوت معه مرة : ما ظنك بعبدین أشرف المولى عليهما أيردهما خائبين؟! وقال لي : رأيته منصرفاً من عندي وعليك ثوب أبيض • وقال لي : أشتهي سيفاً تضرب به • وقال لي مرة : مقامك عالٍ • وكل هذا في أحوال ترد عليه • وقال لي مرة في مسجد الخيف : إذا جاء سيل الفضل غسل الأوساخ كلها ، وفي ذلك قلت :

أؤمل من ذي الفضل ما هو أهله	وإن لم أكن أهلاً لما منه أطلبُ
عسى سيلُ فضل منه يغسل كلما	بأوساخه كم قد تلتخ مذنبُ
كما قال نور الدين شيخي وسيدي	وقد نال من حال به الراح يشربُ
إلهي بجاه المصطفى سيد الورى	وملجأهم من كل ما منه يهربُ
وتاج العلا بدر الدجى معدن الندى	طراز كمال الكون أبهج مذهب
أفئني منائي منك يا غاية المنى	لأضحى ولي شغل بجبك مذهب
وحقق رجائي يا جواداً ومنعماً	كريماً تعالى للرجا لا يخيبُ

وقال رضي الله عنه : حصل لي إشارة في قصيدتك الفلانية وقد أمرت ولدي أبابكر أن يحفظها ، وذلك أني رأيت أني أقرأها في صلاة الصبح يوم الجمعة ، وذلك لما اشتملت عليه من تحقيق التوحيد وصحة العقائد وغير ذلك من المقاصد مع مدح النبي ﷺ • وله مصنف في الحقيقة غيبه قبل أن يوقف عليه • وله رضي الله عنه نظم رائع ، منه قوله :

أسفي من هجر سكان الحمى	تركوني من هواهم في عسى
كلما قدمت يوماً نحوهم	قدماً أخرجت عنهم قدماً
فعسى الدهر بوصل منهم	يسعف الصبّ ويشفي السقما
قد جعلت الدمع مني شافعاً	ورجائي وانكساري سئلاً

قال الياضي : وقد ألبسني الخرقه جماعة بإشارة في اليقظة أو في النوم ، ولم أشاهد منهم في حسن السلوك والجمع بين الشريعة والحقيقة والجد والاجتهاد وعلو الهمة وملازمة الأوراد والحرص على متابعة السنة والتورع والمبالغة في الحق والأدب والتواضع وكثرة المعارف والمكاشفات والكرامات ما شاهدهته في الشيخ علي ، وقلت في ذلك :

وكم عادل في حب سلمى ومدحها يقولون قد أكثرت في الشعر وصفها
يلومونني في أم عمرو وما دروا بما أبصرت عيني من الحسن والبها
وأهوى سواها رب خود خريده ولكن ما شاهدت في الحسن مثلها

والذين ألبسوني بعضهم أدرك الشيخ أبا الغيث ، وبعضهم ينتسب إلى محمد ابن أبي بكر الحكمي ، ولبستها من بعض ذريته ، نفع الله بهم ، وبعضهم إلى الفقيه إسماعيل بن محمد الحضرمي ، وبعضهم هو الشيخ محمد بن عمر النهاري ، وبعضهم قال : هذه يدي عن رسول الله ﷺ أنا أصحب بها عنه فاصحب بها أنت عني ، وكلهم يمانيون . ومنهم من ينتسب إلى الشيخ أبي مدين المغربي ، وبعضهم إلى الشيخ شهاب الدين السهروردي . قال : وقد ذكرت أنهما خرقتان : خرقه بركة واحترام ، وخرقة تحكم والتزام . وذكرت أن غالب شيوخ اليمن ينتسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني ، قدس الله روحه .

اتتهى مختصر ما ذكره الإمام عفيف الدين عبد الله بن أسعد الياضي ، قدس الله روحه ونور ضريحه . ولم يذكر في هذه السنة غير شيخيه المذكورين ، وكان شغفه بهما شغله عن ذكر كل أحد سواهما .

وفيها شمس الدين الذهبي ، وهو محمد بن أحمد التركماني حافظ وقته . ولد بدمشق سنة ثلاث وسبعين وستمائة ، وسمع بالشام ومصر والحجاز والإسكندرية ، وقرأ القراءات السبع ، وصنف التصانيف الكثيرة النافعة ، وعمي قبل موته ، ومات بدمشق بمسكنه ، ودفن بترية أم الصالح ليلة الإثنين ثالث ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وسبعمائة . ومن شعره :

تولى شبابي كأن لم يكن وأقبل شيب علينا تولسى
فمن جاوز المنحى والنقا فما بعد هذين إلا المصلسى

ومنه :

لا تقعدن عن اكتساب فضيلة ولو انها نسبت إلى الإعدام
جهل الفتى عار عليه لذاته وخموله عار على الأيام

ذكره الأسنائي في طبقات الشافعية . قلت : وكان يليق بالناقلين ترجمة الذهبي أن يبالغوا في تعريفه بأكثر من هذا ؛ فإنه صاحب (الكاشف في رجال الكتب الستة) ، اختصره من كتاب المزي ، وله كتاب (ميزان الاعتدال في نقد الرجال) وله كتاب (مناقب الصديق) وكتاب (مناقب علي رضي الله عنه) وغير ذلك ، وأنجب ولده أبو هريرة وأعجب .

سنة تسع وأربعين وسبعمائة

توفي الفقيه العلامة محمد بن أحمد بن عدلان المقدسي المصري الشافعي المدرس المفتي ، تفنن في فنون كثيرة مع التحقيق ، وفاب في الحكم عن ابن دقيق العيد بالقاهرة ، وتولى الميعاد العلائي بجامع الأزهر ، ودرس في عدة مدارس ، وقصد رسولا من السلطان من مصر إلى اليمن بعد سبعمائة . وكان حلو العبارة ، كثير التودد إلى الطلبة . ولي قضاء العسكر .

وفيها الإمام شمس الدين بن الأصبهاني ، حفظ كتباً عديدة ، وصنف تصانيف مفيدة ، ودرس في بلدان شتى ، وكان يلقي من الدروس من الصباح إلى العشاء ما بين السبعين والثمانين درساً . وله (شرح الحاجية) ، وصنف (ناظر العين) في المنطق في يوم واحد . وصنف كتاباً في مذهبي أبي حنيفة والشافعي وغيرهما ، وحج مرتين . قال الياقعي ما معناه أنه لما دخل تلك البلاد - يعني أصفهان - سائطاً مختصياً يطلب الاجتماع بالصوفية بلغه أن شمس الدين يجب الاجتماع به ، فلم ينشرح الياقعي بذلك ، وقال للمبائع : العلماء كثير . ولما قدم الأصبهاني الشام كان يحضر حلقة الشيخ برهان الدين ويسمع بحثه وهو ساكت كأنه لا يعرف شيئاً ، وأقام على ذلك مدة حتى نبههم عليه بعض الناس ؛ فالتمسوا منه حينئذ الكلام ، وألحوا عليه ؛ فتكلم وظهر فضله واشتغلوا عليه .

وفيها الإمام العلامة شيخ الطريقتين شمس الدين ابن اللبان ، وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد المصري المنزل والإفادة ، الدمشقي المنشأ والولادة ، عاش سبعين سنة ، أخذ عن السريشي وابن الرفعة وابن الزملكاني ووالده وناصر الدين بن القواس وغيرهم . وصحب الشيخ ياقوتاً الشاذلي ، وفتح عليه على يديه . ومن تصانيفه كتاب (إزالة الشبهات عن الآيات والأحاديث المتشابهات) ، ومنها ترتيب الأم للشافعي على مسائل الروضة واختصارها في أربع مجلدات ، ومنها (مختصر الروضة) و (الرافعي) واستدرك عليهما ، ومنها (ألفية) في النحو قيل : لم يصنف في العربية مثلها ، وشرحها ، وله ديوان خطب ، وصنف كتاباً جمع فيه بين كتابي ابن الصلاح والنووي في علوم الحديث . ومات وقد شرع في تفسير سورة البقرة في مجلدين . قيل : ولو كمل لم يكن في التفاسير مثله ، وله نظم رائع ، رحمه الله تعالى .

وفيها الإمام العلامة شهاب الدين ابن المتلف اللخمي الشاذلي ، وهو أحمد ابن محمد بن عبد الواحد بن قاسم بن خليل ، كان قد بشر أصحابه بسببته ناصر الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الدائم المعروف بابن بنت المتلف . وله مصنفات نافعة . وغالب الشاذلية أشاعرة ، وعقائدهم صحيحة سنية . قال الياضي : وقعت على عدة من تصانيف ناصر الدين ، ولقد بالغ في الرد على القائلين بالحلول والاتحاد ، وكفّرهم ، توفي سنة سبعمائة وسبعة وتسعين .

سنة خمسين وسبعمائة

توفي العلامة نجم الدين الأصفهاني في آخر أيام التشريق ، ودفن بالمعلاة (١) ، وهو عبد الرحمن بن يوسف ، أفاد وتصدى للإفادة ، واختصر (الروضة) في مجلدين ، اشتهر في كثير من البلدان ، وكان حسن الأخلاق ، جميل السمائل ، معتقداً صالحاً . قال لي مرة : إذا رأيتك في المنام في بلدي وأنا مريض شفيت ، وقال لما وقف على بعض كتبي : هذا الكتاب لا يجيء إلا من علم كثير .

(١) في مرآة الجنان ٤/٣٣٤ : بالمعلى .

قال اليفاعي : اعلم أيها الواقف على كتابي هذا أنني لم أذكر تاريخ موت أحد من أعيان متأخري شيوخ اليمن العلماء العاملين والصالحين مع كثرتهم ، وذلك لأنني لم أظفر بتاريخ يكون لهم جامعاً ، ولا سمعت به ، وتاريخ ابن سمرّة الموسوم (بطبقات^(١)) فقهاء اليمن وعيون من أخبار رؤساء الزمن (خالٍ من ذكر شيوخ الصوفية العارفين ، وإن كان قد ذكر أعيان أهل اليمن العارفين منذ زمن الصحابة رضي الله عنهم إلى زمانه ، وذكر من هاجر من أعيانهم ، ومن روى منهم الحديث ، ومن بعثه النبي ﷺ قاضياً أو عاملاً ، ثم ذكر التابعين منهم إلى عصره ، وذكر أنه اجتمع عند زيد اليفاعي شيخ صاحب (البيان) في صنعاء [أكثر من مائتي طالب]^(٢) ، ولم أذكر من الذين ذكروهم إلا أفراداً من أعيانهم مثل طاووس ووهب بن منبه وعمرو ابن دينار وعبد الرزاق وأمثالهم . وأما المتأخرون فلم ينتدب لتأريخهم من أظله عصرهم ولا من تأخر زمانه عنهم حتى أتبعه سالكاً أثره ومقلداً خبره ، وذلك الذي منعني أيضاً من إتمام شرح قصيدتي (باهية المُحَيِّتِ في مدح شيوخ اليمن الأصفيا) التي مفتحتها :

نسيم الصبا هبي بحمل الرسائل ونشر الأحبِّ في الضحى والأصائل

ولم أذكر منهم سوى أربعين شيخاً ، ولا مطمع في حصرهم ، فإنهم عصائب ، لا يحصيهم كاتب ولا حاسب .

وقيل للإمام ابن عجيل : لم لا يُذكر في الكتب إلا فلان البلخي والبغدادي والشامي والمصري ، فما بال أهل اليمن؟! فقال : إنما لم يذكروا لكثرتهم .

قال الفقيه حسين : بل الصواب في عدم ذكرهم عدم العناية بتواريخهم ، فلو كان أولياء اليمن لا ينحسرون لما ابتلي أهل اليمن بأنواع البلاء .

(١) كذا في ب . وفي الأصل : تاريخ فقهاء اليمن .

(٢) زيادة من ب .

ومن أعيانهم : أبو موسى الأشعري الصحابي ، وأويس بن عامر القرني ، وأبو مسلم الخولاني ، وطاووس ، وعمرو بن دينار ، ووهب بن منبه ، وعبد الرزاق الصنعاني ، والشعبي أصله من اليمن ، وذو الكلاع الحميري ، والأشعث بن قيس الكندي ، وعمرو بن معديكرب الزبيدي ، وغيرهم ممن لا يحصى ، كما قلت في قصيدة :

عصائب لا يحصى مدى الدهر عدوها ومن ذلك يحصي للحصا والجنادل^(١)
فكم في التهائم والجبال وفي القرى من اليمن المشهور كم في السواحل

ثم قال : ذكر أول من أظهر مذهب الشافعي ونشره في اليمن ، منهم :

الإمام موسى بن عمران المعافري ، وعبد الله بن علي المرادي ، سمع من أبي زيد المروزي في دمار ، ورحل إلى مكة وسمع بها سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة ، وزيد اليفاعي ، ويحيى بن أبي الخير ، وابن عبدويه ، وبنو عقامة بزبيد .

ثم قال : ذكر فتن عظيمة وقعت باليمن ، منها :

فتنة القرامطة واستيلاؤهم على حصون اليمن ومدنهم ، وداعتهم علي بن الفضل . ومنها فتنة الشريف الهادي لدعوته إلى التشيع . ومنها ظهور بني الصليحي وما جملوا عليه من الفساد وسوء الاعتقاد ، وكانت دعوتهم للعبيدين الباطنية ولاة مصر . ومنها ظهور بني مهدي وما كانوا عليه من ضد الهداية ، ودولتهم نحو خمس عشرة سنة ، وزالت على يد شمس الدولة بن أيوب .

قال الفقيه حسين : ومنها فتنة الأشراف العلويين بجمال اليمن ، وسفك الدماء في كل زمان ، ومنها كتب ابن عربي وإكباب بعض صوفية اليمن عليها بزبيد ، وتعصب الشيخ أحمد الرداد الصوفي على الفقهاء وذلك في الدولة الأشرفية ثم الناصرية ، كان ذا وجهة في هاتين الدولتين ، ثم أطفأ الله شرهم في ولاية المنصور بن الناصر كما بيناه في (مختصر تاريخ الجندي) في ترجمة القضاة بني الناشري ، والله أعلم .

(١) البيت الأول نقص من الأصل ، واستدرك من ب ومرآة الجنان ٤/٣٣٨ .

ثم ذكر الياضي قصيدته المسماة بالإطراب ، وهي مشتملة على مائة شيخ ، ثلاثة وستون منهم يمانيون ، منهم الشيخ الكبير جوهر المشهور بعدن ، وكان [عبداً]^(١) عتيقاً متسبباً في السوق ، وكان يحضر محضر الفقراء محبة فيهم ، فلما مات الشيخ أبو عمران ، وكان قد قيل له في مرضه : من يقوم بعدك ؟ فقال : الذي يقع على رأسه الطائر الأخضر في اليوم الثالث من يوم موتي^(٢) ، فحضر الناس في اليوم الثالث وفيهم المصدق والمكذب والشاك في الطائر ، فوقع في طاقة من مسجد الشيخ ، فتشوف له أكابر أصحاب الشيخ ، فوقع على رأس جوهر ، فأراد الفقهاء أن يرفعوه إلى منصب المشيخة ، فقال : أمهلوني ثلاثة أيام أرد الأمانات وأفرغ من المخالطات ، وأتفرغ . وكان جوهر كاسمه ، وظهر على يديه خوارق وآيات ، وفيه يقول الياضي في قصيدته :

على رأسه قد طار أخضر شاهد^١ بتقديم نصب عن إشارة كامل

قيل : قدم بعض المشايخ إلى بعض البلدان التي بقرب عدن ، فزاره مشايخ تلك الجهات ولم يأته جوهر ، فكتب إليه ذلك الشيخ يعاتبه ويحتقره ، فاطلع الشيخ جوهر على الكتاب قبل أن يصل ، وقال لأصحابه : لا يخرج منكم أحد ، فدخل الرسول بالكتاب فقرأ عليه ، وكلما ذكر طعناً وقدحاً فيه قال : صدق ؛ أنا كما يقول ، وهو يبيكي ، وقال لكتابه : اكتب جوابه :

إذا سعدوا أحبابنا وشقينا صبرنا على حكم القضا ورضينا

(١) زيادة من مرآة الجنان ٤/٣٤٧ .

(٢) الله سبحانه يقول لخاتم أنبيائه : (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب) . الآية ال ٥ . من الأنعام ، ويقول : (قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء) . الآية ال ١٨٨ من الأعراف ؛ فإذا كان هؤلاء الذين يسمونهم بالأولياء يزعمون أنهم يعلمون الغيب فهم دجالون لا أولياء ، وإذا كان أتباعهم هم الذين يمنحونهم هذه الصفة فهم ضالون مضلون لا علماء ولا قوة إلا بالله . (المشرف) .

فلما وصل الجواب إلى ذلك الشيخ ترحل إلى الشيخ جوهر وكشف رأسه بين يديه وتاب واستغفر .

ومنهم شيخه أبو عمران .

قال العفيف اليافعي رحمه الله : ومنهم شيخنا وبركتنا مسعود الجاوي ، وهو أول من ألبسني الخرقه بإشارة وقعت له ، وكان هو من مشايخ إسماعيل بن محمد الحضرمي ، نفع الله بهما ، وحضرنا معه عند قبر بعض الصالحين ، ففهمت أنه كلمة من قبره .

ومنهم الشيخ سفيان الحَصَوِي ، وإليه أشرت بقولي : (وسفياهم سيف العدا ضيغم الوغى) مشيراً بذلك إلى وقائع له في ضمنها إشارات وكرامات له اشتهرت منها قصة اليهودي الذي ولاه السلطان ، ومشى المسلمون تحت ركابه ، وعجز الأمير وعسكره عن الوصول إليه في المسجد الذي هو فيه ، وكان أولاً مشتغلاً بالعلم فقيل له في حال ورد عليه : إن أردتنا فاترك القولين والوجهين ، ولا يظن ظان أنه أمر بترك العلم وإنما أمر بجمع الهم إلى الله تعالى وعلى طاعته من غير تفريق الخواطر .

ومنهم الفقيه سالم صاحب مسجد الرباط بالساحل ، وكان قد صحب الشيخ والفقيه صاحب عواجة ، وجرت لولده محمد بن سالم مع الشيخ أحمد بن أبي الجعد واقعة صاحب الطرية قرية هناك معروفة ، وهو القائل في قصيدة له :

كافل للأنام بالشد مني من رآني ومن رأى من رآني

وقال في أخرى :

قد كان ذلك في الزجاجة باقياً وأنا الوحيد شربت ذلك الباقي

ومنهم في حضرموت الشيوخ الكبار ذوو الأسرار أبو عباد وأبو معبد وأبو عيسى واسمه سعيد ، وجرى للشيخ سعيد مع أبي الجعد واقعة ، تفاضبا فيها ، وتكافأ حالهما ، فصار الشيخ أحمد مقعداً ، والشيخ سعيد ابتلي في جسمه حتى ماتا على ذلك .

قال اليافعي : وإنما يقطع الحالان معاً إذا تكافأ وإلا قطع القوي منهما الضعيف ، وقد يقطع السابق دون المسبوق ، والله أعلم • وتوجيهه - والله أعلم بمخبات الأمور - : أن يكون المولى جل وعلا أذن لكل واحد منهما أن يؤدب صاحبه ، كما جرى لبني إسرائيل في قتل بعضهم بعضاً ، أو يكون كل واحد منهما ماضي الحكم متصرفاً في المملكة بإذن مولاة يولي ويعزل ويصل ويقطع كما جرى ذلك ، ولعلمهم اجتهدوا فأدى كلا اجتهاده إلى أن صاحبه مخطيء يستحق التأديب وأنه مصيب بفعله • هذا ما ذكره الشيخ اليافعي رحمه الله •

ومن كرامات الشيخ أبي معبد أنه كان ينزل بفقرائه في البراري المنقطعة عن الماء فتنفجر الأنهار حولهم ، فإذا سمع الناس جاؤوا وساكنوهم ، فإذا كثروا ارتفع إلى موضع آخر ، وكذلك موضعاً بعد موضع تطلبه الدنيا وأهلها وهو يفر منهم ، ثم استقر بعد ذلك حيث شاء الله •

ومنهم في الحَصِيّ الشيخ موسى بن عمران بن الرَّعْب ، وعمر بن الرعب هو الذي جرى له الحكاية المشهورة مع الرافضي في المدينة النبوية ، وذلك أنه مدح أبا بكر وعمر ، فاستدعاه الرافضي بعلّة الصدقة ، فلما دخل بينه قطع لسانه ، فأغمي عليه ، فرأى النبي ﷺ وقد رد لسانه ، فاتّبه وهو على حاله • وجرى لولده موسى أنه بنى مسجداً ، وقصر بعض خشبهم عن بلوغ الجدار الآخر ، فقال للصانع : تغدّ وأقبل ، فلما فرغوا من الغداء جربوه فوجدوه تاماً •

ومنهم في خنفر الشيخ محمد بن المبارك التركماني • من كراماته أنه سافر في جماعة من أصحابه مع قافلة ، فنهبوا ، فرجعوا إليه وأخبروه ، فقال : ما عرفوكم ؟ قالوا : بلى ولكن قالوا : يا فقراء تبارك بكم ، فقال : أنا ابن المبارك كم من يظن أنه أخذنا ونحن أخذناه ! ثم أطرق ساعة وإذا بالحرامية قد جاؤوا وردوا متاع الفقراء •

ومنهم في مَوْزَع الشيخ عبد الله بن أبي بكر الخطيب ، وهو شيخ الشيخ مسعود الجاوي وغيره • ومن كراماته أنه كان بشبابه مجاوراً بالمدينة الشريفة ، وكان يقترض من إنسان في السوق ما يسد به فاقته ، فإذا اجتمع عليه شيء يقول الرجل المهرس : قد جاء رسولك بالدرهم التي عليك ، قيل : وهو الخضر عليه السلام •

ومنهم صاحب توين من نواحي تعز الشيخ كبير الأحوال أحمد بن علوان ، وهو القائل :

جزت الصفوف إلى الحروف إلى الهجا حتى بلغت مراتب الإبداع
لا باسم ليلي أستعين على السرى كلا ولا لبني تقبل شراعي

ومنهم الشيخ أحمد بن أبي الخير الصياد ، كان أمياً فحصل له من فضل الله ونبل مواهبه ما اعترف له به العلماء وتأدب لديه الأكابر من الأولياء ، أدرك الحبشة الذين زال ملكهم على يدي ابن مهدي الحميري . وقد ألف في مناقب الصياد كتاب مستقل .

ومنهم في الشريفة في نواحي زبيد الشيخ عيسى الهتار ، ومن كبار كراماته توبة البغي على يديه ، وقد تضمن ذلك كرامات عظيماً .

ومنهم في ذوال بركة اليمن علماً وعملاً أحمد بن موسى ابن عجيل ، وقد تقدم طرف من أحواله في ترجمته .

ومنهم الشيخان الكبيران الحكمي والبجلي ، وقد سبق ذكرهما .

ومنهم صاحب الضحى العالم العامل إسماعيل بن محمد الحضرمي .

ومنهم شهرة شيوخ اليمن أبو الغيث ابن جميل .

وغيرهم ممن لا يحصى عدداً ، نفع الله بهم ، وأعاد علينا من بركاتهم ، ورزقنا في جميعهم عظيم الفائدة .

وهنا انتهى تاريخ الشيخ الكبير العارف بالله الخير عبد الله بن أسعد اليافعي نفع الله به . وذلك سنة خمسين وسبعمائة .

قال ملخصه الفقيه العارف بقية السلف أبو عبد الله حسين بن عبد الرحمن الأهدل ، نفع الله به وبسلفه : كنت عزمت أن أذيل هذا المختصر بذكر جماعات أهمل اليافعي ذكرهم ، وجماعات ممن لم يدرك عصرهم ، ثم صرف الله الهمة إلى (مختصر تاريخ الجندي) إذ فيه أكثر المقصود .

قال : وكان فراغ اختصاره (١) سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً طيباً مباركاً فيه . [وكان الفراغ من تعليقه واختصاره في شهر ذي الحجة سنة إحدى وستين وثمانمائة للهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام] (٢) .

وكان الفراغ من زبره نهار الأربعاء أحد عشر من شهر شعبان سنة (١١٤٨) هـ .
والحمد لله .

* * *

تم

كتاب غربال الزمان في وفيات الأعيان

تأليف الفقيه العلامة الحبر الفهامة

عماد الدين يحيى بن أبي بكر العامري

رحمه الله رحمة الأبرار

أمين

(١) لعل المختصر هنا هو مختصر تاريخ الجندي ، وليس الكتاب الذي بين أيدينا .

(٢) زيادة من ب .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لم نورد جميع الأعلام الواردة في الكتاب ، وإنما اكتفينا بأبرزها ، إشاراً للاختصار ،
ولأن الكتاب نفسه أشبه ما يكون بالفهرس .

الفهرس

الموضوع	السنة	الصفحة	الموضوع	السنة	الصفحة
وقعة اليرموك، ووقعة القادس	١٥	٢٢	قدوم النبي ﷺ إلى المدينة	١٢	١
فتح الأردن ، فتح طبرية			غزوة بدر الكبرى	١٢	٢
فتح حلب وانطاكية صلحا	١٦	٢٣	غزوة أحد ، غزوة بدر الصغرى	١٤	٣
حصار بيت المقدس			غزوة بئر معونة ، غزوة بني	١٥	٤
فتح الأهواز ، ووقعة جلوزاء	١٧	٢٤	النضير ، غزوة ذات الرقاع ،		
طاعون عمواس ، فتح حر	١٨	٢٤	غزوة الخندق		
والموصل وتستر			غزوة دومة الجندل ، غزوة	١٥	٥
فتح تكريت وقيسرية	١٩	٢٥	بني قريظة		
فتح بعض ديار مصر	٢٠	٢٦	بيعة الرضوان ، غزوة بني	١٥	٦
فتح مصر ، ووقعة نهاوند	٢١	٢٦	المصطلق		
فتح أذربيجان ، فتح نهاوند	٢٢	٢٧	غزوة خيبر ، عمرة القضاء	١٦	٧
فتح الدينور وهمدان ، فت			غزوة مؤتة ، فتح مكة ، غزوة	١٦	٨
طرابلس الغرب ، فتح جرجا			حنين ، حصار الطائف ، غزوة		
استشهاد عمر بن الخطاب	٢٣	٢٧	ذات السلاسل		
مبايعة عثمان بالخلافة	٢٤	٢٨	غزوة تبوك	١٧	٩
غزوة أبي موسى المري ، غزو	٢٥	٢٨	حجة الوداع	١٧	١٠
عمر بن العاص للاسكندرية			وفاة النبي ﷺ .	١٨	١١
فتح نيسابور	٢٦	٢٩	وفاة فاطمة بنت رسول الله ﷺ	١٩	١٢
غزوة معاوية لقبرس ، غزو	٢٧	٢٩	غزوة اليمامة ، ووقعة أجنادين	٢٠	١٣
عبد الله بن سعد لإفريقية			وفاة الخليفة أبي بكر الصديق		
غزوة الوليد بن عقبة لأذربيجا	٢٨	٢٩	فتح دمشق ، ووقعة الجسر ،	٢٢	١٤
			فتح بعلبك وحمص صلحا		

الموضوع	السنة	الصفحة	الموضوع	السنة	الصفحة
كعب بن مالك، المفيرة بن شعبة	٤٧	٥٠	فتح عبد الله بن عامر مدينة	٢٩	
أبو أيوب الأنصاري	٤٨	٥١	إصطخر		
أبو بكر نفيح بن الحارث ،	٤٨	٥٢	فتح عبد الله بن عامر سجستان	٣٠	
جزير بن عبد الله البجلي .			وفارس وخراسان		
عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق،	٤٩	٥٣	أبو سفيان بن حرب الأموي	٣٠	
زياد بن أبيه			العباس عم النبي ﷺ ، عبد	٣١	
أسامة بن زيد ، حسان بن ثابت	٥٠	٥٤	الرحمن بن عوف ، عبد الله بن		
أبو قتادة الأنصاري			مسعود ، أبو ذر الغفاري		
سعد بن أبي وقاص ، كعب بن	٥١	٥٥	المقداد بن الأسود الكندي ،	٣٢	
عمرو الأنصاري			غزوة عبد الله بن سعد الحبشة		
قثم بن العباس	٥١	٥٦	يوم الحريمة ، استشهاده	٣٢	
عائشة أم المؤمنين ، أبو هريرة	٥٢	٥٧	عثمان بن عفان		
جبر بن مطعم ، عقبة بن عامر	٥٢	٥٨	وقعة الجمل	٣٤	
سعيد بن العاص ، عبد الله بن	٥٣	٥٩	وقعة صفين والتحكيم وخروج	٣٦	
عامر بن كريز			الخوارج		
معاوية بن أبي سفيان	٥٣	٦٠	وقعة النهروان	٣٩	
الحسين بن علي	٥٣	٦١	أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث	٣٩	
بريدة بن الحصيب ، أبو مسلم	٥٧	٦٢	استشها علي بن أبي طالب	٤٠	
الخلواني			كرم الله وجهه		
وقعة الحرة	٥٨	٦٣	سنة الجماعة والصلح بين	٤٣	
يزيد بن معاوية	٥٨	٦٤	الحسن ومعاوية		
مروان بن الحكم ، عبد الله بن	٦٠	٦٥	فتح سجستان والسند	٤٤	
عمرو بن العاص			فتح بعض بلاد السند والروم ،	٤٤	
الفتنة بين ابن الزبير والمختار	٦٠	٦٧	عمرو بن العاص		
الثقفي			فتح مدينة كابل وغزو بلاد	٤٥	
عبد الله بن عباس	٦٢	٦٨	الهند		
طاعون الجارف بالبصرة ، أبو	٦٢	٦٩	غزو معاوية بن حديج لإفريقية	٤٦	
الاسود الدؤلي			عبد الرحمن بن خالد بن الوليد	٤٦	
عاصم بن عمر بن الخطاب	٦٣	٧٠	غزوة رويغ بن ثابت لإفريقية	٤٦	
البراء بن عازب ، الأحنف بن	٦٣	٧١	استشهاده عبد الله بن أبي ربيعة	٤٧	
قيس ، وقعة دير الجاثليق			المخزومي		
			الحسن بن علي بن أبي طالب	٤٧	

السنة	الصفحة	الموضوع	السنة	الصفحة	الموضوع
٧٣	٦٥	مقتل عبد الله بن الزبير	٩٣	٨١	فتح قتيبة سمرقند ، أنس بن مالك ، بلال بن أبي الدرداء
٧٤	٦٦	عبد الله بن عمر بن الخطاب	٩٤	٨٢	سعيد بن المسيب ، عروة بن الزبير ، زين العابدين علي بن الحسين ، أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف
٧٥	٦٧	تولي الحجاج على العراق ، بشر بن مروان	٩٥	٨٥	الحجاج بن يوسف ، سعيد بن جبير ، ابراهيم النخعي
٧٦	٦٧	حرب الحجاج مع الخوارج	٩٦	٨٧	الوليد بن عبد الملك
٧٧	٦٨	حرب الحجاج مع الخوارج ، غزوة عبد الملك للروم وفتح هرقله	٩٧	٨٨	موسى بن نصير
٧٨	٦٩	جابر بن عبد الله ، القاضي شريح	٩٨	٨٩	غزوة قسطنطينية ، فتح جرجان أبو عمرو الشيباني ، عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة ، عمرة بنت عبد الرحمن
٧٩	٧٠	قطري بن الفجاءة - عبد الله ابن أبي بكره	٩٩	٩٠	أبو الأسود الدؤلي ، سليمان ابن عبد الملك
٨٠	٧٠	خروج ابن الأشعث على الحجاج عبد الله بن جعفر ، حسان بن النعمان	١٠٠	٩١	عامر بن وائلة بن الأسقع ، خارجة بن زيد
٨١	٧١	محمد بن الحنفية	١٠١	٩٢	عمر بن عبد العزيز
٨٢	٧٣	المهلب بن أبي صفرة ، جميل ابن معمر	١٠٣	٩٥	عطاء بن يسار ، مجاهد المقرئ الشعبي ، خالد بن معدان الكلاعي ، أبو بردة الأشعري
٨٣	٧٥	وقعة دير الجماجم ، فتح المصيصة	١٠٤	٩٦	كثير عزة ، يزيد بن عبد الملك ، عكرمة مولى ابن عباس
٨٤	٧٥	ابن الأشعث	١٠٦	٩٩	سالم بن عبد الله بن عمر ، طاووس بن كيسان
٨٥	٧٧	عبد العزيز بن مروان ، خالد بن يزيد بن معاوية	١٠٧	١٠٠	سليمان بن يسار ، القاسم بن محمد بن أبي بكر
٨٦	٧٨	قتيبة بن مسلم ، عبد الملك بن مروان	١١٠	١٠١	الحسن البصري ، ابن سيرين ، جرير ، الفرزدق
٨٧	٧٨	ابتداء بناء جامع دمشق	١١١	١٠٧	عطية بن سعد العوفي
٨٨	٧٩	عبد الله بن بشر المازني الصحابي	١١٢	١٠٨	رجاء بن حيوة ، القاسم بن عبد الرحمن الدمشقي
٨٩	٧٩	عبد الله بن ثعلبة العذري			
٩٠	٧٩	وقعة قتيبة بن مسلم بأهل الطالقان			
٩١	٨٠	سهل بن سعد الساعدي			
٩٢	٨٠	فتح الإنديلس على يد طارق بن زياد			

الموضوع	السنة	الصفحة	الموضوع	السنة	الصفحة
داود بن علي بن عبد الله بن العباس	١٣٣	١٢٩	مكحول	١١٣	١٠٨
عطاء الخراساني ، رابعة العدوية	١٣٥	١٢٩	عطاء بن أبي رباح ، محمد الباقر ، وهب بن منبه	١١٤	١٠٩
ربيعة الرأي ، زيد بن أسلم ، السفاح	١٣٦	١٣٠	محارب بن دثار السدوسي	١١٦	١١٢
ثورة عبد الله بن علي ، ثورة ابن سراققة ومقتله	١٣٧	١٣١	قتادة بن دعامة ، ميمون بن مهران ، سكينه بنت الحسين ، ذو الرمة	١١٧	١١٢
الحرب بين طاغية الروم وصالح ابن علي العباسي	١٣٨	١٣١	أبو عشانة	١١٨	١١٣
وفاة جماعة من المحدثين	١٣٩	١٣١	قيس بن سعد المكي	١١٩	١١٣
سلمة بن دينار	١٤٠	١٣١	إسماعيل بن حماد ، عبد الله بن كثير المقرئ	١٢٠	١١٤
ظهور قوم يدعون التناسخ وحرهم مع المنصور	١٤١	١٣٢	زيد بن علي بن الحسين	١٢١	١١٤
خالد الحذاء ، عمرو بن عبید المعتزلي	١٤٢	١٣٢	القاضي إياس بن معاوية	١٢٢	١١٥
غزوة الديلم ، قتال الإباضية بالمغرب	١٤٣	١٣٢	ثابت البناني ، محمد بن واسع الأزدي	١٢٣	١١٥
ثورة محمد بن عبد الله النفس الزكية وأخيه إبراهيم تأسيس بغداد	١٤٤	١٣٣	محمد بن شهاب الزهري	١٢٤	١١٦
محمد بن السائب الكلبي ، هشام بن عروة بن الزبير	١٤٦	١٣٥	هشام بن عبد الملك ، محمد بن علي بن عبد الله بن عباس	١٢٥	١١٦
رؤبة بن الحجاج ، عبد العزيز ابن عمر بن عبد العزيز	١٤٧	١٣٦	الوليد بن يزيد ، خالد القسري	١٢٦	١١٧
جعفر الصادق ، الأعمش ، ابن أبي ليلى القاضي	١٤٨	١٣٧	يوسف بن عمر ، أبو إسحق السبيعي	١٢٧	١٢٠
عيسى بن عمر النحوي	١٤٩	١٣٨	القتال بين الضحاك الخارجي ومروان بن محمد ، عاصم بن أبي النجود ، يحيى بن يعمر	١٢٨	١٢١
أبو حنيفة النعمان ، عبد الملك ابن جريج	١٥٠	١٣٩	يحيى بن أبي كثير	١٢٩	١٢٢
محمد بن إسحق ، معن بن زائدة	١٥١	١٤٠	محمد بن المنكدر ، قتال الإباضية	١٣٠	١٢٢
			فرقد السبخي ، استيلاء أبي مسلم على خراسان ، واصل ابن عطاء	١٣١	١٢٢
			بيعة السفاح ، ومقتل مروان ابن محمد	١٣٢	١٢٥

السنة	الصفحة	الموضوع	السنة	الصفحة	الموضوع
١٥٣	١٤٢	استيلاء الإباضية على إفريقية	١٧٦	١٦٠	حماد بن أبي حنيفة الإمام
		ثم هزيمتهم ، أبو عمرو بن العلاء	١٧٧	١٦١	عبد الواحد بن زيد البصري
١٥٥	١٤٤	حماد الراوية	١٧٩	١٦١	فتنة الوليد الخارجي الشاري ، مالك بن أنس
١٥٦	١٤٥	سعيد بن أبي عروبة ، حمزة بن حبيب الزيات	١٨٠	١٦٣	أبو خالد الزنجي
١٥٧	١٤٥	الأوزاعي	١٨١	١٦٣	مفضل بن فضالة القتباني ، عبد الله بن المبارك
١٥٨	١٤٦	أبو جعفر المنصور	١٨٢	١٦٥	القاضي أبو يوسف ، يونس بن حبيب النحوي ، مروان بن أبي حفصة
١٥٩	١٤٨	عبد العزيز بن أبي رواد ، ابن أبي ذئب	١٨٣	١٦٨	إيقاع الخزر بالمسلمين ، الكاظم ابن جعفر الصادق
١٦٠	١٤٩	السعودي عبد الرحمن بن عبد الله ، شعبة بن الحجاج العتكي	١٨٥	١٦٩	عبد الصمد بن علي بن عبد الله ابن عباس ، يزيد بن مزيد الشيباني
١٦١	١٤٩	أبو دلالة ، سفيان الثوري	١٨٧	١٧٠	الحرب بين الرشيد ونقفور ، نكبة البرامكة ، الفضيل بن عياض ، يعقوب بن داود السلمي ، إبراهيم الموصلي
١٦٢	١٥٢	إبراهيم بن أدهم ، داود بن نصير الطائي	١٨٩	١٧٥	الكسائي ، محمد بن الحسن الشيباني
١٦٤	١٥٣	الماحشون	١٩٠	١٧٦	فتح الرشيد هرقله ، يحيى البرمكي
١٦٥	١٥٣	غزوة الرشيد للقسطنطينية ، خالد بن برمك	١٩٢	١٧٧	الفضل بن يحيى البرمكي ، إبراهيم بن الأحنف
١٦٧	١٥٤	حماد بن سلمة ، بشار بن برد	١٩٣	١٧٨	أبو بكر بن عياش ، هرون الرشيد
١٦٨	١٥٥	الحسن بن زيد بن الحسن بن علي ، عيسى بن موسى	١٩٤	١٨١	الفتنة بين الأمين والمأمون ، سيون
١٦٩	١٥٥	المهدي بن المنصور ، نافع بن أبي نعيم الليثي	١٩٥	١٨٢	الحرب بين الأمين والمأمون ، ظهور القميظر السفياني
١٧٠	١٥٦	الهادي بن المهدي ، الربيع بن يونس ، الخليل بن أحمد الفراهيدي	١٩٦	١٨٣	أبو نواس
١٧١	١٥٩	عبد الله بن عمر بن حفص العمري			
١٧٢	١٥٩	سليمان بن بلال ، عبد الرحمن ابن معاوية بن هشام بن عبد الملك			
١٧٣	١٦٠	عبد الرحمن بن أبي الموالي			
١٧٥	١٦٠	الليث بن سعد			

الموضوع	السنة	الصفحة	الموضوع	السنة	الصفحة
أبو زيد الأنصاري ، الأخفش الأوسط	٢٠٢	٢١٥	الأميين ، وكيع بن الجراح	١٨٤	١٩٧
زيدة بنت جعفر ، الأصمعي	٢٠٤	٢١٦	سفيان بن عيينة ، يحيى القطان	١٨٥	١٩٨
محنة خلق القرآن وبعض من سيرة المأمون ، ابن هشام البصري ، بشر المريسي	٢٠٦	٢١٨	يونس بن بكير الشيباني	١٨٦	١٩٩
سليمان بن علي ، عبد الله بن الزبير الحميدي	٢٠٩	٢١٩	معروف الكرخي ، أبو البختری	١٨٦	٢٠٠
محمد الجواد	٢٠٩	٢٢٠	عهد المأمون بالخلافة إلى علي بن موسى الكاظم ، ظهور بابك الخرمي	١٨٦	٢٠١
عبد الله بن مسلمة بن قعنب الحارثي	٢١٠	٢٢١	اليزيدي النحوي ، الفضل بن سهل	١٨٧	٢٠٢
بابك الخرمي	٢١٠	٢٢٢	محمد بن جعفر الصادق ، النضر بن شميل المازني ، علي الرضا بن موسى الكاظم	١٨٨	٢٠٢
إبراهيم بن المهدي ، علي بن محمد المدائني ، أبو عبيد القاسم بن سلام	٢١٠	٢٢٤	الشافعي ، أشهب ، هشام بن محمد بن السائب الكلبی	١٩٠	٢٠٤
أبو دلف العجلي ، أبو عمر الجرمي	٢١١	٢٢٥	أبو سليمان الداراني ، يعقوب بن إسحق الحضرمي	١٩٤	٢٠٤
الأفشين ، مازيار	٢١٢	٢٢٦	قطرب ، يزيد بن هرون الواسطي	١٩٥	٢٠٦
بشر الحافي ، المعتصم	٢١٢	٢٢٧	ظاهر بن الحسين ، الواقدي ، الفراء	١٩٦	٢٠٧
ابن عائشة ، العتيبي ، مسدد ابن سرهد	٢١٤	٢٢٨	هرون المنجم ، الفضل بن الربيع ، السيدة نفيسة بنت الحسن	١٩٨	٢٠٨
خلف بن هشام ، نعيم بن حماد المروزي ، يزيد الفراء النيسابوري	٢١٥	٢٢٩	أبو عبيدة معمر بن المثنى	١٩٩	٢٠٩
عبد الله بن طاهر ، محمد بن سعد	٢١٥	٢٣٠	زواج المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل ، أبو عمرو الشيباني	١٩٩	٢١٠
محنة خلق القرآن في عهد الواثق ، البويطي ، أبو تمام ، ابن الأعرابي	٢١٦	٢٣١	أبو العتاهية ، عبد الرزاق الصنعاني	٢٠٠	٢١١
الواثق بن المعتصم ، الحسن العسكري	٢١٨	٢٣٢	الفرابي ، إسماعيل بن حماد علي بن جبلة	٢٠١	٢١٢
يحيى بن معين ، أبو عثمان المازني ، ابن الزيات	٢١٩	٢٣٣	عبد الحكم والد أبي عبد الله محمد صاحب الشافعي	٢٠٢	٢١٣

الموضوع	السنة	الصفحة	الموضوع	السنة	الصفحة
أحمد بن الفرات ، محمد يحيى الذهلي	٢٣٩	٢٥٨	يحيى بن يحيى بن معين	٢٢١	٢٣٤
ثورة يعقوب بن الليث الصفي	٢٣٩	٢٥٩	إسحاق الموصلي ، أبو بكر بن أبي شيبة ، العلاف	٢٢١	٢٣٥
محمد بن موسى بن شاذان	٢٣٩	٢٦٠	مصعب الزبيري ، الحسن بن سهل	٢٢١	٢٣٦
أبو يزيد البسطامي ، مسد	٢٤٠	٢٦١	حاتم الأصم	٢٢٢	٢٣٧
يعقوب بن شيبة السدوسي	٢٤١	٢٦٢	ابن راهويه	٢٢٢	٢٣٨
أبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم ، يونس بن عبد الأزني	٢٤١	٢٦٤	عثمان بن أبي شيبة	٢٢٢	٢٣٩
المهدي المنتظر ، محمد بن سحنون	٢٤٢	٢٦٥	أحمد بن أبي دؤاد ، سحنون المغربي	٢٢٣	٢٤٠
يعقوب بن الليث الصفار	٢٤٣	٢٦٦	أحمد بن حنبل	٢٢٤	٢٤١
محمد بن شجاع	٢٤٣	٢٦٧	يحيى بن أكثم التميمي	٢٢٥	٢٤٢
يحيى بن محمد الذهلي	٢٤٤	٢٦٨	الحارث المحاسبي ، حرملة التجيبي ، ابن الراوندي	٢٢٦	٢٤٣
محمد بن عبد الله بن عبد الحميد	٢٤٤	٢٦٩	دعبل الخزامي ، ابن السكيت	٢٢٨	٢٤٤
عيسى بن الشيخ الذهلي	٢٤٤	٢٧٠	محمد بن هشام التميمي	٢٢٩	٢٤٥
صاحب الزنج ، أحمد بن طاهر	٢٤٤	٢٧١	السعدي ، ذو النون المصري	٢٢٩	٢٤٦
الربيع المرادي ، الربيع الجيزي	٢٤٦	٢٧٢	أحمد بن أبي الحواري	٢٣٠	٢٤٧
داود بن علي الظاهري	٢٤٦	٢٧٣	المتوكل العباسي ، طاهر بن عبد الله بن طاهر	٢٣١	٢٤٨
بوران زوجة المأمون	٢٤٧	٢٧٤	المنتصر بن المتوكل	٢٣٢	٢٤٩
أبو معشر المنجم ، سليمان وهب وزير المعتضد	٢٤٧	٢٧٥	الحسن بن الصباح البزار ، عبد بن حميد	٢٣٢	٢٥٠
أبن ماجة ، محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الأموي	٢٤٨	٢٧٦	أبو حاتم السجستاني ، الجاحظ الخليع الحسين بن الضحاك	٢٣٣	٢٥٢
أبو داود السجستاني	٢٤٨	٢٧٧	الخليفة المستعين	٢٣٤	٢٥٣
بقي بن مخلد ، ابن قتيبة	٢٤٩	٢٧٨	سري السقطي ، الدارمي	٢٣٥	٢٥٤
ابتداء ظهور القرامطة ، الأوف	٢٤٩	٢٧٩	أبو الحسن العسكري ، العتبي	٢٣٦	٢٥٥
ابن المتوكل	٢٤٩	٢٨٠	خلع المعتز لمحمد بن الواثق	٢٣٦	٢٥٦
الخليفة المعتمد ، زهير بن حر	٢٤٩	٢٨٠	المهتدي بن الواثق ، الزبير بن بكار ، البخاري	٢٣٨	٢٥٧
النسائي ، الترمذي	٢٥٠	٢٨٠	أبو سعيد الأشج		

الصفحة	الموضوع	السنة	الصفحة	الموضوع
٢٥٠	ابن أبي الدنيا ، أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو	٣٠١	٢٦٨	أبو سعيد القرمطي ، الحافظ ابن مندة ، الوزير ابن الفرات
٢٥١	أبو إسحق الطوسي ، أبو العيناء البصري	٣٠٣	٢٦٨	أبو عبد الرحمن النسائي المحدث ، الجبائي المعتزلي
٢٥٣	ابن الرومي ، سهل التستري	٣٠٤	٢٦٩	يوسف الرازي الصوفي ، يموت ابن المزرع
٢٥٤	إبراهيم بن إسحق الحربي ، المراد ، ظهور أبي سعيد القرمطي	٣٠٥	٢٧٠	ملك الروم يطلب الهدنة من المقندر
٢٥٦	أبو سعيد الخراز الصوفي	٣٠٦	٢٧٠	أبو العباس بن سريج ، ابن الجلاء
٢٥٦	تعرض طيبء لركب العراق ، أبو بكر بن عمرو الشيباني	٣٠٧	٢٧١	أبو يعلى التميمي ، أبو بكر الروياني
٢٥٦	عثمان الأنماطي ، الحاسب ثابت بن قرة الحراني	٣٠٨	٢٧٢	محمد بن الفضل الضبي ، يعقوب بن يوسف وزير العزيز العبيدي
٢٥٧	العتضد الخليفة	٣٠٩	٢٧٢	الحلاج
٢٥٧	حصار القرامطة لدمشق ، دخول المهدي عبد الله المغرب ، عبد الله بن أحمد بن حنبل	٣١٠	٢٧٤	محمد بن جرير الطبري ، الزجاج النحوي ، الرازي الإمام ابن خزيمة
٢٥٨	فتح أنطاكية ، تعاضم خطب القرمطي ، ثعلب ، قنبل مقرئ مكة .	٣١١	٢٧٥	إيقاع القرمطي بركب العراق الحافظ أبو العباس السراج
٢٦٠	القتال بين هرون بن خمارويه والمكتفي	٣١٢	٢٧٥	الليث بن القاسم البغدادي القرائضي
٢٦١	محمد بن أسد الزاهد	٣١٣	٢٧٦	الأخفش الصغير علي بن سليمان بنان الحمال الصوفي ، السراج النحوي
٢٦١	صالح بن محمد الأسدي البغدادي	٣١٤	٢٧٦	فتنة القرامطة في الحجاز واليمن والشام
٢٦٢	الخليفة المكتفي ، أبو جعفر محمد بن أحمد الترمذي	٣١٥	٢٧٦	أبو عبد الله الزبيري
٢٦٣	مقتل ابن المعتز	٣١٦	٢٧٧	مقتل الخليفة المقندر ، العدني ، الفرزبي
٢٦٣	عمرو بن عثمان المكي ، محمد ابن داود الظاهري	٣١٧	٢٧٧	مؤنس الخادم ، أبو جعفر الطحاوي ، أبو هاشم الجبائي ، ابن دريد
٢٦٤	الإمام الهادي إلى الحق ، الجنيد ، أبو عثمان الحيري	٣١٩	٢٧٩	سمل عيني القاهرة ، خير النساج المهدي العبيدي
٢٦٧	أبو عمرو الخفاف ، ابن كيسان	٣٢٠	٢٨٠	فتنة ابن شنبوذ ، نفظويه
٢٦٧	صاحب الأندلس عبد الله بن محمد الأموي	٣٢١	٢٨٢	
		٣٢٢	٢٨٣	

السنة	الصفحة	الموضوع	السنة	الصفحة	الموضوع
٣٥٦	٣٠٨	معز الدولة بن بويه ، سيف الدولة الحمداني ، كافو الإخشيدي	٣٢٤	٢٨٤	ابن مجاهد القرئ
٣٥٧	٣٠٩	أبو فراس الحمداني	٣٢٧	٢٨٥	ابن أبي حاتم الرازي
٣٥٨	٣١٠	استيلاء جوهري الصقلي على مصر ، ناصر الدولة الحمداني	٣٢٨	٢٨٥	ابن مقلة ، أبو بكر بن الأنباري
٣٥٩	٣١٠	أحمد بن محمد القطان	٣٢٩	٢٨٧	الخليفة الرازي
٣٦٠	٣١١	أبو القاسم الطبراني ، ابن العميد الوزير	٣٣٠	٢٨٨	القتال بين يزيد والتمقي ، أبو الحسن الأشعري
٣٦٢	٣١٢	الأمير إسماعيل بن ميكال ، ابن هانيء الأندلسي	٣٣١	٢٩١	الفرغاني الصوفي
٣٦٣	٣١٣	إقامة الدعوة بالحرمين للمعز العبيدي	٣٣٢	٢٩١	أبو طاهر القرمطي ، أبو العباس الشيعي
٣٦٤	٣١٣	أبو بكر بن السني	٣٣٣	٢٩٢	تملك سيف الدولة على حلب
٣٦٥	٣١٣	محمد بن إسماعيل القفال الشاشي ، المعز العبيدي	٣٣٤	٢٩٣	الإخشيدي محمد بن طفج ، الوزير ابن الجراح ، القائم بأمر الله العبيدي
٣٦٦	٣١٥	علي بن عبد العزيز الجرجاني ركن الدولة بن بويه	٣٣٥	٢٩٤	الصولي الشطرنجي
٣٦٧	٣١٦	ابن قريفة ، ابن القوطية	٣٣٧	٢٩٧	غرق بغداد
٣٦٨	٣١٧	أبو سعيد السيرافي	٣٣٨	٢٩٧	المستكفي ، عماد الدولة بن بويه النحاس النحوي
٣٦٩	٣١٧	أبو سهل الصعلوكي	٣٣٩	٢٩٨	الفارابي
٣٧٠	٣١٧	ابن خالويه ، أبو منصور الأزهري	٣٤٠	٢٩٩	أبو القاسم الزجاجي
٣٧١	٣١٨	أبو زيد المروزي	٣٤١	٣٠٠	ظهور رجل وامرأة من المتناسخة
٣٧٢	٣١٩	عزاد الدولة ، الخضري	٣٤٢	٣٠٠	النارشي الشاعر
٣٧٣	٣٢٠	أبو الفتوح الصنهاجي ، أبو عثمان المغربي	٣٤٤	٣٠٠	ابن الحداد
٣٧٤	٣٢١	ابن نباتة	٣٤٥	٣٠١	ابن أبي هريرة ، الوزير محمد ابن علي البغدادي ، المسعودي
٣٧٥	٣٢٢	أبو القاسم الداركي	٣٤٦	٣٠٢	الحافظ أبو يعلى
٣٧٦	٣٢٢	أبو علي الفارسي النحوي	٣٤٧	٣٠٢	فتك الروم ببلاد الإسلام
٣٧٨	٣٢٣	أبو نصر السراج الصوفي	٣٤٨	٣٠٣	أحمد بن سليمان النجاد
٣٧٩	٣٢٣	أبو بكر الزبيدي	٣٤٩	٣٠٣	فتنة هائلة بين السنة والرافضة ببغداد
٣٨٠	٣٢٣	الحافظ أبو عبد الله الأموي القرطبي	٣٥٠	٣٠٤	فائق المجنون ، الناصر الأموي
٣٨١	٣٢٤	خلع الطائع ومبايعة القادر	٣٥١	٣٠٤	استيلاء الروم على حلب
			٣٥٢	٣٠٥	الحافظ الأندلسي ابن سعيد
			٣٥٣	٣٠٥	أبو عثمان الحيري
			٣٥٤	٣٠٦	المتنبي ، ابن حبان

الموضوع	السنة	الصفحة	الموضوع	السنة	الصفحة
الحاكم العبيدي	٤١١	٣٤٥	الأديب أبو الحسن العسكري	٣٢٤	٣٨٢
القزاز القرواني النحوي	٤١٢	٣٤٦	ابن حشاذ ، الخوارزمي الشاعر	٣٢٥	٣٨٣
ابن المعلم الشيعي	٤١٣	٣٤٦	محمد بن عمر المرزباني، الرماني	٣٢٥	٣٨٤
أبو الحسن بن جهضم الصوفي	٤١٤	٣٤٧	النحوي		
القاضي عبد الجبار، أبو الحسن المحاملي	٤١٥	٣٤٧	الصاحب بن عباد ، الحافظ	٣٢٦	٣٨٥
ظهور أمر العيارين ، التهامي الشاعر	٤١٦	٣٤٧	ابو الحسن الدارقطني		
القفال الروزي	٤١٧	٣٤٨	أبو طالب المكي ، العزيز بن المعز العبيدي	٣٢٨	٣٨٦
إبراهيم بن محمد الإسفرائيني	٤١٨	٣٤٨	أبو الحسين ابن شمعون	٣٢٩	٣٨٧
الأمير عبد الملك بن محمد الجرجاني	٤٢٠	٣٤٨	أبو سليمان الخطابي ، الحاتمي اللقوي	٣٣٠	٣٨٨
السلطان محمود بن ناصر الدولة، ابن دراج الأندلسي	٤٢١	٣٤٩	ابن غلبون الحلبي ، الكشميهني	٣٣١	٣٨٩
الخليفة القادر	٤٢٢	٣٥٠	أحمد بن فارس اللقوي	٣٣١	٣٩٠
ابن هلال الكاتب علي بن البواب	٤٢٣	٣٥٠	ابن الحجاج الشاعر	٣٣٢	٣٩١
الحافظ البرقاني	٤٢٥	٣٥١	أبو الفتح عثمان بن جني	٣٣٢	٣٩٢
أبو إسحق الثعالبي	٤٢٧	٣٥١	أبو نصر الجوهري اللقوي ،	٣٣٣	٣٩٣
الرئيس ابن سينا	٤٢٨	٣٥٢	الخليفة الطائع		
المحدث أبو يعقوب القراب	٤٢٩	٣٥٤	أبو سعيد الإسماعيلي	٣٣٤	٣٩٦
الحافظ أبو نعيم الأصبهاني ، أبو منصور الثعالبي	٤٣٠	٣٥٤	الفتنة بين السنة والشيعه ،	٣٣٤	٣٩٨
السلطان مسعود بن محمود	٤٣٣	٣٥٥	بديع الزمان الهمداني		
زلزلة بتبريز ، أبو ذر الهروي	٤٣٤	٣٥٥	الدارمي الشاعر	٣٣٥	٣٩٩
الشريف المرتضى	٤٣٦	٣٥٦	أبو نعيم الإسفرائيني ، أبو الفتح البستي	٣٣٦	٤٠٠
مكي بن أبي طالب القيسي	٤٣٧	٣٥٦	أحمد بن محمد الهروي	٣٣٧	٤٠١
أبو محمد الجويني والد إمام الحرمين	٤٣٨	٣٥٧	محضر بغداد يقدح في نسب العبيديين، أبوالمطرف القرطبي	٣٣٧	٤٠٢
أبو الحسن القزويني	٤٤٢	٣٥٨	أبو بكر الباقلائي، الأمير قابوس بن أبي طاهر	٣٣٨	٤٠٣
فتنة الشيعة	٤٤٣	٣٥٨	أبو الطيب الصعلوكي	٣٤٠	٤٠٤
أبو عمرو الداني	٤٤٤	٣٥٨	الحافظ أبو عبد الله الحاكم	٣٤٠	٤٠٥
الحافظ أبو سعيد السمان ، أو السمعاني	٤٤٥	٣٥٩	أبو حامد الإسفرائيني، الشريف الرضي	٣٤١	٤٠٦
ابن ماکولا	٤٤٦	٣٥٩	الوزير فخر الملك	٣٤٢	٤٠٧
أبو العلاء المعري	٤٤٩	٣٦٠	فتنة بين السنة والشيعه	٣٤٣	٤٠٨
أبو الطيب الطبري، الماوردي	٤٥٠	٣٦١	الحافظ عبد الغني الأزدي	٣٤٤	٤٠٩
			السلطان محمود بن ناصر الدولة	٣٤٤	٤١٠
			يفتح الهند		

الموضوع	السنة	الصفحة	الموضوع	السنة	الصفحة
أبو نصر الحنفي	٤٨٢	٣٨٦	نصر الدولة أحمد بن مروان	٤٥١	٣٦٣
وقعة بين السنة والشيعه	٤٨٣	٣٨٦	الكرخي		
الوزير نظام الملك ، السلطان	٤٨٥	٣٨٧	انتصار المسلمين على الروم	٤٥٤	٣٦٤
ملك شاه السلجوقي			محمد بن ميكال أول ملوك	٤٥٥	٣٦٤
الخليفة المعتد ، أبو نصر	٤٨٧	٣٨٩	السلاجقة		
ماكولا ، المنتصر العبيدي			الوزير عميد الملك الكندي ،	٤٥٦	٣٦٥
المعتد بن عباد ، الحميدي	٤٨٨	٣٩٠	ابن رشيق القيرواني ، أبو محمد		
أبو المظفر السمعاتي	٤٨٩	٣٩١	ابن حزم الظاهري		
أب أرسلان ، نصر بن إبراهيم	٤٩٠	٣٩٢	أبو بكر البيهقي ، ابن سيده	٤٥٨	٣٦٧
المقدسي			الانتهاه من عمارة المدرسة	٤٥٩	٣٦٨
أخذ الفرنج لبيت المقدس	٤٩١	٣٩٣	النظامية		
لقاء المسلمين بالفرنج في ملطية	٤٩٣	٣٩٣	غلاء بمصر وزلزلة	٤٦٠	٣٦٨
أبو الفرج البزاز	٤٩٤	٣٩٣	الإمام الفوراني	٤٦١	٣٦٨
الأعلم النحوي	٤٩٥	٣٩٤	إقامة الخطبة العباسية بالحجاز	٤٦٢	٣٦٩
الحسين بن علي الطبري	٤٩٨	٣٩٤	أحافظ أبو بكر الخطيب	٤٦٣	٣٦٩
ظهور مدعي النبوة بنهاوند	٤٩٩	٣٩٥	البفدادي ، ابن عبد البراقرطي		
يوسف بن تاشفين ، الصردفي	٥٠٠	٣٩٥	السلطان ألب أرسلان ، أبو	٤٦٥	٣٧١
تميم بن المعز الصنهاجي	٥٠١	٣٩٧	القاسم القشيري		
الخطيب التبريزي	٥٠٢	٣٩٧	الخليفة القائم ، البخارزي ،	٤٦٧	٣٧٣
الكياء الهراسي	٥٠٣	٣٩٨	محمود بن نصر الكلابي		
أبو حامد الغزالي	٥٠٥	٤٠٠	علي بن محمد الواحدي ،	٤٦٨	٣٧٣
أبو بكر الشاشي المستظهري	٥٠٦	٤٠٢	البياضي		
الشريف أبو القاسم الحسيني	٥٠٨	٤٠٣	ابن بابشاذ النحوي	٤٦٩	٣٧٤
السلطان يحيى بن تميم	٥٠٩	٤٠٣	الحافظ ابن مندة	٤٧٠	٣٧٤
أبو زكريا يحيى بن مندة	٥١١	٤٠٤	ابن البناء الحنبلي	٤٧١	٣٧٥
الخليفة المستظهر	٥١٢	٤٠٤	هياج بن عبيد الزاهد	٤٧٢	٣٧٦
ابن عقيل البفدادي	٥١٣	٤٠٤	علي الصليحي	٤٧٣	٣٧٦
زيد اليفاعي ، ابن القطاع المصري	٥١٤	٤٠٥	سليمان بن خلف الباجي	٤٧٤	٣٧٨
المصري			أبو القاسم الخرقفي مفتي	٤٧٥	٣٧٨
البفوي الفراء ، الحريري	٥١٦	٤٠٧	الحرمين		
الحافظ أبو نعيم الحداد	٥١٧	٤٠٩	أبو إسحق إبراهيم الفيروزآبادي	٤٧٦	٣٧٩
استجارة دبس بسنجر	٥١٩	٤١٠	أبو نصر ابن الصباغ	٤٧٧	٣٨١
أبو الفتوح الغزالي ، ابن برهان	٥٢٠	٤١٠	إمام الحرمين عبد الملك الجويني	٤٧٨	٣٨٢
البطلبوسي النحوي	٥٢١	٤١١	الشيخة فاطمة بنت أبي علي	٤٨٠	٣٨٥
			الدقاق		
			ابن ماجة الأبهري	٤٨١	٣٨٦

الموضوع	السنة	الصفحة	الموضوع	السنة	الصفحة
أبو الفضل بن خلف ، الوزير	٤٣٨	٥٥٩	تملك عماد الدين زنكي حلب	٤١٢	٥١٢
محمد بن علي الجواد			دخول بهرام الإسماعيلي الشام	٤١٢	٥١٣
الطبيب ابن هبيرة ، عبد القادر	٤٤٠	٥٦٠	ابن تومرت الهرغي	٤١٣	٥١٤
الجيلاني			محمد بن عبدويه	٤١٦	٥١٦
أبو سعد السمعاني	٤٤٣	٥٦٢	وقعة بين ملوك السلاجقة	٤١٧	٥١٧
عبد القاهر السهروردي القرشي	٤٤٣	٥٦٣	أبو علي الفارقي	٤١٧	٥١٧
البكري			الخليفة المسترشد ، دبس بن	٤١٨	٥١٨
حصار الفرنج للقاهرة ودخول	٤٤٤	٥٦٤	صدقة ، عبد القافر الفارسي		
أسد الدين وصلاح الدين اليها			الخليفة الراشد	٤١٩	٥١٩
الحافظ ابن عدي	٤٤٥	٥٦٥	هبة الله بن الحسين الأسطرلابي	٤١٩	٥٢٠
أبو عبد الله الزينبي	٤٤٥	٥٦٦	أبو القاسم التيمي الطليحي	٤٢١	٥٢٢
قطع صلاح الدين لخطبة	٤٤٥	٥٦٧	ابن العريف الصنهاجي	٤٢٢	٥٢٣
العبيديين بمصر			علي بن يوسف بن تاشفين ،	٤٢٢	٥٢٣
ظهور الدولة الأيوبية ، نجم	٤٤٨	٥٦٨	الرمخشري ، الجواليقي		
الدين أيوب بن شاذي			عماد الدين زنكي	٤٢٤	٥٢٤
نور الدين محمود ، ابن الدهان	٤٥١	٥٦٩	أبو السعادات ابن الشجري	٤٢٤	٥٢٤
النحوي ، عمارة اليميني			أبو بكر بن العربي	٤٢٥	٥٢٥
القاضي ابن قرة اليميني	٤٥٤	٥٧٠	القاضي عياض ، غازي بن زنكي	٤٢٥	٥٢٥
أبو القاسم ابن عساكر	٤٥٤	٥٧١	عبد الملك الجيلاني	٤٢٦	٥٢٦
أمر صلاح الدين ببناء سور	٤٥٦	٥٧٢	أبو الأسعد القشيري	٤٢٦	٥٢٦
القاهرة			أبو عبد الله الداني ، مسعود	٤٢٧	٥٢٧
السلطان أرسلان السلجوقي	٤٥٦	٥٧٣	السلجوقي		
السلامسي الشافعي	٤٥٧	٥٧٤	أبو الفتح الشهرستاني	٤٢٧	٥٢٨
الخليفة المستضيء	٤٥٨	٥٧٥	ظهور فتنة الخارجي علي بن	٤٢٩	٥٢٩
أبو طاهر السلفي ، شمس	٤٥٨	٥٧٦	مهدي		
الدولة بن أيوب			أبو الفضل السلامي	٤٣٠	٥٣٠
الملك الصالح إسماعيل ، أبو	٤٦١	٥٧٧	سنجر السلجوقي ، أبو بكر	٤٣١	٥٣١
البركات الأنباري ، أحمد			اليفاعي		
الرفاعي ، ابن بشكوال			عبد الأول الهروي الصوفي ،	٤٣٢	٥٣٢
بوري بن أيوب	٤٦٣	٥٧٩	الضعبي		
السلطان يوسف بن عبد المؤمن	٤٦٤	٥٨٠	فتنة بين الشافعية والعلوية	٤٣٣	٥٣٣
حيوة بن قيس الحراني ، ابن	٤٦٥	٥٨١	الخليفة المقتفي	٤٣٤	٥٣٤
الخرائط ، السهيلي			طلائع بن رزيك ، خاقان محمود	٤٣٤	٥٣٤
مآتم الرافضة يوم عاشوراء	٤٦٧	٥٨٢	التركي		
الفقيه حسن بن أبي بكر	٤٦٨	٥٨٣	عدي بن مسافر الشامي	٤٣٥	٥٣٥
الشيثاني ، ابن القدم			السلطان عبد المؤمن القيسي ،	٤٣٥	٥٣٥
أسامة بن مرشد ، الحازمي	٤٦٩	٥٨٤	يحيى بن أبي الخير		

الموضوع	السنة	الصفحة	الموضوع	السنة	الصفحة
ابن الدهان النحوي ، الشهاب	٤٩٥	٦١٢	وقعات صلاح الدين مع الفرنج	٤٧٠	٥٨٥
ابن الصباغ			نجم الدين الصوفي ، الحكيم	٤٧١	٥٨٦
معين الدين السهلي	٤٩٦	٦١٣	الشهرزوري		
الملك العادل الأيوبي	٤٩٧	٦١٥	صلاح الدين الأيوبي ، أسماء	٤٧٢	٥٨٧
الحروب بين الأيوبيين والفرنج	٤٩٨	٦١٦	الخلفاء العبيديين والعباسيين		
العسكري			والأمويين والراشدين		
وقعة السويس ، أخذ التت	٤٩٩	٦١٧	القرى ابن فيرة ، ابن الدهان	٤٧٦	٥٩٠
خراسان ، الشيخ المقد			البغدادي		
اليوشيني			وقعة الزلاقة	٤٧٧	٥٩١
الشيخ نجم الدين الكبرى	٥٠١	٦١٨	أبوالفنائم ابن المعلم	٤٧٧	٥٩٢
الشيخ يوسف الشيباني	٥٠٢	٦١٩	طفكتين بن أيوب	٤٧٨	٥٩٣
فخر الدين ابن عساكر	٥٠٣	٦٢٠	فتنة الفخر الرازي ، عثمان بن	٤٧٩	٥٩٥
محمد بن محمد الأضار	٥٠٣	٦٢١	صلاح الدين ، السلطان المنصور		
الإشبيلي			المغربي		
الخليفة الناصر العباسي	٥٠٤	٦٢٢	الملك خوارزم شاه ، القاضي	٤٨٢	٥٩٦
الخليفة الظاهر ، أبو القاسم	٥٠٥	٦٢٣	الفاضل		
القزويني			أبو الفرج ابن الجوزي ، العماد	٤٨٣	٥٩٧
تمرجين التتري ، الملك الأعظم	٥٠٦	٦٢٤	الأصبهاني		
الأيوبي			صاحب اليمن إسماعيل	٤٨٥	٥٩٨
المسعود بن الكامل	٥٠٦	٦٢٦	الأيوبي		
أبو محمد ابن برجان المغربي	٥٠٦	٦٢٧	محمد بن إبراهيم القرشي	٤٨٦	٥٩٩
يحيى بن المعطي النحوي	٥٠٧	٦٢٨	الهاشمي		
السلطان جلال الدين خوارزم	٥٠٧	٦٢٩	أبو الفتوح العجلي	٤٨٦	٦٠٠
ابن نقطة			استيلاء الفرنج على	٤٨٧	٦٠١
ابن الأثير الجزري أبو الحسن	٥٠٨	٦٣٠	القسطنطينية		
علي الآمدي	٥٠٩	٦٣١	السلطان محمد الفوري	٤٨٨	٦٠٢
عمر بن الفارض ، شهاب الدين	٥١٠	٦٣٢	أبو الحسن الأهدل	٤٨٨	٦٠٣
السهروردي ، الملك الزاهد			فخر الدين الرازي ، ابو	٤٨٩	٦٠٦
صلاح الدين			السعادات ابن الأثير		
ابن دحية الكلبي	٥١٣	٦٣٣	أرسلان شاه ، محمد بن أحمد	٤٩١	٦٠٧
الملك المحسن بن صلاح الدين	٥١٣	٦٣٤	ابن قدامة		
علاء الدين السلجوقي			محمد بن يونس الشافعي	٤٩٢	٦٠٨
الملك الأشرف موسى ، الملك	٥١٤	٦٣٥	وقعة العقاب ، الملك الأوح	٤٩٣	٦٠٩
الكامل			الأيوبي		
أبو العباس القسطلاني	٥١٥	٦٣٦	الجزولي النحوي ، الطرزي ،	٤٩٣	٦١٠
ضياء الدين ابن الأثير الشيباني	٥١٥	٦٣٧	ابن خروف		
الجزري			الحافظ علي بن المفضل اللخمي	٤٩٤	٦١١

الموضوع	السنة	الصفحة	الموضوع	السنة	الصفحة
أبو شامة المقدسي ، ابن بنت الأغر ، المرتضى المؤمني القيسي صاحب المغرب	٥٤٤	٦٦٥	محيي الدين ابن عربي	٥١٧	٦٢
السلطان ركن الدين السلجوقي ، الضياء الطوسي	٥٤٥	٦٦٦	أبو الفتح الكمال الموصل	٥١٩	٦٣
نجم الدين القزويني ، منتجب الدين الأموي الدمشقي	٥٤٦	٦٦٨	المستنصر الخليفة	٥٢٠	٦٤
ابن سبعين الصوفي	٥٤٨	٦٦٩	موفق الدين بن يعيش ، ابن الصلاح ، السخاوي	٥٢٠	٦٤
الكمال سلار بن الحسن الإربلي	٥٤٨	٦٧٠	أبو علي الأزدي الأندلسي	٥٢٢	٦٤
الإمام أبو عبد الله القرطبي	٥٤٩	٦٧١	الثلوبين		
ابن مالك الطائي الجبائي النحوي	٥٤٩	٦٧٢	أبو عمرو بن الحاجب ، ابن البيطار	٥٢٣	٦٤
الخضر الجويني الدمشقي	٥٥٠	٦٧٤	استيلاء الفرنج على دمياط	٥٢٤	٦٤
الحرب بين بيبرس والتتر	٥٥٠	٦٧٥	أخذ أسطول المسلمين أسطول الفرنج	٥٢٤	٦٤
الظاهر بيبرس ، إسماعيل بن محمد الحضرمي ، الإمام النووي	٥٥١	٦٧٦	الأمير صاحب ابن مطروح	٥٢٥	٦٤
تولي قلاوون السلطنة	٥٥٦	٦٧٨	محمد بن إسماعيل الحضرمي	٥٢٥	٦٥
وقعة حمص ، ابن رزين	٥٥٧	٦٧٩	أبو الفيث بن جميل اليميني ، الملك الصالح الأيوبي	٥٢٦	٦٥
ابن خلكان	٥٥٨	٦٨١	أقطايا التركماني	٥٢٧	٦٥
محمد بن أحمد بن قدامة الخنبلي ، صاحب حماة المنصور	٥٥٩	٦٨٢	أبو الحجاج الأنصاري الأندلسي	٥٢٨	٦٥
النسفي برهان الدين	٥٦١	٦٨٤	ظهور النار بظاهر المدينة المنورة ، احتراق المسجد النبوي	٥٢٩	٦٥
القاضي ابن الزكي	٥٦١	٦٨٥	الملك المعز عز الدين إيبك	٥٣٢	٦٥
البدر بن جمال الدين بن مالك ابن النفيس الطبيب	٥٦٢	٦٨٦	نكية بغداد علي يد التتر ومقتل الخليفة المستعصم ، الملك الناصر الأيوبي ، أبو الحسن الشاذلي	٥٣٢	٦٥
شمس الدين الأصبهاني	٥٦٤	٦٨٨	تولي قطز ومعركة عين جالوت ، الملك ناصر الدين بن غازي	٥٣٦	٦٥
السلطان قلاوون	٥٦٥	٦٨٩	قدوم الخليفة المستنصر إلى مصر ، العزيز بن عبد السلام ، ابن العديم	٥٣٧	٦٥
سقوط جميع معاقل النصارى بالشام ، ابن عجيل الدوالي اليميني ، العفيف التلمساني	٥٦٥	٦٩٠	مبايعة الخليفة الحاكم العباسي	٥٤١	٦٦١
فتح الأشرف لقلعة الروم البيضاوي	٥٦٩	٦٩١	الملك المفيث الأيوبي	٥٤٢	٦٦٢
السلطان الأشرف بن قلاوون	٥٧٠	٦٩٢	ملحمة عظيمة بين الفرنج وابن الأحمر بالأندلس	٥٤٣	٦٦٣
محب الدين الطبري ، الملك المظفر صاحب اليمن	٥٧١	٦٩٤	غزو بيبرس لساحل بلاد الشام ، هولوكو	٥٤٣	٦٦٤
قحط شديد بمصر	٥٧٣	٦٩٥			

الموضوع	السنة	الصفحة	الموضوع	السنة	الصفحة
عمر بن أحمد بن الحضر الأنصاري	٥٩٤	٧٢٦	قتل المنصور لاجين	٥٧٣	٦٩٨
رجم أهل الإسكندرية أميرهم	٥٩٤	٧٢٧	القتال بين التتر والناصر	٥٧٣	٦٩٩
ابن تيمية ، ابن نيهان	٥٩٥	٧٢٨	محمود بن أبي بكر البخاري	٥٧٥	٧٠٠
برهان الدين بن سباع ، القنوي	٥٩٦	٧٢٩	الصوفي		
ابن الشحنة ، نجم الدين الطبري	٥٩٧	٧٣٠	الخليفة الصاسي الحاكم	٥٧٥	٧٠١
سلطان المغرب أبو سعيد المديني	٥٩٧	٧٣١	ابن دقيق العيد	٥٧٦	٧٠٢
المؤيد عماد الدين إسماعيل	٥٩٨	٧٣٢	زين الدين الفارقي	٥٧٧	٧٠٣
بدر الدين بن جماعة الكناني	٥٩٩	٧٣٣	تاج الدين بن الرفاعي	٥٧٨	٧٠٤
أبو الفتح ابن سيد الناس	٦٠١	٧٣٤	فتنة ابن تيمية	٥٧٨	٧٠٥
الملك مهنا بن عيسى الطائي	٦٠٢	٧٣٥	ضياء الدين الطوسي	٥٧٩	٧٠٦
عائشة بنت محمد الحرانية	٦٠٢	٧٣٦	ابن المطرف الأندلسي	٥٧٩	٧٠٧
الشيخ أبو عبد الله المرشدي	٦٠٢	٧٣٧	تزهد الملك الناصر وعزل نفسه	٥٨٠	٧٠٨
البارزي ، عمر بن حزم	٦٠٤	٧٣٨	تاج الدين بن عطاء الله الشاذلي	٥٨٠	٧٠٩
الدمشقي الكناني			الاسكندري		
جلال الدين القزويني ، ابن الصائغ	٦٠٦	٧٣٩	الشيخ ابن الرفعة	٥٨١	٧١٠
السنكلومي	٦٠٧	٧٤٠	إسماعيل بن نصر الله ابن عساكر	٥٨٢	٧١١
شمس الدين السهروردي	٦٠٨	٧٤١	إبراهيم بن أحمد الحنبلي	٥٨٣	٧١٢
أبو الحجاج المزي	٦٠٨	٧٤٢	الحافظ فخر الدين التوزري	٥٨٣	٧١٣
عبد الله بن محمد العبيدلي	٦٠٩	٧٤٣	فاطمة بنت عياش البغدادية	٥٨٣	٧١٤
الفرغاني			سلطان الهند محمود	٥٨٤	٧١٥
تقي الدين السبكي	٦٠٩	٧٤٤	سلطان التتر غياث الدين	٥٨٥	٧١٦
ابن النقيب	٦٠٩	٧٤٥	ظهور المدعي الجبلي في ساحل الشام	٥٨٥	٧١٧
شيخ الإسلام التبريزي	٦٠٩	٧٤٦	القحط المفرط بالجزيرة	٥٨٦	٧١٨
شرف الدين بن الصاحب	٦٠٩	٧٤٧	الملحمة العظمى بالأندلس	٥٨٦	٧١٩
الدهيبي ، الطواشي ، شمس الدين الذهبي	٦١٠	٧٤٨	صاحب مكة حميضة بن أبي نمي الحسيني	٥٨٧	٧٢٠
ابن عدلان ، شمس الدين الأصبهاني	٦١٦	٧٤٩	نجم الدين الأصبهاني ، الملك المؤيد هزبر الدين	٥٨٨	٧٢١
نجم الدين الأصفوني	٦١٧	٧٥٠	إبراهيم بن محمد الطبري المكي	٥٩١	٧٢٢
ذكر فتن عظيمة وقعت باليمن	٦١٩		ابن جماعة ، ابن صصري	٥٩١	٧٢٢
تعداد بعض الشيوخ الأعلام اليمانيين	٦٢٠		علي بن يعقوب البكري ، ابن العطار	٥٩٢	٧٢٤
			غرق بغداد ، سليمان بن هلال الجعفري	٥٩٢	٧٢٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طبع هذا الكتاب الذي يحتوي على آلاف
التراجم لكثير من الصحابة والتابعين والعلماء
والملوك في عهد الرئيس العقيد علي عبد الله
صالح رئيس الجمهورية والقائد العام والأمين
العام للمؤتمر الشعبي العام الذي لا يستحق
الشكر ^{لولا} الإهتمام به بنشر كتب التراث اليمني
على اختلاف مواضيعها ، والشكر مفتاح
المزيد ، ونرجوه تعالى أن يكتب له ذلك في
صحائف الحسنات . هو لوشي حسنات

لوح

شكر على هذه الورقة ما لم يكن

سيد عبد الله اليمني

الطبعة ١٩٤٥